مراسم الوداع

حواراتٌ مع جان بول سارتر

سيمون دي بوفوار

ترجمة: د. قاسم المقداد



التكوين
أوغاريت
Ugarit

مراسم الوداع

و

حوارات مع جان بول سارتر

مراسمُ الوداع

و

حواراتٌ مع جان بول سارتر

سيمون دي بوفوار

ترجمة: د. قاسم المقداد

مكتبة | 815
سُر مَن قرأ

سيمون-إرنستين، لوسي ماري برتراند دي بوفوار (١٩٠٨-١٩٨٦) كاتبة ومفكرة فرنسية، فيلسوفة، وناشطة سياسية ونسوية. كتبت العديد من الروايات والمقالات والسير الذاتية ودراسات حول الفلسفة والسياسة وكتبت أيضًا عن القضايا الاجتماعية. اشتهرت برواياتها «المدعوّة» و«المثقفون» كما حظي كتابها «الجنس الآخر» بشهرة واسعة. ارتبطت بسارتر بعلاقة استمرت لنصف قرن.

Titre Orginal: La Cérémonie des adieux, suivi d'Entretiens avec Jean-Paul Sartre : août-septembre 1974

Ecrivain: Simone de Beauvoir

الطبعة الأولى ٢٠٢١

دار التّكوين
للتّأليف والتّرجمة والنّشر
هاتف: ٠٠٩٦٣١١٢٢٣٦٤٦٨
فاكس: ٠٠٩٦٣١١٢٢٥٧٦٧٧
ص.ب: ١١٤١٨، دمشق ـ سوريا
taakwen@yahoo.com

&

دار أوغاريت
للتّأليف والتّرجمة والنّشر
هاتف: ٠٠٩٦٣١١٢١٤٥١٧٦
فاكس: ٠٠٩٦٣١١٢١١٦٣٧٠
دمشق ـ سوريا
ougarait@gmail.com

978-9933-638-25-2



تقديم للمترجم

بعد نهايةِ هذه الرِّحلة الماتعة والمفيدة؛ وقفتُ حائراً أمام سؤال أرَّقني طيلةَ فترةِ ترجمتي لهذا الكتاب؛ «لِمَ لَمْ يُقدِمْ أحدٌ قَبلي (في حدود معلوماتي) على ترجمة هذا السِّفر العظيم الَّذي يعكس قصَّة اثنين من عمالقة الفكر والأدب في القرن العشرين، أعني؛ جان-بول سارتر وسيمون دوبوفوار اللَّذين ما يزالا حديثَ المثقَّفين حتَّى يومنا هذا، ونحن في بداية القرن الحادي والعشرين؟ والسُّؤال الثَّاني طرحته على نفسي: لِمَ أُقدم على ترجمة عملٍ كان يمكن لكثيرين غيري ترجمته، لو رؤوا فيه فائدةً تُرجى؟

وضعتُ السُّؤالين جانباً؛ لأنَّ تأثيرَ الكتابِ ما يزال ينيخُ بكَلْكَلهِ عليَّ، ولم أجد ما يسوِّغُ الرَّدَّ عليهما لذاتهما.

قِيلَ في سارتر وسيمون دو بوفوار الكثير، وما يزال يُقال، وذهب بعضهم إلى حدِّ تجريدِ سارتر من كونه كاتباً أصلاً (مارغريت دورا)، واتَّهمه البعض (ومعه دو بوفوار بطبيعة الحال) بأنَّه متقلِّبٌ فلسفيّاً، وأدبيّاً، وسياسيّاً، واجتماعيّاً، لكنِّي، والحقُّ يُقال؛ لمْ أجِدْ أيَّ أساسٍ لهذه الاتِّهاماتِ وغيرِها بحسبِ اعترافاتِ سارتر ودو بوفوار الَّتي نجدُها في هذا الكتاب الَّذي جاء على شكلِ حواراتٍ بين أكثرِ اثنين شَغَلا العالمَ خلالَ حياتهما وبعدَ موتِهما.

الجزء الأوَّل من هذا الكتاب «مراسم الوداع»؛ خصَّصَتْهُ سيمون دو بوفوار للحديثِ عن السَّنوات العشر الأخيرة من حياة سارتر: يوماً بيوم، وساعةً بساعة، بل أحياناً؛ دقيقةً بدقيقة، حيَّرني وفاءُ هذه السَّيِّدة العظيمة لهذا

الرَّجل العظيم بعد أن خانَه جسدُه، ولم يخنْه وضوحُ الرُّؤية، والقدرة على أن يكون فاعلاً في السِّياسة والفلسفة، وإثارة النَّاس من حوله: سلباً وإيجاباً. الكتاب سيحدِّثكم عنها كلِّها، وستحكمون بأنفسكم.

لا يُماري أحدٌ اليومَ أنَّ سارتر قد تكرَّسَ بوصفه فيلسوفاً عظيماً، وكاتباً كبيراً، تناولت كتابتهُ أرجاء الأدب كلِّها؛ من رواية، ومسرح، وقصَّة قصيرة، ونقد أدبيٍّ، ومقالة أدبيَّة، وبهذا؛ يكون قد جمع أطرافَ العظَمة كلَّها. لقد مثَّل سارتر بحقٍّ ما يُسمَّى «المثقَّف العظيم»؛ فقد أضفى على دور الوعي النَّقديِّ أهميَّةً لا سابقَ لها، وجعل منه مهمَّةً دائمةً له، مارسها بأمانة طيلةَ حياته؛ عبر أدواتٍ أوجدَتها التَّقاليد الفكريَّة كلُّها؛ من بياناتٍ، ومنشورات، ومشاركة في التَّظاهرات العامَّة والخاصَّة، زدْ على هذا أنَّه وضعَ مذهباً في الالتزام يستجيبُ لتوقُّعاتِ المثقَّفين غداةَ الحربِ العالميَّة الثَّانية؛ لأنَّ هذا المذهبَ يُشَرِّعِنُ استقلالَهم عن الحزب الشُّيوعيِّ الَّذي كان يتسنَّمُ القمَّة، ويضع يدَه على الحياةِ الثَّقافيَّة كلِّها في تلك الفترة.

ميتافيزيقيّاً، لم يعترف سارتر بوجودِ حدودٍ للحُرِّيَّة، ووضوح الوعي، وإعادة النَّظر في تقاليد فلسفيَّة كان المثقَّفون يتسمَّون بها آنذاك. أيْ؛ وهمُ الهروبِ من الحتميَّات الاجتماعيَّة، لقد رفضَ سارتر كلَّ الرَّوابط الاجتماعيَّة من خلالِ أسلوبِ حياتِه غيرِ المعهود؛ فابتعد عن أفخاخِ الحياة البورجوازيَّة بدءاً بالمنزل، والزَّواج، وإنجابِ الأطفال، وعدمِ الرُّضوخ للمواقف المؤسَّسيَّة، ونفوره من التَّكريم (رفض جائزة نوبل)، وهي أفكار تبنَّاها أبطالُ رواياته ومسرحيَّاته. وقد ساهمَتْ مجلَّة الأزمنة الحديثة (أسَّسها عام ١٩٤٥) في تعزيزِ صورته كمثقَّفٍ ملتزمٍ بأفكاره، وحُرٍّ في ممارستها على كلِّ الأصعدة.

لقد عملَ سارتر على كلِّ الجبهات؛ العسكريَّة، والسِّياسيَّة، والاجتماعيَّة، والثَّقافيَّة عموماً، وكان له خصومه، وأتباعه... مثلُه في هذا مثلُ حالِ أيِّ شخصيَّةٍ استثنائيَّةٍ عرفَها التَّاريخ.

سارتر؛ «المثقَّف المُكتمِل»؛ يطلُّ علينا عبرَ هذا الكتاب بكلِّيَّته، من دون أقنعة، أو مواربة، فتراهُ يعترف بأخطائه، ويسامح الآخرين على ما اقترفوه بحقِّه من إساءات، والفضلُ في هذا كلِّه يعود إلى مُحَاوِرتِه سيمون دو بوفوار الَّتي لازمته أكثرَ من خمسين عاماً: صديقةً، ورفيقةً، وحبيبةً، ومُعِيناً، ومستشاراً في أمورٍ كثيرة لها علاقة بأدبِهِ وفلسفتِه.

أتمنَّى للقارئ أن يستمتعَ ويفيد مثلي من قراءةِ هذا البَوحِ الصَّادق.

قاسم المقداد

إلى الّذين أحبُّوا سارتر

ويحبُّونه

والباقينَ على محبَّته

س.د.ب

تمهيد

هو ذا أوّل كُتُبي - الوحيد من دونِ شكٍّ - الَّذي ما كان لك أن تقرأهُ قبلَ طباعته، فهو مخصَّصٌ كُلُّهُ لك، ولا يخُصُّك.

ففي فترةِ شبابنا، سارتر وأنا، كان أحدُنا يقول للآخر، بعد نقاش محتدمٍ ينتصر فيه متألّقاً: «ستبقى في عالمك!». نعم؛ ستبقى في عالمك؛ لن تخرجَ منه أبداً، ولن أوافيك فيه، حتَّى لو دُفِنتُ إلى جانبك، ولن يكونَ بين رمادك وبقاياي أيُّ ممَر.

ضميرُ المخاطب هذا الَّذي أستعملهُ؛ ليس سوى شَرك، وصناعةٍ بلاغيَّة، لا يسمعه أحد، لأنّي، في الحقيقة، لا أخاطبُ أحداً، بل أخاطب أصدقاء سارتر: أولئك الَّذين يحبُّون التَّعمُّقَ في معرفة سنواته الأخيرة الَّتي رويتُها كما عشتُها. تحدَّثتُ قليلاً عن نفسي؛ لأنَّ الشَّاهد جزءٌ من شهادته، لكنّي اقتضبتُ ما وسعني الاقتضاب، أولاً؛ لأنَّهُ ليس موضوعي، ثمَّ، كما جاء في ردودي على أصدقاء كانوا يسألونني عن رؤيتي للأشياء: «هو شيء لا يمكن قوله، أو كتابته، أو التَّفكير فيه؛ إنَّه شيء يُعاش، فقط.»

تقوم هذه الرِّواية، أساساً، على يوميّاتٍ احتفظتُ بها طيلةَ عشرة الأعوام هذه، فشكراً لمن ساعدني؛ كتابةً أو شفهيّاً، على سرد نهاية سارتر.



١٩٧٠

لم يكفَّ سارتر، طيلة حياته، عن مراجعة نفسه، من دون أن يتنكَّر لما كان يسمِّيه «اهتماماته الإيديولوجيَّة». لم يكن يريد أن يصبح مُتغرِّباً Aliéné، ولهذا؛ غالباً ما اختار «أن يفكِّر ضِدَّ نفسه»، باذلاً جهداً صعباً «لتحطيم عظامٍ في رأسه». شكلت أحداث عام ١٩٦٨ الَّتي انخرط فيها، وتركتْ فيه أثراً عميقاً؛ فرصةً له للقيام بمراجعة جديدة؛ فقد شعر أنَّه كان مرفوضاً بوصفه مثقَّفاً، ولهذا؛ وجدَ نفسه خلال السَّنتين اللَّاحقتين، بصدد إعادة التَّفكير في دور المثقَّف، وتعديل مفهومه له.

هو أمر لم يتوقف عن شرحه. حتَّى ذلك الوقت[١]، كان سارتر يرى المثقَّفَ بوصفهِ «تقنيّ المعرفة العمليَّة»، يمزِّقه التَّناقضُ بين عالميَّة المعرفة، وخصوصيَّة الطَّبقة المهيمنة الَّتي كان أحدَ مُنتجاتها: لذلك؛ كان يجسِّدُ شقاءَ الوعي، كما يقول هيجل، أما الآن؛ فقد فكَّر أنَّه صار من اللَّازم تجاوز هذه المرحلة: فوضع **المثقَّف الكلاسِّيكيّ** في مقابل **المثقَّف الجديد** الَّذي يرفض، في ذاته، اللَّحظة الفكريَّة لمحاولة العثورِ على مكانةٍ شعبيَّة جديدة؛ المثقَّف الجديد يسعى إلى الانصهارِ في الجماهير لدفع العالميَّة الحقيقيَّة إلى الانتصار.

حاول سارتر اتِّباع هذا المسار من دون أن يرسمه بوضوح. في خريف عام ١٩٦٨، اتَّجه نحو توزيعِ نشرةٍ سمَّاها النِّضالات المتداخلة Inter luttes، تارةً منسوخة على ورق الحرير، وطَوراً مطبوعةً تتداولها لجان العمل، والتقى عدَّة

(١) لا سيما في المحاضرات التي ألقاها في اليابان.

مرّات بِغيمار Geismar[١]، واشتدَّ اهتمامه بفكرةٍ عَرَضَها عليه في بداية عام ١٩٦٩، تقوم على إصدار صحيفةٍ تُخاطبُ الجماهيرُ من خلالها الجماهيرَ، أو، حيث يتكلَّمُ الشَّعب الَّذي أعادت نضالاتُه تشكيلَه جزئيّاً إلى الجماهير لإدخالها في هذه العمليَّة، إلَّا أنَّ هذا المشروع لم يستمرَّ بعد البدء بتنفيذه، لكنَّه أُنجزَ عندما انتسب غيمار إلى اليسارِ البروليتاريِّ (.G.P)، وأسّسَ بعضُ أتباع فكر ماو تسي تونغ معه صحيفةَ **قضيَّةَ الشَّعب** *La cause du peuple* الَّتي لم يكن يملكها أحد، إذ كانت تُكتب بطريقةٍ مباشرةٍ، أو غير مباشرة من العُمَّال، ويقوم المناضلون ببيعها. كان هدفُها تقديمَ فكرةٍ عن النِّضالات العُمَّاليَّة في فرنسا بدءاً من عام ١٩٧٠، وكانت غالباً ما تبدو معادِية للمثقَّفين، ولسارتر نفسِه، بعد محاكمة رولان كاسترو[٢].

لكنَّ سارتر التقى عدَّة أعضاء من **اليسار البروليتاري** Gp عن طريق غيمار؛ وحينما تعرَّضت عدَّة مقالات، في صحيفة القضيَّة اليساريَّة C.P للنِّظام بطريقة عنيفة؛ تمَّ توقيف مديرها الأوَّل لودانتك Le Dantec، وبعده مديرها الثَّاني لوبريس Le Bris عندها اقترح غيمار وآخرون على سارتر أن يخلفَهما، فقَبِل من دون تردُّد؛ ظنّاً منه أنَّ أهميَّةَ اسمِه من شأنها أن تكونَ مفيدةً للماويِّين، ما دفعه لاحقاً إلى القول خلالَ مؤتمرٍ عُقِد في بروكسل: «لقد

(١) غيمار: رجل سياسيّ فرنسيّ، متخصّص بالفيزياء. سيمرّ ذكر اسمه كثيراً بوصفه أحد الماويّين المثقّفين الّذين عمل سارتر معهم.

(٢) أحد مناضلي حركة تحيا الثّورة، قام مع كل من كلافل، وليريس، وجونيه، وآخرين بتأسيس مكتب CNPF (المكتب الوطنيّ الفرنسيّ لأرباب العمل) احتجاجاً على وفاة خمسة عمّال مهاجرين، بعد اختناقهم بغاز التّدفئة. وقد استخدمت قوّات حفظ النّظام CRS العنف ضدهم واعتقلتهم ثمّ أفرجت عنهم، ما عدا كاسترو الّذي نزل من الحافلة عند إشارة ضوئيّة في محاولة منه للفرار،بعد أن رفض القاضي النّظر في القضيّة على أساس سياسيّ، فشهد سارتر إلى جانبه، وتناولت صحيفة La Cause du peuple هذه الشّهادة بضغينة.

خاطرتُ بوضعِ شُهرتي في الميزان»، واعتباراً من ذلك الوقت؛ اضطرَّ الماويُّون إلى مراجعة تقييمهم للمثقَّفين، وتكتيكاتِهم إزاءهم.

تحدَّثتُ في كتابي **بعد الإمعانِ في التَّفكير**؛ عن محاكمة لودانتيك، ولوبري، الَّتي جرت بتاريخ ٢٧ أيَّار، حيث وردَ اسمُ سارتر بوصفه شاهداً، يومها؛ أعلنت الحكومةُ حلَّ حركةِ اليسار البروليتاريِّ، قبل هذا؛ عُقدت في قاعة Mutualité ندوةٌ دعا فيها غيمار الجمهورَ للنُّزول إلى الشَّارع في ٢٧ أيَّار للاحتجاجِ على هذه المحاكمة، لكنَّ السُّلطات اعتقلته بعد ثمانِ دقائق من بدءِ حديثه.

صدر العددُ الأوَّلُ من صحيفةِ **قضيَّة الشَّعب** بعد تسلُّم سارتر إدارتها، في الأوَّل من أيَّار عام ١٩٧٠، ولم تتصدَّ السُّلطة له، لكنَّ وزير الدَّاخليَّة أوعزَ بمصادرة كلِّ عددٍ من مصدره، لكنَّ الطَّابع كان قد أخرج غالبيَّة الأعداد قبل المصادرة، عندئذٍ؛ عمدت الحكومة إلى مهاجمة البائعين، وأحالتهم إلى المحكمة الاستثنائيَّة بتهمة إعادةِ تشكيل الجبهة الَّتي سبقَ حلُّها،كما تحدَّثتُ عن قيامي، مع سارتر، وأصدقاء عديدين ببيعِ الصَّحيفة في مركز باريس من دون أن ينتابَنا قلقٌ حقيقيٌّ، وذاتَ يومٍ؛ تَعِبَت السُّلطات من مقاومتها غيرِ المجدية هذه، فصارت صحيفةُ قضيَّة الشَّعب تُباعُ في الأكشاك، ونشأت رابطةٌ باسم «أصدقاء صحيفة **قضيَّة الشَّعب**» الَّتي أشرفتُ عليها وميشيل ليريس. في البداية رُفض التَّرخيص لإنشاء الرَّابطة، فلجأنا إلى المحكمة الإداريَّة وكان لنا ما أردنا.

في حزيران من عام ١٩٧٠؛ ساهم سارتر في تأسيس منظمة **النَّجدة الحمراء** Secours rouge، وكان مع تايون Taillon من أعمدتها، وقد قام هدف المنظَّمة على النِّضال ضِدَّ القمع. وفي نصٍّ كتب سارتر معظمَه، أعلنت لجنة المبادرة الوطنيَّة عن أشياء أُخرى، منها:

«ستصبحُ **النَّجدة الحمراء** رابطةً ديمقراطيَّة وشرعيَّة ومستقلَّة، هدفها الأساسيُّ ضمان الدِّفاع السِّياسيِّ والقانونيِّ عن ضحايا القمع، وتقديمِ العون المادِّيِّ والمعنويِّ لعائلاتهم، من دون أي تمييز...»

«... لا يُمكن الدِّفاعُ عن العدالة والحريَّة من دون تنظيم التَّضامن الوطنيّ، وبما أنَّ **النَّجدةَ الحمراءَ** منحدرةٌ من الشَّعب؛ فستعملُ على خدمة نضاله».

ضمَّت المنظَّمة عدَّة مجموعاتٍ يساريَّة، إضافةً إلى صحيفة **البيِّنة المسيحية** Témoignage chrétien الأسبوعيَّة، وشخصيَّات متنوِّعة. كان التَّنظيم يسعى إلى الوقوف أساساً ضِدَّ موجة القمع الَّتي أمر بها مارسولان؛ لأنَّ مارسولان Marcellin(١)، اعتقل عدداً كبيراً من المناضلين بعد حلِّ منظَّمة اليسار البروليتاريِّ GP؛، وكان لا بدَّ من جمع معلوماتٍ حولَ حالاتِهم، وإيجادِ صيغٍ للعمل. بلغ عددُ أعضاء **النَّجدة الحمراء** عدَّة آلاف، وتشكَّلت لجانٌ قاعديَّة في مختلف أحياء باريس وضواحيها، وكانت لجنة مدينة ليون أكثر لجانِ المحافظات نشاطاً. وفي باريس؛ اهتمَّ التَّنظيم بقضايا المهاجرين بنحو خاص؛ على الرغم من انتقائيَّةِ هذه الجماعات المُبالغ فيها من النَّاحية السِّياسية، وكان الماويُّون هم من قاموا بأكبر النَّشاطات مع تلك الجماعات ومساعدتها قدرَ الإمكان.

بموازاةِ قيامِ سارتر بمهامه النِّضاليَّة الكاملة؛ لم يتوانَ عن تكريسِ جلِّ أوقاته لعمله الأدبيِّ، فأنجز الجزء الثَّالث من كتابه الكبير حول فلوبير Flaubert. في عام ١٩٥٤، قال له روجيه غارودي: «تعال نحاول معاً تفسيرَ شخصيَّة واحدة، فأقوم أنا بدراستها من وجهة نظر ماركسيَّة، وأنت من وجهة نظر وجوديَّة»، فاختار سارتر فلوبير بعد أن أساءَ إليه كثيراً في كتابه **ما الأدب؟**، لكنَّه عاد للاهتمام به بعد قراءة مراسلاته؛ ما شدَّه إليه، هو الأهميَّة الَّتي أولاها للخيال،فقام سارتر بكتابة عدَّة دفاتر، ثمَّ دراسةً من ألفِ صفحة هجرها في عام ١٩٥٥، ثمَّ عاد إليها ليعيدَ صياغتها كلَّها بين عامي ١٩٦٨ و١٩٧٠، وأطلق عليها اسم **أحمق العائلة**، الَّذي قال عنه: أردتُ أن أضعَ منهجاً وأكشف النِّقاب عن إنسان.

---

(١) وزير الدَّاخليّة الفرنسيّ آنذاك.

عبَّرَ سارتر عن نواياه عدَّة مرَّات في حديثه عام ١٩٧١ مع كونتا Contat وريبالكا Ribalka، بقوله: هذا العمل ليس علميّاً، لأنَّه لم يستخدم مفاهيماً Concepts، بل تصورات notions، باعتبار أنَّ التصوُّر فكرةٌ تتضمَّن الزمنَ: مثل فكرة الانفعاليَّة، واتَّخذ موقفاً متعاطفاً إزاء فلوبير، وقال أيضاً: «هدفي هو البرهنة على إمكانية معرفة الإنسان تماماً، شريطةَ استخدامِ المنهج المناسب، وتوفُّرِ الوثائق اللَّازمة». ويضيفُ قوله: «حينما أُبيِّن أنَّ فلوبير لا يعرف نفسَه، وكيف يفهمها بشكل رائع، إنَّما أُشير إلى ما أُسمِّيه المعيش Vécu، أي الحياة حينما تفهمها الذَّات، من دون أن يشير ذلك إلى معرفةٍ أو وعيٍ وجوديٍّ thétique».

دان أصدقاؤه الماويُّون، إلى حدٍّ ما، هذا المشروع؛ إذ كانوا يفضِّلون أن يكتب سارتر دراسةً نضاليَّة، أو روايةً شعبيَّة عظيمة، لكنَّه لم يكن يفكِّر بالرُّضوخ لأيِّ ضغطٍ حول هذا الأمر. تفَهَّم وجهةَ نظرِ رفاقه، لكنَّه لم يشاركْهم فيها، وكان يقول حولَ كتابه **أحمق العائلة**: «لو نظرتُ إلى المضمون؛ لتكوَّن في نفسي الانطباعُ بأنِّي أمام هروب، أمَّا إذا نظرتُ إلى المنهج؛ لتكوَّن لديَّ الانطباعَ بأنِّي ابنُ زماني».

عاد سارتر إلى هذه المسألة في المحاضرات الَّتي ألقاها في بروكسل لاحقاً ليقولَ: «منذُ سبعةَ عشرَ عاماً؛ تراني متعلِّقاً بكتابٍ حول **فلوبير**، الَّذي قد لا يهمُّ العُمَّال؛لأنَّه مكتوب بأسلوبٍ مُعقَّدٍ وبورجوازيٍّ حتماً... إنِّي متعلِّق به، وأنا في السَّابعة والسِّتين من عمري، بعد أن عملتُ عليه منذ أن كنتُ في الخمسين، وكنت أحلم به قبل ذلك... باعتباري أكتب فلوبير؛ فإنَّني الابن الشَّقيُّ للبرجوازيَّة الَّتي ينبغي استعادتها».

تقول فكرتُه العميقة: إنَّه لَأمرٌ أساسيٌّ أن نُفهمَ النَّاس في أيِّ مرحلة تاريخيَّة، ومهما كان السِّياق الاجتماعيُّ والسِّياسيُّ، بأن دراسته لفلوبير من شأنها المساعدة في ذلك.

كان سارتر إذاً؛ راضياً عن التزاماته المتنوّعة. حينما، عدنا إلى باريس في شهر أيلول من عام ١٩٧٠بعد إقامةٍ سعيدة في روما، كان يقطن مرتاحاً في شقّة متقشّفة في الطّابق السّادس من بناءٍ يقع في شارع راسباي Raspail قبالة مقبرة مونبارناس، القريبة جدّاً من مكانِ سكني، ويعيش حياةً روتينيَّة إلى حدٍّ ما، فيلتقي دائماً بأصدقاء قُدامى مثل واناداK. Wanada (١)، وميشيل فيان Michele Vian، وابنته بالتَّبنّي آرليت إلكاييم Arlette Elkaïm، حيث كان ينامُ ليلتين أسبوعيّاً في بيتها، أمَّا الأمسيات الأُخرى، فكان يقضيها في منزلي حيث كُنَّا نتجاذبُ أطراف الحديث، ونصغي إلى بعض ما في مكتبتي من موسيقا هامة كنت أغذيها كلَّ يوم، لاسيما موسيقى بيرغ Berg وَويبرن Webern، ومؤلّفين موسيقيّين معاصرين مثل ستوكهاوزن Stockhausen، وكزيناكيس Xenakis، وبيريو Berio، وبنديريكي Penderecki، وآخرين كثر، لكنَّه كان يعود دائماً إلى الموسيقا الكلاسّيكيَّة العظيمة، لا سيما أعمال مونتيفردي Monteverdi، وغيسوالدو Gesualdo، وأوبْرا موزارت Mozart؛ لا سيما أوبْرا Cosi fan tutti مدرسة المُشّاق، إضافةً إلى أوبريتات فيردي Verdi، وخلال هذه الحفلات الموسيقيَّة المنزليَّة، كُنَّا نأكل لحمَ الثَّور القاسي وشريحةً من الجامبون، ونشرب القليلَ من الويسكي. يقع بيتي في «مُحتَرف لفنَّان يتضمَّن سكناً»؛ ذلكَ بحسبِ التَّعريف الَّذي تعتمده المكاتب العقاريَّة لهذا النَّوع من الإيجارات، فأقضي نهاري في غرفةٍ واسعة ذاتِ سقف مرتفع، وأنتقَّل، عبر سلَّمٍ داخليّ، إلى غرفةٍ يربطها نوع من الشُّرفة بالحمَّام. كان سارتر ينام في الأعلى، وينزل صباحاً لتناول الشَّاي برفقتي، وأحياناً مع إحدى صديقاته ليليان سيجيل L.Siegle الَّتي كانت تصحبُه لتناول فنجان من القهوة

(١) ممثّلة مسرحيّة من أصول أوكرانيّة ـ بولونيّة (١٩١٧-١٩٨٩). كانت ضمن الحلقة المقرّبة المحيطة بسارتر ودوبوفوار.

في أحد المقاهي القريبةِ من سكنه، وغالباً ما كان يلتقي بوست Bost[١] في بيتي مساءً، كما كان يلتقي في أغلب الأحيان لانزمان Lanzmann الَّذي كان يكنُّ له كثيراً من الودّ رغم بعضِ الاختلافات المتعلّقة بالمسألة الإسرائيليَّة ـ الفلسطينيَّة، وكان يحبُّ، بنحو خاصٍّ، أُمسياتِ السَّبت الَّتي كانت تقضيها سيلفي[٢] معنا، وإفطارَ يومِ الأحد الَّذي كان يجمعنا ثلاثتَنا في مقهى La Coupole، كما كُنَّا نلتقي أصدقاء مختلفين في أوقات متباعدة.

في فترةٍ بعد الظُّهر؛كنت أعمل عند سارتر منتظرةً نشرَ كتابي **الشَّيخوخة**، وأفكِّر في الجزء الأخير من مذكِّراتي، أمَّا هو؛ فكان يعيد النَّظر في لوحةِ الدُّكتور فلوبير ويصحِّحها في كتابه **أحمق العائلة**،كان ذلك خريفاً رائعاً، أزرقَ وذهبيّاً، وكانت بداية السَّنة[٣] تفصح عن أنَّها ستكون جيِّدة جدّاً.

في شهر أيلول؛ شارك سارتر في ندوة نظَّمتها **النَّجدة الحمراء** لإدانةِ المذبحةِ الَّتي تعرَّض لها الفلسطينيُّون على يدِ الملك حسين، ملك الأردن، حضرها ستَّةُ آلاف شخص، والتقى خلالها سارتر بِجان جينيه J.Genet[٤] بعد غيابٍ طويل عن بعضهما، كان جينيه مرتبطاً **بالفهود السُّود** الَّذين كتب عنهم مقالةً في مجلَّة *Le Nouvel Observateur*، ويحضِّر نفسه للذَّهاب إلى الأردن ليقيمَ في أحد المخيَّمات الفلسطينيَّة.

منذ مدَّةٍ طويلة؛ لم تعُدْ صحَّة سارتر تُثير قلقي، مع أنَّه كان يُدخِّن علبتين من نوع Boyards يوميّاً، ولم يتعاظم التهابُ الشَّرايين عنده. وفجأةً؛ عاودني الخوفُ مع نهاية شهر أيلول.

---

(١) جاك لوران بوست: أحد تلاميذ سارتر(١٩١٦-١٩٩٠) كاتب وصحفي، وكاتب سيناريو وحوارات. أحد مؤسسي مجلة الأزمنة الحديثة.

(٢) سيلفي لوبون (١٩٤١ -): ابنة سيمون دوبوفوار بالتّبني، كاتبة وأستاذة وفيلسوفة وناشرة.

(٣) اعتدنا الحساب وفقاً للسّنة الدراسيّة.

(٤) الشّاعر والكاتب المسرحيّ المعروف.

ذاتَ مساءِ يومِ سبت؛ تناولت العشاءَ مع سارتر وسيلفي في مطعمِ Dominique وشربَ سارتر كثيراً من الفودكا، ولدى عودتِنا إلى بيتي؛ انتابَه النُّعاس، ونام تماماً، فسقطَتْ سيجارته من بينِ أصابعه، ساعدناه في الصُّعود إلى غرفتِه، وفي صبيحةِ اليومِ التَّالي؛ بدا بحالةٍ جيِّدةٍ تماماً، وعادَ إلى بيتِه، لكن حينما ذهبنا مع سيلفي، عندَ السَّاعةِ الثَّانيةِ، لتناولِ الغداء؛ كان يصطدمُ بقطعِ الأثاثِ، ولدى خروجِنا من مقهى الكوبول؛كان يترنَّح، علماً أنَّه لم يشربْ كثيراً، فاقتدناهُ في سيَّارة أجرةٍ إلى واندا Wanda، في شارع دراغون Dragon، ولدى نزولِه من السَّيَّارة؛ كاد أن يسقطَ أرضاً.

سبقَ أن انتابَتْهُ حالاتٌ من الدُّوار؛ ففي عام ١٩٦٨، في روما، كان خارجاً من السَّيَّارة في ساحةِ سانتا ـ ماريا Santa-Maria du Trastevere، فترنَّح لدرجةِ أنَّه كان على سيلفي وأنا إسناده، وقتها؛ لم أعلِّق أهميَّة كبيرة على هذا الأمر، ومع ذلك فقد كنت مندهشة، لأنَّه لم يكن قد شرب شيئاًا لكنَّ هذه الاضطرابات لم تكن قد ظهرت لديه من قبلُ أبداً، فأدركت خطورتَها، وكتبتُ في دفتر مذكَّراتي: «تغيَّر لونُ هذا الاستوديو الَّذي شهد المرحَ منذُ عودتي، وصار هذا الموكيت الجميلُ المصنوعُ من فراءِ الخُلْد يوحي بالحِداد، علينا أن نعيشَ على هذا النَّحو، وفي أحسن الأحوال؛ بسعادة أيضاً ولحظات فرح، لكن مع الخطر المعلَّق، والحياة المؤجَّلة».

دُهشتُ وأنا أخطُّ هذه السُّطور: من أين جاءتني هذهِ السَّوداويَّةُ المتشائمةُ؟ أظنُّ أنِّي، رغمَ هدوئي الظَّاهر؛ لم أكفَّ، منذُ أكثرَ من عشرين عاماً، عن أن أكونَ حذرةً، فالإنذارُ الأوَّل وقع في صيف عام ١٩٥٤؛ عند نهايةِ رحلته إلى الاتِّحاد السُّوفييتيِّ، حيث أدَّت أزمة التَّوتُّر الشِّريانيِّ به إلى المشفى، وفي خريف عام ١٩٥٨؛ عرفت القلق[١] بعد أن نجا سارتر من هجمة قلبيَّة في آخر لحظة، ومنذ ذلك الوقت؛ استمرَّ هذا التَّهديد، إذ ضاقت شرايينه الغليظة والدَّقيقة

(١) راجع كتابي قوة الأشياء.

بشكل كبير؛ كما قال لي الأطباء، وفي الصَّباح، حينما كنت أذهبُ لإيقاظه؛ أسارعُ للاطمئنانِ على حسنِ تنفُّسِه، لم أكنْ أشعرُ بقلقٍ حقيقيٍّ؛ بل بالأحرى مجرَّد استيهامٍ، لكنَّه يعني شيئاً معيَّناً.اضطرَّتني حالاتُ الضِّيق الَّتي كانت تصيبُ سارتر إلى الشُّعور بهشاشةٍ لم تكن، في الحقيقة، غريبةً عنِّي.

في اليومِ التَّالي؛ استعادَ سارتر توازنَه تقريباً، وذهبَ لاستشارةِ طبيبِه المعتادِ الدُّكتور زايدمان Zaidmann، فطلبَ منه إجراءَ فحوصٍ، ونصحَهُ بعدمِ إجهادِ نفسِه بانتظارِ إجراءِ استشارةٍ لدى أحدِ المتخصِّصين يومَ الأحد،لم يُرِدْ هذا الطَّبيب، البروفُسور لوبو Lebeau قولَ أيِّ شيء، وعزى عدمَ التَّوازنِ إلى اضطرابٍ في الأذن الوُسطى، أو في الدِّماغ، وبناءً على طلبه؛ قمنا بإجراء تخطيطٍ للدِّماغ، تبيَّن منه أنه لا يعاني أيَّ عيب.

كان سارتر مُتعباً. ظهر خرَّاج في فمه، وبدت عليه أعراضُ الأنفلونزا، لكنَّه في يوم الثَّامن من تشرين الأوَّل؛ قدَّم مخطوطتَه الضَّخمةَ حولَ فلوبير وهو في حالةٍ من الابتهاج.

كان الماويّون قد نظَّموا له رحلةً إلى Fos-sur-Mer، ومراكز صناعيَّة أُخرى ليدرسَ فيها ظروفَ العملِ وحياة العمال. في الخامس عشر من تشرين الأوَّل؛ منعه أطبَّاؤه من القيام بهذه الرِّحلة، فبالإضافة إلى زايدمان؛ قام بإحدى عشرة زيارةً لاستشارة متخصِّصين آخرين لفحصِ عينيه، وأذنيه، وجمجمتِه، ودماغِه، اكتشفوا أنَّ لديه اضطراباتٍ دمويَّةً جدِّيَّةً في المنطقة اليُسرى من الدِّماغ (منطقة اللُّغة)، وتضيُّقاً في الأوعية الدَّمويَّة، وكان عليه التَّخفيفُ من التَّدخين، والخضوع لسلسلةٍ من الإبر المنشِّطة، وعليه، بعد شهرين، إعادة التَّخطيط الدَّماغيِّ، عندئذٍ ربَّما يكون قد شُفي، لكنْ عليه ألَّا يُجهَد نفسَه، لا سيما من النَّاحية الجسديَّة،وبالفعل؛ بعد الانتهاء من فلوبير؛ لم يعُدْ لديه ما يُوجبُ الإجهادَ سوى قراءةِ المخطوطاتِ، والرِّواياتِ البوليسيَّة، والحلمِ بكتابة مسرحيَّةٍ لم يكنْ موضوعها واضحاً في ذهنه، كما كتب خلالَ

شهرِ تشرين الأوَّل هذا؛ مقدِّمة لمعرض روبيرول Rebeyrolle الَّذي أطلق عليه عنوان: *Coexistances* [تعايُشات]، كُنَّا نُحبُّ لوحاتِه كثيراً،جاء إلى روما ليقضي معنا يومين، وكُنَّا نتعاطف معه كثيراً وَحين تعرَّفنا عليه؛ أحببنا كثيراً زوجته الأرمنيَّة المسلِّية أيضاً، وتكرَّرت لقاءاتنا بهم في السَّنوات اللَّاحقة، كانا مرتبطين بِفرانكي Franqui، الصَّحفي الَّذي سبق أن دعانا إلى كوبا في عام ١٩٦٠، ومن ثمَّ اختار المنفى لمعارضته سياسة كاسترو الموالية للسُّوفييت.

رغم متاعب سارتر الصحيَّة؛ فقد تابع نشاطاته السِّياسيَّة، وفي هذه الفترة، وقعت حادثةُ مصادرةِ صحيفةِ **قضية الشَّعب** La Cause du Peuple عندَ طابعِها سيمون بلومنتال Blumenthal، وقد سبق أن تحدَّثتُ عن هذا في كتابي: **بعد الإمعان في التَّفكير**. تعرَّف سارتر، عن طريقِ غيمار، على غلوكسمان Glucksmann[1]، وأجرى معه مقابلةً استعادَ فيها التَّحليلَ الَّذي نشرتهُ صحيفةُ **قضية الشَّعب**، حول النِّضال العُمَّاليّ في فرنسا (مقابلة نشرتها هيئة Hersischer Rundfunk بتاريخ ٢٢ تشرين الأوَّل).

في ٢١ تشرين الأوَّل؛ بدأت محاكمة غيمار Geismar، وحضر النَّدوة الَّتي شارك فيها للاحتجاجِ على اعتقالِ Le Dantec وLe Bris خمسة آلاف شخص؛ كانوا يصيحون جميعاً: «لننزلْ جميعاً إلى الشَّارع في ٢٧ تشرين الأوَّل!»، وتحدَّث فيها عدَّة خطباء، ولم يتم اعتقال سوى غيمار، وهذا حتماً بسبب انتمائه إلى اليسار البروليتاريّ GP، وفضلاً عن هذا؛ فإنَّ تظاهرة يوم ٢٧ لم تكن داميةً، إذ استخدم رجالُ مكافحةِ الشَّغب C.R.S الغازَ المسيلَ للدُّموع، ورمى المتظاهرون الحجارةَ وبعض البراغي، ولم يُجرحْ أحد، وتوقَّعنا أن يصدرَ بحقِّه حكمٌ قاسٍ.

استُدعيَ سارتر ليدلي بشهادتِه، لكنْ بدلاً من القيامِ بالدَّور التَّقليديِّ المناطِ به أمامَ العدالةِ البورجوازيَّة؛ توجَّه إلى عُمَّال مصنع بيانكور

---

(١) أندريه غلوكسمان (١٩٣٧- ٢٠١٥):كان ماويًا في شبابه، ثم صار واحدًا من الفلاسفة الجدد.

Billancourt، فمنعتهُ الإدارةُ من الدُّخول، ومن جانبٍ آخر؛ كان الحزبُ الشُّيوعيُّ قد وزَّع، عند السَّاعة الثَّامنة صباحاً، منشوراً يُحذِّر فيه عُمَّال مصانعِ سيَّارات رينو Renault منه، فتحدَّث في الخارج، فوقَ برميلٍ عبرَ مُكبِّر صوتٍ أمامَ جمهورٍ محدودٍ إلى حدٍّ ما: «لكم أن تقولوا ما إذا كان عملُ غيمار سيِّئاً أم جيِّداً، أريد أن أقدِّم شهادتي في الشَّارع، لأنِّي مُثقَّف، وأظنُّ أن علاقة الشَّعب بالمثقَّفين؛ والَّتي كانت موجودة في القرن التَّاسع عشر؛ ليس دائماً، لكنَّها أعطت نتائجَ جيِّدةً جدّاً؛ ينبغي أن تعودَ اليوم. مُنذ خمسين عاماً؛ فُصل المثقَّفون عن العُمَّال، أمَّا اليوم فينبغي أن يكونوا كُلّاً واحداً».

بذلَ خصومُ سارتر جهودَهم للسُّخرية من مداخلته، وردَّ عليه الحزب الشُّيوعيُّ بأنَّ العلاقة بين الشَّعب والمثقَّفين كانت قائمة؛ لأنَّ عدداً كبيراً من هؤلاء كانوا منتسبين إلى الحزب، ومع كل ذلك؛ فقد حُكم على غيمار بالسِّجن ثمانية عشر شهراً.

ساهم سارتر في إنشاء صحيفة جديدة بعنوان J'accuse [إنِّي أتَّهم]، وصدر منها العدد صِفْر قبل الأوَّل من تشرين الثَّاني بقليل، وكان مرتبطاً بالفريق الَّذي يديرها والمؤلَّف من Linhart، وGlucksmann، وMichel Manceau، وFromanger وGodard، وغيرهم.

لم يقمِ المناضلونَ بتحريرِ هذه الصَّحيفة، بل كانت تَنشرُ تقاريرَ ينجزها مثقَّفون، وكتب فيها سارتر بعض المقالات، ولكن لم يصدرْ سوى عددين منها بعد الأوَّل: أحدُهما بتاريخ ١٥ كانون الثَّاني من عام ١٩٧١، والثَّاني في ١٥ آذار. وكانت ليليان سييغل L.Siegl تُدير التَّحريرَ باسمها قبل الزَّواج، وبقيت كذلك إلى أن ضمَّت صحيفةَ **إنِّي أتَّهم** إلى صحيفة **قضية الشَّعب**، فأصبحت عندئذٍ معاونةَ مديرة مع سارتر، وجلست مرَّتين في مقعد المتَّهمين، وأدلى سارتر بشهادته لصالحها.

مع هذا؛ ما فتئَتْ صحَّة سارتر تثير القلقَ في نفسي، فحينما يقضي لحظاتٍ صعبة، ويفرض على نفسه الكثيرَ من الأعمال الشَّاقة؛ كان يُبالغ في الشَّراب، وكان في أغلب الأحيانِ في حالةِ نُعاس، صباحَ مساء.

قال البروفِّسور لوبو، الَّذي استشاره في الخامس من تشرين الثَّاني: إنَّ سببَ ذلك يعود إلى الأدوية الَّتي وُصفَتْ له لمعالجةِ الدُّوار، فخفِّف عياراتها، وفي الثَّاني والعشرين من تشرين الثَّاني؛ أعدنا تخطيطَ الدِّماغ، وكانت نتيجتُه مُرضيةً تماماً، وبعد فترةٍ وجيزة؛ طمأنه البروفِّسور لوبو بأنَّه قد شُفيَ تماماً، ولم يعد مُعرَّضاً للدُّوار، إلَّا كما يتعرَّض له أيُّ شخصٍ عاديٍّ، فكان سعيداً بذلك، لكنْ بقي هناك ما يشغله، أي؛ أسنانُه، وكان عليه أن يضعَ طقمَ أسنانٍ مُستعارة، لكنَّه خشي من أنَّ هذا سيمنعه من الحديث أمام النَّاس، ولأسبابٍ رمزيَّة واضحة أيضاً؛ قام طبيبُ الأسنانِ بعملٍ رائع أعادَ الطمأنينة إلى نفس سارتر.

كان سارتر راضياً عن ظهور الكتاب الَّذي كتبه كلٌّ من كونتا وريبالكا بعنوان: **كتابات جان بول سارتر**، وصحَّح مُسوَّدات كتاب **أحمق العائلة**، وكان في أحسنِ حالاتِه حينما ترأَّس قضيَّةَ مناجِم الفحمِ Houillères في شهرِ كانون الأوَّل.

تحدَّثتُ عن هذهِ القضيَّةِ في كتابي: **بعد الإمعان في التَّفكير**، لكنْ، بما أنَّ سارتر قد أولاها الكثيرَ من الأهميَّة؛ أودُّ أن أعودَ إليها هنا. فَفي شهرِ شُباط من عام ١٩٧٠؛ قُتل ستَّة عشرَ عاملاً من مناجمِ الفحم، وجُرح آخرون كثيرون بسببِ انفجارِ الغاز في Hénin-Liétard، وكانت مسؤوليَّةُ المناجمِ عن هذا الحادثِ واضحةٌ لا تقبل الشَّك؛ إذ قام بعضُ الشَّبابِ غيرِ المعروفين بقذفِ زجاجاتِ مولوتوف في مكاتبِ الإدارة؛ من بابِ الانتقام، فشبَّ الحريقُ، فاعتقلت الشُّرطة، من دونِ أيِّ دليل، أربعةً من الماويِّين واثنين من المطلوبين، وكان ينبغي أن تبدأ محاكمتُهم يوم الإثنين ١٤ كانون الأوَّل، ودعَتْ **النَّجدة الحمراء** في يوم السَّبت إلى عقدِ محكمةٍ شعبيَّةٍ في مدينة لانص Lens.

ذهب سارتر في الثَّاني من كانون الأوَّل، ومعه ليليان سيغل للتَّحقيقِ لدى عُمَّال المنجم، وللتَّحضير لهذه الجلسة، فنزل إلى برواي Bruay، حيث أقامَ عندَ عاملِ منجمٍ سابق، اسمه أندريه، وهو مناضلٌ شديدُ الارتباط بِالماويِّين، وحضَّرت زوجته ماري أرنباً للعشاء، وهو طعام كان سارتر يكرهُه، لكنَّه ابتلعَه بتهذيب، ممَّا سبَّبَ له أزمةَ ربوٍ استمرَّت لساعتين. وفي اليوم التَّالي؛ التقى جوزيف، وهو أحدُ المناضلين المسنِّين، المعروفين جدّاً، ومع عددٍ كبيرٍ من سُكَّان المنطقةِ في ضاحية دواي Douai، كما تحدَّث مع جولي، وهي عضوٌ هامٌّ في حركةِ **اليسار البروليتاريِّ**، أحبَّها سارتر كثيراً، برغمِ انزعاجِه من زهوها بالانتصار، كما زارَ أوجين كامفان E.Camphin، وهي امرأة مُسنَّة نصفُ عمياء، ووالدةٌ وزوجةُ عُمَّالِ مناجمَ مقاومين، أعدمَهم الألمانُ رمياً بالرَّصاص.

إذاً؛ بدأتِ المحاكمةُ في الثَّاني عشرَ من كانون الأوَّل، في مقرِّ بلديَّة لانص، وظهرت مسؤوليَّة المناجمِ بشكلٍ صاعقٍ لا لَبسَ فيه. وقد لخَّص سارتر النِّقاشَ في مرافعةٍ دقيقةٍ أنهاها على النَّحو الآتي: «أقترح عليكم إذاً، الخلاصاتِ الآتية: الدَّولة؛ ربَّةُ العملِ مذنبةٌ في عمليَّة الاغتيالِ الَّتي تمَّت في الرَّابع من شباط ١٩٧٠، الإدارةُ والمهندسون المسؤولون عن الحفرةِ رقم ٦؛ هم مَن قام بعمليَّة القَتل، وبالنَّتيجة؛ فهُم أيضاً مذنبون بجريمةِ القتل العمد، لأنَّهم اختاروا بملء إرادتهم الرَّيع على حسابِ الأمن، أي إنَّهم وضعوا إنتاج الأشياء قبل حياة البشر». وفي يوم الإثنين التَّالي؛ جرت محاكمةُ السّتة الَّذين قاموا بالحرق، وتمَّ إخلاءُ سبيلِهم.

قبلَ هذا التَّاريخِ بقليل؛ قَبِل سارتر إدارةَ صحيفتَين يساريَّتين أُخريين هما «كل شيء» Tout الَّتي كانت لسانَ حالِ مجموعةِ V.L.R. (Vive La Révolution) [تحيا الثَّورة]، بالإضافة إلى إدارتِه لصحيفةِ **قضية الشَّعب**.



١٩٧١

في بدايةِ شهر كانون الثّاني؛ جرَتْ محاكمتان في كلٍّ من الاتّحاد السُّوفييتيّ وإسبانيا، أثارتا حولَهما الكثيرَ من الضجّة؛ ففي ١٦ كانون الأوّل من عام ١٩٧٠؛ مَثُلَ أحدَ عشرَ مواطناً سوفييتيّاً : أوكرانيّ، وروسيّ، وتسعة يهود - أمام محكمة لينينغراد، لأنّهم خطّطوا لاختطافِ طائرةٍ لكي يغادروا البلادَ، لكنَّ أمرَهم تسرَّب إلى السُّلطات. وخلال ليلة ١٥ - ١٦ حزيران، تمَّ اعتقالُهم في عدَّة مدنٍ قبلَ الشُّروعِ بتنفيذِ عمليَّتهم، وقد حُكمَ على اثنين منهم بالموت هما: كوزنيتسوف؛ مُنظِّم المؤامرة، وديمشيتز، وهو طيَّارٌ مدنيٌّ كان سيقودُ الطَّائرةَ بعدَ تقييد أيدي أفرادِ الطَّاقم وإنزالِهم من الطَّائرة، ثمَّ الإقلاع، وحُكم على سبعةٍ بالأشغالِ الشَّاقَّةِ لمددٍ تراوحت بين ١٠ إلى ١٤ عاماً، وعلى اثنين لمددٍ تراوحت بينَ أربع وثمان سنوات،[١] وفي ١٤ كانون الثَّاني ١٩٧١ عُقدت في باريس ندوةٌ للوقوفِ معهم. شاركَ فيها سارتر، وحضر النَّدوة كلٌّ من لوران شفارتز [٢]، ومادول، وصديقنا إيلي بن غال، ودانَ الجميعُ مناهضة السّاميَّة في الاتّحاد السُّوفييتيّ.

---

(١) لم يتمّ تنفيذ حكم الإعدام بكلّ من ديمشيتس وكوزنبتوف بسبب الضّغوط الّتي مارسها الإليزيه من دون شكّ. وصلت مخطوطة كوزنيتسوف إلى باريس في عام ١٩٧٣، ونشرت باللّغة الفرنسيّة بعنوان «يوميّات محكوم عليه بالإعدام» وأثارت ضجّة كبيرة. في نيسان ١٩٧٩ تم تبادل كوزنيتسكوف وديمشيتس، وثلاثة آخرين بجاسوسين سوفييتيين معتقلين في الولايات المتّحدة.

(٢) لوران شفارتز (١٩١٥-٢٠٠٢): رجل رياضيّات ومثقّف فرنسيّ.

في محاكمةِ بيرغوس Burgos مثُل باسكيُونَ ينتمون إلى منظَّمة إيتا E.T.A الانفصاليَّة أمامَ المحكمةِ بعد أن اتَّهمَهم فرانكو بالتَّآمرِ ضِدَّ الدَّولة، وحضرت جيزيل حليمي تلك الجلسةَ بصفةِ مراقب، وكتبتْ وقائعَ المحاكمةِ في كتابٍ نشرتْهُ لدى دار غاليمار Gallimard، وطلبَت أن يكتبَ لها سارتر تقديماً للكتابِ، فوافقَ بكلِّ صدرٍ رحب؛ حيث تحدَّث فيه عن قضيَّة الباسكيِّين، وعن نضالِهم، لا سيما تاريخَ منظَّمة إيتا، واستنكرَ القمعَ الفرانكيَّ عموماً، لاسيما الطَّريقةَ الَّتي جرت بها محاكمة بيرغوس، وبهذه المناسبة،استند إلى مثال محدد ليشرحَ فكرةً كانت تشغلُ بالَه هي أنَّ المعارضة لشيء عام مجرد -وهو الذي تستند إليه الحكومات- ومعارضة العامَّ المفرد والملموس، الذي تجسده الشُّعوبِ المكوَّنة من بشرٍ من لحمٍ وعظم. وأكَّد أنَّ هذا النوع من المعارضة هو الذي الَّتي تريده ثورات المستعمَرين - داخليّاً وخارجيّاً - تشجيعَه، وهو الصَّحيح، لأنَّه يدركُ أحوالَ النَّاس، وثقافتَهم، ولغتَهم، ولا يعدهم مجرد مفاهيمَ فارغة.

كان سارتر ينادي بتطبيقِ «اشتراكيَّةٍ أُخرى ملموسة، تُفكِّك المركزيَّة، في مقابل تلك الاشتراكيَّةِ الممَركزة والمجرَّدة، وهو ما تنادي به إيتا تحديداً لمواجهةِ المركزيَّةِ المجرَّدةِ التي يمارسها القامعون»، وكان يقول:«ينبغي خلقُ الإنسانِ الاشتراكيِّ على أساسِ أرضِه، ولسانِه، وحتَّى أخلاقِه المتجدِّدِة.ومن هنا فقط سيكفُّ الإنسان، تدريجيّاً، عن أن يكون منتوجَ منتوجهِ ليصبحَ أخيراً، ابنَ الإنسان».

ومن المنظورِ نفسِه؛ كرَّس سارتر، بعد عامين، أحدَ أعدادِ مجلَّة **الأزمنة الحديثة** (آب-أيلول١٩٧٣) لنشر مطالباتِ البروتانيِّين Bretons، والأوكسيتانيِّين Occitans، وجميع الأقلِّياتِ الوطنيَّةِ الَّتي تُعاني من اضطهادِ السلطة المركزية لها.

ومع أن غيمار كان يحظى بمعاملة جيدة نسبياً في سجنِ الصحَّة La Santé، ؛ فقد تضامنَ مع السُّجناءِ السِّياسيِّين الآخرين الَّذين بدأوا إضراباً

عن الطَّعام؛ للمطالبةِ بأن يكونَ لمعتقلي الحقِّ العامِّ، كما لأنفسهم؛ ظروفُ اعتقالٍ مقبولة، وقرَّر بعضُ اليساريِّين الامتناعَ عن الطَّعامِ لدعمِ مطالباتهم، فوُضِعوا في كنيسة سان برنار في منطقة مونبارناس من قِبَل قِسٍّ تقدُّميّ، وكانت ميشيل فيان Michèle Vian من بين المضربين، وكان سارتر يزورها في أغلب الأحيان، ورافقهم حينما توقَّفوا عن الإضراب عن الطَّعام. بعد واحد وعشرين يوماً؛ سعوا إلى لقاءٍ مع وزيرِ العدلِ بليفن Pleven، وكان الوهنُ قد نالَ منهم، فلم يستطيعوا السَّير، فركبوا سيَّارة من ساحةِ الأوبْرا إلى ساحةِ فاندوم Vendôme، وذهبوا إلى وزارةِ العدل، فرفضَ الوزيرُ مقابلتَهم، لكنَّه بعد ذلكَ استسلم؛ وَوافق على منحِ معاملةٍ خاصَّة للمعتقلين الَّذين أضربوا عن الطَّعام، وَوعدَ بتحسينِ حالةِ الحقِّ العامِّ، وهو وعدٌ لم يتحقَّق أبداً.

في ١٣ شباط؛ اقتنعَ سارتر من رفاقِه الماويِّين بالمشاركة في عملٍ أخرقَ إلى حدٍّ ما، وهو احتلالُ كنيسةِ Sacré-Coeur. خلالَ تظاهرةٍ قامت بها جماعةُ النَّجدةِ الحمراء؛ أُصيبَ أحدُ مناضلي **تحيا الثَّورة** V.L.R بتشوُّهٍ في وجهِه بسببِ قنبلةٍ مسيلةٍ للدُّموع، فقامت جماعةُ اليسارِ البروليتاريِّ باحتلال الكاتدرائيَّة لشدِّ انتباهِ الرَّأي العامِّ، وقد اعتمدَت في هذا على قبولِ راعيها القسِّ شارل، فدخلَ سارتر برفقةِ كلٍّ من جان ـ كلود فيرنييه، وجيبير كاسترو، وليليان سييغل إلى الكنيسةِ، حيث كان بعضُ المصلِّين، وطلبَ رؤيةَ المونسينيور شارل، وَوعدَه رجلُ الدِّين بنقلِ طلبِه.

طالَ انتظارُه ربعَ ساعة، ولم يعُدْ، ثمَّ أُغلقتِ الأبوابُ كلُّها إلَّا باباً واحداً؛ فشعرَ المتظاهرون الَّذين ازدادَ عددُهم بأنَّهم وقعوا في الفخّ، فأمسك كاسترو وفيرنييه بِسارتر وليليان، وخبَّآهما في إحدى الزَّوايا، بينما راحت قوَّاتُ حفظِ النِّظامِ الَّتي دخلت من المنفذِ الَّذي بقي مفتوحاً، تضربُ الجميعَ من دونِ تمييز. تمكَّن كاسترو وفيرنييه من إخراج سارتر وليليان، ووضعاهما في سيَّارة أقلَّتهم إلى أحدِ المقاهي، وحين عادا لاحقاً، قالا إنَّ المواجهةَ كانت بالغةَ العُنف،

ويومَها اخترقَ أحدُ قضبان السّياج فخذَ أحدِ الشُّبَّان، أمَّا سارتر، الَّذي رأيته مساءً مع سيلفي؛ قال إنَّ هذه القصَّة كلَّها مؤسفة، لا يُمكنها إلَّا إحباطَ معنويَّاتِ المناضلين الَّذين عانَوا كثيراً قبل عدَّة أيَّامٍ عند نهايةِ إحدى المظاهرات.

في الخامس عشر من شباط؛ عقدَ سارتر مع جان لوك غودار Jean-Luc Godard مؤتمراً صحفيّاً حولَ هذه القضيَّة الَّتي تحدَّثت الصُّحف عنها كثيراً. وفي ١٨ شباط، انسحبَ من جماعة **النَّجدة الحمراء**، لأنَّه رأى أنَّ الماويِّين قد احتلُّوا مكاناً كبيراً فيها(١).

بعدَ أيَّام قليلة، انفجرت قضيَّة غيّو Guiot؛ وهو طالبٌ في إحدى الثَّانويَّات اتُّهم زوراً بضربِ أحدِ رجالِ الشّرطة، وتمَّ القبضُ عليه بالجرم المشهود!، فقام الطُّلاب بالاحتجاجِ جماعيّاً، وافترشَ الآلافُ منهم شارعَ الحيِّ اللَّاتينيِّ، حيث كانت تقفُ حافلاتُ الشّرطة. وللانتهاءِ من هذه القضيَّة، أفرجَتِ السُّلطاتُ عن غيّو، لكنَّ الجوَّ في شوارعِ باريس بقيَ عاصفاً، فكنتَ ترى في كلِّ مكانٍ صوراً كبيرة مشوَّهة لِديشاي Deshayes. في منتصفِ شهرِ آذار حدثَت مواجهةٌ اتَّسمَت بعنفٍ فريدٍ من نوعه بين اليساريِّين وأنصارِ حركةِ النِّظامِ الجديدِ Ordre nouveau اليمينيَّة المتطرِّفة، جُرح خلالها عددٌ كبيرٌ من رجالِ الشّرطة.

كان سارتر يتابعُ عن كثب هذا التَّحرُّك كلَّه وهو بصحَّة تبدو جيِّدة، واستمرَّ في تصحيحِ مُسوَّداتِ **أحمق العائلة**، وحضورِ اجتماعاتِ مجلَّة **الأزمنة الحديثة** الَّتي كانت تُعقد في بيتي.

في بدايةِ شهر نيسان، سافرنا إلى سان - بول دوفانص Saint-Paul-de-Vance، التي وصلهاسارتر بالقطارِ مع آرليت، أمَّا أنا؛ فقدمتُ إليها بالسَّيَّارة مع سيلفي، وكان الفندقُ الَّذي نزلنا فيه يقعُ عندَ أبوابِ المدينةِ الصَّغيرةِ،

---

(١) الحقيقة أنه انسحب من اللّجنة الإداريّة، لكنّه شارك في كثير من النّشاطات الّتي نظّمتها النّجدة الحمراء.

وكان مُزدحماً بالسَّائحين طيلةَ النَّهار، لكنَّه كان هادئاً في الصَّباح والمساءِ؛ يشبه الذِّكرياتِ الثَّمينة الَّتي احتفظنا بها عنهُ في ذاكرتنا.

أقام سارتر وآرليت في أحد الملاحق، وأقمت مع سيلفي في بيتٍ صغيرٍ يقعُ على طرفِ حديقةٍ مزروعةٍ بأشجارِ البرتقال، فيه غرفةٌ كبيرةٌ تُفضي إلى شرفةٍ صغيرةٍ، وصالةُ جلوسٍ واسعةٍ مقصورة باللَّون الأبيضِ الخشِن، وفيها أعمدة ظاهرة، وتزدان جدرانُها بلوحاتٍ جميلة لِكالدير Calder ذات ألوان فاقعة، وكانت مجهَّزةً بطاولةٍ طويلةٍ من الخشب، وأريكة، وبوفيه، وتطلُّ على الحديقة. هنا كنتُ أقضي أغلبَ أُمسياتي مع سارتر، نحتسي الويسكي ونتجاذبُ أطرافَ الحديث؛ عشاؤنا قليلٌ من السّجق، أو لوح من الشوكولاتة، أمَّا وجبةُ الغداء، فقد كنت أُحضرُها من أحدِ مطاعمِ الضَّواحي الجيْدة، وأحياناً كُنَّا نجتمعُ فيها نحن الأربعة.

في المساء الأوَّل؛ دُهشنا لرؤيةِ أضواءٍ كثيرةٍ تنبعث من الهضبةِ المواجهةِ لِسان بول؛ وعرفنا أنَّها بيوت زجاجيَّة تُضاء بالنُّور الكهربائيّ.

في فترةٍ بعد الظُّهر؛ غالباً ما كان كلٌّ منَّا يقرأ كتابه، أو نقوم بنزهاتٍ نستعيدُ خلالَها النَّظرَ إلى أماكنَ كُنَّا قد أحببناها، وسعدنا بالعودةِ إلى مدينةِ Cagnes، والفندقِ الجميلِ الَّذي كانت لنا فيه، طيلةَ سنواتٍ سابقة، إقامةٌ رائعة. بعدَ ظُهرِ أحدِ الأيَّام، زُرنا مؤسَّسةَ Meght الَّتي كنّا نعرفُها سابقاً. يومها كانت تضمُّ معرضاً لِشار Char؛ وكانت اللَّوحاتُ المجموعةُ حولَ مخطوطاتِه وكُتُبِه بالغةَ الجمال، هي لوحاتٌ لكلٍّ من Klee[١] وVierra da Siva[٢]، وجياكوميتي Giacometti[٣]، والكثير من لوحات Miro[٤]؛ والَّتي ازداد ثراؤها مع تقدُّمه في العمر.

---

(١) بول كليه (١٨٧٩-١٩٤٠) رسّام ألمانيّ.

(٢) فييرا دا سيفا (١٩٠٨- ١٩٩٢): رسّامة من أصول برتغاليّة تنتمي إلى مدرسة باريس.

(٣) ألبرتو جياكوميتي (١٩٠١-١٩٦٦): رسّام إيطاليّ.

(٤) خوان ميرو (١٨٩٣-١٩٨٣) رسّام ونحّات إسبانيّ.

في اليومِ الأخير، طلب سارتر طَبَقَ Aïoli تناولناه في غرفةٍ واسعةٍ رائعةٍ فيها شومينيه ومكتبة. وبسببِ غيابِ الشَّمس ذلك اليوم؛ رحلَ مساءً في القطار مع آرليت، أمَّا أنا وسيلفي فقد غادرنا صباحَ اليوم التَّالي.

استمتع سارتر بهذه العطلة، لكنَّه كانَ أكثرَ سعادةً بالعودةِ إلى باريس؛ حيث تلقَّى من دارِ غاليمار صندوقاً كبيراً يحوي نُسَخاً من كتابِ **أحمق العائلة** الَّذي طُبِعَت منه ألفا نُسخة، وقال لي إنَّ هذا أسعدَهُ بمقدارِ ما أسعدَهُ نشرُ روايةِ **الغثيان**، وسرعانَ ما تتالَتِ الدِّراسات النَّقدية الودودة جدّاً.

في بدايةِ شهرِ أيَّار؛ أخبَرنا بويون Pouillon[1] بموتِ الصَّديق الَّذي أطلقتُ عليه اسم Pagniez في مذكِّراتي، وقال لنا إنَّ بانييز، قد انتابهُ الضَّجر، بعد أن أُحيلَ على التَّقاعد وتركَ نفسَه فريسةً للموت؛ فقد أُصيبَ بالتهابِ الكبدِ الَّذي تحوَّلَ إلى تليُّفٍ كبديٍّ. كُنَّا معه وزوجتِه الَّتي تُوفِّيت قبلَه بعدَّة سنوات، سعداء بماضينا الَّذي وصلَ إلى نهايته، لكنَّ بانييز أصبحَ بالنِّسبة لنا، منذُ فترةٍ طويلةٍ، غريباً جدّاً، واستقبلْنا خبرَ موتِه بلامبالاة.

في بداية أيَّارأيضاً، اتَّصل الكاتبُ الإسبانيُّ خوان غواتيسولو Goytisolo بِسارتر هاتفيّاً لتوقيعِ رسالةٍ بالغةِ العنف موجَّهةٍ إلى فيديل كاسترو حول قضيَّة باديلّا Padilla، الَّتي تضمَّنت عدَّة مراحل: ١) اعتقالُ الشَّاعر باديلّا، الَّذي تعرفه كوبا بشكل كبير بتهمة اللِّواط؛ ٢) رسالة موقَّعة من كلٍّ من غواتيسولو، وفرانكي، وسارتر وأنا، وآخرين؛ أُطلق سراح باديلّا وكتب نقداً ذاتيّاً جنونيّاً حيث اتَّهم ديمون كارول Dumont Karol بأنَّه عميلٌ للمخابراتِ المركزيَّة الأميركيَّة، كما كتبت زوجتُه نقداً ذاتيّاً، وأعلنت أنَّ الشُّرطة عاملتها «بلطف».

أثارت هذه التَّصريحاتُ كثيراً من الاحتجاجات، وكتبَ مُترجِمُنا السَّابق؛ الكوبيُّ أكروشا Acrocha، الَّذي اختار المنفى أيضاً، في صحيفة Le Monde:

---

(١) جان بويون (١٩١٦-٢٠٠٢): إتنولوجيٌ فرنسيّ، قريب من سارتر، وشارك في أمانة تحرير مجلّة الأزمنة الحديثة.

إنَّ الحصولَ على مثلِ هذه الاعترافاتِ تطلَّبُ خضوعَ باديلّا وزوجته للتَّعذيب. وعلى خلفيَّةِ هذه القصَّة؛كان أليخاندرو أوتيرو Lyssendro Otero الَّذي رافقَنا في عام ١٩٦٠ خلالَ زيارتِنا إلى كوبا؛ يمارس قمعَهُ بعد أن أصبحَتْ له اليدُ الطُّولى على الثَّقافة كلِّها، وكان رأي غواتيسولو أنَّ كوبا تخضع لعصابةٍ حقيقيَّةٍ من رجال الشّرطة، وعلمنا أنَّ كاسترو صارَ يعدُّ سارتر عدوّاً له بعد أن وقعَ تحتَ تأثيرِ فرانكي المشؤوم، وفي خطابٍ ألقاه كاسترو في تلكَ الفترة؛ هاجم غالبيَّة المثقَّفين الفرنسيِّين، وهو ما لم يتأثَّرْ له سارتر؛ ذلك لأنَّ أوهامَه حولَ كوبا زالَت منذُ فترةٍ طويلة.

مع بدايةِ السَّنة الجديدة؛ كان سارتر يلتقي، إضافةً إلى المقرَّبين منه ورفاقه اليساريِّين، ببعضَ الأصدقاءِ وأنا، وكان تيتو غيراسي Tito Gerassi[(١)] يحدِّثنا عن الخفايا underground الأمريكيَّة، وتصفُ لنا روسانا روساندا Rossana Rossanda الصُّعوباتِ الَّتي تعترضُ صحيفتَها Manifesto وحظوظَها بعد أن تحوَّلت من أسبوعيَّة إلى يوميَّة. شرح لنا روبير غاليمار ما كان يدورُ في كواليسِ النَّشر، وتناولنا الإفطار مع الصَّحفيِّ المصريِّ علي، الَّذي رافقَنا طيلةَ فترةِ إقامتِنا في مصرَ عام ١٩٦٧. مع بدايةِ شهرِ أيَّار؛ التقينا مجدَّداً بصديقتِنا اليابانيَّة تاميكو Tamiko، وحدَّثتنا عن رحلتِها الطَّويلةِ عبرَ آسيا.

في الثَّاني عشر من أيَّار؛ شاركَ سارتر في تظاهرةٍ جرَتْ أمامَ بلديَّة إيفري Ivry؛ حيثُ قامَ المهاجرُ الضَّعيف بحار بيهالا بسرقةِ قطرميزٍ من اللَّبن من شاحنة، فأطلقَ رجالُ الشّرطةِ النَّارَ عليه وأصابوه بجروح بليغة، وبعدَ الاستقصاء؛ قامت **النَّجدة الحمراء** بتنظيمِ عملٍ ضِدَّ الشّرطة.

كان سارتر يقيمُ طويلاً في بيتي خلالَ تلك الفترة؛ لأنَّ المصعدَ عندَه كان مُعطَّلاً، وكان صعوده إلى الطَّابق السَّادس سيراً على الأقدام يُتعِبه كثيراً.

---

(١) تيتو غيراسي (١٩٣١-٢٠١٢): أستاذ وصحفيّ له العديد من الكتب حول أمريكا اللّاتينيّة.

كان يوم الثُّلاثاء الثَّامن عشر من أيَّار، مثلُه مثلُ كلِّ أيَّام الثُّلاثاء الأُخرى؛ وصلَ سارتر إلى بيتي، بعد أن أمضى سهرةَ الإثنين وليلَتها عندَ آرليت. سألتُه كالمعتاد: «كيف حالُك؟»، فردَّ: «والله ! ليس على ما يرام». كان فعلاً يترنَّحُ، ويتمتمُ،مع اعوجاج قليل في فمه.لم أُلاحظ ذلك المساءَ أنَّه كان متعباً؛ لأنَّنا كُنَّا نستمعُ إلى الموسيقا، ولم نتحدَّث كثيراً، لكن في المساء؛ وصلَ إلى بيت آرليت بحالةٍ سيِّئةٍ؛ واستيقظَ صباحاً بحالته الَّتي رأيتُه فيها. لا شكَّ أنَّه أُصيبَ بنوبةٍ خلالَ اللَّيل، وكنتُ أخشى منذُ فترةٍ طويلةٍ أن يلمَّ به مثل هذا الحادث. وعاهدتُ نفسي على الهدوء؛ تحدثتُ عن مثالِ الأصدقاءِ الَّذين مرُّوا بمثلِ هذهِ التَّجربةِ وَوجدوا أنفسَهم مُتعافين. كان على سارتر أن يذهبَ لرؤيةِ طبيبِه في اليومِ التَّالي؛ لأنَّ هذا من شأنِه أن يبعثَ الطمأنينةَ في نفسي قليلاً. بذلت جهداً عظيماً لكي أتغلَّبَ على الرُّعبِ الَّذي انتابني. طلبَ سارتر أن يشربَ المقدارَ المخصَّص له عادةً من الويسكي، لاسيما وأنَّه لم ينطقْ بشيء خلالَ اللَّيل، وصعُبَ عليه جرُّ نفسِه إلى السَّرير. أما أنا فقد قضيتُ ليلتي أقاومُ قلقي.

في صبيحةِ اليومِ التَّالي؛ رافقتْهُ ليليان سييفل إلى الطَّبيبِ زيدمان، واتَّصل بي ليطمئنَني بأنَّ كلَّ شيء على ما يُرام: فقد بلغ ضغطه ١٨، وهو رقمٌ عاديٌّ بالنِّسبة له، وأنَّنا سنبدأ بعلاجٍ جدِّي، وبعد قليل؛ اتصلَت ليليان وكانت أقلَّ تفاؤلاً، فبحسب زيدمان؛ كانت الأزمةُ أخطرَ من تلك الَّتي أصابته في شهر تشرين الأوَّل. أمَّا المُقلقُ في الأمر؛ فهو أنَّ الاضطراباتِ عاودتهُ سريعاً هذه المرَّة. لا شكَّ أنَّ أحدَ أسبابِها عدمُ تناولِه أدويتَه منذُ شهر آذار، إضافةً إلى أنَّ صعودَه طوابقَ ستَّة سيراً على قدميه؛ كان نذيرَ شؤمٍ عليه، لكنَّ الأساسَ في الأمرِ هو صعوبةُ الدَّورةِ الدمويَّةِ في عشرِ مناطقَ في الجهةِ اليُسرى من الدِّماغ.

كنت أزورُ سارتر بعدَ الظُّهر فلا أجدُه بحالٍ أفضل أو أسوأ؛ فقد منعَهُ الطَّبيب زيدمان من المشيِ منعاً قاطعاً، وفي المساء، أقلَّتنا سيلفي إلى بيتِها

بسيَّارتها وبقيتْ معنا لفترةٍ قصيرة، لم يتناولْ سارتر خلالها سوى القليلِ من عصيرِ الفواكه. كنتُ فزعةً لمظهرِه؛ وظننتُ أنَّ الأزمةَ كانت صدمةً كبيرةً له رُبَّما من دونِ أن يعيَ ذلك ؛ إذ كان يبدو مُحبطاً، وما فتئَتْ سيجارتُه تقع من بينِ أصابعه. لا أعرفُ كم تكرَّر هذا الأمرُ خلالَ تلكَ الأمسيةِ الكئيبة، وبما أنَّ النِّقاشَ لم يكن وارداً؛ فقد وضعتُ أسطواناتٍ، من بينها مقطوعةRequiem لِفيردي الَّذي كان سارتر يحبُّه كثيراً، وغالباً ما نستمعُ إليه، تمتمَ قائلاً: «هذا ظرفي»، فأثار قولُه هذا الهلعَ فينا؛ سيلفي وأنا، وبعدَ قليلٍ؛ غادرتْنَا سيلفي، ثمَّ خلدَ سارتر إلى النَّوم.

عندَ استيقاظِه؛ بدا أنَّه يُعاني صعوبةً في تحريكِ ذراعه اليُمنى، إذ كانت ثقيلةً وخدرة، وحينَ قدمَتْ ليليان لاصطحابِه لتناولِ طعام الإفطار؛ همسَت في أُذني: «أرى أنَّه في حالٍ أسوأ ممَّا كان عليه بالأمس»، عندها؛ اتَّصلتُ بالطَّبيب لوبو في المشفى، فأجابَ إنَّه غيرُ قادرٍ على المجيءِ شخصيّاً، وسيرسلُ اختصاصيّاً آخر، ذهبتُ إلى سارتر في بيته، وعندَ السَّاعةِ الحادية عشرةَ والنِّصف؛ وصلَ الدُّكتور ماهودو Mahoudeau، وأمضى ساعة في فحصه ثمَّ طمأنني عن سلامة حساسيته ورأسه، أمَّا سببُ التمتمةِ فيعودُ إلى اعوجاجِ الفمِ.كانت يده اليُمنى ضعيفةً؛ بحيث يصعب عليه الإمساك بِسيجارته، وكان ضغطُه ١٤، وهو هبوطٌ سيِّئ سببُه الأدوية الَّتي يتناولُها. كتب ماهودو وصفةً جديدة، وأوصى باتِّخاذِ احتياطاتٍ خلالَ ثمانٍ وأربعين ساعة، وأوصى أن يأخذَ سارتر قِسطاً كبيراً من الرَّاحة، وألَّا يبقى وحيداً أبداً، وبذلك سيشفى تماماً خلالَ عشرةِ أيَّام أو عشرين يوماً.

أبدى سارتر قبولَه لكلِّ الفحوص، لكنَّه رفضَ البقاءَ في الغرفة. بعد أن انتهت سيلفي من مدرستِها يومَ عيدِ الصُّعود؛ رافقتْنَا إلى مقهى الكوبول Coupole، حيثُ تناولنا ثلاثتُنَا طعامَ الغداء. كان من الواضحِ أنَّ حالةَ سارتر تتحسَّنُ، لكنَّ فمَه بقيَ مُعوجّاً. في اليومِ التَّالي؛ كُنَّا نتناولُ طعامَ الغداءِ في

المكان نفسِهِ مع آرليت؛ عندما رآنا الممثِّلُ المعروفُ فرانسوا بيرييه François Perier، فاتَّجه إلى طاولتِنا وقال لي: «إنَّه لَأمرٌ سيِّئ ما أصابَه، هذا الفمُ المائلُ أمرٌ خطير». لحسنِ الحظِّ؛ أنِّي كنتُ أعرفُ بأنَّ الأمرَلم يكن خطيراً هذه المرَّة.

مرَّتِ الأيَّامُ التَّاليةُ بشكلٍ جيِّدٍ، وأخبرَنا زيدمان يومَ الإثنين صباحاً، بأنَّه سيوقفُ العلاجَ قريباً؛ لكنَّه أضافَ بأنَّ العودةَ إلى الحياةِ الطَّبيعيَّةِ ستستغرقُ وقتاً طويلاً إلى حدٍّ ما؛ بل قال لِآرليت بأنَّ سارتر قد لا يُشفى تماماً.

مع ذلك؛ حينما كُنَّا نمضي أمسيتَنا مع بوست Bost؛ استعادَ مشيتَه ونُطقَهُ تماماً، كما عاد إليه حُسنُ المزاجِ. قلتُ لِبوست على مسمعِهِ ضاحكةً، بأنَّني سأكونُ مضطرَّةً حتماً للاختلافِ معه لكي يُخفِّفَ من تعاطيه الكحولَ والشَّايَ والقهوةَ والمنشِّطات، ثمَّ صعدَ سارتر لينامَ، وراح يُرنِّم وهو واقفٌ في الشُّرفةِ المطلَّةِ على غرفتي: «لا أريد أن أُسبِّب لكاستوري(١) أيَّ ألمٍ أبداً، حتَّى لو كان خفيفاً...».

تأثَّرتُ كثيراً بذلك، كما تأثَّرتُ، ونحن نتناولُ طعامَ الغداءِ في الكوبول، حينما أراني فتاةً سمراءَ ذاتَ عينين زرقاوين، ووجهٍ مستديرٍ قليلاً، ثمَّ سألني: «هل تعرفين بمَ يذكِّرني هذا الوجه؟ قلتُ: لا، قال: بكِ حينما كنتِ في العمرِ نفسِه».

شيءٌ واحدٌ بقيَ على غيرِ ما يُرام؛ هو أنَّ يدَه اليُمنى بقيَتْ ضعيفةً، وكان يصعُب عليه العزفُ على البيانو، وهو ما كان يفعلُه بسرورٍ عندَ آرليت، كما كان يصعُب عليه كتابةُ الكلماتِ فوقَ الورق، لكن الآن؛ لم يعد الأمرُ مهمّاً، فقد كان يُصحِّحُ مُسوَّداتِ مواقف Situations VIII ومواقف X، بانتظارِ أن يتمكَّنَ من العودةِ إلى العملِ، وهو ما كان يشغلُ وقتَه إلى حدٍّ كبير.

---

(١) كاستور، هو اللَّقب الَّذي كان ينادي به سيمون دو بوفوار، ويعني السَّمور، أو القُندُس.

في شهر حزيران؛ أنشأ مع موريس كلافل Maurice Clavel؛ وكالةً Libération للصَّحافة، وَوقَّعا معاً نصّاً يُعرِّفان فيه بأهدافِ هذه الوكالة؛ الَّتي كانت تنوي إصدارَ نشرةٍ إخباريَّةٍ يوميَّة: «نريدُ جميعاً إنشاءَ أداةٍ جديدةٍ للدِّفاعِ عن الحقيقة... لا يكفي أن نعرفَ الحقيقة، بل ينبغي إيصالها للآخرين، بعد أن تُدقِّق وكالة (ليبيراسيون) في كلِّ ما يُقال؛ ستبثُّ الأخبار الَّتي تأتيها بشكلٍ منتظم... تسعى وكالةُ (ليبراسيون) للصَّحافة لأن تكون وسيلةً جديدة تعطي الكلامَ للصَّحفيِّين الَّذين يريدون قولَ كلِّ شيءٍ للنَّاس الراغبين في معرفةَ كلِّ شيء. إنَّها ستعطي الكلام للشَّعب».

مَعَ نهايةِ شهرِ حزيران؛ بدأ سارتر يشعرُ بألمٍ فظيعٍ في لسانه، ولم يعد قادراً على الكلامِ أو الأكلِ من دونِ ألم، فقلتُ له: «إنَّها سنةٌ سيِّئة، حلَّتْ فيها عليكَ كلُّ المصاعب، فأجابني: لا عليكِ، حينما يتقدَّم بنا العمر؛ لا يعود لهذا أيُّ أهميَّة.قلت: كيف ذلك؟ قال:لأنَّنا نعرفُ أنَّ هذا لن يدومَ طويلاً.قلت: تعني أنَّنا سنموت؟قال: نعم، من الطَّبيعيِّ أن يتآكل الإنسانُ شيئاً فشيئاً، الأمر مختلفٌ حينما نكون شبَّاناً».قلبت اللَّهجةُ الَّتي قال بها هذه الكلماتِ كياني رأساً على عقب؛ إذ بدا لي أنَّه صارَ في الجانبِ الآخرِ من الحياة، وقد لاحظَ الجميعُ هذا الانفصالَ. كان يبدو لامبالياً إزاءَ كثيرٍ من الأشياء، لأنَّه حتماً، لم يعُدْ مُهتمّاً بمصيره، فلم أكنْ أراهُ فرحاً فعلاً، إلَّا خلالَ السَّهراتِ الَّتي نقضيها مع سيلفي، التي احتفلنا عندَها، في شهر حزيران،بعيدِ ميلادِ سارتر السَّادسِ والسِّتِّين، وكان يومَها متألِّقاً.

عادَ إلى طبيبِ الأسنانِ، وفجأةً توقَّفَ ألمُه. تنبَّهنا إلى التَّقدُّم الَّذي يحرزه منذُ شهرِ أيَّار، واعترفَ زيدمان بأنَّه تعافى تماماً، وكرَّرَ سارتر قولَه لي إنَّه سعيدٌ جدّاً بسنتهِ هذه.

لكنِّي كنتُ دائماً قلقةً من تركه لثلاثة أسابيع مع آرليت، وأسبوعين مع واندا Wanda، لأني كنتُ في سفر برفقةِ سيلفي. كنتُ أحبُّ هذه الرِّحلات،

لكنَّ الابتعادَ عن سارتر كان دائماً يُشكِّل لي صدمةً صغيرة. هذه المرَّة، تناولتُ طعامَ الإفطارِ معه في الكوبول، حيث كنا ننتظر سيلفي لاصطحابي السَّاعة الرَّابعة. نهضتُ قبلَ ثلاثِ دقائق، فندَتْ عنه ابتسامةٌ غيرُ مفهومة، وقال: «إذاً، هي **مراسمُ الوداع**!». لمستُ كتفَه من دونِ ردٍّ، رافقتني ابتسامته، وتلك الجملةِ فترةً طويلة، وكان عندي لكلمةِ «وداع» معنىً رفيعاً عرفته بعدَ عدَّة سنوات؛ لكنِّي كنتُ وحدي مَنْ يتلفَّظُ بها.

سافرتُ إلى إيطاليا برفقة سيلفي، وفي مساءِ اليومِ التَّالي؛ نمنا في Bologne، وفي الصَّباح سلكنَا الطَّريقَ السَّريعَ الَّذي ينبغي أن يقودَنا إلى الشَّاطئ الشَّرقيِّ،كان المشهدُ غارقاً في غيمةٍ فاترة؛ لم أعِشْ طيلةَ حياتي مثلَ هذا الشُّعور بالعَبثِ والتخلِّي: ترى ما الَّذي أفعلُه هنا ؟ ولِمَ أنا هنا ؟ لكن؛ سرعانَ ما استعادني حُبِّي لإيطاليا، لم يكن البكاءُ يفارقني في اللَّيل قبلَ أن أخلدَ إلى النَّوم.

كان سارتر، معَ ذلك، يتنزَّه في سويسرا، وفي بعضِ الأحيانِ تصلني برقيَّةٌ تُطمئنني بأنَّ حالَه على ما يرام، لكن ما إن وصلتُ روما، حيث ينبغي أن يلتحقَ بي؛ وجدتُ رسالةً من آرليت، مفادُها أنَّ صحَّةَ سارتر ساءَت في الخامس عشر من تمُوز، كما في المرَّة الأوَّلى، وهو ما لاحظتُه عندَ الاستيقاظ؛ كان فمُه أكثرَ اعوجاجاً ممَّا كانَ عليه في شهر أيَّار، ونُطقُهُ أكثرَ تعثُّراً، وفَقَدتْ ذراعُه الإحساس بالبرودة أو السُّخونة، صحبتْهُ إلى طبيبٍ من بيرن، ومنعَها سارتر بشدَّة من إخباري بالأمر، مرَّت هذه الأزمةُ بعدَ ثلاثة أيَّام؛ لكنَّها اتَّصلت هاتفيّاً بِزيدمان، الَّذي قال لها: إنَّ سببَ مثلِ هذه التَّشنُّجات يعودُ إلى أنَّ شرايينَه متعبةٌ جدّاً.

ذهبتُ للقائِه في محطَّة تيرميني Termini، نادى عليَّ قبلَ أن أراهُ، وهو يرتدي بذلةً فاتحةً، وقُبَّعةً فوقَ رأسِه، كان خرَّاجٌ في سِنِّه يأكلُ وجهَه، لكنَّه كان يبدو بصحَّةٍ جيِّدة.

استقرَّينا في شقَّتِنا الصَّغيرةِ في الطَّابقِ السَّادسِ من الفندق؛ كانت تضمُّ شرفةً عريضةً تطلُّ على Quirinal، وسطحِ البانتيون، وسان بيير، ومقهى الكابيتول الَّذي كُنَّا نرى أنوارَه تنطفئ بعدَ منتصفِ اللَّيل، وفي تلك السَّنة؛ تحوَّل المقهى جزئيّاً إلى صالون تفصلُه مشربيَّةٌ مُزجَّجَةٌ عن المساحةِ غيرِ المغطاة؛ وكُنَّا نجلسُ فيه في أيِّ وقت.

تلاشى خرَّاج سارتر، ولم يعُدْ يُعاني أيَّ صعوبة، وغابَ شرودُه، بل أصبحَ حيويّاً وضاحكاً، ويسهر حتَّى السَّاعةِ الواحدة، ويستيقظُ عندَ السَّابعةِ والنِّصفِ صباحاً، وحينَ كنتُ أخرجُ من غرفتي حوالي السَّاعة التَّاسعة والنِّصف؛ أجدهُ جالساً في الشُّرفة، يتأمَّلُ جمالَ روما ويقرأ، كان ينامُ ساعتين بعدَ الظُّهر، ولم يَعُدِ النُّعاسُ ينتابه. وفي نابُولي؛ كان يمشي طويلاً بصحبةِ واندا Wanda، وممَّا قام به؛ عودتُه إلى زيارة بومبيي Pompei، في روما؛لم نعدْ راغبين أبداً في التَّنزُّه؛ فقد كُنَّا في كلِّ مكان، من دونِ أن نتحرَّك.

حوالي السَّاعة الثَّانية؛ كُنَّا نتناول «ساندويشاً» بالقربِ من الفندق، ومساءً؛ نذهبُ لتناولِ العشاءِ في ساحة نافونا، أو في مطعمٍ مجاورٍ، وأحياناً؛ تأخذنا سيلفي في سيَّارتها إلى Trastevere أو via Appia Antica، كان سارتر يعتمرُ قُبَّعتَه بهدوءٍ حينما نعبرُ منطقةً مُشمِسةً، ويحرص على تناولِ أدويتِه، ولا يشرب سوى قدحٍ واحدٍ من النَّبيذِ الأبيض مع الغداء، وقدح من البيرة مع العشاء، ثمَّ قدحَين من الويسكي في الشُّرفة، وكان قد امتنعَ عن تناولِ القهوةِ أو الشَّاي، إلَّا أثناءَ الإفطارِ (بينما كان في سنوات أخرى يشربها مغلية جداً، وقوية). كان في تلك الفترة بصدد تصحيح الجزءَ الثَّالثَ من **أحمق العائلة**، ويتسلَّى بقراءةِ رواياتٍ بوليسيَّة إيطاليَّة Gialli، ومن وقتٍ لآخر؛ نلتقي روسانا روساندا[1]، وبعدَ ظهرِ أحدِ الأيَّامِ قمنا بزيارةِ صديقنا اليوغوسلافيِّ ديديجر Dedijer.

---

(١) روزانا روساندا (١٩٢٤-): صحافيّة وسياسيّة إيطاليّة، تزعّمت الحزب الشّيوعيّ الإيطاليّ في الخمسينات والسّتينات من القرن الماضي.

مَنْ رأى سارتر، كما بدا في تلك العطلةِ الرُّومانيَّة؛ توقَّعَ له أن يعيشَ عشرينَ سنةً أُخرى، وكان يعتقدُ ذلك، وبعد أن شكوتُ، ذاتَ يوم، من أنَّنا نقعُ دائماً على الكتبِ البوليسيَّة نفسِها؛ قال لي: «هذا طبيعيّ؛ إذ لا يوجد منها سوى كميَّةٍ محدودةٍ، عليك ألَّا تأملي في قراءةِ الجديدِ منها قبلَ عشرين عاماً».

بعدَ عودتِنا إلى باريس؛ استمرَّت صحَّةُ سارتر في التَّحسُّن، وصلَ ضغطُه إلى ١٧، فكان ردُّ فعلِه جيِّداً، ويخلدُ إلى النَّومِ حوالي السَّاعة الثَّانية عشرة، ويستيقظُ عندَ السَّاعةِ الثَّامنةِ والنِّصف، ولم يعُدْ ينامُ خلالَ النَّهارِ أبداً، كما بقيَ شيءٌ قليلٌ من الشَّلل في فمِه جعلَهُ يجد صعوبةً في المضغ، وأحياناً يُزأزئ في اللَّفظِ Zazoter، ولم يكنْ يتمكَّن تماماً من كتابته، لكنَّه لم يكنْ يهتمُّ لهذا الأمر، وعادَ مرَّةً أُخرى للاهتمامِ بالأشياء والنَّاس، وقد جعلتْهُ الحفاوةُ الحارَّةُ الَّتي استُقبِلَ بها الجزءان الأوَّلَيَان من كتابه **أحمق العائلة** بالغَ الحساسيَّة، قدَّم الجزءَ الثَّالثَ من الكتابِ إلى دارِ غاليمار، وبدأ بكتابةِ الجزء الرَّابع؛ حيث كان ينوي دراسةَ روايةِ **مدام بوفاري**، وكان يقرأُ وينتقِدُ بكثيرٍ من الاهتمام مخطوطةَ كتابي القادم: **بعد الإمعان في التَّفكير** Tout compte fait، وقدَّم لي نصائحَ جيِّدة، لقد كتبتُ في منتصفِ تشرين الثَّاني: «سارتر يتحسَّن بشكلٍ جيِّد بحيث أرى نفسي مستقرَّةً في الطُّمأنينة».

معَ نهايةِ شهرِ تشرين الثَّاني؛ شاركَ مع فوكو Foucault وجينيه Genet في مظاهرةٍ جرت في حيِّ La Goutte d'Or للاحتجاجِ على مقتلِ الشَّابِّ الجزائريِّ جيلالي؛ ذي الخمسَ عشرةَ سنة، حيث صرعَهُ حارسُ المبنى الَّذي يسكنه بتاريخ ٢٧ تشرين الأوَّل ببندقيَّته، لأنَّه كان يُثير الكثيرَ من الضَّوضاءكما يقول، ومن دونِ اهتمامٍ بتناقضِ ما صرَّح به؛ قال بأنَّه حسِبه لصّاً.

سبقَ سارتر إلى شارعِ بواسونيير Possonnière، كلٌّ من فوكو وكلود مورياك الَّذي كان يحملُ يافطةً كتبَ عليها نداءً إلى أهلِ الحيِّ، ولم يتدخل

رجالُ الشّرطةِ بعد أن تعرفوا عليه؛ فتكلم عبرَ مكبِّرٍ للصَّوت، معلناً إنشاءَ مناوبةٍ للجنةِ جيلالي، الَّتي ستُعقدُ اعتباراً من اليومِ الثَّالي في كنيسة la Goutte d'Or، بانتظار إيجادِ مكانٍ آخر، واستمرَّت المسيرةُ حتَّى شارعِ لاشابل Chapelle؛ وتحدث فوكو عدَّة مرَّاتٍ، تمنَّى سارتر المشاركةَ في المناوبات، لكنَّ جينيه الَّذي تناولَ الغداءَ معه بعدَ عدَّة أيَّام؛ لم ينصحْهُ بذلك بعد أن رآه مُتعباً جدّاً.

لا أدري إن كانَ سارتر يشعرُ بهذا التَّعب، لكنَّه قالَ فجأةً مساءَ الأوَّل من كانون الأوَّل: «لقد استنفذتُ رأسَمالي الصِّحي، لن أتجاوز السَّبعين عاماً»، رفضتُ هذا الكلام، لكنَّه أضاف: «لقد قلتِ لي، أنتِ بنفسكِ، بأنَّه يصعبُ الخروجُ من هجمةٍ ثالثة»، لم أتذكَّر أنَّني قلتُ ذلك، ربَّما كان ذلكَ مثابةِ تحذيرٍ من المبالغاتِ الممكنة، أجبته: «تلك الَّتي أصابتك كانت خفيفة جدّاً»، فاستأنفَ قائلاً: «أظنُّ أنَّني لن أنهي فلوبير، هل يزعجكِ هذا؟ نعم، يزعجني»، ثمَّ حدَّثني عن جنازته، أراد أن يُقَام له حفلٌ بسيط، وأن تُحرَق جُثَّته، لم يكن يريدُ أن يكونَ في مقبرة Père-Lachaise بين والدتِه وزوجِها، كما أرادَ أن يرافقَ جنازتَه عددٌ كبيرٌ من الماويِّين، قال لي إنَّه لم يكن يُفكِّرُ في هذا الأمرِ غالباً، مع أنَّه كان يُفكِّر فيه.

لحسنِ الحظِّ أنَّ مزاجَه حولَ هذه النُّقطةِ كان مُتبدِّلاً، ففي الثَّاني عشر من كانون الثَّاني عام١٩٧٢ قال لي بهيئةٍ فرحة: «ربَّما سنعيشُ أيضاً لفترةٍ طويلة»، وفي نهاية شُباط؛ قال: «آه! أنوي أن أعيشَ عشرَ سنواتٍ أيضاً»، كان يُلمِّح، من وقت لآخر إلى «شللِه النِّصفيّ»، لكنَّه لم يشعر بأنَّه في حالة خطرةٍ أبداً.

١٩٧٢

بما أنَّ وُعودَ بليفن الخاصَّة بتغييرِ نظامِ السُّجونِ لم تتحقَّق، فقد قرَّرَ سارتر عقدَ مؤتمرٍ صحفيٍّ في وزارةِ العدلِ في ١٨ كانون الثَّاني ١٩٧٢، ذهبَ إلى فندقِ كونتينانتال بصحبةِ ميشيل فيان M.Vian[١] والتقى أعضاءَ النَّجدة الحمراء وبعضَ أصدقائهم: جيل دولوز[٢]، فوكو، وكلود مورياك، وكانت حافلتان للبَثِّ الإذاعيِّ موجودتَين لمحطَّة R.T.L. وَEurope 1، توجَّه الوفد إلى ساحة فاندوم، ودخل وزارةَ العدل.

تكلَّم فوكو، وقرأ التَّقريرَ الَّذي بعثَ بهِ سجناءُ مولان Melun، وكانوا يصيحون: «بليفين قَدِّم استقالَتك. بليفن إلى السِّجن. بليفن قاتل»، قامَ رجالُ حفظِ النِّظامِ بتفريقِ التَّجمُّع، وأمسكوا بِجوبير Jaubert، وهو صحفيٌّ ضُرب بوحشيَّةٍ نُقل إثرَها إلى المشفى[٣] لأنَّه حاولَ التَّدخُّل ضِدَّ ضربِ أحدِ المهاجرين. تدخَّل فوكو وسارتر لإخلاء سبيله، ومن هناك انطلقَ المتظاهرون نحوَ وكالة ليبراسيون للصَّحافة،كان هناك حوالي ثلاثين مناضلاً وصحفيّاً لم يكونوا موجودين في ساحة فاندوم، منهم؛ غيمار الَّذي خرج لِتوِّهِ من السِّجن، جلس سارتر إلى طاولةٍ مع جان بيير فاي J.-P. Faye[٤]، وروى مجرياتِ

---

(١) ميشيل فيان (١٩٢٠-٢٠١٧): مترجمة وشاعرة فرنسيّة، كانت زوجة بوريس فيان، ثم صارت قريبة من سارتر.

(٢) الفيلسوف الفرنسيّ المعروف، وفوكو (١٩٢٦- ١٩٨٤) كذلك، وكلود مورياك الكاتب والصّحفيّ المعروف آنذاك (١٩١٤- ١٩٩٦).

(٣) تجمّع صحفيو باريس كلّهم للاحتجاج، ونظّموا تظاهرة كبيرة أمام وزارة الدّاخليّة.

(٤) جان بيير فاي (١٩٢٥-)كاتب، و شاعر وفيلسوف.

الأحداث بسُخرية: «رجالُ حفظ النِّظام لم يكونوا فظِّين تماماً، ولا لطيفين تماماً، إنَّهم يشبهون أنفسَهم»، حين أنهى كلامه؛ انفضَّ الاجتماعُ وعاد إلى بيته.

ثمَّةَ مشروعٌ كان يتهيَّأ لهُ بكثيرٍ من المرح، أعني به الفيلم الَّذي خصَّه به كلٌّ من كونتا Contaوأستروك Astruc، كان مُحاطاً بمساعديه من مجلة **الأزمنة الحديثة**[١]، يجيب على أسئلتهم، ويتكلَّم ويقصُّ حياتَه، كان التَّصويرُ يتمُّ في بيته، وأحياناً في بيتي، ربَّما كانت رؤيته دائماً مع المتحدِّثين أنفسهم أمراً رتيباً، لكنَّ تآلفَه معهم جعله يُعبِّر بشكلٍ طبيعيٍّ وعفويٍّ، لقد كان حيويّاً، وضحوكاً، وفي أحسنِ حالاته.

لم يكنْ يُريد استكمالَ الحديثِ عن كتابهِ **الكلمات** خشيةَ إيلامِ السَّيدة نانسي Mme Nancy؛ لأنَّ أعمالاً أُخرى استغرقَت وقتَه، هنا؛ روى قصَّة زواجِ أُمِّه، وقطيعته الدَّاخليَّة معها، وعلاقاته بزوج أُمِّه، وحياته في مدينة لاروشيل La Rochelle؛ حيث اعتادَ الوحدةَ والعنفَ بسببِ تصنيفِ زملائِه لهُ بوصفه باريسيّاً. في الحاديةَ عشرةَ من عمرِه؛ لاحظَ فجأةً بأنَّه لم يكنْ يؤمنُ بالله، وفي الخامسةَ عشرةَ حلَّ الخلودُ الأرضيُّ، بالنِّسبة له، محلَّ فكرةِ الحياةِ الأبديَّة، لقد كان مُصاباً بما يُسمِّيه «عُصابُ الكتابة»، وبتأثيرِ قراءاته؛ بدأ حلمُه بالمجد الَّذي كان يقرنهُ آنذاك باستيهام الموت.

بعدَ ذلك؛ تحدَّثَ عن صداقته بِنيزان Nizan، وما كان بينهما من تنافسٍ، ومن ثمَّ اكتشافهِ لكلٍّ من بروست Proust وفاليري Valery في تلك المرحلة؛ أي في سنِّ الثَّامنةَ عشرة، بدأ بكتابة أفكارِه أبجديّاً في دفترٍ صغيرٍ تنشره شركة تحاميل ميدي Mydi، كانَ قد عثَر عليه في الميترو،وكانت الفكرةُ الأساسيَّةُ التي ركَّز اهتمامه عليها هي الحرِّيَّة، بعد ذلك؛ تحدَّث عن سنواتِه في دار المعلِّمين Ecole Normale الَّتي عاشها بسعادة؛ حيث كانَ مع بعضِ

---

(١) باستثناء لانزمان الّذي كان مسافرًا خارج البلاد.

رفاقِه يمارسُ بعضَ أنواعِ العُنفِ الخفيفِ ضِدَّ الخوارنة Talas، وقد جذبتْهُ الفلسفةُ من خلالِ قراءتِه لِبيرغسون، وبقيَتْ هذه الفلسفة أساسيَّةً منذُ ذلك الوقتِ بالنِّسبة له: «الفلسفةُ مقياسُ ما أفعله».

ثمَّ تحدَّث عن إقامتِه في برلين، وتأثير هوسرل عليه، ومهنته كأستاذ، ومقتهِ للدُّخول في سنِّ البلوغ، والعُصابِ الَّذي سبَّبته هذه الكراهية، وتجربته في الوقتِ نفسِه للمهلوِسات المرتبطةِ ببحثِه عن الخيالِ، وتحدَّث عمَّا كانت تمثِّلهُ له روايةُ **الغثيان**، وقصَّة **الجدار**.

بقيَّةُ المقابلاتِ دارَتْ حولَ انتقالِه إلى معسكرِ الاعتقالِ الألمانيِّ Stalga XIID، وكتابةِ مسرحيَّة Barona (ابن الرَّعد)، وعودتِه إلى باريس، وبعدها عن مسرحيَّةِ **الذُّباب**، ثمَّ؛عن موجةِ الوجوديَّة، والهجومِ الَّذي عاناه في سنواتِ الأربعينات، ومعنى الالتزامِ الأدبيِّ، ومواقفِه السِّياسيَّة، وانتسابِه إلى التَّجمُّعِ الدِّيمقراطيِّ الثَّوريِّ R.D.R.، وانفصالِه عنه، وقراره بالتَّقرُّبِ من الشُّيوعيِّين بعدَ موجةِ مناهضةِ الشُّيوعيَّة الَّتي كانت تجتاحُ فرنسا، وتحدث، بشكل خاص عن قضيَّة ديكلو Duclos، وما سُمِّيَ بمؤامرةِ الحمَام الزَّاجل، ولمَّح إلى ديغول: «تلك الشَّخصيَّةِ المشؤومةِ في التَّاريخ»، ودانَ حقارةَ المجتمعِ الحاليِّ.

عرضَ سارتر الاهتماماتِ الأخلاقيَّة الَّتي طالما كانت شغلَه الشَّاغل، وعبَّرَ عن مُتعتِه في العثور عليها، لكنْ بطريقةٍ أُخرى؛ عندَ أصدقائِه الماويِّين الَّذين يربطونَ الأخلاقَ بالسِّياسة، وأطالَ الحديثَ عن توجُّهِه الأخلاقيِّ بقوله: «المشكلةُ كانت، بالنِّسبة لي في الحقيقة، معرفةُ ما إذا كُنَّا نختارُ سياسةً أم أخلاقاً، أو ما إذا كانتِ السِّياسة والأخلاقُ شيئاً واحداً. والآنَ عدتُ إلى موقفي الأوَّل، لكنَّه موقفٌ أكثرُ ثراءً، إذا شئتم، من خلالِ وضعِ نفسي في مستوى عملِ الجماهير، حيث هناكَ في هذهِ اللَّحظة، في كلِّ مكانٍ تقريباً؛ مسألةٌ أخلاقيَّة. لأن المسألةُ الأخلاقيَّة ليست سوى المسألةِ السِّياسيَّة، وأجد نفسي متَّفقاً هنا مع

الماويِّين، على سبيل المثال... الحقيقة إنّي كتبتُ عن نوعينِ من الأخلاق، المرَّةَ الأُولى بين عامي ١٩٤٥و١٩٤٧، وهي أخلاقٌ مخادِعةٌ تماماً... ثمَّ ملاحظاتٍ كتبتها في عام ١٩٦٥ تقريباً حولَ أخلاقٍ أُخرى، تدورُ حولَ قضيَّتِي الواقعيَّةِ والأخلاق».

أخيراً؛ عاد إلى الموضوعِ الَّذي كان يُعلِّق عليه الكثيرَ من الاهتمام، أي؛ التَّعارضُ بين المثقَّفِ الكلاسِّيكيِّ والمثقَّفِ الجديد الَّذي اختارَ أن يكونَهُ في الوقتِ الرَّاهن.

لم يكنِ الفيلم مُنجزاً بعد، حينما دعاه أحدُ المحامين من أصدقائِه البلجيكيِّين، لالمان Lalleman[١] باسمِ نقابةِ المحامينَ الَّتي أُنشِئت حديثاً في بروكسل ليلقيَ محاضرةً حولَ حربِ الجزائر. انطلقنا حوالي السَّاعةِ الواحدةِ والنِّصف من بعدِ ظُهرِ يوم ٢٤ شباط؛ سالكينَ الطَّريق السَّريع في السَّيَّارة الَّتي كانت تقودُها سيلفي.كانت الشَّمسُ جميلةً، فتوقَّفنا في إحدى الاستراحاتِ لتناولِ قطعةٍ من الكرواسان بالجامبون الَّتي كانت قد أعدَّتها. وصلنا عندَ السَّاعةِ الخامسةِ والنِّصفِ، وعثرنا مباشرةً على الفندقِ الَّذي حُجِزت فيه لنا الغُرف. بعد أن استقرَّينا؛ ذهبنا لتناولِ قدحٍ في البار الَّذي وافانا إليه كلٌّ من لالمان وفيرسترايتين Verstraeten[٢] بعينيه الزُّرقاوين الجميلتين، لكنَّه صارَ من النَّحافةِ بحيثُ أصبحَ يشبه الممثِّل الألمانيَّ - الأميركيَّ كونراد فايدت Conrad Veidt. تناولنا طعامَ العشاءِ معهما وأصدقاءَ آخرين في مطعمٍ

(١) كان لالمان قد شارك في النّضال من أجل جبهة التّحرير الوطنيّة، وساعد مع أصدقاء له بعض الجزائريّين في عبور الحدود. ونظّم لسارتر محاضرة في بروكسل حول حرب الجزائر.

(٢) كان أستاذًا متخصّصًا في فلسفة سارتر. وكتب عنه كتابًا، وأشرف معه على سلسلة الفلسفة، التي أنشأها سارتر مع ميرلو-بونتي، وكانت تنشرها دار غاليمار تحت اسم «المكتبة الفلسفيّة».

Cygne الواقعِ في السَّاحة الكبيرة، الَّتي أثارَتْ إعجابَنا من جديد، وتنزَّهنا قليلاً في الشَّوارع الصَّغيرة المجاورة، ثمَّ انطلقنا إلى قصرِ المؤتمرات.

رأينا، بلمحةِ عين، أنَّ الجمهورَ كان بورجوازيّاً تماماً. لاشكَّ أنَّ النِّساءَ المرتدياتِ أفضلَ ما عندهنَّ قد خرجنَ لِتوِّهنَّ من عندِ الحلَّاق، أمّا سارتر الَّذي تخلَّى منذُ عام ١٩٦٨ عن ارتداءِ البذلاتِ الكلاسيكيَّة وربطاتِ العُنق؛ فقد كان يرتدي ذلكَ المساءَ كنزةً ذاتَ قَبَّةٍ عاليةٍ سوداء؛ نظر إليها الحضورُ نظرةَ لوم. الحقيقةُ أنَّه لا شيءَ يجمعه بهؤلاءِ النَّاس، ولمْ نفهم سببَ دعوةِ لالمان له.

قرأ سارتر نصَّه حول «العدالة الطَّبقيَّة والعدالة الشَّعبيَّة» من دونِ حماسةٍ كبيرة، وقال: «ثمَّة في فرنسا نوعان من العدالة: إحداهما بيروقراطيَّة؛ تسعى إلى ربطِ الطَّبقة الكادحةِ بظروفها، والأُخرى متوحِّشة؛ تخدم اللَّحظة العميقةَ الَّتي تؤكِّد الطَّبقةُ الكادحةُ والعوامُّ حريَّتها من خلالها ضِدَّ الكدحنة prolétarisation... الشَّعبُ مصدرُ العدالةِ... وقد اخترتُ العدالةَ الشعبيَّةَ بوصفِها أعمقَ أنواعِ العدالة وأكثرها حقيقيَّةً»، وأضاف: «إذا اختارَ المثقَّفُ الشَّعبَ؛ عليه معرفةُ أنَّ زمنَ توقيعِ البيانات، وعقدِ ندواتِ الاحتجاجِ الهادئة، أو المقالاتِ الَّتي تنشرها الصُّحفُ الإصلاحيَّة قد ولّى»، وهنا عرضَ ما كانت عليه صحيفةُ **قضية الشَّعب** ودورُه فيها.

ولبيانِ انحرافِ القوانينِ البورجوازيَّة؛ تحدَّث عن حالةِ غيمار، وَرولان كاسترو، وقضيَّة «أصدقاء صحيفة **قضية الشَّعب**»، و وصَفَ نظامَ السُّجونِ الَّذي لم يتوقَّفْ عن التَّراجعِ منذُ عشرِ سنوات، ودانَ الضُّغوطَ الكبيرةَ الَّتي يتعرَّضُ لها القُضاة.

هذا كلُّه لم يُثِرِ اهتمامَ الحضور؛ ثمَّ طُرِحَتْ بعضُ الأسئلةِ المناسبةِ من قِبَل بعضِ اليساريِّين، وعدد كبير من الأسئلة الغبيَّة الَّتي أجابَ عليها سارتر بنوعٍ من اللَّامبالاة. كانت اللَّحظةُ الوحيدةُ المرحةُ في هذه الجلسةِ هي رؤيةُ

أستروك Astruc وهو يجرُّ نفسَه على الأرض لتصويرِ سارتر أثناءَ حديثِه؛ حيثُ انزلقَ بنطالُهُ فوقَ ساقيه، وبانَت مؤخَّرتُه. وهو ما دفع الجالسين في الصَّفِّ الأوَّل من المقاعد إلى الخروج عن جديتهم.

لدى خروجنا؛ تمتمَتْ إحدى السَّيدات بقولها: «لم يكنِ الأمرُ يستحقُّ عناءَ أن نلبسَ هكذا»، وقالت أُخرى: «حين يتحدَّث المرءُ أمامَ الجمهور؛ عليه أن يجهد لارتداء ملابسَ مناسبة».

في بيتِ إراسم Maison d'Erasme الجميلِ جدّاً، والمؤثَّثِ بشكلٍ جيِّد، حيث أقامَتْ نقابةُ المحامين النَّاشئة حفلاً؛ أُثيرَ الموضوعُ نفسُه من قِبَل مستمعةٍ أُخرى هاجمت سارتر بشكلٍ مباشر، ويبدو أنَّها قد تحولت من الطَّبقة العُمَّاليَّة إلى الطَّبقة البورجوازيَّة، حيث أوَّلُ ما يهتمُّ به العُمَّال الَّذين ينتقلون على هذا النَّحوِ؛ هو وضعُ ربطةِ عُنُق.

في اليومِ التَّالي؛ عاد سارتر مستقلّاً القطارَ مع آرليت الَّتي وصلَتْ قبل العشاءِ بقليل، أمَّا أنا؛ فقد عُدتُ مع سيلفي بالسَّيَّارة، ولدى وصولِنا باريس؛ علِمنا باغتيال أوفيرني Overney، وهي نهايةٌ مأساويَّة لقصَّةٍ طويلة. بعد حملةِ تسريحاتٍ اعتباطيَّة - وراءها، في الحقيقة، أسباب سياسيَّة- قام اثنان من شركة رينو لصناعة السيارات،صادوق التُّونسيّ، وخوسيه البرتغاليّ بالإضراب عن الطَّعام؛ شاركت فيه الفرنسيَّة كريستيان ريس Christian Riss، وقد وجدَ هؤلاء لأنفسِهم ملجأً في إحدى الكنائسِ الواقعةِ في شارع Dôme، في ضاحيةِ بولونيا Boulogne. في الرابع عشر من شهرِ شباط؛ ذهب سارتر، في فترةٍ بعدَ الظُّهر، إلى مصنعِ رينو في ورشاته الكائنة في جزيرة سيغان Seguin، لمناقشة العُمَّال، فدخلَ إليها سِرّاً في شاحنةٍ صغيرةٍ بصحبةِ المغنيَّة كوليت مانيي Colette Magny، وأعضاءَ من لجنةِ قاسم علي[١]، وبعضِ الصَّحفيِّين، ووُزِّعَتْ

(١) لجنةٌ أُنشئت في ضاحية بولونيا لرفض أيّ فعل عنصريّ، أو قمعيّ ضِدَّ المهاجرين.

مناشيرُ تتضمَّن احتجاجاً على تسريحِ المناضلين الماويِّين؛ لا سيما اثنين منهما كانا مُضربَين عن الطَّعام، وقام الحرَّاسُ بطردِهما بطريقةٍ عنيفة. علَّقَ سارتر على الحادثةِ خلالَ مؤتمرٍ صحفيٍّ قال فيه: «توجَّهنا إلى مصنع رينو للتَّحدُّث إلى العُمَّال، وبما أنَّ رينو شركة مُؤمَّمَة؛ فمن حقنا التجوّل فيها، إلَّا أنَّنا لم نتمكَّن من التَّحدُّث إلى العُمَّال، وهو ما يثبت فاشيَّةَ هذه الشَّركة، حيث أصبحَ الحرَّاسُ عنيفينَ حينَ لم يروا عُمَّالاً يدافعون عَنَّا، وقد ضُرب عدَّة أشخاص وأُلقيَ بإحدى النِّساءِ من فوقِ الأدراج».

لم يمرَّ يومٌ من شهر شُباط؛ إلَّا وَوزَّعَ فيه النُّشطاء الماويُّون المناشيرَ الَّتي كتبتها لجنة رينو في منطقة باب إميل زولا في ضاحيةِ بيانكور Billancourt. في الخامس والعشرين من شهر شُباط؛ تمَّتْ الدَّعوةُ إلى تظاهرةٍ مسائيَّةٍ في شارع شارون Charonne ضِدَّ قراراتِ التَّسريحِ والبطالةِ والعنصريَّة، وكان بينَ المتظاهرين بيير أوفيرني، الَّذي سرَّحته الشَّركة قبلَ عام، وعملَ في تلك الفترةِ بصفة سائقٍ وموزِّع في إحدى المصابِغ. كان الحرَّاس التِّسعُ الَّذين يدافعون عن البابِ عصبيِّين، وصادفَ أنَّها السَّاعة الَّتي كان يخرجُ العُمَّال فيها، وكانت البوابةُ الحديديَّةُ مفتوحةً، فجرت مناقشةٌ بينَ ماويِّين وحُرَّاس، ثمَّ وقعَ الاشتباك. كان أحدُ الأشخاصِ يُراقب المشهدَ بلباسِه المدنيِّ من خلالِ أحدِ مواقعِ الحراسة، وما إنْ تقدَّمَ الماويُّون بضعَ خطواتٍ داخلَ المصنع؛ صرخَ فيهم: «اذهبوا وإلَّا أطلقتُ النَّار عليكم»، فتراجع أوفيرني الَّذي كان على مسافةِ مترين منه.لم تنطلقِ الطَّلَقة، فأطلقَ رصاصةً ثانيةً صَرَعت أوفيرني، ثمَّ هربَ الحارس إلى داخلِ المصنع.

بعدَ هذهِ الجريمة؛ قام العُمَّال بتظاهراتٍ، وجرت مشاجراتٌ، على إثرها عملتِ الإدارةُ على تسريحِ عُمَّال آخرين. كان سارتر يقومُ بالتَّحقيق أمامَ مصانع رينو، فسأله أحدُ الصَّحفيِّين: «هل تشعر بالحاجةِ إلى إجراءِ تحقيقٍ بنفسِك؟ ألا تثقُ بالعدالة الرَّسميَّة؟ فأجاب: لا، ليس لي بها أيُّ ثقة،ثم سأله : وما هو رأيُك

بموقف الحزب الشُّيوعيِّ؟، فردَّ سارتر: «إنَّه موقفٌ أخرق.. يقول لك اليساريُّون والبورجوازيُّون:إنَّ اقتتالَهم في ما بينهم دليلٌ على تواطئهم، وهي ذريعة تبدو لي غيرَ مقنعة، فالشُّيوعيُّون يقِفون مع الحكومة ضِدَّ الماويِّين».

في الثَّامنِ والعشرينَ من شهرِ شُباط؛توجهت مع سارتر في سيارة الصَّحفيَّة والأديبة ميشيل مانسو Michèle Manceaux للمشاركةِ في تظاهرةٍ نُظِّمت للاحتجاجِ على اغتيالِ أوفيرني، بحضور جمعٍ غفيرٍ من النَّاس. لم نبقَ فيها لوقتٍ طويل؛ لأنَّ سارتر كان يمشي بصعوبة، ولم أتمكَّن من مرافقته لحضورِ مراسمِ الدَّفن، بسببِ انشغالي في اجتماعِ مجموعة **الاختيار** Choisir [١]. فذهب برفقةِ الشَّاعرة ميشيل فيان M.Vian، لكن آلام ساقيه منعته من الاستمرار،لكنَّه وصفَ هذا التَّجمُّع الضَّخمَ بأنَّه استثنائيٌّ؛ إذ لم يتمكَّن اليسارُ الثَّوريُّ الجديدُ من حشدِ مثلِ هذه الجماهير في شوارع باريس منذُ عام ١٩٦٨، وبحسب ما نقلتهُ الصُّحُف؛ حضر مائتا ألفِ شخصٍ على الأقلّ، تحدَّثوا جميعاً عن تجديدِ النَّزعة اليساريَّة، وأشاروا إلى أهميَّتها.

ومع ذلك؛ فقد رفضَ سارتر عمليَّةَ اختطافِ بيير نوغريت *Nogrette* الانتقاميَّةَ من قِبَل **المقاومة الشَّعبيَّة الجديدة** N.R.P، وبعد عمليَّة القتلِ بعدَّةِ أيَّام، واتِّهامِه بأنَّه كان وراءَ التَّسريحات الَّتي قامت بها مؤسَّسة رينو؛ كان يتساءلُ بألمٍ عن ماهيَّة التَّصريح الَّذي سيُدلي به لو طُلِب منه ذلك، وكان الخاطفون أيضاً مُحرَجين، لذا؛ سارعوا في إخلاء سبيلَ نوغريت من دون أيِّ مُقابل.

كانت **المقاومةُ الشَّعبيَّةُ الجديدةُ** N.R.P. لسانَ حالِ اليسار البروليتاريِّ المناضل، الَّذي استمرَّت بعدَه بشكلٍ سِرِّيٍّ، وبعدَ اختطافِ نوغريت؛ وجدَتْ نفسَها في مفترق عدَّةِ دروب، وكان عليها إمَّا أن ترتميَ في أحضانِ الإرهاب، أو أن تحلَّ نفسَها، وبما أنَّها تمقُتُ الإرهاب؛ فقد اختارَت الحلَّ الثَّاني، وهو ما أدَّى شيئاً فشيئاً إلى نهاية **النَّجدةِ الحمراء**. هذا التَّنظيم كان

في الحقيقة، قد وقعَ بين أيدي الماويِّين، الَّذين كفُّوا عن الاهتمامِ به حينما قرَّروا الابتعادَ عن بعضِهم[1].

في تلكَ الفترةِ؛كتبَ سارتر تقديماً لكتابِ ميشيل مانسو: **الماويُّون في فرنسا**، الَّذي تضمَّنَ مقابلاتٍ معَ بعضِ قادتِهم، كما شرَحتْ فيه كيفَ ينظرُ إليهم، وأسبابَ اتِّفاقِه معهم، فعفويَّة الماويِّين، كما يقول، تعني ببساطة أنَّ الفكرَ الثَّوريَّ يولد من الشَّعب، وأنَّ الشَّعب وحدَه يمضي بهِ، من خلالِ العملِ، إلى تطوُّرِه الكامل. الشَّعبُ لم يوجَد بعدُ في فرنسا، لكنْ في كلِّ مكانٍ. حيث تنتقلُ الجماهيرُ إلى الممارسةِ العمليَّة؛ تكون هي الشَّعب...»، وشدَّدَ كثيراً على البُعد الأخلاقيِّ لموقفِ ماو تسي تونغ: «العنف الثَّوريُّ أخلاقيٌّ تماماً؛ لأنَّ العُمَّالَ يصبحون موضوعاتِ تاريخهم»، ويقول سارتر، بحسب الماويِّين: إنَّ ما تريدهُ الجماهيرُ هو الحرِّيَّة، وهو ما يُحوِّل، في حقيقة الأمر، أفعالَهم إلى أعياد، مثل احتجازِ أربابِ العملِ في المصانع، يسعى العُمَّال إلى تشكيل **مجتمعٍ أخلاقيٍّ**، أيّ «حيث يستطيعُ الإنسانُ غير المغَرَّب Désaliéné أن يجدَ نفسَه في علاقاته الحقيقيَّة مع الجماعة».

العنفُ والعفويَّةُ والأخلاقيَّةُ؛ هي الصِّفاتُ الثَّلاثةُ المباشرةُ للعملِ الثَّوريِّ الماويِّ، لذلكَ صارت نضالاتُهم مُحدَّدةً وأقلَّ رمزيةً، وازدادت واقعيَّتُها، وبدت الممارسةُ العمليَّة للماويِّين المناهضة للسُّلطويَّة؛ بمثابةِ القوَّةِ الثوريَّةِ الوحيدةِ القادرةِ على التَّكيُّفِ مع الأشكالِ الجديدةِ لنضالِ الطَّبقاتِ في مرحلةِ الرَّأسماليَّة المنَظَّمة.

لكن، رغم أنَّ سارتر يرفضُ دورَ المثقَّفِ الكلاسيكيِّ؛ فهو لم يتوانَ عن توقيعِ البياناتِ حينما يُطلَب منه ذلك، ففي بدايةِ آذار؛ أطلقَ مع كلٍّ من فوكو وكلافلClavel وكلود مورياك Claude Mauriac ودولوزDeleuze؛ نداءً من أجل الكونغو.

---

(١) مجموعة نسائيّة كنتُ مُديرتها، وكان حضوري ضروريًا في ذلك اليوم.

كان ذلكَ في الرَّبيع، وكان ربيعاً قاسياً ورائعاً، ففي يومٍ واحدٍ أصبحت الشَّمسُ شمساً صيفيَّة؛ فتفجَّرت البراعمُ، واخضرَّت الأشجارُ، وتفتَّحت الورودُ، وشَدَت العصافير في الميادين، وفاحت من الشَّوارع رائحةُ العُشب الطَّازج.

إجمالاً؛ كانت حياتُنا تسيرُ وفقَ الرُّوتين المحبَّب نفسِه الَّذي عشناه السَّنة السَّابقة؛ فكُنَّا نرى الأصدقاءَ أنفسَهم، وأحياناً؛ نرى أُناساً لهم علاقةٌ بِنا، لكنَّهم أقلُّ أُلفةً. تناولنا طعامَ الغداء مع تيتو غيراسي Tito Gerassi العائدِ من أمريكا، حيثُ استفاضَ في وصفِ الصِّراعاتِ بين زعيمي الفهودِ السَّوداء؛ كليفر Cleaver وهوي Huey، ورغمَ تعاطفهِ مع كليفر؛ الأذكى والأكثرَ حيويَّة؛ كان يرى هوي أكثرَ جدِّيَّة، وتمنَّى لو أنَّ سارتر يلتزم بدعوته، لكنَّ سارتر رفضَ اتِّخاذَ موقفٍ مع هذا أو ذاك؛ بسببِ نقصِ المعلوماتِ لديه حولَهما.

كما تناولنا الغداءَ مع تود Todd، الَّذي عثرَ على والده بعدَ بحثٍ طويل، وكان يبدو هذا الأمرُ بالغَ الأهميَّة له، إذلم نعدْ نراهُ منذُ انفصالهِ عن زوجته، ابنة نيزان Nizan الَّذي كُنَّا نُكِنُّ له حُبّاً كبيراً، وبما أنَّه كان دائبَ البحثِ عن أبٍ؛ فقد أهداهُ سارتر، الَّذي كانت طيبتُه تتحوَّل إلى لطافةٍ سهلة، أحدَ كُتُبه: «إلى ابني المتمرِّد»، مع أنَّ فكرةَ أن يكون له ابنٌ، لم تخامره في حقيقة الأمر، أبداً، فقد قال لِكونتا Contat: «لوحةٌ ذاتيَّةٌ في سِنِّ السَّبعين»: «لم أرغبْ أبداً في أن يكون لي ابن، أبداً، ولا أسعى في علاقتي مع الرِّجال الأكثر شباباً منِّي أن أكونَ بديلاً عن العلاقةِ الأبويَّة»(١).

بعد ذلك؛ ذهبنا إلى مدينةِ Saint-Paul-de-Vance في الجنوبِ الفرنسيِّ برفقةِ سيلفي وآرليت، وعشنا الحياةَ نفسَها الَّتي عشناها قبلَ عام؛ فكنَّا نقرأ، ونتنزَّه تحتَ سماءٍ زرقاء، ونستمع إلى إذاعةِ France-Musique من مذياعِنا الصَّغير، ثمَّ عُدنا إلى مدينة Cagnes لزيارةِ صالةِ Maeght للفنِّ الحديث، وكانت السَّعادةُ باديةً على سارتر.

---

(١) لكنَّها استمرَّت لبعض الوقت.

بعدَ عودتنا؛ استعادَ سارتر نشاطاتِه النِّضاليَّة، وفي تلك الفترة؛كان في الضَّاحية الباريسيَّة ١٦٥ ألفَ شقَّةٍ غير مسكونة؛ فاستقرَّ سُكَّان حيِّ La Goutte d'Or وغالبيتهم العُظمى من مهاجري شمال أفريقيا في أحدِ هذه المجمَّعاتِ السَّكنيَّةِ الواقعةِ في شارع لاشابل، لكنَّهم لم يبقوا فيها سوى يومين؛ إذ هاجم رجالُ الشّرطةِ المبنى، ولجأ المحاصَرون إلى الطَّابق العُلويِّ، فوضع رجال الشّرطة سُلَّماً كبيراً وحطَّموا النَّوافذ، واقتِيدَ الرِّجالُ إلى مكانٍ مجهول، وجُمعَ الأطفالُ والنِّساءُ في أحدِ مراكز الإيواء.

عقدتِ **النَّجدةُ الحمراء** Le Secour Rouge مؤتمراً صحفيّاً للاحتجاجِ على هذه العمليَّة؛ أداره رولان كاسترو، وحضره كلٌّ من كلود مورياك، وفاي Fay، وجوبير Jaubert، وشارك سارتر في هذا الاجتماع، واستعرضَ مجملَ الأعمالِ الَّتي تمَّت منذُ قضيَّةِ جيلالي، واستخلصَ منها معنى سياستِه، ودان «ما ينبغي تسميتُه هنا: العدوّ»، أيْ قواتِ النِّظام الَّتي قامت هذه الأعمالُ ضدَّها أولاً، كما قال: «هذه المساكن غيرُ مأهولة، ولا يمكن أن يسكنَ فيها سوى مَنْ ليسَ فوقَ رأسِه سقف، وثانياً؛ فإنَّ طردَ شاغليها التُّعساء دليلٌ على عنصريَّة واضحةٍ، فعائلة جبالي، على سبيلِ المثال، لم تحصلْ على شقَّةٍ لائقة، ولهذا؛ لجأ هؤلاءِ النَّاسُ التُّعساءُ الَّذين لا مأوى لهم إلى هذا الكوخِ البائس، اشترَت إحدى الشَّركات هذا الكوخَ لتهدمَه ذاتَ يومٍ لتقيمَ مكانَه بناءً للإيجار، وهي عمليَّةٌ غيرُ إنسانيَّة دفعَتْ سُكَّانَ الحيِّ إلى التَّحرُّك ضدَّها، وها نحن نعودُ إلى ميدانِ صراعِ الطَّبقات، وها نحن نصطدمُ بالرَّأسماليَّة»، وأضافَ: «لاحظوا أنَّه حينما تقومُ قوَّاتُ الشّرطة بإبعاد السَّاكنين؛ فهي تُدمِّر أيضاً البيوتَ القابلةَ للسَّكن».

---

(١) لم يكن سارتر يعدّ تود بمثابة ابن له، ولم يتعاطف معه وبقيت علاقته به سطحيّة جدّاً، خلافاً لما ألمح إليه تود في كتابه.

كان سارتر يولي اهتمامَه لأشياءَ بالغةِ التَّنوُّع، لكنَّه كان يراها مترابطة، فقد كتبَ في شهر نيسان رسالةً تقديميَّةً لكتابٍ حرَّرهُ أعضاءُ مجموعةِ مَرضى هايدلبرغ حولَ المرضِ العقليِّ، وهنَّأهُم على تطبيق «الحدِّ الأقصى من مناهضةِ الطِّبِّ النَّفسيِّ» في معرضِ الحديثِ عن فكرةِ أنَّ «المرضَ هو الشكلُ الوحيدُ الممكنُ لحياة الرَّأسماليَّة»، باعتبار أنَّ الاغترابَ، بالمعنى الماركسيِّ، يتحقَّق في الاغتراب والقمع الَّذي يصيبها.

وكالعادة؛ كانت تَسليتُنا المفضَّلة هي لقاءَ الأصدقاء، ففي ذلك الرَّبيع؛ تناولنا طعامَ الغداءِ مع عائلة كاتالا Cathala[١]، وأخبرنا أنَّ حالَ المثقَّفين في الاتِّحاد السُّوفييتيِّ أسوأ من أيِّ وقتٍ مضى، فقبلَ أربعةِ أعوامٍ؛ نشر كاتالا في صحيفة Le Monde مقالةً حولَ آخرِ رواياتِ تشاكوفسكي Tchakowsky (مدير أهمِّ مجلَّةٍ أسبوعيَّةٍ أدبيَّةٍ في موسكو)؛ قام هو نفسُه بترجمتها، ثمَّ صرَّح بعدَها أنَّ هذا الكتابَ ليس سيِّئاً فحسب؛ بل هو ستالينيّ، فمنَعَتْ عنه موسكو القيامَ بأيِّ ترجمة، فعاشَ من ترجمةِ كتابٍ لِأليكسيس تولستوي A.Tolstoï إلى الفرنسيَّة، ورفضتِ السُّلطاتُ منحَ تأشيرةِ خروجٍ لزوجته إلى فرنسا، إلَّا إذا فكَّت تضامنَها مع زوجها، وهو ما منعهما من القدوم إلى باريس منذُ أربعةِ أعوام، بعدها؛ فقدَتْ وظيفتَها، ولم يعُدْ لها أيُّ مصدرِ رزق، وبفضلِ تدخُّلِ السَّفارةِ الفرنسيَّة؛ تمكَّنَت من الحصولِ على جوازِ سفر، وكان الزَّوجان ينويان المجيءَ إلى فرنسا بشكلٍ نهائيٍّ خلالَ عام، أمَّا سولجينستين Soljénistine؛ فكان وضعُه أسوأ بكثير بعدَ روايتِه الأخيرة الَّتي ستُنشَر في فرنسا، وليس في الاتِّحاد السُّوفييتيِّ.

---

(١) كنَّا نراهما كلَّما ذهبنا إلى موسكو «كاتالا رفيق قديم لسارتر في دار المعلِّمين، وكان ديغوليّ الهوى خلال الحرب، ثم أصبح شيوعيّاً في عام ١٩٤٥. اهتمّ بترجمة أعمال روسيّة إلى اللّغة الفرنسيّة...كانت زوجته روسيّة...وتعمل في مجلّة Tout compte fait

عاودَت سارتر آلامُ الأسنان، وأخبره طبيبُ الأسنان أنَّه سيركِّب له في شهر تشرين الأوَّل تعويضةً قد تُزعجه أثناءَ التَّحدُّث أمامَ الجمهور، فتأثَّر جدّاً بهذا الخبر، فإنْ هو لم يعُدْ قادراً على التَّحدُّث في النَّدوات، أو حتَّى في الاجتماعاتِ غير الكبيرة؛ فسيكونُ مضطرّاً إلى التَّقاعد السِّياسيِّ، كما كان يشكو من النِّسيان، وهو أمرٌ كان فعليّاً بالنِّسبة لأشياءَ صغيرة، إلَّا أنَّ الخوفَ من الموتِ كان غريباً عنه، فحين سأله بوست Bost الَّذي كان أخوه بيير في طريقه إلى الموت، ما إذا كان يعاني من هذا الإحساس؛ أجابه سارتر: نعم، أحياناً، فبعدَ ظهرِ يوم السَّبت، وحينما يتوجَّب عليَّ رؤية القُنْدُس Castor [لقب سيمون دوبوفوار] وسيلفي؛ أقول لنفسي: من الحماقةِ أن يصيبَني حادث»، ويقصد بالحادث هنا؛ إصابته بأزمة قلبيَّة، وفي اليوم التَّالي؛ سألته: «لماذا يوم السَّبت؟»، فأجابني إنَّه لم يُفكِّر بهذا سوى مرَّتين، وإنَّه لم يكنْ يفكِّر بالموتِ، بل لأنَّه سيُحرَم من سهرتِه.

منحَ غواتيسولو Goytisolo مقابلةً لمجلَّة Libre، وهي مجلَّة باللُّغة الإسبانيَّة تصدر في باريس؛ حلَّل فيها القضايا السِّياسيَّةَ المطروحةَ في عام ١٩٧٢، وعاد إلى المسألةِ الَّتي تعنيه كثيراً، أي؛ دورِ المثقَّفين، وفي شهر أيَّار؛ شرحَ أفكارَه حولَ العدالةِ الشَّعبيَّةِ في مجلَّة «**قضية الشَّعب**».

كانت مجلَّةُ **قضية الشَّعب** تفقدُ مكانتَها وشُهرَتها، فتوقَّفت عن الصُّدور، وكان سارتر يحضرُ الاجتماعاتِ الَّتي يناقشُ فيها مسؤولو الصَّحيفةِ الوسائلَ الكفيلةَ بإنقاذها، فكان يستيقظُ باكراً جدّاً، ويُرهقُ نفسَه، وذاتَ مساءٍ؛ نامَ وهو يستمع إلى الموسيقى، وذاتَ مرَّةٍ صارَ يتلعثمُ بعدَ أن شربَ قدَحاً من الويسكي، وحين صعدَ لينام؛ راحَ يترنَّح، وفي اليومِ التَّالي؛ استيقظَ لوحدهِ عند السَّاعة الثَّامنة والنِّصف، وبدا طبيعيّاً تماماً، ومع ذلك؛كان القلقُ يساورني وأنا في الطَّائرة الَّتي أقلَّتني إلى مدينة غرونوبل لإلقاءِ محاضرة لصالحِ مجموعةِ Choisir؛ ولدى عودتي إلى باريس؛ كنتُ أتوقَّع أخباراً سيِّئة، وبالفعل: فقد

اتَّصلت آرليت بي هاتفيّاً عندَ السَّاعة الحادية عشرةَ والنِّصف صباحاً؛ وكانت أيضاً غائبةً عن باريس مساءَ الخميس، وكان سارتر قد قضى أمسيتَه وحيداً يشاهدُ التِّلفزيون (لأنَّه لم يكنْ لديه واحداً في بيته)، وحينَ وصلَت بيتَها بعدَ منتصفِ اللَّيلِ بقليل؛ وجدَ بويغ سارتر ملقىً على الأرضِ وسكراناً، فرافقهُ سيراً على الأقدام،؛ لأنَّ مسكنَ سارتر لم يكنْ بعيداً، ومع ذلك؛ فقد وقعَ أرضاً، ونزفَ من أنفِه، وفي الصَّباح؛ اتَّصل سارتر بِآرليت هاتفيّاً، وكان يبدو حاضرَ الذِّهن، وحين ذهبتُ لرؤيته عندَ الساعةِ الثَّانية؛ رأيتُ كدمةً فوقَ أنفِه، وتورُّماً في شفتيه، لكنَّه كان حاضر الذهن، وبناءً على إلحاحي؛ وَعد بزيارة الطَّبيب زيدمان يومَ الإثنين، بعدها؛ تناولنا الغداءَ في مقهى لاكوبول حيث وافتهُ ميشيل لتناولِ فنجانٍ من القهوة، وبعد أن عُدنا إلى بيته؛ اتَّصلتُ بالطبيبِ زيدمان، فطلب ألَّا ينتظرَ سارتر حتَّى يوم الإثنين، وأنَّ عليه التَّوجُّه إليه فوراً، عدتُ إلى المطعم، وذهب سارتر معَ ميشيل لرؤية طبيبِه بعدَ شيءٍ من التَّمنُّع، وحينَ عادَ حوالي السَّاعة السَّادسة؛ كانت ردودُ فعلِه جيِّدةً؛ باستثناءِ ارتفاعٍ في ضغطِه، والَّذي بلغ ٢١؛ بسببِ إفراطِه في الشَّراب ليلاً، وكان زيدمان قد وصفَ له الأدويةَ السَّابقة نفسَها، وحدَّدَ له موعداً يومَ الأربعاءِ القادم.

كانت أمسيةُ السَّبت مع سيلفي ممتعةً، ولم يستبدَّ النُّعاسُ بِسارتر إلَّا عندَ مُنتصف اللَّيل، فنامَ حتَّى السَّاعة التَّاسعة والنِّصف صباحاً بشكل مستمر، واستيقظ مرتاحاً، وانتهى شهرُ حزيران بشكلٍ جيِّد جدّاً، وعادت صحيفةُ **قضية الشَّعب** إلى الصُّدور، وكان عددُها الأوَّل ناجحاً.

في بداية تمُّوز؛ سافر سارتر مع آرليت في رحلةٍ قصيرةٍ إلى النِّمسا، وتنقلتُ مع سيلفي بين بلجيكا، وهولندا، وسويسرا، وكان سارتر يرسل إليَّ برقيَّات، ونتهاتف، وبدَتْ صِحَّته بحالةٍ رائعة. وفي الثَّاني عشر من شهر آب؛ كنتُ في روما، وذهبتُ لملاقاتِه في المحطَّة، لكنِّي لم أصلْ في الموعدِ المحدَّد، وبعد عودتي إلى الفندق بوقتٍ قصير؛ رأيتُه مترجِّلاً من إحدى

سيَّاراتِ الأجرة، وكان يلثغ، لكنَّه قال لي مباشرةً: «سيزول هذا بعد لحظة». لقد انتهزَ وحدتَه ليشربَ نصفَي زجاجتي نبيذٍ في مطعمِ القطار. تعافى مباشرةً، لكنّي تساءلت: لماذا يُفرطُ في شربِ الكحولِ حينما يكونُ لوحدِه؟، فأجابني: «أجدُ هذا مُمتِعاً»، لكنَّ إجابتَه هذه لم تقنعْني، افترضتُ أنَّه كان يهربُ من نفسِه على هذا النَّحو، لأنَّه لم يكنْ مسروراً من عملِهِ في الجزء الرَّابع من كتابهِ **أحمق العائلة**، وكان يخطِّطُ لدراسةِ روايةِ **مدام بوفاري**، ومهموماً دائماً بتجديدِ نفسه، ويريدُ استخدامَ مناهجَ بنيويَّة، لكنَّه لم يكنْ يحبُّ البنيويَّة، وفسَّر ذلك بقوله: «اللّسانيُّون يريدونَ دراسةَ اللُّغة من الخارج، والبُنيويُّون المنحدرونَ من اللّسانيَّات، يُحوِّلون الكلِّيَّة إلى خارجيَّة، إنَّها، بالنِّسبة لهم استخدامُ المفاهيمِ بقدرِ الإمكان، لكنّي لا أستطيعُ استخدامَ هذا، لأنّي أنطلقُ من مستوىً غيرِ علميّ، بل فلسفيّ، ولهذا لا أحتاجُ إلى إبرازِ ما هو كُلّيّ»، من ثمَّ، فإنَّه كان يكرهُ المشروعَ الَّذي فكَّر فيه إلى حدٍّ ما، رُبَّما، لأنَّه أدركَ أيضاً أنَّ الأجزاءَ الثَّلاثة من **أحمق العائلة**، كانت تتضمَّنُ تفسيراً لروايةِ **مدام بوفاري**، وأنَّه في محاولته، الآن، العودةَ من العملِ إلى صانعه؛ يمكن أن يكرِّرَ نفسَه، كان يُفكِّر، ويسجِّل ملاحظاتٍ، لكنْ لم يكنْ لديه فكرةٌ كُلِّيَّة عمَّا سيقوم به، وكان يعملُ قليلاً، ومن دونِ حماسة، وفي عام ١٩٧٥؛ قال لِميشيل كونتا M.Contat: «هذا الجزء الرَّابع كان الأصعبَ عليَّ، والأقلَّ أهميَّةً بالنِّسبة لي».

ومعَ ذلك؛ فقد قضينا عطلةً رائعة، أوَّلاً مع سيلفي، ثمَّ لوحدنا، وفي حزيران؛ كان سارتر يشردُ قليلاً، ولا يُعيرُ انتباهاً للأشياء في بعضِ الأحيان، أمَّا في روما؛ فلا شيءَ من هذا؛ فقد كُنَّا نقطنُ دائماً تلكَ الشَّقَّة التِّيراس الَّتي كانت تُمتِّعُنا، وكالعادة؛ كُنَّا نتجاذبُ أطرافَ الحديث، ونقرأ، ونصغي إلى الموسيقا، ولا أدري كيف بدأنا نلعبُ الضَّامة في تلك السَّنة؛ فتعلَّقنا بها.

لدى عودتِنا، مع نهايةِ شهرِ أيلول،كان سارتر بصحَّةٍ رائعة، ومسروراً بالعودةِ إلى بيته، قال لي: «أنا مسرورٌ لوجودي هنا، وغيرُ هذا لا يعني لي

شيئاً، يعجبني أن أكونَ هنا»، لقد قضينا فيهِ أمسياتٍ رائعة، وقد اعتدتُ تقريباً هذه اللّامبالاة.

لكنَّ الأمرَ لم يدُمْ طويلاً؛ ففي منتصفِ شهرِ تشرين الأوَّل، تنبَّهتُ مرَّةً أُخرى، إلى حتميَّةِ التَّدهورِ النَّاجمِ عن الشَّيخوخة، كنتُ قد لاحظتُ في روما، حينما كُنَّا نذهبُ إلى محلِّ غيوليتِّي Giolitti للاستمتاعِ بمثلَّجاته الرَّائعة بعدَ الغداء، أنَّ سارتر كان يُسرِعُ إلى الحمَّامات، وذاتَ يومٍ خلالَ فترةٍ بعدَ الظُّهر، وكُنَّا عائدَين إلى الفندقِ بموازاة البانتيون برفقة سلفي، كان سارتر يسيرُ مُستعجلاً، توقَّف وقال لنا: «تبوَّلتِ القططُ عليَّ، اقتربتُ من الدرابزين وشعرتُ بالبلل»، صدَّقتهُ سيلفي، ومزحَتْ حولَ هذا الموضوع، أمَّا أنا فقد عرفتُ معنى ذلك، لكنِّي لم أقلْ شيئاً، وحينَ كُنَّا في بيتي، في باريس، نهضَ سارتر من مقعدِه ليصعدَ إلى صالةِ الحمَّام، فرأيتُ بقعةً فوقَ مقعدِه، قلت لِسيلفي في اليوم التَّالي: إنَّه سكبَ الشَّاي فوقَه، وعقَّبَت بقولها: «يبدو أنَّ طفلاً قد نسيَ نفسَه»، في مساءِ اليومِ التَّالي، وفي الظُّروفِ نفسِها، كانت ثمَّة بقعةٌ أُخرى فوقَ المقعد، عندها؛ تحدَّثتُ عنها إلى سارتر: «إنَّك تُعاني من السَّلس البوليّ، يجبُ إبلاغُ الطَّبيبِ بذلك»، دُهشتُ جدّاً حينما قال لي بنبرةٍ طبيعيَّة تماماً: «لقد حدَّثتهُ عن هذا، وهو أمرٌ أُعانيهِ منذُ فترةٍ طويلة، لقد فقدتُ تلك الخلايا»، كان سارتر طيلةَ حياتِه صارماً لا يُلمِّحُ عن وظائفِه الطَّبيعيَّة، ويتصرَّف إزاءَها بسِريَّة تامَّة، لهذا سألتُه في اليومِ التَّالي ما إذا كانت عدمُ قدرتِه على السَّيطرةِ تزعجه، فأجابني مُبتسماً: «ينبغي على المرءِ أن يكونَ متواضعاً حينما يشيخ»، تأثَّرتُ كثيراً ببساطتِهِ، وبهذا التَّواضع الجديدِ عندَه؛ وفي الوقت نفسِه؛ كنتُ مُتألِّمةً لافتقارِه إلى العدوانيَّة، واستسلامِه.

الحقيقةُ أنَّ همَّهُ الرَّئيسَ في تلك الفترةِ كان ينصبُّ على أسنانِه؛ إذ كان يعاني دائماً من خُرّاجاتٍ تؤلمه، ولم يكنْ يتناولُ سوى أطعمةٍ رخوةٍ، ولم يعُدْ

بإمكانِهِ تحاشي تركيبِ تعويضةٍ سنيَّة، وعشيَّة اليومِ الَّذي كان سيقتلعُ طبيبُ الأسنانِ أسنانَ الفكِّ العُلويِّ، قال لي: «قضيتُ يوماً حزيناً، كنتُ مُحبطاً، أوّلاً ذلك الطَّقس الرَّديء، ثمَّ أسناني...»، لم أضعْ أسطواناتٍ ذلكَ المساء، لأنّي كنتُ خائفةً من أن يستسلمَ للتَّأمُّل، فاكتفينا بالاطِّلاعِ على ما وردني من رسائل، وبلعب الضَّامة.

في ظهيرةِ اليومِ التَّالي؛ كان فكُّه العُلويُّ كلُّه بلا أسنان، جاء إليَّ، وكان خجِلاً من السَّير في الشَّارع، بالفعل، كان فمُّه مُغلقاً، لكنَّ شكلَه كان أقلَّ تشوُّهاً ممَّا كان عليه يومَ كان يعُاني من الخرّاج.

قدَّمتُ له بطاطا مطحونة، وسَمكاً طريّاً (موري)، ومسحوقَ التُّفاحِ لغدائه، وبعدَ ظهرِ اليوم التَّالي؛ ركَّب طبيبُ الأسنانِ التَّعويضة، وقال له: إنّه سيحسُّ بالضِّيقِ خلالَ أسبوع، لكنَّه سيتخلَّصُ من كلِّ عذاباتِه السَّابقة، وكان سارتر مرتاحاً لسيرِ العمليَّة، وأقلَّ كآبةً ممَّا كان عليه في العشيَّة.

بعدَ يومين؛ عادَ إلى بيته حوالي السَّاعة الخامسة مُتفتِّحاً تماماً؛ لأنَّ أسنانَه لا تضايقهُ على الإطلاق، ولم يعُدْ يُعاني أيَّ صعوبةٍ في النُّطق، ويمضغُ بشكلٍ أفضلَ من السَّابق، وفي المساء، حينما جاءَ إليَّ حوالي منتصفِ اللَّيل، سألتُه كيف قضى أمسيةً كان يتوقَّعها مُضجرة؟، فأجابني: «كانت قاتلةً، لكنّي لم أكنْ أفكِّرُ إلَّا بأسناني، وكنتُ بالغَ السُّرور!».

فجأةً، شعرَ بأنَّه أكثرَ نشاطاً، وأكثرَ مرحاً من أيِّ وقتٍ مضى، وفي السَّادس والعشرين من شهرِ تشرين الثَّاني؛ حضرنا عرضاً للفيلم الَّذي تمَّ تصويرُه عنه؛ وظهرَ على الشَّاشةِ كما هو حالُه في الحياة: أحياناً، كان يبدو لي طافحَ الشَّباب؛ (الأمر الرَّائع عند سارتر، وما يحيِّرُ المحيطينَ به، هو أنَّه يعودُ للانبثاقِ من قعرِ الهاويةِ الَّتي كُنَّا نظنُّ أنَّه لن يعودَ منها، أكثرَ مرحاً، وصموداً. بكيتُ عليه طيلةَ الصَّيف، وعادَ حالُه إلى ما كان عليه، كما لو «أن شيئاً لم يكن». انبعاثاتُه هذه، لدى خروجهِ من غياهبِ النِّسيان، تفسِّرُ ما سأقولُه لاحقاً، في هذه

الصَّفحةِ أو تلك: «كانت صحّتهُ تتدهور، كان يتعافى»، وكان فيه كنزٌ من الصّحة البدنيَّة والمعنويَّة قاومَتْ كلَّ ما أصابه، حتَّى ساعاتِه الأخيرة).

كان ما يزالُ مشغولاً بصحيفةِ **قضية الشَّعب**، وفي شهرِ تشرين الأوَّل؛ كتبَ مع أصدقائِه في الصَّحيفة نصّاً بعنوان: «إنَّنا نتَّهمُ رئيسَ الجمهوريَّة»، نُشر على شكلِ مُلصقات، وأُعيدَ نشرُه في ملحقِ العددِ ٢٩ من الصَّحيفة نفسها، وفي شهرِ كانون الأوَّل؛ وقَّع، مع مائة وستَّةٍ وثلاثين مُثقَّفاً، نداءً بعنوان «العنصريَّة الجديدة»؛ نشرتهُ صحيفةُ **قضية الشَّعب**، وأعادتْ نشرَه صحيفة Le Nouvel Observateur، كما طبعَتِ الصَّحيفةُ في الثاني والعشرين من كانون الأوَّل مقابلتَه مع أراندا، فهذا الَّذي يعمل مستشاراً فنيّاً لدى وزيرِ التَّجهيزات؛ نشرَ في صحيفة Le Canard Enchaîné وثائقَ تثبت الاحتيالاتِ، واستغلالَ النُّفوذِ الَّذي كانت تمارسهُ بعضُ شخصيَّاتِ النِّظام، وبعد أن سلَّم ملفَّاتِه إلى العدالة؛ كان المتَّهمَ الوحيد، كانت شخصيَّتُه تبعثُ الحيرةَ في نفسِ سارتر؛ الَّذي رغبَ في إجراءِ مقابلةٍ معه.

بعد أن قبلَ أراندا؛ حاول سارتر إقناعَه بأنَّه حينَ يدينُ أخطاءَ الإدارة؛ فهو بذلك يهاجم الدَّولة، ولتجنُّبِ الاختلاسات؛ لابُدَّ من تشكيلِ «حكومةٍ مدعومةٍ ومراقَبةٍ من الشَّعب، قادرةٍ على رفضِ مثلِ هذا الفعلِ الظَّالم»، جُرح أراندا؛ لأنَّ الرَّئيسَ بومبيدو أرادَ أن يطويَ القضيَّة، ومع ذلك؛ فقد كرهَ أن يتَّهم الدَّولة، وتحدَّث عن ضعفِ الطَّبيعةِ البشريَّةِ، وقال سارتر إنَّ أراندا، شاء أم أبى، هو «عميلٌ للدِّيمقراطيَّة المباشرة».

في شهرِ تشرين الثَّاني؛ انخرطَ سارتر في مشروعٍ كان يُبهره كثيراً، وهو إجراءُ سلسلةٍ من الحواراتِ مع صديقيهِ اليساريَّينِ بيير فيكتور Pierre Victor، وفيليب غافي Philippe Gavi، يتحدَّث فيها عن مسيرتِه الأدبيَّة، محاولاً تعريفَ الفكرِ اليساريِّ، كما تطوَّرَ بعدَ عام ١٩٦٨، ونُشِر مجموعُ هذه الحواراتِ في كتابٍ بعنوان: **يحقُّ لنا التَّمرُّد**.

سبقَ لِغيمار أن قدَّم لِسارتر محاوريه قبلَ عامين؛ بيير فيكتور؛ اسمه الحقيقيُّ بيني ليفي،كان يهوديّاً مصريّاً شابّاً، درس الفلسفةَ وتردَّدَ على دارِ المعلِّمين، وكان أحدَ المسؤولين الأساسيِّين في الحركةِ الماركسيَّة ـ اللِّينينيَّة، وأدارَ مع غيمار حركةَ اليسارِ الشَّعبيِّ Gauche populaire حتَّى حلِّها، وسبقَ أن أجرى عدَّةَ أحاديثَ مع سارتر؛ الَّذي كان يُكنُّ له احتراماً كبيراً، كان سارتر مبهوراً بشبابِه وروحِه النِّضاليَّة، وقد تحدَّث عن هذا في عام ١٩٧٧ في حوارٍ مع فيكتور نشرتهُ صحيفةُ Libération:

سارتر: تناولتُ طعامَ الغداءِ معكَ في ربيع عام ١٩٧٠.

فيكتور: بمن كنتَ تظنُّ أنَّك ستلتقي؟

سارتر: شخصيَّة غريبة تجعلني شبيهاً بشخصيَّة Milord L'Arsouille... كان لديَّ فضولٌ في أن أراكَ في ذلك الصَّباح، بعد كلِّ ما قيل لي... شخصيَّة غامضة

فيكتور: ها أنت تراني...

سارتر: نعم أراك، وأكثرُ ما يُعجبني فيك مباشرةً، هو أنَّك بدوت لي أذكى من غالبيَّة السِّياسيِّين الَّذين رأيتهم حتَّى الآن، لاسيما الشُّيوعيِّين، وأكثرهم حُرِّيَّة، أقول: إنَّك لم ترفُض معالجةَ موضوعاتٍ أقل سياسة، في المحصِّلة، إنَّ لديكَ، بمعزل عن الموضوع الرَّئيس، طريقةً في المحادثة الَّتي أودُّ أن أُجريها مع النِّساء؛ حول الحَدَث، وهو شيءٌ نادراً ما نُجريه مع الرِّجال.

فيكتور: لم تعتبرني مع ذلك كقائد، ولا تماماً كشخص Mec.

سارتر: لكنَّك كنتَ شخصاً، لكنَّك شخصٌ له صفات أنثويَّة، رأيتك لطيفاً من هذه النَّاحية.

فيكتور: متى بدأ اهتمامُك بإجراء نقاشٍ نظريٍّ أساسيٍّ بيننا؟.

سارتر: تكوَّنَ هذا شيئاً فشيئاً، كانت لي معكَ علاقاتٌ تغيَّرت شيئاً فشيئاً، كان بيننا فعلاً حُرِّيَّة: حُرِّيَّة أنْ يُعرِّضَ المرءُ موقفَه للخطر.

كان غافي صحفيّاً شابّاً كتبَ مقالاتٍ هامّةً في مجلّةِ **الأزمنة الحديثة**، وينتمي إلى جماعةِ: **تحيا الثّورة** V.L.R، وهي حركةٌ أقلُّ عقائديّة، وأكثرُ فوضويّة من الحركةِ الماويّة الّتي ترأس سارتر صحيفتها Tout لفترةٍ من الزّمن، وكان يُكِنُّ له الكثيرَ من المودّة، وسعيداً بأن يجسّد علاقاته بِالماويِّين في كتاب، وبفضله جدَّدَ فكرَه السّياسيّ، ذات مساءٍ قال لي وليبوست: إنَّ صداقته لهم تُجدِّدُ شبابَه، وأسِفَ فقط لأنَّه أكبرُ سِنّاً لكي تكونَ هذه الصَّداقةُ أكثرَ إثماراً، قال هذا في إحدى حواراتِه الأُولى في شهرِ كانون الأوّل عام ١٩٧٢:

«وقعَتْ أحداثُ عام ١٩٦٨ متأخِّرةً قليلاً، بالنِّسبة لي؛ لو حدث ذلك حينما كنتُ في الخمسين من عمري لكانَ ذلك أفضل... لتحقيقِ المطالبِ الّتي يُمكن أن تكونَ لدى مثقَّفٍ معروف، لا بُدَّ أن يكونَ في الأربعين من عمره... أو خمسين، فمثلاً؛ لا يُمكنني الاستمرارُ حتّى النِّهاية في المظاهرات؛ لأنَّ إحدى ساقَيَّ ليست على ما يُرام، وعلى سبيل المثال؛ لم أتمكَّن من السَّيرِ إلّا مسافةً قصيرةً في جنازة أوفيرني...»

«تحدَّثتُ، وأكرِّرُ الحديثَ عن الأسباب الموضوعيّة الّتي تدفعني لكي أكونَ معكم، أحد الأسباب الذّاتيّة؛ هو أنَّ الماويِّين يُعيدونَ إليَّ شبابي من خلال مطالبهم... فقط اعتباراً من سِنِّ السَّبعين، إذا استمرَّيت في الاختلاطِ بالنّاس الّذين يفعلون؛ فإنَّهم ينقلونَك إلى أماكن تجمُّعِهم في السَّيّارة مع كرسيٍّ قابلٍ للطَّي، فتصبح مزعجاً للجميع، ويحوِّلك العمرُ إلى شخصٍ لا نفع يُرجى منه. أقول من دون أسى: لقد ملأت حياتي تماماً، وأنا مسرور...»

«وأنا مسرورٌ بعلاقاتكم معي، وبطبيعة الحالِ فإنِّي غيرُ موجود بالنِّسبةِ لكم إلّا بمقدارِ ما أكون مُفيداً، وهو ما أتّفق معه تماماً، لكن؛ حينما يتعلّق الأمرُ بعملٍ مُشترك؛ هناك الصّداقة، أي علاقةٌ تتجاوزُ العملَ المزمَع القيام به علاقة تبادليّة... هذا هو المعنى العميقُ لعلاقتي بكم، أظنُّ أنّه لو أعدتم النَّظر فيَّ، وأرفض أن أكون معكم، فإنِّي سأُساعد بحسب إمكانيّاتي لإيجادِ

مجتمعٍ فيه فلاسفةٌ وأُناس من نوع جديد، وكتب فكريَّة لكنَّها تطرح السُّؤال: ما هو الإنسان؟».

الأمرُ المزعج الوحيد، هو أنَّ غافي وفيكتور كانا يأكلان (سندويشات) ويشربانِ النَّبيذ الأحمرَ لإطالةِ أمدِ هذه اللِّقاءاتِ حتَّى فترةٍ بعدَ الظُّهر؛ أمّا سارتر؛ فقد كان يتناولُ الغداءَ متأخِّراً، ويشربُ معهما دون أن يأكل، لهذا كان دائماً مُتعباً، وينتابُه النُّعاسُ في المساء. في شهرِ كانون الثَّاني طلبت ليليان سييجل - وكانت صديقتهما- من فيكتور وغافي أن يعملا على أن يُخفِّفَ سارتر شرابَه من دونِ أن يشعرَ بذلك، وهو ما فعلاه، فتوقَّف سارتر عن النُّعاس في شهرِ كانون الثَّاني.

كان معنيّاً بمشروعٍ يستهوي كُلّاً من فيكتور وغافي، ويهمُّه إلى أقصى درجة، وهو إصدارُ صحيفةٍ تحملُ اسم Libération، وفي السَّادس من كانون الأوّل؛ عُقِد اجتماعٌ تحضيريٌّ في مقرِّ وكالةِ ليبيراسيون للصَّحافةِ Agence de Presse Libération في ١٤ من شارع Bretagne، شارك فيه سارتر . عرضَ غافي برنامجَ الصَّحيفةِ الَّتي يتوقَّع صدورَها في شهرِ شباط، وتحدَّث سارتر عن الدَّورِ الَّذي ينوي القيامَ به فيها: «حينما يُطلب منِّي مقالات، سأُلبِّي ذلك»، وانتقدَ العنوانَ الرَّئيسَ لآخرِ عددٍ من صحيفة **قضية الشَّعب**: «المقصلة، لكن، من أجل توفييه Toouvier[1]»، لم يكنْ، بطبيعةِ الحالِ، إخلاءُ سبيلِ توفييه أمراً مقبولاً، لكنَّه حُكمَ بالسِّجن، وليسَ بالموتِ، ولم يكنْ أيُّ سببٍ يدعو لإعدامِه بالمقصلة.

---

(١) كان توفييه ميليشياويّاً سابقاً، مسؤولاً، أو متواطئًا عن اعتقالات بحقّ المقاومين واليهود. حُكم عليه بالموت في العام ١٩٤٥، وفي العام ١٩٤٧ حُكم مرتين بخمس سنوات سجن بجرم السّرقة، لاحقاً؛ في العام ١٩٤٩ مُنع من الإقامة لمدّة عشر سنوات، لكن بومبيدو أصدر عفواً عنه. فقد كانت هناك تعليمات تخصّ جرائم الحرب، لكن ليس الحقّ العام. وبالتَّالي، لا يمكن المطالبة بموته، بل إيداعه السجن فقط ومنعه من الإقامة.

١٩٧٣

عُقِدَ اجتماعٌ تحضيريٌّ آخر بتاريخ ٤ شُباط، وفي السَّابع من شُباط ١٩٧٣؛ قَبِل سارتر إجراءَ مقابلةٍ مع جاك شانصيل J.Chancel ضمنَ سلسلةِ برنامجه Radioscopie لتقديم صحيفة ليبيراسيون.

حاولَ شانصيل دفعَه إلى الحديث عن حياته، وأعماله، كما هو معتادٌ في إطارِ الحلقة، لكنَّ سارتر كان يراوغُ، ويعيدُ الحديثَ إلى الموضوعِ الَّذي يهمُّه: Libération، بعد ذلك بفترةٍ وجيزة؛ شاركَ في ندوةٍ في مدينة ليون للحديثِ عن الصَّحيفةِ أيضاً، وعاد من رحلتِهِ هذهِ مسروراً، رافقتُهُ إلى ندوةٍ أُخرى في مدينة ليل Lille وجرى الاجتماعُ في قاعةٍ فسيحةٍ تطلُّ على السَّاحةِ الكُبرى، وحضرَ جمعٌ غفيرٌ، لاسيما من الشَّباب.

قام سارتر وخطيبانِ آخرانِ بعرضِ ما يريدون أن تكونَ عليه صحيفةُ ليبيراسيون، وشاركَ الحضورُ بحرارةٍ في النِّقاش، وتحدَّثوا عن عدَّةِ فضائحَ طالبوا ليبيراسيون بالحديثِ عنها.

في بدايةِ شُباط؛ قُمنا بتدشينِ ليبيراسيون في مكاتبِ الصَّحيفة بالقربِ من Porte de Pantin. كان سارتر قد وزَّع ثمانينَ دعوةً، وعملَ على تنظيمِ (بوفيه) للحاضرين، لكنْ؛ لم نفهمِ السَّببَ أبداً؛ إذ لم يحضرْ أحدٌ تقريباً، باستثناءِ المساعدين، حوالي السَّاعةِ السَّابعة؛ حضر كلٌّ من كوني Cuny، وبلين Blain، ومولودي.

كان لدى سارتر نشاطاتٌ أُخرى كثيرة، ففي شُباط ١٩٧٣، بعثَ برسالةٍ حولَ السُّجون، نشرتها صحيفة لوموند؛ حولَ «هذا النِّظام الَّذي يُبقينا جميعاً في عالم اعتقاليّ»، وأجرى مقابلةً مع مجلَّةِ Pro Justitia الصَّادرة في بروكسل؛

تحدَّث فيها عن قضيَّة أراندا Aranda، وقضيَّة Bruay-en Artois، ومواقف ميشيل فوكو والعدالة في الصِّين، وكتب مُقدِّمةً لكتابِ أوليفييه تود O.Todd[1] **التَّائهون** Les Paumés، وهو طبعةٍ جديدةٍ لكتابِه: **نصف ريف** Une demi-campagne الصَّادر عام ١٩٥٧ عن دارِ نشرِ Julliard، وصفَ في خلفيَّتهِ التَّاريخيَّةِ الوضعَ في المغرب بين عامي ١٩٥٥-١٩٥٦.

أجرى سارتر مقابلةً مع M.A.Burnier نُشِرَتْ في مجلَّةِ Actuel في شباط ١٩٧٣ بعنوان: «سارتر يتحدَّث عن الماويِّين»، وحلَّل عملَه السِّياسيَّ منذُ شهرِ أيَّار عام١٩٦٨، لاسيما انخراطه في صحيفة **قضية الشَّعب** وقال: «أؤمن بعدم الشَّرعيَّة»، وكان مثابراً على عملِه في مجلَّة **الأزمنة الحديثة**، ونشر فيها في شهرِ كانون الثَّاني مقالةً بعنوان: «**الانتخابات، مصيدة المُغفَّلين**»، رفضَ فيها المنظومةَ الديمقراطيَّةَ غيرَ المباشرةِ الَّتي تتعمَّدُ جعلَنا عاجزين؛ لأنَّ هذه المنظومةَ تُبعثِر النَّاخبينَ وتجعلُهم عقيمين، وقد نَحَتْ مقالاتُ هذا العددِ كلُّها هذا المنحَى، وبرهنَتْ على وحدةِ الفريق، وحظيَتِ المقالةُ بنجاحٍ كبيرٍ لدى قُرَّاء سارتر، وهو ما جعلَه راضياً، وفي مقابلةٍ أجرتها معه مجلَّة دير شبيغل Der Spiegle الألمانيَّة؛ عاد إلى تحليلِه للسِّياسة الفرنسيَّة.

في هذا الشَّهر نفسِه؛ ذهبَ مع بعضِ صحفيي ليبيراسيون للتَّحقيقِ في مُجمَّعات Villeneuve-la-Garenne، لكنَّه لم يجدْ هذه الحملةَ مثمرةً، إذ أتاحتِ المجالَ لنقاشٍ، نشرته ليبيراسيون في شهرِ حزيران، شاركَ فيه بعضُ الشَّباب، لكنَّ سارتر لم يتناولِ الكلام.

في شهر شُباط، أُصيبَ بالتهابٍ في القصبات؛ سُرعان ما شُفي منه، لكنَّه تركَه مُتعباً، وفي اليوم التَّالي، ٤ آذار، كان موعدُ الدَّور الأوَّل من الانتخاباتِ التَّشريعيَّةِ، فطلبَتْ منه ليبيراسيون ورقةً حولَ المسألة، وفي المساء؛ رافقتُه مع

---

(١) بلغت لطافته هذا الحدّ: لم يكن يرفض تقديم أيّ خدمة حتّى لو لم يكن مُحبّا لمن يطلبها منه.

ميشيل فيان إلى مقرِّ الصَّحيفة، كان هناكَ أناسٌ كثيرون في قاعةِ التَّحرير، وكُنَّا نتابعُ النَّتائجَ وسطَ ضجَّةِ المذياعِ والنَّقاشات، كتب سارتر وهو جالسٌ إلى إحدى زوايا الطاولةِ ورقةً جيِّدةً للعددِ صفر، وكان فخوراً بقدرتِه على كتابةِ ورقةٍ متينةٍ رغمَ كلِّ هذه الضَّجَّة، أمَّا أنا؛ فكنتُ قلقةً عليه؛ لأنَّ الأُمسيةَ كانت مُضنيةً بالنِّسبةِ له. في اليوم التَّالي؛ تناولَ طعامَ الغداء في مقهى لاكوبول مع ميشيل الَّتي كانت تدفعُه إلى الإكثارِ من الشُّرب، وعاد معها إلى مقرِّ ليبيراسيون لإجراءِ مقابلة.

كانَ الطَّريقُ مُزدحماً بالسَّيَّارات: ثلاثةَ أرباعِ السَّاعة ذهاباً، ومثلُها إياباً، وحينما لمحتُه عندَ المساء، حوالي السَّاعة السَّابعة، قال لي بأنَّ الأمرَ كان مُضنياً، ثمَّ توجَّهَ في السَّاعةِ الثَّامنةِ إلى بيت آرليت لمشاهدةِ فيلمٍ يبثُّه التلفزيون، وقد قالت لي في ما بعد: عندما وصلَ؛لم يبدُ لي على ما يُرام، واتَّصلت بي في اليومِ التَّالي حوالي الظُّهرِ لتقول: «إنَّ حالَ سارتر ليسَتْ على ما يُرام»؛ فقد أُصيبَ عندَ السَّاعةِ العاشرةِ مساءً بنوبةٍ، أصابَ التشوُّه وجهَه، وسقطَت سيجارته من بينِ أصابعه، وسأل، وهو جالسٌ قبالةَ التِّلفزيون: «أين التِّلفزيون؟»،كانت هيئتُه أشبهَ بهيئةِ عجوزٍ خَرِفٍ في التِّسعين من عُمره، بعد أن أصابَ الشَّللُ ذراعَه ثلاثَ مرَّات.

أخبرنا زيدمان، فأمرَ بالبدءِ بإعطائه فوراً إبرَ البيرفينكامين Pervincamine، حقنَّاه الإبرةَ الأُولى؛ فاستعادَ القدرةَ على استخدامِ ذراعِه، وزالَ التشوُّه عن وجهِه، لكنَّ رأسَه لم تكنْ على ما يُرام، فاتَّصلت بِالبروفسور لوبو في مشفى Salpêtrière، وقال لي إنَّه سيرى سارتر بعدَ غد.

في ذلك المساءِ؛ جاء بوست لرؤيتنا بعدَ وصولِ سارتر، وتكلَّمتُ معهُ حولَ النَّوبةِ القلبيَّةِ الَّتي أصابته؛ لكنَّهُ لم يكنْ يتذكَّرُ شيئاً، ناقشنا مع بوست قضايا الانتخاباتِ، وحرِصَ سارتر على تناولِ قدحَين من الويسكي، وعندَ السَّاعةِ

الحاديةَ عشرةَ؛ خارَتْ قواه، فأرسلتُه للنَّوم، ورحلَ بوست حوالي منتصفِ اللَّيل، وتمدَّدتُ فوقَ أريكتي وأنا بكاملِ ملابسي.

ظهرَ سارتر حوالي السَّاعة التَّاسعة صباحاً فوقَ الشُّرفة المطلَّة على غرفتي، فسألته: «كيف حالك؟» تلمَّس فمَه وقال: «بحالٍ أفضل، لكنَّ سنِّي لم تعدْ تؤلمني، قلت له: لكنَّك لم تكنْ تشكو من أسنانِك... بلى، وأنتِ تعرفين ذلك جيِّداً، طيلةَ السَّهرة مع آرون.. ثمَّ غابَ في صالةِ الحمَّام، وحينما عادَ ليتناولَ كأساً من عصيرِ الفواكه؛ قلتُ له: «ذاك الَّذي كان معنا في السَّهرةِ لم يكن آرون، بل: بوست، آه ! نعم، أردت أن أقولَ ذلك، ليس بسبب الويسكي، بل لأنِّي نسيتُ انتزاعَ طاباتِ الشَّمع من أُذني[١].

أُصِبتُ بالهلع، وحينَ جاءت ليليان لتصحبَه من أجلِ تناولِ القهوة، حوالي السَّاعة العاشرة؛ اتَّصلَتْ بي قائلةً: إنَّ حالَه يسوءُ كثيراً، كان سارتر قد قالَ لها: «قضيتُ سهرةً جيِّدة مع جورج ميشيل Georges Michel[٢]، وسُرِرتُ لتصالحُي معه، كان من الحماقةِ أن نختلف، لقد كانوا لطفاءَ جدّاً؛ إذ تركوني أنامُ عندَ السَّاعةِ الحاديةَ عشرةَ، (الحقيقة أنَّ سارتر لم يكن مختلفاً مع ميشيل على الإطلاق)، واستمرَّ في هذيانه.

اتَّصلتُ بالبروفسور لوبو وطلبتُ منهُ المجيءَ لمعاينةِ سارتر في اليومِ نفسه، فأجابني عموماً أنَّ هذا الأمرَ ليسَ من اختصاصه، وسيحدِّد لي موعداً مع اختصاصيّ أعصاب، هو الدكتور «B».. وتمَّ تحديدُه عندَ السَّاعةِ السَّادسةِ مساءً.

ذهبتُ برفقةِ سيلفي لاصطحابِ سارتر من بيت آرليت، كانت هيئتُه تبدو طبيعيَّة، رافقته في سيَّارةِ أُجرةٍ إلى الدكتور B، وعرضت عليه الوقائع، عاين

(١) جملة غير مترابطة باللّغة الفرنسيّة، توحي بأنّه أراد القول: قرطيّ، لكن العبارة لم تكن كذلك [م]

(٢) كاتب، ومؤلف درامي، كان سارتر يحبّ مسرحيّاته كثيرًا. وهو صديق مقرّب من ليليان.

سارتر، وكتبَ له وصفةً، وعنوانَ إحدى الطَّبيباتِ الَّتي طلبَ أن يذهبَ إليها مباشرةً لإجراءِ تصويرٍ للدّماغ، التحقَتْ بنا سيلفي الَّتي كانت تنتظرُنا في أحدِ المقاهي، تركنا سارتر في بهوِ أحدِ الأبنية الحديثة، وجلسنا في أحدِ المقاهي المشؤومةِ المُنارةِ بالضَّوء الأحمر، وكان ثمَّةَ عصفورٌ [ببغاء] لا يكفُّ عن ترديدِ عبارةِ: «طابَ يومُك نابليون !».

بعدَ ساعةٍ صعدنَا إلى حيثُ الطبيبةُ. وانتظرنا في صالةٍ كبيرةٍ مُريحةٍ يُخيِّمُ عليها الصَّمت، والتحقَ بنا سارتر حوالي السَّاعةِ الثَّامنة، لم تُشِرِ الصُّورةُ الدّماغيَّةُ إلى أيِّ خللٍ خطير، وعُدنا إلى بيتي في سيَّارةِ أُجرة، بعد أن أوصلْنا سيلفي.

كان سارتر يقول إنَّ الطبيبةَ كانت بالغةَ اللُّطف؛ فقد صحبَتْهُ إلى شرفتِها لتريه الإطلالة، وقدَّمت له قدحاً من الويسكي، طبعاً؛ لم يكن هذا صحيحاً، فقد وصفَتْ له الطبيبةُ أدويةً، وأوصتهُ بعدمِ الإكثارِ من شربِ الكحول، والامتناعِ عن التَّدخين، لكنَّ سارتر قرَّرَ ألَّا يُعيرَ ذلكَ أيَّ انتباه، أكملنا سهرتَنا في لعبِ الضَّامة، وأوينا إلى الفراشِ باكراً.

في اليومِ التَّالي؛ بدا أنَّ حالتَه قد تحسَّنت، لكن، حوالي السَّاعةِ الحاديةَ عشْرةَ؛ اتَّصلت بي ليليان لتقولَ لي بأنَّه أثناءَ تناولِه الإفطار معها؛ راح يفقدُ ذاكرتَه؛ إذ لم يعُدْ يتعرَّف عليها، فكان يظنُّها آرليت تارةً، وأنا طَوراً، قالت له إنَّها ليليان سييغل؛ فردَّ عليها: «ليليان سييغل، أعرفها، إنَّها تقيمُ في البناءِ المجاور، وهي أستاذةٌ في رياضةِ اليوغا»، هذا صحيح، لكنَّه رفضَ أن يُماهي ليليان مع أستاذ اليوغا، وسأل أيضاً: «من هي الفتاةُ الَّتي جاءت مساءَ البارحةِ مع الكاستور (س.د.ب.) وأنا ؟ لاشكَّ أنَّها كانت سيلفي، لا، لم تكن سيلفي، إنَّها أنتِ».

غداةَ اليومِ التَّالي؛ كان لديهِ موعدٌ عندَ السَّاعةِ الثَّامنة والنِّصف مع الدكتور B في مشفى لاسالبيترييرـ، حينَ وصلتُ بابَ سارتر عندَ السَّاعة الثَّامنة؛ كانت آرليت، الَّتي من المقرَّرِ أن تُرافقَنا، تقرعُ الجرس، فلا يأتيها أيُّ

ردٌ، فتحتُ البابَ بمفتاحي؛ فرأيتُ سارتر نائماً وقبضتاه مُغلقتان، فارتدى ملابسَه بسرعة، وأقلّتنا سيَّارةُ أجرة إلى المشفى، حيث تكفَّلَ أحدُ الممرِّضين به، وبما أنَّني وآرليت كُنَّا نبحثُ عن سيَّارة أجرة؛ اقترحتُ أن يقضي سارتر بضعةَ أيَّام معها في جوناس Junas، إذا أردنا له أن يتعافى فعلاً، واقترحتُ عليها أن يأتي بعدها إليّ في آفينيون، لكنْ، هل سيقبل؟ نبَّهتني إلى أنَّه غالباً كان يقول: لا؛ في الوقتِ الَّذي يريد أن يقول: نعم، ولن يزعجَه أن نجبرَه على ذلك، وعندَ الظَّهيرةِ؛ قابلتُ الدكتور B في مشفى لاسالبيتريير، وشرحَ لي أنَّ سارتر يُعاني من نقصِ الأكسجين، أيْ من شللٍ في الدِّماغ سببُه التَّبغ جزئيّاً، لكنَّ السَّبب الأساسَ هو حالةُ أوردتِه وشرايينه، وأثنى على مشروعِ الإقامةِ في الرِّيف، الَّذي وافقَ عليه سارتر من دونِ مقاومة، وطلبَ منه الدُّكتور B أن يكتبَ اسمَه وعنوانَه، ففعلَها سارتر بسهولةٍ، عندها قال له الطبيبُ بثقةٍ: «سنشفيك».

رأيتُ سارتر مرَّةً أُخرى بعدَ الظُّهر، بعد أن أمضى أمسيتَه عندَ واندا، وجاء ابنُ ليليان سيغل ليصحبَه إلى بيتي، وقد قالت لي في وقتٍ لاحقٍ إنَّه كان يهذي؛ إذ حدَّثها مُطوَّلاً عن زنجيَّة كانت تجلسُ فوقَ ركبتيه...

في اليوم التَّالي؛ لم تكنْ سهرتُنا مع سيلفي جيِّدة، وذُعرنا؛ لأنَّ سارتر أصرَّ على الشُّربِ والتَّدخين، وهو ما لُمناه عليهِ خلالَ غداءِ اليومِ التَّالي، فأثار القلقَ في نفسه، كان مصعدهُ مُعطَّلاً، فأصرَّ على الصُّعود إلى الطَّابق العاشرِ مشياً ليعودَ إلى عمله، وهذا العملُ الَّذي يعنيه لم يكن سوى كتابةِ مقالةٍ طُلبت منه حولَ المقاومةِ اليونانيَّة؛ وكان يقرأ كتابَ الحربِ الأهليَّةِ اليونانيَّة Les Kapetanios، لكنِّي أظنُّ أنَّه لم يفهم منه شيئاً، وفي المساء؛ لعبنا الضَّامة في بيتي، كانت حالته تتحسَّن بوضوح، لكنَّ ذكرياته بقيَتْ غائمةً.

مساءَ الإثنين، وبعد أن قضى سارتر يومَه في قراءةِ Les Kapetanios؛ سافرَ إلى قريةِ جوناس Junas، وفي اليوم التَّالي؛ اتصلَتْ بي آرليت، لقد كان

الجوُ جميلاً، وكان سارتر مسروراً لوجودِه في الجنوب؛ حيث كان يقرأ الرِّواياتِ البوليسيَّة، لكنَّه ما يزال يعاني من اضطراباتٍ، ويسأل:«لمَ أنا هنا؟ آه ! لأنَّني مُتعَب!. ثم إنَّنا ننتظر هيركول بوارو Hercule Poirot»، لقد ظنَّتْ أنَّ الرِّواياتِ البوليسيَّة تدفعهُ إلى التَّخريف، وكانت تصحبُه للتَّنزُّه قدرَ إمكانِها، وقد أخبرتني يومَ الجمعةِ أنَّ مزاجَه كان جيِّداً، ويتسلَّى بتسلُّقِ الصُّخورِ في مقالعِ الأدغال، لكنْ بعدَ أن قدِمَ أمينُ سِرِّه بويغ Puig لقضاءِ يومينِ معهما؛ سأل سارتر آرليت بعدَ رحيلِه بحذر: «هل جاء ديديجر Dedijer؟» (ديديجر، أحدُ معارف آرليت لايشبه بويغ في أي شيء)، وعادت يومَ السَّبت لتؤكِّدَ لي أنَّه قد تحسَّن؛ الشَّيءُ العجيبُ أنَّهُ خلالَ يومي الخميسِ والجمعة؛ نسيَ أن يطلبَ قدحَه المعتاد من الويسكي، ثمَّ عرفتُ بعدها أنَّه نسيه يومَ السَّبت أيضاً، وحينَ ذكَّرته بذلك؛ أجابني بانفعال: «ذلك لأنَّي خَرِف».

شعرتُ يومَ الأحدِ صباحاً، وأنا في القطارِ الَّذي يُقلُّني إلى أفينيون بالقلق: أيُّ سارتر سألتقيه؟ وحينما تراءَتْ لي الأشجارُ المزهرةُ، والصَّنوبرُ مرَّةً أُخرى، بعد أن تجاوزت فالانص Valence. بدا لي، أكثرَ من أيِّ وقتٍ مضى، أنَّ العالمَ يتحوَّلُ باتجاهِ الموت.

ترجَّل سارتر من إحدى سيَّارات الأُجرة، أمامَ فندقِ أوروبَّا حيثُ كنتُ أنتظرُه، ورأيتُه بذقنٍ غيرِ محلوقةٍ، وشعرٍ طالَ كثيراً، فبدا لي أنَّ الشَّيخوخةَ قد بلغَتْ منهُ مبلغاً، اقتدتُه إلى غرفتهِ وقدَّمتُ له بعضَ الكُتبِ (حياة ريمون روسيل Roussel، ومراسلات جويس Joyce)، وتحدَّثتُ معه قليلاً، ثمَّ تركته يستريح.

خرجنا بعدَ حلولِ المساءِ وسرنا نحوَ ساحةِ L'Horloge القريبةِ جدّاً، قال لي: «علينا الانعطافُ يساراً»، وكان قولُه صحيحاً، ثمَّ أضافَ وهو يُشيرُ إلى أحدِ الفنادق: «هذا الصَّباح انتظرتكِ أمام هذا الفندقِ بينما كنتِ تدخلين أحدَ المحلَّات»، قلت له إنَّنا لم نتنزَّه بعدُ في أفينيون، إذاً؛ كانت آرليت، لكنَّ آرليت

لم تكنْ قد غادرت سيَّارة الأُجرة، لم يكن سارتر قادراً على تحديدِ هذه الذِّكرى الخاطئة، لكنَّه كان مُتشبِّثاً بها. تناولنا عشاءً رائعاً رافقَهُ نبيذٌ فاخرٌ من نوعِ Châteauneuf-du-Pape، وسكبتُ له، في غرفته، قَدحاً من الويسكي مع كثيرٍ من الثَّلج، ولعبنا الضَّامة قليلاً، لكنْ، كان يصعبُ عليه التركيز الذِّهنيّ.

في اليوم التَّالي؛ كان مُرتاحاً جدّاً حينما تناولنا طعامَ الإفطارِ في غرفته، وأقلَّتنا سيَّارةُ أجرة إلى Villeneuve-lès-Avignon، حيث سبقَ لي الإقامةُ في الفندقِ الَّذي تناولنا فيه طعامَ الغداء قبلَ ثلاثة أسابيع، وتذكَّرتني صاحبتُه، وقالت لِسارتر إنَّ ابنها البالغَ سبعَ سنواتٍ من عمره، سعيدٌ لرؤيته لأنَّهم في المدرسةِ علَّموه قصائدَ له، فدُهشنا لذلك، وحين نهضنا للرَّحيل؛ ناولَتْ سارتر الكتابَ الذَّهبيَّ قائلةً: «أريد توقيعَك من فضلك ياسيِّد بريفير Prevert، قال سارتر: «لكنِّي لستُ بريفير» تاركاً إيَّاها مذهولةً، كما قمنا بزيارةِ حصن سانت أندريه Saint- andré مرَّةً أُخرى، وحينَ هبَّت ريحٌ قويَّة؛ تطايرَ شَعرُ سارتر لقوَّتها؛ لَكَم بدا ليَ هَشّاً آنذاك!، افترشنا العشبَ قليلاً، ثمَّ جلسنا عندَ بابِ الحصنِ فوقَ مقعدٍ نرى منهُ نهرَ الرون Rhône ومدينة أفينيون؛ كان الرَّبيعُ رائعاً، والأشجارُ غزيرةً في إزهارها، والجوُّ لطيفاً يشبه السَّعادة.

أقلَّتنا سيَّارة أُجرة من ساحة فيلنوف إلى الفندق، ورافقَنا البوَّابُ إلى الرَّاهبات لإعطاء سارتر حقنةَ كلِّ يوم، وكان ذلك على مسافةِ عشرين متراً من الفندق، وتركته هناك، ليعودَ بعدَها إلى الفندقِ من دونِ أيِّ صعوبة، وبعد أن تناولنا العشاءَ في ساحةِ السَّاعة Horloge؛ لعبنا الضَّامة، وكان سارتر حاضرَ الذِّهن تماماً.

صباحَ اليوم التَّالي؛ استأجرنا سيَّارةً مع سائقٍ للعودةِ إلى ليبو Les Baux، كان وصولُنا رائعاً؛ حيث رأينا صحراءَ من الحجارة، وطقساً بهيّاً، وسارتر

يبتسمُ مستمتِعاً، وقال لي بنبرةٍ فرِحة: «حينما نسافر معاً هذا الصَّيف...» فقاطعته: «حينما نصل روما، فقال: نعم، لكنَّه كرَّرَ عدَّة مرَّاتٍ: «حينما سنسافر معاً...»، احتسينا قدحاً تحتَ الشَّمسِ في Oustau de Baumanière حيث تناولنا طعامَ الغداء، ثمَّ تنزَّهنا في شوارعِ المدينة الميِّتة، وفي طريقِ عودتنا؛ مررنا بِسان ريمي Saint-Rémy، وكان سارتر يتأمَّلُ الطَّبيعةَ المزهرةَ، نظرَ في ساعتِه، فقلت له مازحةً: «هل لديكَ موعدٌ؟، نعم، أنت تعرفين ذلك جيِّداً، مع تلك المرأةِ الَّتي التقيناها هذا الصَّباحَ في المقهى»، قلتُ: لكنَّنا لم نكنِ اليومَ في مقهى، فقال: «بلى، ونحن نتحدَّث على قارعةِ الطَّريق»، تردَّدَ، ثمَّ أردف: «أو، كان ذلك البارحة»، أقنعتُه بأنَّه ليسَ لدينا أيُّ موعدٍ، وقد قال لي لاحقاً إنَّ ذلك كان انطباعاً عائماً، ولو تركتُه وحدَه لعادَ إلى الفندق مباشرةً، بقينا بعدَها نقرأ جنباً إلى جنب في الغرفةِ، كان يقرأُ ببطء؛ بحيثُ احتاجَ إلى يومينِ لأنهاءِ قراءةِ مجلَّة Le Nouvel Observateur. قال لي أثناءَ السَّهرةِ إنَّ عليكِ العودةُ إلى الكتابة، فقلت: حسناً، لكن حينما تتعافى تماماً.

كان اليومُ اللَّاحقُ، أي ٢١ آذار رائعاً أيضاً، وقال لي سارتر فرِحاً: إنَّه الرَّبيع! استقلَّينا سيَّارةً وذهبنا لرؤيةِ جسرِ غارد Gard.

بينما كُنَّا نحتسي قدحاً من الويسكي في الشُّرفةِ المشمسةِ لفندق Vieux Moulin؛ سألني: «هل يعودُ هذا الجسرُ إلى القرنِ التَّاسعَ عشر؟»، فصحَّحت له المعلومةَ بقلبٍ مُنقبضٍ، وبعد الوجبة؛ تمشَّينا في الدُّروب الممتدَّة خلفَ الفندق، كان سارتر يجلسُ فوقَ كلِّ مقعدٍ في طريقنا، وقال: «كان الطَّعام ثقيلاً»، ولدى عودتِنا إلى أفينيون؛ كان يُكرِّرُ النَّظرَ في ساعته، فقلتُ له: «ليس أمامَنا أيُّ موعد»، فأجابني: «بلى، مع تلك الشَّابَّة...»، لكنَّه لم يلحَّ، وحينَ ذهبَ من أجلِ الحُقنة في العشيَّة؛ التقى بزوجين ينتميان إلى إحدى لجانِ صحيفةِ ليبيراسيون، ولدى عودتِه؛ كانت الشَّابَّةُ بانتظاره عندَ زاويةِ الشَّارع، وتحدَّث معها، كانت فكرةُ الموعدِ مرتبطةً بهذه المرحلة، وفي المساء؛ قمت

بمراجعةِ وقائعِ النَّهار الَّذي قضاه سارتر، فتذكَّرَها كُلَّها بشكلٍ جيِّد، ثمَّ لعبنا الضَّامة، وتجاذبنا أطرافَ الحديث.

في اليوم التَّالي؛ استيقظَ عندَ السَّاعة العاشرة، تماماً معَ وصولِ الإفطارِ، فقلتُ له: «لقد أمضينا أُمسيةً جيِّدةً بالأمس»، تردَّد قليلاً، ثمَّ قال: «لكنِّي، مساءَ أمس، كنتُ أظنُّ نفسي غيرَ مرئيٍّ، لكنَّك لم تحدِّثني عن هذا، هذا ما ظننتُه منذُ وصولي، كنتُ أشعرُ أنِّي في خطر بالنِّسبة للنَّاس، لذلك اعتقدتُ بأنِّي غيرُ مرئيٍّ». وبناءً على إلحاحي؛ قال لي بأنَّه لم يكنْ خائفاً من أحد، لكنْ كان لديه الانطباعُ بأنَّه شيءٌ لا علاقةَ له بالنَّاس، «لكن لديك علاقاتٌ معهم إذا كنت قد أوجدتهم.» زعمَ، خاطئاً، أنَّني كنتُ أطلبُ الوجبات دائماً، باستثناء النَّبيذ، استخلصت من كلامه هذا أنَّه كان مرعوباً تماماً، لا يدرك ما يصيبه، كان يقلِّلُ من أهميَّةِ ما يُصيبه من نسيان، ومن نوباته الهذيانيَّة؛ لكنَّه كان يقول لنفسه: «متعبٌ»، وإلَّا؛ فمريض.

كرَّرَ في اليوم نفسه، بهيئةٍ حزينة: «سأبلغ الثَّمانية والسِّتِّين من عمري!» مرَّتين، وذاتَ مرَّة؛ كُنَّا في باريس، قبل أن تصيبَه النَّوبةُ القلبيَّةُ، فقال لي: «سينتهي بي الأمرُ مقطوعَ السَّاقين! ويمكنني التخلّي عنهما»، لا شكَّ، أنَّه كان يعاني قلقاً يتعلَّق بجسده، وبعمره، وبالموت.

في ذلك اليوم؛ كُنَّا في آرل، وبعد أن تناولنا الغداءَ في مطعمِ جول سيزار Jules César؛ عدنا لرؤية سان تروفيم Saint-Trophime، بمسرحه وحلباته، بدا سارتر كئيباً، وقال لي ونحن في الحلبات: «هل عثرنا على هذا الشَّيء الَّذي فقدناه؟، ما هو؟، ذلك الشَّيء الَّذي كان لازماً لرؤية الحلبات، فقد فقدناه هذا الصَّباح»، كان ذهنُه يغيبُ ثمَّ يعودُ للتَّماسك، وفي سان تروفيم ابتعنا بطاقةً صالحةً فقط لزيارةِ الكنيسة، ثمَّ بطاقةً كاملةً لرؤيةِ المسرح: هل كان يحلم بهذا ؟ على أيِّ حال؛ كان فاقداً لبوصلته، عدنا أدراجَنا عبرَ تاراسكون Tarascon، الَّتي زرنا قصرَها مرَّةً أُخرى. ولدى عودتنا؛ قال سارتر للسَّائق:

«إذاً، اتّفقنا، سندفع أجرَكَ غداً، قلت: لا، لأنّنا غداً سنرحل، ولن نراه مُجدَّداً»، دفع سارتر تاركاً له بخشيشاً ضخماً، وكانت الرّاهبة الّتي تعطيه الحُقَنَ قد قالت له إنَّه سيدفع لهنَّ معاً، في آخرِ يوم؛ ربَّما هذا ما شوَّش تفكيره.

صباحَ اليوم التَّالي: عبَّر لي عن سعادتِه بهذه الإقامة، لكنَّ العودةَ إلى باريس بدت له «عاديَّة»، إذ لم يترك عنواناً لِميشيل فيان، فسألتُه ما إذا كان هذا يزعجُها، فقال: «لا، فهي تعرف أنَّكِ سترحلين من دون تركِ عنوان، بسبب هذا الرَّجل الَّذي ضايقكِ»، أنا؟، طبعاً؛ لأنَّه كان يريد ملاحظاتٍ حولَ مرضي»، أنكرتُ ذلك، فقال لي سارتر بنبرة مندهشة: «طالما اعتقدتُ ذلك»، هذه الذِّكريات الخاطئة، الَّتي تعود إلى اليومِ الأوَّلِ لإصابتِهِ بالنَّوبةِ القلبيَّةِ، لم تكنْ لتثيرَ قلقي كثيراً.

في هذا الصَّباح؛ اتَّصلَ صحفيُّون بِسارتر، لكنَّه رفضَ استقبالهم، احتسينا قدحاً في ساحةِ السَّاعة تحتَ الشَّمس، وأكلنا في الطَّابقِ الأوَّلِ لأحدِ المطاعمِ، كان سارتر يتسلَّى بالنَّظرِ إلى المارَّةِ في الشَّارع، بعدها؛ قمنا بجولةٍ طويلةٍ في المدينةِ من دونِ أن تظهرَ عليه علاماتُ التَّعب، وعند السَّاعةِ السَّادسةِ؛ كُنَّا في القِطار، وتناولنا الطَّعامَ فيه، كانت ليليان سيغل تنتظرنا مع ابنِها في المحطَّة عندَ السَّاعةِ الحاديةَ عشْرةَ والنِّصف، وأقلّانا إلى بيتي.

في اليوم التَّالي؛ قصَّ سارتر شعرَهُ، ممَّا أعادَ إليه كثيراً من شبابه، وتناول الغداءَ مع آرليت، وقال لي إنَّها لم تكنْ مسرورةً منه، لكنْ من دونِ أن يذكرَ السَّبب، إلَّا أنَّ آرليت أخبرتني عمَّا أزعجها هاتفيّاً؛ فقد روى لها سارتر أنَّ عُلَب سجائره قد احترقَت في الجدول؛ وبينما كانت تنظرُ إليه بعينِ الرِّيبة، أضاف: «تظنِّينني أُخرِّف، لكنْ هذه هي الحقيقة»، كما زعمَ أنَّه أجرى مقابلةً مع أحدِ الإنكليز.

بعدَ الظُّهر؛ حملتُ إليه حقيبَته، ونبَّشَ رسائلَه، ونظر في الكتبِ الَّتي أُرسلت إليه، في المساء؛ كُنَّا في بيتي مع سيلفي، وحينها؛ لم يكن قادراً على الحديث، فصعدَ إلى غرفتِهِ حوالي السَّاعة الحاديةَ عشْرةَ والنِّصف لينام.

حينَ استيقظ؛ تذكَّرَ أحداثَ يومِهِ السَّابق تماماً، وبعد الظُّهرِ تقريباً؛ سُرَّ لرؤيةِ شابَّةٍ يونانيَّةٍ كان يُكِنُّ لها الوُدَّ؛ بعد أن كتبَتْ دراسةً حولَه، كان يبدو متيقِّظاً تماماً، لكنِّي كنتُ أتساءل: متى سيُمكنه العودةُ إلى العمل؟.

كُنَّا في بيتي مساءً، ولم يتنبهْ إلى أنَّ سيلفي وضعَتِ الماءَ في زجاجة الويسكي، لم تعجبني هذه الخيانةُ الصَّغيرة: لكنِّي لم أجدْ وسيلةً أُخرى لتخفيفِ حصَّته من المشروب، وخلالَ السَّهرة؛ كرَّرَ قولَه: «سأبلغ الثَّمانية والسِّتين عاماً!»، وقد سألتُه:لِمَ يؤثِّر فيه ذلك على هذا النَّحو؟، فأجاب: «لأنِّي كنتُ أعتقدُ بأنِّي لن أبلغَ السَّابعة والسِّتِّين».

في صبيحةِ اليوم التَّالي؛ عُدنا لرؤية الدُّكتور «B»، فحدَّثته عن حالاتِ التَّشوُّش الَّتي أصابت سارتر بحضوره، وكان يُصغي من دونِ اكتراث، وحينَ رافقهُ الدُّكتور B إلى مختبره لمعاينته؛ لم يجدْهُ بحالةٍ سيِّئةٍ جدّاً، كما أنَّ كتابتَه كانت أفضلَ من المرَّة الماضية، وقال له إنَّ الكحولَ والتَّبغَ أكبرُ أعدائه، ولكنْ؛ كان لا بُدَّ من الاختيار، فاختار منعَه عن الكحول، الَّذي يُمكن أن يُفسِد دماغَه، ولم يسمحْ له بتناول سوى قدحٍ من النَّبيذ عندَ نهايةِ النَّهار، ثمَّ وصفَ له بعضَ الأدوية، وَلدى خروجنا؛ كان سارتر منزعجاً من وجوب تركِ الكحول: «ها أنا أودِّع ستِّين سنةً من حياتي»، وبعدَ قليل؛ انتهزتُ فرصةَ غيابهِ لأتَّصل هاتفيّاً بالدُّكتور B، فقال لي إنَّه إذا أُصيب بنوبةٍ قلبيَّةٍ جديدة؛ فلن يكونَ واثقاً من إمكانيَّة شفائِه، فسألتُه: «هل هو بحالة خطيرة؟»، فقال: «نعم»،كنتُ أعرفُ ذلك، لكنَّ هذا لم يمنعْ من أنِّي تلقَّيتُ ضربةً فوقَ رأسي، كان سارتر يشعرُ بأنَّ حياته مُهدَّدةٌ إلى حدٍّ ما، لأنَّه قال لي مساءً: «لا بُدَّ أن ينتهيَ المرءُ في النِّهاية، المهمُّ أنَّنا قُمنا بما نستطيع، وفعلنا ما كان ينبغي علينا فعلُه».

عندَ استيقاظِه؛ استمرَّ قليلاً في هذيانه، ثمَّ حدَّثني عن مُقدِّمةٍ كان ينبغي عليه كتابتُها ليونانيِّين، وعن أُخرى أيضاً لشابٍّ كان يريدُ الانتحار؛ لأنَّ

والديه كانا يُبقيانه رهنَ الحجز؛ لم يتذكَّر اسمه، لكنَّه كان صديقاً لِهورست Horst وَلانزمان Lanzmann، والحقيقةُ أنَّ أمرَ هذا الشَّابِّ لم يكن مطروحاً على الإطلاق، لكنَّ سارتر، بدا في المساء بحالةٍ جيِّدة، وكانَ مُستسلماً تماماً لفكرةِ الإقلاعِ عن الشرب، وغلبني في لعبة الضَّامة.

اتَّصلتْ بي آرليت صباح اليوم الثَّالث لتقولَ لي إنَّ سارتر يُعاني من دُوار، فهو يميلُ إلى اليمين، ثمَّ يقع، وبعدَ أن استشرتُ الدُّكتور «B» هاتفيّاً؛ نصحني بتخفيفِ عيارِ الأدوية، لكن إذا استمرَّت الاضطرابات؛ فيُستحسنُ أن يخضعَ للمراقبةِ في مشفى سالبيترير *Salpêtrière*. في فترةٍ بعد الظُّهر؛ كان يترنَّح في بيتي

وفي اليوم التَّالي؛ كان توازنه أفضل، إلَّا أنَّه أثناءَ ارتشافه قهوةَ الصَّباح مع ليليان؛ راح يهذي؛ إذ تحدَّث عن موعدٍ جَمَعهُ بعُمَّال... لكنَّنا، في المساء، قضينا سهرةً رائعةً عند سيلفي، وقد صرَّح بمرحٍ: «حينما أبلغ السَّبعين من عمري؛ سأعود لاحتساءِ الويسكي»، وهو ما أراحني؛ لأنَّ ذلك عنى لي أنَّه سيمتنعُ عن تناوله طيلةَ سنتين.

خلالَ بدايةِ شهرِ نيسان هذا؛ كان وضعُه حسناً، رغمَ ضعفِ ساقيهِ وبعضِ الغشاوةِ الذِّهنيَّة، وكان يقرأ باهتمام، كتاباً نقديّاً صغيراً عن مجموعتهِ القصصيَّة؛ **الجدار**، وراحَ يتحسَّرُ لأنَّه لا يعمل، ثمَّ كتبَ رسالةً نشرَتْها *The New york Review of Books*؛ يطلبُ فيها العفوَ عن أمريكيين هربوا من الجيشِ خلالَ حربِ فيتنام.

أمضى بضعةَ أيَّامٍ في جوناس Junas مع آرليت، ثمَّ ذهبتُ مع سيلفي لاصطحابِه في السَّيَّارة إلى سان بول دوفانص، وحينَ وصلنا أمامَ البيت؛ نزلَ سارتر من الشُّرفة حيثُ كان يتشمَّس، وكما في كلِّ مرَّةٍ أعودُ لرؤيتِه بعدَ غياب؛ تركَ في نفسي انطباعاً سيِّئاً، حيث بدا وجهُه مُنتفخاً، وثمَّة شيءٌ من الخدرِ وغيابِ التَّناسقِ في حركاتِه.

انطلقنا نحنُ الأربعة في السَّيَّارة عبرَ مناظر منطقة Languedoc الجميلة؛ حيث الأدغالُ، وأشجارُ الكرمة، والأشجارُ المثمرةُ المزهرة، والهضابُ الزَّرقاءُ البعيدةُ، تجاوزنا منطقةَ la Crau. ومررنا بجانبِ la Camargue، وبانت لنا آرل، ثمَّ توقَّفنا لتناولِ طعامِ الغداء في فندقٍ لطيفٍ عندَ أبوابِ مدينة Aix، بينما بقيت سيلفي نائمةً في السَّيَّارة، انطلقنا بعدَها نحوَ برينيول Brignoles عبرَ ريفِ Aixالَّذي طالما أحببتُه. قال لي سارتر: «تُرى؛ ما هي أخبارُ ذلك الشَّابُ الَّذي اصطحبناهُ معنا؟ هل نسيناه؟»، لكنَّه لم يلحّ، وشرحَ لي، في ما بعد، أنَّ غيابَ سيلفي هو الَّذي شوَّش أفكارَه.

أثناءَ إقامتِنا في سان بول Saint-Paul؛ لم يَعُدْ يُعاني من التَّشوُّشِ الذِّهنيّ، لكنَّه كان يفتقرُ إلى المرونة، وكان الجوُّ مُشمساً جميلاً، والرِّيف بَرَّاقاً، أرادَ أن يقومَ بجولةٍ في السَّيَّارة لرؤيةِ نيس Nice، وكانيو *Cagnes*، وكان *Cannes*، وموجان *Mougins* مرَّةً أُخرى، لكنَّه كان في غرفته على تلكُّؤه المستمر في قراءةِ كتابِ *Les Kapetanios*، ولم يقوَ إلَّا على قراءةِ الرِّوايات البوليسيَّة، قالت لي آرليت بصوتٍ مرعوب: «لا يمكنه الاستمرارُ على هذا الحال!»، كان مُدركاً لحالتهِ، فذاتَ صباح، بينما كان يُشعل سيجارته الأُولى، قال لي: «لم أعُدْ قادراً على العمل... لقد أصبحتُ خَرِفاً...»، لكنَّه بقي مُحافظاً على حُبِّه للحياة، وبينما كنتُ أتحدَّث عن بيكاسو، الَّذي تُوفي عن عمر يُناهز الإحدى وتسعين سنة، قلتُ: «إنَّها سِنٌّ جيِّدة، بمعنى أنَّ أمامَك أربعةً وعشرين عاماً لتعيشَها، فأجابني: أربع وعشرين عاماً، ليس كثيراً».

عادَ مع آرليت، بينما عدتُ مع سيلفي، وحينَ تناولتُ الغداءَ معهُ بعدَ عودتي؛ بدا حيويّاً ودافئاً، وأصغى بانشراحٍ إلى قصَّةِ رحلتي إلى سان بول في باريس، وبعد الظُّهر؛ كُنَّا في بيته، وكان يتسلَّى بفتحِ بريدِه، وتصفُّحِ كتبٍ مُرسلةٍ إليه، لكنْ، في أيَّام أُخرى؛ كان يبدو لي مُتكوِّراً على نفسه، شاحباً ونعساناً، وكان هذا التَّعاقُب بينَ الألمِ والقلقِ يُنهكني.

عدنا لرؤيةِ الدُّكتور B، وأثناءَ معاينتهِ ردودَ فعل سارتر؛ سمعتهُ يقول وأنا في غرفة الانتظار: «جيِّد... جيِّد جِدّاً...» كلُّ شيءٍ جيِّد ما عدا الضَّغط (٢٠/ ١٢)، وحينَ عادا إلى المكتب؛ اشتكى سارتر من خدَرٍ في ذهنه، وقال بنوعٍ من السَّذاجة الرَّائعة: «لستُ أحمقاً، لكنِّي فارغ».

وصفَ الدُّكتور B له مُحرِّضاً، وقلَّل من مجموعِ الأدوية، ثم نصحَ سارتر بقراءةِ الشِّعر، لأنَّه لم يكن قادراً على كتابةِ كتبٍ هامَّة، وبعدَ ذهابِه؛ عادَتْ إلى سارتر عدوانيَّته، وقال مُحتجّاً: «لم يفعل لي شيئاً هذا الأحمق!»، وحين اعترضتُ على قوله؛ أجاب: «كان يمكن لِزيدمان أن يفعلَ ما فعله»، لقد كان في الحقيقةِ يظنُّ بأنَّه سيشفى من تلقاءِ نفسه، إلَّا أنَّهُ كان مخطئاً في هذا قطعاً.

استمرَّت حالتُه في التَّارجح، كان ينامُ بعدَ الظُّهر قليلاً، وبعد أن يستيقظ؛ غالباً ما كان يتلفَّظُ بكلماتٍ غيرِ مفهومة، وبعدَ ظهرِ ذات يوم؛ كانت آرليت تحدِّثهُ عن ذهابها لرؤية فيلم أخرجه لانزمان Lanzmann بعنوان: **لماذا اسرائيل؟**، فقال لها:«لستِ وحدَكِ، فقد ذهبَتْ آرليت أيضاً، آرليت؟، نعم؛ هذا يهمُّها لأنَّها يهوديَّة من شمالِ إفريقيا»، عندها؛ سألته: «وأنا؟، من أنا؟»، استعادَ سارتر ذاكرتَه وقال: «آه! قصدتُ أنَّكِ اصطحبتِ رفيقةً معكِ»، قالت لِسارتر إنَّه في بدايةِ العرضِ كان ثمَّة إنذارٌ بوجودِ قنبلة، وتمَّ تفتيشُ القاعة، وقد أخبرني بأنَّ العرضَ بدأ مُتأخِّراً، ونسيَ السَّبب، لقد كانت الأشياءُ تهربُ منه، وكما لاحظَ أصدقاؤهُ كلُّهم؛ كان بعيداً، ونائماً، وكئيباً، ترتسمُ فوقَ شفتيه ابتسامةٌ جامدة تُعبِّر عن اللَّطافة العامَّة (سببُ الابتسامة شللٌ خفيفٌ في عضلات الوجه).

مع هذا؛ فقد أمضيتُ أمسياتٍ طيِّبةً معه. كان يستمتعُ بعصيرِ الفواكه، وكانت الوجباتُ بصحبةِ سيلفي مُفعمةً بالحيويَّة، تناولَ تيتو غيراسي Tito Gerassi، الَّذي كان يريدُ كتابةَ سيرةٍ ذاتيَّةٍ سياسيَّةٍ حولَ سارتر الغداءَ معه ومعي في مقهى La Coupole، ثمَّ تحدَّث إليه لوحده، ووجدَه بحالةٍ رائعة.

في الحادي والعشرين من شهر أيَّار؛ استأنفَ سارتر حواراتِه مع بيير فيكتور Pierre Victor، وغافي؛ اللَّذان قالا لِليليان سيبفل: «كانَ حاضرَ الذِّهن تماماً كما كان عليه حالُه في السَّابق»، وفي اليومِ نفسِه؛ شاركَ في اجتماعٍ لهيئةِ تحريرِ **الأزمنةِ الحديثة**، وقد وجدَهُ كلٌّ من هورست ولانزمان؛ حيويّاً وذكيّاً، كما كان في السَّابق، ذلكَ بعد أن تركَ لديهما انطباعاً سيّئاً بعدَ عودتِه من الجنوب.

كانت ذاكرتُه ما تزالُ متردِّدةً بالنِّسبةِ لأسماءِ العلم، ولا يتذكَّرُ جيِّداً لحظاتِ مرضه، لا سيما الدُّوار الَّذي كان يُصيبه، وفي بعضِ الأحيان؛ كان يلمِّح إلى«شلِلِه النِّصفيّ»، وقال لي ذات يوم: «لم يكنِ الأمرُ جيِّداً بالنِّسبة لك، أوه! أنا، لم أتنبه لهذا».

كان مسروراً جدّاً لعودتِه إلى إجراء حواراتٍ مع فيكتور وغافي، وخلالَ سهراتنا مع سيلفي؛ كان مرحاً، بل ومُضحِكاً، وفي ١٧ حزيران؛ أجرى مقابلةً مع Francis Jeanson حولَ فترةِ مُراهقتهِ، وتحدَّث فيها عن علاقاتِه بالعنف.

وكانت مشكلتُه الوحيدةُ تكمن في عينيه، فحينَ ذهبَ لرؤيةِ الطبيب كما هي عادتُه كلَّ سنة؛ لاحظ الطبيب أنَّ سارتر فقد ٤/١٠ من رؤيته، أي النِّصفَ تقريباً، ولم يبقَ له سوى عينٍ واحدة صالحة، وكان عليه أن يخضعَ للعلاجِ طيلةَ خمسةَ عشرَ يوماً، وإذا لم نحصلْ على نتائج مُرضية؛ لابُدَّ من التَّفكيرِ بإجراءِ عمليَّةٍ صغيرة.

بعدَ مرورِ خمسةَ عشرَ يوماً؛ لم يعرفْ طبيبُ العيونِ ماذا سيُشخِّص، الحقيقةُ أنَّ سارتر لم يكن يرى فيها بشكلٍ جيِّد، وهو ما كان يُثير قلقَه، أتذكَّرهُ، مائلاً فوقَ عدسةٍ مُكَبِّرة ضخمةٍ قدَّمتها له صديقةٌ يابانيَّة، وينظرُ بقلقٍ، في مقالاتِ الصُّحف، حتَّى عبرَ العدسةِ المكَبِّرة؛ لم يكن قادراً على قراءةِ كلِّ شيء، وقد جدَّدَ هذه المحاولةَ عدَّةَ مرَّاتٍ دونَ جدوى.

بعدَ أيَّامٍ قليلة؛ اتَّصلت بي آرليت لتخبرَني أنَّ الدُّوار عادَ ليصيب سارتر، وأنَّه وقعَ أثناءَ خروجهِ من سريره، بعدَ ظهرِ ذلك اليوم؛ استشارَ متخصِّصاً بالغَ

الشُّهرة، وبينما كان يروي لي هذه القصَّة؛ كان مُحبطاً جدّاً، إذ لاحظَ طبيبُ العيونِ وجودَ جلطةٍ في الوريدِ الصّدغيِّ، ونزيفاً ثلاثيّاً في قعرِ العين، أمّا الدُّكتور B، الّذي حدَّدتُ معهَ موعداً؛ فقد كانَ موقفُه مُشجِّعاً، توقَّفتْ نوباتُ الدُّوار، وعادتْ مشيتُه إلى حالتها الطَّبيعيَّة، لكنَّ الضَّغطَ كان مرتفعاً: ١٢/٢٠، أمّا الأمورُ الأُخرى؛ فقد كانت طبيعيَّة من النّاحية العصبيَّة.

أعطاني الدُّكتور «B» رسالةً إلى طبيبِ العينيَّة يقول فيها إنَّ سارتر يعاني من «اعتلالِ الشَّرايين» الدِّماغيَّة، مترافق بأعراض دوار، وضغطهُ مرتفعٌ، ومعرَّضٌ للإصابةِ بالسُّكَّريِّ، الحقيقة؛ أنَّني كنتُ أعرفُ هذا كلَّه، لكنْ أفزعتني رؤيتُه مكتوباً، وحينَ رأى لانزمان مقدارَ هلعي؛ اتَّصل بأحد أصدقائه الأطبَّاء، الدُّكتور كورنو Cournot، فقال إنَّ سارتر يحتاج إلى عامٍ على الأقلِّ لكي يتعافى، لكن، بعد شفائِه؛ يمكنه العيشُ حتَّى التِّسعين من عمره، وإذا أُصيب بنوبةٍ قلبيَّةٍ جديدةٍ؛ فلا يمكننا توقُّع أنَّها ستكون حميدةً أو خطيرة.

بعدَ استشارةِ طبيبِ العيون مرَّةً أُخرى؛ قال إنَّ نزيفين من ثلاثة قد شُفيا، واستعادَ ١٠/٢ من الرُّؤية، ولا بُدَّ أيضاً من أسبوعين أو ثلاثة أسابيع لكي يستعيدَ بصرَه كاملاً، بقي سارتر قَلِقاً، وأثناءَ وجبةِ غداءٍ جمعتهُ بصديقين يحبُّهما كثيراً هما روبير غاليمار، وَجانين أرملة ميشيل؛ لم ينبس ببنتِ شفه أبداً، وبعد مغادرتهما قالَ لي بقليلٍ من القلق: «ألم يكن لهذا مظهراً غريباً؟»، لكن إجمالاً؛ كان يتعاملُ مع مرضِهِ بصبر، وفي حواراتِه مع فيكتور وغافي؛ لم يكنْ يتكلَّمُ كثيراً، لكنَّه كانَ يتابعُ المناقشاتِ باهتمام، ويتدخَّل في الوقتِ المناسب، كما شاركَ في حوارٍ مع الشَّبابِ العاملينَ في Villeneuve-la-Garenne، حيثُ ذهبَ لإجراء تحقيقٍ نشرتْهُ صحيفةُ ليبيراسيون، ووقَّعَ نداءً يستنكر فيه منعِ ندوةٍ يقيمها Ordre nouveau.جرت النَّدوةُ في منتصفِ شهرِ حزيران، حيث هاجمَ قرارَ مارسولان Marcellin في صحيفة ليبيراسيون. وكان خلالَ اجتماعِ **الأزمنة الحديثة**، في ٢٧ حزيران مرِحاً جدّاً، وبقي كذلكَ

خلالَ الأيَّامِ التَّالية،كما كان الدُّكتور B مسروراً جدّاً لما آلتْ إليهِ صحَّتُه، وبدا لِسارتر أنَّ بصرَه كان يتحسَّن.

وكما جرتِ العادةُ؛ قضى ثلاثةَ أسابيعَ مع آرليت، وسافرتُ أنا إلى الجنوبِ مع سيلفي، وكانت آرليت تخبرني أنَّ أحوالَه جيّدة، لكنَّ المشيَ كان يُتعبُه، وأنَّه يقرأُ بصعوبة.

ذهبنا للقائِه في جوناس بتاريخ ٢٩ تمُوز، لاصطحابِه إلى البندقيَّة، حيث كان ينبغي أن يلتقيَ بِواندا Wanda، هذه المرَّةَ أيضاً؛ كانت رؤيتي لِسارتر مزيجاً من السَّعادة والحزن؛ بسببِ شفتِه المعوجَّة، وسوءِ رؤيته، وحيث اتَّخذَ وجهه شكلاً جامداً، وبدا مُسِنّاً مُفتقِراً إلى المرونة.

لكنَّ الأيامَ الأربعةَ الَّتي قضيناها بين جوناس والبندقيَّة؛ كانت جميلةً، وكان سارتر مبهوراً، وشارداً، لكنَّه كان فرِحاً. وبرغمِ سوءِ رؤيته؛ إلَّا أنَّه كان قادراً على تمييزِ المناظرِ، وتُسلِّيهِ الحركةُ، تجاوزنا مدينةَ نيم Nîme، باتِّجاهِ Durance، وتجنَّبنا آرل Arles وإكس Aix بسببِ الازدحام . تناولنا غداءً شهيّاً جدّاً في قصرِ ميرارغ Meyrargue، واحتسى سارتر قدحاً من نبيذ *Châteauneuf*، وَحجزنا غُرفاً في *Bastide du Tourtour*.أثناء تلك الرحلة سلكنا طُرقاً ممتعة، وكان المنظرُ من شرفاتِنا مُثيراً حيث بدت لنا غاباتٌ من الصَّنوبرِ وجبالٌ زرقاءُ من بعيد.

حينما التقيتُ سارتر صبيحةَ اليومِ التَّالي؛ كان جالساً في شرفتِه منذُ أكثرَ من ساعةٍ، فهل كان يتأمَّل المنظرَ الرِّيفيَّ الرَّائع، أم تَرى كان ينتابه الضَّجر؟، لا؛ كان يحبُّ النَّظرَ إلى العالمِ من دونِ أن يفعلَ شيئاً، ففي جوناس؛ كان يجلس في الشُّرفةِ لأوقاتٍ طويلة، متأمِّلاً القرية، وكنتُ مسرورةً؛ لأنَّ البطالةَ لم تثقلْ عليه، لكنَّ قلبي كان مُنقبضاً، إذ لكي يعجبَه ذلك؛ فلابُدَّ أن يكونَ «ذهنُه فارغاً» فعلاً، كما سبق أن قالَ للطَّبيب.

نصَحَنا بوست بالذَّهاب إلى مطعمِ Chez Francine لتناولِ حساءِ السَّمك بِالآيولي Aïoli، وهو ما كان لِسارتر رغبةٌ فيه. جلسنا في شرفةِ المطعمِ الصَّغير، ثمَّ جِيءَ لنا بالحساءِ، وسرعانَ ما قلبَ الصَّحن فوقَ قدميه. لم تقعْ خسائرُ كبيرة، نظَّفنا حذاءَه، وجاءت النَّادلةُ له بحساءٍ آخر، كان ما يزالُ يفتقرُ إلى المهارة، وبدا فاقداً للبوصلة بسببِ سوءِ بصره، وقد تلقَّى الحادثَ بلا مبالاةٍ غير طبيعيَّة، كما لو أنَّه لم يعُدْ يشعرُ بالمسؤوليَّة إزاءَ حركاتِه، وغيرُ معنيٍّ بما يحصل له.

وصلنا جنوة Gênes عبرَ الطَّريقِ السَّريعِ المزدحمِ بالشَّاحنات، وكان دخولُ المدينةِ أمراً شاقّاً. لكنَّ سارتر كان أبعدَ ما يكونُ عن نفادِ الصَّبر، لذلك كان مزاجهُ رائعاً، وأقمنا في فندقٍ قريبٍ من المحطَّة، و تناولنا فيه عشاءً خفيفاً.

مرَّةً أُخرى؛ وجدتُ سارتر خلفَ نافذتهِ حوالي السَّاعة التَّاسعة والنِّصف، فبعدَ أن نهضَ عندَ السَّاعة السَّابعة والنِّصف؛ راح يتسلَّى بالنَّظرِ إلى حركةِ السَّير، كان يشعرُ أنَّه في إيطاليا، وهو ما يبعثُ البهجةَ في نفسه. تناولنا الغداءَ في فيرون Vérone، ونزلنا في فندقٍ غُرفُهُ جميلةٌ جدّاً وذاتُ نمطٍ باروكيٍّ، وهو فندق سبق أن أقمتُ فيه مع سارتر قبلَ عشرةِ أعوام. وبينما كان في قيلولته؛ قمتُ بنزهةٍ مع سيلفي، ثمَّ ذهبنا ثلاثتُنا لتناولِ قدحٍ في أحدِ المقاهي الكثيرةِ في السَّاحة الكُبرى، بالقربِ من حلباتِ المصارعة، ولأنَّ سيلفي كانت متعبةً؛ فقد تناولتُ العشاءَ لوحدي مع سارتر في مطعمٍ قريب من الفندق. كان يمشي بخطىً متثاقلة، لكن من دونِ صعوبةٍ بالغة، وبدا بالغَ السَّعادة.

في البندقيَّة؛ تركَتْ سيلفي السَّيَّارة في مرآبِ ساحةِ روما Piazza Roma الواسع، ثمَّ ركبنا جندولاً بعد أن تركْنا سارتر في فندقهِ الواقعِ على القنالِ الأكبر، كما ذهبنا إلى فندقِ كافاليتو Cavaletto الواقعِ خلفَ ساحة سان مارك

Saint-Marc، ثمَّ عُدنا لاصطحابِ سارتر، وأعطيناه مذياعَ الترانسيستور ليتمكَّنَ من الاستماعِ إلى الموسيقا في الصَّباح، ونامت واندا في الغرفةِ المجاورة.

رافقَنَا إلى Fenice لتناولِ الغداء، بعد أن تاهَ في طريقهِ قليلاً، ولكي يحمي رأسَه من الشَّمسِ الَّتي تُشكِّلُ خطراً عليه؛ وضعَ قُبَّعةً من القشِّ، كان يكرهُها، وقال لي لاحقاً في روما: «إنَّني خجلٌ من هذه القُبَّعة»، وبعدَ أن احتسينَا كؤوساً من «الكوكتيل» في ساحةِ سان ـ مارك؛ عُدنا إلى الفندقِ الَّذي يُقيمُ فيه، ومن هناك؛ استقلَّ قارباً سيَّاراً إلى المطارِ لملاقاةِ واندا، كان واقفاً في القارب، ولوَّح لنا بيديهِ مُبتسماً ابتسامتَه اللَّطيفة جدّاً، بل؛ بالغةَ اللُّطف، والَّتي لم تكنْ تفارقُ شفتيهِ إلَّا نادراً، لقد كنتُ خائفةً عليه، من دون سببٍ مُحدَّد، لقد بدا لي هَشّاً للغاية.

بعدَ يومين، في الثَّالثِ من آب، التقيتُهُ عندَ السَّاعة التَّاسعة صباحاً في أحد مقاهي ساحةِ سان ـ مارك، وكذلك في الأيَّامِ الثَّلاثةِ التَّالية، كان يصلُ قبلي في بعضِ الأحيان، إذ كان يستيقظُ السَّاعة الرَّابعة صباحاً ويرتدي ملابسَه، لأنَّه لم يكنْ قادراً على رؤيةِ السَّاعة، لكنَّه يدركُ أنَّ اللَّيلَ ما يزال مُخيِّماً، فيعود إلى النَّوم. وكانت واندا تعطيه أدويتَه بحذر، ويتنزَّه كثيراً برفقتها، وأحياناً تطولُ النُّزهة أكثرَ من ساعة، لشدَّةِ محبَّته للبندقيَّة.

ثمَّ ذاتَ صباح؛ تركتُه، ولم أرغبْ في إجبار سيلفي على البقاء في البندقيَّة، الَّتي بدأتْ بحفظِ معالمِها عن ظهرِ قلب، ولئن كانت هذه المواعيدُ الصَّباحيَّةُ تعجب سارتر (قال لي: «سأشتاق إليكِ»)، إلَّا أنَّها كانت مزعجةً له، تركتُ بعضَ العناوينِ مع واندا، ثم رحلتُ إلى فلورنسا.

وصلتُ روما في الخامسَ عشرَ من شهرِ آب، وبعد ظهر السَّادسَ عشرَ؛ كنتُ مع سيلفي بانتظارِ سارتر في فيوميسينو Fiumicino، عرفناهُ مباشرةً من خلفِ الزُّجاج؛ من خلالِ قُبَّعته وقامتِه، وخصوصاً من طريقةِ مشيتِه،كان يُمسكُ حقيبةَ

السَّفر بإحدى يديه، والمذياعَ الصَّغير بالأُخرى، ولقد سُرَّ كثيراً بالعودةِ إلى شُرفته في الفندق، كانت صحَّتهُ جيِّدةً جدّاً، لكنَّه بقي غيرَ قادرٍ على التَّكيُّف.

وضعَت سيلفي المذياعَ فوقَ الطَّاولة، فسألها: «ألا تريدينَ الاحتفاظَ به لنفسِك؟، لا، إنَّه لك، أوه ! أنا لستُ بحاجة إليه»، لكنه اعترفَ لاحقاً؛ أنَّه يصعبُ عليه الاستغناءُ عنه...

في الأيَّام اللَّاحقة؛ كنتُ أنهضُ من نومي حوالي السَّاعةِ الثَّامنةِ والنِّصفِ صباحاً، فأجد سارتر جالساً في الشُّرفة لتناولِ إفطاره، وينظرُ إلى العالَم بشرود، وكان يرى نفسَه فيه بحالةٍ أسوأ ممَّا كان عليه في شهر آب، ولم يعدْ قادراً على القراءةِ أو الكتابة، طلبتُ من ميشيل الاتصالَ بطبيبِ العينيَّة الَّذي قال: لا شكَّ إنَّه مصابٌ بنزيفٍ جديد، وينبغي مراجعةُ متخصِّصٍ فوراً حيثُ يقيم، أخبرني الفندقُ بوجودِ طبيبٍ يُقال إنَّه الأشهَرُ في روما، فهو مَن عالجَ كارلو ليفي Carlo Levi من انفصالِ الشبكيَّة، وحدَّد لي موعداً ظهرَ اليوم التَّالي. كان يسكنُ في حيِّ Les Parti، وهو حيٌّ مفتوحٌ وشرحٌ يقعُ في الطَّرفِ الآخرِ من نهرِ التيبر Tibre.

كان شابّاً لطيفاً، لاحظَ وجودَ نزيفٍ في مركز العين، ولا يمكن فعلُ أيِّ شيء، سوى الانتظارِ، كما كان يُعاني من بداية زَرَق، وضغط عالٍ في العين، فوصفَ له قطرةَ بيلوكرابين، وأُخرى من نوع دياموكس.

في الزِّيارةِ الثَّالية؛ كان ضغطُ العينِ قد انخفض، لكنِّي كنتُ قد قطرت سارتر بِالدياموكس في الصَّباح نفسِه، وحينما عادَ من دونِ أخذِ هذه القطرة؛ كان الضَّغطُ أعلى، لكن ليسَ بشكلٍ مُفرط.

كان طبيبُ العيونِ يأملُ أن يكونَ البيلوكرامين كافياً لتحييدِ الزَرَق، وخلالَ الاستشارةِ الأخيرةِ؛ رفضَ أن يُسدِّد سارتر له أتعابَه، واكتفى بطلبِ إهدائِه أحدَ كُتبِه، جاءَ له سارتر بثلاثةِ كتبٍ عليها كلماتٌ بشكلٍ عشوائيِّ. وكان يحبُّ هذا الطَّبيبَ كثيراً لتشجيعهِ له ولطبيعتِه الودودة.

كُنَّا مُرتاحَينِ للرُّوتينِ الَّذي يخيِّمُ على أيَّامنا. في الصَّباح؛ كنتُ أقرأ لسارتر (قرأت له في هذه السَّنة دراساتٍ عن فلوبير، وعدداً من مجلَّة **الأزمنة الحديثة** حولَ تشيلي، وآخرَ كتابٍ لِهورست Horst[1]، وكتاب Le Roy La durie، ومؤلَّفَينِ ضَخمين حولَ اليابان، وكتابَ **الحياة الصَّعبة تحتَ الرُّعب** لِماتييز Mathiez)، وبعد أن يتناولَ وجبةً خفيفة؛ كان ينامُ لساعتينِ تقريباً، أثناءَ ذلك؛ كنتُ أتنزَّهُ معَ سيلفي، أو نقرأ شيئاً، جنباً إلى جنبٍ في الجزءِ المسقوفِ من الشُّرفة.

كان الجوُّ حارّاً رغمَ برودة هواءِ المكيِّف، لكنِّي كنتُ أحبُّ تلكَ الحرارة، والظلَّ الخفيفَ، ورائحةَ الجلدِ الاصطناعيِّ، وبعد أن استيقظَ سارتر؛ قرأتُ له الصُّحفَ الفرنسيَّة والإيطاليَّة، وفي المساء؛ تناولنا العشاءَ عندَ سيلفي، كان سارتر يثيرُ قلقي خلالَ الوجبات، ولم يعدْ يعاني من السَّلس البوليِّ، أو يشرب الكحولَ أو الشَّايَ أو القهوةَ إلَّا ما هو مسموحٌ له به، وكان أكثرَ ما يُزعجني هو رؤيتُه يلتهمُ المعكرونةَ والمثلَّجات، بسببِ استعدادِهِ للإصابةِ بالسُّكريِّ، ثمَّ بسببِ تعويضتهِ السِّنيَّة، وغيابِ الإحساسِ تقريباً عن شفتيْهِ، ونصفِ عماه، وكان يأكلُ بطريقةٍ سيِّئة؛ فترى محيطَ فمهِ مُلطَّخاً بالأطعمة، وكنتُ أخافُ إثارتَه إن طلبتُ منه تنظيفَه. كان يتعاركُ مع السباغيتِّي، وهو يلفُّ لُقماً ضخمةً؛ فتقعُ من فمه، كما كان يقبلُ أن أقطعَ له اللَّحمَ بصعوبة، أمَّا من النَّاحيةِ الفكريَّة؛ فقد كان، في أغلبِ الأحيانِ، حاضرَ الذِّهن؛ وذاكرتُه جيِّدة، لكنَّه كانَ يشردُ من وقتٍ لآخر، وهو ما كان يُزعجني في بعضِ الأحيان، وفي أحايينَ أُخرى؛ كانت دموعُ الشَّفقةِ تطفرُ من عيني حينَ قال لي، على سبيل المثال،: «أحسُّ بالخجل من هذه القُبَّعة»، أو عندما يُتمتمُ لدى خروجهِ من المطعم: «النَّاس ينظرون

(١) كان هورست يصدر كتبه باسم Gorz، وصارت مقالاته تظهر في الأزمنة الحديثة، بهذا الاسم. في هذا السّرد، حافظتُ على اسمه الحقيقيGroz.

إليّ!» بنبرةٍ تعني «إنَّهم يرونني وضيعاً»، كما كنتُ أُذهَلُ من مزاجهِ المرح، وصبرِهِ، واهتمامِه بعدَ رغبتهِ في أن يكونَ ثقيلَ الظلّ؛ فلم أسمعْهُ يشكو أبداً من أنَّه لم يعُدْ يرى الأشياءَ بشكلٍ جيِّد.

ترجمتُ لِسارتر عددَ مجلَّة Aut Aut الَّذي خصَّتهُ به، كما نشرتْ نصَّ مداخلتِه «الذَّاتيَّةِ والماركسيَّة»، الَّتي كان قد ألقاها في معهدِ غرامشي عام ١٩٦١، إضافةً إلى مقالاتٍ تدورُ حولَه، وكُنَّا نلتقي خلالَ فتراتٍ متباعدةٍ مع ليليو باسو Lelio Basso، وروسانا روساندا.

في اليومِ التَّالي الَّذي غادرَتْنا فيه سيلفي، لتعيدَ السَّيَّارة إلى باريس في الخامس من أيلول؛ زارتنا أليس شوارزر Alice Schwarzer، وهي صحفيَّةٌ ألمانيَّةٌ تعرَّفنا إليها خلالَ اجتماعاتِ حركةِ تحريرِ النِّساءM.L.F، كنت أُكنُّ لها مودَّةً شاركَني فيها سارتر، وقد صوَّرت فيلماً عنِّي للتّلفزيونِ الألمانيِّ، ورافقتْنَا إلى شرفتِنا بعدَ نهايةِ النَّهار، وأعددنا معها عشاءً لطيفاً، كما جاءَ صديقانا بوست وزوجته لقضاءِ بضعةِ أيَّام في روما.

كنتُ قلقةً وأنا على عتبةِ الرَّحيل؛ أُلقي نظرةً أخيرةً على المدينة، فسألتُ نفسي: «هل سنعود يوماً؟». لدى عودتي إلى باريس؛ كتبتُ: «هكذا انتهتْ هذه العطلةُ الرُّومانيَّة وطلاوتُها الحزينة»، كان الخريفُ رائعاً، لكنِّي كنتُ أخشى على سارتر من تعبِ باريس.

استبدلَ سارتر سكنَهُ في شارعِ راسباي Raspail لضيقِهِ، فعَثَرتْ له كلٌّ من سيلفي وآرليت على شقَّةٍ أكبر؛ تقعُ أيضاً في الطَّابق العاشر، وكان في البناءِ مصعدان، ومكتباً كبيراً يُطِلُّ على شارعِ Départ، يرى النَّاظرُ منهُ أعلى برجِ مونبارناس، وبرج إيفل من بعيد. شَغَلَ سارتر إحدى الغرفتينِ اللَّتينِ تُفتحُ نوافذهما على حديقةٍ داخليَّة، وتُركت الأُخرى لمن يريدُ النَّومَ فيها؛ كي لا يبقى وحيداً خلالَ اللَّيل، وقد سبقَ لِسارتر زيارةُ هذا السَّكنِ الجديدِ قبلَ تأثيثه، فأعجبَه.

كان سارتر ذا مزاجٍ رائعٍ، ورؤيتُهُ تحسَّنت، كما قال، لكنَّه لم يكنْ قادراً بعدُ على القراءة، بل على لعبِ الضَّامة فقط.كان يتحدَّثُ بشيءٍ من الرِّضى عن النَّفسِ عمَّا كان يُسمِّيه «مَرَضي»، قال لي: «صرتُ بالغَ الضَّخامة، بسببِ مرضي؟»، وبينما كُنَّا في طريقنِا إلى تناولِ طعامِ الغداء؛ قال لي: «لا تُسرعي في مشيتِك، فأنا لا أستطيعُ مجاراتِك بسببِ مرضي»، قلت له: «لكنَّك لم تعُدْ مريضاً»، فردَّ: «إذاً، ما الَّذي أنا عليه؟ هل تضاءلتُ؟»، أزعجتني هذه الكلمةُ، فقلتُ: «لا، ساقاكَ ضعيفتان فقط»، لكنِّي لم أكنْ أعرفُ ما الَّذي يظنُّه حولَ حالته.

لكنْ، بعدَ عدَّةِ أيَّامٍ؛ شعرَ بالتَّعب: «رأيتُ كثيراً من النَّاس، بينما لم نكنْ نرى أحداً في روما»، كيفَ سيحتملُ توتُّراتِ المحاكمةِ الَّتي ستجري في ٨ تشرين الأوَّل؟ إنَّها قصَّةٌ قديمةٌ، ففي شهرِ أيَّار من عام ١٩٧١؛ طالبَتْ مجلَّةُ Minute بسجنِ سارتر بناءً على مقالاتٍ مُنتقاةٍ من صحيفةِ **قضية الشَّعب**، ومجلَّة Tout، واتَّهمهُ كلٌّ من وزيرِ العدلِ ووزيرِ الدَّاخليَّةِ بالتَّشهيرِ، لكنَّه تُركَ حُرّاً، فقضى عطلتَه في إيطاليا، وفي شهرِ تشرينَ الأوَّل فُتحَ التَّحقيقُ ثمَّ أُغلق، وفي شهرِ شُباط من عام ١٩٧٢؛ لم نكنْ نعرفُ تاريخَ توجيهِ الاتِّهام، أمَّا الآن؛ فقد حُدِّدَ التَّاريخ.

في الثَّامنِ من تشرين الأوَّل؛ سيمثُل سارتر أمامَ المحكمةِ بوجودِ ثماني محرِّرين كانوا يطالبونَ بتعويضِ عُطلٍ وضررٍ قدرهُ ثمانمائة فرنكٍ فرنسيّ عن التَّشهيرِ والقذفِ والتَّهديدِ بالموتِ، هنا؛ لا بدَّ من القولِ إنَّ صحيفة **قضية الشَّعب** لم تكنْ لطيفةً معهم؛ فقد وصَفتهُم بالنُّفاياتِ، والقذرينَ... و«محترفي الدَّعوةِ إلى القتل»، وقد رمى مسؤولو **قضية الشَّعب** بالاستدعاءاتِ الَّتي وُجِّهت إليهم في سلَّةِ المهملات، وسقطَ حقُّ سارتر بالتَّقادم، ولكي يقومَ بهجومٍ مُعاكسٍ؛ كان عليه استدعاءُ الشُّهودِ مؤكِّداً بأنَّ له الحقَّ بالتَّفكيرِ بأنَّ ما نشرتهُ صحيفتُه ناجمٌ عن حسنِ نيَّة، مع نهايةِ شهرِ أيلول؛ بدأنا بالعملِ على ملفٍّ

مجلَّةِ Minute الَّذي أرسله لنا محامي سارتر، وجيزيل حليمي[١]، فوضعنا الخطوطَ العريضةَ للتَّصريحِ الَّذي سيلقيه أمامَ المحكمة.

لكنَّ حالتَه لم تكنْ على ما يُرام؛ فقد تعطَّلَ مصعدُ شقَّتِه، وصعدَ إلى الطَّابقِ العاشرِ سيراً، فأُصيبَ بآلامٍ في رقبته. قابلَ الدُّكتور «B» الَّذي لم يجدْهُ بوضعٍ جيِّد أو سيِّئ، وطلبَ فحصاً شاملاً، ولدى استيقاظِهِ في اليومِ التَّالي؛ بدا مبهوراً، وهي حالةٌ لم تُصبْهُ منذُ زمنٍ بعيد، قلتُ له: «اليومَ ينبغي أن تذهبَ إلى طبيبِ العيون، لا، ليس طبيب العيون، بلى؛ أريد أن أذهبَ إلى الطَّبيبِ الَّذي عالجني بعد الدُّكتور «B»، إنَّه طبيبُ العيون، آه، فعلاً؟». سألَ ما إذا كان الدُّكتور «B» هو الَّذي وصفَ له قطرةَ البيلوكرابين، وكان يكرهُ الاستشارةَ المتعلِّقةَ بعينيه، والتَّفكير بهما، ذهبَ إلى طبيبِ العيونِ برفقةِ كلٍّ من آرليت وليليان، وبعدَ عودتِهم؛ قال لي إنَّه لن يستردَّ بصرَه أبداً، ولن يتمكَّنَ من القراءةِ لفترةٍ طويلةٍ، استقبلَ هذه الفكرةَ بنوعٍ من اللَّامبالاة الحزينة، لقد أخبرني زيدمان أنَّه يُعاني من جلطةٍ تؤدِّي في النِّهايةِ إلى نزيف.

بقيَ في بيتي كثيراً أثناءَ نقلِ أثاثِهِ الَّذي تكفَّلَتْ به آرليت وليليان، وفي ٢٦ أيلول؛ وقَّعَ نداءَ اتِّحادِ الكُتَّابِ ضِدَّ القمعِ في تشيلي، وآخرَ ضِدَّ صمتِ الإعلامِ الرَّسميِّ عمَّا يدورُ في هذا البلد،كُنَّا نضبطُ تصريحَه بخصوصِ Minute، ثمَّ حفظَهُ عن ظهرِ قلبٍ، ما عدا البداية؛ حيث لم يتمكَّنْ من تثبيتِها في ذاكرتِه، وكنتُ أتساءلُ كيف سيتصرَّف، كانت أمسياتُنا حلوةً، لكنَّه كان يُصابُ بنعاسٍ ثقيلٍ في فترةِ بعدَ الظُّهر.

في الثَّامن تشرين الأوَّل؛ جاءَت جيزيل حليمي وأحدُ مساعديها الشُّبَّان بسيَّارتِها لاصطحابِنا لتناولِ الغداءِ في Porte Dauphine، قالوا لي إنَّهم كانوا

---

(١) جيزيل حليمي: ولدت في تونس عام ١٩٢٧. محامية ومناضلة في الحركة النّسويّة، وسيّدة سياسيّة.

خائفين؛ أمَّا سارتر فلا، لأنَّه كان غائباً، كما صارَ عليه حالُه الآن، توجَّهنا إلى الغرفة ١٧، وشهدنَا، خلالَ ساعةٍ، أحكاماً سريعةً حولَ جناياتٍ صغيرة، وعندَ السَّاعة الثَّانية؛ تمَّت الدَّعوةُ للنَّظرِ في قضية سارتر، لم يكنْ أيٌّ من المتعاونينِ مع مجلَّة Minute حاضراً، وأضافوا بياغي Biaggi إلى محاميهم المعتاد، بدأنا بنقاشاتٍ إجرائيَّة، ثم طُلِبَ من الشُّهودِ الخروجُ، وتناولَ سارتر الكلامَ، فهاجمَ المجلَّةَ،كما اتَّفقنا، وكان هجومُه قويّاً، لكنَّه أخطأ في التَّلميحِ إلى اختطافِ نوغريت، حيثُ وضعَهُ رئيسُ المحكمةِ في موقفٍ مُحرج، بعدَ ذلك؛ تمَّ الاستماعُ إلى الشُّهود، وكان دانييل ماير D.Mayer غريباً في مواجهتِه لِبياغي؛ فقد تجرَّأ هذا الأخيرُ على القولِ بأنَّه هاجمَ سارتر بسببِ مسرحيَّتِهِ **الذُّباب**، أجاب دوبو بريدل Debû-Bridel[1] إنَّ عدداً لابأسَ به من المقاومين، منهم بولان Paulhan، يرونَ أنَّهم كانوا قادرينَ على التَّعبيرِ أمامَ النَّاس، تحتَ الاحتلالِ، إذا كان ذلك مفيداً، وهو ما جرى معَ مسرحيَّةِ الذُّباب، أمَّا كلود مورياك؛ فقد تركَ نفَسه مثبطاً: ولم يكن حضوره إلا بدافع صداقته مع سارتر، بعد ذلك جرَتْ مناقشاتٌ إجرائيَّةٌ، وتخلَّت مجلَّةٌ Minute عن ملاحقةِ سارتر بتهمةِ السَّبِّ والقذفِ، ولم تبقَ ضِدَّه سوى التَّهديدات، عاقبنا محاميه الشَّابّ بمرافعةٍ حماسيَّةٍ وفارغة: طلب منه الرَّئيس، بطريقةٍ جافَّة، الكفَّ عن الاستمرارِ في الطَّرقِ فوقَ الطَّاولة، لأنَّه كان بهذا يؤثِّرُ على مُكبِّراتِ الصَّوت، ثمَّ انهالَ بياغي بالشَّتائم، ويبدو أنَّه كان جاهلاً بالملفِّ، وإلَّا؛ لوجدَ في صحيفة **قضية الشَّعب** هنَّات كثيرةً بدلاً من الاكتفاءِ بالطَّعن والمُقتبساتِ الأدبيَّة، ثمَّ تكلَّمت جيزيل حليمي لأكثرَ من ساعة، ووضعَتْ لائحةَ اتِّهامٍ قاسيةً ضِدَّ Minute، مثل الإحالاتِ إلى التَّنظيمِ الإرهابيِّ O.A.S [منظمة الجيش السِّرِّيِّ]، والدَّعوات إلى

---

(١) جاك ديبو بريدل (١٩٠٢-١٩٩٣):سياسيّ فرنسيّ، ونائب في البرلمان ـ وسيناتور ديغوليّ، ومدير قسم الأخبار في إذاعة مونت-كارلو. كان من الدّيغوليّين اليساريّين.

القتل، والعنصريَّة، ونبَّهها رئيسُ المحكمة أكثرَ من مرَّة إلى أنَّ القضيَّةَ في مكانٍ آخر، لكنَّه كان يسمحُ لها بمتابعةِ الكلام، وقبلَ رفعِ الجلسةِ؛ ألمحَ إلى أنَّه، لكي لا يدينَ Minute مرَّةً أُخرى؛ سيتمُّ إلغاءُ المحاكمة؛ لأنَّ الاقتباسَ الَّذي كان يخلطُ الشَّتائمَ بالتَّشهير غيرُ مقبول[١]. ثمَّ خرجنا مسرورينَ لانتهاءِ هذه القضيَّة.

مساءً؛ اتَّصَلت بي جيزيل حليمي لتخبرَني بأنَّ صحفيِّين من صحيفة France - Soir يضغطونَ عليها بالسُّؤال: «ماذا حلَّ بِسارتر؟ لم تكنْ هيئتُه على مايُرام»، وكأنَّهم من أكلةِ لحومِ البشر، فأجابتهم: «إنَّه في نقاهة»، ثمَّ سألوها، بدونِ أدنى حياء: «إذا وقعَ شيءٌ ما، هل ستُخبرينَنا؟ «الحقيقة أنَّ سارتر كان يترك أثراً مؤلماً في مَن يرى ساقيه المترنِّحتين، وبدانتِه، ونظرتِه الغائمة، وقد بدَت سيمون سينيوريه Simone Signoret[٢]، الَّتي رأيناها عندَ تقاطعِ ساحةِ دوفين، مذهولةً لدى رؤيتها له، وهو ما كان يعرفه إلى حدٍّ ما؛ فذاتَ يومٍ؛ كُنَّا نمشي في شارع Delambre في طريقنا إلى مطعمِ Dôme لتناولِ الغداء، سألني: «أليس لي هيئةُ العاجز؟»، فطمأنتُه كاذبةً.

بعدَ ظهرِ يومِ المحاكمة؛ ذهبَ سارتر برفقةِ آرليت، لرؤيةِ طبيبِ العيون، الَّذي قال له صراحةً إنَّ الشبكيَّة عندَه معطوبةٌ، معطوبةٌ جزئيّاً في المركز، وبالتَّالي؛ ليس له أملٌ بالشِّفاء، كان من المقرَّر أن يُقدِّم له أحدُ صانعي النَّظارات جهازاً خاصّاً، يُستخدمُ للرُّؤية الجانبيَّة، رُبَّما يسمحُ له بالقراءةِ لمدَّةِ ساعةٍ في اليوم.

كان سارتر في اليومِ التَّالي مذهولاً، فقلتُ له: أنهكتكَ المحاكمةُ؟ فرد قائلاً: «لا ليس المحاكمة، بل زيارةُ الطَّبيب»، الزِّيارةُ في حدِّ ذاتِها لم تكن

---

(١) الحقيقة أنَّ سارتر قد حكم، في النِّهاية، بفرنك فرنسي واحد كتعويض عطلٍ وضرر، وبمبلغ ٤٠٠ فرنك غرامة.

(٢) سيمون سينيوريه (١٩٢١-١٩٨٥): ممثِّلة وكاتبة فرنسيّة مشهورة.

مُتعِبةً، بل؛ لأنَّ الطَّبيبَ قد وجَّه إليهِ ضربةً رهيبةً، في المساء، حينَ جاء بوست، وحدَّثتُه عن المحاكمة؛ لم يفتح سارتر فمَه بكلمة، وذهبَ ليأوي إلى فراشِه عندَ منتصفِ اللَّيل تماماً.

في الثَّاني عشر من تشرين الأوَّل؛ خضعَ لفحصٍ شاملٍ في مشفى لاسالبيترييِر، حيث رافقَتْهُ آرليت ذهاباً، واصطحبْتُه في العودة عندَ الظُّهر، قال لي الدُّكتور B إنَّه لن يتمكَّنَ من العملِ قبلَ عدَّةِ أشهر. وهو أمرٌ حتميٌّ، فلديه ثلاثُ ساعاتٍ من الصِّحة الحقيقيَّة في اليوم، ثمَّ ينام، أو يكون في حالةِ غياب، وبعدَ الانتهاءِ من فحوصاتِه؛ بدا سارتر مُنهكاً.

رافقْتُه يوم الثُّلاثاء؛ السَّادسَ عشرَ من تشرين الأوَّل إلى صانعِ النَّظَّارات، وتركَنَا بدورِهِ من دونِ أملٍ يُرجى، لكن رُبَّما يُمكنُ لِسارتر القراءةُ ساعةً واحدةً في اليوم؛ بفضلِ الجهازِ الَّذي طلبناه له، لكنْ في ظروفٍ غيرِ مريحة إطلاقاً. في المساء؛ تحدَّثنا للمرَّة الأُولى عن عماه التَّقريبيّ، وبدا صادقاً حينَ قال لي بأنَّ هذا الأمرَ لا يؤلمهُ كثيراً. (لكن باستثناءِ بعضِ آلامِ الأسنان؛ لم يكنْ يقبلُ أبداً بأنَّه يتألَّم، حتَّى حينما كان يتلوَّى من آلامِ المغصِ الكلويّ).

لم تكنْ نتائجُ الفحوصِ الَّتي تلقَّيتُها في اليومِ التَّالي جيِّدة؛ فقد كان سارتر مُصاباً بالسُّكريّ، وتخطيطُ دماغِه لا يبشِّرُ بخير، بسببِ ذلك السُّكريّ، كما هاتفني لاحقاً الدُّكتور B. فكَّرتُ، يحدوني الأمل، بأنَّ الأمرَ قابلٌ للشِّفاء، فقد وُجِدَتْ في دماغِه موجاتٌ بطيئةٌ من شأنها تفسيرُ حالاتِ النُّعاس لديه، (لكنَّني ما زلت حتَّى اليومِ مقتنعةً أنَّها كانت دفاعاتٍ ضِدَّ الكآبة الَّتي كانت عيناه سببها).

أعَادهُ صانعُ النَّظَّاراتِ الجهازَ الَّذي سبقَ أن حدَّثَنا عنه، لكنَّهُ كان يرى أنَّه غيرُ قابلٍ للاستخدام، فالكلماتُ كانت تتتالى ببطءٍ شديد، فيفضِّل أن يقرأ بصوتٍ عالٍ، وكان يستحيلُ عليه إعادةُ النَّظرِ في نصوصهِ وتصحيحها، لكنَّ هذا لم يُحبطه، لأنَّه لم تكنْ لديهِ أوهامٌ حولَ هذا الجهاز، فأعدناه إلى مصدرِه.

استأنفَ سارتر حواراتِه مع فيكتور وغافي، فكانَ يستمعُ إليهما، وينتقدُ قليلاً، لكنَّه، إجمالاً لم يكُنْ يتدخَّلُ بشكلٍ عامٍّ، وذاتَ صباحٍ من يومِ الأحد؛ استقبلَ فريقاً من العاملين في مجلَّةِ **الأزمنة الحديثة** لمناقشةِ افتتاحيةٍ تتناولُ مسألةً كانت تشغله، وطالما تحدَّثنا عنها، أي: مسألةُ الصِّراعِ العربيِّ ـ الإسرائيليّ، لم يتلفَّظْ بأيِّ كلمة، وقال لِآرليت في اليوم التَّالي إنَّه يعتقدُ بأنَّه قد نام.كان كلٌّ من لانزمان وبويون Pouillon مذهولَين. كانَ يغلبهُ النَّومُ أثناءَ قراءتي له صحيفة ليبيراسيون، رغمَ أهمِّيَّتها بالنِّسبة له، ولم يكن يُدرك حالتَه، فقد قالَ لإحدى الصَّديقاتِ القديماتِ كلود داي Claude Day: «حال عيني سيِّئة، أمَّا بالنِّسبةِ لدماغي؛ فكلُّ شيءٍ على ما يُرام».

كان خلالَ السَّهراتِ الَّتي يقضيها مع سيلفي مَرِحاً، أمَّا الآن؛ فهي حالةٌ نادرة، وقد يصلُ به الأمرُ حدَّ الضَّحك، لكن حينما تناولنا طعامَ الغداءِ، ذاتَ يومِ أحد، معها ومع صديقتنا لينا Léna الَّتي كانت قادمةً من موسكو، فرح لرؤيتها. يومها بقيَ صامتاً وضعيفاً، وكانت هي كئيبةً، وأنا مُتعبة، وحدها سيلفي بَذلت جُهداً لتضفي الحيويَّةَ على جلستنا، ولحسنِ الحظِّ أنَّنا قضينا بعدَ ذلك سهرةً اتَّسمَت بالانفراج.

معَ نهايةِ تشرين الأوَّل؛ بدأ سارتر يستعيدُ عافيتَه، وصار يهتمُّ بنقاشاتنا، وذاتَ يومٍ؛ سكنَتْ إحداهنَّ في الطَّابق الَّذي يقعُ فوقَ شقَّتي، وراحَتْ تُحدثُ ضجَّةً دفعَت سارتر إلى أن يقول لي: «هذه هي المرَّةُ الأُولى الَّتي أتركُ بيتَك مسروراً!».

كانت نقاشاتُنا تدورُ حولَ حربِ تشرين الأوَّل [١٩٧٣]، ومواقفنا متطابقة، وهو ما تحدَّث عنه في أحدِ حواراتِه مع فيكتور وغافي: «**لستُ مع إسرائيل بالشَّكلِ الَّذي تقوم عليه حاليّاً... لكنِّي لا أقبلُ فكرةَ تدميرها... علينا أن نناضلَ لكي لا يُرمى بهؤلاء الثلاثة ملايين في الهواء، أو يتحوَّلوا إلى عبيد... لايمكننا أن نكونَ مع العربِ من دونِ أن نكونَ أيضاً مع**

اليهود قليلاً، كما هو حال فيكتور، ولا يمكننا أن نكونَ مع اليهودِ من دون أن نكونَ مع العرب، كما هو موقفي، وهذا موقف غريب...».

في السَّادسِ والعشرينَ من تشرين الأوَّل؛ أجرى مقابلةً هاتفيَّةً مع إيلي بن غال[1] بعد نهايةِ حربِ تشرين، وممَّا جاء فيها: «أتمنَّى أن يعيَ الإسرائيليُّونَ أنَّ القضيَّةَ الفلسطينيَّةَ هي مُحرِّكُ روحِ الحربِ العربيَّة»، وأملى عليَّ تصريحاً لصحيفة ليبيراسيون طبعَتْها في ٢٩ تشرين الأوَّل، لكن من دونِ أن تتبنَّاها: «لا يمكن لهذه الحرب إلَّا أن تُعيقَ تطوُّرَ الشَّرقِ الأوسطِ نحوَ الاشتراكيَّة»، كما يقول، وحلل مسؤوليَّات الطَّرفين.

في السَّابعِ من تشرين الثَّاني؛ تقدَّم كلٌّ من سارتر وكلافل وديبو بريدل بشكوى ضِدَّ مجهولٍ حولَ التَّنصُّتِ الهاتفيِّ، وانتهاكِ مراسلاتِ وكالةِ ليبراسيون للصَّحافةِ (لكنهالم تُسفرْ عن أيِّ نتائج).

صحيحٌ أنَّ وضعَه كان يتحسَّن؛ إلَّا أنَّ المرضَ بدأ يثقُل عليه، فلم يعُدْ يحتملُ الحقنَ صباحاً ومساءً، فسألني بانزعاج: «هل سيستمرُّون بعلاجي على هذا النَّحوِ طيلةَ حياتي؟»، رافقته إلى الطَّبيبِ المتخصِّص بمرضِ السُّكَّريِّ الَّذي شخَّصَ وجودَ نسبةٍ من الغلوكوز في الدَّم Glycémie، ووصفَ له كبسولات، ونظاماً غذائيّاً خالٍ من السُّكَّر، ومنعهُ عن عصيرِ الفاكهةِ الَّذي يتناوله مساءً، أمَّا الدُّكتور B؛ فقد رأى أنَّه يتقدَّم، ولذلك ألغى بعضَ الأدوية، ولدى خروجِنا من عيادتِه قالَ سارتر بنبرةٍ مُستاءة: «إنَّه لا يهتمُّ بي !» صحيحٌ أنّه اهتمَّ تماماً بمرضه، لكنَّه لم يكنْ مُهتمّاً كثيراً بِسارتر الكاتب، لأنَّه نصحَهُ بكتابةِ الشِّعر.

في الأيَّامِ التَّالية؛ أظهرَ أنَّه حاضرَ الذِّهنِ، وحيويّاً؛ سواءً مع آرليت، أو معي، أو مع سيلفي، أو لينا، ولم يعُدْ يحضرُ أيَّ عرضٍ مسرحيٍّ، لكن، ذاتَ

---

(١) نشرت في صحيفة هاميشمار في ٢٦ تشرين الأوَّل، وباللّغة الفرنسيّة بتاريخ ٥ تشرين الثَّاني، نشرت مقبوسات منها في صحيفة لوموند، Bulletin Mapam.

مساء، ذهبتُ معهُ وميشيل فيان إلى **المسرح الصَّغير** الواقعِ في شارعِ Mouffetard لحضورِ مسرحيَّةٍ جيِّدةٍ مستوحاةٍ من قضيَّةِ تيفينان Thévinin[(١)]: **أثقُ بعدالةِ بلدي**، وقد صفَّقَ لها سارتر بحرارة، وفي اليوم التَّالي؛ عُقد اجتماعُ **الأزمنةِ الحديثةِ** في بيته، فأصغى بانتباه إلى قراءةِ الافتتاحيَّةِ المتعلِّقةِ بالصِّراع العربيِّ ـ الإسرائيليِّ، فعلَّق عليها وناقشها مع بوست، وكان نشيطاً جدّاً.

لكنْ في اليوم التَّالي؛ أجرى سيرج جولي، مدير ليبراسيون، معه حواراً حولَ اغتصابِ طالبةٍ فييتناميَّة من أحدِ رفاقِها، أتعبهُ كثيراً، وحينَ ذهبتُ إليه في السَّاعةِ الخامسةِ مساءً؛ جعلتُهُ ينام،كما نامَ في اليومِ التَّالي بعدَ الظُّهرِ خلالَ قراءتي له صيغتينِ لأحدِ فصولِ روايةِ **مدام بوفاري**، بناءً على طلبهِ، وفي المساء؛ كان مُتيقِّظاً تماماً بصحبةِ سيلفي، وفرحَ كثيراً بمعطفِ الفروِ الَّذي قدَّمناه له، وحضَّرت له سيلفي فنجاناً من الشَّايِ الباردِ مخلوطاً ببعضِ التَّوابل تعويضاً له عن عصيرِ الفواكه الَّذي كان يتناوله في السَّابق، فوجدَهُ رائعاً.

في صبيحةِ اليوم التَّالي؛ فرحَ بلقاءِ صديقتِه اليونانيَّة الَّتي كانت تنوي الإقامةَ في باريس بعضَ الوقتِ لمتابعةِ محاضراتٍ في الفلسفةِ في جامعةِ السُّوربون.

وفي اليومِ التَّالي؛ كان عليه إعادةُ قراءةِ المقابلةِ المتعلِّقةِ بالاغتصابِ مع مديرِ التَّحريرِ سيرج جولي، وفي السَّاعةِ التَّاسعةِ والنِّصف؛ كنتُ في المقهى الَّذي اعتادَ تناولَ الإفطارِ فيه مع ليليان؛ فوجدتُها هناكَ مع جولي، لكنَّ سارتر لم يكنْ موجوداً. نظرتُ في النَّصِّ الَّذي حمله جولي فكان خالياً من المعنى والتَّجانُس، ولم يكنْ سارتر قد وصلَ بعد. اتَّصلت به ليليان عندَ السَّاعةِ العاشرة، وكان مستيقظاً لتَوِّهِ. وصلَ أخيراً. وبعدَ أن شربَ قهوتَه وتناولَ قليلاً من الطَّعام؛ رافقتُه إلى بيتي، وخلالَ ساعتين ونصف؛ كتبْنَا نصّاً مُلائماً نشرتهُ ليبيراسيون بتاريخ ١٥ تشرين الثَّاني، تحدَّث فيه سارتر عنِ المقتضياتِ

(١) سجين شابّ اسمه تيفينان يفترض أنه انتحرَ، بينما الحقيقة هي أنّه «نُحِر». حاول والده عبثاً، إلقاء النّور على موته.

الأخلاقيَّةِ والسِّياسيَّةِ لاغتصابِ الطَّالبةِ الفيتناميَّة، وفي المساء؛ قرأتُ له مقالةً جيِّدة لِأورست بوشياني Oreste Buciani[1] حولَ فكرهِ الجماليِّ، فأثارت اهتمامَه جدّاً، بعدَ ذلك حاولنا لعبَ الضَّامة، لكنَّ بصرَه لم يعُدْ يساعده، فتوقَّفنا عن اللَّعب. ما كان يؤلمني أكثرَ في تلك اللَّحظة؛ هو أنَّه كان يعتقد ـ أو يريد أن يعتقد ـ بأنَّه سيستعيدُ بصرَه خلالَ ثلاثةِ أشهر.

أصبحتِ الشَّقةُ الجديدةُ جاهزةً الآن، ووضعا فيها هاتفاً، وكان فَرِحاً باستقرارِه فيها، ومن الآن فصاعداً؛ صرتُ أُلازمهُ في المساء، وأنام عندَهُ خمسةَ أيَّام من سبعةٍ في الغرفةِ المجاورةِ لغرفته، وكانت آرليت تنامُ فيها خلالَ اللَّيلتين الباقيتين.

استمرَّ في نومِه الثَّقيلِ خلالَ فترةٍ بعد الظُّهر، وحتَّى بعد ليالٍ طويلةٍ من النَّوم العميق، كان ينامُ أحياناً في الصَّباح بينما أقومُ بالقراءة، لا شكَّ أنَّه صارَ لا مُبالياً إزاءَ أشياءَ كثيرة، وذاتَ صباحٍ، وبينما كنتُ أمسحُ اللُّعابَ فوقَ قميصِه، قال لي: «نعم، يسيل لُعابي»، لكنِّي لمْ أنبّههُ على ذلك، خوفاً من مضايقته، لكنَّه لم يكنْ يهتمُّ بهذا الأمر، أمَّا ما كان يزعجُه قليلاً؛ فهو نوباتُ النُّعاس: «من الغباء أن ينامَ المرءُ على هذا النَّحو!». كما قالَ لي بنبرةٍ حزينةٍ: «صحَّتي لا تتحسَّن»، وذاتَ مساءٍ دعتْنا جيزيل حليمي، أنا وسارتر وسيلفي، لتناولِ طبقِ الكوسكوس عندَها، لكنَّه لمْ يفتحْ فمَه، كما لم يتكلَّم حينما دعتنا لينا لتناولِ الغداءِ في المطعم.

قرَّرتُ أن أطلبَ موعداً من الطَّبيب لابرسل Lapresle، الَّذي نصحني به الدكتور «B» بحرارة، ذهبنا لرؤيتِه في Bicêtre في ٢٣ تشرين الثَّاني، فدُهشَ لرؤية التَّناقضِ بينَ القصَّة الوعائيَّة عندَ سارتر والنَّتائج الجيِّدة الَّتي لاحظها، وبحسبِ رأيه؛ أنَّ التَّخطيطَ الدِّماغيَّ لا يتضمَّن أيَّ حالةٍ مَرَضيّة، لكنَّه لم يقُلْ شيئاً عن نوباتِ النُّعاس، طلبَ إجراءَ تصويرٍ للدِّماغِ بأشعَّة غاما -Gamma

(١) صديق أميركيّ عرّفتني عليه ليز.وكان أستاذًا جامعيّاً متخصصاً بسارتر في كاليفورنيا.

encéphalogramme، وشدَّد كثيراً على أن يكُفَّ سارتر عن التَّدخين، قائلاً له: سيكلِّفكَ ذلكَ بصرَك وعقلَك.

بعدَ خروجِنا من عيادته؛ صرَّح سارتر بأنَّه سيستمرُّ في التَّدخين، ومع ذلك فقد كان تدخينُه أقلَّ في اليومِ التَّالي، وفوجئت أنا وسيلفي بروعةِ السَّهرةِ الَّتي لم نقضِ مثلها قطُّ منذُ زمنٍ بعيد، حيث تحدَّث سارتر عن فلوبير، وقضايا الانفعاليَّة، وقال: «خلالَ خمسةَ عشرَ يوماً سأُقلع نهائيّاً عن التَّدخين»، بعد هذا؛ قرَّر أن يدخِّنَ ثلاثَ لُفافاتٍ في اليوم، في الأيَّام التَّالية؛ دخَّن ثمانية، ثمَّ سبعة، ثم ستَّة، ووصلَ إلى ثلاثة في اليوم، ما يعني أنَّه كان متمسِّكاً بالحياة، ومستعدّاً للنِّضال من أجل ذلك[١].

بدا، بالفعل، كأنَّه يستعيدُ تذوّقهُ للحياة، فراح يرى صديقتَه اليونانيَّة الشَّابَّة في أغلب الأحيان، فتُدخل المرحَ إلى أيَّامه، وذاتَ مساءٍ تناولَ العشاءَ بفرحٍ في مطعم La Cloche d'or مع الكاتبِ اليابانيِّ توميكو أسابوكو Tomiko Asabuki، ثمَّ قضينا لحظاتٍ سعيدةً لوحدنا، حيث قرأتُ له مجموعةَ مقالاتٍ تدورُ حولَه، وجدها حصيفة.

أخبرني أنَّه سيجعلُ من بيير فيكتور سكرتيراً له، وسيُبقي بويغ Puig[٢] سكرتيراً عاديّاً، أما فيكتور فيتكفَّلُ بالقراءة له، والعمل معه. اتَّصلت بي ليليان لتعربَ لي عن سرورها بهذا القرار، أمَّا آرليت فقد غضبت، لما كانت تعرفه عن علاقات شنمان Schoenmann بِراسل Russel[٣]، وخشيت أن يحل فيكتور

---

(١) بعدها عاد إلى الإكثار من التّدخين.

(٢) أندريه بويغ (١٩٤٠-٢٠٠٢): شاعر وروائيّ، وكاتب سيناريو فرنسيّ.عمل في هيئة تحرير مجلّة الأزمنة الحديثة الّتي أسّسها سارتر، ثمّ أصبح سكرتيرًا خاصًا له.

(٣) يمكن للقارئ العودة إلى كتابي «بعد التّفكير مليًا» الّذي أتحدّث فيه عن محكمة راسل. لقد كان شونمان أحد أمناء السّرّ الأساسيّين في مؤسّسة راسل.في المحكمة الّتي كان أمين سرّها العام، زعم أنّه يمثّل راسل ويدير كلّ شيء. وحينما أراد فرض إرادته، يقول: «اللّورد راسل يطلب...»

محل شونمان لدى لِسارتر. كان سارتر سعيداً بالعملِ مع فيكتور، أمَّا أنا؛ فرأيت أن الأمرَ يريحني من القراءةِ له كلَّ صباح، ويوفِّر لي بعضَ الوقت.

في بدايةِ شهرِ كانون الأوَّل؛ لم تتراجعْ صحَّتُه، لكنَّها لم تتحسَّن، كان ينام، بل حتَّى في فترةِ الصَّباح، أثناءَ القراءةِ الَّتي يقوم بها فيكتور له، أنا على يقينٍ من أنَّ نومَه هذا عبارةٌ عن هروب، لأنَّه لم يكن قادراً على قبولِ عماه، وثمَّةَ علاماتٌ أُخرى توضِّح هذا الرَّفض؛ فحينَ سألتُه: «ماذا فعلتَ هذا الصَّباح؟» أجاب: «قرأت، أو عملت». ألحيْتُ بالسُّؤال: «لماذا تقولُ إنَّك قرأت؟، فأجاب: «أعني أعدتُ التَّفكيرَ في روايةِ **مدام بوفاري** وشارل. أتذكَّر أشياء كثيرة...».

ذاتَ يومِ خميس؛ رافقتُه إلى الطَّبيبِ كيولك Ciolek، وهو طبيبٌ بالغُ اللُّطف، متخصِّصٌ بأمراضِ العين، لم يتركْ لدينا أيَّ أمل؛ إذ قال: صحيحٌ أنَّ النَّزيف توقَّف، لكنْ بقيَتْ آثارٌ له في مركز الشَّبكيَّة يتعذَّر إزالتها، وهناك خلايا تالفة. قال لي سارتر لدى خروجنا: «إذاً، لن أتمكَّن من القراءة بعد الآن؟»، تكوَّر حولَ نفسِه في السَّيَّارة الَّتي أقلَّتنا إلى البيت، ودبَّ فيه النُّعاس. لم يكنْ في الأيَّام التَّالية أكثرَ حُزناً من الأيَّام السَّابقة؛ فقد سبقَ له أن سمعَ هذا الحكمَ، وبرغمِ هروبِه من الحقيقة؛ فقد كان يعرفها، والآنَ وبعد أن عرفها؛ ما يزال مستمرّاً في الهروبِ منها، وكان يقول لي، على سبيل المثال،: «لا، لا تأخذي صحيفة ليبيزاسيون؛ لأنِّي أريد قراءتها غداً صباحاً». ذات يوم؛ أبعدتُ المصباحَ من جانبِ مقعده، فطلب منِّي تقريبه، فقلت: «تقول إنَّ الضَّوء يُزعجك»، فردَّ بقوله: «لكنِّي أحتاجُه حينما أقرأ»، وتابع مستدركاً: «أعني حينما أريد تصفُّحَ كتابٍ مُعيَّن»، الحقيقةُ أنَّه لم يَعُدْ قادراً على قراءةِ كتابٍ أو تصفُّحِه، مع أنَّه كان يريدُ دائماً الإمساك، ولو للحظة، بالكتبِ الَّتي أحملها إليه. كان مُخدَّراً جدّاً من النَّاحيةِ الفكريَّة؛ ما جعلَهُ يعاني من عاهتِه، فهل يستمرُّ هذا التَّوازن؟، وهل كان عليَّ أن أتمنَّاه له؟.

لم تُبيِّنِ الصُّورة الدِّماغيَّة بأشعَّة غاما أيَّ ضعفٍ في دماغِه، لكن، في بعضِ الأحيان، كانت تفلَتُ منه بعضُ الكلماتِ الغريبةِ، فذاتَ صباحٍ، قال لي حينما ناولتُه أدويته: «أنتِ زوجةٌ طيِّبة».

في يومِ الأربعاء ١٢ كانون الأوّل؛ كان النُّعاس ينتابُه خلالَ اجتماعِ **الأزمنة الحديثة**، ومع هذا؛ فقد أصغى إليَّ بانتباه، في المساء، حينما قرأتُ له في صحيفةِ لوموند نقداً لعدَّةِ كتبٍ تتحدَّثُ عنه.

في يومِ السَّبت؛ الخامسَ عشرَ من كانون الأوَّل، لدى وصولي إلى بيتِه، وجدتُه جالساً إلى طاولةِ العمل، وقال لي بنبرةٍ حزينة: «ليست لديَّ فكرة!»، ذلك أنَّه أرادَ كتابةَ نداءٍ لصالحِ صحيفة ليبيراسيون، بعد أن ساءت حركةُ بيعها جدّاً. نصحتُه بالنَّوم قليلاً، ثمَّ جلسنا نعملُ معاً، لكنَّه كانَ يجدُ صعوبةً في التَّركيز، ومع هذا؛ فقد قدَّمَ لي المحدّدات اللّازمة. جاء غافي ليتسلَّمَ الورقة، ووافقَ على مضمونِها، بعد ذلكَ بقليلٍ؛ قرأتُ على سارتر كتاباً صغيراً جيِّداً لِجنيفييف إيت Genevieve Idt[1] حولَ كتابِه **الكلمات**، لكنَّه فطرَ قلبي مرَّةً أُخرى؛ حيثُ نظرَ إلى مكتبِه وقال: «من الغريب أن أُفكِّر بأنَّ هذه الشَّقةَ لي، إنَّها جيِّدة، جيِّدة-لا أحبُّها-فقلت له كيف ذلك وقد كانت تعجبكَ كثيراً؟،قال: المرء يملُّ الأشياء،قلت : إنَّك تملُّ بسرعة،فأجاب : إنَّني مازلتُ في شقَّتي منذُ ثماني عشرةَ سنة، وما تزالُ تعجبني، صحيح، لكنَّ هذه الشَّقةَ هي المكانُ الَّذي لم أعد أعمل فيه». بعدَ بضعةِ أيَّام، بينما كنتُ أقرأ مقطعاً من مراسلاتِ بودلير، قلتُ له: ينبغي أن تقرأ كتاباً حولَ لويز كوليه Louise Colet[2]»، فأجابني: «سأقومُ بذلكَ لدى عودتي إلى باريس»، ثمَّ استدركَ: «حينما تستقرُّ حياتي». لم يكن مرتاحاً في هذه الشَّقةُ الجديدةُ، ولا لطبيعةُ العيش فيها.

---

(١) Genevieve Idt: أستاذة جامعيّة، وناقدة، عضو في ما يُسمّى بالحلقة السّارتريّة.

(٢) لويز كوليه (١٨١٠-١٨٧٦): شاعرة وكاتبة فرنسيّة.

هذا الَّذي طالما أرادَ أن يكونَ صافي الذِّهن، يستمرُّ في نُكرانِ حتميَّةِ ما يتعلَّقُ ببصره، بينما كنتُ أردُّ على أحدِ أسئلته بحذرٍ من ألَّا يستعيدَه تماماً، قال لي: «لا أريد أن أفكِّرَ فيه، يبدو لي أنَّني أرى بشكلٍ أفضل». وبينما كان كونتا Contat[1] يتناولُ الغداءَ معه؛ سأله كيفَ ينظرُ إلى حالته، فأجابه: «حتماً، لا يُمكن احتمالُها إلَّا إذا فكَّرنا بأنَّها عابرة».

في أغلبِ الأحيان؛ حاولَ سارتر ألَّا يُظهرَ هذا الهمَّ عليه، لذلك أقمنا في بيتي مع سارتر وسيلفي سهرةَ عيدِ ميلادٍ شابها الفَرح، وكان حالُه أفضلَ عندَ نهايةِ شهرِ كانون الأوَّل هذا، إذ قلَّت نوباتُ نُعاسِه، وأحياناً كنت أراه كما عرفتُه في الماضي؛ كما في اجتماعِ **الأزمنة الحديثة** في ٢ كانون الثَّاني من عام ١٩٧٤، على سبيلِ المثال، وفي أحيان أُخرى؛ كان يعود إلى لامبالاته.

في الثَّامنِ من كانون الثَّاني، حوالي السَّاعة السَّابعة والنِّصف؛ كان وجهُهُ كئيباً وجامداً، ممَّا أذهلَ لانزمان الَّذي جاء إلينا لقضاءِ بعضِ الوقت، ولدى خروجِه؛ عانقَه فقال له سارتر: «لا أدري إن كنتَ تعانقُ قطعةً من لحدٍ، أم رجلاً حيّاً»، فتسمَّرنا جميعاً في أماكننا. نام بعضَ الوقت، ثمَّ استمعَ إلى إذاعةِ France Musique. في نهايةِ السَّهرةِ سألتُه عمَّا قصدَه بقوله، فأجاب: «لا شيء، كانت مجرَّدَ مزحة»، لكنِّي ألحَيتُ عليه الحقيقة أنه كان يحسُّ ذهنه فارغاً، ولم تحدوه أيُّ رغبةٍ بالعملِ في الوقتِ الرَّاهن، ثمَّ نظرَ إليَّ بهيئةٍ حزينة، فيها شيءٌ من الخَجل: «هل سأفقدُ بصري أبداً؟»، فقلت: أخشى ذلك، مزَّق ذلكَ أحشاءَ قلبي وبقيتُ أبكي طيلةَ اللَّيل.

---

(١) ميشيل كونتا (١٩٣٨-): كاتب، وناقد، ومخرج سينمائيّ فرنسيّ من أصول سويسريّة. أصبح مقرّبا جدّا من سارتر.

١٩٧٤

بعدَ بضعةِ أيّام؛ اتَّصلَ بي الطَّبيبُ لابرسل Lapresle ليكرِّرَ قولَه إنَّ صحَّة سارتر على خيرِ ما يُرام، ولا يحتاج إلى استشارتي قبلَ ثلاثةِ أشهر، وإنَّه من الطَّبيعيِّ أن يلجأ إلى النَّوم حتَّى لا يواجَه حقيقةً بالغةَ الصُّعوبة، وبحسبِ لابرسل؛ صحَّته رائعة، سأل سارتر: «وعيناي، ماذا قال عن عينيَّ؟»، انطوى سؤالُه هذا على مزيجٍ مؤلمٍ من القلقِ والأمل، فقلتُ: «العينانِ ليستا من اختصاصِه»، فقال: «ومع ذلك»، ثمَّ أخلدَ إلى النَّوم، كنتُ مُدمَّرةً؛ إذ ما أبشعَ أن يحضرَ الإنسانَ احتضارُ الأمل.

استمرَّ بالنَّومِ خلالَ الأيَّام التَّالية، وكذلك حينَ كنتُ أقرأ له مراسلات بودلير وروايةَ **أبناء الخادمة** لِستريندبيرغ Strindberg، وبينما كان، ذاتَ يوم، يتناولُ الغداءَ مع سيلفي؛ بدا صامتاً، فسألْتُهُ: «بمَ تُفكِّر؟ قال: بِلا شيء، أنا فارغ، لستُ هنا. أين أنتَ؟ ولا في أيِّ مكان، أنا فارغ»، وتكرَّرَ هذا الصَّمت. وفي نهايةِ شهرِ كانون الثَّاني؛ عملتُ معهُ ذاتَ صباحٍ على مراجعةِ إحدى مقابلاتِه مع فيكتور وغافي، فأخذَه النَّوم، وكان تشاؤمُه يزدادُ في ما يتعلَّق ببصره، ويقول لي: الضَّبابُ يتكاثَف، كما قال لي خلالَ غداءٍ في الكوبول Coupole: «لديَّ انطباعٌ بأنَّ بصري لن يُشفى أبداً»، واستطردَ: «أمَّا في ما يتعلَّق بالباقي، فأنا بحالة جيِّدة»، وقال بهيئةٍ خجولةٍ: «أما زلتُ ذكيّاً كما كنتُ في السَّابق؟»، قلتُ: طبعاً، بكلِّ تأكيد، وأضفتُ: «ياصغيري العزيز، أراكَ لستَ فرِحاً !، فقال: ليس عندي ما يجعلني كذلك».

كان قد توقَّف عن التَّدخينِ تماماً، فسألته ذاتَ يوم: «ألا يُزعجك ذلك كثيراً؟»قال: إنَّه يُحزنني»، وسألني ذاتَ مرَّةٍ: «تحدَّثَ بوست مع صديقِه كورنو، يقول: لكي أُشفى تماماً يتطلَّبُ الأمر ثمانيةَ عشرَ شهراً بعد ما عانيت، أنا، قال لي اثنا عشرَ شهراً»، عندها قالَ لي بصوتٍ جافٍّ: «ألا تظنِّينَ أنَّني سأستعيدُ بصري خلالَ شهرين؟[1].»، وهو بذلك يخلطُ بصرَه بحالته العامَّة.

حدَّدتُ موعداً مع الطَّبيب كيوليك، وقال لي إنَّ سارتر لن يصبحَ أعمى، لكن لن يستعيدَ رؤيتَه الدَّقيقةَ أبداً. فرجوتُه ألَّا يُفصحَ له عن هذه الحقيقةِ بطريقةٍ فظَّة. وحينَ عُدنا للقائِه عندَ نهايةِ شهرِ كانون الثَّاني؛ قال له إنَّ حالةَ بصرِه لم تتعاظمْ، لكنْ حينَ سأله سارتر ما إذا كان باستطاعتِه القراءة مرَّةً أُخرى؛ تهرَّب كيوليك من الإجابة. قال لي سارتر ونحن في بهوِ المبنى: «يبدو أنَّه لا يظنُّ بأنِّي سأتمكَّنُ من القراءةِ والكتابةِ». توقَّفَ كما لو كانَ مرعوباً من كلماتِه، وأضاف: «ليسَ قبلَ وقتٍ طويل».

تحدَّثنا، في اليوم التَّالي، عن الطَّريقةِ الَّتي يمكنُ من خلالِها العملُ بانتظارِ شفائِه.. فجأةً، قال بنبرةٍ قاسية: «لقد خرِبَت عيناي... بحسب ما يقولهُ لي الجميع»، وفي اليوم التَّالي، أمسكَ بروايةٍ بوليسيَّة كانت مَرميَّةً في بيته، ووضعها تحتَ عدستِهِ الضَّخمةِ المكبِّرة: «يمكنني رؤيةَ العُنوان»، وقرأه بشكلٍ صحيح، بينما لم يكنْ في أغلبِ الأحيانِ قادراً على قراءةِ عناوينِ الصُّحفِ الكبيرةِ، لسوءِ الحظِّ أنَّ هذا لا يعني شيئاً، كان لديهِ نوعٌ من هامشِ «الرُّؤية». لكنَّه محدودٌ جدّاً. سألتُه في اليومِ التَّالي، ما إذا كان يريدُ محاولةَ العمل، فقال: «لا، ليس بعد، ليس مباشرةً»،لم يكن، عادةً، شديدَ التَّأثُّر، أمَّا بالنِّسبةِ لبصره؛ فقد كان يُعيدُ توجيهَ بوصلته، ومرَّةً؛ بينما كُنَّا نتابعُ الممشى المغطَّى بمساحةٍ خضراءَ داخليَّة في المبنى الَّذي يسكنُ فيه؛ لاحظتُ من بعيدٍ

(١) أصابته النَّوبة القلبيّة قبل عشرة أشهر.

انعكاسَ صورتِنا على بابٍ من الزُّجاج، صحتُ من دونِ تفكير: «لكنْ هذا أنا وأنت!»، فقال لي مازحاً: «أرجوكِ، لا تصنعي بصريَّات عجائبيَّة».

تسبَّبتِ الأدويةُ الَّتي أكثرَ الأطبَّاءُ منها بإصابتِه بالسَّلَسِ البوليِّ، وأفقدَتْهُ التَّحكُّمَ بأمعائِه، وذاتَ يوم، بينما كان عائداً إلى بيته؛ لوَّثَ نفسَه، ساعدتُه على إصلاحِ الكارثة، لكنِّي كنتُ خائفةً من أن تتعاظمَ متاعبُه، وتؤلمه، قال لي الطَّبيبُ زيدمان إنَّ ذلكَ نتيجةٌ طبيعيَّة لتناوله بعضَ الأدوية، وإنَّ ضغطَه رائع، وردودَ فعلِه ممتازة.

شيءٌ واحدٌ أدهشني: فهو الَّذي كان سابقاً لا يريد أبداً استشارةَ الأطبَّاء؛ أخذ على كلٍّ من الدُّكتور كيلوك، وَلا برسل عدمَ كفايةِ اهتمامهم به، أراد أن يرى، في روما، طبيبَ العينيَّة الَّذي سبقَ أن عالجه في الصَّيف الماضي: لقد أحبَّه لأنَّه داعبَ آمالَه.

بدأ في شهرِ شُباط استعادةَ قواه الفكريَّة، وكان حينَ يكثرُ النَّاسُ حولَه؛ ينطوي على نفسه، لكن في اجتماعِ **الأزمنة الحديثة** الَّذي عُقد في شهر شباط؛ أدهشَ الجميعَ بحضورِه، وذكائِه، وقدَّم أفكاراً جيِّدةً لكتابةِ بعضِ المقالات وإجراءِ بعضِ التَّحقيقات.

اتَّصلَ فيدال- ناكيه Vidal-Naquet في غمرةِ الاجتماعِ ليحتجَّ على مقالتينِ نشرَتْهما صحيفةُ ليبيراسيون بتاريخ ٢٠ و ٢١ شباط، بعنوان: «**وجهة نظرٍ حولَ السُّجناء السُّوريِّين في إسرائيل**». واتُّهمنا، أنا وسارتر، لأنَّنا وقَّعنا نداءً من أجلِ «تحرير السُّجناء الإسرائيليِّين في سورية» المنشورِ في صحيفة **لوموند**، وقَّعها أيضاً كلٌّ من فريديريك ديبون Fréderic Dupont، وماكس لوجون Max Lejeune، وسيكالدي ـ رينو Ceccaldi-Raynaud، فأرسلنا فوراً توضيحاً، ورفضنا أيَّ تضامنٍ مع الموقِّعين، ولم يكنْ هجومُ ليبيراسيون علينا أقلَّ حِدَّةً. ردَّ سارتر فوراً في ليبيراسيون نفسها، على كاتبَي المقالتين، واتَّهمهما بسُوءِ النِّيَّة.

في تلك الفترة، وافقَ، مع دانتيك Dantec ولوبري Le bris، وهما مثلُه من قُدامى المشرفين على صحيفةِ **قضية الشَّعب**؛ على الإشرافِ على سلسلةٍ باسم La France sauvage «فرنسا المتوحِّشة» في دارِ نشرِ غاليمار Gallimard، ثمَّ في سلسلة La Presse d'Aujourd'hui [صحافة اليوم]، وقام ثلاثتُهم بكتابةِ نصٍّ يُعرِّفُ بالسِّلسلة:

فرنسا المتوحّشة؛ بلدٌ «حقيقيٌّ» نوعاً ما، في مقابل بلدٍ «شرعيٍّ»، أو موحِش، كما نقول عن ساحلٍ رمليٍّ مليءٍ بالأصدافِ أنّه مُوحِش، أي إنَّ هذا لا يقتضي معنى الهجر، أو العنف: بل عمليَّة غَليان، في نقطةٍ من السَّطح الاجتماعيِّ تقودُ مجموعة اجتماعيَّة إلى النُّهوض، وإلى تأكيد نفسِها بوصفها جماعةً حُرَّةً، بعيداً عن أيِّ إطارٍ مؤسَّسيٍّ يقفُ في وجهِها...

إنَّنا نختارُ الأملَ، ونجرؤ على المراهنةِ على إحداثِ قطيعةٍ مُمكنةٍ، وحركةٍ جماعيَّةٍ للبشريَّةِ نحوَ الحُرِّيَّةِ الَّتي لا يُمكنُ تحقيقُها إلَّا انطلاقاً من خلالِ حشدِ وحشيَّاتِ العَوام...

ما يعني أنَّ ما تتميَّز به هذه السِّلسلة متواضعٌ وطموحٌ في الوقتِ نفسه: متواضعٌ؛ لأنَّنا نتطلَّعُ إلى الانطلاقِ من الحقائقِ والعودةِ الدَّائمة إليها، وطَموحٌ؛ لأنَّ هذا الطَّريق يبدو لنا مؤدِّياً إلى فكرٍ ممكنٍ للحُرِّيَّة.

كان الجزءُ الأوَّلُ من هذه السِّلسلةِ الَّذي قرأتُه مع سارتر، كتاباً أثارَ اهتمامَنا، وضعه لوبري Lebris حولَ منطقةِ أوكسيتانيا Occitaibe. ونُشر مجموع مقابلات سارتر مع فيكتور وغافي في هذه السِّلسلة، كان آخرَها في شهر آذار، وفيها كَتَبا مُحصِّلةَ نقاشاتِهما، وقد أفاد سارتر منها بأنَّه «عاد لتعلُّم» نظريَّة الحرِّيَّة، ووجدَ «إمكانيَّةَ تصوُّرِ نضالٍ سياسيٍّ يقوم على الحريَّة»، ويرى أنَّ «الحوار منذُ البدايةِ وحتَّى النِّهاية، استخلاصٌ دقيقٌ مضطَردٌ، إلى حدٍّ ما، لفكرةِ الحريَّة».

لكنَّ التَّوازنَ المعنويَّ لدى سارتر بقيَ غيرَ واضحٍ، مع أنَّه كان يحاولُ العملَ من وقتٍ لآخر: عبارة عن كتابةِ سطورٍ غيرِ مقروءةٍ فوقَ الورق.

في نهايةِ شهرِ شُباط؛ تناولنا الغداءَ عندَ عائلة روبيرول Robeyrolle، الَّتي تملكُ في أحدِ الطُّرق المسدودةِ المطلَّة على شارعِ فلاغيير Flaguière؛ مَرسَماً جُهِّزَ جزءٌ منه بطريقةٍ لطيفةٍ ليكونَ سَكَناً، وفي القسمِ الآخرِ كان يعملُ روبيرول، قبلَ الوجبةِ؛ أطلَعَنا على آخرِ لوحاتِه، فقال سارتر بحزن: «لا يمكنني رؤيتها»، ثمَّ أضاف: «آمل أن أراها بعدَ بضعةِ أشهر»،كان يعرف أنَّ ذلكَ غيرُ صحيح؛ لكنَّه أرادَ الاعتقادَ أنَّ الزَّمن يعملُ لصالحه.

في السَّابعَ عشرَ من آذار؛ تناولنا الغداءَ مع سيلفي في مطعمِ إيستيرجون Esturgeon الواقعِ في منطقةِ بواسي Poissy الَّتي كُنَّا نُحبُّها أيَّامَ شبابِنا، لشرفتِها المغلقةِ والمطلَّةِ على نهرِ السِّين، حيثُ توجدُ شجرةٌ كبيرة. استمتعَ سارتر بوجودِه في هذا المكان، الذي وجدَ فيه ما كان نادراً، أي الطَّعام الفاخر، لكنَّه بقيَ ساهياً، كما في أغلبِ الأحيانِ، وعندَ المساء، سافرَ إلى جوناس مع آرليت، الَّتي اتَّصلَتْ بي في الأيَّام اللَّاحقة، وأخبرتني أنَّه كان بأحسنِ حال، وينام كثيراً.

«تلك هي عُطلتي الحقيقيَّةُ الَّتي ستبدأ»، قال لي بعدَ بضعةِ أيَّام حينما عُدنا إلى أفينيون، وكُنَّا، مع سيلفي، على وشكِ السَّفر إلى ميلانو، حيث نزلنا، كالعادة، في فندقِ La Scala الَّذي أقمْنَا فيه عام ١٩٤٦ حينما اكتشفنَا يومَها إيطاليا بسعادةٍ بالغة، حَمَلَنا قطارٌ آخرُ نحوَ البُندقيَّة، ثمَّ ركبنا جُندولاً إلى فندقِ موناكو في السَّاحةِ الرَّئيسة، بالقربِ من رصيفِ ميناءِ سان مارك Saint-Marc، واستقرَّينا في غُرفٍ تُطلُّ على القنال، وفي الصَّباح؛ تناولتُ الإفطارَ مع سارتر في غرفته، وقرأتُ له حوالي السَّاعة الواحدة،كُنَّا نتناولُ السَّندويش حسبَ حالةِ الطَّقس؛ إمَّا فوقَ الرَّصيف تحتَ الشَّمس، أو في داخلِ مقهى الفلوريان Florian،

حيثُ لم يكنِ الجوُّ مُستقرّاً؛ فتارةً يكونُ جميلاً جدّاً، وطَوراً؛ تغرقُ ساحةُ سان مارك بالضَّباب، وبينما يكونُ سارتر غارقاً في قيلولته؛ كنتُ أتنزَّه مع سيلفي، وحوالي السَّاعة الخامسة؛ نخرج معَهُ، عرَّفتُ سارتر على (الجيتو) القديم، وعُدنا لرؤية حيِّ ريالتو Rialto، ثمَّ توجَّهنا إلى الليدو Lido، حيث الفنادقُ مغلقة، وكابدْنا كثيراً قبلَ العثورِ على مطعمٍ صغيرٍ على الشَّاطئ، فتناولنا فيه غداءً بسيطاً وسطَ ضبابٍ دافئٍ كان يَلُفُّنا، وفي المساءِ؛ تناولنا العشاءَ في أحدِ الأماكنِ الَّتي كُنَّا نُحبُّها، واحتسيْنا قَدحاً من الويسكي أمامَ بار الفندق.

في البندقيَّة؛ طالما شعرَ سارتر بتحسُّنِ حالِه، لكنَّ القلقَ كان ينتابه من وقتٍ لآخر، وذاتَ صباح، بينما كُنَّا نقرأ في غرفته؛ كان الجوُّ جميلاً، فقرَّرنا النُّزولَ إلى الشُّرفة الواقعة على حافَّة الماء؛ أردتُ أن أحملَ معي الكتابَ فقال لي: «لكن، لماذا؟»، ثمَّ أضافَ: «في السَّابق، حينما كنتُ أكثرَ عقلاً؛ لم نكنْ نقرأ بل نتجاذبُ أطرافَ الحديث»، اعترضتُ على كلامه، لأنَّني إنْ كنتُ أقرأ له؛ فذلك بسببِ عينيه، وبعد أن جلسنا في التِّراس (الشُّرفة) تبادلنا الحديث، الحقيقةُ أنَّه كان مُحافظاً على ذكائه، من خلالِ تعليقِه على قراءاتنا ومناقشها، لكنَّه سرعانَ ما كان يتركُ المناقشة، ويكفُّ عن طرحِ الأسئلةِ، وإطلاقِ الأفكارِ، ولا يعودُ مُهتمّاً بأيِّ شيء، مهما كان مستواه، وتعويضاً عن ذلك؛ كان يتصلَّبُ في ما يخصُّ عاداتِه الَّتي يتمسَّك بمبدئِها، فيستبدلُ الذَّوقَ الحقيقيَّ بتلك العاداتِ الَّتي يحرصُ عليها.

ذاتَ يوم؛ نشَرت إحدى الصُّحفِ صورَتَنا ومعها عنوانُ الفندقِ الَّذي نقيمُ فيه، فحاولَ بعضُ المزعجين الالتقاءَ بنا، لكنَّنا سُررنا أيضاً باستقبالِ اتِّصالٍ هاتفيٍّ من موندادوري Mondadori[1] الَّذي جاءَ ليتناولَ معنا كأساً في بار

(١) ابن ناشر كتبنا، والّذي سافرنا معه عام ١٩٤٦ عبر إيطاليا، وكنّا غالباً ما نلتقي به منذ ذلك التّاريخ (يُنظر كتابي: قوّة الأشياء)

الفندق؛ فرأيتُه وقد طالَت لحيتُه، وتقدَّم به العمر، وصار يُتأتِئ كثيراً، وعلمنا أنَّه انفصلَ عن زوجتِه فيرجينيا، كان برفقتِه أحدُ الأصدقاء، وهو قائدُ فرقةٍ موسيقيَّةٍ في الفينيس Fenice[١] أوبرا دونيزيتي Donizetti[٢] الموسومة Maria di Rohan.

في اليوم الثَّالي، بعدَ ظهرِ الأحد؛ كانَ موعدُ العرضِ الأخير، كان المسرحُ مُمتلئاً، لكنَّه وجدَ لنا ثلاثةَ مقاعد في اللَّوج الملكيّ، سُحِرنا بأسلوبِ بيل كانتو Bel canto الغنائيّ، والمؤدّيات الرَّائعات، لكنَّ سارتر كان حزيناً؛ لأنَّه لم يرَ المسرحَ إلَّا ثُقباً أسود، عموماً؛ كان قلقاً على عينيهِ أكثرَ من أيِّ وقتٍ مضى، ربَّما لأنَّه كان راغباً في أن يرى أكثر، وحينَ سألته، عندَ مغادرتِنا، ما إذا كان مُستمتعاً في إقامتِه؛ أجابني بحرارة: «أوه! نعم»؛ وأضاف: «باستثناءِ ما يخصُّ عينيَّ».

يومَ الثلاثاء؛ الثَّاني من نَيسان؛ جلسنا في قُمرتينِ مُتَّصلتينِ في القطار، وأكلنَا (كرواسان بالجامبون) معَ قدحَين من نبيذ ميرلو، يومَها كان عُمَّالُ السِّكك الحديديَّةِ الإيطاليُّونَ في حالةِ إضراب، فتأخَّرنا حوالي السَّاعة، وفي الصَّباح؛ حملَ إلينا المضيفُ Steaward فنجانَينِ من الشَّاي، وأخبرَنا بموتِ الرَّئيسِ الفرنسيِّ جورج بومبيدو. كانَ بعضُ المسافرين الفرنسيِّين مرعوبينَ لاعتقادِهم بأنَّ الفوضى ستعمُّ البلادَ من بعده. وَلْوَلَتْ إحدى السَّيدات بعدَ أن انتابتها حالةٌ من الاضطراب، وقالت: «ستنهارُ البورصة!».

لكي لا يعودَ سارتر إلى عاداتِه الباريسيَّة فوراً؛ مكثَ عندي بضعةَ أيَّام، وفي صباحِ يومِ السَّبت، رافقتهُ إلى الطَّبيب كيوليك، كان ضغطُ العينينِ جيِّداً، وتوقَّفَ النَّزيف؛ وكانَ من الطَّبيعيِّ، بالنِّسبةِ له يومَ كان في المسرحِ الغارقِ في الظُّلمة؛ أن تنبهرَ عيناهُ بأضواءِ المسرح، وهو ما منعه من الرُّؤية، لدى

(١) دار أوبرا، شُيِّدت في البندقيَّة في القرن الثَّامن عشر.

(٢) غياتانو دينوزيتي (١٧٩٧-١٨٤٨) مؤلِّف موسيقيّ إيطاليّ.

خروجنا؛ كان سارتر مسروراً إلى حدٍّ ما، وقال لي: «إجمالاً حالتي جيِّدة، والأمورُ مُنتظمة»، ثمَّ أضاف؛ لكنْ من دونِ كآبة: «يبدو أنَّني لن أستعيدَ بصري أبداً»، قلتُ: «لا، تقصدُ أنَّك لن تستعيدَه كاملاً»، تاركةً أمرَ استعادتِه لبصره من عدمِ استعادته مُبهماً، لكنَّها المرَّةَ الأُولى الَّتي يتحدَّثُ فيها سارتر عن كيوليك من دونِ نُفور، أظنُّ أنَّه كان، في البندقيَّة، يخافُ من أن يصبحَ أعمى تماماً، وارتاح لمعرفتِهِ بأنَّ بصرَه مستقرٌّ، مع ذلك؛ زُرنا المتخصِّصَ بالسُّكريِّ، والأُستاذ لابريسل، فكانا راضيَين عن حالتِه الصِّحيَّة، وبسَّطا الوصفاتِ، قال لي بصوتٍ حزين: «عيناي؟ لن أستعيدَهما أبداً!».

رغمَ الطَّقسِ الرَّبيعيِّ، بل الصَّيفيِّ؛ كان الجوُّ قاتماً: «لديَّ انطباعٌ بأنَّني أعيشُ اليومَ نفسَه؛ أراكِ، أرى آرليت، والأطبَّاء... وهكذا دواليك!»، وأضاف: «حتَّى في ما يتعلَّقُ بالانتخاباتِ؛ يأتون إليَّ، ويجعلونني أتكلَّم، لكنَّ هذا مُختلفٌ عن حربِ الجزائر»، قلتُ له إنَّ لديَّ الانطباعَ نفسَه بالنِّسبة لداعياتِ الحركةِ النَّسويَّة، «إنَّه العمر»؛ قالها خاليةً من الكآبة.

خلالَ يومَي ١٣ و١٤ نيسان؛ أجرى سارتر مقابلةً معَ صحيفةِ ليبيراسيون تدورُ حولَ الانتخابات، تمنَّى فيها أن يُرشَّحَ شارل بياجيه Charles Piaget الَّذي كان أحدَ محرِّكي الإضراباتِ في مصنعِ Lip، نفسَه، وكان سارتر يتابعُ تطوُّراتِها؛ وصرَّح بأنَّه لا يريد التَّصويتَ لِفرانسوا ميتران: «أظنُّ أنَّ اتِّحادَ اليسارِ نُكتة»، وفي حوارٍ مع غافي وفيكتور؛ عبَّرَ عن موقفٍ مناهضٍ لليسار الكلاسِّيكيِّ: «لا أرى أنَّ حكوماتِ اليسارِ قادرةٌ على السَّماح بالطَّريقة الَّتي نُفكِّر بها، ولا أرى ما يدعونا إلى أن نضعَ ورقةً انتخابيَّةً لصالح أُناسٍ ليسَ في رؤوسِهم سوى فكرةٍ واحدة: هي تكميمُ أفواهِنا»، وأثناءَ تصويتِهِ من أجلِ بياجيه، ولأنَّه كان واثقاً من عدمِ نجاحِه؛ قالَ ضاحكاً: «لا أعرفُ إن كنتُ سأصوِّتُ من أجلِ بياجيه، لو كنتُ أعرف أنَّه سيفوز».

تلبيةً لدعوةِ **لجنة العدالة والحُرِّيَة**؛ ذهب سارتر مع غافي وفيكتور لتقديمِ كتابِهما، الَّذي انتهيَا من كتابته، في منطقة Bruay، الموسوم: **(منِ حقِّنا أن نتمرَّد)** ـ قبل نشره ـ وكان ذهابهما تلبية لدعوة **لجنة العدالة والحرية**. فالتقى هناكَ بمناضلين قُدامى، لكنَّ اللِّقاءَ لم يكنْ مُثمراً. ظهرَ الكتابُ في الأيامِ الأُولى من شهرِ أيَّار، في سلسلةِ «La France sauvage»، وسرعانَ ما نشرَتْ صحيفة لوموند مُلَخَّصَينِ إيجابيَّينِ عنه، وتناقش سارتر مع فيكتور، وغافي وماركوز Marcuse، الَّذي التقاهُ للمرَّة الأُولى، حولَ الكتابِ، وقد حضرَت صديقتُه اليونانيَّةُ الحوارَ، وكتبَتْ عنه في صحيفة ليبيراسيون، وفي ٢٤ أيَّار؛ أرسل رسالةً إلى هذه الصَّحيفة ليستقيلَ من وظيفته كمديرٍ لها، ولأسبابٍ صحيَّة؛ تخلَّى عن المسؤوليَّاتِ المناطةِ به في الصَّحافةِ اليساريَّة.

كان سارتر قد وقَّعَ عدَّةَ نصوصٍ منذُ بدايةِ عام ١٩٧٤، وفي شهرِ كانون الثَّاني؛ وقَّعَ نصّاً حرَّرتهُ مجموعةُ المعلوماتِ الخاصَّةِ باللَّاجئين G.I.A، ونشرتهُ جريدةُ ليبيراسيون حولَ قضيَّةِ جيروم ديوران J.Duran، وهو مواطنٌ من جُزُر الأنتيل، وقعَ ضحيَّةَ اعتقالٍ مُهين، وفي ٢٧ آذار؛ وقَّعَ معَ ألان مورو Alain Moreau بياناً حولَ الشَّكوى الَّتي قدَّمها ألكساندر سانغينيتي A.Sanguinetti ضِدَّ مقابلةٍ أجراها مورو، نشرتها صحيفةُ ليبيراسيون في التَّاسعِ من كانون الثَّاني.

معَ بدايةِ شهرِ حزيران؛ كانت صحَّةُ سارتر تسيرُ بشكلٍ جيِّدٍ، بل وجدتُهُ «مُتغيِّراً»، فقد غابَتْ عنهُ نوباتُ النُّعاس، وراحَ يُفكِّرُ في كتابٍ يريدُه حولَ نفسِه، كُنَّا نتجاذبُ أطرافَ الحديثِ كما في الماضي، وقضينا مع سيلفي سهراتٍ بالغةَ الحيويَّة، ومرَّة تناولنا العشاءَ مع أليس شوارزر A.Schwarze، وذات يومٍ؛ اقترحتُ أن نُسجِّلَ معه، خلالَ العطلةِ، حواراتٍ حولَه في الأدبِ والفلسفةِ والحياةِ الخاصَّةِ؛ فقبِلَ ذلكَ وقال، وهو يشيرُ إلى عينهِ بحركةٍ مؤثِّرة: «هذا يُعالجُ ذاك».

صحِبتْنَا سيلفي ذاتَ مساءٍ إلى الأُوبْرا للاستماعِ إلى **الثَّعابين الصَّقِلِّيَّة** Les Vêpres siciliennes، ارتدى سارتر قميصاً أبيضَ وربطةَ عُنق اشتراها خصِّيصاً لهذهِ المناسبة، بوصفِها نوعاً من التَّنكُّر الَّذي يُسلِّيه، أحبَّ العرضَ، مع أنَّ شيئاً من الضَّعف اعتَوَرَ التَّوزيع، أمَّا الألحانُ والفرقةُ الغنائيَّةُ؛ فرائعةٌ، والإخراجُ، والدِّيكور، والملابسُ كانت مثيرةً للاهتمام، لكنْ، لسوءِ الحظِّ، فإنَّ جمالَها قد فاتَ سارتر إلى حدٍّ ما، مع أنَّ رؤيتَه لها كانت أفضلَ ممَّا كانت عليه في البندقيَّة، ومع ذلك؛ كان في حالةٍ من النَّشوة ونحن نتناولُ العشاءَ معاً في مطعم La cloche d'or.

مساءَ الانتخابات؛ جاء سارتر إلى بيتي أوَّلاً، وقدَّم هديةً لِسيلفي، هي تسجيلٌ لِأوبرا فيردي، ثمَّ ذهبنا إلى بيتِ لانزمان لمتابعةِ نتائجِ الانتخاباتِ خلالَ التِّلفزيون، وتجدرُ الإشارةُ إلى أنَّها لم تشدَّ انتباهَنا كثيراً، فعودةُ ميراثِ بومبيدو إلى جيسكار ديستان، لم يكنْ مُصيبةً.

خلالَ نهايةِ شهرِ حُزيران هذا؛ استمرَّتْ صحَّةُ سارتر بالتَّحسُّن بشكلٍ جيِّدٍ جدّاً، وبدا مُستسلماً تقريباً أمامَ عماه النِّصفيّ، واحتفلنَا مع سيلفي بعيدِ ميلادِه التَّاسعِ والسِّتِّين، وأطرى كثيراً العشاءَ اللَّذيذَ الَّذي حَضَّرتُه، واحتسينا المشروبَ بفرح.

لم يكنْ يشغلُه سوى شيءٍ واحد، هو أنَّ صديقتَه اليونانيَّة لم تعُدْ تبدو مضطربةً فحسب، بل مجنونةً بكلِّ معنى الكلمة، بعد أن تسبَّبَتْ بفضيحةٍ عامَّةٍ في شارع أوتوي Auteuil، ونُقلَتْ على إثرِها إلى مشفى سانت ـ آن Sainte-Anne، الَّذي خرجَتْ منه لتدخلَ إلى مشفى المدينةِ الجامعيَّة، قال لنا طبيبٌ الأمراضِ النَّفسيَّةِ إنَّ حالَها مجرَّد «نوبةٍ هذيانيَّة»، لكنْ يبدو أنَّ إصابتَها كانت بليغةً جدّاً، وحينَ رافقتُ سارتر في الخامسِ من حزيران إلى شارع جوردان؛ انتظرتُ في قاعةٍ صغيرةٍ، بينما ذهبَ لرؤيتها في غُرفتها، وبعدَ ساعة؛ جاءت معه مرتديةً قميصاً أبيضَ طويلاً، بشعرِها الأشعث ووجهِها النَّحيف، فكانت

صورةً كلاسِّيكيَّة للجنون، كما تُظهره السِّينما، حيَّتْني بمجاملتِها المعهودة، بعدها استقلَّيتُ وسارتر إحدى سيَّاراتِ الأُجرة وذهبنا لتناولِ الغداءِ في مطعم بازار Bazar، وكان مُندهشاً بعدَ رؤيته لِميلينا؛ فقد كانت عِدائيَّةً إزاءه، واتَّهمتهُ بأنَّه وراءَ احتجازِها، وطلبَتْ منهُ إخراجَها، فرفضَ، فقالت له: «لقد كنتَ وراءَ احتجاز ألتوسير Altusser»[١] (كانَتْ قد حضرَت دروساً في جامعةِ السُّوربون عندَ ألتوسير الَّذي أُدخل المشفى حديثاً بسببِ ما أصابَه من انهيارٍ عصبيٍّ)، استُدعيَ والدُها إلى باريس ليصحبَها إلى اليونان خلالَ بضعةِ أيَّام، قال لي سارتر بأسى: «أظنُّ أنّي لن أراها بعد اليوم»، كنت متضايقةً من تركِه في هذه الظُّروف، ودَّعنا سارتر عند المبنى الَّذي تسكنه آرليت الَّتي من المقرَّرِ أن يرافقَها مساءً إلى جوناس، كان يُمسِك بيدِه كيساً بلاستيكيّاً سبقَ أن وضعتُ فيهِ أغراضَه اللَّازمة للحمَّام، كان ينظرُ إلينا عبرَ ستارةٍ من المطر، والغيومِ الخاصَّةِ به.

طُفتُ أرجاءَ إسبانيا مع سيلفي، وأنا أطمئنُّ على صحَّة سارتر عبرَ برقيَّاتٍ تصلني من جوناس، وباريس، وفلورنسا، حيثُ أقامَ مع واندا، انتهتِ الرِّحلةُ بشكلٍ سيِّئ؛ إذ بينما كُنَّا في طريقِ عودتِنا من إسبانيا إلى إيطاليا؛ علمتْ سيلفي، في مدينة مونبلييه، بموتِ والدِها بنوبةٍ قلبيَّةٍ، فأنزلتني في أفينيون وتابعَتْ طريقَها نحوَ بروتانيا Bretagne، وركبتُ القطارَ متوجِّهةً إلى فلورنسا.

حينما التقيتُ سارتر ذاتَ صباحٍ في الفندقِ الَّذي يُقيمُ فيه؛ تعرَّفتُ إليه بصعوبة، بسببِ قُبَّعته، وذلك الشَّعرِ الأبيضِ الَّذي كان يغطي ذقنَه، لعدم قدرته على حلاقتِه، ولأنَّه كان يكرهُ الذَّهاب إلى الحلَّاق، في القطارِ الَّذي حملَنا إلى روما؛ انتابَه النُّعاس، لكن حينَ التقينا صباحَ اليومِ التَّالي في شقَّتناالتيراس،

---

(١) لوي ألتوسير (١٩١٨-١٩٩٠): فيلسوف فرنسيّ، وعضو في الحزب الشّيوعي الفرنسيّ، له عدّة كتب ودراسات هامّة.

لاحظتُ بسعادةٍ أنَّ صحَّته كانت جيِّدة جدّاً، فقد تمكَّنَ حلَّاقُ الفندقِ من كسبِ ثقته، فحلقَ له ذقنَه، ممَّا أعطاه مسحةً كبيرةً من الشَّباب، بعدها؛ حلقَ ذقنَه بشكلٍ صحيحٍ لوحدِه بآلةِ حلاقةٍ كهربائيَّةٍ اشترتها له سيلفي حينما التحَقَت بنا، بعدَ عدَّةِ أيَّام. وعلَّمَتني كيفَ أستخدمُ جهازَ التَّسجيل، وبدأتُ مع سارتر سلسلةً من الحواراتِ الَّتي سبقَ أن تحدَّثنا عنها في باريس، وتهيَّأ لها بسرور، عدا بعضِ الأيَّامِ الَّتي كان فيها مُتعباً، فكُنَّا نتلكَّأُ في التَّسجيل.

بمعزلٍ عن هذا التَّجديد؛ كانت حياتُنا تسيرُ وفقَ الإيقاعِ نفسِه الَّذي سارَتْ عليه في السَّنوات السَّابقة: نزهاتٌ قصيرةٌ، وموسيقا، وقراءةُ صحفٍ أو بعضُ الكتبِ، ومن بينِ الكتبِ الَّتي قرأتُها لِسارتر كتاب **أرخبيل الغولاغ** لِسولينتسين Soljentsine، وكتاب هتلر لِفيست Fest، وفي المساءِ؛ كُنَّا نتناولُ العشاءَ في ترّاس مطاعمِنا المفضَّلة.

ذاتَ مساءٍ، بينما كُنَّا عائدَين سيراً على الأقدامِ عبرَ شوارعَ صغيرة مُعتمة؛ خَرجَتْ يدٌ من سيَّارةٍ قاطعتْنَا لتأخذَ حقيبةَ يدي؛ أردتُ التشبُّثَ بها، لكنَّهم انتزعوها منِّي ووقعتُ على الأرض، ساعدَني سارتر وسيلفي لبلوغِ الفندقِ الَّذي كان قريباً، طلبنا مباشرةً، أحدَ الأطبَّاءِ، فقال لي إنَّ ذراعي اليُسرى قد خُلعت، فربطها، وفي اليوم التَّالي؛ ثبَّتوها بالجبس، قيل لنا إنَّ مثلَ هذهِ الاعتداءاتِ شائعةٌ تلكَ السَّنة، فلمْ نعُد نخرجُ سيراً على الأقدام أبداً، وأعادت سيلفي السَّيَّارةَ إلى باريس، وجاءت عائلةُ بوس Les Boss في زيارةٍ قصيرةٍ لنا، وبعدَ أن بقينا لوحدِنا؛ قمتُ بتسجيلِ عدَّةِ حواراتٍ، وكُنَّا نخرجُ قليلاً؛ لأنَّ المطرَ والعواصفَ انفلتَتْ من عقالِها في منتصفِ شهرِ أيلول.

عُدنا إلى باريس في ٢٢ أيلول، وأقامَ سارتر في هذا السَّكن من دونِ مُتعة، حيثُ «لم يعدْ يعمل»، وحينَ جاءَت سيلفي لقضاءِ سهرةٍ معه؛ قالت له: «أتيتَ لترى بيت الموتى؟»، وسألته لاحقاً فقال: «إيه ! نعم، إنَّني ميِّتٌ حيٌّ»،

كان ذلك قبلَ أن يعودَ لممارسةِ نشاطه، بعد ذلك؛ وجدَ نفسَه حيّاً أكثر منه ميتاً، تابعنا حواراتِنا وكان يقول بأنّه سعيدٌ تماماً، وانتهى الأمرُ بهِ إلى المراهنةِ على عماه النِّصفي، وكان فخوراً بقدرتِه على التَّكيُّفِ مع هذه الحالة، وأوّلُ ما قام به؛ هو إرسالُ رسالةٍ إلى جيسكار ديستان (رئيس الجمهوريّة) طالباً منه أن يأمرَ بمنحِ الجنسيَّة لِبيني ليفي (بيير فيكتور) بأسرعِ ما يمكن، ردَّ عليه جيسكار في ٣٠ أيلول برسالةٍ خطَّها بيده، مُتجنِّباً أن يخاطبَه بالمعلِّم Maitre، يعدُهُ فيها بمنحِ الجنسيَّةِ المطلوبة، واختتمها بقوله: «تقول في رسالتك، بأنَّ الشُّقَّة بيننا بعيدة، لكنِّي لستُ متأكِّداً من ذلك، إذ لم أفكِّرْ في حياتي أنَّ الكائناتِ لا تتميَّز عن بعضِها إلَّا من خلالِ خلاصاتِها، فهناك أيضاً أبحاثُها كما تعلم»، وتمَّ منحُ الجنسيَّةِ بسرعةٍ كبيرةٍ، فكتبَ سارتر رسالةً مختصرةً يشكرهُ فيها[1]، أراد فيكتور الاحتفاءَ بهذا الحدث، فدعا كلَّ المقرَّبين منه، وبما أنَّني وسارتر كُنَّا ننوي حضورَها؛ فقد أعارتنا ليليان سيغل شقَّتها لتسهيلِ الأمورِ علينا.

عاد سارتر لحضورِ اجتماعاتِ **الأزمنة الحديثة**، فوجدَه الحاضرون إيتشيريللي Etcherelli، وبويون Pouillon، وهورست Horst قد تغيَّر، كما عادَ لرؤيةِ محرِّري صحيفة ليبيراسيون.

في الخامسَ عشرَ من تشرين الأوَّل؛ نُشرَ في صحيفة **لوموند** نداءٌ، من سارتر وجولي July، كتبَه هذا الأخيرُ بعنوان: «أنقذوا ليبيراسيون»، إذ بعدَ أن غرقَتِ الصَّحيفةُ في الدُّيونِ؛ اضطرَّت إلى تعليقِ صدورِها؛ وطلبَ سارتر وجولي من الجمهورِ جمْعَ مبلغِ ٧٧ مليون فرنكٍ قديم؛ اللَّازمِ لاستمرارِ صدورِها. استمرَّ في مناقشاتِه مع فيكتور، وكان لديه عدَّةَ مواعيد؛ وكنتُ أقرأُ له في

(١) توقّفت المراسلات بين الرّجلين عند هذا الحدّ بين سارتر وجيسكار، وهو ما تحدّثت عنه بعض الصّحف بعد وفاة سارتر.

فترةِ بعد الظُّهر وبعضِ الأماسي، كُتباً كان يرغبُ في معرفةِ مضامينها (**الكتابات السِّياسيَّة** لِغرامشي، وتحقيقٌ حولَ تشيلي، وآخرُ عددٍ من **الأزمنة الحديثة**، ودراسةٌ حولَ **السِّرياليَّة والأحلام**؛ وكتابُ **حياة فيرجينيا وولف** بقلمِ كوانتان بيل Quantin Bell)، ولم تعُدْ تنتابُه نوباتُ النُّعاس، وتكيَّفَ تماماً مع عدمِ التَّدخين والسَّير، ويقولُ لي بلطفٍ: «أؤكد لكِ أنَّ حالتي لا بأس بها، أنتِ تقرأين لي، وكلانا يعملُ، وأرى ما يكفي لأتمكَّن من السَّير، لا بأس»، ترى، ما سِرُّ هذه الطُّمأنينة؟ هل هي عظمةُ كبرياءِ الحكيم؟ أم لا مبالاةُ رجلٍ مُسنٍّ؟ أم إرادتُه في عدمِ الإثقالِ على الآخرين؟. علَّمتني التَّجربةُ أنَّه لا يُمكنُ التَّعبيرُ عن مثلِ هذه الحالاتِ النَّفسيَّةِ. كان الكبرياءُ والحكمةُ والاهتمامُ بالمحيطين يمنع سارتر من الشَّكوى، لكن، أينَ من هذا شعورُه بما يجري بينَ اللَّحمِ والجِلد؟، لا أحدَ يمكنُه الإجابة، ولا حتَّى هو نفسه.

في السَّادسَ عشرَ من تشرين الثَّاني؛ وقَّعَ سارتر بياناً يُعلنُ فيه قطيعتَه مع اليونسكو، لأنَّها رفضَتْ دمجَ إسرائيل في منطقةٍ محدَّدةٍ من العالم، في هذه الفترة؛ توسَّط كلافيل Clavel معهُ لإجراءِ سلسلةٍ من الحواراتِ المتلفزة، بدأ برفضِ هذا الأمر؛ لأنَّه لم يكن آنذاك من محبي مساندةَ أيِّ مؤسَّسةٍ تابعةٍ للدَّولة(١) بمساهمته الشَّخصيَّة، ما خلا مرَّة أو اثنتين، لكن؛ خلالَ نقاشِه مع فيكتور وغافي؛ خطرَتْ ببالِه فكرةُ إنتاجِ برامجَ حولَ تاريخِ هذا القرن، كما عاشه، أو احتكَّ بهِ منذُ ولادتِه، فوافقتُ على فكرتِه هذه، كان يأملُ التَّاثيرَ على الجمهورِ من خلالِ إجراء تغييرٍ عميقٍ لرؤية تاريخِنا الحديث، بدا مارسيل جوليان Marcel Jylian، رئيسُ ومديرُ القناة الثَّانية Antenne2 موافقاً على هذا المشروع، لكي يبرهنَ تِلفزيون الرَّئيس جيسكار ديستان على ليبراليَّته.

في التَّاسعَ عشرَ من تشرين الثَّاني؛ أجرى سارتر مع ليبيراسيون مقابلةً حولَ هذه المسألة، من دون قناعة، إذ صرَّحَ قائلاً: «سنرى إلى أينَ سنصل».

---

(١) اتَّخذ هذا القرارأثناء إضرابات التّلفزيون والإذاعة.

وصارت الآن لديهِ اهتماماتٌ أُخرى؛ فقد نشرَ في ليبيراسيون، بتاريخ ٢١ تشرين الثَّاني، رسالةً يحتجُّ فيها على رفضِ السُّلطاتِ الألمانيَّة السَّماحَ له بلقاءِ أندرياس بادير Andérias Bader(١) للاطِّلاعِ على قضيَّةٍ كان يشعرُ أنَّه منخرطٌ فيها، وفي مقابلةٍ أجراها مع مجلَّةِ دير شبيغل في شباط ١٩٧٣؛ سوَّغ بطريقةٍ ما، أفعالَ كتائبِ الجيشِ الأحمرِ R.A.F، وفي آذار ١٩٧٤؛ ظهرت في مجلَّة **الأزمنة الحديثة** مقالةٌ لِسيف تيونس Sjef Teuns حولَ «التَّعذيبِ من خلالِ الحرمانِ الشَّخصيِّ» الَّذي وقعَ على بادير ورفاقِه، تضمَّن العددُ نفسُه مقالةً، كاتبُها مُغفلُ الاسم، بعنوان «المناهجُ العلميَّةُ في التَّعذيب»، وأُخرى لمحامي بادير؛ كلاوس كرواسان Klaus Croissant، بعنوان: «التَّعذيبُ بالحبسِ الانفراديِّ»، بعد ذلك؛ طلبَ منه كلاوس كرواسان الذَّهابَ للاطِّلاعِ على ظروفِ اعتقالِ بادير بأمِّ عينِه، وقرَّرَ أن يقومَ بذلك، وفي ٤ تشرين الثَّاني؛ طلبَ الحقَّ بلقاءِ بادير في سجنِه، وكان مترجِمهُ دانييل كون - بينديت Danel Cohn-Bendit، وعزَّز تصمَيمهُ بالإعلانِ عن موتِ هولجرماينس Holger Meins في التَّاسعِ من تشرين الثَّاني بعدَ إضرابِه عن الطَّعام. اعتبَرَت رسالةُ سارتر، المنشورةُ في ليبيراسيون، الرَّفضَ الألمانيَّ بمثابةِ «مُماطلةٍ بحتة»، وبعدَ نشرِها بفترةٍ قليلة؛ جاءَتْ أليس شوارزر تطلبُ منه إجراءَ مقابلةٍ لحسابِ مجلَّة دير شبيغل، نُشرت في الثَّاني من كانون الأوَّل، وأخيراً، حصلَ سارتر على الإذنِ بلقاءِ بادير، وشرحَ أسبابَ تدخُّلِه بأنَّهُ يرفضُ الأعمالَ المنيفةَ الَّتي تقومُ بها كتائبُ الجيشِ الأحمرِ في السِّياقِ الألمانيِّ الحاليِّ، لكنَّه حرصَ على التَّعبيرِ عن تضامنِه مع مناضلٍ ثوريٍّ مسجونٍ، ورفضهِ للمعاملةِ الَّتي عومِلَ بها.

---

(١) أندرياس بادير(١٩٤٣-١٩٧٧): زعيم التنظيم الإرهابيّ الألمانيّ الّذي كان يسمّى «الألوية الحمراء»

في الرَّابعِ من كانونَ الأوَّل؛ ذهبَ إلى شتوتغارت، يرافقُه بيير فيكتور، وكلاوس كرواسان، وكون ـ بنديت، وتحدَّث حوالي نصفَ ساعةٍ مع بادير،وكان من قاد السَّيَّارةَ الَّتي أقلَّتهُ إلى سجنِ ستامهايم Stammheim، بومي بومان Bommi Bauman، أحدُ الإرهابيِّينَ التَّائبينَ والَّذي روى تجربتَه في «فرنسا الموحشة [١]».

في اليومِ نفسِه؛ عقدَ سارتر مؤتمراً صحفيّاً (نُشرت أجزاءٌ منه في صحيفتَي ليبيراسيون ولوموند)، وأطلقَ في التِّلفزيون، مع هينريش بول Heinrich Bl نداءً لتشكيلِ لجنةٍ دوليَّةٍ لحمايةِ السُّجناءِ السِّياسيِّين، وقد أثارَتْ مداخلتُه حملةً عنيفةً ضدَّه في جمهوريَّة ألمانيا الاتِّحاديَّة، ثمَّ عقدَ مؤتمراً صحفيّاً آخرَ في باريس في العاشرِ من كانون الأوَّل بمساعدةِ كلاوس كرواسان، وغيمار، بعدَ ذلك؛ خصَّ بادير بمقابلةٍ ضمنَ البرنامج التِّلفزيونيِّ Satellite الَّذي بُثَّ في ٢٢ أيَّار عام ١٩٧٥.

لم يكنْ واهماً حولَ زيارتِه إلى سجنِ ستامهاين، إذ قال: «أظنُّ أنَّ هذه الزِّيارة كانت فاشلةً، لأنَّها لم تتمكَّن من تغييرِ الرَّأي العامِّ الألمانيِّ، بل ربَّما حوَّلَتهُ ضِدَّ القضيَّةِ الَّتي أزعمُ الدِّفاعَ عنها، قلت بوضوح إنَّني لا أدافعُ عن الأفعالِ الَّتي اتُّهم بها بادير، بل عن ظروفِ اعتقالِه، بينما زعمَ الصَّحفيُّون أنَّني أُدافعُ عن عملِه السِّياسيِّ.. وأظنُّ أنِّي فشلتُ في هذا، لكنَّ هذا لن يمنعَني من القيامِ بالشَّيء نفسه [٢]»، وقال في موضعٍ آخر: «المهمُّ عندي هو الأسبابُ الكامنةُ وراءَ عملِ المجموعة، وتطلُّعاتِها، ونشاطاتِها، وفكرِها السِّياسيِّ، بشكلٍ عام».

قبلَ سفرِ كلٍّ من سارتر وفيكتور وغافي إلى ألمانيا في الثَّاني عشرَ من أيلول؛ قاموا بعرضِ كتابِ **يحقُّ لنا التمرُّد**، خلالَ جلسةٍ حواريَّةٍ جرَت في

---

(١) استكملا هذه القصَّة بعد عدة سنوات باسم كلاين Klein، وحمل الكتاب عنوان: الموت الارتزاقي. وقدم للنسختين كون-بنديت.

(٢) في حوار مع ميشيل كونتا M.Contat: «لوحة ذاتية في السبعين من عمري».

Cours de miracles، وهو مكانٌ للقاءاتٍ موّلَهُ أحدُ أصدقاءِ جورج ميشيل الَّذي عهدَ إليه بإدارته الفنِّيَّة، بعد أناكتشفَه وعملَ على تهيئتِه بمساعدةِ بعضِ المهندسين من أصدقائِه، ليتضمَّن سينما، وصالةَ مسرحٍ، ودكاكينَ حِرَفيَّة، وكافتيريا بأسعارٍ رخيصة.

بهذه المناسبة، وفي مناسبةٍ أُخرى لاحقاً، وضعَ جورج ميشيل صالةَ المسرحِ تحتَ تصرُّف سارتر، فأقام فيها عدَّة نشاطاتٍ. في السَّابعَ عشرَ من كانون الأوَّل؛ تحاورَ في المركزِ الثَّقافيِّ اليابانيِّ، مع طُلَّاب راغبين في فهم العلاقةِ بين فلسفتِه وسياستِه، وجمعَ كونتا Contat نصَّ هذا اللِّقاء، ونُشر في إحدى الدَّوريَّاتِ اليابانيَّةِ عام ١٩٧٥، كما وقَّع نداءً يُطالب فيه بتحريرِ جنودَ معتقلين طالبوا بالحقوقِ الدِّيمقراطيَّةِ في كنفِ الجيش.

في الثَّامنِ والعشرينِ من شهرِ كانون الأوَّل؛ أعادَ سارتر، على أثرِ حادثٍ أوقعَ ٤٣ ضحيَّة في منجمِ Liévin، نشْرَ مرافعةٍ سبقَ أن ألقاها في Lens ضِدَّ مناجمِ الفحمِ Houillères، أضافَ إليها نصّاً قصيراً؛ رفع من خلالِه هذه الوثيقةَ إلى قاضي التَّحقيق باسكال Pascal، وأجرى مع ميشيل فوكو مؤتمراً صحفيّاً حولَ هذا الموضوع.

كانت اهتماماتُه تنصبُّ على تلك النِّقاشات الَّتي يجريها ثلاثَ مرَّاتٍ أسبوعيّاً مع فيكتور وغافي حولَ البرامجِ الَّتي كُنَّا نريدُ تحضيرها للتلفزيون، وأوقفْنا حواراتِنا الَّتي بدأت ضاربةُ الآلةِ الكاتبةِ بنسخِها بصعوبةٍ بالغةٍ بسببِ تدفُّق كلامِنا السَّريع، وأصواتِ الأجراس الَّتي كانت تختلطُ بأصواتنا في روما خلالَ تلك الحوارات، الَّتي شغلَت وقتَنا كلَّه، وكُنَّا، سارتر وأنا، نتحدَّثُ عنها خارجَ اجتماعاتِ العمل كثيراً، وعن كتابته غير المقروءةِ تقريباً، وكان يُسجِّل أفكاراً ومُقترحات، ومن جانبِه؛ كان فيكتور، خلالَ لقاءاتنا، يُسجِّل على الورق، ويُجري الاتِّصالاتِ، المتعلِّقة بنيَّتنا تقديمَ عشرة برامج حولَ تاريخ القرن، مدَّة

كلٌّ منها خمسٌ وسبعون دقيقةً، يتبعُها فقرةٌ من خمسَ عشرةَ دقيقةً؛ مُخصَّصةٌ للقضايا الرَّاهنةِ الَّتي لها علاقةٌ بالموضوع الأساسيِّ، وخلالَ شهرين، على الأقلِّ، نجحْنا في وضعِ ستَّة سيناريوهات، يتطلَّب تطويرُها تعاونَ مجموعةٍ من المؤرِّخين؛ فاتَّصلنا بكثيرٍ من الباحثين الشَّباب، منهم أصدقاء لِفيكتور وغافي.





١٩٧٥

كانت أُولى المسائلِ الَّتي طَرحَت نفسَها، هي مسألةَ المُخرجِ. تمنَّى سارتر أن يعمل مع تريفو Truffaut، فذهبَ برفقةِ ليليان سييغل، لمعرفتِها به، للقائه في ٣١ كانون الأوَّل، لكنَّ وقتَه لم يسعفْهُ، ونصحَه بالتَّوجُّه إلى روجيه لويس Roger Louis، الَّذي يملكُ وسائلَ هامَّةً. وكان صحافيّاً كبيراً ومخرجاً في التّلفزيون، استقالَ من عملِه عام ١٩٦٨، وسوَّغ هذه الاستقالةَ في كتابٍ بالغِ الحيويَّةِ بعنوان: O.R.T.F,mon combat [نضالي في الإذاعة والتّلفزيون]، ثمَّ أسَّسَ تعاونيّةً للإنتاجِ المستقلِّ باسمِ Scopcolor، تحتلُّ مساحاتٍ واسعة في بيلفيل Belleville، قَبِلَ مساعدتَنا في إنجازِ مشروعنا، فتخلَّصنا بذلك من وصايةِ التّلفزيون الرَّسميّ، وناقشنا مع إيدلين Edeline أسبابَ رفضِنا لفريقها الفنّيّ، وهو استقلاليَّةُ عملِنا،لم يبقَ علينا سوى اختيارِ المخرجين، فذهبَ تفكيري إلى لونتز Luntz، لإعجابي الشَّديدِ بِفيلمه **قلوب خضراء**، فنَظَّمَ لنا اجتماعاً ليعرضَ علينا آخرَ أفلامِه الَّذي يصفُ فيه آخرَ يومٍ من حياةِ أحدِ أبطالِ **القلوب الخضراء**، لولو؛ الَّذي خرجَ من السِّجنِ بعد مرورِ خمسِ سنواتٍ على اعتقاله، لم يكن سارتر يرى جيِّداً وهو قريبٌ من الشَّاشةِ بمساعدةِ النَّصّ، لكنَّه أحبَّ الفيلم، وأنا كذلك، أمَّا فيكتور وغافي؛ فلم يجداه سياسيّاً تماماً، لكنَّهما لم يعترضا عليه، اقترحَ روجيه لويس اسمَ كلود دو غيفاري Claude de Givary، فوافقْنا عليهِ بعدَ أن رأينا بعضَ ما أخرجَه للتّلفزيون، كما قَبِلَ فيكتور وغافي أن يُقدِّما لنا مساعدتَهما، لكن من دونِ أيِّ ضمانةٍ من قِبَلنا.

في نهايةِ شهرِ كانون الأوّل؛ صوَّر جوليان في مكتبِ سارتر لمدَّة ستّ دقائق، أعلنَّا خلالَها، سارتر وأنا، وغافي وفيكتور عن مشروعِنا، وهو ما استغرقَ فترتَنا الصَّباحيَّة كلَّها؛ وسُرِرنا كثيراً بعد عرضِه علينا بعدَ عدَّةِ أيَّام.

كان من المفترضِ أن يُعرضَ البرنامجُ في ٦ كانون الثَّاني خلالَ برنامجٍ يُقدِّم فيه جوليان برنامجَه السَّنويّ بطريقةٍ احتفاليَّة، لكنَّه لم يُعرض، فقَبْلَ شهرٍ ارتكبَ غافي هفوةً بقولِه إنَّ سارتر وأنا لم ننجحْ في التَّعبيرِ عمَّا نُريد، وكتبَ في صحيفة ليبيراسيون أنَّ سارتر قبِلَ العملَ من أجل التّلفزيون بهدفِ التَّقليلِ من شأنِه والسُّخريةِ منه، قال جوليان لِسارتر إنَّه لا يستطيعُ إظهارَ غافي على الشَّاشةِ الصَّغيرةِ مباشرةً، بعدَ هذه المقالة، وأكَّدنا تضامُنَنا الرَّاسخَ مع غافي، فتخلَّى جوليان عن حذفِ اسمه، أخيراً؛ تمَّ عرضُ تقديمنا للفيلم في ٢٠ كانون الثَّاني بعد خضوعِه للرَّقابة.

خلالَ تلكَ الفترةِ؛ عُقِدَ اجتماعٌ في الخامسِ من كانون الثَّاني، للمؤرِّخين، وقد جاءَ كثيرونَ منهم من الرِّيف، ونظراً لغيابِ سارتر؛ ترأَّسَ فيكتور هذا الاجتماع.

في السَّابع من الشَّهرِ نفسِه؛ التقينا جوليان وذراعَه الأيمن وولفروم Wolfrom، في بيتِ ليليان، لتحديدِ بعضِ النُّقاط، ومنها المسائلُ الماليَّةُ، كان فيكتور وآني شينيو، أمينا سرِّ الإنتاجِ، لم يتسلَّما بعدُ أجورَهما، فدفعها سارتر من مالِه الخاصِّ، وذلك بعدَ إرسالِ السِّيناريوهات السِّتَّة إلى جوليان في العشرين من كانون الثَّاني ودفعَ في الثَّاني والعشرين من الشَّهر نفسِه، «أجراً قدره ١٢٥٠٠ فرنك» كأجرٍ جُزئيّ على سعرِ الحلقةِ الَّتي بقيَ مجموعُ شروطِها خاضعاً للنِّقاش، وكان لا بدَّ من إجراءِ خمسَ عشرةَ مكالمةً هاتفيَّةً للحصولِ على هذه الدَّفعةِ الأُولى.

إضافةً إلى لقاءاتِ «مجموعة الأربعة» في منزلِ سارتر، بمعدَّل ثلاث مرَّاتٍ أسبوعيّاً، عُقدت عدَّةٌ اجتماعات أُخرى.وفي ٢٨ كانون الثَّاني؛ تحاورَ

سارتر مع المخرجَيْن لونتز Luntz وغيفراي Givray، وعادِ لرؤيتهما في ١٨ كانون الثَّاني مرَّةً أُخرى. في الأوَّل من شهرِ شُباط؛ اجتمع المؤرِّخون، ثمَّ صاروا يلتقونَ في جلسةٍ عامَّةٍ مرَّةً كلَّ شهرٍ في مكاتبِ سكوبوكولور، بعد أن توزَّعوا إلى عدَّة مجموعات؛ تعملُ مُنفصلةً حولَ موضوعاتٍ متنوِّعة سبقَ أن اقترحناها عليهم، وكانوا، خلالَ هذه الاجتماعاتِ العامَّةِ، يعرضون النَّتائجَ الَّتي توصَّلوا إليها. وتجدرُ الإشارةُ بنحوٍ خاصٍّ إلى مجموعةٍ من النِّساءِ أردنَ إلقاءَ الضَّوءِ على دورِ النِّساء خلالَ الخمس والسَّبعين سنةً هذه، وهو دورٌ تمَّ إغفالُه رغمَ أهميَّته البالغة. ولعدم قدرتنا على استخدامِ الموادِّ بالغةِ الثَّراء الَّتي حملنَها إلينا؛ رأينا أن يَقُمْنَ بتأليفِ كتبٍ ترافق كلَّ واحدة من هذه الحلقات، واتَّفقنا مع شركة Pathé السِّينمائيَّة، على أن تُقدِّم لنا الوثائقَ الَّتي نحتاج إليها مجَّاناً.

كُنَّا بحاجةٍ إلى مُحامٍ لتنظيمِ المسائلِ الإداريَّةِ والاقتصاديَّةِ، فاخترنا المحامي كيجمان Kidjman الَّذي نعرفه جيِّداً، وعرضَ عليه كلٌّ من سارتر وفيكتور مشاكلَنا في العشرين من شهرِ شباط، ومن بين النَّصائح الَّتي قدَّمها إليهم، أوَّلاً: توقيعُ عقدٍ بأسرعِ وقتٍ ممكن. في السَّادسِ من آذار؛ التقى سارتر، في بيت ليليان، بِجوليان وَولفروم، لكنَّه لم يصلْ معَهما إلى توقيعِ العقدِ، وانتزعَ منهما فقط شيكّاً ثانياً؛ وُزِّعت قيمتُهُ على مجموعاتِ المؤرِّخين، الَّذين ساعدَهم كيجمان على تأليفِ «جمعيَّة مدنيَّة» تكونُ بمثابةِ مؤلِّفٍ خامسٍ للبرنامج.

قلتُ إنَّ سارتر كان متضايقاً من عدمِ رؤيةِ مُتحدِّثيهِ، لذلك لم يظهرْ إلَّا قليلاً حينما يكونُ أولئك كثيرين، وخلالَ الاجتماعاتِ العامَّة، كان فيكتور هو من يتناول الكلامَ بسلطةٍ تردعُ البعضَ، وتثيرُ غضبَ آخرين، ومعَ ذلك؛ فقد كانت لِسارتر مداخلةٌ طويلةٌ في ١٣ نيسان، خلالَ جلسةٍ عاصفةٍ. كان من المتَّفقِ عليه أن تنتظمَ الحلقاتُ حولَ سارتر، وإذا حدثَ ثمَّة اختلافٌ؛ فهو

صاحبُ القرارِ الأخيرِ، ومع ذلك، فقد أعادَ المؤرِّخون النَّظرَ في علاقتهم بِ«مجموعة الأربعة»؛ إذ لم يريدوا الاكتفاءَ بجمعِ الوثائقِ الَّتي يستخرجُ الآخرون منها الخلاصاتِ النَّظريَّة، سعى سارتر إلى إقناعِهم أنَّ الهدفَ المنشودَ هو إنجازُ عملٍ «جماليّ - إيديولوجيّ»، يتطلَّب خلاصةً لا يُمكن إلَّا لمجموعةٍ مُحدَّدةٍ وضعُها، فهِمَ المؤرِّخون وجهةَ النَّظرِ هذه بشكلٍ جزئيٍّ، لكنَّهم عموماً؛ شعروا بخيبةِ أمل، ولحسنِ الحظِّ أنَّ سكوب كولور نظَّمت في ذلكَ اليومَ غداءً فخماً خَلَقَ جوّاً من الانفراج، حيثُ استطاعَ المشاركون، وهم يأكلون ويشربون، تجاذبَ أطرافِ الحديث جماعيّاً، أو إفراديّاً، وكانت مناقشاتُ فترةِ بعدَ الظُّهر أكثرَ وديَّة، لكنَّ الاجتماعَ العامَّ، الَّذي عُقد في العاشرِ من أيَّار؛ لم يكنْ نشيطاً.

في اليومِ التَّالي؛ تناولنا طعامَ الغداءِ على طاولاتٍ صغيرة في سكوب كولور، من دونِ استئنافِ المناقشاتِ، وقتَها؛ لم يكنْ أحدٌ مقتنعاً بأنَّ هذا العملَ سيُنجَز، لكنَّ مجموعةَ المؤرِّخات جئنَ ذاتَ صباحٍ إلى منزل سارتر للقاءِ مجموعة الأربعة، وأبدينَ تعاوناً كبيراً وهامّاً.

كانت مشكلةُ المالِ مطروحةً بشكلٍ حادٍّ. وفي يومِ الإثنين في الثَّاني عشر من الشَّهرِ نفسِه؛ التقينا نحنُ الأربعة في بيتِ سارتر مع جوليان، فقام كلٌّ مِنَّا بمهاجمته؛ لأنَّه في الحقيقةِ كان يفتقرُ إلى حُسن النِّيَّة، والقضيَّةُ كلُّها كانت تدور -ظاهريّاً- حولَ تصنيفِ البرنامج؛ فإن كان دراميّاً؛ فسنُمنحُ الميزانيَّةَ الَّتي نحتاجها، أمَّا إذا كان وثائقيّاً؛ فلن يحقَّ لنا سوى ثلثِ المبلغ، وكان على جوليان إقناع آلان دوكو Alain Decaux مدير جمعيَّة المؤلِّفين والموسيقيِّين في التلفزيون، بتصنيفِ البرنامج ضمنَ فئة البرامج الدراميَّة. حدَّدنا موعداً معه يومَ الأربعاء التَّالي، وحدَّد سارتر موقفَه في رسالةٍ بعثَ بها إلى جوليان:

جان- بول سارتر باريس في ١٥ أيَّار ١٩٧٥

السيِّد مارسيل جوليان
رئيس القناة الثَّانية
Rue de l'Unuversité 158
Paris7eme

اتَّفقنا على أن أقومَ بعملٍ تلفزيونيٍّ: وأقصدُ بالعملِ مجموعاً تحكمُه فكرةٌ مختصرةٌ يُنتَجُ استناداً إلى صور، وحوارات، وتعليقاتٍ يقولها ممثِّلونَ عن تاريخ هذه السَّنوات السَّبعين (أنا منهم)، أو ممثِّلون يقومون بدورٍ تاريخيٍّ، ينبغي أن يكونَ واضحاً أنَّنا لا نزعمُ الإحاطةَ بكلِّ وقائعِ هذا التَّاريخ، ولا نهدفُ إلى القيامِ بنوعٍ من موضوعيَّة التَّعليق، سنعملُ على الاختيارِ من المادَّة التَّاريخيَّة، وهو اختيارٌ نعمل عليه وفقاً لتاريخٍ فريدٍ وذاتيّ، أي تاريخي أنا.

بمعنى أن نقومَ بوضعِ قصَّةٍ ننتظرُ من المُشاهدِ تمييزَ الحقائق عن الأكاذيب، انطلاقاً من تاريخه، وننوي إضفاءَ صفةٍ ملحميَّةٍ على هذا العمل؛ من شأنها أن تجعلَ منه قصَّةً ملحميَّةً لهذا القرن.

لهذا، سنلجأ إلى القيام بعمليَّات جماليَّة تتضمن:

- **طرائق رمزيَّة** (قطعة تتحدَّث عن موضوع كتاب **الغثيان**، على سبيل المثال في الحلقة الثَّالثة).
- **كتابة غنائيَّة** (الحديث عن إسبانيا في الحلقة الثَّالثة).
- **إعادة تشكيل** (مجلس الحرب لعام ١٩١٧ في الحلقة الأُولى).
- **مُشاهد** (سارتر يقوم بدوره، أو ممثِّل يلعب دوره).
- **تحريف موادّ** (مثلاً موادّ روسيَّة حولَ ثورة كرونستادت الَّتي حرفت عن وجهتها الأساسيَّة في الحلقة الثَّانية)

بالنِّسبة لي؛ أرى أنَّ هذا العملَ لا يمكن، من ثمَّ، إلَّا أن يُعدَّ عملاً دراميّاً تلفزيونيّاً، وليس وثيقةً أبداً.

جاء دوكو إلى منزلِ سارتر في ٢٢ أيَّار، وكان من النَّاس الودودين والمتفهِّمين جدّاً؛ فصنَّف البرنامجَ بوصفه عملاً دراميّاً، وهو ما جعلنا نأملُ في إنجازه قريباً، وكتب فيكتور رسالةً إلى المؤرِّخين لإبلاغِهم هذا الخبر السَّار؛ في ظل استمرار المفاوضات مع القناة الثَّانية. وفي ١١حزيران؛ عُقد في بيت وولفروم مؤتمرٌ حضره أربعةَ عشرَ شخصاً على الأقلّ، من بينهم جوليان، وإيولين، وممثِّل عن شركةِ باتيه السينمائيَّة، وروجيه لويس، وبيير إيمانويل مدير المعهد السَّمعيّ ـ البصريّ، أطلنا الحديثَ حولَ قضيَّةٍ مزعجةٍ هي أنَّه إذا عُرض الفيلم الَّذي أنجزه كلٌّ من كونتا Contat وأستروكAstruc بعنوان: **سارتر بِلسانِه**، على الشَّاشة الصَّغيرة أو الكبيرة، فإنَّ هذا من شأنه التَّقليل من أهميَّة الحلقاتِ الَّتي ستعرضها القناة الثَّانية. تمَّ تجاوزُ هذه الصُّعوبة بفضل رسالةٍ وُجِّهَت من سيليغمان Seligmann، مُنتج الفيلم، إلى جوليان؛ تعهَّد فيها ألَّا يعرضَ الفيلم قبلَ بثِّ الحلقاتِ العشرةِ الَّتي سيُنتجها سارتر لصالحِ القناةِ الثَّانية. ومن جانبٍ آخر؛ التقى محامينا السيِّد كيجمان في ١٨ حزيران بالسَّيِّد بروِدان Bredin، محامي القناةِ الثَّانية، ووضعا معاً مشروعَ اتِّفاقٍ أوَّليّ ليوقِّعه سارتر وجوليان، إذاً؛ كان المخرجون والمؤرِّخون متفائلين حينما عقدوا جمعيَّتهم في نهاية شهر حزيران، أمَّا سارتر، فكان أقلَّ تفاؤلاً؛ فقد كتب في الثَّلاثينَ من حزيران رسالةً إلى جوليان ليحدِّد معه موعداً، فلمْ يردَّ جوليان على هذه الرِّسالة.

ومع أنَّ سارتر كان مشغولاً جدّاً بهذا المشروع؛ فقد كان لديهِ الكثيرُ من النَّشاطاتِ خلالَ السَّنة. استمرَّيتُ في القراءة له، وكانت القراءاتُ تدورُ عموماً حولَ تاريخِ سبعين السَّنة الأخيرة، وكان يُصغي، ويُسجِّل، وكان عقلُه سليماً تماماً، وذاكرتُه رائعةً بالنِّسبة لكلِّ ما كان يهمُّه، لكنَّه غالباً ما كان فاقدَ البوصلة في ما يتعلَّق بالزَّمان والمكان، ولا يُعيرُ اهتماماً لِروتين الحياة اليوميَّة الَّتي كانت تشغله بمقدار ما تشغلني.

طرحتُ عليه أسئلةً لصالحِ أحدِ أعدادِ مجلَّةِ Arc، حولَ «سيمون دوبوفوار ونضال النِّساء»، منها علاقته بالحركة النِّسويَّة»، فأجابني بلطفٍ زائد، لكن بشكلٍ سطحيٍّ.

قضينا الفترة بين ٢٣ آذار و١٦ نيسان في البرتغال، حيث اندلعَت قبل عام، أي في ٢٥ نيسان ١٩٧٤ ما يُسمَّى:«ثورة القُرنفُل»، إذ بعد خمسين عاماً من الحكمِ الفاشيِّ؛ قامَ الضُبَّاط المرهَقين بعدَ حربِ أنغولا، وأشياء أُخرى، بحركةِ تمرُّد، لكنَّ الأمرَ لم يكنْ مجرَّدَ انقلابٍ عسكريٍّ: بل كان الشَّعبُ كلُّه قد استيقظَ وساندَ حركةَ القوَّات المسلَّحة M.F.A، كانت تحدو سارتر الرَّغبةُ في التَّعرُّف عن كثبٍ على هذا الحدث الفريد، وكان قَلِقاً في البداية: «هل سأرى ليشبونة؟»، لكنَّه سرعان ما نسيَ هذا الهمَّ، أقمنا في فندقٍ مركزيٍّ، الضجَّةُ فيه على أشُدِّها لقربِه من سوقٍ في الهواء الطَّلق، كان الجوُّ جميلاً، لكنَّ ريحاً عنيفةً هبَّت؛ فمنعَتنا من الوقوفِ على شُرفتَي غُرفتَينا، مشينا في الشَّوارع حيثُ تتجوَّلُ حشودٌ فرحةٌ، وجلسنا في تيراس ساحةِ Rossino. كانت الرِّحلة بالنِّسبةِ لِسارتر عبارةٌ عن رحلةٍ إطلاعيَّةٍ، وكان فيكتور يرافقُنا في جولاتنا هذه، وأحياناً سيرج جولي، وأجرينا عدَّةَ مناقشاتٍ مع أعضاءِ **حركة القوَّات المسلَّحة**. تناولنا الغداءَ في «الثَّكنة الحمراء» الَّتي حاول الضُبَّاط الانقلابيُّون الاستيلاءَ عليها قبلَ فترةٍ قليلة. عَقَد سارتر مؤتمراً صحفيّاً أمام مجموعة من الطُّلَّاب الَّذين خيَّبوا أمله لغيابِ ردِّ فعلهم على أسئلته، وبدا له أنَّهم كانوا مُتقَبِّلينَ للثَّورة بدلاً من المشاركة في صنعها، في المقابل؛ كانت له لقاءاتٌ جيِّدة مع عُمَّال أحدِ المصانعِ الَّتي يديرها العُمَّال ذاتيّاً بالقرب من مدينة بورتو Porto، وشاركَ في اجتماعٍ لكُتَّابٍ تساءلوا، بطريقةٍ مزعجةٍ، عن الدَّور الَّذي يتعيَّن عليهم القيامُ به من الآن فصاعداً.

لدى عودتِه إلى باريس؛ شارك في برنامجٍ إذاعيٍّ حول البرتغال، ونشرت صحيفة ليبيراسيون بين ٢٢ و٢٦ نيسان سلسلةَ حواراتٍ أجراها سيرج جولي مع

سارتر وفيكتور وغافي وأنا تناولت موضوعات: ١) الثَّورة والعسكر»؛ ٢) النِّساء والطُّلاب: ٣) الشَّعب والإدارة الذَّاتيَّة؛ ٤) التَّناقضات؛ ٥) السُّلُطات الثَّلاثة، في النِّهاية؛ أعلن سارتر مساندته النَّقديَّة لحركةِ القوَّاتِ المسلَّحةِ [في البرتغال].

في شهر أيَّار؛ بعثَ الفيلسوفُ التِّشيكيُّ كاريل كوسيك Karel Kosik رسالةً مفتوحةً إلى سارتر يستنكرُ فيها القمعَ الَّذي يعاني منه مُثقَّفو بلادِه، وتحدَّثَ عن الاضْطهاد الَّذي تعرَّض له، مثل مصادرةِ مخطوطاتِه. وفي رسالةٍ مفتوحة أُخرى؛ أكَّد له سارتر وقوفَه معَهُ، جاء فيها: «أعني بالفكرِ المزعومِ، تلك الأطروحاتِ الَّتي تقوم عليها حكومتك، والَّتي لم ينتجْها فكرُ إنسانٍ حرٍّ أو تفَحَّصَها، لكنَّها أفكارٌ صُنعت من كلماتٍ التقُطت من روسيا السُّوفييتيَّة وقُذفَ بها إلى النَّشاطات من أجلِ تجاوزها، وليس لفهم معناها»، كما نشرَ بتاريخ العاشر من أيَّار، في صحيفةِ لوموند تصريحاً حولَ النَّشاطِ السَّابقِ لمحكمةِ راسل، طُلِب منه حولَ نهايةِ حربِ فييتنام، وأجرى مع تيتو غيراسي مقابلةً نشرتْها إحدى مجلَّات شيكاغو قال فيها: «كلُّ واحدٍ من خياراتي وسَّع عالمي، فلم أعُدْ أعدُّ مقتضياتِها محدودةً بفرنسا فقط، النِّضالات الَّتي أتماهى معها هي نضالاتٌ عالميَّة»، كما وقَّعَ عدَّة نصوصٍ في تلك السَّنة: نداء من أجلِ احترامِ اتفاقيَّات باريس حولَ فيتنام (لوموند، ٢٦-٢٧ كانون الثَّاني)، وتحذير ضِدَّ جان ـ إيدرن هالييه Jean-Edern Hallier، الَّذي اتُّهِم، حقّاً أم زوراً، باختلاسِ أموالٍ موجَّهةٍ للدِّفاعِ عن السُّجناءِ في تشيلي، ونداءٌ لصالحِ القوميِّين الباسكيِّين (لو موند ١٧ حزيران، ١٩٧٥).

كُنَّا ما نزالُ نقضي سهراتٍ رائعةً مع سيلفي، وذاتَ يومٍ؛ تناولنا العشاءَ في بيتِ ماهو Maheu، الَّذي أعدْنا معه علاقاتِنا المتباعدة منذُ سنواتٍ؛ لكنَّها ظلَّت منتظمةً ومحبَّبةً، كُنَّا نُكِنُّ الوُدَّ لصاحبتِه نادين، وابنها فرانسوا، وكانت تُحوِّل هذه العشاءاتِ إلى احتفالٍ حقيقيٍّ، لكنَّ ماهو كان مريضاً بنوعٍ خطير من اللاشمانيا، ويعرفُ أنَّ الموتَ يترصَّده، رأيناه في العيادةِ بعد أن نُقل إليها

إثرَ إصابتِه بنوبةٍ خطيرةٍ، كان يرتدي (روب دو شامبر) فخماً، غيرَ باقٍ منه سوى الجلدِ والعظمِ، في ذلك المساءِ الَّذي زرناه في شقَّته المزيَّنة بذكرياتِ أسفارٍ جميلة؛ بدا لنا أكثرَ نُحولاً وشيخوخةً، في المقابل؛ أذهلني شبابُ سارتر الَّذي عادَ نحيفاً ومتوقِّدَ الذِّهن. كانت تلك، في الحقيقة، آخرَ مرَّةٍ نرى فيها ماهو، إذ توفِّي بعد ذلك بقليل.

كان سارتر يشعرُ بكاملِ حيويَّتِه خلالَ شهر حزيران هذا، فكان بعضُ الطُّلَّابِ يأتون لرؤيتِه، منهم من يُقدِّم له (ديبلومات) وأطروحاتُ دكتوراه الحلقة الثَّالثة، وكُتباً مخصَّصةً للحديثِ عنه. وكثُرت أحاديثُ الصَّحافة عنه، فقال لي مُبتهجاً: «يبدو أنِّي أصبحتُ مشهوراً مرَّةً أُخرى!».

بعدَ أن أقامَ كونتا معه ثلاثةَ أيَّام في جوناس؛ أجرى معه مقابلةً طويلةً ومؤثِّرة، نَشَرَت مجلَّةُ Le Nouvel Observateur قِسماً منها، بمناسبةِ ذكرى ميلاده السَّبعين، استحقَّ عليها تهاني حارَّة، كما كان يتلقَّى اتِّصالاتٍ هاتفيَّة، وبرقيَّات، ورسائل، وفي الحوارِ[1] الَّذي حملَ عنوانَ: «لوحة ذاتيَّة في السَّبعين من العمر»؛ استعرضَ سارتر حياتَه، في مختلفِ المجالات تقريباً، ووصفَ الشُّعورَ الغامضَ الحاليَّ إزاءَ نفسِه، وعلاقتَه بالعالم، سأله كونتا: «كيف حالُك الآن؟»، فأجابَه: «يصعب القولُ إنَّ الحال سيِّئ.. فمهنتي، بوصفي كاتباً؛ انهارت تماماً، وبمعنى ما، فإنَّ هذا ينتزع منِّي أيَّ سببٍ للوجود، كنتُ، ولم أعُدْ كما كنت، إذا شئت، لكنْ ينبغي أن أكونَ قانطاً، ولسببٍ أجهله، فإنِّي في حالٍ لابأسَ بها، فلا تراني أشعرُ بالحزن أبداً، ولا بأيِّ لحظةٍ من الكآبة وأنا أفكِّرُ في ما فقدته، هكذا هو الأمرُ وليس في يدي عليهِ حيلة، في الوقت الَّذي لا أملكُ سبباً يُحزنُني، مرَّت عليَّ لحظاتٌ مُضنية... والآن؛ كلُّ ما بوسعي فعلُه، هو التَّأقلمُ مع ما أنا عليه، ما أصبحَ ممنوعاً عليَّ من الآنَ فصاعداً؛ هو الأسلوب... لنقل الطَّريقة الأدبيَّة لعرضِ فكرةٍ مُعيَّنةٍ، أو حقيقةٍ ما».

---

(١) أُعيد نشره كاملاً في مجلة مواقف Situationss X.

وتحدَّث في موضعٍ آخر عن علاقتِه بالموتِ فقال: «ليس أنِّي أفكِّر فيه، فأنا لا أفكِّرُ فيه أبداً، لكنِّي أعرفُ بأنَّه قادم»، كان يظنُّ أنَّه لن يأتيه قبلَ عشرِ سنوات، بعد حساباتٍ غامضةٍ تتعلَّقُ بطولِ أعمارِ أجدادِه، وقال ذاتَ يومٍ إنَّه ينوي أن يعيشَ تسعينَ سنة، وكرَّرَ قولَه لِكونتا بأنَّه مسرورٌ من حياته: «حسناً، فعلتُ ما كان يتوجَّب عليَّ فعلُه...كتبتُ، وعشتُ، ولستُ نادماً على شيء»،كما قال له: «ليسَ لديَّ إحساسٌ بالشَّيخوخة»، وأنَّه لم يعدْ لا مُبالياً بالأشياء، وأضاف: «لم يعُدْ ثمَّةَ شيءٌ يُثيرني، لذلك فإني أتجاوزها»، وخلاصة كلُّ هذا أنَّه كان راضياً، إلى حدٍّ ما، عن ماضيه، لذلك تراهُ قابلاً للحاضرِ مطمئنّاً.

أقامت ليليان سيغل حفلاً على شرفِه في ٢١ حزيران، حضرها كلٌّ من فيكتور، وغافي، وغيمار، وجورج ميشيل، وأنا وآخرون، كُنَّا جميعاً فرحين، وسارتر يضحكُ ملءَ شِدقَيه، وفي صباحِ الخامس والعشرين من حزيران؛ شاهدنا، مع عدَّة أصدقاء، عرضاً لِفيلم: **حياة سارتر كما يرويها بنفسه**، فوجدتُه مرَّةً أُخرى، إلى جانبي كما كان على الشَّاشة، رغمَ فقدِه لبصرِه تقريباً.

كُنَّا نتهيَّأ لقضاءِ العطلةِ، وقد غيَّرنا هذه السَّنة وجهتها، فبعد أن مَلَلنا من إيطاليا؛ قرَّرنا الذَّهابَ إلى اليونان، وهو ما كان يُعجب سارتر كثيراً، كُنَّا منزعجين من عدمِ توقيعِ العقدِ مع جوليان، لكنَّ أملَنا في ذلك كان كبيراً، وكُنَّا راضين عن العمل الَّذي قُمنا به مع مساعدينا خلالَ السَّنة، كما بدأ سارتر مع فيكتور كتاباً قد يعنونه باسم: **السُّلطة والحُرِّيَّة**، وكان ينوي التَّفكيرَ فيه خلالَ فترةِ الصَّيف.

أقام، في البداية، عند آرليت، وفي روما عند واندا، وفي شهر آب، وبعد رحلةٍ إلى اليونان مع سيلفي؛ ذهبتُ وإيَّاه لملاقاتها في مطار أثينا، كان يبدو بهيئةٍ مُمتازة،لم يكن يمشي بطريقةٍ جيِّدةٍ جدّاً، لكنَّه استطاع، مع ذلك، في الأيَّامِ التَّاليةِ النُّزولَ سيراً من هضبة Les Muses، وتجوَّل في الشَّوارع الصَّغيرة الَّتي نُطلق عليها اسمَ «معرض البراغيث»، والتقى بصديقتِه اليونانيَّة،

بعد شفائِها تماماً، وصارت مُعِيدة في كلِّيَّة أثينا. وبسببِ الأدوية الَّتي كانت تتناولها؛ ازدادَ وزنُها بمقدارِ عشرة كيلو غرامات، وأصبحت صموتة بمقدارِ ما كانت ثرثارةً قبل أزمتِها، لكنَّها ما تزالُ جميلةً، وكان سارتر مرتاحاً معها، وحينَ كانا يخرجان معاً؛ كنت أتنزَّه في أثينا مع سيلفي.

ارتحلنا مباشرة، في المركبِ إلى جزيرة كريت، ومعنا سيَّارتُنا، وسبقَ أن حجزتُ غُرَفاً مُريحة، وقمنا برحلة بَحريَّةٍ رائعةٍ، كان المنظرُ شاعريّاً عندَ السَّاعة السَّابعة صباحاً، والشَّمس طالعةً فوقَ طريقٍ مجهولةٍ محاذيةٍ للبحر، بدا لي فندقُ Elounda Beach جنَّةً حقيقيَّةً ببيوته الفرديَّةِ المطليَّةِ بالأبيض، والموزَّعةِ على حافَّةِ الماء، أو بعيدة قليلاً عنه بين النباتاتِ المتضوِّعةِ روائحها، والورودِ ذاتِ الألوان الحادَّة، كان البيتُ الَّذي أقمتُ فيه مع سيلفي يُطلُّ مباشرةً على البحر، أمَّا بيتُ سارتر؛ فكان إلى الخلفِ قليلاً، أي على مسافةِ عشرين متراً، وداخلَ البيت مريحٌ وممتع، يرطِّبه هواءٌ مُكيَّف، اعتادت سيلفي أن تسبحَ في الصَّباح، بينما كنتُ مع سارتر نستمع إلى الموسيقا، أخذنا معنا آلةَ تسجيلٍ وأشرطةَ مسجِّلة.أو كُنَّا نقرأ، أتذكَّر أنَّ أحدَ الكُتبِ الَّتي قرأتها كان كتاباً ضخماً حول توريز Thorez، ومذكَّرات ممثلٌ عصبيّاً névropathe للرَّئيس شريبر Schreber، وكُنَّا نتناولُ الغداءَ في قاعةٍ للطَّعامِ في الهواءِ الطَّلق، محميَّةً من الشَّمس، وكلُّ واحدٍ يختار ما يريد من أطعمةٍ ساخنةٍ وباردةٍ فوقَ البوفيه الكبير، كما قمنا ببعضِ الرِّحلاتِ في السَّيَّارة؛ واحدةٌ منها جميلةٌ جدّاً إلى الطَّرفِ الشَّرقيِّ للجزيرة، وأُخرى إلى هيراكليون وكنوسوس، وقُمنا برحلةٍ أُخرى طويلةٍ ومُتعِبةٍ إلى حدٍّ ما، إلى كانيه، وكثيراً ما كُنَّا نبقى في بيوتِنا خلالَ فترةِ بعد الظُّهر، مع كتبِنا وأشرطتِنا المسجِّلة، لم يكن هناك بار يُعجبنا، لكنْ كان لدينا ثلَّاجات، وكانت سيلفي تأتي لنا مساءً بنوعٍ من الويسكي اللَّذيذ[1]، كُنَّا نتناولُ عشاءً خفيفاً في الغرف، أو لم نكن نتعشَّى إلَّا نادراً، في

(١) سمح البروفسور لابريسل لسارتر بتناول القليل منه.

مطعمٍ صغيرٍ ولطيفٍ مجاورٍ للفندقِ، وكان سارتر مُرتاحاً لكلِّ شيءٍ؛ صحَّته رائعةٌ، وهيئتهُ تنمُّ عن فرحٍ لا يُعكِّرُ صفوَه أيُّ شيءٍ.

بعدَ اثني عشرَ يوماً؛ عُدنا عودةً مُضنيةً إلى أثينا؛ حجزنا قُمرتين في القطار، لكنَّهم رفضوا تسليمَنا المفاتيح؛ وعبثاً حاولَت سيلفي مع موظَّفي الاستقبالِ لكي نحصلَ عليها، في جوٍّ من الفوضى والضَّجَّة والحرِّ الجهنَّميّ، انتهى الأمرُ إلى وضعِنا، ثلاثتنا، في حُجرة تتَّسع لأربعةِ أسِرَّة، غير مريحةٍ إطلاقاً، وبينما كُنَّا نِياماً؛ فتحَ علينا موظَّفُ البابَ عندَ منتصفِ اللَّيل وقال: «أنت السَّيد سارتر، لم نكن نعرف، حجراتُكم بانتظاركم»، لكنَّنا رفضنا الانتقالَ إليها.

عُدنا للانغماسِ بفرحٍ في فندقنا الأثينيِّ، تناولنا الإفطارَ المؤلَّفَ من كوكتيل الفواكه والسَّندويش المحمَّص حوالي السَّاعة الثَّانية، في بار يُجمِّده الهواءُ المكيَّفُ، وكُنَّا غالباً، بعد أن نقومَ بنزهةٍ مشياً على الأقدام، أو بالسَّيَّارة؛ نشرب كأساً من الكوكتيل في الطَّابق السَّادس من فندق هيلتون، حيث تمتدُّ أمامَنا أثينا ونرى البحرَ من بعيد، كما كُنَّا نتناولُ العشاءَ هنا أو هناك في مطعمٍ في الهواءِ الطَّلقِ تحتَ أعمدةِ الأكروبول.

في ٢٨ آب؛ صحبتُ سيلفي إلى المركبِ الَّذي سيُقلُّها إلى مرسيليا، حيثُ ستذهبُ من هناك إلى باريس بالسَّيَّارة.

بعدَ يومين؛ ذهبتُ مع سارتر بالطَّائرة إلى جزيرة رودس بسرعة، لم أُصدِّق عيني حينما بدأنا بالهبوط، وفي الطَّابق السَّادس من فندقٍ يقعُ على شاطئ البحر، ويبعدُ أقلَّ من ٢ كيلو متر عن المدينة القديمة؛ كان لنا غرفتانِ متجاورتان، لكلٍّ منهما شرفةٌ واسعة، والبار، والمطعم حيثُ كُنَّا نتناولُ الغداءَ كلَّ يوم؛ يقعانِ فوقَ تيراس يُطلُّ على البحر، وعندَ حلولِ المساء؛ ثمَّة سيارةُ أجرة تأخذنا إلى موانئ رودس القديمة. كنا نتمشَّى في الشَّوارعِ القديمةِ، الحيويَّةِ، ورائعةِ الجمال، كان ذلك كلُّه، بالنِّسبة لي بمثابةِ انبعاثٍ لفرحٍ نسيتُه.

كُنَّا نتوقَّف في أحدِ تلك المقاهي القديمةِ في الهواءِ الطَّلقِ بينَ الأشجارِ الرَّائعةِ الَّتي تُزيِّن القُرى اليونانيَّةَ، وفي بعض الأحيان؛ كُنَّا نأكلُ لقمةً في أحدِ المطاعمِ اللَّطيفة عندَ السُّور، وثمَّةَ سيارةُ أجرةٍ كانت تُعيدنا إلى حيث مكان إقامتنا، فأبدأ بالقراءة لِسارتر طيلةَ ساعةٍ أو اثنتين في شرفةِ غرفتي، كان الجوُّ بهيّاً، والبحرُ مُذهلاً، والشَّاطئ تحتَنا يدفعني قليلاً إلى تذكُّر كوباكابانا [أحد أحياء ريوديجانيرو في البرازيل].

قُمنا برحلتينِ بواسطةِ إحدى سيَّاراتِ الأُجرة، إحداهما إلى ليندوس Lindos، وهي قريةٌ صغيرةٌ ذاتُ شوارعَ مُخشوشنة، تجعل إطلالتُها على البحرِ منها آيةً في الرَّوعة، يُشتَهر المكانُ خصوصاً بشاطئه الصَّخريِّ العالي، وعلى من يريد الصُّعودَ إليه؛ أن يمتطيَ ظهورَ الحمير، وهو ما لم نملك الشَّجاعةَ على القيام به، أمَّا الرِّحلة الثَّانية؛ فكانت إلى كاميروس Kamiros، وهي مدينةٌ كبيرةٌ قديمةٌ ما تزالُ تحافظُ على قِدَمِها إلى حدٍّ كبير، وفي طريقنا؛ رأينا أديرةً بالغةَ الجمال مبنيَّة في الجبل.

بقينا في أثينا عشرةَ أيَّام بعد عودتنا إليها، كان الجوُّ بارداً تقريباً، والمشيُ لذيذاً، ما يزال سارتر قادراً عليه، بل وصعدَ إلى الجُرف الصَّخريِّ،كان أحياناً يتناولُ العشاءَ مع ميلينا الَّتي لم يكنْ لديها أيَّةُ لحظةِ فراغٍ خلالَ النَّهار،كانت تأخذُه إلى أحدِ المقاهي الَّتي يجتمعُ فيها المثقَّفون الأثينيُّون، وعندَ عودتِه، حوالي السَّاعة الحاديةَ عشرةَ ليلاً؛ كان يحتسي كأساً من الويسكي معي في غرفته.

خلالَ إقامته هذه؛ أجرى مقابلتين، إحداهما؛ مع صحيفةٍ يساريَّةٍ، والأُخرى مع نشرةٍ تابعةٍ للفوضَويِّين. وخلالَ هذا الصَّيف؛ بعثَ جوليان رسالةً يقترحُ فيها إنجازَ «حلقةٍ تمهيديَّةٍ لتشجيعِ المشاهدين»، وهو اقتراحٌ أخرق، وينمُّ عن إهانة؛ ذلك لأنَّ سلسلةَ الحلقاتِ تُشكِّل مجموعاً لا يُمكن الحكمُ عليه من قطعةٍ واحدةٍ. بعد عدَّة أيَّام من عودته إلى باريس في ٢٢ أيلول؛ التقينا:

سارتر وفيكتور وأنا،(كان غافي في الولايات المتَّحدة آنذاك) بِجوليان في بيت ليليان سيغل، فهاجمَه سارتر بحدَّة، قائلاً إنَّه تجاوزَ العمرَ الَّذي يخضعُ فيه للامتحان؛ لأنَّ الحلقةَ التمهيديَّةَ الَّتي اقتُرِحت عليه؛ كانت عبارةً عن امتحان، قد يُحكم عليها بأنَّها إمَّا متواضعة، أو مقبولة، أو حسنة، والحكمُ الوحيدُ المقبولُ هو للجمهور، لكنَّ الحلقةَ ليست موجَّهةً إليه، بل «إلى المختصِّين»، وهذا يعني أنَّنا إزاءَ إجراءٍ رقابيٍّ، ومسألةُ المالِ الَّذي يزعم جوليان تقديمَه لم تكن هي المسألةَ الحقيقيَّة؛ لأنَّ ميزانيةً تُقدَّر بمليون فرنك لحلقةٍ مُصنَّفة بأنَّها من نوعِ الدراما، مُدَّتها ساعةٌ ونصف، أمرٌ عاديٌّ، وفي هذا أمثلةٌ كثيرةٌ، الحقيقةُ أنَّ أندريه فيفيان، بصفته النَّائبَ المقرِّرَ لدى هيئة الإذاعةِ والتِّلفزيونط، قد وضعَ السِّيناريوهات فوقَ مكتبِ رئيسِ الوزراء جاك شيراك منذُ شهرِ كانون الثَّاني، واتَّخذَ كلٌّ من فيفيان وشيراك موقفاً مُعارضاً بشكلٍ جذريٍّ لمشروعنا، وبما أنَّ جوليان كان يتقيَّد بسلطتهما؛ فقد عمل على خداعِنا. بعد نهاية هذا اللِّقاء؛ كانت القطيعةُ قد وقعَتْ بيننا نهائيّاً.

في الخامس والعشرين من أيلول؛ عقد سارتر، مع فيكتور وأنا، مؤتمراً صحفيّاً في La Cour des miracles [بهو الأعاجيب]، وما إن أُعلنَ عنه، حتَّى اتَّصلَ جوليان هاتفيّاً بِسارتر ليبلغَه موافقتَه على رصد ٤٠٠ مليون فرنك قديم (٤ مليون فرنك جديد) لصالحِ المشروع، وقبل ستَّة أشهر؛ كان الوقتُ مُناسباً لتغيير السِّيناريوهات؛ بحيث يُمكن اختصارُ تكاليفها[1]، أمَّا الآن؛ فقد تأخَّر الوقت، وهو ما كان جوليان يعرفه، لأنَّه كان يسعى إلى عدمِ إثارةِ القضيَّةِ أمامَ الجمهورِ فحسبْ، وهذا ما حصل؛ فقد حضرَ جمعٌ غفيرٌ من النَّاس في **بهو**

(١) أقول هنا إن الحلقة الواحدة تحتاج إلى ميزانيّة قدرها مليون فرنك جديد. ومن ثم فإنّ مجموع الحلقات السّت يحتاج إلى ميزانيّة قدرها ٦ مليون فرنك، اقترح جوليان تقديم نصف المبلغ.

الأعاجيب، وقامَ سارتر، وهو بكاملِ قواه، بسرد القصَّة كلِّها بحقيقتِها الكاملة، وبطريقة مُقنعة تماماً. وقد وضعَ عنواناً فرعيّاً للمؤتمر الصَّحفيِّ هو: «قضيَّة رقابة تلفزيونيَّة»، وعلَّق بقوله: «يُقال: إنَّ سارتر يتخلَّى، لا، بل دُفعتُ إلى التخلّي، وهي حالةٌ من الرَّقابة الشَّكليَّة وليست المباشرة»، وقال إنَّ جوليان وعدَهُ بحرِّيَّة التَّعبيرِ المطلقةِ، وحينما قدَّمنا له التَّقديرات الأُولى؛ صرَّح بقوله: «حتَّى لو تجاوزت تكاليف هذا العمل ثمانمائة مليون فرنك قديم؛ فسننجزه»، ثمَّ حدثَ خلافٌ مع الحكومةِ حولَ هذا الموضوع، إذ وَقَعت سيناريوهاتنا، بطريقة لا يُمكن تفسيرُها، بين يدي شيراك فرفَضها، عندها أرادَ جوليان أن يقنعَنا مع مرورِ الزَّمن، ولجأ أخيراً إلى اقتراحهِ غيرِ المقبولِ حولَ ما يُسمَّى الحلقةَ الأوَّليَّة، كان الصَّحفيُّون يستمعون إلى هذا العرضِ بانتباهٍ كبير، وفي النِّهاية سأل أحدُهم: «لمَ لا تفعل ذلك لحساب تلفزيونات أجنبيِّة؟» فردَّ سارتر: «إنَّه تاريخ الفرنسيِّين، وأريد أن أتحدَّث إلى الفرنسيِّين»، وردّاً على سؤال آخر: «لمَ لا تتَّبع المسارَ السِّينمائيّ؟»، فاعترض بقوله: «عشر ساعات، وقتٌ طويل؛ ومن جانبٍ آخر؛ ينبغي أن تكونَ هذه السّلسلةُ، للمرَّة الأُولى، بمثابة نظرةٍ ديناميكيَّة للتِّلفزيون، كنت أشكُّ بأنِّي لا أستطيع العملَ مع هذا التِّلفزيون، لقد هزَّني مارسيل جوليان. والآنَ انتهى الأمر، لن أظهرَ على شاشةِ التِّلفزيون بعدَ الآن في فرنسا، أو في أيِّ مكان آخر»، ثمَّ قال: «أمَّا ميشيل دروا M.Droit؛ فقد كانَ له مُطلَقُ الحرِّيَّة ليعرضَ مقالاتِه من عام ١٩٤٦ إلى عام ١٩٧٠».

عموماً، قامت الصَّحافة بنقلِ وقائِع هذه الجلسةِ بأمانة، وبدأ جوليان حملةَ افتراءاتٍ ضِدَّ سارتر، اعترفَ في البداية أنَّ: «سارتر ليس ممَّن يسعَون وراءَ المال، لكنَّه أراد جمعَ الحدَّ الأقصى من الإمكانيَّاتِ لتحقيقِ حُلمه»، ومع ذلك؛ فقد ألمحَ إلى أنَّ سارتر أرادَ قبضَ مبالغَ ضخمةً كحقٍّ للمؤلِّف، وهو أمرٌ غير صحيح؛ لأنَّ هذه الحقوق ستُوزَّع أساساً على مجموعاتِ المؤرِّخين المتعدِّدة، كما شكى أنَّ سارتر قد تركَ المشروعَ بين أيدي معاونيه الشُّبَّان، وهو

كذبٌ محضٌ؛ لأنَّ سارتر كان بالغَ النَّشاطِ ضمنَ «مجموعة الأربعة»، ويحضر الجمعيَّات العامَّة كلَّها، أخيراً، أثارَ التّلفزيون ضجَّةً وصلَت أصداؤُها حتَّى ستوكهولم، إذ وردت برقيَّةٌ إلى وكالةِ الأنباءِ الفرنسيَّة تقول إنَّ سارتر طالبَ بقيمةِ جائزةِ نوبل للآداب، الَّتي سبقَ أن رفضها عام ١٩٦٤، عندها أوصل إلى الصُّحف تكذيباً صارماً.

اقترحَتْ عليه هيئةُ راديو وتلفزيون لوكسمبورغ R.T.L كتابةَ نشرةٍ إخبارية غيرَ متوقّعة Journal inattendu مع فيكتور وأنا في الخامس من تشرين الأوَّل عام ١٩٧٥، لكنَّ القضيَّة كلَّها كانت تزعجه. اتصلت بي آرليت خلالَ الأسبوعِ لتخبَرني أنَّ سارتر كان مُتعباً جدّاً، وذاتَ مساء، بينما كان في بيتي، وجدَ صعوبةً في التَّكلُّم، فقد كان طرفُ فمِه ولسانُه مشلولَين تقريباً، لكنَّ الأمرَ انتهى خلالَ ربعِ ساعة، وقال لي إنَّ هذه الحالةَ تصيبُه في أغلبِ الأحيان، وهو ما جعلني قلقة.

لم يكنْ لديه أيُّ دافعٍ حينما ذهبنا إلى ستوديو R.T.L، وكان يتلكَّأ وهو يصعدُ درجاتِ السُّلَّم، لا شكَّ أنَّ الصَّحفيةَ الَّتي استقبلتنا كانت خبيثةً، شعرتُ بالتَّوتُّر، وبدا سارتر مُنهكاً، كان يتحدَّث ببطء، ومن دونَ تنغيم تقريباً، وانتابني خوفٌ شديدٌ من أن يغيبَ ذهنُه أثناءَ الحلقة، فصرتُ آخذُ زمامَ الحديثِ في أغلب الأحيان، حتَّى أنّي كنتُ أنتزعُها من متحدِّثي لكي أتحدَّث عن جوليان، تحدَّث كون ـ بينديت Cohn-Bendit من سويسرا بطريقةٍ مؤثّرةٍ جدّاً، بحيث كانت هذه النَّشرةُ ناجحةً.

ثمن هناك، ذهبنا إلى بيتِ ليليان سيغل الَّتي حضَّرت لنا طعاماً سريعاً، والتقينا هناكَ ببعضِ المؤرِّخين الَّذين خابَ أملُهم من القناة الثَّانية، حوالي السَّاعة الخامسة؛ أعدتُ سارتر إلى بيتِه لينامَ قليلاً، اعترفُ بأنَّه كان مُنهَكاً، وقال لي بحزن: «إنَّنا نعمل منذُ أكثر من خمسِ ساعات». قضى أمسيتَه عندَ

واندا، وفي صبيحةِ اليوم التَّالي؛ الأحد الموافق لخامسِ من تشرين الأوَّل؛ اتَّصلَت آرليت لتقولَ لي: «الأمرُ ليسَ خطيراً، لكن...»،كان سارتر قد وقعَ تقريباً، عند واندا، فوضعتهُ في سيَّارة أُجرة؛ وأمام مقهى La Dôme كانت ميشيل تنتظرهُ لاصطحابهِ إلى بيتِه، وهنا فقدَ توازنَه عدَّة مرَّات، وفي الصَّباح؛ رافقتهُ إلى بيت آرليت، حيث وقعَ مرَّة أُخرى. إتَّصلنا بالطَّبيب زيدمان، فحقنَه ببعضِ الحُقَن، وأمر بأن يقضي فترةَ راحةٍ طويلةٍ في سريره، تحدَّثت مع سارتر هاتفيّاً، وكان صوتُه واضحاً، لكنَّه كان مُتعباً، بقي عند آرليت لتناولِ الغداء، ثمَّ أقلَّته إلى بيتِه في سيَّارة أحدِ الأصدقاء، حيث وضعوه في السَّرير، قضيتُ فترةَ بعد الظُّهر بقربِه، وجاء زيدمان مساءً، كان ضغطُ سارتر قد ارتفع ليبلغَ ١٤/ ٢٠، وكان لا بُدَّ من إسنادِه ليتجاوزَ الخطواتِ الأربع الَّتي تفصلُ غرفتَه عن المرحاض، لذلك نمتُ في الغرفةِ المجاورةِ، والأبوابُ كُلُّها مفتوحة.

لَازمَ سريرَه يومي الإثنين والثُّلاثاء، ويوم الأربعاءِ مساءً؛ جاء البروفسور لابرسل برفقةِ زيدمان، كان ضغطُ سارتر ٢١/٥، وتشاورَ الإثنان مُطوَّلاً، وَوصفا له مُخفِّضاً للضَّغط الشِّريانيِّ وحبوبَ فاليوم لمساعدتِه على التَّخفيفِ من التَّدخين، بالإضافةِ إلى أدويتِهِ المعتادةِ،كما نصحاه بالخروجِ من سريرِه والجلوسِ في مقعد، والقيامِ بقيلولةٍ في فترةٍ بعد الظُّهر.

انتظمتْ حياتُنا على هذا النَّحو؛ فصار سارتر يتناولُ وجباتِه في بيته، ويوم الأحد؛ كانت تحملُ إليه سيلفي غداءَه، وتتكفَّل به ليليان يومَ الخميس، وميشيل يومَ الإثنين والأربعاء، والأيَّام الأُخرى كانت من نصيبِ آرليت، أمَّا العشاءُ؛ فكنتُ أشتري له وجباتٍ خفيفة، حينما أبقى إلى جانبه.

جاءَ زيدمان صبيحةَ الأربعاء ١٥ من الشَّهر نفسِه، فوجد أنَّ ضغطَ سارتر قد انخفض إلى ١٦. فقلَّلَ من الأدوية، وأشارَ عليه بالخروج قليلاً، وهو ما فعله، وبدت صحَّته تعودُ إلى ما كانت عليه قبلَ الأزمة، لكنَّ الأدوية الَّتي

وُصفت له كانت تُسبِّبُ له قليلاً من السَّلسِ البوليِّ، فتتَّسخ بيجامته، حتَّى في اللَّيل، والمشكلةُ أنَّه كان يقبلُ هذه العوارضَ بلامبالاةٍ صَعُبَ عليَّ احتمالُها.

مع هذا كلِّه؛ كان يقولُ بنبرةٍ عنيدةٍ بأنَّه سيعودُ إلى التَّدخين، اعترضتُ بقوَّة، إذ لو أصبح خرِفاً؛ فلن يُدركَ ذلك، وأنا مَن سيعاني منها، هل أقنعته؟ أم إنَّه تأثَّر بمقالةٍ قرأتها له ميشيل تقول إذا أُصيبَ الإنسانُ بالتهابٍ شريانيّ؛ فإنَّ التَّدخين قد يؤدِّي إلى بترِ السَّاق؟ فتوقَّف تقريباً، ولم يعُدْ يُدخِّنُ سوى أربعِ لُفافات في اليوم، وأحياناً ينسى الرَّابعة.

أحياناً؛ كان يبدو متألِّماً لحالته، وذاتَ مساءِ يومِ أحدٍ؛ كُنَّا نقولُ إنَّ المرءَ لا يتمنَّى أن يعيشَ مائة سنة، فقال لي: «على أيِّ حال، لم أعُدْ إلَّا شكلاً»، ذكّرتُه في اليوم التَّالي بهذه الجملة؛ فقال موضِّحاً: كان منزعجاً من غافي لأنَّه انتزعَ منه مقابلةً حولَ إسبانيا لصالح جريدة ليبيراسيون.

ظهرت هذه المقابلة في ٢٨ تشرين أول عام ١٩٧٥، بينما كان فرانكو في حالة نزاع؛ كان سارتر قد تحدَّث عن «شدقه اللَّاتينيِّ الكريه»، وهي عبارة أغضبَت كثيرين من القُرَّاء، ففسَّرها سارتر بقوله: «كان ذلك خطأ، أقوال صدرت في حمأة محادثةٍ سيكون لها معنى آخر لو تُرجمت كما هي، لكنَّه خطأ أتحمَّل مسؤوليَّته كاملة، كان لِفرانكو الفمُ الّذي يستحقُّه، إنَّه قذرٌ فعلاً، ولا يمكن لأحدٍ أن ينكر بأنَّه لاتينيّ».

الحقيقةُ أنَّ صحَّته لم تكنْ تتحسَّن، وهو ما كان يدركه، قال ذاتَ صباح لِليليان، أثناء تناولِ إفطاره معها في مقهى Le Liberté المجاور: «جسديّاً، لست على ما يُرام تماماً»، كان يشكو من أنَّ فمَه وحنجرَته يكونان نصفَ مشلولَين في الصَّباح، وهو ما يُفسِّر شعورَه بالألم عند البلْع، إذ يحتاج إلى ساعة لينهيَ فنجاناً من الشَّاي، أو كأساً من العصير، أمَّا مُعدَّل الغلوكوز عندَه؛ فكان صحيحاً، لكنَّ مشيتَه كانت تزدادُ سوءاً. يوم الخميس ١٩ تشرين؛ عانى كثيراً

من الذَّهاب إلى مقهى Liberté الَّذي لا يبعدُ أكثرَ من مائة مترٍ عن بيته، والذَّهاب حوالي السَّاعة الثَّانية إلى المطعمِ البرازيليِّ الواقع تحتَ برجِ مونبارناس، الَّذي اعتدنا تناولَ الغداءِ فيه، وحينَ رآه زيدمان في اليوم التَّالي؛ بدا قَلِقاً من هذا التَّراجع، جاء البروفسور لابرسل مع نهاية النَّهار، فوجده في حالةٍ أفضل من حالته الَّتي رآه فيها آخرَ مرَّة، بل جيِّدة بشكلٍ عامٍّ، أمَّا بالنِّسبةِ لنشاطاتهِ الحركيَّة (المشي، والبلع)، فقد قال لي: «لقد نزلَ سارتر طابقاً لم يعُدْ قادراً على صعودِه أبداً». تذكَّرتُ، قبلَ شهرين، كان يتسلَّق الجرفَ الصَّخريَّ Acropole، فتساءلتُ ما إذا كان سيأتي يومٌ لا يستطيع التَّحرُّك نهائيّاً، لا سيما أنَّه لم يكنْ قادراً على التَّحكُّم بردودِ فعلِه، أمرٌ فظيع، أن يتخلَّى عنكَ جسمُك بينما يبقى الرأسُ متيناً.

بعدَ أن استعادَ سارتر صحَّته الذِّهنيَّة تماماً؛ فإنَّ «العمل هو المهم»، كما كان يقول، لحسن الحظِّ، الرَّأس سليم»، كما قال لي: «إنِّي أكثرُ عقلاً ممَّا كنتُ عليه منذُ فترة طويلة»، وهو قولٌ صحيحٌ؛ فقد كان يعمل بمثابرةٍ مع فيكتور على مشروعِهما حولَ كتابِ **السُّلطة والحُرِّيَّة**؛ ويهتمُّ بالكتبِ الَّتي أقرأها له، وبكلِّ ما يجري في العالم، لا سيما قضيةَ غولدمان Goldman، الَّتي كان يعرفُ أدقَّ تفاصيلها.

في منتصفِ شهرِ تشرين الثَّاني؛ ظننَّا أنَّ محكمةَ النَّقضِ سترفضُ مناشدةَ غولدمان، فكتب سارتر حولَ هذا الموضوع، بمساعدةِ فيكتور، نصّاً أرادَ أن ينشرَه في صحيفة لوموند. لكنَّه لم ينشرْه؛ لأنَّ الحُكمَ الَّذي كان سيُدين غولدمان قد نُقضَ، ممَّا أدخلَ الفرحَ في نفوسِ أصدقائِه كلِّهم.

كان سارتر، بفضلِ نشاطاتِه، سعيداً بالحياةِ من جديد، سألَتْهُ ليليان ذاتَ صباح: «ألا يُزعجك كثيراً اعتمادُك على النَّاس؟». ابتسمَ وقال: «لا؛ بل هذا جانبٌ صغيرٌ مُحبَّبٌ لنفسي أن أكون مُدلَّلاً؟ نعم؛ لأنَّك تشعر بأنَّ النَّاس يحبونَك؟ أوه! هذا ما أعرفه مُسبقاً، وهو أمرٌ مُحبَّب إلى نَفسي».

في العاشرِ من تشرين الثّاني؛ نَشرَت النُّسخةُ الأوروبيَّة من مجلَّة Newsweek مقابلةً مع سارتر أجرتها جان فريدمان Jane Friedman سألتهُ فيها: «ما هو أهمُّ شيءٍ في حياتِك اليوم؟»، فأجاب: «لا أعرف، كلُّ شيء، الحياة، التَّدخين»، كان يحسُّ بجمالِ هذا الخريفِ الأزرقِ والذَّهبيّ، ويستمتع به.

غالباً ما يُلتَمسُ لتوقيعِ البياناتِ، والنِّداءات، فيقبلُ بشكلٍ عامٍّ، وذاتَ مرَّةٍ؛ وقَّع مع مالرو Malraux، ومندس فرانس Mendès France، وآراغون Aragon، وفرانسوا جاكوب Francois Jacob؛ نداءً لمنعِ إعدامِ أحدَ عشرَ محكوماً عليهم بالإعدام في إسبانيا(١). وعبَّر عن احتجاجِه معَ كلٍّ من فرانسوا ميتران، ومنديس فرانس، ومالرو على قرارِ منظَّمةِ الأممِ المتَّحدةِ الَّذي يُماهي الصّهيونيَّة بالعنصريَّة (في مجلَّة لونوفل أوبسرفاتور، بتاريخ ١٧ تشرين الثَّاني)، ووقَّعَ نداءً لصالحِ جنودٍ مُعتقلين في قاعة La Mutualité بتاريخ ١٥ كانون الأوَّل.

استأجرتْ له آرليت جهازَ تلفزيون؛ فصارَ لديه تسليةٌ جديدة، وحينَ يعُرض فيلم ويسترن جيِّد؛ كُنَّا نشاهده معاً. وكان قادراً، عندما يجلس قريباً من الشَّاشة؛ على تمييز الصُّور إلى حدٍّ ما، وذاتَ صباحِ يومِ إثنين؛ رافقتُهُ لمشاهدةِ فيلم يونانيٍّ رائع عنوانُه: **رحلة المُمثِّلين**، كان قد وضعَه مديرُ الصَّالة تحتَ تصرُّفنا، ولم يحضره معنا سوى بعض الأصدقاء، لاسيما وأنِّي تمكَّنتُ من قراءةِ التَّرجمة لِسارتر من دونِ أن يُزعجَ صوتي أحداً.

في الأوَّل من شهرِ كانون الأوَّل؛ تلقَّى سارتر رسالةَ تهديدٍ بتوقيع G.I.N، اهتمَّت جيزيل حليمي بملاحقتها جدِّياً، بعد أن تباهَتْ هذه المجموعةُ الَّتي تنتمي إلى اليمينِ المتطرِّفِ بتفجيرِها لمعرضِ صورِ Photo-Libération،

---

(١) هذا النِّداء الَّذي نشرته مجلّة Le Nouvel Observateur في ٢٩ أيلول؛ حمله إلى مدريد مباشرة كل من: فوكو، ريجيس دوبريه، وكلود موررياك، وإيف مونتان.

أخبرَتْ مُفوَّضَ قسمِ الشّرطةِ المجاور، وقمتُ أنا بتركيبِ بابٍ مُصفَّح. كنت قلقةً فعلاً، لكنَّ سارتر لم يأخذِ القضيَّةَ على محملِ الجدّ، وكانت طمأنينته لا تَخفى على أحد، فقد قالَ لي عندَ نهايةِ شهرِ كانون الأوَّل بهيئةٍ بهيَّة: «لقد قضيتُ فصلاً رائعاً، وحينَ سُئل في بداية السَّنة، ما يريد أن يتمنَّى الآخرون له؛ أجاب بحماسة:«العمر الطَّويل».

قُمنا، مع سيلفي، برحلةٍ قصيرةٍ إلى جنيف؛ أعجبت سارتر كثيراً، رغمَ البردِ والثَّلجِ، وتنزَّهنا في المدينةِ القديمةِ سيراً على الأقدام، وشاهدنا منطقةَ كوبيه Coppet، كما زرنا مدينةَ لوزان، وبعدَ عودتنا؛ استأنفَ سارتر عملَه مع فيكتور، بل عادَ إلى الكتابةِ، وهي كتابةٌ رديئةٌ غيرُ مقروءةٍ، لكنَّ فيكتور نجحَ في فكِّ رموزها إلى حدٍّ ما، كان يكتبُ حولَ حدودِ انتمائِه إلى قِيَمِهِ، قال لي: «لا أومن بما أكتب»، لكنَّه لاحظَ بأنَّه كان ينتقدُ نفسَهُ انطلاقاً من كتابيه: **الوجود والعدم**، **والنَّقد**، وهو برهانٌ على إيمانِه بكتابتِه هذه.

١٩٧٦

في بدايةِ شهرِ آذار؛ أملى سارتر عليَّ مقالةً حولَ بازوليني Pasolini[١]، الَّذي سبقَ أن التقى به في روما، وكان من مُحبِّي بعضِ أفلامِه، لاسيما الجزءَ الأوَّلَ من فيلمه Médée، الَّذي رأى فيه تذكيراً غيرَ عاديٍّ **بالمُقدَّس**، في مقالته هذه؛ كان يفكِّر حولَ ظروفِ موتِه، فكتبَ أوَّلاً، بخطٍّ غيرِ مقروء، ثمَّ تلاهُ عليَّ عن ظهرِ قلب؛ فخرجَتْ مقالةٌ جيِّدة، نُشرت في مجلَّة Corriere della Sera بتاريخ ١٤ آذار عام ١٩٧٦، وكان مسروراً من نجاحِه بإنجازها في أقلَّ من ثلاثِ ساعات.

لاحظَ فيكتور، مثلي، أنَّ سارتر لم يكنْ في حالةٍ فكريَّةٍ جيِّدة منذُ وقتٍ طويل، صحيح أنَّه يبدو، في بعضِ الأحيانِ، باهتاً؛ لكنَّ ذلكَ لا يحدثُ إلَّا بوجودِ أُناسٍ عديدين يُثيرون ضَجرَه، وتراهُ، أحياناً أُخرى، حَيويّاً وحاضرَ الذِّهن، كما في تلك السَّهرةِ الَّتي قضيناها مع أليس شوارزر Alice Schwarzer، صحيح أيضاً أنَّه كان يُصغي، ويُجيب، ويُناقش، لكنَّه لم يعدْ خَلَّاقاً، لمعاناتهِ نوعاً من الفراغ، فصارَ الشَّرابُ، والطَّعامُ أكثرَ أهميَّة عندَه ممَّا كان عليه في الماضي، وأصبحَ يتكيَّفُ مع المستجدَّاتِ بصعوبةٍ، ولا يحتملُ كثيراً مخالفةَ رأيه، وهو ما لم أفعلْه أبداً تقريباً؛ رغمَ أنَّه كان يُخطئ كثيراً حولَ أحداثٍ ماضية.

في العشرين من شهرِ آذار؛ سافرنَا مع سيلفي إلى البندقيَّة، الَّتي لم يملَّها أيٌّ مِنَّا، قام سارتر معي بنزهاتٍ طويلةٍ إلى حدٍّ ما بخُطىً متثاقلة، سألني ذاتَ

---

(١) باولو بازوليني (١٩٢٢-١٩٧٥): شاعر، ومخرج سينمائي، وكاتب سيناريو، وصحفي إيطالي معروف.

يوم: «ألا يُزعجك هذا الرَّفيق الَّذي يمشي إلى جانبك ببطء؟»، فأجبت بالنَّفي، وكنت صادقةً تماماً بذلك، وأحيانا يقول بشيءٍ من الكآبة: «لن أستعيدَ بصري أبداً !»، وينتابُه الحُزن حينما يأخذ أحدُ المسافرين على متنِ المركب البُخاريِّ بيده ليساعده على النُّزول، فيسألني: «هل تدلُّ هيئتي على أنِّي عاجز؟»، فأقول له: «ليس ثمَّة ما يدعو إلى الخَجل، فبصرُك ضعيف»، وبما أنِّي كنت أُعاني نوعاً من التهابِ الأعصابِ في ذراعي الأيمن؛ فقد كنتُ أقولُ له: «إنَّها الشَّيخوخةُ في نهايةِ المطاف ! وكُلُّنا يعاني من مشكلةٍ أو أخرى، فقال لي بقناعة: «ليس أنا، أنا لا أُعاني من شيء»، ضحكتُ، وبعدَ تفكير؛ ضحكَ هو أيضاً، لكن كان عندَه إحساسٌ عفويٌّ بأنَّه مُعافى، وتراه أكثر تكيُّفاً مع حالتِه من السَّنة الماضية.

بعدَ عودتنا إلى باريس؛ تابع عملَه مع فيكتور، كان الرَّبيع جميلاً، بشمسِه، وخضرتِه، وورودِ الحديقة، والعصافير المزقزقة، كانت القراءةُ، والموسيقا، والأفلام تملأ أوقاتنا بعد الظُّهر، وفي بدايةِ السَّنة؛ نشرَ كتابَ: **مواقف ١٠** Situations X الَّذي يضمُّ أربعَ دراساتٍ سياسيَّة، ومقابلةً حولَ كتابه: **أحمق العائلة**، وحواره معي حولَ الحركةِ النَّسويَّةِ، والمقابلةِ الطُّويلةِ الَّتي كان قد أجراها مع كونتا Contat: «**لوحة ذاتيَّة في السَّبعين من العمر**»، وأعادت دار غاليمار نشرَ كتابه: **الوجود والعدم** في سلسلة «Tel»، وكتاب **مواقف ١** SituationI في سلسلة «Idées»، وتُرجم كتابُه **نقد العقل الجدليّ**، في لندن (سبق أن تُرجم في ألمانيا عام ١٩٦٧)، وأُعيدَ نشرُ مقابلاتٍ كان سارتر قد أجراها مع الإذاعةِ الأستراليَّة ـ حولَ الماركسيَّة، ودَورِ المثقَّف ـ في كتابٍ طُبع في نيويورك.

في الأوَّلِ من شهر أيَّار؛ أجرى مقابلةً لصالح Press-book حولَ فيلم: **سارتر كما يتحدَّث عن نفسه**؛ تحدَّث فيه عن خلافاتِه مع التِّلفزيون الفرنسيِّ، وفي شهرِ حزيران؛ نشرَ في صحيفة ليبيراسيون رسالةً حولَ منطقةِ لارزاك Larzac الَّتي تمدَّدَ الجيشُ فوقَ أراضيها؛ أسِفَ فيها عن عدمِ

استطاعتِه حضورَ اللّقاءات الّتي جرت حولَ لارزاك بمناسبةِ عيدِ الصّعود Pentecôte، وفي الشَّهرِ نفسِه؛ نشرَ في مجلّة Le Nouvel Observateur نصّاً قصيراً حولَ أمنِ العمل في الشَّركات.

كما وقّعَ بياناً تضامنيّاً مع مجموعةِ Marge، الّتي احتلَّت في ٢٨ كانون الثّاني؛ أحدَ مباني سفارةِ الاتّحاد السُّوفييتيّ، وفي ٢٨ كانون الثّاني؛ وقَّع نداءً، نُشر في صحيفة ليبيراسيون، مُوجَّهاً إلى رئيس الجمهوريّة لصالح جان بابينسكي J.Papinski؛ مُدرِّس التَّعليم العامّ في إحدى المدارس PEGC الّذي خضع للتَّفتيش في عام ١٩٦٦ بينما كان يُلقي درساً باللُّغة الإنكليزيّة من مفتشٍ يجهل هذه اللُّغة، ومع ذلك؛ فقد قدَّم عنه رأياً سلبيّاً، وتسبَّب في إعادتِه إلى التَّعليم الابتدائيّ؛ حيثُ طلبَ بابينسكي إصلاحَ وضعِه، لكنَّه لم يحصل عليه، فنشرَ في عام ١٩٧٤ نصّاً هجائيّاً بعنوان: Boui-Boui يُهاجم فيه التَّفتيش، والمحلَّفين، والمخالفاتِ القانونيَّةِ Pass-droits؛ ففُصل مدى الحياة، وبدأ إضراباً عن الطَّعام (استمرَّ ٩٠ يوماً).

وقَّع سارتر، ومعه خمسون من الحائزينَ على جائزة نوبل، وأنا معهم نداءً نشرَتْهُ صحيفةُ لوموند في ١٧ شباط، يُطالب بتحرير المنشقّ السُّوفييتيّ الدُّكتور ميخائيل ستيرن M. Stern، وقُمنا معاً بحملةٍ لصالحه وفزنا في ذلك، وفي ١٢ أيَّار؛ وقَّع سارتر مع مثقَّفين آخرين بلاغاً يُعبِّرون فيه عن هولِهم إزاءَ نهايةِ أولريكا ماينهوف U.Meinhof[1]، في أحدِ السُّجونِ الألمانيَّة.

في ذلك الصَّيف؛ التقينا بعد شهرٍ من الفُراق قضاه سارتر في جوناس مع آرليت، ثمَّ مع واندا في البندقيَّة، بينما كنتُ في رحلةٍ أُخرى إلى إسبانيا مع سيلفي، ثمَّ ذهبنا ثلاثتنا، سارتر وسيلفي، وأنا إلى مدينة كابري Capri، وقضينا في فندق كويسيسانا Quisisana ما يقربُ من ثلاثةِ أسابيع سعيدة. كُنَّا نذهب في

(١) أولريكا ما ينهوف (١٩٣٤-١٩٧٦): صحفيّة، وعالمة اجتماع، قبل أن تنضمّ إلى الألوية الحمراء الإرهابيّة في ألمانيا

بدايةِ كلِّ يوم لنحتسيَ قدحاً في مقهى سالوتو Salotto، بل إنَّ سارتر قام بنزهتينِ طويلتينِ في هذا الجزءِ من الجزيرةِ حيثُ السَّيارات ممنوعة، وكان يأخذُ قِسطاً من الرَّاحةِ فوقَ أحدِ المقاعدِ بينَ الفَينة والأُخرى، من دون أن يشكو أيَّ ألمٍ في ساقيه، كان يحبُّ الجلوسَ في الشَّمسِ ليتناولَ طعامَ الغداءِ في أحدِ المطاعم، ومن نافذته؛ يشعرُ بجمالِ المنظرِ الَّذي ينزلُ بهدوءٍ حتَّى زرقةِ مياهِ البحر.

عدنا إلى روما بالسَّيَّارة الَّتي سبقَ أن تركناها في أحدِ مرائبِ نابّولي، وعدنا إلى شقَّتِنا ذاتِ الشُّرفة المعتادة، غادرتنا سيلفي منذُ اليومِ التَّالي، وبقيتُ مع سارتر وحدي طيلةَ أسبوعين، وعشنا الرُّوتينَ المحبَّبَ الَّذي طالما عشناهُ في السَّنواتِ السَّابقةِ، كان جزءٌ من ساحةِ البانتيون والشَّوارعِ المجاورةِ كلُّها للمشاة، فنقوم بنزهةٍ فيها في أغلبِ الأحيانِ، تناولنا الغداءَ في ساحةِ نافونا برفقة باسو Basso وزوجته؛ وجاءت المخرجةُ السِّينمائيَّة؛ جوزيه دايان Josée Dayan ومعها الممثِّلة مالكا ريبوفسكا Malka Ribowska- اللَّتين التقيناهما مصادفةً في البندقيَّة، وصرتُ ألتقيهما منذ ذلكَ الوقت؛ لتُناقِشا معنا الإعدادَ المتلفَز لروايتي: *Une femme rompue* [امرأة مُنكسرة]، وكان سارتر يحمل الوُدَّ لكلْتيهما، فتناولنا طعامَ العشاءِ معاً. في نهايةِ رحلتنا؛ قُمنا بزيارةِ الزَّوجين بوست اللَّذين رافقَانا إلى المطار، حيث طِرنا من هناك إلى اليونان.

الحقيقة أنَّ سارتر كان قد وعدَ ميلينا Mélina بالقدوم لرؤيتها في أثينا؛ فبقينا فيها أسبوعاً، كان يقضي النَّهارَ معها، والسَّهرة معي، لم نتمكَّن من الحصول على غُرفٍ في الفندقِ الَّذي كُنَّا نُحبُّه؛ لكنَّنا وجدنا غُرفاً كئيبةً بالقرب منه، إذ بينما الشَّمسُ تسطعُ في الخارج؛ كُنَّا مضطرِّين إلى إشعالِ النُّورِ الكهربائيِّ من الصَّباح حتَّى المساء، ولحسنِ الحظِّ أنَّه كان لديَّ عمل؛ فقد وضعتُ اللَّمساتِ الأخيرةَ على كتابي **المرأة المنكسرة**، وكتبتُ حواراتها.

بعدَ عودتِنا إلى باريس، حوالي منتصفِ أيلول، استعدنا حياتَنا فيها، كما كانت في السَّنةِ السَّابقةِ تقريباً، مع بعضِ الاختلافِ في توقيتِها حتَّى منتصفِ

تشرين الأوّل، حيثُ كان الجوُ رائعاً، ممَّا خلقَ في أنفسِنا التَّفاؤلَ، وكان سارتر بحالةٍ ممتازة، والأشياءُ تسيرُ بشكلٍ جيِّدٍ بالنِّسبةِ له، تخلَّى عن اجتماعاتِ مجلَّةِ **الأزمنة الحديثة**، لكنَّه بقي يعملُ بشهيَّةٍ كبيرةٍ مع فيكتور، واستمرَّت الالتماساتُ تأتيه من كلِّ حدَبٍ وصَوب.

في شهرِ تشرين الأوّل؛ شاركَ في اجتماعٍ لصالحِ المعتقلين السِّياسيِّين السُّوفييت، وطالبَ بإطلاقَ سراحَ كوزنيتسوف Kouznetsov، وَوقَّعَ مع لوبري Le Bris ولودانتيك Le Dantec مُقدِّمةً قصيرةً لكتاب بومي بومان [١] الموسوم Tupamaros Berlin-Ouest، الَّذي كان سيُنشر في سلسلة «La France sauvage»، صُودِرَت هذه السِّيرة الذَّاتيَّة لأحدِ الإرهابيين الألمان السَّابقين من الشّرطةِ الألمانيَّةِ في شهر تشرين الثَّاني من عام ١٩٧٥، وانضمَّ سارتر إلى هينريش بول Heinrich Bl[٢] للمطالبةِ بإعادةِ نشره، وها هو الآن يُنشر باللُّغةِ الفرنسيَّةِ، وكتب سارتر: «ليس بالضَّرورة أنَّنا نتبنَّى أُطروحاتِ بومي بومان، لكنَّها تُخاطب فرنسا المتوحِّشة».

في شهرِ أيلول؛ أُعيد عرضُ مسرحيَّةِ **الأيدي القذرة** في مسرحِ ماتوران Mathurins، وتكرَّر العرضُ خمسينَ مرَّةً، ثمَّ قامت الفرقةُ بجولةٍ في الضَّواحي لعرضِها هناك، كان النَّقدُ الَّذي كُتب عنها ممتازاً، باستثناءِ ما كتبه النَّاقدُ بيير ماركابرو Marcabru، وعُرض فيلم: **سارتر كما يتحدَّث عن نفسه**، عند نهايةِ شهرِ تشرين الأوَّل، وحظي بمديحٍ حماسيٍّ، وتقاطرت الجماهيرُ لرؤيةِ العرض.

نشرَتْ مجلَّةُ Le Magazine Littéraire حواراً طويلاً، وبالغَ الأهميَّةِ مع سارتر، أجراه ميشيل سيكار M.Sicard[٣] حولَ كتاب: **أحمق العائلة**،

---

(١) سبقت الإشارة إلى أنّه كان سائقًا لسارتر عند زيارته لبادير في ألمانيا.

(٢) هينريش بول (١٩١٧-١٩٨٥): يعدّ من أشهر الكتّاب الألمان في مرحلة ما بعد الحرب العالميّة الثّانية.

(٣) أستاذ فلسفة شابّ كان على معرفة جيّدة بأعمال سارتر.

وخصَّته مجلَّة Politique-Hebdo بعددين تضمَّنا مقالاتٍ بقلم شاتليه Chatelet، وهورست، وفيكتور.

قلت له: «يا لها من عَودة !»، فأجابني ضاحكاً: «عودةٌ جنائزيَّة»، الحقيقة أنَّه كان مُستمتعاً جدّاً بها. لقد كان يتمتَّعُ بكبرياءٍ عظيم يمنعهُ من الوقوعِ في الغرور، وهو، كأيِّ كاتبٍ، يهتمُّ بنجاحِ أعمالِه وتأثيرها، لكنَّه سرعان ما كان يتجاوزُ الماضي، ليتطلَّعَ إلى المستقبل، نحوَ كتابه القادم، أو مسرحيَّته القادمة، الآن؛ لم يعدْ ينتظر أشياءَ كثيرة من المستقبل، لا شكَّ أنَّه لا يعكُفُ على ماضيه بطريقةٍ قلقة، إذ طالما كرَّرَ القولَ بأنَّه قام بما كان ينبغي عليه فعله، وهو مسرورٌ به، لكنَّه، ما كان لِيحبَّ أن يلقى به بعيداً في غياهبِ النُّسيان ـ حتَّى لفترة وجيزة ـ، ونظراً لعدمِ قُدرتِه على الالتزام بحماسةِ الماضي في مشاريع جديدة؛ فقد شَرعَ بالعودة إلى ما سبق له إنجازه، لاعتباره بأنَّ عملَه قد استُكمل، ومن خلالِه يعترفُ الآخرون به، كما كان يتمنَّى.

يومَ الأحد ٧ تشرين الثَّاني؛ مَنحته سفارة إسرائيل شهادةَ دكتوراه فخريَّة من جامعةَ القدس، وفي كلمته الَّتي أعدَّها بعنايةٍ فائقةٍ وحفظها عن ظهرِ قلب؛ صرَّح بأنَّه يقبل هذه الشَّهادةَ لتشجيعِ الحوارِ الإسرائيليِّ ـ الفلسطينيِّ: «إنَّني، منذُ زمنٍ طويلٍ، صديقٌ لإسرائيل، كما أنِّي أهتمُّ بالشَّعب الفلسطينيِّ الَّذي عانى كثيراً»، ونُشرَ هذا النَّصُّ في Les Cahiers Bernard Lazare، بعد ذلك بفترةٍ قليلةٍ؛ أجرى سارتر مقابلةً مع إديث سوريل Edith Sorel[1] نُشِرَتْ عندَ نهايةِ تشرينَ الأوَّل في مجلَّة *Tribune Juive*، قال فيها إنَّه لن يكتبَ أفكارَه كما كتبها سابقاً في **أفكارٍ حولَ المسألة اليهوديَّة**، وتحدَّث عن رحلتِه إلى مصرَ وإسرائيل في عام ١٩٧٦، وقال إنَّه على استعدادٍ لقبول شهادةٍ من جامعةِ القاهرة، إذا اقترحت عليه ذلك.

---

(١) زوجة رونيه ديبيتر R.Depestre السابقة، الّتي سبق أن تعرفنا عليها في كوبا.

في تشرين الثَّاني، بدأت مجلَّةُ *New Left Review* بنشرِ مقطعٍ كبيرٍ من الجزءِ الثَّاني من كتابه: **نقد العقل الجدليّ**، وكان يُفكّر حولَ المجتمعِ السُّوفييتيّ، حول «الاشتراكيّة في بلد واحد»، وكانت هذه الصَّفحاتُ فلسفيَّةً أكثر منها تاريخيَّة، ومن ثمَّ فهي استكمالٌ للجزء الأوَّل، بينما أرادَ في الجزءِ الثَّاني التَّطرُّق أوَّلاً إلى أرضيَّةِ التَّاريخِ الملموس.

في الثَّاني عشر من تشرين الثَّاني؛ نشرَ في صحيفةِ ليبيراسيون رسالةَ مساندةٍ للكورسيكيِّين الخمس المعتقلين في مدينة ليون، وفي ١٢ كانون الأوَّل؛ أجرى مقابلةً في *Politique-Hebdo* دانَ فيها الخطرَ الَّذي تُشكّله الهيمنةُ الألمانيَّة ـ الأميركيَّة في أوروبّا، وعندئذٍ؛ شاركَ في نشاطاتِ «لجنة العمل ضِدَّ أوروبا الألمانيَّة-الأميركيَّة»، الَّتي أدارها ج.ب. فيجييه J.P. Vigier[1] وغيرُه.

بعد أن قدُمت ميلينا إلى باريس لقضاءِ أسبوعٍ فيها؛ التقاها سارتر كثيراً، لم يكن مُرتاحاً كثيراً معها كما كان حالُه في أثينا؛ لأنَّه وجدَها هذه المرَّةَ فارغةً؛ برغمِ الودِّ الَّذي كان ما يزال يحتفظ به لها.

انحسرَ عددُ أعضاءِ لجنةِ مجلَّة **الأزمنة الحديثة**، فلم يعُدْ بوست يحضر؛ بسببِ تفاقمِ سوءِ سمعِه، وضاقَ وقتُ لانزمان بعدَ انشغاله بِفيلمه الَّذي كان بصددِ إنجازه حولَ المحرقة، ففكَّرنا باختيار أعضاءٍ آخرين؛ فاخترنا بيير فيكتور، الَّذي كان له الفضلُ بعودةِ سارتر إلى حضورِ الاجتماعات، وفرانسوا جورج، أستاذَ الفلسفة الشَّابّ الَّذي سبقَ للأزمنة الحديثة أن نشرَتْ له مقالات، والَّذي كان لرسالتِهِ أكبرُ الأثرِ فينا، وبيير غولدمان، الَّذي كُنَّا جميعاً نحترمه، فقد جاء، ذاتَ مساء، إلى سارتر مع لانزمان، وانتزعَ مودَّتي له، كما حظيَ بمودَّة سارتر، لكنه لم يقُلْ شيئاً، كعادتِه في أغلبِ الأحيانِ حينما يكون بينَ أُناس غير معروفين، بعد أن بقينا لوحدنا؛ طمأنتُه بقدر ما أستطيع، أمَّا في المساء؛ فقد كان حاضرَ الذِّهن بين مَن يألفهم، وذلكَ حينَ جاءَ هورست وزوجته ليحتسيا معنا كأساً.

---

(١) سياسيّ، ونائب في البرلمان الفرنسيّ.

١٩٧٧

عموماً؛ كانت حالُ سارتر جيِّدة بشكلٍ واضح؛ فلم يصبْهُ أيُّ عارض أبداً، لكنَّه كان يُعاني من صعوبةٍ في المشي، ويُدخِّن كثيراً، وفقدنا الأملَ بأيِّ تغييرٍ على هذا المستوى،كما كان يجدُ صعوبةً في البَلع، لكنَّ مزاجَه كان في غايةِ الرَّوعة، فيقول لي: «في هذه اللَّحظة، أنا في غاية السُّرور»، وبرغمِ حُكمِه على هذه «العودة «بأنَّها جنائزيَّة؛ فإنَّ المقالاتِ الَّتي كانت تُنشرُ عنه كانت تثيرُ لديه مُتعةً كبيرة، وكان ذهنهُ سليماً تماماً، وصرتُ على ثقةٍ بأنَّه لو كان قادراً على القراءة والمراجعة؛ لَوضعَ الكثير من الأفكار الجديدة، أمَّا في الوقت الرَّاهن؛ فيعمل مع فيكتور على حوارٍ حولَ معنى تعاونهما وأسبابه، نشرته صحيفة ليبيراسيون في ١٦ كانون الثَّاني من عام ١٩٧٧.

كان يقول إنَّ سببَ الشَّكل الجديد لكتابه القادم: **السُّلطة والحُرِّيَّة**، ليس عجزه، بل لأنَّه كان يتمنَّى من أعماقِه إظهارَ **نحن**[الجميع]، الكتابُ، بالنِّسبة له، يدور حولَ «الأخلاق والسِّياسة اللَّتين أُريد الانتهاءَ من الحديث عنهما مع نهاية حياتي»، كان يتردَّد بين ما يُقال بأنَّ التَّفكير عامٌّ، واعتقاده بأنَّ الإنسانَ لا يقدر على التَّفكير إلَّا بمفرده، لكنَّه كان يأمَلُ في الوصولِ إلى تفكيرٍ جمعيٍّ: «لا بُدَّ من وجود فكرٍ تُشكِّله أنتَ وأنا بالفعل في آنٍ معاً، في فعل التَّفكير مع ما لدى كل مِنَّا من تغيُّرات، يسبِّبها تفكيرُ الآخر، وينبغي الوصول إلى فكرٍ يكون فكرنا، أي فكرٌ ترى فيه نفسَك، لكنْ في الوقت نفسِه تراني فيه، وأنا أرى نفسِي من خلال رؤيتي لك...

«لكنَّ حالتي غريبة: عموماً؛ أنهيتُ مهنتي الأدبيَّة، الكتابُ الَّذي نعمل عليه الآنَ يتجاوز الأشياءَ المكتوبة، إنَّه ليس حيّاً تماماً، حيّاً أكبرَ عمراً من عمر هذا الَّذي يتحدَّث إليك؛ لقد انفصلتُ تقريباً عن أعمالي... أريد معكَ... القيام بعمل يتجاوز عملي الخاصّ».

«... لستُ ميِّتاً بالفعل، لكنِّي ميِّتٌ من حيث أنَّ عملي قد انتهى... وعلاقاتي بكلِّ ما كتبت حتَّى الآن ليسَتْ هي نفسها: أعملُ معك، ولديك أفكار ليست أفكاري الَّتي تجعلني أسيرُ في بعض الاتِّجاهات الَّتي لم أتَّجه إليها، ومن ثمَّ فإنِّي أقوم بعمل جديد؛ أقومُ بهِ بوصفه عملاً أخيراً، وفي الوقت نفسه؛ عملاً مُستقلّاً، لا ينتمي إلى المجموع، رغمَ وجود سماتٍ مُشتركة بطبيعة الحال: كإدراك الحريَّة على سبيل المثال».

من الواضح أنَّ غموضَ الحالة كان يُضايق سارتر، لكنَّه كان يحاول التَّآلفَ معها؛ أي إنَّه نجحَ في إقناع نفسِه بأنَّ لها جوانب إيجابيَّة بالنِّسبة له.

لكنَّه أصبحَ تقريباً عاجزاً عن المشي، إذ كان يُعاني من آلامٍ في ساقه اليُسرى؛ بدءاً من ربلةِ السَّاق، مروراً بالفخذ، وانتهاءً بالكاحل، وكان يترنَّح. أكَّد لنا البروفِّسور لابريسل عدمَ ازديادِ اضطرابات الأوعية الدَّمويَّة، لكنْ ثمَّة اضطرابٌ في العصبِ الوركيِّ. لزم سارتر الغرفةَ طيلةَ خمسة عشر يوماً، لكنَّ حالته لم تتحسَّن بعدَ هذه المدَّة، كانت ساقُه تؤلمه ليلاً، وقدَمُه نهاراً، ولكي نذهبَ إلى المطعم البرازيليِّ القريب، الَّذي كان يرتاده خلالَ شهرِ كانون الأوَّل من دون صعوبة؛ صار عليه أنْ يتوقَّف في الطَّريق إليه ثلاثَ مرَّات، في شهر كانون الثَّاني، ولدى وصولِه؛ يكون مُنهكاً ومُتألِّماً.

حينما كُنَّا نقضي السَّهرة مع سارتر؛ كنت وآرليت ننام في بيته، لكنَّه كان يبقى يومَ السَّبت حتَّى السَّاعة الحاديةَ عشرةَ، وهو ما لم يكنْ يُريحنا، أنا أو هي، أن نأتيَ إليه في وقتٍ مُتأخِّر جدّاً. اقترحَتْ ميشيل المجيءَ بعد رحيلِ

واندا لقضاءِ اللَّيل في الغرفة المجاورة لغرفته، وهي إجراءاتٌ ناسبت الجميع، واستمرَّينا فيها لفترة طويلة.

لكنْ، ذاتَ يوم أحد، بينما كان سارتر يتناول الغداءَ مع سيلفي بحضوري في مطعم لاباليت La Palette؛ بدا لنا غريباً؛ إذ كان نائماً تماماً. حوالي السَّاعة التَّاسعة مساءً، شعرَ بألمٍ بالغٍ دفعَني إلى طلب أحد أطبَّاء الإسعافات الطَّارئة S.O.S؛ فرأى أنَّ ضغطَهُ قد بلغ٢٥، انخفضَ بعد الحقنة إلى ١٤، وبدا في اليوم التَّالي مُتعباً بعد هذا الهبوط المفاجئ، جاء الطَّبيبُ كورنو Cournot وانتحى بِليليان، الَّتي كانت موجودةً، جانباً ليسألَها: «ألم يشربْ؟»، فأجابت بنعم، لم تجرؤ على إعلامي، لكنَّ سارتر أسرّ بأنَّه شرب مع ميشيل نصفَ زجاجة ويسكي، كما اعترفَ بهذا لي أيضاً، اتَّصلتُ هاتفيّاً بِميشيل لأسألَها عن توقُّفها عن المجيء إلى بيت سارتر يومَ السَّبت، قالت له بعد عدَّة أيَّام: «أردتُ مساعدتَك على الموت مُنتشياً، ظننتُ أنَّ هذا ما كنتَ تتمنَّاه!». لكنَّه لم يكن راغباً في الموت من الآنَ فصاعداً، كنتُ، قبلَ مغادرته مساء السَّبت، أقيسُ له جُرعة من الويسكي، وأُخفي الزُّجاجة، بعد رحيل واندا، صار يشربُ ويُدخِّن لفترة، ثمَّ يذهبُ إلى النَّوم باطمئنان.

في بدايةِ شهرِ كانون الثَّاني؛ أقمنا حفلاً مرحاً في بيت سيلفي، ونُشر نصُّ: **سارتر كما يروي حياتَه بنفسِه** كاملاً في دار غاليمار، ولاقى نجاحاً كبيراً، بعدها؛ أجرى سارتر مقابلةً مع كاترين شين Catherine Chaine حولَ علاقتِه بالنِّساء؛ نُشرت في Le Nouvel Observateur بتاريخ ٣١ كانون الثَّاني، وكان يحضر اجتماعاتِ **الأزمنة الحديثة** الَّتي صارت تُعقد في بيته صباحَ يومَ الأربعاء من كلِّ شهر، ويشارك في المناقشات، وبما أنَّ سارتر اعتادَ أن يقولَ دائماً «نعم»؛ فقد قَبِلَ التَّوقيعَ على مقالةٍ نُشرت في صحيفة لوموند بتاريخ ١٠ شباط ١٩٧٧، كتبها في الحقيقة فيجييه بعد التَّداول معه، بعد أن لاحظ بأنَّ «الدِّيمقراطيَّة-الاجتماعيَّة الألمانيَّة، تُعَدُّ، منذ إعادة تشكيلها عام

١٩٤٥ إحدى الأدوات المفضَّلة للإمبرياليَّة الأمريكيَّة في أوروبَّا»، طلبَ من المناضلين الاشتراكيِّين «مقارعةَ الهيمنةَ الألمانيَّة-الأمريكيَّة في أوروبَّا» من خلال معارضتِهم لنوعٍ من بناءٍ مُعيَّن لأوروبَّا، لم يكن الأسلوبُ يُشبه أسلوبَ سارتر أبداً، وكان مثلُ هذا النِّداء للاشتراكيِّين مُدهشاً، ولم يُخفِ كلٌّ من لانزمان وبويون وفيكتور وآخرون عدمَ رضاهم.

سبقَ لِسارتر أنّ وعدَ ميلينا بإلقاءِ محاضرةٍ في الكلِّيَّة الَّتي تعمل فيها في منتصف شهر شُباط، فذهب بالطَّائرة في ١٦ شباط برفقة بيير فيكتور، وبقي هناك أسبوعاً يتناولُ خلالَه الغداءَ مع فيكتور، والعشاءَ مع ميلينا، ويُفكِّر في المحاضرة الَّتي ألقاها يوم الثُّلاثاء ٢٢ شُباط حول موضوع: «ما الفلسفة؟»، حضرها ألفٌ وخمسمائة شخص في قاعة لا تتَّسع عادةً لأكثر من ثمانِمائة شخص، تحدَّث خلالَ ساعة، وكان الجمهور يُقاطعه بالتَّصفيق، رأى فيكتور أنَّ المحاضرةَ «سهلةٌ» قليلاً، لكنْ بما أنَّ غالبيَّة الطُّلَّاب لم يكونوا يفهمونَ اللُّغة الفرنسيَّة بشكل جيِّد فقدسوَّغ له هذه السهولة. ذهبتُ في اليوم التَّالي لاستقبالهما في مطار أورلي، كان المسافرون يتوافدون تحتَ بصري، فقال لي أحدُهم مطَمئِناً: «إنَّهما قادمان»، وبالفعل، كانا آخرَ الواصلين، وبدا سارتر مُتعباً قليلاً بسبب سيره فوق درجات سُلَّم الطَّائرة الطَّويلة، لكنَّه كان سعيداً برحلته.

في التَّاسعِ من آذار؛ قدِمت ميلينا إلى باريس، واتَّصلت بي صباحَ اليوم التَّالي قبل السَّاعة التَّاسعة، مذعورةً، كان سارتر دعاها لتناولِ العشاء في المطعم البرازيليّ، وفي طريق العودة؛ خذله ساقاه مرَّتين، وكاد أن يقعَ أرضاً، أوصلَه بعضُ الجيران إلى المصعد؛ كان شاحباً مُتعرِّقاً، ومقطوعَ الأنفاس، اتَّصلتُ بِزيدمان[١]، ثمَّ ركضتُ إلى سارتر، كان ضَغطُه قد بلغ ٢٢، لم يكن قد شربَ كثيراً، كما أكَّدت لي ميلينا، وكنتُ أعرف أنَّها، من هذه النَّاحية،

---

(١) لن يجد القارئ اسم زيدمان في الصفحات التَّالية، لأنه توفي فجأة إثر نوبة قلبيّة في شارع Delambre.

كانت تراقبُه بشكلٍ دقيق، كان ذهنُه صافياً، وأمضيتُ فترةَ بعد الظُّهر معه، جاء الدُّكتور كورنو وقال إنَّه أُصيب بتشنُّجٍ في السَّاق، في اليوم التَّالي؛ قالت لي آرليت إنَّ سارتر وقعَ عدَّة مرَّات، لا سيما وهو في طريقه إلى النَّوم.

عاد الدُّكتور كورنو، فطلبَ منه التَّوجُّه إلى مشفى Broussais، لإجراء فحصٍ شامل. رغمَ انخفاضِ ضغطِه، نمتُ في بيته كما هي عادتي كلَّ يومِ ثُلاثاء، وفي الصَّباح؛ جاءت ليليان عند السَّاعة الثَّامنة والنِّصف لتأخذَنا إلى المشفى، ساعدنا سارتر في اجتياز الحديقةِ والنُّزول في المصعدِ حتَّى سيَّارتها، بخطواتٍ بالغةِ الصُّعوبة، في مشفى بوسيه وضعه أحدُ الممرِّضين في كُرسيٍّ بعجلات، قرَّر الأطبَّاءُ استبقاءَه حتَّى بعدَ ظهرِ اليوم التَّالي، بقيتُ في غرفته، وانشغلتُ بإجراءاتِ الدُّخول، بينما كان يخضع لفحوصٍ متعدِّدة، قُدِّم له طعامُ الغداء فأكلَه كلَّه تقريباً، وكان ضغطهُ الأيمن أفضلَ من ضغطه الأيسر، وهو عدم تناظرٍ واضح، بقيتُ حتَّى السَّاعة الثَّالثة والنِّصف، أقرأ إلى جانب سارتر وهو نائم، ثم جاءت آرليت.

عُدتُ إلى المشفى صبيحةَ اليوم التَّالي، وقيلَ لي إنَّ سارتر قد تناول عشاءَه، وشاهدَ التِّلفزيون قليلاً، ونامَ بشكل جيِّد، كانوا بصددِ إجراء صورةٍ شعاعيَّة طويلة للقفص الصَّدريّ، والسَّاقين، واليدين، إلخ. أُعيد إلى سريره، وجاء البروفسور هوسيه Housset، وتحدَّث بحرارةٍ قائلاً إنَّ سارتر لن يُنقذَ ساقَيه إلا بالإقلاعِ عن التَّدخين، ويمكن أن نؤمِّنَ له شيخوخةً ومن ثمَّ موتاً طبيعيَّين، إذا توقَّف عن التَّدخين، وإلَّا فلا بُدَّ من بترِ إبهاميّ القدمين. بدا سارتر مُندهشاً، أعدتُه إلى بيته مع ليليان من دون صعوبة تُذكر، وقال إنَّه سيُفكِّر في ما يتعلَّق بالتَّبغ، التقى ميلينا وآرليت، وفي اليوم التَّالي؛ فيكتور وميشيل، وحينما قدمتُ إليه مع نهايةِ النَّهار؛ كان يسيرُ بشكلٍ أفضل. في اليوم التَّالي؛ قال لي إنَّ ساقَه قد آلمته ليلاً طيلةَ ساعةٍ تقريباً.

ذهبنا يومَ الأحد؛ سارتر وسيلفي وأنا، لزيارة صديقتنا توميكو في بيتها الجميلِ الكائنِ في فيرساي، أكلنا طبقاً من البطِّ المحشيِّ، وشربْنا ما لذَّ من النَّبيذ، وفي طريقِ عودتِنا بالسَّيَّارة؛ قالت كلاماً حارّاً، وهي ما تزالُ تحتَ تأثير النَّبيذ؛ سَحَرَ سارتر. (لم تكن دوماً ودودةً معه، وترفض قبولَ فكرة أنّه مريض، وتنزعجُ من بعض تصرُّفاته، وكان يأخذ عليها ما يُسمِّيه «مزاجها السَّيِّئ»، لكنَّ هذا لم يُفسدِ العلاقات بينهما).

قضينا سهرَتنا في القراءة، وتجاذبِ أطرافِ الحديث. لقد قرَّرَ أن يتوقَّف عن التَّدخين في اليوم التَّالي، أي يوم الإثنين، قلت له: «ألا يُحزنك التَّفكير بأنَّك تدخِّن سيجارتك الأخيرة؟،فقال: لا، الحقيقة أنَّ هذه السجائر صارت تُثير قَرفي». لا شكَّ أنَّه ربطها بفكرةِ تقطيع أوصالِه إلى أشلاء، في اليوم التَّالي؛ أعطاني سجائرَه وولّاعاته لكي أُعطيها لِسيلفي، وفي المساءِ قال لي مُندهشاً إنَّه بمزاج جيِّد بعد توقُّفه عن التَّدخين، وكان ذلك توقُّفاً نهائيّاً، ولم يَبدُ أنَّه قد ضايقه أبداً. حتَّى وإن دخَّن الأصدقاء أمامَه؛ لم يكن يتأثَّر، بل كان يشجِّعُهم على التَّدخين.

يومَ الخميس التَّالي؛ صحبتهُ مع ليليان إلى عيادة الدُّكتور هوسيه الخاصَّة، حيث تصفَّحَ إضبارةً ضخمةً حولَه، وهنَّأه على تخلِّيه عن التَّدخين، ووصفَ له بعض الحقنات الوريديَّة. كان على سارتر أن يتوقَّف عن المشي حينما يحسُّ بأقلِّ تشنُّج، وإلَّا قد يتعرَّض إلى أزمةٍ دماغيَّةٍ. وقد منعه من رحلتِه القصيرةِ الَّتي كان ينوي القيامَ بها إلى جوناس، وأعطاني مُغلَّفاً سميكاً لتسليمِه إلى الدُّكتور كورنو، ثمَّ أعدنا سارتر إلى بيته، ولدى وصولِنا؛ قمتُ، وليليان بفضِّ المغلَّف الَّذي يتضمَّن رسالةَ هوسيه، بالبخار. كان عبارةً عن كشفٍ صحيٍّ دقيق لم نفهمْ منه الشَّيء الكثير، احتفَظَت به ليليان لإطلاع إحدى صديقاتها الطَّبيبات على مضمونه.

اتَّصلت بي في اليوم التَّالي لتقولَ لي إنَّ صديقتها وجدَتْ ما يُثير القلقَ في هذا الكشف، وانتهت إلى القول: ٣٠٪ فقط من الدَّم كان يجري في ساقيه،

«وإذا اتَّخذ الحيطةَ يُمكنه العيشَ أيضاً بضعَ سنوات»، بضع سنوات ! عبارةٌ كان لها معنىً مأساويّاً بالنِّسبة لي، كنتُ أعرفُ أنَّ سارتر لن يعيشَ طويلاً جدّاً، لكنَّ المهلةَ الَّتي تفصلني عن نهايتِه غيرُ محدَّدة، بحيث كانت تبدو لي بعيدة، وفجأةً؛ أصبحَت قريبة: خمسُ سنوات؟ سبعُ سنوات؟ على أيَّة حال؛ فهو زمنٌ منتهي، ومُحدَّد، صار لا مفرَّ من الموت، وسارتر ينتمي إليه، وحلَّ محلَّ ألمي الكبير يأسٌ عظيم.

حاولتُ أن أواجهَهُ، حملتُ إلى سارتر الرِّسالة الَّتي أعدنا لصقها، والَّتي تركها الدُّكتور مفتوحةً فوقَ الطَّاولة، أوصى سارتر فيها بعدمِ المشي طيلةَ خمسةَ عشرَ يوماً، كُنَّا نَتهيَّأ للسَّفر إلى البندقيَّة، ونصحتُ أن يُحضرَ لِسارتر كرسيٍّ بدواليب في المطار.

في البندقيَّةِ؛ أقمنا في الغُرَف الَّتي اعتدنا الإقامةَ فيها خلالَ السَّنوات السَّابقة، وكان سارتر سعيداً بالعودة إليها، لكنَّه لم يغادر الفندقَ إلَّا لماماً، وفي كلِّ مرَّة كُنَّا نريد الذَّهابَ إلى المطاعم الَّتي أحبَّها؛ كان ذلك بمثابة عمليَّة مُضنية، بل صعُب عليه الذَّهابُ إلى ساحة سان ـ مارك، وبسببِ رطوبةِ الطَّقس والمطر؛ لم يكن قادراً أبداً على الجلوس في (تيراسات) المقاهي، لكن، حينما يكون الجوُّ جميلاً؛ كُنَّا نتناولُ الغداءَ في (تيراس) الفندقِ المطلُّ على القنالِ الكبير، أو نعبر الشَّارع لنجلسَ إلى إحدى طاولاتِ بار Harry's، ونأكل سندويشاً في بار الفندق، كان يقضي معظمَ وقتِه في غرفته، بينما كنتُ أقرأ له، وحينما ينامُ بعد الظُّهر، أو يكون بصددِ الاستماع إلى الموسيقا من مذياعه الصَّغير؛ كنتُ أخرج مع سيلفي، ومع هذا؛ فقد قال لي، ونحن راحلون، إنَّه كان بالغَ السُّرور بإقامته هذه.

بعدَ عدَّةِ أيَّام من عودتنا؛ كثُرت مواعيدُ سارتر مع ميلينا، واستعادَ إعجابَه بها، وقال لي إنَّه معها يحسُّ، فعلاً، بأنَّه في الخامسة والثَّلاثين من عمره، رأتهما ليليان عدَّة مرَّاتٍ مع بعضِهما، قال لي إنَّ صحبتَها تُجدِّد شبابَه،

لكنَّ آلامَ ساقيه عاودتاه من جديد، بينما كان ينهضُ فوقَ قدمه اليُمنى، ذات صباح، أحسَ بألمٍ شديد جدّاً؛ دفعه إلى أن يقولَ لي «أتفهَّمُ بترَ القدمين»، كان الأسبيرين يُهدِّئ آلامَهُ قليلاً، لكنَّ الحُقَنَ الجديدةَ أتت عليها نهائيّاً، مع ذلك، كان يُعاني صعوبةً كبيرةً في المشي، لم يكن مُنفتحاً، وحيويّاً إلَّا معي، لكنَّه، في أغلبِ الأحيان، كان يصمتُ بوجودِ النَّاس، وينغلقُ على نفسه، حتَّى في حضور بوست ذاتَ مساء؛ لم ينبتْ ببنتِ شفة، فقال لي بوست: «كيف يمكننا تصوُّر أن يحدثَ هذا معه؟».

كان ظنِّي أنَّ مثلَ هذا لا يُمكن إلَّا أن يحدثَ معه، فقد كان يُمارس، إزاءَ نفسه، سياسةَ العملِ الكامل؛ ليس لديه أوقات ميِّتة، وكان يتناولُ حبوبَ الكوريدران Corydrane المنشِّطةَ ضِدَّ التَّعب، والتردُّد، ونوباتِ النُّعاس، كان لديه تضيُّقٌ بنيويٌّ في الشَّرايين يجعلُه مُستعدّاً للمرضِ الَّذي حلَّ به، لكن، أقلُّ ما يمكن قولُه إنَّه لم يفعلْ شيئاً لتجنُّب خطره، كان يعرف أنَّه استهلكَ «رأسماله الصِّحيّ» حتَّى النِّهاية، بحيث قال: «أحبُّ أن أموتَ مبكِّراً بعد إنهاءِ كتابِ **نقد العقلِ الجدليِّ**»، تساءلتُ عمَّا إذا كان قد اختارَ، واعياً إلى حدٍّ ما، أن يكونَ في حالتِه هذه، تحتَ تأثيرِ كتُب Groddeck[١]، في الحقيقةِ؛ إنّه لم يكنْ راغباً في كتابةِ الجزءِ الأخيرِ من **فلوبير**؛ لكن، بما أنَّه يفتقرُ إلى أيِّ مشروعٍ آخر في الوقتِ الرَّاهنِ؛ فلم يقبلِ الإقلاعَ عنه، فما العمل؟. بالنِّسبة لي؛ يمكنني أن أقضيَ عطلةً من دونِ أن تفقدَ الحياةُ معناها، أمَّا سارتر، فلا يستطيعُ ذلك، فقد كانَ يحبُّ أن يعيشَ، بل وبحماسةٍ، لكنْ شريطةَ أن يعملَ، لقد رأينا، خلالَ هذا السَّرد، أنَّ العملَ كان هاجسَه، وأمامَ عجزِهِ عن القيامِ بما رسمَه جيِّداً؛ تحوَّل إلى المنشِّطاتِ، فضاعفَ نشاطاتِه جدّاً، وتجاوزَ قواه الَّتي أدَّت به إلى الوقوعِ في أزمةٍ لا محيدَ عنها، إحدى النَّتائجِ الَّتي لم يكنْ

(١) جورج والتر غروديك (١٨٦٨-١٩٣٤): طبيب ألمانيّ متخصِّص في الطِّب النّفسيّ.

يتوقّعها، والّتي أرعبتْهُ؛ هي عماهُ التَّقريبيُّ، لكنَّه كان يتمنَّى أن يمنحَ نفسَه بعضَ الرَّاحة، فكان المرضُ مخرجَهُ الوحيد.

لكنِّي اليومَ لم أعُدْ مقتنعةً تماماً بهذه الفرضيَّةِ المتفائلةِ جدّاً، لأنَّها جعلَت من سارتر سيِّدَ مصيرِه، ما أنا مُتيقِّنةٌ منه هو أنَّ الدراما الَّتي عاشها في سنواتِه الأخيرةِ؛ ما هي إلَّا نتيجةُ حياتِهِ كلِّها، ويمكن أن نطبِّقَ عليه قولَ ريلكه Rilke: «كلُّنا يحمل موتَه في ذاته، كما تحملُ الثَّمرة نواتها في داخلها»، لقد عانى سارتر انهيارَه وموتَه الَّذي استدعته حياتُه، ربَّما لهذا، قبِلَهما بهدوء.

ليستْ لديَّ أوهامٌ، فثمَّة ما يُعكِّر هذه الطُّمأنينة. فقد غلبَ على سارتر زيادةُ الإحساسِ إلى الحاجةِ إلى قدحٍ من الكحول، عشيَّةَ العطلةِ سألتُ فيكتور عن رأيه في حالته؛ فأجاب: «إنَّها تتدهور»، وكان سارتر، في نهايةِ كلِّ حوار، يلحُّ بغضبٍ على احتساءِ كأسٍ من الويسكي.

لكنَّه بقيَ باسماً في ذلك اليوم ٢٢ حزيران من عام ١٩٧٧، وهو يومُ ذكرى عيدِ ميلاده الثَّاني والسَّبعين، حيث استقبلَ مع عدَّة مثقَّفين، في مسرح ريكامييه Récamier؛ المنشقِّين عن الشَّرق [الدول الشُّيوعيَّة]، بينما كان الرَّئيس جيسكار يستقبل الرَّئيس السُّوفييتيَّ بريجينييف في قصر الإليزيه، جلس إلى جانب الدُّكتور ميخائيل ستيرن الَّذي ساهمَ سارتر وأنا، في تحريره، وشكره على ذلكَ بحرارة، وأجرى مناقشاتٍ قصيرةً مع مُثقَّفين آخرين.

في تلك السَّنة، كما في السَّنواتِ السَّابقةِ، وقَّع كثيراً من النُّصوص الَّتي نشرتها صحيفةُ لوموند؛ ففي التَّاسعِ من كانون الثَّاني؛ وقَّعَ نداءً لصالح صحيفة Politique-Hebdo الَّتي كانت تعاني من صعوباتٍ ماليَّة، وفي الثَّالث والعشرين من كانون الثَّاني؛ وقَّعَ نداءً ضِدَّ القمعِ في المغرب، وفي الثَّاني والعشرين من آذار؛ وجَّهَ رسالةً إلى رئيسِ محكمة لافال Laval لمساندةِ إيفان بينو Yvan Pineau المعتقلِ بسببِ رفضهِ تسلُّم دفترِ الخدمةِ العسكريَّة، وفي السَّادسِ والعشرين من

آذار؛ وقَّعَ احتجاجاً على توقيفِ أحدِ مغنِّي نيجيريا، وفي السَّابع والعشرين من آذار؛ وقَّعَ نداءً من أجلِ الحُرِّيَّة في الأرجنتين، وفي التَّاسع والعشرين من حزيران؛ وقَّع معروضاً موجَّهاً إلى مؤتمر بلغراد المناهضِ للقمع في إيطاليا، وفي الأوَّل من تمُّوز؛ وقَّعَ احتجاجاً على تعاظمِ تدهورِ الحالة السِّياسيَّة في البرازيل.

من جانبٍ آخر؛ نُشرَ في الثَّامن والعشرين من تمُّوز حوارٌ مع سارتر أجراهُ الباحثُ الموسيقيُّ لوسيان مالسون L.Malson. تحدَّث فيه عن أذواقه الموسيقيَّة، وأسِفَ لتوجُّهِ إذاعةِ France Musique الجديد؛ فردَّ مديرُها الجديدُ في عدد ٨-٩ آب على انتقاداته.

في بدايةِ شهر تمُّوز؛ ذهب سارتر إلى جوناس بصحبة آرليت، وبويغ Puig، وإحدى صديقات بويغ، الَّتي كان يُكنُّ لها مودَّةً كبيرة، خلال الاستراحاتِ[1] المعتادة؛ ذهبَ مع واندا إلى البندقيَّة، حيث أمضى خمسةَ عشرَ يوماً، وغالباً ما كنتُ أتَّصل به هاتفيّاً، فيبدو لي بحالةٍ جيِّدة، لكنِّي بقيتُ متأثِّرة بالحكم الَّذي أطلقته صديقتهُ ليليان وهو أنَّه بقيَ أمامَه بضعُ سنوات، ولكنَّ رحلتي إلى النِّمسا، وحضوره والأهميَّة الَّتي كنت أُعلِّقُها على المناظر الطَّبيعيَّة؛ كانت تُساعدني على تجاوز الرُّعب الَّذي كان ينتابني، لكن في المساءِ كنتُ أنهار، رغمَ محاولتي التَّماسك، كنت قد أخذتُ من عند سارتر أنبوباً من الفاليوم، فأبتلعُ منها حبَّةً؛ أملاً في أن أستعيدَ حالتي من دونِ طائل، وكنتُ أبالغُ في احتساءِ الويسكي، وكانت النَّتيجة أنْ بدأتْ ساقايَ بالارتعاد، وصرت أترنَّح، وذاتَ مرَّةٍ كدتُ أن أقعَ في إحدى البحيرات، وذاتَ مساءٍ آخر تهالكتُ فوقَ إحدى الأرائك، بعد أن وصلتُ إلى بهوِ الفندق، ونظرَتْ إليَّ صاحبتُه بهيئةٍ غريبة، ولحسن الحظِّ؛ أنَّني في الصَّباح استعدتُ قوايَ وقضينا أيَّاماً جميلة.

(١) منذ أن كفَّ عن الرؤية، كانت ليليان تأتي لاصطحابه لدى وصول الطائرة إلى نيم Nîmes؛ وكان بوست يصحبه إليها، ثمّ يرافقه إلى المطار مع واندا، حيث كان ينطلق إلى إيطاليا.

سافرنا إلى البندقيَّة، وانتظرتني سيلفي في السَّيَّارة عند ساحة روما Piazza Roma، بينما أقلَّني مركبٌ سيَّارٌ إلى الفندق الَّذي يُقيم فيه سارتر، وكالعادة؛ دُهشت لرؤيته في البهوِ بنظَّارته السَّوداء، ومشيته المتعثِّرة، ذهبنا مع سيلفي تحتَ شمسٍ رائعة، وتوقَّفنا في فلورنسا، وأقمنا في فندق Excelsior، حيث حجزتُ غُرفاً لها تيراسات تطلُّ على المدينةِ كلِّها، كانت المتعةُ تشعُّ من وجه سارتر كما كان عليه حالُه سابقاً في أغلب الأحيان، بينما كُنَّا نتناول (الكوكتيل) في البار.

في اليوم التَّالي؛ وصلنا روما حوالي السَّاعة الثَّانية؛ فوجدناها مُقفِرة، وفقدنا،لسوء الحظّ، شقَّتنا ذاتَ التيراس؛ لأنَّ أحدَ الأمريكيِّين استأجرها لسنةٍ كاملة، لكنِّي أحببتُ كثيراً سكنَنا الجديدَ المؤلَّفَ من غُرفتين يفصل بينهما صالون صغير، حيث كانت ثلَّاجةٌ تَئِزُّ فيه، كان أيضاً يقع في الطَّابق الخامس، ولدينا إطلالةٌ رائعةٌ على ساحة سان ـ بيير؛ نشاهدُ منها غيابَ الشَّمس الخُرافيّ.

وجدتُ سارتر في حالةٍ جيِّدة تماماً (باستثناءِ ما يتعلَّق بساقيه، إذ كان السَّير يصعبُ عليه) خلالَ الخمس وثلاثين يوماً الَّتي قضيناها مع سيلفي أولاً، ولوحدنا بعد ذلك، كان يناقشُ بكثيرٍ من الثِّقة كُتُباً قرأتُها له (لا سيما كتب المنشقِّين الرُّوس)، وحينَ جاء بوست لرؤيتنا مع أولغا؛ دُهش لما يتمتَّع به سارتر من حيويَّة، رغمَ تأثُّره لدى ملامسته، غداةَ رحيلِ سيلفي؛ افتُتح مقهىً صغيرٌ على بُعدِ أمتارٍ من الفندق الَّذي نُقيم فيه في مكانِ مرآبٍ سابق، صرنا نتناول الغداءَ يوميّاً في شُرفته، وفي المساء، حينما نعود من المطعمِ الَّذي أقلَّتنا إليه سيَّارة أجرة؛ كُنَّا أحياناً نتناول فيه قَدحاً من الويسكي قبلَ التَّوجُّه إلى غُرفنا، وفيه أيضاً كُنَّا نُحدِّدُ مواعيدَنا.

في ذلك الصَّيف؛ كانت النُّفوسُ تغلي؛ إذ قُتلَ أحدُ الطُّلَّاب في بولونيا [الإيطاليَّة] الَّتي كان عُمدتُها شيوعيّاً، كانت المدينةُ على موعدٍ مع تظاهرةٍ

يساريَّة ضخمةٍ من ٢٣ إلى ٢٥ أيلول، وكان سارتر، كما قُلتُ سابقاً، قد وقَّعَ بياناً ضِدَّ القمعِ في إيطاليا؛ أثارَ عاصفةً في الصَّحافة الإيطاليَّة، لاسيما الشُّيوعيَّة منها، وأجْرَت صحيفةُ Lotta cintinua اليساريَّة المتطرِّفة الَّتي كان لها مع مجلَّة الأزمنة الحديثة علاقاتٌ هامَّة؛ مقابلةً مع سارتر حول المسألة، وشدَّدت م.أ. ماكشيوتشي Macciocchi[1] على مساندتهِ للقاءاتِ بولونيا، لكنَّ روسانا روساندا طلبتْ منهُ عدمَ مساندتها؛ لأنَّها كانت تتوقَّع حدوثَ كوارث.

في التَّاسعَ عشرَ من أيلول؛ التقى سارتر في المقهى الصَّغير الَّذي سبقَ الحديثُ عنه، بعدَّةِ مسؤولين من صحيفة Lotta continua، ونشروا الحوارَ الَّذي احتلَّ أربعَ صفحاتٍ في ١٥ أيلول بعنوان: «Libertà e potere in coppia»، عرض سارتر أفكارَه حولَ الحزب الشُّيوعيِّ الإيطاليّ، والتَّسوية التَّاريخيَّة، وحول مجموعةِ بادير ـ ماينهوف، ومنشقِّي البلدان الشرقيَّة، ودور المثقَّفين إزاءَ الدَّولة والأحزاب، والفلاسفة الجدد، والماركسيَّة. وصرَّح بقوله: «في كلِّ مرَّةٍ تُطلِق فيها شُرطة الدَّولةِ النَّار على شابٍّ مُناضل؛ أكونُ إلى جانب الشَّابِّ المناضل»، وأكَّد على تضامنه مع الشَّباب، لكنَّه تمنَّى ألَّا يقعَ عُنفٌ في بولونيا، وقد أرضَتْ كلماتُه هذه الجميعَ، بمن فيهم روسانا روساندا الزَّعيمةَ السَّابقة للحزب الشُّيوعيِّ الإيطاليّ.

الحقيقةُ أنَّ سارتر تحدَّث بشكل جيِّد، وفي مناقشاتنا؛ كنتُ أراهُ على ما يُرام، تجاذبنا أطرافَ الحديثِ حولَ حياتِنا، وعمرِنا، وعن كلِّ شيءٍ، ولاشيء، لا شكَّ أنَّ العمرَ تقدَّم به، لكنَّه بقيَ في الحقيقة كما هو.

كان لِقلبِه شطحاتٌ؛ إذ لم يَعُدْ يريد أن تأتيَ ميلينا لرؤيته في روما، ولا أن نذهبَ إلى أثينا كما كُنَّا قد خطَّطنا، قال إنَّه سيقدِّم لها المالَ لتبقى في

---

(١) ماريا أنطونييتا ماكشيوتشي (١٩٢٢-٢٠٠٧): كاتبة، وصحفيّة، وسياسيّة يساريّة إيطاليّة...

باريس هذه السَّنة، لأنَّه وعدَها بذلك، لكنَّه لن يراها بعد الآن: «إنَّها بالغةُ الاهتمام؛ لكنَّها ليسَتْ هامَّة، لم تعُدْ شيئاً بالنِّسبة لي.

وصَلَت باريس بعد عودتِنا إليها بقليل، قال لها سارتر: «إنِّي أكنُّ لكِ كلَّ المودَّة، لكنِّي لم أعُدْ أحبُّكِ»، بكت قليلاً، وصار يتردَّدُ على رؤيتها من وقتٍ لآخر.

كان في محيطِه الكثيرُ من النِّساء: صديقاتُه السَّابقات، والصَّديقات الجُدد، وقد قال لي بنبرةٍ تنمُّ عن الفرح: «لم أكُ أبداً مُحاطاً بالنِّساء كما أنا اليوم!»، لم يبدُ أنَّه تعيسٌ على الإطلاق، قال لي بعد أن سألتُه:«نعم، هناكَ الآنَ ثمَّة بُعدٌ للتَّعاسة في العالم، لكنِّي لستُ تَعيساً».كان يأسفُ لسوءِ بصرِه، لا سيما عدمَ رؤيةِ الوجوه؛ لكنَّه كان يشعر بأنَّه يعيشُ جيِّداً، كانت القراءاتُ الَّتي يُجريها مع فيكتور تهمُّه، والتِّلفزيون يُسلِّيه، وكان خلالَ اجتماعاتِ **الأزمنة الحديثة** يشاركُ في المناقشاتِ أكثرَ من السَّنوات الأُخرى.

كان مُهتمّاً جدّاً بالأحداثِ السِّياسيَّة؛ لا سيما بقضيَّة كلاوس كرواسان محامي بادير، وفي أوَّل شهر تمُّوز؛ وقَّعَ نداءً ضِدَّ طلبِ استردادِه، وفي ١١ تشرين الأوَّل؛ وقَّع مع «اللَّجنة المناهضة للتَّحالف الألمانيِّ ـ الأميركيِّ» احتجاجاً جديداً، وفي ١٨ تشرين الثَّاني؛ صدرَ بيانٌ عن اللَّجنة نفسِها حولَ قضيَّة شلاير Schlayer[1]، كما وقَّعَ في ٢٨ تشرين مع ب. هالبواش P. Halbwachs ودانييل غيران D. Guerin، وأنا؛ تحذيراً ضِدَّ اللُّجوءِ إلى القوَّة بخصوصِ جبهةِ البوليساريو، وفي ٣٠ تشرين الأوَّل؛ أرسلَ برقيَّةَ مُساندةٍ للمُثقَّفين الإيرانيِّين المعارضين للنِّظام، وفي ١٠ كانون الأوَّل؛ وقَّعَ نداءً ضِدَّ طردِ الرَّسامِ أنطونيو سورا Antonio Saura.

(١) هانز شلاير (١٩١٥- ١٩٧٧): رئيس رجال الأعمال الألمان. اختطفته الألوية الحمراء وقتلته.

معَ نهايةِ شهرِ تشرين الثَّاني؛ أملى عليَّ خلالَ ساعةٍ تمهيداً كتبَهُ للطَّبعة الأمريكيَّة لأعماله المسرحيَّة، وكان مسرحُ شرق باريس T.E.P ينوي إعادةَ عرض مسرحيَّة نيكراسوف Nekrasov، الَّتي لم تعُدْ تُعرَضُ في باريس منذُ كتابتِها عام ١٩٥٥، وفي شهرِ تشرين الأوَّل؛ أجرى سارتر محادثةً حولَ المسرحيَّةِ مع جورج ويرلر Grorges Werler، وأندريه أكوار A.Aquart، و موريس دولاريو M.Delarue، وفي كانون الأوَّل؛ أدلى بتصريحٍ حولَ هذا الموضوع، حيثُ أشار أنَّ موضوعَه الحقيقيَّ هو إدانةُ طرائقِ القمعِ المثيرةِ، وقال: «لاشكَّ في أنّي قد أختارُ ذريعةً أُخرى، لكنّي، كما في الأمس، سأُهاجم نوعاً من التَّوجُّه الصَّحفيِّ الَّذي يتلاعب، من دونِ تأنيبِ ضمير، بثقةِ قُرَّائِه باختلاق الفضائح»، وبما أنَّ البعضَ لامَه على القبولِ بهذه العودة إلى أعماله القديمة؛ أجاب بأنَّ كلَّ مسرحيَّاته ـ ومنها: الأيدي القذرة ـ تنتمي، من الآنَ فصاعداً إلى مجموعة المؤلَّفات المقبولة، وأنَّه لم يَعُدْ يرى سبباً يَمنعُ عرضَها.

في هذا المجال؛ أجد نفسي حريصةً على رفعِ المعنى الخاطئ(١) الَّذي عزا إلى سارتر النِّداءَ القائل: «لا تيأسي يا بيانكور...»، إنَّه يعني، في ذهن خصومِه أنَّه وفاءٌ للحزب الشُّيوعيِّ الفرنسيِّ ـ الَّذي لم يكن ينتمي إليه ـ وأنَّه اختار السُّكوت على بعضِ الحقائق المزعجة، وهو ما لم يفعلْه أبداً، لقد كان الأوَّل، مع ميرلو بونتي Merleau-Ponty في استنكارِه عبرَ مجلَّة **الأزمنة الحديثة**، لوجود المعسكراتِ السُّوفييتيَّة، وبالتَّالي، لم يستطعْ أحدٌ إنكارَ هذا الوفاء، وعليكم قراءة المسرحيَّة، فاليرا، هذا النَّصَّاب الَّذي جعل من نفسه نيكراسوف، الوزير السُّوفييتيّ الَّذي» اختار الحريَّة» قد دفعتْ له صحافةُ اليمين ليدليَ بتصريحاتٍ حول الاتِّحاد السُّوفييتيِّ وهو يجهل كلَّ شيء عنه، فيرونيك، المناضلة اليساريَّة الشَّابَّة، قالت له، معتقدةً أنَّها تخدع الأغنياء، إنَّه في

(١) وهو ما عمل عليه، بنحو خاصّ، جان ديتور Jean Dutourd، وعدد آخر من الصّحفيّين.

الحقيقة يلعب لعبتَهم، وإنَّه «سيبعثُ اليأسَ في نفوس الفقراء». لا سيما بيانكور، فصرخت فاليريا، غير المسيَّسة والَّتي لا ضمير لها والجشِعة إلى المال، صرخت بجنون: «لنبعثِ اليأسَ في بيانكور»، أي إنَّهما لم ينطقا باسم سارتر.

جرى العرضُ الأوَّل في شهر شُباط من عام ١٩٧٨، وجاء موريس دولاريو، الَّذي كان تلميذاً لِديلان Dullin[١]، وأحدَ رفاقِ أولغا المقرَّبين، ليلتقي سارتر في بيته، حيث كانت أولغا، وبوست وأنا حاضرين، أخذنا إلى المسرح، ووافق سارتر على الإخراجِ وتمثيلِ الممثِّلين، وحينَ أُسدِلت السّتارة؛ نزلنا إلى البهوِ لنهنِّئ ويرلر وممثِّليه بحرارة.

منذُ رحلتَيهِ إلى كلٍّ من مصرَ وإسرائيل في عام ١٩٦٧؛ صار سارتر يهتمُّ بنحوٍ خاصٍّ، بقضايا الشَّرقِ الأوسطِ، وقد هزَّته زيارةُ السَّادات إلى إسرائيل، وكتب نصّاً قصيراً ومؤثِّراً؛ نشرته صحيفةُ لوموند في عددها ٤-٥ كانون الأوَّل؛ يشجِّع فيه المفاوضات بينَ مصرَ وإسرائيل.

أنهينا سَنتَنا بكثيرٍ من الفرح؛ أعني سيلفي وهو وأنا، ونحن نأكلُ الحبشَ في مطعم «دومينيك Chez Dominique»، وكان سارتر راضياً عن عمله وحياته؛ إذ قال لي: «إجمالاً؛ قضينا وقتاً جميلاً منذُ بداية هذا العام».

---

(١) شارل ديلان: (١٨٨٥-١٩٤٩): مخرج وممثِّل فرنسيّ.

١٩٧٨

كان سارتر يُعاشر الكثيرَ من النِّساء الشَّابَّات؛ ميلينا، وأُخريات كثيرات. وبينما كان يشتكي، ذات يوم، من قلَّةِ العملِ مع فيكتور؛ قلتُ له ضاحكةً: «كثير من الأشخاص الشَّباب!»، فردَّ: «لكن في هذا نفعٌ لي»، وأظنُّ، في حقيقةِ الأمر، أنهنَّ السَّببُ في محبَّته للحياة، وقد صرَّح لي بنبرة تتَّسمُ بالمجاملة السَّاذجة: «لم تُعجبْ النِّساء بي أبداً».

ثمَّة ظروفٌ أُخرى غذَّت تفاؤله، فقد جمعت ليليان سيبفل في ألبوم نشرته دار غاليمار عدَّة صورٍ له، كتبتُ لها تعليقاً موجزاً، وأعدَّ ميشيل سيكار M.Sicard[١] عدداً ضخماً من مجلَّة Obliques، وغالباً ما كان يتناقش معه حولَه، وكانت جانيت كلومبل J.Colombel وغيرها من الشَّابَّات يأتينَ للحديث معه حول أعمالٍ خصَّصنَها لفكره، وستنشر دار غاليمار في سلسلة «La Pléade «مجموع أعماله الروائيَّة الَّتي سيقدِّم لها ميشيل كونتا، وهكذا؛ امتدَّت هذه «العَودة Come-back»، الَّتي كان مُتأثِّراً بها.

لكنَّه كان يُعاني من مشكلةٍ جدِّيَّةٍ هي المال، منذُ عرفته؛ لم يكنْ يبخلُ في إعطاءِ ما يكسب من مالٍ لهذا أو ذاك بكرمٍ فائق، وهو أمرٌ معروفٌ عنه، وفي الوقت الرَّاهن؛ فهو يدفعُ مبالغَ ضخمةً كلَّ شهر لأشخاص عديدين، والتَّعويض الَّذي يتلقَّاه من دار غاليمار سرعان ما يتلاشى، ولا يبقى لديه سوى القليلِ لسدادِ حاجيَّاته، فإنْ قلتُ له أن يشتري له حذاءً؛ كان يقول: «لا أملكُ ثمنَه»، وكان بالكاد يقبلُ أن يُهدى إليه، وكان لناشره عليه دَينٌ يرى أنَّه ضخم،

---

(١) ميشيل سيكار (١٩٥٠-): فنّان، وناقد أدبيّ وفنيّ فرنسيّ.

وقد خلقَتْ هذه الحالةُ لديه قلقاً حقيقيّاً، ليس على نفسِه، بل على مَنْ يرتبطون به.

دفعَه الفضولُ لمعرفةِ نتائج زيارةِ السَّادات للسَّفر إلى تلِّ أبيب مع فيكتور وآرليت، اللَّذين أصبحا صديقين له، خشيت عليه من تعبِ هذه الرِّحلة رغمَ قِصَرها، لكنَّه أصرَّ عليها، في مطار أورلي؛ انتقلَ في كرسيٍّ بدواليب إلى الطَّائرة، ولدى وصولِه؛ جاء إيلي بن غال ليصحبَه بالسَّيَّارة، أقام ثلاثتُهم في دارِ الضِّيافة المريحة الكائنة مقابلِ القُدس القديمة، وقضوا ليلةً جميلة في أحدِ الفنادق على شاطئ البحر الأحمر.

تحدَّث سارتر وفيكتور إلى إسرائيليين وفلسطينيين. كانت درجةُ الحرارة تبلغ ٢٥ درجة، والسَّماء زرقاء، وكان سارتر سعيداً،لأنه يُحبُّ الحركةَ، والاستعلامَ، ومُشاهدةَ البلدِ بمقدارِ ما كانت تسمحُ له به عيناه. إذا كانت الشَّيخوخة، كما يقولُ بعضُهم، هي فقدانُ الفضولِ؛ فهو لم يكنْ مُسِنّاً على الإطلاق في هذا الأمر.

ما كان لسارتر أن يكتب تحقيقاً عن نفسه أبداً مثل هذا التحقيق، أمَّا فيكتور؛ فكان أقلَّ تردُّداً، قال له سارتر خلالَ إحدى حواراتهما الأُولى: «أنتم الماويُّون، مُتعجِّلون دائماً»، ومع ذلك؛ فقد وافقَ مع فيكتور على إرسال ورقةٍ وقَّعها الإثنان باسميهما إلى مجلَّة Le Nouvel Observateur، اتَّصل بي بوست مذهولاً: «إنَّه أمر سيِّئ ومريع، كُلُّنا في الصَّحيفة مذهولون، أقنِعي سارتر بسحبِ هذا النَّص!»، نقلتُ طلبَه إلى سارتر، وبعدَ قراءة النَّص الَّذي كان في الحقيقة بالغَ الضَّعف؛ قال سارتر بشيءٍ من اللَّامبالاة: «موافق»، لكن حينما تحدَّثتُ إلى فيكتور؛ غضبَ، لم يوجِّه له أحدٌ أبداً مثل هذه الإهانة، وأخذ عليَّ أنِّي لم أُخبره بذلك، ظننتُ أنَّ سارتر سيتكفَّل به، لكنَّه لم يفعل، من باب اللَّامبالاة حتماً، وأوضحتُ الأمرَ لِفيكتور، وحافظنا خلالَ فترةٍ على علاقاتنا الجيِّدة، لفترةٍ على الأقلِّ، لكنْ، بعدها بقليل، وخلالَ اجتماع الأزمنة الحديثة

الَّذي عُقِدَ في بيتي، من دون حضور سارتر؛ وقعَتْ مُشادَّةٌ عنيفةٌ بين فيكتور وبويّون وهورست حولَ المقالة الَّتي رآها هؤلاء كريهةً؛ فشَتَمَهُم فيكتور، وصرَّحَ لاحقاً بأنَّنا جميعاً موتى، ولم يعُدْ يحضر الاجتماعات.

أذهلني ردُّ فعله، فأيامَ شبابنا؛ كنت أنا وسارتر نتعرَّض لكثير من الرَّفض، ولم نعدَّه أبداً بمثابة إهانة، لقد حافظ فيكتور منذُ أن كانَ قائداً سابقاً لليسار البروليتاريِّ على عقليَّةِ «القائد الصَّغير»، ولذلك؛ فلا بُدَّ أن تكونَ الأمور طوعَ أمرِه، وكان يسهُلُ عليه الانتقالُ من قناعة لأُخرى، لكنْ بالعناد نفسِه. عبرَ حمأة حماستِه المنفلتةِ من عِقالها، كان يستخرجُ يقينيَّاتٍ لا يقبلُ إعادةَ النَّظر فيها، وهو ما وسمَ خطاباتِه بقوَّة وجدَها بعضُهم جذَّابة، لكنَّ الكتابةَ تتطلَّب موقفاً نقديّاً لا علاقة له به، ويشعر بأنه مُهان، إذ اعتمد أحدهم نصّاً له. فتوقَّفنا، من الآن فصاعداً عن الكلامِ معه، وكنتُ أتحاشى لقاءَه حينما نكونُ عند سارتر، وهي حالةٌ غيرُ مريحة، كان أصدقاءُ سارتر الحقيقيُّون، حتَّى تلك اللَّحظة، أصدقائي أيضاً، أمَّا فيكتور فكان استثناءً، لم يكنْ عندي شكٌّ في تعلُّقه بِسارتر، ولا بتعلُّق سارتر به، وهو ما تحدَّث عنه في حواره مع كونتا Contat: «كلُّ ما أتمنَّاه، أن يستكملَ غيري عملي، أتمنَّى، على سبيل المثال، أن يقومَ بيير فيكتور بهذا العمل، وهو عمل المثقَّف والمناضل الَّذي يريد إنجازَه، إنَّه من بينِ كلِّ مَن عرفتهم؛ الوحيدُ الَّذي يُقنعني من هذه النَّاحية»، كان يُثمِّن عندَه راديكاليَّة طموحاتِه، لأنَّه، مثل سارتر، يريد كلَّ شيء، «بطبيعة الحال؛ لا يُمكن للمرء أن يحصلَ على كلِّ ما يُريد». رُبَّما يكون سارتر مخطئاً، لكن لا يهمُّ: هكذا كان ينظر إلى فيكتور. في أوقات متباعدة؛ كان يذهبُ لتناولِ العشاءِ عندَ ما يُسمِّيه فيكتور: «طائفته»، أي في بيتٍ يقع في الضَّاحية يتقاسمه فيكتور وزوجته مع زوجين صديقين لهما، وكان سارتر يرتاح في مثل هذه الأماسي، لم أكن أودُّ المشاركةَ فيها، لكنِّي أسِفْتُ؛ لأنَّ جزءاً من حياةِ سارتر صارَ مُغلقاً أمامي.

تعبنا من البندقيَّة إلى حدٍّ ما؛ لذلك اخترتُ مُنتجعاً لقضاءِ عطلةِ عيدِ الفصحِ في سيريميون Sirimione، وهي قريةٌ صغيرة قريبة من بُحيرة Garde، تُحيط بها الأسوار، ويُمنع دخولُ السَّيَّارات إليها، إلَّا للقاطنين فيها، ونحن منهم، حيث أقمنا في فندقٍ قريبٍ من البُحيرة، وكالعادة؛ كنت أقومُ بالقراءة لِسارتر في غرفته، وبما أنَّه كان يُحبُّ التَّنزُّه في الشَّوارع المقفرة الضيِّقة - عدا يوم الأحد -، كُنَّا نذهب في أغلبِ الأحيانِ للجلوس في شُرفة أحدِ المقاهي الواقعةِ في السَّاحة القريبة مِنَّا، وكُنَّا نتناولُ وجباتِنا في مطاعمَ صغيرة مجاورة. صحبَتْنا سيلفي في بعضِ النزهات الطَّويلة في السَّيَّارة. سِرنا على ضفَّة البحيرة، وزُرنا فيرون Verone، وبريسيا Prescia في يوم آخر، ولدى عودتنا إلى باريس؛ توقَّفنا في تالوار Talloires وبِتْنَا ليلَتنا في نُزل الأب بيز Bise حيث وبما أت سارتر كان يحب الوجبات المتقشفة، فقد أحب سارتر وجبتَه اللَّذيذة.

خلالَ الأشهرِ الَّتي كانت تفصلُنا عن العطلةِ الطَّويلة؛ أجرى سارتر بعضَ المداخلاتِ السِّياسيَّةِ. وفي بدايةِ السَّنة؛ نُشرَتْ في صقلِّيةَ وصيَّةٌ سياسيَّةٌ مُزوَّرة لِسارتر، دافعَ فيها المؤلِّفُ عن أطروحاتٍ فوضويَّةٌ قديمةٌ ونسبَها إلى سارتر، لكنَّه نشرَ تكذيباً لها، وفي شهر حزيران؛ نشرَ سارتر في صحيفة لوموند نصّاً طالبَ فيه، بعد مرورِ عشرِ سنوات على أحداث أيَّار ١٩٦٨، رفعَ حظرِ الإقامةِ عن كون-بينديت Cohn-Bendit، وفي الشَّهر نفسِه؛ وقَّع ورقةً حولَ قضيَّة هايدي كامب بولتشر Heide Kempe Bltcher، وهي شابَّةٌ ألمانيَّة احترقت بقسوة في ٢١ أيار في باريس خلالَ استجوابِ الشّرطة لها.

لكنَّ النَّشاط الَّذي كان يهمُّه فعليّاً؛ هو متابعةُ كتاب **السُّلطة والحُرِّيَّة** الَّذي يكتبه مع فيكتور. كانت حواراتُهما تُسَجَّل في مُسجِّلة، وقد شرحَ لِميشيل سيكار M.Sicard في نصٍّ نُشِرَ في مجلَّة Obliques؛ تصوُّرَه لهذا العمل: «إذا

دفعنا بالكتاب حتَّى النِّهاية؛ سيكون ذلك شكلاً جديداً... إنه مناقشة حقيقيَّة بين شخصين موجودين، لديهما أفكاراً يطوِّرانها في كتابتهما، وحينما يكون أحدُنا ضِدَّ الآخر؛ فهذا ليس تَخيُّلاً، بل حقيقةٌ... سيتضمَّن هذا الكتاب لحظاتٍ من المواجهة، ولحظاتٍ من التَّوافق، وللحالتين أهمِّيتهما... هذا الكتاب الَّذي يخطُّه مؤلِّفان يُعدُّ أساسيّاً بالنِّسبة لي، لأنَّه يتضمَّن التَّناقض، أي؛ الحياة، وسيكون للنَّاس الَّذين سيعكفونَ على قراءتِه وجهاتُ نظرٍ مختلفة، وهذا ما يفتنُني فيه».

ثمَّ حلَّ الصَّيف، وكما اعتدنا في السَّنوات السَّابقة؛ التقيتُ سارتر في روما، بعدَ رحلةٍ إلى السُّويد برفقة سيلفي، وقضينا في روما ستَّة أسابيع سعيدة.

لدى عودتنا؛ بدت صحَّتُه مُستقرَّةً، فيتناقش مع فيكتور، وأقرأ له، وكان ما يزالُ يستمتعُ بصداقاته النِّسائيَّة المتعدِّدة. فبرغمِ عودةِ ميلينا إلى أثينا، إلَّا أنَّها تركت بديلاتٍ عنها، وبعدَ «رسالة الحبِّ إلى جان ـ بول سارتر». الَّتي نشرتها فرانسواز ساغان F.Sagan في الصَّحافة؛ صار يكن لها الود ويتناولُ الغداءَ معها . وشاركَ في الفيلم الَّذي صوَّرته جوزيه دايان، ومالكا ريبوفسكا عنِّي، ونُشِرَ في عددِ مجلَّةِ Obliques المخَصَّصِ للحديثِ عنه.

في ٢٨ تشرين الأوَّل؛ استقبلَ وفداً من فلَّاحي منطقة لارزاك Larzac، وقد خُصِّصَت عدَّةُ أعداد من مجلَّة **الأزمنة الحديثة** للحديثِ عن نضالهم، وكان سارتر مُهتمّاً بهذه القضيَّة لعدَّة أسباب: مواجهتهم للدَّولة، ونضالهم ضِدَّ تطوير الجيش، واختراعهم لتقنيَّات جديدة في المقاومة، ولا عنفهم الفعّال الَّذي كان يُحيِّر السُّلطة القائمة، كان بودِّهِ لو ناقشَ معهم هذه الموضوعاتِ في اجتماعِ عيدِ الخمسين Pentecôte في عام ١٩٧٦، لكنَّ صحَّته لم تسمحْ له بالمشاركةِ فيه.

في شهر تشرين الأوّل من عام ١٩٧٨؛ قام كثيرون منهم بالإضرابِ عن الطَّعام في سان سيفران Saint-Séverin، وجاء بعضُهم يطلبُ من سارتر حضورَ المؤتمر الصَّحفيِّ الَّذي كانوا ينوون عقدَه في اليوم التَّالي، لكنَّ تعبَ سارتر الشَّديد؛ منعَهُ من القبول، إلَّا أنه كتبَ تصريحاً قُرئ خلالَ المؤتمر الصَّحفيِّ أمامَ الصحفيِّين: «إنَّكم تؤمنون بضرورة الدِّفاع عن فرنسا، لكنَّكم لا تستحسنونَ أن يستقرَّ الجيشُ في وسطِ البلاد، بعيداً عن الحدود، فوقَ آلافِ الهكتاراتِ في منطقةٍ يمكن أن تتعرَّضَ للإبادةِ بسببِ الأسلحةِ الجديدة، كما لا ترونه مناسباً، أن تستأجرَ الحكومةُ هذه الأرضَ الَّتي تسكنها جيوشُ بلدان أُخرى لكي تأتي وتتدرَّب فيها، إنَّكم مُحقُّون: لابُدَّ أن يكون قادتُنا حمقى ووقحين، لكي يحوّلوا لارزاك الهادئة، إلى مكانٍ غريبٍ تقوم فوقَه حربٌ عالميَّة وقائيَّة».

في الفترة نفسها؛ ناقشَ مع غيّوما Guillaumat، وهو مُمثِّل من مدينة ليون Lyon مشروعاً قدَّمه إليه؛ يتضمَّن عرضاً عامّاً لِمونتاج بعنوان: **مَسْرَحَة** Mise en théâtre، أخرجته جانيت كولومبيل، استناداً إلى نصوص من أعمال سارتر تحمل مضامينَ تاريخيَّة وسياسيَّة، ولاقى العرضُ نجاحاً باهراً، أوّلاً؛ في أكبرِ اثنينِ من مسارحِ مدينةِ ليون، ثمَّ في أرجاءِ فرنسا طيلةَ عامين.



١٩٧٩

علَّقَ سارتر أهميَّة كبيرةً على مُنتدى الحوار الإسرائيليّ ـ الفلسطينيّ الَّذي عُقِدَ بإشرافِ **الأزمنة الحديثة** في شهرِ آذار ١٩٧٩، وكانت فكرتُه تُداعب ذهنَ فيكتور منذُ رحلته مع إيلي بن غال، وكانا يتهاتفان في أغلبِ الأحيان، اقترح أحدُ أصدقائنا الإسرائيليين أن يُقدِّم لمجلَّة **الأزمنة الحديثة** مُلخَّصاً عن ندوة إسرائيليَّة ـ فلسطينيَّة عُقدت برئاسته، لكنَّه طلبَ مبلغاً ضخماً في مقابل التَّنازل عنها لنا، هذا مع أنَّ النَّصّ لا يُضيف شيئاً جديداً، ورأى فيكتور أنَّه من الأفضل عقدُ لقاءٍ مُشابه في باريس؛ تتكفَّل مجلَّة **الأزمنة الحديثة** بنشرِ نتائجه، لا شكَّ أنَّ النَّفقاتِ ستكونُ كبيرةً، لكنَّ غاليمار وعدَ بالتَّكفُّل بها، وضع إيلي وفيكتور، هاتفيّاً، قائمةً بالمشاركين المرغوبين لإرسال الدَّعوات إليهم، وغالبيتهم كانوا مُقيمين في إسرائيل.

طُرِحَت مجموعةٌ من القضايا العمليَّة أمامَ هذا المشروع؛ بدءاً بالمكان الَّذي سيعقد فيه اللِّقاء، لأنَّ مساحةَ مكتبِ **الأزمنة الحديثة** لا يزيد عن مساحة المنديل، فعَرَضَ ميشيل فوكو، بمودَّة، شقَّتَهُ ذاتَ الإنارةِ الجيِّدة، والأثاثِ القليلِ الأنيقِ، حجزَ فيكتور غُرفاً في فندقٍ صغيرٍ يقعُ على الضِّفَّة اليُسرى من نهرِ السِّين لبعضةِ أيَّام، وصالوناً صغيراً خاصّاً في مطعم مجاور، وجُهِّزت غرفةُ الجلوس في شقَّة فوكو بطاولات، وكراسي، وجهاز تسجيل.

عُقِد الاجتماع الأوَّل بتاريخ ١٤ آذار رغمَ بعضِ الصُّعوبات التِّقنيَّة، وافتتح سارتر الجلسةَ بخطاب قصير اتَّفق عليه مع فيكتور، لم يحضرْ أحدٌ من أعضاء **الأزمنة الحديثة** إلَّا هو وأنا، وكلير إيتشيريللي؛ لأنَّهم نظروا إلى دعوةِ فيكتور بحذر.

تعارفَ المشاركونَ على بعضِهم البعض، وصرَّح الفلسطينيُّ إبراهيم دقّاق(١)، وهو من ساكني القدس، أنَّ هذا اللِّقاءَ لا معنى له، هل كان سارتر يجهل أنَّ الفلسطينيِّين والإسرائيليِّين يعيشون في إسرائيل جنباً إلى جنبٍ يوميّاً ويتكلَّم الواحد مع الآخر؟ بما أنَّنا لم ندعُ مصريّاً، أو مغربيّاً؛ كان من الأسهل والأجدى، والأقلُّ كلفةً عقدُ هذه النَّدوة في القدس، اعترض إيلي بن غال، وفيكتور بقولهم إنَّ بعض الفلسطينيِّين لم يتمكَّنوا من دخول إسرائيل؛ فردَّ عليه دقَّاق بأنَّ بعضَ فلسطينيي إسرائيل لم يتمكَّنوا من القدوم إلى باريس، ثمَّ انسحبَ من النَّدوة، وكان الموفَدون الآخرون قد قدموا، بالفعل، من إسرائيل، عدا الفلسطينيُّ إدوارد سعيد؛ الأستاذِ في جامعة كولومبيا في الولاياتِ المتَّحدةِ الأمريكيَّةِ، وسليم شرف؛ الأستاذِ الفلسطينيِّ في النِّمسا، وكانوا جميعاً يتكلَّمون اللُّغة الإنكليزيَّة تقريباً، وواحد أو اثنان يتكلَّمان الألمانيَّة، كان هناك مُترجِماتٌ مُتطوِّعات، فإذا أراد الإسرائيليُّ الحديثَ باللُّغة العبريَّة؛ يتكفَّل إيلي بن غال بالتَّرجمة، وكانت المناقشات تُسجَّل في جهازِ تسجيلٍ، وتقوم آرليت بنسخِها كتابةً، وخلالَ الجلسات؛ كانت كلٌّ من كلير إيتشيريللي، وكاترين فون بولو C.von Bülow تُقدِّمان القهوةَ أو عصيرَ الفواكهِ للحاضرين من دونِ حماسة، إضافةً إلى الاجتماعاتِ الرَّسميَّةِ؛ كان الإسرائيليُّون والفلسطينيُّون يتناولون الغداءَ معاً في المطعم الَّذي اختاره فيكتور، وكانوا يتجاذبون أطرافَ الحديث بانفراج، وكانوا مُندَهشين قليلاً من تواضع مُضيفهم، لا سيما بنصف صمتِ سارتر، ومن الأهميَّة الَّتي كان يتَّخذها فيكتور الَّذي لم يكونوا يعرفون عنه شيئاً، وطالبَ حاخام أشقر بأن يكونَ طعامُه حلالاً (كاشير)؛ فرافقه أحدُ أصدقاء الأزمنة الحديثة شموئيل تريفانو إلى مطعم يهوديٍّ في شارع Médicis.

---

(١) من قادة العمل الوطنيّ الفلسطينيّ بعد احتلال إسرائيل للأراضي الفلسطينيّة عام ١٩٦٧ ومن مؤسّسي الجبهة الوطنيّة الفلسطينيّة الّتي حملت أعباء تنظيم العمل السّياسيّ الفلسطينيّ في السّبعينات.

كانت المداخلات هامَّةً إلى حدٍّ ما، ومُثيرة، لكنّ في المحصّلة؛ كُنَّا أمامَ اللَّازمة نفسها: الفلسطينيُّون يطالبون بأرض، فيتفق معهم الإسرائيليُّون الذين كانوا كلُّهم من اليسار، لكنَّهم يُطالبون بضماناتٍ أمنيَّة. وبكلِّ الأحوال؛ كان المجتمعون مُجرَّدَ مجموعةٍ من المثقَّفين الَّذين لا سُلطةَ بين أيديهم، ولم يكنْ فيكتور أقلَّ ابتهاجاً، إذ قال لِسارتر: «ستكون هذه خبطةً عالميَّة»، لكنَّ آمالَه خابت؛ فالعددُ الَّذي يحمل عنوانَ: «السَّلام الآن» ـ تيمُّناً باسم حركةٍ إسرائيليَّة سلميَّةٍ لم تلعب دوراً سياسيّاً هامّاً، لم يظهرْ إلَّا في شهرِ تشرين الأوَّل، وذلك لأسباب مُختلفة، ولم يكن له ذلكَ الأثرُ المنشودُ، وفي صيف عام ١٩٨٠؛ قال إدوارد سعيد ـ الَّذي كان فيكتور يعدّه أهمَّ عضوٍ في النَّدوة ـ لأصدقاءَ مُشترَكين؛ إنَّه لم يفهمْ سببَ استقدامِه من أمريكا، وبدت له النَّدوةُ عديمةَ القيمةِ يومَ انعقادها، بل وأكثر؛ حينَ قرأ مُلخَّصاً عنها، مع ذلك؛ كان سارتر، في عام ١٩٧٩، يتقاسم مع فيكتور تفاؤله. أما أنا فلم أحدثْهُ عن شكوكي.

في بدايةِ عُطلةِ عيدِ الفصح؛ سافرنا بالسَّيَّارة إلى جنوبِ فرنسا مع سيلفي، ونمنا في منطقة فيينا، حيث خذلَنا مطعمُ Points لأنَّه لم يكنْ بالمستوى المطلوب، لكنَّ قدومَنا إلى مدينة Aix كانَ متعةً كبيرة؛ فالفندق الَّذي يقع على بُعدِ كيلو مترٍ واحد من المدينة؛ له حديقةٌ جميلةٌ تفوحُ منها رائحةُ الشَّمس والصَّنوبر، وكُنَّا نلمحُ من بعيد قمَّةَ سان فيكتوار البيضاء، وهي تتقاطعُ مع سماء زرقاءَ صافية، لم نكن قادرينَ على الجلوسِ في الخارج؛ لأنَّ الطَّقس ما يزال بارداً، فكُنَّا نقرأ في غرفة سارتر، وغالباً ما كُنَّا نذهبُ ثلاثتنا للنُّزهة في السَّيَّارة، ونتناول الغداءَ في أماكنَ جميلةٍ في الضَّواحي.

بعدَ عودتِنا بقليل إلى باريس؛ أُصيب سارتر بجرح طفيف من رَجُلٍ نصفِ مجنون اسمه جيرار دو كليف G.de Clèves، وهو شاعرٌ بلجيكيٌّ يرعاه صديقانا لالومان Lallemant، وفيرسترايتين Verstraeten.،كان خلالَ إقاماتِه في المصحِّ العقليِّ يأتي، في فتراتٍ متباعدةٍ. إلى باريس، ويطلبُ المالَ من

سارتر كلَّ يوم، وخلالَ إجازتِه الأخيرةِ هذه؛ قدَّم له سارتر مبالغَ صغيرة عدَّة مرَّات، وانتهى به الأمرُ إلى أن يقولَ له بأنَّه لن يستقبلَه بعدَ الآن، ومع ذلك عاد كليف إلى سارتر. كان سارتر في بيته مع آرليت، ورفضَ أن يفتحَ له الباب، لكنَّه أبقاهُ نصفَ مفتوحٍ بعد أن ثبَّته بجنزيرِ الحماية، وبعدَ مفاوضاتٍ قصيرة؛ سحبَ كليف من جيبه سِكِّيناً وضربَ سارتر بيدِه من فوقِ الجنزير، وراحَ يخبطُ البابَ بعنفٍ شديدٍ، بحيثُ كادَ أن يتهاوى رغمَ تصفيحه. اتَّصلت آرليت بالشّرطة، وبعدَ مطاردةٍ طويلةٍ في ممرَّات البناء؛ انتهى الأمر بإلقاءِ القبضِ عليه،أما سارتر فقد كان ينزفُ بغزارةٍ، من إبهامه المصاب، لكن الإصابة لم تبلغ الوتر لحسن الحظِّ، وبقيَت يدُه معصوبةً خلالَ الأسابيعِ اللَّاحقة.

في ٢٠ حزيران؛ شاركَ سارتر في مؤتمرٍ صحفيٍّ للجنةِ «مركب من أجل فيتنام». كانت هذه اللَّجنة قد حقَّقت نجاحاً في بداية العمليَّة؛ حيث كان مركبٌ يحمل اسم Ile-de-Lumière راسياً في عرض بولو بيدونغ Poulou-Bidong[في بحر الصِّين الجنوبيّ]، ويستقبلَ عدداً كبيراً من اللَّاجئين.. أردنا أن نقيم جسراً جويّاً بينَ معسكراتِ ماليزيا وتايلاند، ومخيَّمات عبورٍ في البلدان الغربيَّة، لهذا كان لابُدَّ من تنبيهِ الصَّحافة، فعُقِدَ المؤتمرُ الصَّحفيُّ في صالوناتِ فندقِ Lutetia. رافقَ غلوكسمان سارتر، الَّذي سلَّمَ على ريمون آرون R. Aron للمرَّة الأُولى منذُ زمنٍ بعيد.تحدَّث فوكو، ثمَّ الدُّكتور كوشنر الَّذي كان يعمل على مركب L'ile -de- Lumière، ثمَّ سارتر الَّذي غادرَ قبلَ مداخلةِ أرون بقليل. وفي ٢٦ حزيران؛ ذهبوا جميعاً إلى قصرِ الإليزيه للطَّلبِ من الرَّئيسِ جيسكار زيادةَ المساعدةِ المقدَّمةِ إلى مركبِ Boat- People، فتلقَّوا وعوداً لم تكن سوى كلماتٍ فارغة. لم يولِ سارتر أيَّ أهميَّة لهذا اللِّقاءِ الَّذي تحدَّثت عنه الصَّحافة مُطوَّلاً[١] ،مع آرون.

(١) زعموا فيها وقوع مصالحة سياسيّة، اقتضت أن يقترب سارتر من مواقف اليمين. وهو خطأ حتماً.

كانت عُطلةُ الصَّيفِ لهذا العام أيضاً، مرحلةً فُضلى. أعجبتنا إكس Aix كثيراً هذا الرَّبيع، بحيث عُدنا إليها في شهر آب. هذه المرَّة كان لنا غُرَفٌ في الطَّابق الأوَّل، تتَّصل شرفاتها ببعضِها، وتطلُّ على الحديقة. هنا؛ اعتدنا الجلوسَ للقراءةِ وتجاذبِ أطرافِ الحديث، وأحياناً كنتُ أذهبُ في سيَّارةِ أجرة، لأنَّ سارتر لم يعدْ قادراً على المشيِ إذا صحَّ القولُ، لتناولِ طعامِ الغداءِ معَه فوقَ ساقية ميرابو الَّتي طالما أحبَّها كثيراً، أو كُنَّا نتناولُ الغداءَ في حديقةِ الفندق، أو تصحبُنا سيلفي بسيَّارتها إلى أحدِ أماكنِنا المفضَّلة. ومن وقتٍ لآخر؛ كُنَّا نَلمحُ من بعيد دُخاناً من حريقٍ شبَّ في إحدى الغابات. كان سارتر بالغَ السَّعادةِ بهذه الإقامة، كما كان سعيداً، حينما أخذتنا سيلفي، الَّتي عادت إلى باريس، إلى مطار مارتيغ Martigue، الَّذي انطلقنا منه نحوَ روما. عدنا إلى غُرَفِنا، قبالةَ بياضِ سان بيير النَّاصع، أو الشَّبحيِّ، واستعدنا عاداتنا الهادئة. كان سارتر يلتقي بشابَّة أمريكيَّة تُقيم في روما، بعد أن تعرَّف إليها منذُ عهدٍ قريب، والتقيتُ معه بِأليس شوارزر، وكلود كورشاي Cl. Courchay الَّذي كان يُقيم في المدينة مع إحدى صديقاته، كاترين ريهوا Catherine Rihoit. دُهش كورشاي لما كان عليه سارتر من مزاج جيِّد، ومرح؛ لم يكن يعرفه كثيراً، لكنَّه كان يتصوَّر أن مرضَه وعماه قد حطَّماه؛ لكنَّه وجدَ أمامَه رجلاً فرِحاً بالحياة. حينَ كان سارتر يُشارك في تظاهراتٍ عامَّة، يترك انطباعاً مؤلماً، لذلك كتبَ أرون إلى كلود موريياك[١] بعد لقائِه به في فندق Lutetia: «ظننْتُ أنِّي أرى رجلاً ميِّتاً»، لكنَّه في حياتِهِ الخاصَّةِ يُدهِشُ متحدِّثيهِ بحيويَّته الَّتي لا تُقهر.

قَبِلَ سارتر أن يجريَ مقابلةً مع ماكيوتشي Maccioccchi، نشرتها في صحيفةِ L'Europeo، لكنَّه لم يكن راضٍ عنها.

---

(١) الزّمن المتجمّد، كلود موريياك، ج. ٦.

قبلَ رحيلنا بقليل؛ تلقَّينا اتصالاً هاتفيّاً من باريس أخبرتنا فيه ليليان سييغل عن اغتيالِ غولدمان، فانقلبَ كياني، إذ كان غولدمان يحضرُ اجتماعاتِ الأزمنة الحديثة بانتظام، وتحوَّل وُدّي له إلى عاطفة عميقة. كنتُ أحبُّ تهكُّمَه الذَّكيّ، ومرحَه، وحرارتَه، وحيويَّته، وعفويَّته، وقدرتَه على الإضحاكِ في أغلبِ الأحيان، ووفاءَهُ لخصوصيَّاته وصداقاته، وزاد قتلُهُ بدمٍ باردٍ، من فظاعةِ موتِه.تأثَّر سارتر أيضاً، لكنَّه صار يستقبلُ الأحداثَ بنوعٍ من اللَّامبالاة.

أراد، فورَ عودتنا، حضورَ مراسمِ دفنِ غولدمان، فذهبنا في سيَّارة كلير إتشيريللي الصَّغيرة إلى قاعة الموتى، لكنَّنا لم ندخلْها، ومن هناك؛ تبعنا السَّيَّارة حتَّى المقبرة، حضرَ جمهورٌ غفير؛ بحيث لم نستطعِ العبورَ إليها لولا أنَّ بعضَ اللُّطَفاء ممَّن تعرَّفوا على سارتر قد فتحوا لنا الطَّريق، بعد أن مُنع دخول السَّيَّارات عندَ نقطةٍ معيَّنةٍ؛ وبقيت إتشيريللي خلفَ مقْوَدِ سيَّارتها؛ أمَّا سارتر وأنا؛ فقد شققنا طريقَنا بصعوبةٍ بالغةٍ بينَ الحشود، وبعد وقتٍ قصير؛ شعر بالتَّعب، فأردتُ أن أُجلسَه فوق أحد القبور، لكنَّ أحدَهم حملَ إلينا كرسيّاً، فجلس سارتر فوقه، وبقينا هناك لفترةٍ قصيرةٍ مُحاطين بأناسٍ مجهولين كانوا يلتهموننا بنظراتهم، ولحسنِ الحظِّ أنَّ رونيه سوريل R.Saurel[1] لمحتْنَا، وكانت سيَّارتها واقفةً إلى جانبنا تماماً؛ فصعدنا إليها بعد أن أخبرتُ كلير إيتشيريللي بذهابنا معها.

استأنفَ سارتر عملَه مع فيكتور، وكنت قلقةً إلى حدٍّ ما مِن هذا العمل، وحينَ كنتُ أسألُه خلالَ ثلاثةِ أيَّام متوالية: «هل عملتَ بشكل جيِّد؟؛ يجيبني في اليوم الأوَّل: لا»، لقد اختلفنا طيلةَ الصَّباح حول... [هذا الموضوع أو ذاك]، وفي اليوم التَّالي: «لا، لسنا متفقيْن»، وفي اليوم الثَّالث: «تفاهمنا»، كنت أخشى من أنِّي قوم بالكثير من التَّنازلات، وددتُ لو أعرف ما يدور في هذه الحوارات؛

---

(١) صحفيّة وناقدة مسرحيّة

لكنَّها مسجَّلة، وآرليت المكلَّفة بتفكيكها؛ تعملُ ببطء، وسارتر يقول لي: لم ننتهِ بعد.

في شهرِ تشرين الثَّاني؛ أجرى مقابلةً مع كاترين كليمان C. Clément لصحيفة لو ماتان Le Matin، ثمَّ تناولَ الغداءَ مع فريق الصَّحيفة، في شهر كانون الأوَّل؛ عرضَ على برنار دور B.Dort أفكارهَ حول المسرح، ونُشِر الحوار في مجلَّة Travail théatral؛ تحدث فيها عن المؤلِّفين المسرحيِّين الَّذين كان يحبُّهم مثل بيرانديللو، وبريخت، وبيكيت، وروى تاريخَ مسرحيَّاته.

في كانون الثَّاني عام ١٩٨٠؛ عبَّر عن احتجاجِه ضِدَّ اعتقالِ أندريه زاخاروف، وساندَ الدَّعوةَ إلى مقاطعةِ الألعابِ الأوَّلمبيَّة في موسكو، وفي ٢٨ شباط؛ أجرت معه مجلَّة Le Gai Pied مقابلةً، وهي مجلَّة شهريَّة تُعنى بالمثليَّة، وجرى حديثٌ بينه وبينَ كاترين كليمان وبرنار بينيو B.Pignaud لتنشرَ في العدد القادم من مجلة L'Arc.

١٩٨٠

بَيَّنَ آخرُ فحصٍ شاملٍ أُجري له بتاريخ ٤ شباط في مشفى بروسيه أنَّ صحَّته مُستقرَّة، وكانت نشاطاته تشغلُ اهتمامَه، وعلاقاته مع النِّساء الشَّابَّات تُلهيه، مع هذا كلِّه؛ فقد كانت الحياةُ فرحَةُ، أتذكَّر ذلكَ الصَّباح حيثُ غَمَرَتْ شمسُ الشِّتاءِ السَّاطعة مكتبَه، واستحمَّ بها وجهُه، فصاح مُنتشياً: «أوه! الشَّمس»، خطَّطنا لقضاءِ عطلةِ عيدِ الفصحِ في بيل إيل Belle-ile، أنا وإيَّاه وسيلفي، وكان يتحدَّث عنها في أغلبِ الأحيانِ بنبرةٍ سعيدة، وكان مهموماً بصحَّته؛ فاستمرَّ في عدم التَّدخين، وبحسبِ معرفتي؛ لم يكنْ يشربُ من الكحولَ إلَّا كميَّاتٍ قليلة، فقد كان يشربُ من نصفِ زجاجةِ النَّبيذ Chablis الَّتي طلبها حينما كُنَّا نتناول الغداءَ معاً ببطءٍ شديد؛ بحيث تركَ نصفَها.

لكنْ، ذاتَ صباح يوم أحد، في بداية آذار؛ وجدَتْهُ آرليت مُستلقياً فوقَ سجَّادةِ غرفته، وفمُهُ مُتخشِّباً. علمنا أنَّه كان يوصي مختلفَ صديقاتِه بحملِ زجاجاتٍ من الويسكي والفودكا، من دون أن يعلمنَ مدى خطر ذلك عليه، كان يُخفيها في صندوقٍ خلفَ الكُتُب، مساءَ السَّبتِ ـ وهي الأمسيةُ الوحيدةُ الَّتي قضاها وحيداً بعد رحيل واندا ـ شَرِبَ حتَّى الثُّمالة. أفرغتُ وآرليت المخابئَ، واتَّصلتُ بصديقاتِه طالبةً منهنَّ الكفَّ عن حملِ الكحولِ إليه، كما أسمعتُ سارتر تأنيباً حادّاً. الحقيقة أنَّه لم يكن لهذا التَّجاوز نتائج مباشرة، لذلك لم تفسدْ صحَّته، لكنِّي كنتُ قلقةً من المستقبل، لا سيما وأنِّي لم أفهمْ سببَ هذه العودةِ الشَّغوفة إلى الكحول؛ إذ لم يكن ذلك متناسباً مع توازنه العقلي، استبعدَ أسئلتي، وقال لي ضاحكاً: «وأنتِ أيضاً تحبِّينَ الشَّراب»، ربَّما لم يعد

يحتمل الحالةَ كما كان في السَّابق، وليس صحيحاً «أنَّ المرءَ يعتاد مع الزَّمن[1]»، الزَّمن الَّذي لا يستطيعُ شفاءَ الجراح، يمكنه، على العكس، مفاقمتَها، ظننتُ في ما بعد؛ أنَّهُ لم يكن راضياً، من دون أن يفصحَ عن ذلك، عن حوارِهِ مع فيكتور، الَّذي ستنشره مجلَّةُ Le Nouvel Observateur.

أخيراً؛ تمكَّنتُ من الاطِّلاع على هذا الحوار الَّذي حمل اسمَ سارتر وبن ليفي ـ الاسم الحقيقيّ لِفكتور ـ قبلَ ثمانيةِ أيَّامٍ من التَّاريخِ المتوقَّعِ لنشره؛ فلم يكن يُعبِّر أبداً عن هذه «الفكرةِ الجمعيَّةِ» الَّتي تحدَّث عنها سارتر في مجلَّة Obliques، ولم يُعبِّر فيكتور عن آرائِه بشكلٍ مباشرٍ، بل كان ينسبُها إلى سارتر، ولستُ أدري ما هو الدَّورُ الَّذي لعبه باسم حقيقةٍ مُنَزَّلة: إنَّه دورُ المدَّعي العامّ؛ نبرته، وفوقيَّته المتغطرسة على سارتر، أثارت حفيظةَ الأصدقاءِ الَّذين اطَّلعوا على النَّصّ قبلَ نشره، وكانوا مثلي مذعورينَ من مضمونِ الاعترافاتِ المنتزَعَة من سارتر، الحقيقة أنَّ فيكتور تغيَّر كثيراً عمَّا كان عليه منذُ أن تعرَّف سارتر عليه، وكغيرِهِ من الماويِّين السَّابقين؛ استدارَ نحوَ إلهٍ: هو إله إسرائيل، لأنَّه كان يهوديّاً، أصبحتْ رؤيتُه للعالم روحانيَّة، بل دينيَّة، وأمام هذا التَّوجُّه الجديد؛ أبى سارتر الاستمرار، أتذكَّر سهرةً أظهرَ امتعاضَه خلالها وهو يتحدَّث مع سيلفي وأنا: «يُصرُّ فيكتور على القول بأنَّ أصلَ الأخلاق يعود إلى التَّوراة، لكنِّي لا أظنُّ ذلك»، وقد سبقتِ الإشارةُ إلى أنَّه كان يُناضلُ ضِدَّ فيكتور خلالَ أيَّام، ثمَّ يتنازلَ بعدَ أن أتعبَتهُ الحرب، وبدلاً من أن يساعدَه فيكتور على إغناءِ فكرته؛ كان يضغطُ عليه لكي ينكرَها، كيف نجرؤ على الزَّعمِ بأن الألمَ لمْ يكنْ بالنِّسبة لِسارتر سوى صيغةٍ، بينما لم يهتمَّ طيلةَ حياتِه بالصِّيَغ؟.كيف يُمكنُ تحقيرَ مفهومِ الأخوَّةِ على هذا النَّحو، وهو ما

(١) يقول غارسان في مسرحيّة الأبواب المغلقة [لسارتر]: «أفترض أنّ المرء يعتاد مع مرور الزّمن».

هو عليه من القوّةِ والصّلابةِ في كتابه: **نقد العقل الجدلي**؟، لم أُخفِ عن سارتر مقدارَ خيبةِ أملي، ففوجئَ بذلك؛ فقد كان يتوقّعُ بعضَ الانتقادات، ولكن ليس هذه المعارضة الرّاديكاليّة، قلت له إنَّ فريقَ **الأزمنة الحديثة** كلَّهُ يقف معي، لكنَّه لم يزددْ سوى عناد، وطلبَ نشرَ الحوارِ مباشرةً.

كيف يُمكن تفسيرُ «تحوُّلِ الشَّيخ هذا» كما يقول أوليفييه تود (الَّذي لم يتراجع أمامَ تحوّل الميِّت؟)، طالما اختارَ سارتر التَّفكير ضِدَّ نفسه، لكن ليسَ بهدفِ الغَرَق في السُّهولة، هذه الفلسفةُ الغامضةُ والرَّخوةُ الَّتي ألبسَه فيكتور إيَّاها لم تكن ملائمةً له على الإطلاق[١]، لماذا تحالفَ معه؟ هو الَّذي لم يخضعْ لأيِّ تأثيرٍ، تراه قد خضعَ لتأثير فيكتور، لقد أشارَ إلى السَّبب، لكنَّها نقطةٌ ينبغي التَّعمُّق فيها، طالما عاش سارتر مُتَّجِهاً نحوَ المستقبل، ولم يكن قادراً على العيش غيرَ ذلك، أمّا وقد ساءَ حالُه اليوم؛ فكان يحسُّ نفسَه ميّتاً[٢]. بعد أن نالَ العمرُ منه، وتهدَّده جسدُه، وصار نصفَ أعمى، سُدَّت سُبل المستقبل أمامه؛ فلجأ إلى بديل، وبما أنَّ فيكتور مناضلٌ وفيلسوف؛ فقد يُحقِّقُ له ذلك «المثقَّف الجديد» الَّذي طالما حلُم سارتر به، وكان مُستعدّاً للمساهمة في إيجاده، الشَّكُّ بِفيكتور، يعني التخلّي عن امتداده، وهو الأهمُّ بالنِّسبة له، من آراء الأجيال القادمة، إذاً؛ فقد اختارَ، رغمَ كلِّ ممانعته، أن يؤمن به: لديه أفكار، ويُفكِّر، لكن ببطء، كان فيكتور ذا دفقٍ كلاميٍّ سريع، يدوّخهُ بالكلام من دون أن يتركَ له الوقتَ اللّازم للتَّدقيق فيه، أخيراً؛ أظنُّ أنَّ المهمَّ هو أنَّ سارتر لم يكنْ قادراً على القراءةِ أو المراجعةِ، وأنا لستُ قادرةً على الحكمِ على نصٍّ لم أفكِّكْهُ بعينيَ، وكان سارتر مثلي في هذا؛ لم يراقبِ النَّصَّ

(١) وهو ما عبّر عنه بشكل جيّد ريمون آرون في مواجهة تلفزيونيّة مع فيكتور، بعد وفاة سارتر.

(٢) رأينا أنه كان يقول عن نفسه حينما يحسّ بالانهيار «إنّي ميّت حيّ».

إلَّا بأُذنيه، قال في حواره مع كونتا Contat[1]: «المشكلةُ أنَّ هذا العنصرَ النَّقديَّ الانعكاسيَّ الحاضر دائماً حينما نقرأ نصًا بعينينا؛ لا يكون واضحاً خلالَ القراءة بصوت عالٍ»، من جانبٍ آخر؛ كان فيكتور مدعوماً من آرليت، الَّتي لم تكنْ تعرفُ شيئاً عن فلسفة سارتر، ومتعاطفة مع توجُّهات فيكتور الجديدة، كانا يتعلَّمان اللُّغة العبريَّة معاً، وأمامَ هذا الاتِّفاق؛ لم يعُدْ سارتر قادراً على التَّراجع الَّذي تسمحُ به فقط قراءةٌ متأنِّية، وعلى أن يكونَ وحيداً، لذلك فقد استسلمَ، وبعدَ نشرِ الحوار؛ فوجئَ وتألَّم لمعرفةِ أنَّ السَّارتريين كلَّهم، وحتَّى أصدقاءَه عموماً كانوا يشاركونني قنوطي.

في ١٩ آذار؛ قضينا مع بوست Bost سهرةً طيِّبة، ولم نتكلَّم في هذه المسألة، سألني سارتر قبلَ أن ينام: «هل تكلَّمتُم صباحَ اليومِ في اجتماعِ الأزمنةِ الحديثةِ عن المقابلةِ؟»، فأجبتُ بالنَّفي، وكنت صادقةً في قولي هذا، فبدا خائبَ الأمل؛ لأنَّه كان يتمنَّى أن يجدَ من يقفُ في صفِّه!، في صباحِ اليومِ التَّالي؛ ذهبتُ لإيقاظهِ في السَّاعة التَّاسعة، وعادةً ما كان يكبو حينما أدخلُ إليه، لكنَّه هذه المرَّة كان جالساً على حافَّةِ سريره، لاهثاً، وغيرَ قادرٍ على الكلامِ تقريباً، وذاتَ مرَّةٍ؛ أُصيب ـ بحضور آرليت ـ بما كان يُسمِّيه: «نوبة ابتلاع الهواء Aérophagie»، لكنَّها كانت قصيرة، إلَّا أنَّها هذه المرَّة؛ استمرَّت منذُ السَّاعةِ الخامسة صباحاً، من دون أن يقوى على جرِّ نفسِه إلى بابي وقرعِه، انتابني الخوفُ، أردتُ الاتِّصال هاتفيّاً، لكنَّ الخطَّ كان مقطوعاً؛ لأنَّ بويغ Puig لم يدفع الفاتورة، ارتديتُ ملابسي سريعاً، وذهبت للاتصالِ من غرفة ناطور البناء بطبيب يسكن قُربَنا، فوافانا في الحال، وما أن رأى سارتر؛ حتَّى ذهبَ إلى بيتِ أحدِ المستأجرين ليطلبَ خدمةَ الإسعاف الطَّارئ S.A.M.U، فوصَلتْ بعدَ خمسِ دقائق، فصدوا (سحبو دماً) سارتر، وأعطوه

(١) لوحة ذاتيّة في السّبعين من العمر».

حقنة، واعتنوا به طوالَ ما يقربُ من ساعة، ثمَّ وضعوه فوقَ نقَّالة مُتحرِّكة جرُّوها في رُواقٍ طويل. كان يتنشَّق من جهازِ الأكسجين الَّذي أمسكَ به أحدُ الأطبَّاء فوقَ رأسه. وضعوه في مصعدٍ وأخذوه حتَّى سيَّارة إسعاف كانت تنتظر أمامَ أحدِ الممرَّات. لم نكن نعرف بعدُ إلى أيِّ مشفىً سينقلونه، فكان علينا أن نتَّصل بناطور البناء. وعدتُ إلى بيت سارتر لتسريحِ شعري، والآن، وبعد أن أصبحَ بين أيادٍ أمينة؛ ظننتُ أنَّ الأزمة ستنتهي بسرعة، لم أُلغِ دعوتي لِدين Den وجان بويون Pouillon اللَّذينِ من المنتظر أن أتناولَ الغداء معهما، لم يخطر ببالي، وأنا أُغلقُ باب الشُّقَّة للَّحاق بهما، **أنَّه لن يُفتحَ أمامي بعدَ اليوم أبداً.**

لكنْ، بعد الانتهاءِ من الوجبة؛ ذهبتُ في سيَّارة أُجرة إلى مشفى بوسيه Boussais - حيث عرفت أنَّ سارتر قد نُقل إليها-، طلبت من بويون مرافقتي، وانتظاري»، قلت له: «أنا خائفة». رأيت سارتر في حجرة الإنعاش يتفس بشكل طبيعيّ، وقال لي إنَّه بحال جيِّدة. لم أبقَ بجانبه طويلاً؛ لأنَّه كان يكبو، ولم أكن أريد أنْ أتأخَّر على بويون الَّذي كان ينتظرني.

أخبرني الأطبَّاءُ في اليوم التَّالي أنَّه مصابٌ بِوذمة في الرِّئة، تُسبِّبُ له الحمَّى، لكنَّها كانت تتلاشى بسرعة، وضعوه في غرفةٍ واسعةٍ نيِّرة، فظنَّ نفسه في الرِّيف.جعلتهُ الحمَّى يهذي، في الصَّباح؛ قال لِآرليت: «أنت أيضاً ميِّتة، يا صغيرتي، كيف حوَّلوكِ إلى رماد؟ ها نحن، كلانا ميِّتان الآن[1]»، وروى لي أنَّه ذهب لتَوِّهِ لتناولِ الغداء في ضواحي باريس في بيت سكرتيره (من هو؟)، لم يكن يُسمِّي أيّاً من فيكتور أو بويغ بهذا الاسم، بل كان يذكرهما باسميهما،

---

(١) كانت أرليت يهوديّة، وغالباً ما كان لانزمان يحدّثنا عن فيلمه حول إبادة اليهود، وأيضًا عن أفران الترميد. كما كنّا نتحدّث عن أطروحات فوريسون Faurisson الّذي أنكر وجودها. ومن جانب آخر، كان سارتر يتمنّى أن تحرق جثّته.

وبما أنّني بدوت مُندهشةً؛ قال لي إنَّ الطَّبيب قد وضعَ، مشكوراً، سيَّارةً تحتَ تصرُّفه لتأخذَه وتعيده. كان قد عبرَ ضواحٍ غريبة، وجميلة جدّاً، سألته: ترى، هل كان يحلم بها؟، قال لي بنبرة غاضبة: لا. ولم ألحَّ بعدها.

انخفضتِ الحُمَّى خلالَ الأيَّام اللَّاحقة، وتوقَّف عن الهذيان، قال لي الأطبَّاء إنَّ النَّوبة عاودته بسبب نقصٍ في تروية الرِّئتين، والشَّرايين لا تقوم بعملها بشكل جيِّد، لكنَّ الدَّورة الدَّمويَّة الرِّئويَّة عادت لتعملَ بشكل طبيعيّ، فكَّرنا بالذَّهاب، عمَّا قريب، إلى Belle-ile، وفرح سارتر بهذا كثيراً: «نعم، من الجميل أن نكونَ هناك، ولن نفكِّر بعد بهذا كلِّه»، (عَنى بِ«هذا كلِّه»: تلكَ المقابلة، وما دار حولهَا من لَغط)، وبما أنَّه لم يكن يحقُّ له استقبالُ أكثرَ من شخصٍ واحد في كلِّ زيارة؛ فقد كانت آرليت تقصد المشفى صباحاً، وأنا بعدَ الظُّهر، اتَّصلتُ حوالي السَّاعةِ العاشرةِ صباحاً لأعرفَ كيف قضى ليلتَه، فكانوا يجيبونَني دائماً: جيِّد جدّاً، «وينام نوماً مُمتازاً، كما كان ينام بعد وجبة الغداء، ونتحدَّث في أشياء صغيرة، كان يجلس في كرسيٍّ لتناول وجباته، وحينما كنت آتي لرؤيتِه. ما عدا ذلك، كانَ يبقى مُستلقياً. هزل جسمُه، وبدا ضعيفاً، لكنَّ معنويَّاته جيِّدة، كان يريد مغادرةَ المشفى، لكنَّ التَّعب كان قد بلغَ منه درجةً لا تسمحُ له باحتمالِ الحالة، كانت آرليت تعود حوالي السَّاعة السَّادسة لتحضِّر عشاءَه، وأحياناً كانت تتخلَّى عن مكانها لِفيكتور.

بعد فترةٍ وجيزة؛ سألت الطَّبيبَ هوسيه عمَّا إذا كان باستطاعتهِ الخروجُ، فأجابني بتردُّد: لا أستطيع القول... إنَّه متعب، وضعيف جدّاً»، وبعدَ يومين أو ثلاثة قال لي: لابُدَّ من إعادةِ سارتر إلى غرفةِ الإنعاش؛ هناكَ فقط يمكنُنا مراقبتُه ليلاً ونهاراً، بحيث نستبعدُ وقوعَ أيِّ عارضٍ مفاجئ، لكنَّ سارتر لم يكن مُرتاحاً فيها، وحينما جاءت سيلفي لرؤيته؛ قال لها كما لو كان في فندق يقضي فيه فترةَ راحة: «المكانُ ليسَ جيِّداً هُنا، لحسنُ الحظِّ أنَّنا سنغادره قريباً، تُعجبني فكرةُ الذَّهاب إلى جزيرة صغيرة».

الحقيقةُ؛ لم يَعُدْ موضوعُ الذَّهابِ إلى Belle-ile مطروحاً، فألغيتُ حجزَ الغُرف فيها؛ لأنَّ الطَّبيبَ كان يريد أن يُبقِي سارتر في متناولِ يده في حالِ أصابتْهُ أزمةٌ أُخرى، نقلناه إلى غرفةٍ أكبر، وأكثرَ إضاءةً من الأُولى، قال لي: «إنَّها جيِّدة؛ لأنّي أشعر بأنّي قريب من بيتي»، كان ما يزالُ يعتقد، من دونِ وضوحٍ في ذهنه، أنَّه دخلَ أحدَ مشافي ضواحي باريس، كان تعبهُ يزداد شيئاً فشيئاً، وبدأت التَّقرُّحات في جسمه، وصارت مثانتُه تعملُ بشكلٍ سيِّئ، فصار لا بُدَّ من وضعِ مُحوِّل للبَولِ حينما ينهض، وهو ما كان نادراً حتَّى الآن، فكان يجرُّ خلفَه كيساً بلاستيكيّاً مليئاً بالبول، كنتُ أتركُ غرفتَه، من وقتٍ لآخر، لأفسحَ في المجال لدخولِ زائرٍ آخر؛ بوست أو لانزمان، فأذهب للجلوس في قاعةِ الانتظار، هناك؛ سمعتُ البروفسور هوسيه، وطبيباً آخر يتحدَّثان ويلفظان كلمة «urémie = تبولُن الدم»، ففهمت أنَّ سارتر قد ضاع، لأنَّ تبولن الدَّم يُسبِّب آلاماً فظيعة؛ شرعتُ بالنَّحيب، ورميت بنفسي بين ذراعي هوسيه: «عِدني بألَّا يرى نفسَه وهو يموت، وأنَّه لن يحزن، أو يتألَّم!»، فقال لي بصوت أجشّ: «أعدكُ سيِّدتي»، وبعدَ قليل؛ عدتُ إلى غرفةِ سارتر، فاستدعاني إلى الممرِّ ليقولَ لي: «أرجو أن تعلمي بأنّي لم أُقدِّم لكِ وعداً فارغاً: سأفي بوعدي».

شرحَ لي الأطبَّاء، بعد ذلك، أنَّ كليَتيه لم تعودا ترتويان، ومن ثمَّ فقد توقَّفتا عن العمل، كان سارتر يتبوَّل، لكن من دون إزالةِ البولة Urée، كان لابُدَّ من إجراء عمليَّة لم يكن قادراً على احتمالها، لإنقاذ الكلية، ما يعني أنَّ الدَّم لم يَعُدْ يجري في الدِّماغ بشكل صحيح، وهو ما يؤدي إلى الخَرَف Gâtisme، لم يعدْ هناك ثمَّة حلٌّ آخر سوى تركِه يموتُ بسلام.

خلالَ بضعةِ الأيَّام التَّالية؛ لم يتألَّم، وقال لي: «ثمَّة لحظاتٌ كريهةٌ فقط أشعرُ بها حينما يعالجون تقرُّحاتي في الصَّباح»، كان منظر هذه التَّقرُّحات مُريعاً (لكنَّها بقيَت مخفيَّة عنه لحسن الحظّ)، إنَّها عبارة عن صفائح مائلة إلى اللَّون البنفسجيِّ المحمرّ؛ لأنَّ عدمَ تدفُّق الدَّم أدَّى إلى توغُّل الغنغرينا في لحمه.

كان ينامُ كثيراً، لكنَّه يتكلَّم معي بذهنٍ حاضرٍ أحياناً؛ يعتقد فيه المرءُ بأنَّه كان يأملُ في الشِّفاء، بعد أن جاءَ بويون لرؤيته، في آخرِ أيَّام مرضِه، طلبَ منه قدحاً من الماءِ وقال له بمرح: «المرَّة القادمة الَّتي سنشرب فيها معاً، ستكون في بيتي، لكن سنشربُ الويسكي[1]».

في اليوم التَّالي؛ سألني ماذا سنفعلُ من أجل نفقاتِ الدَّفن؟، «رفضت هذا الكلامَ بطبيعةِ الحال، وحوَّلتُ الحديثَ نحوَ نفقاتِ المشفى، وطمأنتُه بأنَّ صندوقَ التَّامين الاجتماعيِّ سيتكفَّل بهذا الأمر، لكنِّي فهمت، بأنَّه كان يعرفُ بأن أمرَه قد انتهى، وأنَّه لم يكنْ مُتأثِّراً بذلك، عادَ فقط لينشغلَ بنقصِ المالِ لديه، لم يلحَّ، ولم يطرحْ عليَّ أيَّ سؤالٍ حولَ صحَّته، في اليوم التَّالي؛ أمسكَ بقبضتي وعيناه مُغمَضتان: «أحبُّكِ كثيراً ياقُندسي الصَّغير».

حينما أتيتُ في ١٤ نيسان، لرؤيته، كان نائماً، فاستيقظَ وقال لي بضعَ كلماتٍ من دونِ أن يفتحَ عينيه، ثم قرَّب فمَه منِّي، قبَّلتُ فمَه، وخدَّه، ثمَّ غفا. هذه الكلمات، وهذه الحركاتُ غيرُ المعهودةِ منه؛ تندرجُ حتماً في منظورِ موته.

بعدَ بضعةِ أشهر؛ طلبَ منِّي البروفسور هوسيه لقاءَه، وقال لي إنَّ سارتر كان يطرحُ عليه أحياناً أسئلةً مثل: «إلى أين سيؤدي هذا كلُّه؟ ما الَّذي سيحدث لي؟»، لكن لم يكنِ الموتُ ما يُقلقُه: بل دماغُه، الموت، لاشكَّ أنَّه شعرَ بالموت، لكن من دونِ قلق، كان «مُستسلماً»، كما قال هوسيه، أو بالأحرى، استردَّ رَباطَةَ جأشِه، «واثقاً»، لاشكَّ أنَّ المهدِّئاتِ الَّتي أُعطيَتْ له؛ ساهمت في إضفاءِ هذا الهدوءِ عليه، لكنَّ السَّبب الرَّئيس ـ باستثناء الأوقات الأُولى الَّتي أُصيب فيها بعمى نصفيّ ـ هو أنَّه طالما احتملَ ما يُصيبه بتواضع، لم يكن يحبُّ إزعاجَ الآخرين بما يُزعجه، ولا طائلَ من التمرُّد على قدرٍ لا حيلة له عليه، كان قد

(١) أخطأ جورج ميشيل، الّذي صدَقَ في روايته عموماً، بقوله إنّ هذه كانت آخر الكلمات الّتي نطق بها سارتر.

قال لِكونتا Contat[1]: «كذا هو الأمر، ولا أستطيع حيالَه شيئاً، إذاً؛ ليس ثمَّةَ سببٌ يحزنني»، كان ما يزال يحبُّ الحياةَ بشغف، لكنَّ فكرةَ الموت، مع أنَّه استبعدَ وقوعَها حتَّى التِّسعين من العمر، كانت مألوفةً عنده، قَبِلَ قدومَه من دونِ أن يثيرَ المشاكل، حسَّاس إزاءَ الصَّداقات والعواطف المحيطة به، وراضٍ عن ماضيه: «لقد فعلت ما كان ينبغي عليَّ فعله».

صباحَ يومِ الثُّلاثاء ١٥ نيسان؛ حينما سألت، كعادتي، ما إذا كان سارتر قد نامَ جيِّداً، أجابتني الممرِّضة: «نعم، لكن...»، فقدمْتُ في الحال، كان يتنفَّس بقوَّة، إلى حدٍّ ما، وهو نائم، من الواضح أنَّه كان في حالة غيبوبةٍ؛ إذ دخلها منذُ البارحة مساءً، بقيت أنظر إليه لساعات، حوالي السَّاعة السَّادسة؛ تركتُ مكاني لِآرليت، وطلبتُ منها أن تتَّصل بي هاتفيّاً إذا حدثَ له شيء، في السَّاعة التَّاسعة؛ رنَّ جرس الهاتف، قالت لي: «لقد توقَّف»، قدمتُ مع سيلفي، إنَّه هو نفسُه، لكنَّه توقَّف عن التَّنفُّس.

أخبرَتْ سيلفي لانزمان، وبوست، وهورست، فهرعوا إليه، سُمِحَ لنا بالبقاءِ في الغرفةِ حتَّى السَّاعةِ الخامسةِ صباحاً، طلبتُ من سيلفي أن تُحضِرَ لنا الويسكي، فشربنا ونحنُ نتحدَّث عن آخرِ أيَّامِ سارتر، وعن أيَّامٍ أقدم، والإجراءاتِ الواجبِ اتِّخاذُها، غالباً ما قال لي سارتر إنَّه لا يريدُ أن يُدفنَ في مقبرةِ بير لاشيز Père-Lachaise بينَ أمِّه وزوجها، أرادَ أن تُحرَقَ جثَّتُه، وقرَّرنا أن ندفنَه مؤقَّتاً في مقبرةِ مونبارناس، ثمَّ نأخذه إلى بير لاشيز. بالنِّسبة للحرقِ؛ سيوضَع رمادُه في قبرٍ نهائيٍّ في مقبرةِ مونبارناس، وبينما كُنَّا ساهرينَ بالقرب منه؛ حاصرَ الصَّحفيُّون الجناحَ، طلبَ منهم لانزمان وبوست الرَّحيل؛ فاختبؤوا، لكنَّهم لم ينجحوا في الدُّخول، حاولوا، خلالَ وجودِه في المشفى، التقاطَ صورٍ له؛ فتنكَّرَ اثنانِ منهم بزيِّ الممرِّضين، وحاولا التَّسلُّلَ

---

(١) لوحة ذاتيّة في السّبعين من العمر.

إلى الغرفة، لكنَّهم طُردوا، حرصتِ الممرِّضاتُ على إسدالِ السَّتائر، ووضعنَ ستائرَ على الأبواب لحمايتنا، ومع ذلك؛ فإنَّ ثمَّة صورةً التُقطَتْ حتماً من فوقِ أحدِ الأسطحِ المجاورة، نشرتها مجلَّةُ باري ماتش، ظهر فيها سارتر نائماً.

طلبتُ أن أُتركَ وحيدةً مع سارتر لوقتٍ قصير، وأردتُ أن أتمدَّد بجانبِه تحتَ الغطاء، فأوقفتني إحدى الممرضات: «لا، انتبهي.. الغنغرينا»، عندها فهمتُ سببَ تقيُّحاته، استلقيتُ فوقَ الغطاءِ ونمتُ قليلاً، في السَّاعة الخامسة؛ جاءَ بعضُ الممرِّضين، ربطوا جسمَ سارتر بغطاء، وما يُشبه الكيسَ، وأخذوه.

انتهى بيَ الأمرُ مساءً في بيت لانزمان، كما قضيتُ عنده ليلةَ الأربعاء، خلالَ الأيَّام اللَّاحقة؛ أقمتُ عندَ سيلفي لأحمي نفسي من الاتِّصالات الهاتفيَّة والصَّحفيِّين، خلالَ النَّهار؛ رأيتُ أختي بعدَ وصولها من الألزاس، وأصدقائي، نظرتُ في الصُّحف والبرقيَّات، الَّتي سُرعان ما تدفَّقت، كانت سيلفي ومعها لانزمان، وبوست يتابعون الإجراءات، حُدِّدَ الدَّفن أوَّلاً، يومَ الجمعة، ثم أُجِّلَ إلى يومِ السَّبت لتمكينِ أكبرِ عددٍ من النَّاس من الحضور، وقد نُقل عن جيسكار ديستان قولَه إنَّه كان يعرف بأنَّ سارتر لا يريدُ جنازةً وطنيَّةً، لكنَّه اقترحَ دفعَ تكاليفِ الجنازة، فرفضنا، وأصرَّ على الوقوفِ أمامَ جثمانِ سارتر.

يومَ الجمعة؛ تناولتُ الغداءَ مع بوست، وأردت العودة لرؤية سارتر قبلَ الدَّفن، وصلنا إلى مُدرَّج المشفى، جاؤوا بِسارتر في تابوته، تغطِّيه ملابسُ كانت سيلفي اشترتها له للذَّهابِ إلى الأوبّرا، كانت هذه ملابسَه الوحيدةَ في بيتي؛ إذ لم تشأ أن تدخلَ بيتَه لإحضارِ ملابسَ أُخرى، كان هادئاً، ككلِّ الموتى، ومثلهم أيضاً؛ غابت التَّعابيرُ عن وجهِه.

صباحَ يومِ السَّبت؛ اجتمعنا في المدرَّج حيثُ كان تابوت سارتر، ووجهٌ مكشوفٌ، وقاسٍ، وجامد، بملابسه الجميلة، وبناءً على طلبي؛ التقطَ له بينيو Pignaud بعض الصُّور، وبعدَ وقت طويل، إلى حدٍّ ما، قام أُناسٌ بإعادة ربطِ الغطاء فوقَه، وأغلقوا التَّابوت، ثمَّ حملوه.

صعدتُ إلى سيَّارةِ الجنازةِ مع سيلفي، وشقيقتي، وآرليت، أمامَنا كانت سيَّارةٌ مُغطَّاةٌ بباقاتٍ فخمةٍ من الورود، وتيجانَ جنائزيَّة. وكان ثمَّة حافلةٌ صغيرةٌ تقلُّ الأصدقاءَ نصفَ العاجزين، أو غيرَ القادرين على المشيِ لمسافةٍ طويلة، ووراءَنا حشدٌ كبيرٌ من النَّاس، حوالي خمسينَ ألفاً، أغلبُهم من الشَّباب، وكان ثمَّة مَن يطرقُ زجاجَ الحافلة، كان معظمُهم من المصوِّرين الَّذين كانوا يثبِّتون عدساتهم على زجاج السَّيَّارة ليفاجئوني بالتَّصوير، قام أصدقاءُ **الأزمنة الحديثة** بتشكيلِ حاجزٍ خلفَ السَّيَّارة، وحولها، وقام مجهولون بتشكيلِ سلسلةٍ عفويَّةٍ بتشبيك أياديهم ببعضها، بشكلٍ عامٍّ؛ كان الجمهورُ مُلتزماً بالنظام وحارّاً، قال لانزمان: «إنَّها آخر تظاهرات عام ١٩٦٨»، أمَّا أنا؛ فلم أرَ شيئاً، فقد كنتُ مُخَدَّرةً إلى حدٍّ ما بِالفاليوم، ومتماسكة لكي لا أنهار، كنتُ أقول لنفسي: تلك هي الجنازة الَّتي كان سارتر يريدها، والَّتي لن يعلمَ بها أبداً، حينما نزلتُ من السَّيَّارة؛ كان الجثمانُ قد أُودِعَ القبر. طلبتُ كُرسيّاً، وبقيت جالسةً على حافَّة الحفرة، ورأسي فارغة. رأيت أُناساً مُتمَسْقِين فوقَ الجدران، وفوقَ القبورِ. حشدٌ مضطرب. نهضت لكي أعودَ إلى السَّيَّارة، لم تكن تبعدُ عنِّي أكثرَ من عشرة أمتار، لكنَّ الازدحام كان ضَخماً، بحيث اعتقدتُ بأنِّي سأختنق، وجدت نفسي في بيت لانزمان مع أصدقاء عادوا بشكلٍ فوضويٍّ من المقبرة، استرحتُ قليلاً، وبما أنَّنا لم نكنْ نريدُ تركَ بعضنا؛ ذهبنا لتناولِ العشاء في مطعم زايير Zeyer في قاعة خاصَّة. لا أذكر شيئاً، يبدو أنَّني شربتُ كثيراً، بحيثُ اضطرُّوا إلى حملي لنزولِ الدَّرج، ورافقني جورج ميشيل إلى بيتي.

قضيتُ الأيامَ الثلاثةَ التَّاليةَ في بيت سيلفي، صباحَ يوم الأربعاء؛ كان موعدُ التَّرميدِ في مقبرةِ بير لاشيز، وكنتُ منهكةً جدّاً، فلم أتمكَّن من الذَّهاب، نمتُ لا أدري كم من الوقت، ووقعتُ من السَّرير، وبقيتُ جالسةً فوقَ السَّجَّادة (الموكيت)، بعد أن عادت سيلفي ولانزمان من التَّرميد؛ عثرا عليَّ،

وأنا أهذي، أدْخلاني المشفى، كنتُ مصابةً باحتقانٍ رئويٍّ، شُفيتُ منه بعدَ أسبوعين.

أُعيدَ رمادُ سارتر إلى مقبرةِ مونبارناس، وكانت أيادٍ مجهولةٌ تضعُ كلَّ يوم باقاتٍ صغيرةً طازجةً فوقَ قبرِه.

ثمّةَ سؤالٌ، في الحقيقةِ، لم أطرحْهُ على نفسي: أما كان ينبغي عليَّ أن أُحذِّرَ سارتر من موتِه الحتميِّ؟، حينما كان في المشفى ضعيفاً، لا سندَ له؛ لم أفكِّر إلَّا في إخفاءِ خطورةِ حالتِه الصِّحيَّة، وماذا عمَّا سبقَ هذا؟ كان دائماً يقولُ لي إنَّ عليَّ إعلامَه إذا ما أُصيب بالسَّرطان، أو بأي مرضٍ لا شفاءَ منه، لكنَّ حالتَه كانت ملتبسة، كان «في حالة خطر»، لكن؛ هل كان يمكن أن يصمدَ لعشرِ سنواتٍ أُخرى، كما كان يتمنَّى؟، أم أنَّه سيقضي بعدَ عام أو اثنين؟، جميعنا كُنَّا نجهلُ ذلك، لم يكنْ لديهِ أيُّ إجراءٍ يمكنُه اتِّخاذُه، ولا كان بإمكانِه أن يعالجَ نفسَه بشكلٍ أفضل، كان يحبُّ الحياةَ، وصَعُبَ عليه تفهُّم عماهُ النِّصفي، وإعاقاته، والتَّهديد الَّذي كان يثقلُ عليه، لو عرفَ فعلا، أما كان من شأنِ ذلك زيادةُ قتامةِ سنواتِه الأخيرةِ من دونِ فائدة؟، على أيِّ حال؛ كنتُ تائهةً مثلَه بينَ الخوفِ والأمل، لكنَّ صمتي لم يفرِّقنا.

موتُه فرّقنا، وموتي لن يجمعَنا، هكذا؛ جميلٌ أنَّ حياتَينا قد تطابقَتا خلالَ هذا الزَّمنِ الطَّويل.

حوارات

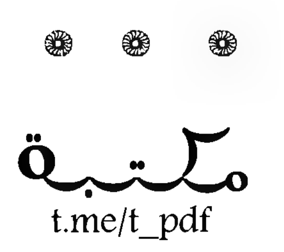
مع

جان-بول سارتر

[آب ـ أيلول ١٩٧٤]

تمهيدٌ للحِوارات

أجريتُ هذه الحوارات مع سارتر خلالَ صيفِ عام ١٩٧٤ في روما وباريس مع بدايةِ الخريف. كان في بعضِ الأحيانِ مُتعباً، فيجيبُني بشكلٍ غيرِ واضح، أو ربَّما كنتُ أفتقرُ إلى الإلهامِ، فأطرحُ أسئلةً لا معنى لها، حَذفتُ بعضَ الحواراتِ الَّتي بدت لي من دون أهميَّة، أمَّا الأُخرى؛ فجمعتُها بحسبِ موضوعاتِها، وتدرُّجِها الزَّمني تقريباً، وحاولتُ أن أضعَها في صيغةٍ مقروءة. ثمَّةَ فرقٌ شاسعٌ، كما نعرف، بين أقوالٍ جُمعت مُسجَّلةً في آلةِ تسجيل، ونصوصٍ مكتوبةٍ بشكلٍ صحيحٍ، لكنِّي لم أحاولْ كتابتَها بالمعنى الأدبيِّ للكلمة، لأنِّي أردتُ الحفاظَ على عفويَّتها، لذلكَ سيجدُ القارئُ فيها مقاطعَ غيرَ مترابطة، وتلكؤاً، وتكراراً، بل وتناقضاتٍ أيضاً؛ أبقيتُها على حالِها لأنِّي خشيتُ تشويهَ كلماتِ سارتر، أو التَّضحيةَ بإيحاءاتِها. إنَّها لا تُضيفُ إليه كشفاً غيرَ منتظر، لكنَّها تسمحُ للقارئ بمتابعةِ متاهاتِ فكرهِ والاستماعِ إلى صوتِه الحيِّ.



في الأدب والفلسفة

س.د.ب: أفَضْتَ في الحديثِ عن السِّياسة مع غيراسي، وآخرين.
دعْنا إذاً نتكلَّم عن الجانبِ الأدبيِّ والفلسفيِّ في عملك.

ج.ب.س: إنْ شئتِ ذلك.

س.د.ب: هل لديكَ انطباعٌ بأنَّ لديَّ ما أقولُه حولَ هذا الموضوع، وهل هذا يهمكَ؟

ج.ب.س: هذا لا يهمُّني تحديداً، اليومَ لا شيء يهمُّني، لكنَّه كان محطَّ اهتمامي بما يكفي خلالَ سنواتٍ طويلة، فلا أدري إن كنتُ أريدُ التَّحدُّثَ عنه.

س.د.ب: لماذا لا يهمُّك أيُّ شيءٍ اليوم؟

ج.ب.س: لا أعرف، لقد انتهى هذا الشَّيء، أحاولُ أن أجدَ أشياءَ أقولها عنه، فلا أجد شيئاً؛ لكنِّي سأجد تلكَ الأشياء.

س.د.ب: ثمَّة سؤالٌ أريدُ طرحَه عليك، ويطرحهُ كثيرٌ من النَّاس على أنفسِهم، ولم تُجِبْ عليه: تحدثتَ بشكلٍ واضح في **الكلمات** عمَّا تعنيه لكَ القراءة، والكتابة، وكيف كنتَ تملكُ ما يُسمَّى بموهبةَ الكاتبِ يومَ كان عمرُك إحدى عشرةَ سنة، أي إنَّك كنتَ منذوراً للكتابة، وهذا يُفسِّر سببَ إرادتك للكتابة، لكنَّه لا يفسِّرُ السَّببَ الَّذي دفعكَ إليها، هنا؛ أريد أن تحدِّثني قليلاً حول هذه النُّقطة: ماذا حدثَ بين الحاديةَ عشْرةَ والعشرين من عمرك بعد أن حقَّقتَ تأهيلك؟ كيف تنظرُ إلى العلاقةِ بينَ أعمالِك الأدبيَّةِ وعملِك الفلسفيِّ؟ حينما تعرَّفتُ إليكَ؛ قلتَ لي إنَّك كنتَ تريدُ أن تصبحَ سبينوزا وستاندال في

الوقتِ نفسه، كان ذلك برنامجاً جميلاً إلى حدٍّ ما، دعنا نبدأ بالأشياء الَّتي كنتَ تكتبها حين عرفتُك، لِمَ أردتَ أن تكتبَ هذا، وكيف جاءتكَ الفكرة؟

ج.ب.س: أحدُ الأعمالِ البطوليَّة الَّتي كتبتها في الثَّانيةَ عشرة من عُمري اسمه «Gtz von Berlichingen»، وبالتَّالي فهو عمل يَستبق مسرحيَّتي: **الشَّيطان والله**، كان غوتز بطلاً متميِّزاً؛ يضرب النَّاس، ويزرع الرُّعب في نفوسهم، لكن في الوقتِ نفسِه، كان يُريد الخيرَ لهم، ثم وجدتُ نهايةً لهذه القصَّة في Lectures pour tous [قراءات للجميع]، إنَّها قصَّةُ رجلٍ من القرنِ الوسيطِ الألمانيّ، لا أعرف إن كان غوتز أم لا، على أيِّ حال؛ كانوا يريدون إعدامَه، فأصعدوه إلى ساعةِ الجرس، وفتحوا ثقباً يتَّصلُ بالخارج في المكانِ الَّذي تُشيرُ السَّاعة إلى الظهر، أَدخلوا رأسَه في هذا الثُّقب، فكانت العقاربُ حينما تشير إلى الحاديةَ عشرةَ والنِّصف؛ تقطع رأسَه...

س.د.ب: كان هذا تقليداً لإدغار آلان بو.

ج.ب.س: كان ذلكَ قطعٌ مؤقَّت للرؤوس، الحقيقة أنَّ الأمرَ أثارني كثيراً كما ترَين، فأنا أقومُ بما كنتُ أفعلُه منذُ وقتٍ طويل: كنتُ أنسخُ عن غيري.

س.د.ب: كم استمرَّ نسخُك هذا، ومتى صارَ الأدبُ طريقتَك في التَّعبير؟

ج.ب.س: في وقتٍ مُتأخِّر جدّاً؛ نسختُ، أو حرَّكتُ قِصصاً قديمةً نشَرتها صحفٌ صغيرةٌ وصحفُ المغامراتِ، حتَّى الرَّابعةَ عشرةَ أو الخامسةَ عشرةَ من عمري، وكان انتقالي إلى باريس هو الَّذي غيّرَ موقفي، أظنُّ أنِّي كتبتُ آخرَ رواية، هي رواية غوتز هذه في مدينةِ لاروشيل La Rochelle وأنا في المرحلةِ الرَّابعةِ؛ ثمَّ في الثَّالثة والثَّانية، كتبتُ الكثيرَ، وفي المرحلة الأُولى، أي حينما انتقلتُ إلى باريس؛ شرعتُ في كتابة أشياء أكثرَ جدِّيَّة.

س.د.ب: هذه القصصُ الَّتي كنت تنقلُها إلى حدٍّ ما، كان وراءَها خيارٌ يحكمها، إذ لم تكن تنقلُ أيَّ قصّة. كنتَ، مثل باراديان Paradillan ما تزالُ تحبُّ قصصَ المغامرات، والقصصَ البطوليَّة، حتَّى سنِّ الرَّابعة عشرة...

ع.ب.س: هو كذلك، إنَّها بطوليّةُ إنسانٍ أقوى من الآخرين، وأكبرَ منهم تقريباً، وهو إلى حدٍّ ما؛ نقيضُ ما كنتُ عليه، إنسانٌ يقتلُ الأشرارَ بضربةِ سيف، ويُخلِّص الممالكَ، وينقذُ الفتيات.

س.د.ب: يمكن القولُ إنَّها العمليَّة الَّتي وصفتَها في كتابك: **الكلمات**، أي؛ عمليَّة اللَّعبِ بالكتابةِ، من دونِ أن تكتبَ فعلاً، لماذا غيّرَ قدومُك إلى باريس علاقتَك بالكتابة؟

ع.ب.س: حسناً، لهذا علاقةٌ بأدب الآخرين. في لاروشيل كنتُ أقرأ رواياتِ الفروسيَّة، ورواياتٍ مشهورةٍ مثل «Rocambole»، و«فانتوماس»، ورواياتِ المغامرات، وآدابِ البورجوازيَّة الصَّغيرة على سبيلِ المثال، Claude Farrère، وكُتَّابَ قصصِ الأسفار، والمراكبِ، ورواياتِ المشاعر، والغراميَّات، وقصصَ العنف، قصص العنف الَّتي كانوا يلومونها، ويُظهِرون فيها ميوعةَ المستعمرات.

س.د.ب: حينما وصلْتَ باريس، هل تغيَّرت قراءاتُك؟

ع.ب.س: نعم.

س.د.ب: لماذا؟ وتحتَ أيِّ تأثير؟

ع.ب.س: تحتَ تأثيرِ أولادٍ كانوا هناك، مثل نيزان Nizan، شقيق الرَّسام غروبر Gruber، اللَّذان كانا في صفِّي، لم أعدْ أعرفُ أبداً ما حلَّ بِغروبر هذا، كان ولداً بالغَ الذَّكاء، ويقرأ كثيراً من الأدبِ القيِّم.

س.د.ب: بماذا بدأتَ قراءَتك في تلك الفترة؟

ع.ب.س: في تلكَ الفترة؛ بدأنا بقراءةِ الأشياء الجديَّة، على سبيل المثال؛ كان غروبر يقرأ بروست Proust، وفُتِنتُ بقراءَته في البداية.

س.د.ب: أوه! إذاً؛ بدأتَ بما هو جدّيٌّ فوراً.

ج.ب.س: فوراً، نعم، حدث تغيُّر، لأنّي كنت أهتمُّ، في الوقت نفسه، بالأدب الكلاسِّيكيِّ الَّذي كان يدرِّسنا إيَّاه أُستاذنا الجيِّد الودودُ بالغُ الذَّكاء؛ السَّيِّد جورجيان Georgien، كان يقول لنا: تدبَّروا أنفسَكم حولَ هذه المسألة، أو هذه القضيَّة؛ فكُنَّا نقرأ. كنتُ أقصدُ مكتبةَ سانت ـ جنفييف Sainte-Genvieve، وأقرأُ كلَّ ما أستطيع حولَ المسألة، وكنتُ فخوراً بذلك، وفكَّرتُ في ذلكَ الوقتِ أن أنخرطَ في الميدان الأدبيّ، ليس كاتباً، بل كرجل ثقافة.

س.د.ب: إذاً؛ دخلتَ ميدانَ الثَّقافة من خلالِ الرِّفاق والأساتذة، مَنْ هم الكُتَّاب الَّذين جذبوا اهتمامَك في تلك الفترة، عدا بروست؟

ج.ب.س: كونراد، في فرع الفلسفة، لا سيما في الفلسفة.

س.د.ب: هل كنتَ تقرأ أندريه جيد؟

ج.ب.س: قليلاً، لكنْ من دونِ اهتمام، قرأتُ كتابَه: **الأطعمة الأرضيَّة** Les Nourritures terrestres، لكنَّه كان يبعثُ على الملل.

س.د.ب: هل قرأتم جيرودو Giaudoux؟

ج.ب.س: نعم، كثيراً، كان نيزان مُعجباً به أيَّما إعجاب، حتَّى إنَّه كتبَ قصَّةً يُقلِّد فيها أسلوبَ جيرودو تماماً، كما كتبتُ قصَّةً مستوحاة منه.

س.د.ب: ونُشِرت في «**مجلَّة بلا عنوان**» Revue Sans titre؟

ج.ب.س: ليست هذه هي القصَّة، تلك الَّتي نشرتُها بعنوان: **يسوع الجميل** Jésus La chouette.

س.د.ب: نعم، وكان هناك أيضاً قصَّة **الملاك السَّقيم**. لكنَّكَ كتبتَها لاحقاً.

ج.ب.س: نعم، كتبتُ هذا في الصَّفِّ الأدبيِّ التَّحضيريِّ Hypokhagne، أي في السَّابعة عشرةَ من عمري.

س.د.ب: وماذا كتبتَ في صفِّ الحادي عشر، وفي صفِّ الفلسفة؟

ع.ب.س: لم أكتب شيئاً مُحدَّداً احتفظتُ به؛ أذكر، مثلاً أمراً غريباً: ثمَّة رجلٌ كان يسكن الطَّابق الخامس؛ جَدَّايَ لم يسكُنا الطَّابقَ الخامس، بل الثَّالث، لكنَّ الخامسَ كان يبهرني، باعتباره آخرَ طابق في البناء، كانا يسكنان في الثَّالث، لكنَّهما سكنَا في الخامس، إجمالاً، تلك ذكرى تعودُ إلى زمنٍ سكنتُ في الطَّابقِ الخامسِ في شارع Le Goff، مع جارةٍ صغيرةٍ كنتُ أكنُّ لها الودَّ.

س.د.ب: لهذا علاقة بما تقوله في **الكلمات**، بأنَّك طالما أحببتَ حالة «مُعَلَّقة»... إذاً ما الَّذي حصل لهذا الإنسان؟

ع.ب.س: حصلَ أنَّه أصبحَ فِرعوناً، لماذا ؟، لا أستطيعُ الحديث عن هذا.

س.د.ب: هل كان ذلك تقمُّصاً ؟

ع.ب.س: كان فرعوناً، كان هناك، يتحدَّث إلى امرأةٍ شابَّة، ويقول لها أشياءَ تتعلَّق بالفلسفة: أفكار تخصُّني، حدثَ ذلك في الصَّف الحادي عشر أو البكالوريا شعبةِ الفلسفة.

س.د.ب: هل كان ثمَّة مضمونٌ فلسفيٌّ في ما سعيتَ إلى كتابته؟

ع.ب.س: نعم، ولا أعرف السَّبب، سنعود إلى هذا لاحقاً، كما ترين، كان ذلك كما عند نهاية القرن التَّاسع عشر، نُدخل الفلسفة، حتَّى عند بورجيه Bourget، ثمَّة فلسفةٌ في مسرود يسعى إلى إثباتِ شيء؛ شيء آخر، شيء شبيه بذلك.

س.د.ب: كان ذلك من نوعِ الأدب الخاصِّ بموضوع مُعَيَّن.

ع.ب.س: مسألةُ الموضوع اختُرِعت في وقتٍ مُحدَّد.

س.د.ب: لكن، ما حاولتَ التَّعبيرَ عنه كانت أفكارك، وليست تجربتَك للعالم، أو إحساسَك بهذا العالم؟

ع.ب.س: كانت أفكاري، الَّتي لا بدَّ أنَّها تضمَّنت تجربةً مُعيَّنةً للعالم، لكن ليست تجربتي، إنَّها تجربةٌ مُصطَنعة، مُتخيَّلة، بعد ذلك بفترة قصيرة؛ كتبتُ

قصَّة بطلٍ شابٍّ وشقيقتِه اللَّذين صعدا إلى حيثُ الآلهة، إنها تجربة البورجوازيِّين الصِّغار، إجمالاً؛ تجربةٌ قد تعادل تجربتي، لكنَّها، في حقيقة الأمر، لا تشبهها أبداً، لأنَّها تتحدَّث عن طفلين يونانيَّين.

س.د.ب: ماذا كانت تلكَ القصَّةُ بالضَّبط؟ أليست قصَّةَ من يزِنون النُّفوس؟ أليست تماماً قصَّةَ الأرمنيِّ الَّذي كان يزِن النُّفوس؟

ج.ب.س: لا، الأرمنيُّ موزون، وثمَّة معركةٌ كُبرى مع العمالقة، معركة أويتا Oeta الكُبرى مع العمالقة، مع التِّيتان.

س.د.ب: لكنَّها جاءت بعد قصَّتي: **يسوع الجميل، والملاك السَّقيم.**

ج.ب.س: طبعاً، كتبتُ قصَّةَ **يسوع الجميل**، بعدَ **الملاك المُحتضر**، لا بُدَّ أنِّي كتبتُها في الصَّفِّ العاشر والحادي عشر(فلسفة).

س.د.ب: هل لكَ أن تقولَ لي سببَ كتابتهما ؟ ما الَّذي مثَّلتاهُ بالنِّسبة إليك ؟ قصَّة **يسوع الجميل**، تروي حياةَ أستاذٍ صغير في الأرياف، هل هذا صحيح؟

ج.ب.س: نعم، لكن من وجهةِ نظرِ تلميذ؛ البطلُ كان أستاذاً حقيقيّاً في ثانويَّة لاروشيل، استقبلني في بيته؛ فتخيَّلتُ وقائعَ دفنه، وبالفعل توفِّيَ خلال السَّنة، لم يشارك التَّلاميذ في جنازته، لكن في قصَّتي؛ جعلتُهم يسيرون خلفَه، وتخيَّلت الدَّفن لأنِّي، ربَّما، سرت في جنازته؛ لكنْ لم يحدث شيءٌ غيُر عاديّ، في قصَّتي؛ جعلتُ التَّلاميذَ يهتفون ضِدَّه خلال الجنازة.

س.د.ب: لكن؛ ما الَّذي دفعكَ إلى كتابة هذه القصَّة ؟ هل لأنَّك كنتَ ترى في هذا الأُستاذ، مع أنَّك كنتَ تهتف ضِدَّه، استباقاً لمصيرك ؟ أم لأنَّه أثارَ اهتمامك لسببٍ مُعيَّن؟

ج.ب.س: ما ينبغي دراستُه، بنحوٍ خاصٍّ، هو كيف انتقلتُ من رواية الفروسيَّة إلى الرِّواية الواقعيَّة: البطل إنسان نذل، ومع ذلك؛ فقد احتفظتُ

بتقاليدي القديمةِ عن البطل الإيجابيّ، من خلالِ تجسيدي له في الصَّبيّ، الَّذي لم يقمْ بأيِّ شيء خارقٍ للعادة، بل كان مُجرَّدَ شاهدٍ ناقد، بالغ الذَّكاء والنَّشاط في القصَّة.

س.د.ب: تلك نقطةٌ هامَّة، كيف انتقلتَ من نحلِ القِصَص البطوليَّة إلى اختراعِ قصصٍ واقعيَّة؟

ج.ب.س: لم يكنْ ذلك اختراعاً؛ لأنَّ أحداثَ القصَّة جرت فعلاً، على هذا النَّحو، اخترعتُ التَّفاصيلَ فقط.

س.د.ب: لكنَّكَ لم تنقلْها عن كتاب، كيف حقَّقتَ هذا الانتقال؟

ج.ب.س: رغمَ كلِّ ما استثمرتُه في أدب المغامرات؛ أظنُّ أنِّي كنتُ أعرف أنَّها ليست سوى المرحلةِ الأُولى، وأنَّ هناك ثمَّة أدباً آخر، كنتُ أعرف ذلك لأنِّي كنتُ أقرأ كُتباً أُخرى لدى جدِّي؛ تضمَّنت روايةَ البؤساء جانباً بطوليّاً، لكن لم تكن كذلك، قرأت روايات أناطول فرانس A.France، كما قرأت روايةَ مدام بوفاري لِفلوبير، إذاً، كنتُ أعرف أنَّ الأدب يتضمَّن دائماً هذا الجانب من المغامرة، ولا بُدَّ من بلوغ الواقعيَّة، الانتقال من روايةِ الفروسيَّة إلى الواقعيَّة، كان يعني الحديثَ عن أُناس كما كنتُ أراهم.. لكن، كان لابُدَّ، مع ذلك، من وجودِ شيءٍ ما يتميَّز بالإثارة، ما كان لي أن أقبلَ بعضَ كتبِ تلك الفترة الَّتي لا يجري فيها أيُّ شيء، كان لا بُدَّ من حدثٍ بطوليٍّ، وفي هذه القصَّة، فإنَّ الموتَ هو الَّذي أثارني، في النِّهاية، سارت الأمورُ على هذا النَّحو، توفِّيَ الأستاذُ في منتصفِ السَّنة، وعُيِّن أستاذٌ جديدٌ مُختلِفٌ عنه تماماً، كان شابّاً لا بأس به، عائداً من الحرب، بعد المرحلة الرَّابعة...

س.د.ب: عرفتَ يسوع الجميل في المرحلة الرَّابعة، لكنَّك تأخَّرت في كتابة الرِّواية، هل كنتَ قد قرأت بروست، حينما كتبتَ هذه الرِّواية؟

ج.ب.س: كنتُ قد بدأت.

س.د.ب: فعلاً، قصدت: هل بروست هو الَّذي حرَّضكَ على كتابة قصصٍ يوميَّة؟

ج.ب.س: لا، أظنُّ أنَّني أوتيتُ ذلك لحظوتي بأستاذ رائع، إضافةً إلى تلك الرِّوايات الَّتي تتحدَّث عن اليوميّ، وهو ما بدا لي طبيعيّاً، كنتُ أعرفُ أنَّ ذلك كان موجوداً.

س.د.ب: هو كذلك، قرأتَ أدباً أكثرَ واقعيَّة ومقبوليَّة، لم تكنْ تعرفه سابقاً، وهو ما حرَّضك على الكتابة، أنتَ أيضاً...

ج.ب.س: كان ذلكَ الأدبُ جزءاً ممَّا أعرفه من أشياء. فقد عرفتُ مدام بوفاري، على سبيل المثال، الَّتي لا يمكن أن تُعدَّ، من وجهةِ نظري، بمثابةِ روايةٍ واقعيَّة، قرأتُها في شبابي، فأدركتُ أنَّها ليسَت روايةَ فروسيَّة، إذاً، كنتُ أعرف أنَّ هناك مَنْ يكتبُ كُتباً أُخرى تختلفُ عن تلك الَّتي كنتُ أحلمُ بكتابتها، وأنِّي سأفعل ذلك، عندئذٍ، في البكالوريا، بدأتُ بكتابةِ **يسوع الجميل**، لاعتقادي بوجودِ واقعيَّة، لأنِّي رويتُ في الحقيقة، قصَّةَ أحدِ أساتذتي.

س.د.ب: وربَّما كنتَ قد كرهْتَ رواية الفروسيَّة، إذ كان ذلك أمراً طفوليّاً.

ج.ب.س: آه، لطالما أحببتُ ذلك.

س.د.ب: وكتبتَ **ملاك المُحتضر** لاحقاً؟

ج.ب.س: قصَّة **ملاك المحتضر** جاءت لاحقاً، نعم، لأنَّنا التقينا في تلك الفترة؛ نيزان وأنا؛ مُحتالاً يُسمَّى فرافال Fraval خلالَ السَّنةِ التَّحضيريَّةِ، يسعى لأن يكونَ كاتباً، لكنَّه لم يكن يرى إلَّا الجوانب الماديَّة، كان يريد، بشكلٍ خاصٍّ، مجلَّة.

س.د.ب: هو مَن أسَّس «**مجلَّة بلا عنوان**»؟

ج.ب.س: نعم، عندها نشرنا كتاباتِنا فيها.

س.د.ب: طبعتَ قصَة المسيح الجميل في **مجلّة بلا عنوان**؟
ع.ب.س: ليس هذه فقط، بل قصَة ملاك المحتضر أيضاً.

س.د.ب: ما الَّذي كان يمثِّله ذلك بالنِّسبة لك؟
ع.ب.س: كان يمثل الواقعيَّة؛ جرتِ الأحداثُ في مكانٍ أعرفه في الألزاس، كان هناك مَصحَّةٌ غيرُ بعيدةٍ في الجبال، ومنحدرٌ، فوقَه أشجارُ السَّرو، وفي الجهةِ المقابلة؛ بيوتٌ غيرُ بعيدة، هناك كانت تقع المصَحَّة، الَّتي وضعتُ إحدى الشخصيَّات فيها، وهو أُستاذٌ شابٌ، على ما أظنُّ، أُصيب بمرضِ السّلّ، ووصفتُ هذه الشَّخصيَّة بطريقةٍ غريبة؛ وصفٌ اخترعتُه، وأدخلتُ فيه شيئاً من التَّهكُّم، ثمَّ أضفتُ أشياءَ منِّي، من دون أن أعرف.

س.د.ب: مثل ماذا؟ القصَّةُ تقول إنَّ هذا الأستاذ قبَّلَ إحدى المصابات بالسّل، أليس كذلك؟ لينتقلَ مرضُها إليه، أليس كذلك؟
ع.ب.س: لا أظنُّ أنَّه كان ينام معها، لا، كان مريضاً، وهي تعيش أزمة، لأنَّها كانت مريضةً أكثرَ منه، بعد أن يقضيَ معها ليلةً مُزعجة؛ يعود إلى غرفتها، ولم يتمكَّن من النَّوم معها لكثرةِ سعالها، لكنِّي لم أعُدْ أذكر النِّهاية جيِّداً...

س.د.ب: لماذا فكرةُ المحتضر هذه؟ لا أعرفُ إن كان يبتلع بُصاقَه، لكنَّ مرضَهُ كان مُتقدِّماً إلى حدٍّ ما، يريد أن يصبحَ مريضاً.
ع.ب.س: كان مريضاً.

س.د.ب: نعم، لكن لماذا المرض؟ ما الَّذي دفعكَ، في تلك الفترة، إلى سرد قِصَصِ المرضى؟
ع.ب.س: كان الوضعُ مَرضيّاً؛ لأنَّ اثنين مصابين بالسّل ينامان معاً، كنتُ سليماً تماماً، لذلك لا علاقة بهذا الجانب المتعلّق بالسّلّ، إضافةً إلى الجانبِ الجنسيّ؛ كان الأمر عبارةً عن لعب بالمفاهيم، كان يمكن أن أكتب، على ما أظنُّ، قصصاً مُرعبة، تلك لم تكن قصَّةً مُرعبة، لكنَّ الشَّخصيَّة كانت مُخيفة، لم أعدْ أعرفُ السَّبب: هل كان يحلمُ في اللَّيل؟

س.د.ب: ينبغي العودةُ إلى النَّصّ.

ج.ب.س: لا حظي أنَّني كنتُ أصفُ وسطاً، بطريقة ما، لم يكن وصفاً لوسطٍ باروكيٍّ.

س.د.ب: هل كانت القصصُ الأُخرى الَّتي نشرَتْها **مجلَّة بلا عنوان**؛ تنتمي إلى الواقعيَّة أيضاً؟

ج.ب.س: نعم، روايتي الأُولى، **هزيمة** Défaite، الَّتي لم تُنشَر؛ تنتمي إلى الواقعيَّة أيضاً. إنَّها تحكي قصَّةَ نيتشه وفاغنرWagner، حيث لعبتُ دورَ نيتشه، وشخصيَّة أُخرى تافهة تُمثِّل فاغنر، وزوجته كوزيما فاغنر.

س.د.ب: لا يمكنُ القولُ إنَّها تنتمي إلى الواقعية!

ج.ب.س: لا، لكنَّها منها؛ لأنَّ فاغنر كان أستاذاً، وكاتباً عبقريّاً في باريس، وأنا كنت في دار المعلِّمين، إذاً، فهذا جزء من الواقعيَّة.

س.د.ب: بمعنى أنَّك تأخذ نموذجاً رومانتيكيّاً وتعالجه بطريقة واقعيَّة.. لكنْ؛ هل كتبتَ قصَّةَ **فريدريك** قبلَ قصَّةِ **إر الأرمني**، أم بعد؟

ج.ب.س: قبلها، لم أُكملها، لكنَّ نيزان حملَها إلى النَّاشر غاليمار، فرفضها.

س.د.ب: كان ذلك في الفترة الَّتي كنتَ تعرف فيها كاميليا Camille، ألم تكن كوزيما فاغنر مستوحاة تماماً من كاميليا؟

ج.ب.س: نعم، عرفتُ كاميليا في السَّنة الأُولى من دخولي إلى دار المعلِّمين، بعد وفاة ابنةَ عمَّتي في تلك السَّنة، تعرَّفتُ على كاميليا.

س.د.ب: إذاً؛ كان هناك أنتَ، ثم كاتبٌ مُستلهَم من فاغنر، وكوزيما المستوحاة من قراءاتك حولَ كوزيما فاغنر، ومن خلال معرفتك بِكاميليا.

ج.ب.س: نعم، كنتُ بصددِ قراءةِ كتابِ أندلر Andler حولَ نيتشه.

س.د.ب: إذاً، كان ذلكَ عملاً للتَّوفيق بين الواقعيَّةِ وقصَّةِ المغامرة.

ج.ب.س: نعم، قصَّةٌ مغامرة؛ أحبَّ البطلُ كوزيما، وكوزيما عاشقة لِفاغنر، والبطل مرتبطٌ بدوره؛ بِفاغنر... ذلك ما تبقَّى من رواية الفروسيَّة، نقلْتُه إلى رواية واقعيَّة.

س.د.ب: بعد ذلك كتبتَ إر الأرمنيّ، وحتَّى أسطورة الحقيقة في هذا الاتِّجاه أيضاً؛ حدث انتقالٌ نحوَ الأسطورةِ اليونانيَّةِ بأسلوبٍ طنَّان، أو مُتصنِّع، كيف تمَّ هذا الانتقال؟ هل تأثرتَ كثيراً بدراساتك اليونانيَّة واللَّاتينيَّة؟

ج.ب.س: بالتَّأكيد، تأثَّرت بها؛ لأنِّي، على ما أظنُّ، كنتُ أنظرُ إلى العصر القديم بوصفِهِ مَخزَناً للأساطير.

س.د.ب: هل كنتَ شغوفاً باليونانيِّين، واللَّاتينيِّين؟

ج.ب.س: نعم، منذُ الصَّفِّ السَّابع، في الصَّفِّ الخامس والسَّادس؛ كُنَّا ندرسُ تاريخَ مصر القديمة، واليونان، وروما، في تلك الفترة؛ كُنَّا ندرسُ التَّاريخَ القديمَ على ما أعتقد، كنت يومَها أقرأ الكتب؛ لا سيما كتب التَّاريخ الرُّومانيّ لِدوروي Duruy، المليئة بالأحداث.

س.د.ب: كان لهذا كلِّه جانبٌ بطوليّ... ويلتقي إلى حدٍّ ما بالرِّوايات الشَّعبيَّة، لكن؛ كيف كانَ نيزان يكتب، حتَّى في مجلَّة بلا عنوان، بأسلوبٍ حديث جدّاً؛ مُتأثِّراً بِجيرودو، بينما كنتَ تكتبُ بأسلوب كلاسيكيّ جدّاً، ومصطنع؛ استمرَّ حتَّى كتابِك: الغثيان؟، قلتَ إنَّكَ كنتَ تُحبُّ بروست، وجيرودو، لكنَّنا لا نشعر بهما أبداً في كتاباتِك الَّتي تعود إلى تلك الفترة.

ج.ب.س: لأنِّي كنتُ قادماً من الأرياف؛ حيثُ تعرَّفتُ على أدبِ القرن التَّاسعَ عشر الكلاسيكيّ، مثل أدبِ فارير Farrère،كان هؤلاء يتصنَّعون في أساليب كتابتهم، وكلاسيكيُّون، وحمقى، أمَّا نيزان؛ فكان من سكَّان باريس،

الثَّانويَّة في باريس كانت متقدِّمة على ثانويَّة لاروشيل، لم نكنْ نعيش في الوسطِ نفسه، عشتُ في القرن التَّاسعَ عشر، ونيزان في القرن العشرين، من دون أن يرى نفسَه فيه.

س.د.ب: لكنْ حينما جئتَ إلى باريس؛ قرأتَ الكتبَ نفسَها الَّتي قرأها نيزان، وكنتَ صديقاً له، ألم تتأثر به؟، أم بقيَتْ علاقتكما سطحيَّة؟

ج.ب.س: بلى، بل تسبَّبَ هذا بأزمة؛ أزمةٍ داخليَّةٍ، ليست خطيرة، لكنَّها أزمةٌ في النِّهاية...

س.د.ب: كان لها أثرُها، مع ذلك.

ج.ب.س: نعم، بالنِّسبة لشخصٍ يقرأ كلود فارير Claude Farrère[1]، يُصبح الأمرُ معقَّداً حينما يقرأ بروست، على سبيلِ المثال، كان عليَّ أن أُغيِّرَ رؤايَ، وأبدِّل علاقاتي بالنَّاس.

س.د.ب: بالنَّاس أم بالكلمات؟

ج.ب.س: بالكلماتِ وبالنَّاسِ، كان عليَّ أن أرى أنَّ لي علاقاتٍ تُبعدني عن النَّاس، وأن أكون، من وقتٍ لآخر، تارةً إيجابيّاً، وطَوراً سلبيّاً معهم، كان هذا الأمرُ هامّاً؛ حاولتُ أن أفهمَ ما يعنيه الوسطُ الحقيقيُّ الخاصُّ بعلاقاتِ النَّاس ببعضهم، بمعنى التَّاثير أو ردِّ الفعل.

س.د.ب: فسِّرْ لي بشكلٍ أوضح ما تعنيه بالعلاقات الحقيقيَّة مع النَّاس، سواء أكانت مؤثِّرة أو مُتأثِّرة.

ج.ب.س: هكذا جُبِلَ النَّاس على التَّاثير والتَّاثُر، لكن منهم من يؤثِّر، ومنهم من يتأثَّر.

---

(١) كلود فارير (١٨٧٦-١٩٥٧) ضابط بحريّة، وكاتب فرنسيّ، ترك العديد من الدّراسات والرّوايات.

س.د.ب: لكن، كيف كَشفَتْ لك باريس ذلك ؟

ج.ب.س: للدَّور الكبير الَّذي لعبه وجودي في مدرسةٍ داخليَّة، إضافةً إلى دورِ نيزان أيضاً في تلك المدرسة، لذلك كانت بيننا وبين التَّلاميذ علاقاتٌ مَن ينتمون إلى المدرسةِ الدَّاخليَّةِ نفسِها.

س.د.ب: لماذا، بالتَّحديد؟

ج.ب.س: لوجودِ المهجَع الَّذي يُعَدُّ عالماً قائماً بذاته، هل تتذكَّرين حينما كان فلوبير في المهجَع ولم يكن يفكِّر إلَّا بالأدبِ الرُّومنتيكيِّ ؟ كان يقرؤه هناك، المهجع، عالَمٌ قائمٌ بذاته.

س.د.ب: ما لا يمكنني فهمُه جيِّداً، هو حينما كنتَ في لاروشيل، عرفتَ، أن النَّاس يؤثِّرون ويتأثَّرون، أليس كذلك؟

ماذا عن علاقاتك برفاقك ؟ وضِّح لي، بطريقة أفضل، كيفيَّة هذا الانتقالِ من لاروشيل إلى باريس.

ج.ب.س: لا أعرف كيف هو الحال في مدرسةٍ داخليَّة، قالوا لي أشياءَ سيِّئة عنها، بمن فيهم جدِّي، ووالديّ: لا، لن نضعَك في مدرسة داخليَّة، لأنَّك ستبتعدُ عن العائلة، وقد يَضطهدُكَ الأستاذ، أو المراقب، لكنِّي لم أكن قادراً على النَّوم دائماً في بيت جدِّي، كنتُ أنامُ فيه كلَّ يومِ أحد، وفي الأيَّام الأُخرى؛ كان لا بُدَّ أن أجدَ لي مكاناً آخر، ولذلك من الطَّبيعيِّ أن ألتحقَ بمدرسةٍ داخليَّة، هي مدرسة هنري الرَّابع، بوساطةٍ من جدِّي، وهنا تغيَّرت علاقاتي بالنَّاس، تصوَّري أنَّني كنتُ أذهب إلى قُدَّاس يوم الأحد لأُنشِدَ هناك.

س.د.ب: بربِّك ! هذا أمرٌ لم أعرفْه عنكَ أبداً. لماذا كنت تذهب للإنشاد في القُدّاس؟

ج.ب.س: لأنَّ الإنشادَ كان يروِّح عنِّي، فقد طلبوا أُناساً لتشكيل جوقةٍ من المنشدين في القُدَّاس، وكان ثمَّة مَنْ يعزف على آلةِ الأورغ في معبدِ مدرسة هنري الرَّابع.

س.د.ب: هذا شيّق جدّاً، لكن: كيف يُمكن لوجودِك في المهجع، وإنشادِك في القُدّاس أن يُفسّر التّغيُّر الّذي أصابَ كتاباتِك الأدبيّة؟

ج.ب.س: لم أقلْ إنَّ ذلكَ يُفسّر التّغيُّر الّذي أصابَ ما أكتبه من أدب، قُلتُ إنّه وسطٌ آخر كان يُحيط بي: فقد كنتُ أنامُ في المدرسةِ طيلةَ ستّة أيّام بلياليها من دونِ أن أخرجَ منها، بما فيها من علاقاتٍ غريبة يُقيمها التّلاميذُ الدّاخليُّون مع بعضِهم، ثمّ يأتي يومُ الأحد، فأذهب إلى بيتِ جَدّي، وهو عَالمٌ آخر مختلفٌ عن عالم والديَّ: لأنَّ جَدّي كان أستاذاً، أجلسُ في مكتبته، وأعيشُ في عالم آخر: عالمِ الجامعيّين، ولأنّي كنتُ أُحضّر نفسي لدخولِ دارِ المعلّمين ومسابقةِ أهليّة التّعليم Agrégation.

س.د.ب: هل كنتَ تعملُ بشكلٍ جيّدٍ في تلك الفترة؟

ج.ب.س: نلتُ جائزةَ التّميُّز في فحصِ البكالوريا، ورُبّما في الفلسفة، لم أعد أذكر.

س.د.ب: لماذا انتهى بكَ الأمرُ إلى اختيارِ الفلسفةِ، مع أنّكَ تُحبُّ الآدابَ أيضاً؟

ج.ب.س: حينما تابعتُ دروسَ الفلسفةِ مع أستاذي شاربييه Charbier الّذي كُنّا نُلقّبهُ Cucu philo: بدت لي أنهّا علمُ العالم، لأنَّ العلومَ كلّها تنتمي إلى الفلسفةِ من حيثُ المنهجيّةُ، تعلّمنا كيف يتكوّن علمٌ من العلوم، فما إن نعرف كيف نتعاملُ مع الرّياضيّات، أو العلوم الطّبيعيّة: حتّى نعرفَ كلَّ العلوم الطّبيعيّة والرّياضيّات، إذاً، ظننتُ أنّي إذا تخصّصتُ في ميدانِ الفلسفة: سأتمكّنُ من الحديث في الأدب، إنّها، إذا شئتِ، مصدرُ المادّة.

س.د.ب: كيف كنتَ تنظرُ إلى الأدبِ في تلك الفترة؟ هذا العالمِ الكاملِ الّذي كنتَ تقول إنّه ينبغي ليَ الحديثُ عنه: هل كنتَ تظنُّ أنَّ على الكاتبِ إدراكَ العالم؟

ع.ب.س: أظنُّ أنَّ المناقشات مع النَّاس هي الَّتي منحتني هذه الفكرة، رُبَّما يكون نيزان قد فكَّر فيها قبلي، لا أدري، على أيِّ حال، كنتُ أظنُّ أنَّ على الرِّواية توضيحَ عالم النَّاس الأحياء، لم أحبَّ ألفونس دوديه A.Daudet كثيراً، لكنَّه أذهلني بكتابتِه روايةً عن الأكاديميِّين، بمعنى أنَّه استندَ إلى مهنةٍ، إذا جازَ لنا تسميتُها كذلك، وحوَّلها إلى روايةٍ يذكُر فيها أسماءَ الأكاديميِّين.

س.د.ب: لكن، ألم تكنْ تظنُّ أنَّ على الأدبِ الحديثَ عنك؟

ع.ب.س: آه ! أبداً، أبداً، لأنِّي، كما قلتُ لكِ، انطلقْتُ من رواياتِ الفروسيَّة، صحيحٌ أنِّي لم أعُدْ أُفكِّر فيها، لكن بقي منها شيءٌ ما في نفسي، وهناك أشياءُ من رواياتِ الفروسيَّة في روايتي **دروب الحُرِّيَّة**.

س.د.ب: نعم، لكن لا نجدُ منها شيئاً في **الغثيان**.

ع.ب.س: أبداً، لا شيء منها في **الغثيان**.

س.د.ب: ولا في **الجدار**، حسناً، إذاً؛ درستَ الفلسفةَ لأنَّك رأيتَ فيها فرعاً معرفيّاً يسمح لكَ بمعرفة كلِّ شيء، أو الاعتقاد بمعرفة كلِّ شيء، وأنَّها تمكِّننا من العلوم كلِّها.

ع.ب.س: نعم، ينبغي على الكاتبِ أن يكون فيلسوفاً، إذ ما أن عرفتُ ما هي الفلسفة؛ حتى بدا لي طبيعيّاً أن أطالبَ الكاتبَ بها.

س.د.ب:حسناً، لكن لِمَ ينبغي أن تكونَ الكتابةُ حتميَّة؟

ع.ب.س: إني أنتمي إلى مرحلةٍ لاتُكنُّ احتراماً كبيراً للأدب الشَّخصيّ، على الأقل من القُرَّاء البورجوازيِّين، والبورجوازيِّين الصِّغار، الَّذين كان جَدِّي أحدَهم، وكذلك النَّاس المحيطين بي، إذاً، لم نكن نكتبُ أشياءَ شخصيَّة.

س.د.ب: لكن، متى بدأتْ محبَّتُكَ لِبروست؟ وهو تحديداً، ذلك النَّمط الَّذي يكتبُ كتابةً شخصيَّة، أي أنَّ ما يرويه شخصيٌّ؛ كيف ينام، وكيف لا ينام، طبعاً، تتضمَّن كتابتهُ العالمَ أيضاً، لكن...

ج.ب.س: نعم، العالَم هو ما ثمَّنته عندَ بروست في البداية، وهو ما جاءني شيئاً فشيئاً، اعتقدتُ لاحقاً أنَّ الأدبَ خُلِقَ للحديثِ عن الأشياءِ الشَّخصيَّة، لكن، ينبغي ألَّا ننسى أنَّه بدءاً باللَّحظة الَّتي درستُ فيها الفلسفة، وكتبت؛ ظننتُ أنَّ نتيجةَ الأدب تقومُ على وصفِ كتابٍ يكشفُ للقارئ أشياءَ لم يسبقْ له أن فكَّر فيها، تلك كانت فكرتي لوقتٍ طويل، وهي أنَّني سأصلُ إلى تقديمِ عالَمٍ، ليس فيه ما يريد كلٌّ مِنَّا أن يرى فيه، بل أشياء سأراها - لا أعرفها بعد- ومن شأنها الكشفُ عن العالم.

س.د.ب: لماذا تشعر بأنَّك قادرٌ على كشف العالم أمام النَّاس؟ كيف كنتَ تشعر بنفسك من الدَّاخل؟ هل كنتَ تحسُّ أنَّك بالغُ الذَّكاء، بالغُ الجدارة، ومنذورٌ لهذا الأمر؟

ج.ب.س: بالغ الذكاء، نعم، بالتَّأكيد، برغم ما صادفني من صعوبات؛ مثل نتائجي غيرِ الموفَّقة إلى حدٍّ ما في الرِّياضيَّات، والعلوم الطَّبيعيَّة، على ما أعتقد، كنتُ أظنُّ نفسي ذكيّاً جدّاً، لكنِّي لم أكُنْ أظنُّ بأنِّي أتمتَّع بصفات خاصَّة، ظننْتُ أنَّ الأسلوب، وما نريد كتابته، يُحبَى به الذكيُّ الَّذي ينظر إلى العالم، بعبارة أُخرى، كان هناك في ذهني نظريَّة ـ سنعود إليها ـ مفادها أنَّني عبقريٌّ، تُناقضها طريقتي في الكتابة، والتَّفكير في كتابتي، كنت أعتقد، بطريقةٍ ما، أنَّني إنسانٌ يصنع الكُتُب، وإن صنعتُها بأفضل طريقة ممكنة؛ سأحصل على شيء مُعيَّن، وسأكون كاتباً جيِّداً، خصوصاً أنَّني سأكتشف حقيقة العالم.

س.د.ب: فكرة حقيقة العالم الَّتي تتحدَّث عنها مهمَّة، مصدرُها ما عندكَ ممَّا يُسمَّى أفكار، أو نظريَّات، حتَّى حينما كنتَ في ريعان الشَّباب؛ كانت لديك رؤىً خاصَّة بك حولَ الأشياء.

ج.ب.س: نعم، كانت لديَّ رؤىً خاصَّة بي لها ما تستحقُّ من قيمة، لكنَّها طالما كانت عندي منذُ كنتُ في السَّادسةَ عشرةَ من عمري، البكالوريا والفلسفة كانتا سنتان؛ اخترعتُ فيهما كمّاً من الأفكار.

س.د.ب: نعم، وكان لا بُدَّ من نقلِ هذه الأفكار بطريقة أدبيَّة، وإيجاد شيء جميل، كالكتاب، وفي الوقت نفسه، قادر على الكشفِ عن الأشياءِ الَّتي كانت لديك إجمالاً؛ حقيقة العالم.

ج.ب.س: هذه الحقيقة، لم أكن أعرفها بعد كاملة، أبداً، لم أكن أعرفها إطلاقاً، لكنِّي كنتُ أتعلَّمها تدريجيّاً، لم أكن أتعلَّمها وأنا في العالم الَّذي تُشكِّلُهُ الكلمات، حينما أُكوِّن الكلمات؛ أحصل على أشياء واقعيَّة.

س.د.ب: كيف ذلك ؟ ما تقولهُ هامٌ.

ج.ب.س: حسناً، لم أكنْ أعرفُ كيف، لكنِّي كنت أعرفُ أنَّ تشكيلَ الكلمات سيؤدِّي إلى نتائج؛ نُشكِّلها ثمَّ تصبح مجموعاتٍ من الكلمات؛ تُقدِّم الحقيقة.

س.د.ب: لم أفهمْكَ جيِّداً.

ج.ب.س: الأدبُ ينطوي على تجميعِ الكلمات مع بعضها البعض، لم أكُ أهتمُّ وقتَها بالنَّحوِ بعد، وهذه الأمور، إنَّنا نُشكِّل بالخيال، والخيال هو الَّذي يخلقُ كلمات مثل... «à Rebrousse-Soleil [عودة الشَّمس؟]»، بعضُ مجموعاتِ الكلمات هذه، كان حقيقيّاً.

س.د.ب: يبدو هذا سرياليّاً، نجمع الكلمات، ثمَّ فجأةً، تقومُ هذه الكلماتُ بالكشفِ عن العالم؟

ج.ب.س: نعم، كان الأمرُ على هذا النَّحو، في الحقيقةِ، لا أدري ما هو هذا السِّحرُ، إنَّها الثِّقة باللُّغة.

س.د.ب: لكنَّك لا تكتبُ مصادفةً، و ترمي بالكلماتِ كيفما كان، أليس كذلك؟

ج.ب.س: حتماً لا.

س.د.ب: بل على العكس؛ كانت كتابتُك متينةً، ومشغولة جدّاً، إذاً؛ ما هي رؤيتُك لعلاقةِ الأدبِ بالفلسفة؟

ج.ب.س: خصوصاً حينما يتَّسم هذا الأدبُ بشيءٍ من الفلسفة، اكتشفتُ، على سبيلِ المثال، السّرياليِّين في الصَّف الحادي عشر، أو السَّنة التَّحضيريَّة للفلسفة hypo-khâne، أو في فرع الفلسفة.

س.د.ب: هل كان هذا يُثيرُ اهتمامَك؟

ج.ب.س: نعم، قليلاً، كان ذلك أمراً غريباً، فقد كنتُ خارجاً من تأهيلٍ كلاسِّيكيٍّ جدّاً؛ فوقعت عليها، من ثمَّ، أردتُ الاهتمام بها؛ لأنَّ نيزان كان مُهتمّاً بها، وشيئاً فشيئاً؛ ازدادَ اهتمامي بها، لا سيما أنَّها كانت هي الاتِّجاه المهيمن في دار المعلِّمين، لكنَّ النَّاس الَّذين كانوا يشجِّعونها؛ لم يكونوا أكبرَ سِنّاً مِنِّي، والسّرياليُّون كانوا في العشرين من العمر، كُنَّا نقرأ ديوان أندريه بروتون[١]: **العذراء الطَّاهرة**، وكتبَ إيلوار[٢]، وكان هذا أمراً هامّاً بالنِّسبة لي، لأنِّي جرَّبتُ الكتابةَ بالأساليب السّرياليَّة، وحاولت تقليدَ قصائدِ **العذراء الطَّاهرة**، بل؛ بدأتُ في التَّفكيرِ بالمجانين في تلك الفترة، بوصفهم سرياليِّين، إذا شئتِ.

س.د.ب: مع ذلك، أريد أن أفهمَ العلاقةَ بين الفلسفةِ والأدب بشكلٍ أفضل، في قصَّة **إر الأرمنيّ**؛ مضمونٌ فلسفيٌّ، ورسالة معيَّنة أردتَ أن تنقلَها.

ج.ب.س: نعم، ولكنِّي لم أتصوَّرها بمثابةِ رسالةٍ فلسفيَّةٍ، بل كشفتُ أمامَ القُرَّاء حقيقةَ العالم، من الأشياء الَّتي لم أهتمَّ بها أبداً، هو الجمال، بوصفهِ صفةً داخليَّةً لكتابٍ مُعيَّن، لم يكن ذلك يشغلني، ما كان ينبغي القيامُ به بنحوٍ خاصٍّ، هو أن يحملَ العملُ عدداً من المعارف الجديدة.

---

(١) أندريه بروتون (١٨٩٦-١٩٦٦): شاعر فرنسيّ، يعدّ المحرّك الرّئيس للتّيار السّرياليّ والمنظّر الأساسيّ له.

(٢) بول إيلوار (١٨٩٥-١٩٥٥): شاعر فرنسيّ معروف.

س.د.ب: من أين لكَ هذا اليقين بامتلاكِ حقائقَ يُمكن إيصالُها إلى النَّاس؟

ج.ب.س: لم أكنْ أملكُها، بل كان عليَّ اكتشافُها والعثورُ عليها في العالم، لكنِّي كنتُ مُتيقِّناً من العثور عليها.

س.د.ب: من أينَ أتتْكَ أُولى أفكارك الهامَّة ـ الَّتي استمرَّت بشكل أو بآخر ـ أعني؛ فكرةَ **الإمكان العَرَضيّ (الحدوث)** Contingence[1]؟

ج.ب.س: وجدت التَّلميح الأوَّل إلى هذه الفكرة في دفترٍ تُصدره شركةُ تحاميل ميدي Midy،كان ذلك في السَّنة التَّحضيريَّة، وهو أوَّل دفاتري الفلسفيَّة، أخذته لأكتبَ فيه الأشياء الَّتي تخطر ببالي.

س.د.ب: قُلْ لي ما هو هذا الدَّفتر.

ج.ب.س: نعم، كنت في الميترو، ثمَّ اقتربتُ من شيءٍ كان فوقَ أحدِ المقاعد، فإذا به دفترٌ فارغٌ تماماً، عبارة عن دفتر تُسلِّمُهُ مخابر ميدي للأطبَّاء، أي عبارة عن فهرس، عندئذٍ؛ خطرَتْ ببالي فكرةٌ تبدأ بحرف A، فدوَّنتها، لكنَّ الغريبَ أنَّها كانت بدايةَ تفكيري حولَ الإمكان العَرَضيّ (الحدوث) Contingence، فكَّرتُ بالإمكانِ العَرَضيّ (الحدوث) انطلاقاً من أحد الأفلام، ورأيت أفلاماً ليسَ فيها حدوث، ولدى خروجي؛ أجدُ الإمكان العَرَضيّ (الحدوث)، إذاً، فضرورةُ الأفلام هي الَّتي أشعرتني عندَ خروجي، بعدمِ وجودِ الضَّرورة في الشَّارع، فقد كان النَّاس يتنقلون، أي إنَّهم كانوا أيَّ شيء...

س.د.ب: لكن، كيف أخذَتْ هذه المقارنةُ تلكَ الأهميَّةَ بالنِّسبة لك؟ لماذا أثَّرتْ فيكَ واقعةُ الإمكانِ العَرَضيّ (الحدوث) بحيث جعلتْكَ تصنعها فعلاً؟... أذكر، حينما التقينا، كنتَ تريدُ أن تجعلَ من ذلك شيئاً يُشبه المحتوم Fatum عند اليونانيِّين، أردت أن يكونَ ذلك أحدَ الأبعادِ الأساسيَّة للعالم.

---

(١) الإمكان العَرَضيّ contingence (أو الحدوث): هو الوقائعيّة، أي الوجود بوصفه هذا في العالم

ج.ب.س: نعم، لأنّي رأيت أنَّها مُهمَلة، وهي كذلك حتَّى الآن، إذا تعمَّقنا في الأفكار الماركسيَّة، على سبيل المثال، نجدُ عالماً ضروريّاً، لكن لا يوجدُ حادثٌ، ليس في تلك الفلسفةِ سوى حتميَّاتٍ، وجدليّاتٍ، ولا توجدُ وقائعُ حادثة.

س.د.ب: هل أثَّر فيكَ **الإمكان العَرَضيّ (الحدوث)** فعلاً؟

ج.ب.س: نعم، أظنُّ أنَّ عثوري عليه في الأفلامِ والخروجِ إلى الشوارع؛ يعني أنّي نُذرتُ لاكتشافه.

س.د.ب: في **الكلمات**؛ ثمَّة تجربةٌ للوجود، رُبَّما أعدتَ بناءَها اليوم، لكنَّك عبَّرت عنها بمفهومٍ فلسفيٍّ.

ج.ب.س: أكيد.

س.د.ب: ماذا كتبتَ في دفتر تحاميل ميدي عن **الإمكان العَرَضيّ (الحدوث)**؟

ج.ب.س: إنَّ **الإمكان العَرَضيّ (الحدوث)** موجود، كما يمكننا رؤيتُه من خلال التضادِّ بين السِّينما، حيث لا وجود للحدوث، والخروج إلى الشَّارع، حيث، بالعكس، لا يوجد سواه.

س.د.ب: كتبتَ نشيداً عن **الإمكان العَرَضيّ (الحدوث)**.

ج.ب.س: نعم كتبتُ نشيداً عن **الإمكان العَرَضيّ (الحدوث)**.

س.د.ب: في أيّ عمر؟

ج.ب.س: في السَّنة الثَّالثة من دار المعلّمين، «أحملُ النِّسيانَ، أحملُ الضَّجر»، تلك هي الكلماتُ الأُولى منه...

س.د.ب: نعم، هذا هو الجانبُ الباهتُ، المُمِلُّ للوجود، كما قلتَ لاحقاً في **الغثيان**، هل حدَّثتَ نيزان، ورفاقَك الآخرين عن نظريَّتك في **الإمكان العَرَضيّ (الحدوث)**؟

ج.ب.س: لم يكونوا يكترثونَ بذلك.

س.د.ب: لا يكترثون، لماذا؟

ج.ب.س: لم يكن هذا الأمر يهمُّهم.

س.د.ب: أَلِأنَّك لم تضعْ هذه الفكرةَ في صيغةٍ مثيرةٍ إلى حدٍّ ما ؟

ج.ب.س: رُبَّما، لا أعرف، ثمة من لا يكترثُ بأفكار الآخرين حينما يكون في دار المعلِّمين، الجميع يبحث عن أفكاره، ويسعون إلى تدبُّرها، لقد انتقل نيزان من صفوفِ الفاشيِّين إلى صفوف الشُّيوعيِّين بسرعةٍ كبيرةٍ، في تلك الفترة؛ لم يكنْ لديه الوقتُ الكافي للتُّفكير في الإمكانِ العَرَضيّ (الحدوث).

س.د.ب: طبعاً، متى تعرَّفت إلى غويل Guille؟، أسألك لأعرفَ المؤثِّرات الفكريَّة عليك.

ج.ب.س: في السَّنة الأُولى من دار المعلِّمين، لكنَّنا كُنَّا نعرفُ بعضَنا جيِّداً يوم كُنَّا معاً في الصَّف التَّحضيريِّ في مدرسة لوي لو غران Louis-le-Grand.

س.د.ب: ما هو الفارقُ بين صداقتك لِغويل، وصداقتك لِنيزان؟ هل كان لِغويل تأثيرٌ عليكَ في تلك الفترة؟ ولماذا أصبحتَ صديقاً له؟

ج.ب.س: لماذا شكلّتُ مع غويل وَماهو Maheu مجموعة؟ كان مُختلِفاً عن جماعة نيزان وأنا، ثم لا يمكنني الرَّدُّ على سؤالِك.

س.د.ب: علاقتك بِماهو[١] مفهومة أكثر، لأنَّه كان فيلسوفاً هو أيضاً، لكنَّ غويل لم يكن فيلسوفاً، في تلك الفترة؛ هل كنتَ تُرجعُ الأدبَ إلى الفلسفة؟

ج.ب.س: لم يكن يتكلَّمُ كثيراً عن الأدب

س.د.ب: كنتما تتحدَّثان عن بروست؟

ج.ب.س: أكيد، كُنَّا نتحدَّث عن بروست، وعن أمورِ الحياة أيضاً، ماذا حدث في الصَّباح، وماذا قال له والده، عن قصص النِّساء؛ الخ، وكُنَّا نتحدَّث كثيراً عن الطَّعام.

---

(١) رونيه ماهو (١٩٠٥-١٩٧٥): أستاذ وموظّف رفيع في الدّولة الفرنسيّة، عمل مديراً عامّاً لليونسكو. كان صديقاً لكلّ من سارتر وسيمون دو بوفوار.

س.د.ب: في تلك الفترة؟

ج.ب.س: لا تنسَي أنَّنا كُنَّا نذهبُ إلى مطعم بيير Chez Pierre!

س.د.ب: كنتما تذهبان إلى مطعم بيير حينما كنتما في دار المعلِّمين؟ كان لديكما ما يكفي من المال لهذا؟

ج.ب.س: في السَّنة الرَّابعة تسلَّمت ميراثي.

س.د.ب: صحيح! هل كنتَ تُطلع غويل على بعضٍ ما كنتَ تكتبه؟

ج.ب.س: نعم، لا سيما في الفترةِ الَّتي تعرَّفنا فيها على السَّيِّدة موريل Morel[١]، حيث أطلعناها على بعضِ الأشياء، أتذكَّر أنَّني غرِقتُ في ضحكٍ جنونيٍّ عندَه وتلك السَّيِّدة بخصوص عبارة... باتِّجاه مُعاكسٍ للشَّمس À rebrousse-soleil».

س.د.ب: حدث هذا لاحقاً، لأنَّكَ كنتَ تعرفني، ثمَّة قصيدةٌ كتبتَها أيضاً تقول فيها: «تترك المرآةُ الفولاذيَّةُ بقايا طعمِ خبّازي في العيون.. تُخفِّفُ التَّضحية بالبنفسج من وقعه»، وهو يعني أنَّ السَّماء خبّازيَّةُ اللُّون، وكانت قصيدتُك مَبعثاً لسُخريةِ رفاقك، كما لم يكونوا مُتحمِّسينَ أيضاً لكتابِك **الغثيان**، إذاً...

ج.ب.س: كانوا نُقَّاداً قُساة؛ يتوقَّعون أنَّ كلَّ ما أقوله كان مُتواضعاً، أرادوا أن أتأخَّر في الكتابة...

س.د.ب: على أيِّ حال، أظنُّ أنَّ قصَّتك **هزيمة**؛ قد أضحَكت تلك السَّيِّدة ذاتَ العينين الدَّامعتين، أليس كذلك؟

ج.ب.س: آه! نعم، ذات العينينِ الدَّامعتين.

---

(١) سميتها في مذكّراتي السّيدة لومير Lemaire.

س.د.ب: كانت لا تتحدَّثُ دائماً عن ذلك المسكينِ فريديريك، حسناً، لِنَعُدْ إلى موضوع الإمكانِ العَرَضيِّ (الحدوث)، كان هناك الإمكان العَرَضيّ (الحدوث)، وكان ثمَّة مضمونٌ فلسفيٌّ في **إر الأرمنيِّ**، ماذا كتبتَ بعد ذلك؟ هل هي **أسطورة الحقيقة**؟

ج.ب.س: كتبتُ أسطورةَ الحقيقةِ في وقتِ معرفتي بكِ.

س.د.ب: زدني عِلْماً عن تلك العلاقةِ بين الفلسفةِ والأدب، أعرف أنَّ ما قلتَه يومَها بأنَّك تريد أن تكونَ سبينوزا وستاندال في الوقت نفسِه؛ قد أثارني، لكن؛ كيف كنتَ ترى تلك العلاقة؟ لم تكن تريدُ أن تكتبَ مجموعتين من الأعمال، إحداهما فلسفيَّة والأُخريات.

ج.ب.س: لا، في تلك الفترة؛ لم أكن راغباً في كتابة أعمال فلسفيَّة، لم أشأ كتابةَ ما يعادل **نقدَ العقل الجدليّ**، أو **الوجود والعدم**، لا، كنت أريدُ أن تظهرَ الفلسفةُ الَّتي أؤمن بها، والحقائق الَّتي أبلغها، في روايتي.

س.د.ب: أي إنَّك، في الحقيقة، كنتَ تريدُ كتابةَ **الغثيان**؟

ج.ب.س: في الحقيقة، كنت أريدُ كتابةَ **الغثيان**.

س.د.ب: نَجحتَ في ذلك، لكنَّ نجاحَك لم يكن مباشراً، إذ بدأ أوَّلاً باتِّخاذ شكلِ الأسطورة؛ كان هناك أسطورةُ الحقيقة، كانت أسطورةُ الرَّجلِ الوحيد.

ج.ب.س: نعم، أسطورةُ الرَّجلِ الوحيدِ استمرَّت لفترة طويلة، وهي ما تزال موجودةً في **الغثيان**.

س.د.ب: نعم، ولكن ليسَ بشكلٍ أسطوريٍّ، **أسطورة الحقيقة** كُتبت بلُغةٍ بالغةِ التَّصنُّع؛ كانت احتفاليَّةً جدّاً، وفيها القليلُ من الحداثة.

ج.ب.س: كتبتُها بأسلوب الأُستاذ: لأنَّ أستاذَ الفلسفة أو الأدب يكتبُ بهذه الطَّريقة، وهو أسلوبٌ تخلَّصتُ منه بعد انفصالي عن أعمال الأساتذة.

س.د.ب: كانت لديكَ أفكارٌ مُحدَّدة وواضحة تماماً حولَ الكثير من الأشياء؛ فقد أجبْتَ في إحدى السَّنوات على استبيانٍ يتعلَّق بالشَّباب، أليس كذلك؟

ج.ب.س: كنتُ في السَّنةِ الأخيرةِ من دارِ المعلِّمين، أو بالأحرى؛ قبلَ الأخيرة، لأنَّني كنتُ أعمل كثيراً في السَّنة الأخيرة. يكفي أن تنظري إلى تاريخ الصُّدور.

س.د.ب: رُبَّما كان لديكَ تصوُّر عن الحياة في مراسلاتِك مع كاميليا Camille، ثمَّة رسالةٌ كتبتَها وأنتَ في التَّاسعةَ عشرةَ من عمرك، مدهشة تماماً؛ لأنَّها تتضمَّن جنينَ نظريَّةٍ هامَّة اعتمدتَها لاحقاً حولَ السَّعادةِ، والكتابةِ، ورفضِ نوعٍ مُعَيَّن من السَّعادة والتَّأكيد على قيمتِك بوصفِك كاتباً، مع أنَّها لم تكن ظاهرةً في وقتها، كيف تشعرُ بهذه القيمةِ تحديداً؟

ج.ب.س: كانت مُطلقة؛ آمنتُ بها كما يؤمن المسيحيُّ بالعذراء، لكنِّي لم أكُنْ أملكُ أيَّ برهانٍ عليها، مع ذلك؛ فقد تكوَّن لديَّ الانطباعُ بأنَّ ما أكتبه، أي هذه الوُرَيقات التَّافهة، وروايات الفروسيَّة، والقصص الأُولى الواقعيَّة، برهانٌ على عبقريَّتي، لم أتمكَّن من البرهان على تلك النَّظريَّة من خلال مضمونها، وأدركتُ بأنَّ الأمرَ لم يكنْ على هذا النَّحو، لكنْ مُجرَّد الكتابة وحدَها، إذا كانت صحيحة، تتطلَّب مؤلِّفاً يتمتَّع بالعبقريَّة، وكتابةُ الأشياءِ الصَّحيحة؛ هي البرهان على العبقريَّة، لا يُمكن للمرءِ أن يتمكَّن من الكتابة إلَّا ليكتبَ أشياءَ صحيحة، والَّتي، من جانب آخر، ليست كتاباتٍ صحيحةً تماماً، إنَّها تتجاوز حدودَ الكمالِ قليلاً إلى ما هو أبعد منه. لكنَّ فكرة: «الكتابة تعني كتابة أشياء كاملة »هي الفكرة الكلاسِّيكيَّة، إذاً؛ لم يكن لديَّ أيُّ إثبات، لكنِّي كنتُ أقول لنفسي إنَّه بما أنَّني أردتُ الكتابة، من ثمَّ كتابةَ أشياء كاملة؛ لا بُدَّ من الافتراضِ بأنِّي سأفعلُها، إذاً، كنتُ الإنسانَ الَّذي يكتبُ أشياءَ كاملة، كنتُ عبقريّاً، وهذا كلُّه مفهومٌ تماماً.

س.د.ب: لكنْ، لِمَ كنتَ تظنُّ نفسَكَ ذكيّاً جدّاً؟

ج.ب.س: لأنَّ ثمَّة مَنْ قالَ لي ذلك.

س.د.ب: لم تكنْ دائماً الأوّل في صفِّك، حينما كنتَ في لاروشيل؛ لم يُعرَف عنْكَ نجاحاتٌ مدرسيَّةٌ كبيرة.

ج.ب.س: ذاكَ ما كان يُقالُ عنّي، ولا أدري ما هو السَّبب، لا شكَّ أنَّ زوجَ أُمّي كان وراءَ ذلك.

س.د.ب: هل كان ذلك بمثابةِ ردِّ فعلٍ على زوجِ أُمّك؟

ج.ب.س: رُبَّما، كنتُ أظنُّ أنَّ أفكاري صحيحة، وأفكارَه مُحدَّدة بالعلوم فقط.

س.د.ب: لَمْ يسبقْ لكَ أن تحدَّثتَ عن الأمر أبداً، وهو من الأشياء الهامَّة؛ ما هي التَّأثيرات الَّتي تركها زوجُ أُمّك عليكَ، منذ أن كنتَ في الحاديةَ عشرةَ وحتَّى بلغتَ التَّاسعةَ عشرةَ من عمرك؟ كان لديكَ زوجُ الأُمِّ، رجلُ العلمِ هذا، الَّذي لا تُحبُّه بطبيعة الحال، لأسبابٍ عاطفيَّةٍ كثيرة، لأنَّه سرقَ أُمّك منكَ، ليس هذا ما جعلك ضِدَّ العلوم، في كل الأحوال؛ كانت طفولتُك موجَّهةً نحوَ الأدب، لكن: هل يُمكنُكَ أن تشرحَ هذا قليلاً؟

ج.ب.س: نعم، لن نتحدَّث عن آنهِ Maintenant، [لحظته الحاضرة] لا سيما أنَّه لم يكنْ له أيُّ تأثير على ماهيَّة الكتابة، أطلعتُ أُمّي على بعضِ كتاباتي وأنا في الرَّابعة عشرة من عمري، فكانت تقول: «جميل، إنَّه مُبدَعٌ بشكل جيِّد»، لم تكن تُطلع زوجَها عليها، لأنَّه لم يكن يكترث بها، كان يعرف بأنّي أكتب، لكنَّه لم يكن يهتمُّ، فضلاً عن هذا، فإنَّ هذه الأوراقَ لم تكنْ تستحقُّ إلَّا عدمَ الاكتراث، لكنّي كنتُ أعرفُ أنَّ زوجَ أُمّي لم يكنْ يهتمُّ بها، فتحوَّلَ إلى نمطِ الإنسان الَّذي أكتب ضِدَّهُ طيلةَ حياتي؛ الكتابةُ كانت ضِدَّه، لم يكن يلومني، إذ كنتُ حُرّاً في القيامِ بذلك، لأنّي كنتُ يافعاً جدّاً، وحُرٌّ في القيام بذلك بدلاً من اللَّعب بالكرة، لكنَّه، في الحقيقة كان ضِدّي.

س.د.ب: لكن، قل لي بصدقٍ لماذا؟ هل كان يرى أنَّ الأدبَ شيئاً تافهاً؟

ج.ب.س: كان يرى أنَّ ابنَ الرَّابعة عشرةَ لا يستطيعُ اتِّخاذَ قرارٍ بممارسةِ الأدب، لم يكن هذا، بالنِّسبة إليه، مُرتبطاً بأيِّ شيء، كان يرى أنَّ الكاتبَ إنسانٌ عمرُهُ ثلاثون عاماً أو أربعون، وأنتج عدداً من الكتب، لكنَّ كتابةَ مَنْ في الرَّابعة عشرة؛ لا تستحقُّ الاهتمام.

س.د.ب: دعني أعُد إلى السُّؤال: لماذا كنتَ تشعر بأنَّك ذكيٌّ؟ ففي لا روشيل كنتَ بالأحرى مُضطَهداً، إذاً؛ ليسَ رفاقُك هم مَنْ يشهدون لكَ بالذَّكاء، من جانب آخر؛ سبق أن قُلتَ لي إنَّ فترةَ دراستك في لاروشيل لم تكنْ مُتميِّزة.

ج.ب.س: لم أكنْ أعُدُّ نفسي ذكيّاً.

س.د.ب: بلى، لأنَّك قلتَ لي، قبل قليل، إنَّك بالتَّأكيد ذكيّ.

ج.ب.س: بعدَ تلك الفترةِ على وجهِ الخصوص؛ حينما صرتُ في صفِّ البكالوريا.

س.د.ب: والله ! كيف كنتَ في لا روشيل؟

ج.ب.س: لم أكنْ كذلك في لاروشيل، في لاروشيل؛ درستُ الصَّفَّ التَّاسع والعاشر والحادي عشر، لم أكُنْ أظنُّ نفسي ذكيّاً؛ لأنَّ الكلمة لم تكُنْ موجودةً بالنِّسبة لي، لكنَّ هذا لا يعني أنِّي كنتُ أرى نفسي غبيّاً، بل أعتقد بأنِّي عميق، إذا جازَ للطِّفل أن يستخدمَ هذه العبارة، كنت أظنُّ، إذا شئتِ، أنَّني قادرٌ على تحريكِ الأشياءِ الَّتي لا يُحرِّكها رفاقي في نفوسهم.

س.د.ب: لهذا، بمناسبةِ حديثنا عن زوجِ أُمِّك؛ كنتَ تظنُّ، وأنت في الرَّابعةَ عشرةَ من عمرك، أنَّك تفهم الأشياءَ أكثرَ منه.

ج.ب.س: كنتُ أظنُّ أنَّه أذكى منِّي.

س.د.ب: آه، كنتَ تظنُّ أنَّه أذكى منك؟

ج.ب.س: نعم، لأنَّه كان يعرف الرِّياضيَّات، وقد بدا لي هذا بمثابةِ ذكاء، أي في الرِّياضيَّات.

س.د.ب: لكن، هل كنتَ تعتقدُ بأنَّك تملكُ شيئاً لا يملكه؟

ج.ب.س: نعم، كوني أكتب، فعلُ الكتابةِ جعلني مُتفوِّقاً عليه.

س.د.ب: وفعلُ التَّفكير أيضاً، حينما كان يناقشك ـ كنتَ في الرَّابعةَ عشرة، أو الخامسةَ عشرة من عمرك ـ هل كنتَ تظنُّ بأنَّه كان يتحامَق؟

ج.ب.س: لا،كان من الصَّعب عليَّ الحكمُ على مايقول، فقد كانت أفكارُه مختلفةً وبعيدةً عن أفكاري، لكنِّي لم أكنْ أرى اللَّحظة الَّتي ينتقل فيها إلى الجانب السَّيِّئ، كان ينطلقُ من الرِّياضيَّاتِ، والفيزياءِ، والمعرفةِ التِّقنيَّةِ، ومن كلِّ ما يجري في المصنع، ولديه عالَمٌ متكوِّن تماماً، وفضلاً عن ذلك؛ فقد قرأ كُتباً لا قيمة لها، لكنَّها كانت معروفةً في تلك الفترة.

س.د.ب: ألم يكنْ مهندساً مُنغلقاً تماماً؟

ج.ب.س: لا، لا، لقد قرأ كُتباً قرأتُها وأقدِّرها، لاحظي، هذا ما يفعله كثيرٌ من المهندسين في تلك الفترة، وهو ما كان يَضعُني في حالةٍ من الضِّيق.

س.د.ب: بالعودة إلى هذه المرحلةِ الَّتي لم تتحدَّثْ عنها إلَّا لماماً، أي الفترة الممتدَّة من الحاديةَ عشرةَ إلى التَّاسعةَ عشرةَ من عمرك، هل كان لديك مواقف سياسيَّة؟ لا أقول أفكار، أو نظريَّات، لكن هل كنتَ، في هذا العمر، موجَّهاً بطريقة مُعيَّنة؟

ج.ب.س: في عام ١٩١٧؛ كنتُ ورفاقي مهتمِّين بالثَّورة الرُّوسيَّة...

س.د.ب: كم كانَ عمرك؟ كنتَ صغيراً، في الثَّانية عشرة؟

ج.ب.س: نعم، كنتُ في الثَّانيةَ عشرةَ من عمري، وهذا لم يُثِر شغفي.. تساءلنا، بنحو خاصٍّ، عمَّا إذا كُنَّا قادرين على قهرِ ألمانيا، رغمَ السَّلامِ المنفصل مع الاتِّحاد السُّوفييتيِّ، هذا كلُّ ما في الأمر.

س.د.ب: كيف كنتَ تشعرُ بالعالم آنذاك؟

ج.ب.س: كنتُ ديمقراطيّاً كما تعرفين، فجدّي الجمهوريّ؛ ربّاني على حُبّ التَّوجُهِ الجمهوريّ، وهو ما ذكرته في **الكلمات**.

س.د.ب: هل كانَ هذا يُسبّبُ صراعاتٍ بينَك وبينَ زوجِ أُمّك ؟ أن تكونَ ديمقراطيّاً وجمهوريّاً، هل كان هذا يتمثّل في شيءٍ مُعَيَّن؟

ج.ب.س: لا، زوج أُمّي كان جمهوريّاً أيضاً، إذا شئت، لم نكن نشتركُ في التَّوجُه الجمهوريّ نفسِه، لكنَّنا لم نكتشفْ هذا إلّا رويداً رويداً؛ لأنَّ توجُّهي الجمهوريّ عبارةٌ عن كلمات؛ توجهٌ نحوَ مجتمعٍ يحظى فيه الجميع بالحقوق نفسها.

س.د.ب: إذاً، ألم تشهدْ تلكَ الفترةُ أيَّ صراعٍ خاصٍّ بينَك وبينَ زوجِ أُمّك حولَ هذه المسائل؟

ج.ب.س: لا، حدثَ ذلكَ لاحقاً، حينما دخلتُ ثانويَّةَ باريس.

س.د.ب: في الحقيقة، اتَّضحَ كلُّ شيءٍ في باريس، وتفتَّح، وترسَّخ كلُّ ما كان كامناً وموجوداً عندك في لاروشيل، بشكل آخر، في باريس ظننتَ فعلاً بأنَّك ذكيّ، وجاءتك فكرةُ العبقريَّة ؟

ج.ب.س: لا، جاءتني قبلَ ذلك.

س.د.ب: كانت لديكَ قبلَ ذلك؟

ج.ب.س: نعم، نعم، العبقريَّة ليستْ الذَّكاء، العبقريَّة هي إمكانيَّةُ تأليفِ كتابٍ كاملٍ (مثالي)، ثمَّ، نسيت تفصيلاً كان وراءَ قدومي إلى باريس جزئيّاً، هو أنَّني سرقتُ مالاً من زوجِ أُمّي وأنا في الصَّف العاشر، وهو المالُ الَّذي كان يُعطيه لأُمّي.

س.د.ب: حدِّثني مرَّةً أُخرى عن هذه القصَّة، لأنَّك سبقَ ورويتَها في الفيلم، لكنَّنا لانعرفُ إنْ كان سيُعرض أم لا، فهي قصَّةٌ هامَّة.

ج.ب.س: حسناً، كانت لديَّ حاجاتي.

س.د.ب: نعم، أعرف، رغبتُكَ في أن تكونَ على قدمِ المساواة مع رفاقك، والتَّمكُّن من الذَّهاب إلى المسرح، وتقديم بعض الأشياء لهم.

ع.ب.س: كأن أشتري لهم الحلوى، أتذكَّر أنَّنا ذهبْنا إلى محلِّ الحلويَّات الكبيرِ في لاروشيل، وأكلنا حلوى الباباس بنقودِ والدتي.

س.د.ب: إذاً، كانت لديكَ حاجاتُك.

ع.ب.س: نعم، كانت حقيبةُ والدتي في إحدى الخزائن، وفيها دائماً كلُّ نقودِ الشَّهر، لها وللأشياء الَّتي عليها شراؤها كالطَّعام، على سبيل المثال، كانت مليئةً بالأوراق النَّقديَّة، فأخذت منها بعضَ الفرنكات أوَّلاً، وكانت تعادلُ الكثيرَ من فرنكات اليوم، ثمَّ الأوراق النقديَّة، بحذرٍ إلى حدٍّ ما؛ خمسة فرنكات من هنا، وفرنكين من هناك، فوجدتُ نفسي، ذاتَ يومٍ من شهرِ أيَّار، وبحوزتي سبعونَ فرنكاً، وهو مبلغٌ ضخمٌ لشخصٍ في الثَّامنةَ عشرةَ من عمره، ذاتَ يوم؛ كنتُ مُتعباً، فصعدتُ إلى غرفتي لأنامَ مُبكِّراً، أيقظتني أُمِّي في اليوم التَّالي، وأرادت أن تعرفَ إن كان حالي على ما يُرام، وكانت سُترتي الَّتي وضعتُ فيها كنزي كلَّه من أوراق وقطع نقديَّة؛ فوقَ ساقي لمزيدٍ من الدفء، عندئذٍ أخذَتْها من دونِ قصد، فسمعَتْ أصواتَ القطع النَّقديَّة الَّتي كانت تصطدمُ ببعضها في داخلها، دسَّتْ يدَها؛ فوجدَتِ الأوراقَ والقطعَ النَّقديَّة؛ فأخرجَتْها فوراً وقالت: ما هذه النُّقود؟

س.د.ب: غريبٌ أنَّها لم تلحظْ ذلكَ قبلَ قيامِك بالسَّرقة، وهو أمرٌ مستحيلٌ مع أُمِّي، أُمُّك لم تكنْ تحسِبُ نقودَها، ألم تكنْ تعرفُ كم لديها منها في الحقيبة؟

ع.ب.س: لا.

س.د.ب: أكمِل، وجَدَت الأوراقَ النَّقديَّة والفرنكات...

ع.ب.س: قلت لها إنَّها نقودٌ سرقْتُها للمزاح من كاردينو؛ كانت أمه قد أعطته إيَّاها، وأنوي إعادتَها اليوم، قالت أُمِّي: «حسناً، أنا مَن سيعيدُها إليه،

خُذني إليهِ اليومَ لأسألَه عن هذا الأمر». كان لهذا وقعٌ سيِّئٌ عليَ، لأنّي لم أعرفْ كيفَ اخترتُ اسمَ كورديانو هذا، إذ كان من ألدِّ أعدائي. ذهبتُ صباحاً إلى الثّانويَّة، وكان لقائي بِكورديانو بمثابةِ لقاءِ الشَّيطان، وكاد أن يلكمَني على وجهي، لكنْ تدخَّل آخرون ومنعوه، واتَّفقنا على أن يأتي، ويسترجعَ النُّقود، وأن يعيدَ إليَّ ثلاثةَ أخماسِها، ويحتفظ بالخُمسَين لنفسه. جاء وقابَلَتْهُ أُمّي بخطابٍ أعجبَه كثيراً، قالت فيه: على المرءِ ألّا يتركَ نفسَه عُرضةً لسرقةِ أشيائِه على هذا النَّحو، وينبغي الحذر، في مثل هذا العمر، إلخ. تسلَّم النُّقودَ وغادر، ليشتري لنفسِه مِصباحاً كهربائيّاً، لكنَّ والدةَ كاردينو اكتشفَت هذا كلَّه بعدَ يومين، وكان قد أعطى المبلغَ الَّذي يدين لي بهِ إلى رفاقٍ لم يعيدوه إليَّ مباشرةً. لامَتْني والدتي وزوجُ أُمّي، وإلى ما هنالك.

س.د.ب: نعم، لكنَّ السَّيِّدة كاردينو الأمّ، جاءت لتسألَ عن هذه النُّقود.

ج.ب.س: نعم، عندها فهمَتْ أُمّي كلَّ شيء، ووبَّختني. أُهملتُ لبعض الوقت ـ كنتُ في الصَّفِّ الثَّامن ـ وأذكر أنَّ جَدّي جاء مع جدَّتي إلى باريس، وعلم بكلِّ ما جرى، فتضايقَ جدّاً، وذاتَ يومٍ رافقتُه إلى الصَّيدليَّة، فدخلَ، وتركَ قطعةً نقديَّةً من عشرِ سنتيمات تقع على الأرض، فأصدَرت صوتاً، وسارعتُ لالتقاطها، أوقفني وانحنى هو نفسُه لالتقاطها وثنى ركبتيه المتعبتَين، لأني لم أعُدْ جديراً بالتقاطِ القطعِ من الأرض.

س.د.ب: لا بُدَّ أنَّك تأثَّرتَ قليلاً، فهذا الحدَثُ من النَّوع الَّذي يؤثر في الأطفال.

ج.ب.س: نعم، أثَّرَ ذلك فيَّ قليلاً، إضافةً إلى أنَّ علاقاتي برفاقي لم تكنْ جيِّدة.

س.د.ب: إلى أيِّ مدىً أثَّرَ هذا في ما تكتبُ من الأدب؟ أحياناً تقولُ إنَّ هذه الحادثةَ علَّمَتْك العُنف.

ع.ب.س: نعم، علَّمتني العُنفَ، عادةً؛ لم أعرف عن العُنفِ سوى لكمةٍ تُعطيها أو تستقبلها، في ثانويَّة باريس كان الأمرُ على هذا النَّحو، لكن في ثانويَّة لاروشيل؛ كانوا ينظرون إلى الحربِ نظرةً جديَّة؛ فالعدوُّ كان دائماً هو العسكريُّ الألمانيُّ Boche.كانوا عنيفين.

س.د.ب: باللّه عليك! كان ذلكَ خلالَ الحرب: إنَّه أمرٌ هام.

ع.ب.س: كان ذلكَ خلالَ الحرب، نعم، وهناكَ تعلَّمْتُ العُنفَ، أولاً؛ مارسوه ضدِّي، لأنَّني كنتُ «مَطَبَّة» souffre-douleur، ثمَّ مارسوه على بعضهم، كان الكلامُ يدور حولَ الحرب، وهل ستُقتل أم لا، وما إلى ذلك، كان لديهم أهل، وكان والدُ أحدِهم مُشاركاً في الحرب، إذاً، نعم؛ تعلَّمْتُ العنفَ هناك، وهو شيءٌ هام.



العنفُ والعبقريَّةُ والذَّكاء

س.د.ب: دعنا نستأنفْ محادثةَ الأمس، قُلتَ إنَّ ثمّة موضوعَين سنتحدَّث عنهما اليوم، بل هناك ثلاثة، كيف تعاملْتَ مع العُنف، وكيف أثَّر في عملك، هناك قضيَّةُ الانتقالِ من الرّيف إلى باريس، بدا لي أنَّك، بالأمس، أردتَ القولَ إنَّ الأمرَ كان هامّاً، ثمَّ لدينا فكرتُكَ حولَ العبقريَّة، والفرق الَّذي تقيمه بين العبقريَّة والذَّكاء، بماذا تريد أن نبدأ؟

ج.ب.س: أولاً، العنف، كان واقعاً يوميّاً؛ عنفُ الحرب، ثمَّ العنفُ الصَّغير الَّذي يمارسه أولئكَ الأولاد المحرومين من آبائهم، كنتُ أُصادِفُ العنفَ من قريبٍ أو من بعيد، لاسيما وأنَّني كنتُ موضوعه، في أغلب الأحيان، الموضوع الَّذي أقصدُه هنا؛ ذلكَ القائمُ في الثَّانويَّة، بمعنى تعرُّض المرء للضَّرب، فهم لا يضربونَك بوصفِكَ عدوّاً، بل كرفيق، لمنعِكَ من الوقوع في الخطأ، أو لمصالحتِك مع أحدِهم، أو ليجعلوا منكَ مادَّةً للتندُّر، لايهمُّ، إنَّهم يضربونَك باسم الصَّداقة، ما كان مُهمّاً هو انتماؤنا المشترك إلى الثَّانويَّة نفسها الَّتي كان لها عدوَّان كبيران؛ أولاً: مدرسةُ الآباء، وهي مدرسةٌ دينيَّةٌ، ومن جانب آخر؛ الزُّعران، أو كما كُنَّا نسمِّيهم الزُّعران الصِّغار الَّذين لا ينتمون بالضَّرورة إلى المدارسِ، قد يكونون صبياناً يمارسونَ حرفةً مُعيَّنةً، أي أولادٌ مثلُنا في الثَّانيةَ عشرةَ أو السَّادسةَ عشرةَ من العُمر، كُنَّا نصادفُهم ونتعاركُ معَهم، من دون أن نعرفَهم، كانوا يأتون إلينا فنتبادل اللَّكمات، أتذكَّر، بنحوٍ خاصٍّ، أنَّني كنتُ أرافقُ والدتي لشراءِ بعضِ الحاجيَّات بعد خروجي من المدرسة، فالتقيتُ أحدَ هؤلاء الزُّعران في أحد الشَّوارع الَّتي تتوسَّط لاروشيل، الَّذي يُفضي إلى

بابٍ فوقَه ساعةٌ كبيرة، فتعاركتُ وإيَّاه وارتمينا فوقَ الشَّارع، وتبادلنا اللَّكماتِ بالأيدي والأرجل، إلى أن خرجَتْ أُمِّي مندهشةً من رؤيتي على الأرضِ ممسكاً بخصمي، شعرتُ بيدها وهي تنتزعني من هذه الورطة؛ كُنَّا نتضارب جدِّيّاً.

س.د.ب: حينما كنتم تتعاركون مع الزُّعران، أو مع أولادِ المدرسةِ الدِّينيَّة، ألا يعني هذا أنَّك كنتَ مُتَّفقاً مع رفاقِك الَّذين كانوا يضطهدونك في العادة؟

ج.ب.س: لو صادفَ أنْ مرَّ أحدُهم من هناك؛ فسينضمُّ إليَّ لضربِ الأزعر.. ذلك كان تحالُفاً بين تلاميذ الثَّانويَّة. أنا لم أكن أنتمي تماماً إلى الثَّانويَّة، لأنِّي كنتُ باريسيّاً، ولأنَّ لي لغةً وطريقةَ حياة لا تُشبهان لغةَ وطريقةَ عيش رفاقي، ومع ذلك؛ فقد كان لي بعضُ الأصدقاء الَّذين كنتُ أروي لهم بعضَ القصص الَّتي لا يصدِّقونها، مثلاً، عندَ وصولي إلى الثَّانويَّة، قلتُ لهم إنَّه كان لديَّ صديقةٌ في باريس، نذهبُ أيَّام السَّبت والأحد لممارسةِ الجنسِ في أحد الفنادق، وبما أنِّي كنتُ في الثَّانيةَ عشرةَ من عمري، وقامتي أقصر من المتوسِّط؛ كنتُ أبدو لهم مُضحكاً، لظنِّي بأنِّي كنتُ أفاجئهم، كنتُ ضحيَّةَ نفسي، لأنِّي كنتُ أظنُّ بأنِّي إن أدهشتُهم فسيغرقونَ في إعجابهم بي.

س.د.ب: كيف كنتَ تتصرَّف؟ أكيد أنَّ هذه الخصومة كانت تؤثِّر فيكَ بشكل عميق، أم بقي ذلكَ ضمنَ إطار اللَّعب؟ ما الَّذي تعلَّمتَه من هذا عن الحياة؟

ج.ب.س: لم يكن ذلك يبدو لهم ضمنَ إطارِ اللَّعب، كما لم يكن يبدو كذلك بالنِّسبة لي، كنتُ أشعرُ أنَّ نوعاً من سوء الحظِّ يثقل عليَّ، فتعاضمنت تعاستي وصرتُ مادَّةً للمُزاح والضَّربات في أغلب الأحيان، فأحسَستُ بدونيَّتي، وهو ما لم أكنْ عليه في ثانويَّة هنري الرَّابع في باريس، كانت تصادفني صعوباتٌ، سببُها العمر، وكان لي أصدقاء، لكن كنتُ أجدُ صعوباتٍ مع الآخرين. لم يخل الأمر من مجموعة كنتُ مُتضامناً معها تماماً في ثانويَّة

هنري الرَّابع، بينما، في لاروشيل، كان لي أصدقاء، أعطف عليهم. وأُكرِّر القولَ بأنَّهم لم يكونوا يريدونَ إيقاعَ الضَّرر بي، أو السُّخرية منِّي، كُنَّا أصدقاء؛ يضربُ الواحد مِنَّا الآخر، وهو ما آلمني، من ناحية أُخرى؛ لم تكن علاقتي بزوج أُمِّي مثاليَّة، وأظنُّ أنِّي أمضيتُ هناك أتعسَ سنواتِ حياتي.

س.د.ب: هل كان لهذا كلّه تأثير على تطوُّرك المستقبليّ؟

ج.ب.س: أظنُّ نعم. أولاً، أظنُّ أنَّ العُنفَ الَّذي تعلَّمته، لم يُفارق ذهني أبداً، ومن هذا المنظار؛ صرتُ أنظرُ إلى العلاقاتِ بين النَّاس، ولم تصبح علاقاتي ناعمةً مع أصدقائي لاحقاً؛ إذ بقيَتْ أفكارُ العنفِ تحكمُ علاقاتِهم ببعضهم، أو علاقاتهم بي، أو علاقاتي بهم، لكن لم يكن هذا عَجزاً عن إقامةِ الصَّداقة، بل دليلٌ على أنَّ العنفَ يفرضُ نفسَه على علاقاتِ النَّاسِ ببعضهم.

س.د.ب: لكن؛ ألم يكنْ ثمَّة دورٌ لعلاقاتك بِماهو Maheu وغويل Guille ونيزان Nizan حينما كنتم في ثانويَّة هنري الرَّابع، وبعدها في دار المعلِّمين؟

ج.ب.س: نيزان، بالتَّأكيد لا، أما بالنِّسبة لِغويل وماهو؛ لم أتصوَّر يوماً أنَّني سأوجِّهُ لكمةً إلى أحدهما أبداً، لكنِّي كنتُ أحسُّ بوجود مسافةٍ بيننا، وإمكانيَّة وقوعِ عنفٍ بيننا.

س.د.ب: هل كان لهذا أثرٌ على دورِكَ، حينما أصبحتَ في دار المعلمين، مع مجموعة كانت تقذف [قنابل مائية].

ج.ب.س: نعم، كان ذلك استمراراً، وأراهُ طبيعيّاً، فرميُ قنابلَ مائيَّة على أُناسٍ يعودون مساءً إلى بيوتهم وهم يرتدونَ بِزَّاتِ (السموكينغ)، كان يبدو لي ذلك طبيعيّاً، في لاروشيل كان الأمرُ مختلِفاً؛ حينما كُنَّا نتصارع مع الزُّعران؛ نجعل من أنفسنا بورجوازيِّين من خلالِ هذا الصِّراع، لم أكنْ أُفكِّر في ذلك كثيراً، لكنِّي كنتُ أرى أنَّ مَنْ حولي كان يرى الأمرَ على هذا النَّحو. قتال الزُّعران؛ يعني أن تجعلَ من نفسِك بورجوازيّاً.

س.د.ب: لكنَّك لم تصبحْ إنساناً عنيفاً بعد ذلك، أليس كذلك؟

ج.ب.س: كنتُ أتعرَّض للضَّرب من وقتٍ لآخر في دار المعلِّمين.

س.د.ب: حينما تعرَّفتُ إليك؛ كانت تنتابُكَ نوباتٌ من الغضب، كنتَ إنساناً غضوباً إلى حدٍّ ما، لا سيما في الصَّباح، لكنَّ ذلكَ لم يتحوَّل إلى عُنفٍ أبداً.

ج.ب.س: لا.

س.د.ب: هل لهذا علاقةٌ بنوعٍ من العُنف في مفرداتِك؟حينما تعرَّفتُ إليك كنتَ تُسمِّي الأشياءَ بطريقة فَظَّة؛ وهو ما لم يكن حِكراً عليك على أيِّ حال؛ فقد لجأ كلٌّ من نيزان وماهو إلى هذا أيضاً، هل ثمَّة علاقة؟

ج.ب.س: كان ذلك شكلاً مُخفَّفاً، مُجرَّداً من العنف، وكُنَّا جميعاً نحلم بفلسفةٍ بسيطة وعنيفة من شأنها أن تكونَ فلسفةَ القرن العشرين، تخيَّل نيزان عالماً من العُنف في الوقت الَّذي كان يقرأ ديكارت.

س.د.ب: هذا النَّوع من العنف الَّذي كان يدفعكُم إلى القتال ضِدَّ الزُّعران، كان له جانبٌ يمينيٌّ فاشيٌّ تقريباً.

ج.ب.س: لا، ليس فاشيّاً، بكل تأكيد، لكنَّه يمينيٌّ، نعم، كما قلتُ لكِ، كُنَّا بورجوازيِّين.

س.د.ب: وكيفَ تخلَّصتَ من هذا؟

ج.ب.س:لم أكن أشعر أنَّني كذلك فعلاً، ثم إنِّي قدمتُ إلى باريس...

س.د.ب: هل كان الانتقالُ من الرِّيف إلى المدينة هامّاً بالنِّسبة لك؟

ج.ب.س: لم أشعر بذلك مباشرةً، رأيتُ نفسي مَنفيّاً من عالمٍ صغيرٍ اعتدتُ عليه، كان ذلك في الصَّفِّ العاشر، ولم يعُدْ أمرُ القتالِ أو عدمه مطروحاً: كانت علاقاتي طبيعيَّةً مع رفاقي، مع أنَّها تبعث على الضَّجر، لكنِّي، في نهاية المطاف، أحببْتُ هذا الوسطَ بعدَ أن تكيَّفتُ مع لاروشيل، جئتُ إلى باريس؛ لأنَّ لِجدِّي، أستاذ اللُّغة الألمانيَّة، زملاءَ من المدراء يعرفونه، فدبَّروا

لي مكاناً في ثانويَّة جيِّدة، ولكي أتخلَّصَ من خطأ السَّرقة الفظيع الَّذي ارتكبتُه في السَّنة السَّابقة مع كاردينو.

س.د.ب: لكنَّكَ قُلتَ لي إنَّ تلك السَّنوات كانت أكثرَ السَّنوات تعاسةً، بينما تقول لي الآن؛ إنَّكَ كُنتَ مُتكيِّفاً مع الحياة في لاروشيل، كيف ذلك؟

ج.ب.س: السَّنتانِ التَّعيستانِ هما اللَّتانِ قضيتُهما في الصَّفينِ الرَّابعِ والخامسِ، بينما تكيَّفْتُ في الصَّف العاشر.

س.د.ب: كيف شعرتَ لدى وصولِك باريس؟ قلتَ ليَ البارحة إنَّكَ عِشْتَ هناك شيئاً هامّاً، هو وجودك في مدرسةٍ داخليَّة، بينما كنت تعيشُ قبلَ ذلك ضمنَ عائلة، كيف كان شعورُكَ وأنت في المدرسة الدَّاخليَّة، مع أصدقاءَ جُدد؟

ج.ب.س: لم أعُدْ أتذكَّر جيِّداً، أعرف أنَّني التقيتُ بولدَينِ عرفتُهما في الصَّف السَّادس والسَّابع؛ نيزان الَّذي كان في المدرسةِ الدَّاخليَّة أيضاً، وبيركو Bercot، هذا الولد الرَّائع، والتِّلميذ الجادّ، لكنَّه كان من خارج المدرسة.

س.د.ب: تحدَّثتَ عنه في **الكلمات**، على ما يبدو لي.

ج.ب.س: تلكَ كانت لقاءاتي الأُولى، بعدها؛ التقيتُ بالكثيرين غيرهما.

س.د.ب: هل تكيَّفتَ بسهولةٍ مع حياة المدرسة الدَّاخليَّة؟

ج.ب.س: كنتُ خائفاً منها، لأنَّي قرأتُ عدداً كبيراً من كتبِ القرنِ التَّاسعَ عشرَ عن أولادٍ يصبحون تُعساءَ لأنَّهم دخلوا هذه المدارسَ الدَّاخليَّة، وبدت لي مقولةٌ: تلميذٌ داخليٌّ يعني التَّعاسة؛ مقولةً كلاسّيكيَّة.

س.د.ب: لكن، ما هي الحقيقة؟

ج.ب.س: التقيتُ نيزان مرَّةً أُخرى، واستعدتُ علاقتي به، وكانت أعمقَ من تلك الَّتي تربطني بالسَّابقين، وبدأنا بالارتباط ببعضنا بشكل حميم. علاقة الثُّنائيّ سارتر ونيزان كانت واضحةً جدّاً.في صفِّ الفلسفة في ثانويَّة هنري

الرَّابع، كُنَّا نذهب إلى الدِّراسات الأُولى من المرحلة العليا، ونتعرَّف على التَّلاميذ، ونعيرهم الكتب، وهناك تعرَّفت إلى كونراد وآخرين.

س.د.ب: هل كان نيزان يرغبُ في الكتابة أيضاً، خلال تلك الفترة؟

ج.ب.س: كان نيزان يريد الكتابةَ منذُ أن تعرَّفت عليه، حتَّى في الصَّفِّ السَّادس، كانت لديه رغبةٌ في الكتابة، انتابني شعورٌ قويٌّ، في البكالوريا، حينما وجدتُ شخصاً في مستواي، يريد الكتابةَ الَّتي طالما أرادها، أعني نيزان، بيركو كان مُختلفاً قليلاً؛ كان يريد الكتابةَ أيضاً، لكنَّه قليلاً ما كان يتحدَّث عن ذلك، وهو ما ربطنا ببعضنا، وكان التَّلاميذُ الآخرون يعرفون بأنَّنا نريدُ الكتابةَ، وبالتَّالي؛ كانوا يُكنُّون لنا الاحترام، كنت في البكالوريا A، وبطبيعة الحال؛ كنتُ أدرس اللُّغة اللاتينيَّة واليونانيَّة على يد جورجيان Georgien الَّذي تحدَّثتُ عنه سابقاً، كنتُ أعملُ بشكلٍ جيِّد لأنِّي انتهيتُ إلى حيازةِ جائزةِ التميُّز، وهو ما كان بعيداً عمَّا صبوتُ إليه في لاروشيل.

س.د.ب: هل كان نيزان يعملُ بشكلٍ جيِّدٍ أيضاً؟

ج.ب.س: كان نيزان يعملُ بشكلٍ لا بأس به، كان «نَطناطاً» أكثر منِّي، كثيرَ الاهتمامِ بمشاويره، وبالوسط الَّذي يعاشره، وبالنَّاس الَّذين يراهم، وبأصدقاءِ عائلته، وبالاجتماعاتِ، والفتياتِ، وكلُّ هذا، لكنَّه كان مُتعلِّقاً جدّاً بالعملِ الفكريِّ، وبعملِ الكاتب.

س.د.ب: هل كانت تتملَّكه أيضاً فكرةُ أن يصبحَ كاتباً كبيراً، لِنَقُلْ، عبقريّاً، بطريقة ما؟

ج.ب.س: نعم، تحدَّثنا عن هذا قليلاً مع بعضِنا، لكن...

س.د.ب: كنتَما تقولان إنَّكما إنسانَين أمثلين Surhommes. هل كانت هذه التسمية تسليكما؟

ج.ب.س: نعم، تحدَّثنا عن هذا قليلاً، وكُنَّا نُعطي نفسَينا أسماءَ بروتانيَّة مثل: Ra وBako.

س.د.ب: لماذا أسماء بروتانيَّة؟

ع.ب.س: لأنَّ نيزان كان بروتانيّاً.

س.د.ب: بالله عليك! ماهي فكرةُ العبقريَّةِ تلك بالتَّحديد، التي ترها ملَّازمةً لفعلِ الكتابة ؟

ع.ب.س: إنَّها فِطريَّة، لأنَّنا نكتب لنفعلَ شيئاً جيِّداً؛ لنُخرِج من ذاتنا شيئاً ذا قيمة يمثِّلنا، فقد نجدُ الإنسانَ في كتابه. لم أعرف بروست إلَّا من خلال كتابه، وأنتِ أيضاً، فالتَّعاطف أو النُّفور الَّذي كُنَّا نُكنّه له؛ سببُه كتابُه. إذاً؛ هناك الإنسانُ الحاضر في كتابه، وقيمةُ الإنسانِ تأتيه من الكتاب.

س.د.ب: إجمالاً، هي الفكرة الكانطيَّة: الوجوبُ يمنحُ الاستطاعة Tu dois donc tu peux، إذا كان عليكَ أن تصنعَ كتاباً جيِّداً؛ فهو التزامك، خيارك: أردتَ أن تصنعَ عملاً عظيماً، وبالتَّالي، فأنتَ قادر على أن تجعلَ منه شيئاً، الوجوب يعني الاستطاعة.

ع.ب.س: حتماً هو كذلك، الوجوب يعني الاستطاعة، لقد اخترتُ أن أصنعَ عملاً؛ اخترتُ ما خُلِقْتُ لفعلِهِ، الحقيقة أنَّها مقولةٌ كانطيَّة إلى حدٍّ كبير، لكنَّ الأخلاقَ الكانطيَّة الشَّكليَّة العامة؛ تُهمِل المعطيات الحادثة (الممكنة عَرَضيّاً) Contingentes، على المرء أن يتصرَّف في موقف مُعيَّنٍ آخذاً بعين الاعتبار السِّماتِ الفطريَّة للنَّاس الموجودين فعلاً، وليس وجودهم المجرَّد فحسب.

س.د.ب: على هذا الصَّعيدِ بالتَّحديد؛ كنتَ مُجرَّداً، ولديكَ رؤيةٌ للمستقبل؛ مُجرَّدةٌ تماماً أيضاً، هل تبدَّى ذلك لديك بنوعٍ من الكبرياء، والقناعة، واحتقار الآخرين، أو التَّسامي؟ كيف كُنتَ تعيشه؟

ع.ب.س: لا شكَّ، كانت هناكَ لحظاتٌ من التَّسامي (التَّعالي)، لم أشعرْ بعبقريَّتي إلَّا في حالاتِ الحدس السَّريعة، أمَّا في ما عدا ذلك؛ فلمْ يكن سوى

شكلٍ من دونِ مضمون، والتَّناقضُ الغريبُ هو أنّي لم أعدَّ أعمالي عبقريَّةً، مع إنِّي صنعتُها ضمنَ قواعد؛ أعتبرُ أنَّها تفترض العبقريَّة.

س.د.ب: إجمالاً، العبقريَّة دائماً مُستقبليَّة.

ج.ب.س: نعم، دائماً مُستقبليَّة.

س.د.ب: تعرفُ جيِّداً بأنَّ أعمالَك في تلك الفترة ـ تلك الَّتي تحدَّثْنا عنها البارحةَ مثل **يسوع الجميل**، **ملاك السَّقيم**، وار **الأرمنيّ** ـ لم تكن جيِّدةً جدّاً.

ج.ب.س: لم تكن جيِّدةً جدّاً، لم أقُلْ هذا، بل كنتُ أعرفُ أنها لم تكن جيدة جداً.

س.د.ب: وماذا عن **قصَّةِ هزيمة**؟

ج.ب.س: بدأتُ أرى فيها روايةً من شأنها التَّعبيرُ عن حساسيَّتي ومفهومي للعالم، لم تكن مُكتمِلة، وبالتَّالي؛ لا يُمكن مقارنتُها بشيء، كما لم يخامرْني الظَّنُّ بأنِّي أتمتَّع بالعبقريَّة وأنا بصددِ كتابتها، لكنَّ هذه الرِّوايةَ كانت أهمَّ بالنِّسبة لي.

س.د.ب: نعم، ماذا عن **أسطورة الحقيقة**؟

ج.ب.س: كنتُ أظنُّ أنَّها ستكون أكثرَ أهميَّة، لأنِّي عرضتُ فيها أفكاراً فلسفيَّة شخصيَّة عبَّرتُ عنها بلغة جميلة، ستُدْهِشُ النَّاس، وتوضِّح ما هيَّةَ البشر، تتذكَّرينَ أُناساً فكَّروا بما هو عالميٌّ universel، وكانوا علماء، وأناس لديهم أفكاراً عامَّة، أي الفلاسفةُ والبورجوازيِّين، ثمَّ كانت أفكارُ الإنسان الوحيد، الَّذي لا يُفكِّر إلَّا من خلال نفسه، ويُنيرُ المدينةَ بفضلِ ما يُفكِّر فيه، وما يشعر به، ها أنتِ ترينَ أنَّني لم أكُنْ مُدَّعياً.

س.د.ب: نُشرَ قسمٌ من **أسطورة الحقيقة** في مجلَّة Bifur، هل هذه هي المرَّة الأُولى الَّتي يُنشَر فيها لكَ عمل؟

ج.ب.س: نعم.

س.د.ب: كان لكَ بعضُ القُرّاء المتحمّسين،إذ كنتُ أعرفُ هنغاريّاً في المكتبةِ الوطنيَّةِ رأى أنَّ هذا النَّصَّ بمثابة الوحي.

ج.ب.س: لكنَّ هذا الجنسَ الكتابيَّ كان يبعث على الضَّجر، فقد كان ثمَّة مَن يتحدَّثُ عن فلسفةٍ تتضمَّنها اللُّغةُ الَّتي كُتِبَتْ بها هذه المحاولات، وهو حديث يُثير الضَّحك، فهي لم تتضمَّن اللُّغة التِّقنيَّة الَّتي كان ينبغي أن تتوفَّر فيها.

س.د.ب: ثمَّ وضعت خلاصة أوصَلَتكَ إلى كتابة **الغثيان**.

ج.ب.س: نعم.

س.د.ب: بمعنى أنَّكَ قُمتَ هنا بعمل أدبيٍّ، وضعتَ فيه رؤيتَك للعالم، وللحدوثِ (إمكانيَّة العَرضيّ)، وما إلى ذلك، وهو ما نجحْتَ فيه، لكن، بالعودةِ إلى مسألة العبقريَّة هذه، كيف تغيَّرتَ خلال حياتك؟ حاول العودة إلى ما كنتَ قد فكَّرتَ فيه حتَّى اليوم، وكيف تراه أيضاً.

ج.ب.س: أظنُّ أنَّ الأسلوبَ لا يعني كتابةَ جُمَلٍ جميلةٍ لذاتها، بل جُمَلاً من أجل الآخرين، وفي هذا مشكلةٌ لولدٍ في السَّادسةَ عشرةَ يحاول التَّفكيرَ بما هي الكتابة، ولا يملكُ بعد مفهوماً للآخَر.

س.د.ب: كيف نعرف تحديداً، ما هي الكلماتُ الَّتي تؤثّر تداعياتُها على الآخر؟ هل ينبغي أن نثِقَ بالفراغ؟ وأن نرمي بأنفسنا فيه؟

ج.ب.س: نعم، قد نُخاطِر حينما نكتبُ عبارةً مثل «بعكسِ اتِّجاه الشَّمس» rebrousse-soleil الَّتي أخطأ غويل بالضَّحكِ منها كثيراً، لكنْ هناكَ مثلُ هذه الجُمَلِ عندَ شاتوبريان Chateaubrian، على سبيلِ المثال، وكان مُحقّاً في جرأته.

س.د.ب: نعم.

ج.ب.س: قد تكونُ مخاطرةً. للمرء دائماً أسبابٌ تدفعهُ إلى المخاطرة.

س.د.ب: كنتَ تظنُّ أنَّه سيتمُّ الاعترافُ بعبقريَّتك، لكنَّكَ غالباً ما كنتَ تقول لي، في الوقت نفسه، إنَّ «مَن يخسرْ يَربحْ»، لا بُدَّ أن يكونَ الإنسانُ مغموراً تماماً ليتمتَّع فعلاً بالعبقريَّة، كيف كنتَ تتدبَّر هذا الأمر في ذهنك؟

ج.ب.س: تحدَّثتُ عن هذا في كتاب **الكلمات**.





الخلاصُ والخلود

س.د.ب: كانت لديكَ فكرةٌ عن خلاصٍ مُعيَّن، بمعنى أنَّه قد يكون للعمل واقعٌ يتجاوزُ اللَّحظة الرَّاهنة، أو شيئاً مُطلقاً، أي أنَّك لا تفكِّر بالورى مباشرةً، لكن بنوع من الخلود، ما الَّذي أردته بحديثكَ عن الخلاص؟

ج.ب.س: في الأصل، حينما كتبتُ «أفراد عائلة نبيلة تبحث عن رمز»، كنتُ أُشيرُ إلى شيء مُطلَق؛ أوجدتُ شيئاً مُطلقاً، كان أنا، في نهاية المطاف؛ نقلتُ نفسي إلى حياةٍ أبديَّة في عمل فنِّيٍ يحيا بعد زوالِ العصر، إن كنتُ قد أوجدتُ شيئاً فنِّيّاً سيعيشُ بعد العصر، إذاً، أنا صانعه المجسَّدُ فيه، سأعيش بعدَ العصرِ. وهنا تكْمُنُ فكرةُ الخلود المسيحيَّة: أي أنِّي أنتقلُ من الحياة الفانية إلى حياة خالدة.

س.د.ب: هل استمرَّ تفكيرُك هذا حتَّى نهايةِ الحرب؟

ج.ب.س: نعم، فكَّرتُ بهذا بشيءٍ من التَّهكُّم، لكنِّي كنت أفكِّر فيه حينما بدأتُ بكتابةِ **الغثيان**.

س.د.ب: هل هذا تحديداً ما توقَّف عندَك في فترة الأدب الملتزِم؟

ج.ب.س: توقَّفَ هذا تماماً.

س.د.ب: ألم تَعُدْ فكرةُ الخلاص موجودة؟ ولم تَعُدْ إليها أبداً؟ هل يُمكنني افتراضُ أنَّ مفهومَ الخلاص نفسه، قد توقَّف؟ لكنَّ هذا لم يمنعْكَ من الاحتفاظِ بنظرةٍ مواربةٍ إلى الورى (الأجيال القادمة).

ج.ب.س: التَّغيُّر الَّذي طال فكرتي حولَ العبقريَّة؛ هو أنِّي حلُمْتُ بها حتَّى فترةِ ما بعد الغثيان، لكنْ بعدَ الحرب، في عام ١٩٤٥، برهنت عن قدراتي

بكتابة **الأبواب المغلقة**، **والغثيان**. بعدَ مغادرةِ الحلفاء باريس في عام ١٩٤٤، كنتُ عبقريّاً، وسافرتُ إلى أمريكا ككاتبٍ يتمتَّع بالعبقريَّة؛ يريدُ القيامَ بجولةٍ في بلد آخر، في تلك الفترة؛ كنتُ خالداً، واثقاً من خلودي، وهو ما سمحَ لي بعدم العودةِ إلى التَّفكير فيها.

س.د.ب: نعم، لأنَّك، من حيثُ التَّفاصيل، لم تكنْ من أولئك القائلين: أصنعُ عملاً خالداً، إذاً أنا خالد، لا شيء من هذا لديك.

ج.ب.س: وفضلاً عن هذا؛ الأمر مُعَقَّد، لأنَّه في اللَّحظة الَّتي نكون فيها خالدين، ونصنعُ عملاً خالداً؛ تكونُ الأمورُ على ما يُرام، لكنْ ينبغي أن يتشكَّل الانطباع بخلق شيءٍ ما؛ لم يكنْ موجوداً من قبل، إذاً؛ ينبغي أن نضعَ أنفسَنا في الزَّمن اليوميّ، من ثمَّ؛ ينبغي ألَّا نفكِّر بالخلود إلا غمزاً، وأن نراهنَ على الحياة، فأنا حيٌّ أكتب للأحياء، ظنّاً منِّي بأنَّه إذا نجحَ هذا الأمر؛ سيقرأني النَّاس بعد موتي؛ أناسٌ يتَّفقون مع رسالتي الَّتي لم تكنْ تستهدفُهم، أو موجَّهةً إليهم.

س.د.ب: على ماذا تعتمدُ كي تبقى ـ طالما أنَّك تفكِّر في البقاء ـ؛ هل على الأدب، أم على الفلسفة؟ أم على كليهما معاً؟ هل تفضِّل أن يحبَّ النَّاسُ فلسفتَك أم أدبَك، أم الاثنين معاً؟

ج.ب.س: جوابي هو أن يحبُّوا الإثنين بالتَّأكيد.. لكن هناك هَرميَّةٌ تعني أن يكونَ الأدبُ أوَّلاً، والفلسفة ثانياً، أحبُّ أن أُحقِّقَ الخلودَ بالأدب؛ لأنَّ الفلسفةَ وسيلةٌ لبلوغِه، لكن برأيي؛ ليس للفلسفةِ قيمةٌ مُطلقة؛ لأنَّ الظُّروفَ تتغيَّر، وتُفضي إلى تغيُّراتٍ فلسفيَّة، الفلسفةُ لا تصلح في راهنها؛ لأنها ليسَت شيئاً يكتبُه الإنسان لمعاصريه؛ إنَّها تنظر في حقائقَ غير زمانيَّة، وحتماً ستتجاوزها فلسفاتٌ أُخرى؛ لأنَّها تتحدَّث عن الأبديَّة، إنَّها تتحدَّث عن أشياء تتجاوز كثيراً وجهةَ نظرنا الفرديَّة اليوم، أمَّا الأدبُ؛ فيُحصي العالمَ الحاليَّ؛ العالمَ الَّذي نكتشفُه عبر القراءات، والمحادثات، والأهواء، والرِّحلات، أما الفلسفةُ فتذهبُ

إلى ما هو أبعدُ من هذا؛ إنَّها تُعبِّر عن أهواءِ اليوم، على سبيل المثال، أهواء جديدة لم تكن موجودةً في العصور القديمة، فالحبُ...

س.د.ب: تقصدُ أنَّ للأدب طَابعاً خاصّاً أكثر إطلاقاً، والفلسفةُ ترتبطُ أكثر بمجرى التَّاريخ، وتكون أكثرَ عُرضةً للمراجعات؟

ج.ب.س: الفلسفةُ تستدعي، بالضَّرورة، مراجعاتٍ لأنَّها تتجاوزُ دائماً المرحلة الرَّاهنة.

س.د.ب: حسناً، لكن، ألا يوجدُ مُطلقٌ في مُجرَّد أن تكونَ ديكارت أو كانط، حتَّى وإن استلزمَ الأمرُ تجاوزَهما بطريقةٍ مُعيَّنة؟ لقد تمَّ تجاوزهما، لكن انطلاقاً ممَّا قدَّماه إليّ؛ ثمة إحالةٌ إليهما هي عبارة عن مُطلَق.

ج.ب.س: لا أُنكِرُ هذا، لكنَّه غيرُ موجود في الأدب، النَّاس الَّذين يحبُّون رابليه Rabelais[1] بصدق؛ يقرأونَه كما لو أنَّه كتبَ ما كتبَه بالأمس.

س.د.ب: وبطريقةٍ مباشرةٍ قطعاً.

ج.ب.س: نقرأ كلاًّ من سيرفانتيس Cervantès[2]، وشكسبير كما لو كانا حاضرَيْن؛ فَروميو وجولييت؛ عملٌ يبدو كأنَّه كُتِبَ البارحة.

س.د.ب: أنتَ إذاً، تعطي الأوْلويَّة للأدب؛ لكنَّ الفلسفةَ لعبَتْ دوراً كبيراً في مجمل قراءاتِك وتأهيلك.

ج.ب.س: نعم، لأنِّي اعتبرتها أفضلَ وسيلةٍ للكتابة، إنَّها هي الَّتي منحَتني الأبعادَ الضَّروريَّة لإبداعِ القصَّة.

س.د.ب: لكن؛ لا يمكن القولُ إنَّ الفلسفةَ لم تكنْ سوى وسيلةٍ بالنِّسبة لك.

ج.ب.س: في البداية؛ كانت كذلك.

---

(١) فرانسوا رابليه (١٤٩٤-١٥٥٣): كاتب فرنسي ذو نزعة إنسانيَّة من عهد النَّهضة.

(٢) ميغل سيرفانتيس (١٥٤٧-١٦٠٥): روائيّ وشاعر، ومسرحيّ إسبانيّ.

س.د.ب: في البداية، نعم، لكن في ما بعد، حينما ننظرُ إلى الزَّمن الَّذي أمضيتَه في كتابة **الوجود والعدم**، و **نقد العقل الجدليّ**؛ لا يمكن القولُ إنَّ الفلسفةَ كانت مُجرَّدَ وسيلةٍ لصناعة الأعمال الأدبيَّة، بل كانت تستهويكَ أيضاً.

ج.ب.س: نعم، كانت تهمُّني، هذا أكيد، أردتُ أن أُقدِّمَ رؤيتي عن العالم في الوقتِ نفسِه الَّذي كنتُ أجعلُ شخصيَّاتي يعيشونها في أعمالي الأدبيَّة، أو في دراساتي، كنتُ أَصفُ هذه الرُّؤيةَ لمعاصريَّ.

س.د.ب: إجمالاً، هل تُفضِّل من يقولُ لك: «أنتَ كاتبٌ عظيم، لكنَّك لستَ فيلسوفاً مُقنِعاً»، على من يقول: «فلسفتُكَ رائعة، لكنَّك لستَ كاتباً»؟

ج.ب.س: نعم، أُفضِّلُ الفرضيَّة الأُولى.

س.د.ب: قد يدور في خُلدِكَ أنَّ فلسفَتكَ ليسَتْ حِكراً عليكَ، وأنَّ ثمَّةَ غيرك يمكنُه ابتداعُ فكرةِ العطالةِ العمليَّة Pratico-Inerte[١]، والتَّواتر (الاستدلال بالإرجاع) Récurrence، فلئن كان العلماءُ أوَّلَ مَن أوجدَ شيئاً؛ فثمَّةَ آخرون كان بإمكانهم إيجادُه لاحقاً في كلِّ الأحوال، ألا يُمكننا القولُ أيضاً إنَّ الأدبَ مطلقٌ، لكنَّه مُغلق، ومتوقِّف، أمَّا الفلسفةُ فنتجاوزها، لكن في الوقت نفسه؛ نعود لاستئنافِها، ديكارت يعيش فيكَ، على سبيل المثال، لكنَّ بقاءَه لا يشبهُ بقاءَ شكسبير، أو تاسيت Tacite[٢]، أو آخر فيك، تقرأه بمتعةٍ، وقادر على التَّأثير فيكَ بطريقةٍ مُعيَّنة عبرَ أنواع من الأصداء، أو من خلال انعكاساتٍ معيَّنة، بينما يندمجُ ديكارت في فكرِك، لماذا تُفضِّلُ المطلَق والمستقلَّ، على كلِّ شيء مُغلَق؟

(١) مصطلح أوجده سارتر في كتابه «نقد العقل الجدلي «يعني كلّ ما تنتجه الممارسة البشرية، ويتجمّد في عطالة المادّة. ويسميها في مكان آخر «المادّة المشغولة من قبل الإنسان». الآلة ليست مجرّد أداة يستخدمها العامل، بل تؤثّر عليه؛ لأنَّ عاملًا آخر سبقه إلى صنعها[م].

(٢) تاسيت (٥٨-١٢٠ب.م): مؤرّخ وسيناتور روماني.

ج.ب.س: حينما كنتُ صغيراً؛ كنتُ أفضّل ما أعيشه؛ أردتُ كتابة روايةٍ تُشبه أحدب **نوتردام**، أو **البؤساء**، عملٌ تعترفُ به العصورُ الأُخرى، مُطلَقٌ لا يمكن لأيِّ شيءٍ تغييره، وأنتِ تعرفين أنَّ الفلسفةَ دخلَت حياتي بهذه الوسيلة.

س.د.ب: بوصفِك مُبدِعاً، لماذا دخلَت الفلسفةُ حياتَك؟

ج.ب.س: كنتُ مُبدعَ رواياتٍ في ذهني، وحينما بدأتُ الفلسفةَ؛ لم أكنْ أعرف ما هي، كان لي ابنُ عمٍّ في صفِّ «الرِّياضيَّات الأوَّليَّة»، يدرس الفلسفةَ كَكُلِّ التَّلاميذ الَّذين يدرسونَ «الرِّياضيات الأوَّليَّة»، ولم يكنْ يريدُ الحديثَ عنها أمامي، كنتُ أعرفُ بأنَّه كان يتعلَّم أشياء لم أكن أعرفها، وهو ما كان يُحيِّرني، لكنْ كانَتْ لديَّ أفكارٌ حولَ الرِّوايات، والأبحاث؛ أبحاثٍ غيرِ فلسفيَّة مُعتَرفٍ بها، كان لهذهِ الأفكارِ قوَّةٌ بالغةٌ لم تجعلِ الفلسفةَ، الَّتي ظهرت، قادرةً على تغييرها.

س.د.ب: لماذا أصبحتَ مُبدعاً فلسفيّاً؟

ج.ب.س: هذا أمرٌ غريبٌ، لأنِّي لم أكنْ راغباً في أن أكونَ مُبدعاً في الفلسفة، بل في ممارستها، لتقديري أنَّها مضيَعةٌ للوقت، أحببْتُ أن أتعلَّم الفلسفة، لكنِّي رأيتُ من العبَثِ صناعتُها، وهو أمرٌ يصعُب فهمُهُ؛ لأنِّي كنتُ أخترعُ أثناءَ الكتابة، كان يُمكنني أن أتسلَّى بالتَّفكير أنَّ الإنسانَ قادرٌ على كتابةِ أعمالٍ فلسفيَّة، لكن كانَ للفلسفةِ علاقةٌ بالحقيقة، وبالعلوم الَّتي كانت تبعثُ الضَّجرَ في نفسي، ثمَّ كان الوقتُ ما يزال مُبكِّراً بالنِّسبة لي، طُلب مِنِّي، في المرحلةِ التَّحضيريَّةِ الأدبيَّةِ كتابةُ موضوعِ إنشاء بعنوان: ماهي المدَّة Durée؟، فتعرَّفتُ على برغسون Bergson[1].

س.د.ب: هل استمرَّ اهتمامُك بهذا لاحقاً، خلال سنواتِ الإجازة الجامعيَّة، وشهادة التَّأهيل التَّعليميِّ؟

ج.ب.س: نعم، كتبت كُتُباً أفادت، أو بالأحرى «أضرَّت» بمعارفي الفلسفيَّة، فقد كان تصوُّري لقصَّةِ **إر الأرمنيِّ**، على سبيل المثال، أدبيّاً؛ ففيها

---

(١) هنري برغسون (١٨٥٩-١٩٤١): فيلسوف فرنسيّ معروف.

شخصيَّاتٌ، وطريقة سردٍ للقديم، تقوم على الحركة، وفيها العمالقة، مع ذلك؛ فقد عبَّرَ ذلكَ عن أفكار فلسفيَّة، بل أتذكَّر أنِّي وصفتُ مغارةَ أفلاطون في إر الأرمنيِّ؛ مُعتقداً أنَّه عليَّ إعادةَ تكوينها ووصفها.

س.د.ب: هذا يعني أنَّك كنتَ مُهتمّاً جدّاً بالفلسفة في الوقت نفسِه، لأنَّك عمِلتَ على أطروحةٍ صغيرة بالغة الجديَّة لنيل شهادةٍ حولَ الخيال، هناك شيءٌ كان يوجِّهُكَ نحوَ الفلسفةِ، هو امتلاكُكَ لأفكارٍ حولَ كلِّ شيء، أيْ؛ لديكَ نظريَّات، كما كنتَ تقول، كُنتَ تكتبها في دفترٍ صغير؛ بعد ذلك مررْتَ بظروف خارجيَّة، إذ بعدَ شهادتِك هذه؛ طُلِبَ منك كتابةُ كتابٍ حولَ الخيال.

ج.ب.س: دولاكروا، هو مَنْ قال لي: اكتبْ إذاً كتاباً حولَ المُتَخَيَّل Imaginaire، لأنشرَه في سلسلتي.

س.د.ب: لماذا قبِلتَ، مع أنَّك كنتَ منهمِكاً في كتابة **الغثيان**، ومشاريع أدبيَّة أُخرى؟

ج.ب.س: لم يكنِ امتناعي عن العملِ في الفلسفةِ مُطلقاً، فالخيالُ مرتبطٌ بالأدب، وللأعمالِ الأدبيَّةِ علاقةٌ بالخيال، إضافةً إلى ما لديَّ من أفكارٍ حولَ هذا الموضوع؛ كان عليَّ إبرازُها.

س.د.ب: لديك أيضاً أفكارٌ حولَ **الإمكان العَرَضيّ** (الحدوث) Contigence، وهي أفكارٌ فلسفيَّة، قلتَ لي حينما تعارفنا: أريد أن أكونَ سبينوزا[١] وستاندال[٢]، ما يعني أنَّ لديكَ توجُّهاً فلسفيّاً؟

ج.ب.س: نعم، لكنِّي اخترتُ أُناساً حسَّاسين، تستطيع عقليَّةُ القرن العشرين فهمَهم، كان سبينوزا بالنِّسبة لي إنساناً أكثرَ منه فيلسوفاً، أحببتُ فلسفَته، لكنِّي لم أحبَّ الرَّجلَ أبداً، الآن ما يهمُّني هو عمله، هذا هو الفرق.

---

(١) سبينوزا (١٦٣٢-١٦٧٧): فيلسوف هولنديّ من أصل برتغاليّ.

(٢) هنري بايل، المعروف باسم ستاندال (١٧٨٣- ١٨٤٢): روائيّ فرنسيّ معروف.

س.د.ب: إذاً، كتبتَ كتابَ **الخيال** بناءً على طلب، لك كتابان: **المُتخيَل** Imaginaire، و**التَّخيُّل** Imagination، أيُّهما طُلِبَ منك؟

ج.ب.س: التَّخيُّل.

س.د.ب: لماذا إذاً كتبتَ **المتخيل**؟

ج.ب.س: لأنَّه ينجمُ عن التَّخيُّل.

س.د.ب: هل يقومُ هذا العمل على جدليَّةٍ مُعيَّنة؟

ج.ب.س: أذكر أنِّي تصوَّرت **التَّخيُّل** بينما كنتُ أكتبُ **المُتخيل**، لم يكونا كتابين، بل عملاً كاملاً: الجزء الأوَّل بعنوان **التَّخيُّل**، والجزء الثَّاني **المُتخيل**، وبما أنَّه كان عليَّ تقديمُ شيء لسلسلةِ دولاكروا؛ فقد أعطيته **التَّخيُّل**.

س.د.ب: هل فصلتَ الجزءَ المتعلِّقَ بِ: **الخيال؟ ثمَّ، لماذا كتبتَ بعده: الوجود والعدم؟**

ج.ب.س: كان ذلك خلال الحرب، تصوَّرتُه خلالَ تلك الحربِ الغريبة، في معسكر السُّجناء، وكتبتُه خلالَ تلك الفترة انطلاقاً من فكرةٍ إمَّا أن تكتبَ أشياءَ أساسيَّة، أو لا تكتب.

س.د.ب: في كتابك **المُتخيل**؛ نجدُ فكرةَ العدم، ولم تكن قادراً على منعِ نفسِك من تعميقها؟

ج.ب.س: عبّرتُ فيه عن فكرتي الأساسيَّة، واخترتُ الواقعيَّة منذُ صفِّ الفلسفة، لم تعجبْني المثاليَّة أبداً حينما بدأتُ بتعلُّمها، قضيتُ سنتينِ هامَّتين في تعلُّم الفلسفة: الأُولى، والأُولى العُليا، أي التَّحضيريَّة، أمَّا في الصَّفِّ التَّحضيريِّ الأدبيِّ Hypokhâgne؛ كان يدرِّسُنا أستاذٌ لم أكن أفهمُه. درستُ الفلسفةَ لسنتين كاملتين قبلَ الانتسابِ إلى دار المعلِّمين، وهناك؛ لم تكن تراوِدُني سوى فكرةٍ واحدة؛ هي أنَّ كلَّ نظريَّة لا تقول إنَّ الوعيَ لا يرى الأشياءَ

الخارجيَّة كما هي عليه؛ سيكون مصيرُها الفشل، وهو ما دفعني، في نهايةِ المطاف، للذَّهابِ إلى ألمانيا بعدَ أن قيلَ لي إنَّ لدى هوسرل Husserle[١] وهايدغر Heidegger[٢] طريقةً لإدراكِ الواقع كما هو.

س.د.ب: إذاً، الفلسفةُ كانت تهمُّك بشكلٍ كبيرٍ؛ لأنَّك قضيتَ سنةً في ألمانيا لفهمِ فلسفةِ هوسرل Husserl والتَّعرُّف على هايدغر.

ج.ب.س: قضيتُ سنَتي في ألمانيا على النَّحوِ الآتي: كرَّستُ طيلةَ فترةِ الصَّباح وحتَّى السَّاعة الثَّانية بعد الظُّهر للفلسفة، ثمَّ أذهبُ لتناولِ الطَّعام، وأعودُ حوالي السَّاعةِ الخامسةِ مساءً وأكتبُ **الغثيان**، أي أكتبُ عملاً أدبيّاً.

س.د.ب: لكنَّ الفلسفةَ كانت تعني لكَ الكثير، أتذكَّرُ أنَّك حينما قرأتَ كتاب ليفيناس Lévinas[٣] حولَ هوسرل؛ انتابتْكَ لحظةُ هلع لأنَّك قلتَ لنفسِك: «آه، لقد عثرَ على أفكاري كلِّها»، إذاً؛ كانت أفكارُك هامَّةً جدّاً بالنِّسبة لك.

ج.ب.س: نعم، لكنِّي كنتُ مُخطئاً بقولي إنَّه عثرَ على أفكاري.

س.د.ب: لديكَ نوعٌ من الحدس، ولم تردْ أن يجدَها أحدٌ قبلَك، إذاً، كنتَ تهدفُ إلى الإبداع الفلسفيِّ، بعد أن عدتَ إلى باريس؛ نضجتَ قليلاً حينما تحدَّثتَ عن هذا مع نيزان، أو حينما كنتَ تُفكِّر فيه مُنفرداً، كيف كنتَ تنظرُ إلى حظوظِك في النَّجاح؟

ج.ب.س: في روايتي الَّتي استلهمتُها من علاقات نيتشه مع فاغنر؛ كنتُ أرى نفسي إنساناً سيعيشُ حياةً مضطربة، ولدى وقوعِ أيِّ مأساة؛ يكتبُ كتاباً يتمُّ نشره، تخيَّلْتُ حياةً روائيَّةً،فيها إنسانٌ عبقريٌّ سيموتُ مجهولاً، ويُكلَّلُ بالمجدِ

---

(١) إدموند هوسرل (١٨٥٩-١٩٣٨): فيلسوف وعالم منطق نمساويّ، ثم بروسيّ، صاحب نظريّة الظواهريّة الّتي تركت أثرها على مجمل فلسفة القرن العشرين

(٢) مارتن هايدغر (١٨٨٩-١٩٧٦): فيلسوف ألمانيّ.

(٣) إيمانويل ليفيناس (١٩٠٦-١٩٩٥): فيلسوف فرنسيّ من أصل ليتوانيّ.

بعدَ وفاتِه. تلك ذكرياتٌ قديمة، كنتُ أضعُ الشَّخصيَّة أمامي، وأحلُم بكلٍّ ما قد يحدثُ لها. لكنِّي، في الحقيقةِ كنتُ أخطِّطُ للكتابةِ بصيغةٍ أكثر عقلانيَّة، كنتُ أكتبُ كتبي، وكانت جيِّدة، فتتكفَّلُ بها دُورُ النَّشر، هكذا كنتُ أنظرُ إلى الأشياء، والبرهان على ذلك؛ حينما نشرَ نيزان كتاباً أو اثنين؛ قدَّمتُ له قِطعاً من **أسطورة الحقيقة**، ونشرَ بيفور Bifur قطعةً منها.

س.د.ب: حينما كُنتَ تُفكِّر بطريقةٍ معقولة؛ طَبَعْتَ كتبَكَ لتصبحَ مقروءاً، ما هو نوعُ النَّجاح الَّذي كنتَ تنتظره؟ هل كنتَ تفكِّر بالمجدِ والشُّهرة؟ أعني حينما كنتَ في الثَّامنةَ عشرةَ أو العشرين من عمرك.

ج.ب.س: كنتُ أفكِّر بأنَّ الجمهورَ الَّذي يمكنُ أن يفهمَني؛ ينتمي إلى نخبةٍ محدودة جدّاً...

س.د.ب: تلكَ كانت تقاليدَ ستاندال الَّذي كنتَ تحبُّه كثيراً: «المحظوظونَ القلائل happy few».

ج.ب.س: توقَّعتُ من هؤلاء القُرَّاء أن يعترفوا بي ويحبُّونَني، سيقرأني خمسةَ عشرَ ألفَ شخص، والمجدُ ينطوي على الوصولِ إلى خمسةَ عشرَ ألفاً آخرين، ثمَّ خمسةَ عشرَ ألفاً غيرهم.

س.ب: ما كنتَ تسعى إليه هو البقاءُ، هو أن تكونَ سبينوزا وستاندال، يعني أن تكونَ شخصاً تركَ تأثيرَه على عصره، ليُقرأ في العصورِ القادمةِ، هل هذا ما كنتَ تُفكِّر فيه وأنتَ في العشرين من عمرك؟

ج.ب.س: نعم، هذا ما كنت أُفكِّر فيه في العشرين من عمري، حينما عرفتُكِ.

س.د.ب: بطريقةٍ ما؛ كنتَ مُتغطرِساً، لقد طبَّقتَ كلمةَ هيبياس Hippias الَّصغير على نفسِك: «لم ألتقِ نظيراً لي أبداً».

ج.ب.س: كتبتُ هذا في أحدِ دفاتري الصَّغيرة.

س.د.ب: كيف تطوَّرَتْ علاقتُك بالمجد والشُّهرة؟ وكيف أحسَسْتَ بمهنتك من الدَّاخل؟

ع.ب.س: في الحقيقة؛ كان ذلك أمراً بسيطاً: المرءُ يكتب، ثمَّ يُصبح مشهوراً، لكنَّ هذا كانَ مُشوَّشاً ببعضِ أفكار تلكَ المرحلة.

س.د.ب: ثمَّ تلقَّيتَ ضرباتٍ قاسيةً لأنَّك ظننْتَ، في البداية أنَّ **الغثيان** كانت روايةً مرفوضة، وهو ما هزَّ كيانَك.

ع.ب.س: هذا يؤكِّد الأهميَّة الَّتي أُوليها لدُورِ النَّشر، كان على العبقريِّ الحقُّ، كما كنتُ أتخيَّلهُ، أن يضحَك قائلاً: آه، لم يُطبعْ كتابي، حسناً، وما الضَّيرُ في هذا!..

س.د.ب: صحيح، لكنَّكَ كنتَ مُتغطرِساً ـ كلمةُ متواضع لا تنطبقُ عليك ـ، أو لِنَقُلْ: عقلانيّاً، وصبوراً، لم تبدُ لكَ أعمالُك عبقريَّةً حتَّى لو كنتَ قد بذلتَ جُهداً كبيراً في **الغثيان**، لم يكنْ لديكَ الانطباعُ بأنَّك كتبتَ رائعةً أدبيَّة. يبدو لي أنَّ الأمرَ لم يكنْ مطروحاً على هذا النَّحو بالنِّسبة لك، هذا ما أودُّ أن تتوسَّع في شرحِه قليلاً بشكلٍ أفضل.

ع.ب.س: كان الأمرُ يختلفُ بينَ الحينِ والآخر، في البداية؛ يكون العملُ موجوداً بالقوَّة En puissance، أي غيرَ ملموس، فكنتُ أجلسُ إلى طاولتي، ثمَّ أشرعُ في الكتابة، لكنَّ العملَ غيرُ موجود، لأنَّه لم يكنْ مكتوباً بعد، إذاً؛ علاقتي بالعملِ مُجرَّدة، لكنِّي كنتُ أكتبُ، وهذا هو الفعلُ الحقيقيُّ.

س.د.ب: بعد أن تنتهي من كتابةِ عملٍ ما، كالغثيان على سبيل المثال، فإنَّك تنظرُ إليه بوصفِه عملاً بالفعل، كما **أسطورة الحقيقة** أيضاً؛ وكنتَ تتقبَّل نقدَه؛ لأنَّك تشعرُ بعيوبِه، فضلاً عن ذلك؛ فقد كنتُ سنداً لكَ في كتابتِك **للغثيان**؛ لأنِّي أحببتُه كثيراً، وكنتَ تراهنُ فعلاً على هذا الكتاب، ومنزعجاً جدّاً حينما رُفِضَتْ طباعتُه.

ج.ب.س: كان ذلك جزءاً من الحياةِ اليوميَّة، لكنَّ هذا لم يمنعْني مِن أنْ أَعُدَّ نفسي بمثابةِ عبقريّ، كنتُ أتحدَّثُ إلى رفاقي كما يتحدَّث العبقريُّ إلى رفاقه.

س.د.ب: دعني أَعُدْ إلى الفشلِ الأوَّل الَّذي لاقاه **الغثيان**: هل كنتَ تظنُّ أنَّك عبقريٌّ لم يجدْ بعدُ وسيلةَ التَّعريفِ بعبقريَّته هذه؟

ج.ب.س: كنت أظنُّ أنَّ **الغثيان** كتابٌ جيِّد، وأنَّه رُفضَ مثلُ غيره من الكتبِ عبر التَّاريخ، المهمُّ أنَّك كتبتَ كتاباً، ثمَّ قُمتَ بعرضِه، وتعتقدُ أنَّه سيكونُ رائعةً أدبيَّةً في ما بعد.

س.د.ب: كما كان الحالُ بالنِّسبة لِبروست.

ج.ب.س: هكذا كنتُ أنظرُ إلى الأشياء، لم أتوقَّف يوماً عن الظنِّ بأنِّي عبقريٌّ، لكنَّ المستقبلَ هو الكفيلُ بالكشفِ عنه، سأكونُ عبقريّاً، كما كنتُ في الماضي، وسأكون كذلك بنحوٍ خاصٍ، لقد راهنتُ كثيراً على **الغثيان**.

س.د.ب: كنتَ بصحبتي في شاموني Chamonix، بعد رفضِ الكتابِ تحديداً؛ غارقاً في الحزن، بل أظنُّ أنَّكَ ذرفتَ الدُّموع، وهو ما لم يحدثْ معكَ إلَّا نادراً، لقد أُصبْتَ فعلاً بضربةٍ قاسية.

ج.ب.س: صحيح، لكنِّي كنتُ أظنُّ أنَّ جودةَ الكتاب هي السَّبب في رفضِه.

س.د.ب: لقد ساندتُكَ بقوَّة؛ لأنِّي رأيتُ هذا الكتابَ جيِّداً جدّاً.

ج.ب.س: لقد كان ما ظننتُهُ، لكنِّي، خلالَ لحظاتٍ من الوحدةِ والحزنِ، كنتُ أقول لنفسي: إنَّه عملٌ فاشل، ينبغي إعادةُ كتابتِه، لكنَّ فكرةَ العبقريَّة بقيَت.

س.د.ب: وحينما تمَّ قبولُه؛ كتبتَ مباشرةً بعدَ ذلك قصصاً نُشرَت فوراً، كيف كنتَ تشعرُ برضاكَ عن ذلك؟

ج.ب.س: عندئذ؛ بدأت الانطلاقة!

س.د.ب: أعرفُ هذا تماماً، لأنَّك كتبتَ لي رسائل تنمُّ عن الفرح، رويتَ لي كيف قُبِلَ الكتاب، وكيف طُلبَ منكَ إجراءُ بعضِ التَّغييرات الصَّغيرة الَّتي قَبِلْتَ بإجرائها، لأنَّكَ رأيتَ ما يُسوِّغها، طلبَ منك بريس باران Brice Parain[1] حذفَ الجانبِ الشَّعبويِّ من الكتاب، ولم تتشبَّثْ بالعبقريَّة الَّتي لا تقبل أيَّ نصيحة.

ج.ب.س: لا.

س.د.ب: كنتَ مُستعداً لقبولِ النَّصائح، وهي علاقةٌ مُتساميةٌ مع الطَّابعِ التَّجريبيِّ.

ج.ب.س: هو كذلك.

س.د.ب: من حيثُ التَّسامي؛ كنتَ عبقريّاً، لكنَّ الأمرَ كان يتعلَّق بظهورِ ذلك في الحياةِ التَّجريبيَّة، لم تكن واثقاً مُطلقاً من النَّجاح فوراً في إظهار نفسِك.

ج.ب.س: صحيح، لأنِّي لو عُدتُ إلى مُرشديَّ الَّذين كانوا رجالاً مشهورين في الماضي؛ لرأيتُ أنَّ أيّاً منهم لم يصبحْ مشهوراً قبلَ سنِّ الثلاثين، وهو أمرٌ هامٌّ، فحيواتُ فيكتور هيجو، وزولا، وشاتوبريان؛ حتَّى وإن لم أكنْ مُعجباً بهذا الأخير؛ تراكبت لإنتاجِ حياةٍ يجب أن تكونَ حياتي، كنت أتصرَّف فعلاً تبعاً لهذه النَّماذج، وفكَّرتُ في ممارسةِ السِّياسة في سنِّ الخمسين.

س.د.ب: أودُّ لو تحدِّثني قليلاً حولَ هذا الموضوع.

ج.ب.س: حولَ موضوع العبقريَّة؟

س.د.ب: حولَ الشَّكل الَّذي شعرتَ بها من خلالِه، وكنتَ تفكِّر فيه، هل ظننتَ يوماً أنَّ **الغثيان** كان رائعةً أدبيَّة؟

ج.ب.س: لا، ظننتُ أنِّي قلتُ ما كانَ ينبغي عليَّ قولُه، وهو أمرٌ جيِّد. صحَّحتُ أخطاءَ أرسلَتْها إلى السَّيدة موريل Mme Morel وغويل Guille؛ قمتُ

---

(١) بريس باران (١٨٩٧- ١٩٧١): كاتب دراسات وفيلسوف فرنسيّ.

بأفضلِ ما بوسعي القيامُ به، وهو ما كان له قيمة، لكنِّي لم أكنْ أذهبُ إلى أبعدَ من هذا الحدِّ، لم أكن أفكِّرُ بأنَّه الرَّائعةُ الَّتي ولَّدتها عبقريَّتي، لكن كان ثمَّة شيءٌ من هذا أيضاً في مكانٍ ما، لم أعدْ أعرفُ أين، لم أكنْ أمزحُ مع أعمالي، لأنَّها كانت تُمثِّل شيئاً هامّاً، مع ذلك، بوصفي عبقريّاً؛ كان من حقِّي أن أضحَكَ، وكنتُ قادراً على المزاحِ معها، في الوقتِ نفسِه؛ كان أمراً هامّاً، كما أنَّ العبقريَّةَ لا تُهزَم إذا تمَّ تجاهلُها.

س.د.ب: لكنْ، من جانب آخر، إذا حقَّقَ العملُ النَّجاحَ، ألَا يكونُ ذلك سبباً لتوقُّفِ صاحبِه؟

ج.ب.س: لا، إنَّه يستمرُّ؛ لأنَّ ثمَّة أشياءُ أُخرى ينبغي قولُها.

س.د.ب: كيف تطوَّر الأمرُ بعد ذلك ؟

ج.ب.س: ما أزعجني في فكرةِ العبقريَّةِ هذه؛ هو اعتقادي بوجودِ نوعٍ من المساواةِ بينَ مُختلفِ العقولِ. بالنَّتيجةِ، يمكنُ تعريفُ العملِ الأدبيِّ بوصفِه جيِّداً؛ لأنَّه يلائم المؤلِّفَ الَّذي كتبَه، ويقوم على نوعٍ من التِّقنيَّةِ، وليس لأنَّ له ميزةٌ يَفتقِر إليها الآخرون.

س.د.ب: قُلتَ لي: ينبغي تمييزُ العبقريَّةِ عن العقل، وأنَّك لا تعدُّ نفسَكَ ذكيّاً بنحوٍ خاصّ، بل إنَّ ما كان يبدو يميِّزك عن أقرانِك، في لاروشيل؛ هو نوعٌ من العمقِ، وكذلك فكرة الرِّسالة: حيث كان مُقدَّراً لكَ كشفُ الحقائقِ أمام النَّاس، إذاً، كان لك قَدَرُك الخاصُّ بك.

ج.ب.س: نعم، لكنَّ هذا لا يستقيم، فكان لا بُدَّ من التخلي عن هذه الفكرة. الحقيقة: نعم، لقد فكَّرتُ بأنِّي منذورٌ لأداءِ رسالة.

س.د.ب: نعم، سبقَ أن تحدَّثتَ عن هذا في **الكلمات** أيضاً، لكنَّك شعرتَ بنفسِك، حتَّى فترةِ الحرب، بأنَّكَ تفوقُ المحيطينَ بكَ ذكاءً.

ج.ب.س: نعم، بالتَّأكيد.

س.د.ب: قلتَ لي ذاتَ مرَّةٍ ووافقتُكَ عليه: «الحقيقة أنَّ الذَّكاء ضرورة»، وليس سرعةَ الذِّهن، أو، كما يُقال: ربطُ الكثيرِ من الأشياءِ ببعضها، بل ضرورة، عدم التَّوقُّف، والذَّهاب بعيداً، دائماً نحوَ البعيد، أظنُّ أنَّ هذه الضَّرورة كانت لديك، هل شعرتَ بأنَّها أقوى لدَيكَ ممَّا لدى الآخرين؟

ج.ب.س: نعم، لكنِّي لا أُعبِّر عنها الآنَ على هذا النَّحو، فلا أقول لِشخصٍ بنى بيتاً، أو قامَ برحلات، بأنِّي شخصٌ أفضلُ منه لأنِّي كتبتُ كتباً.

س.د.ب: أنتَ ونيزان، كنتما تتسلَّيانِ بالقولِ إنَّكما فوقَ النَّاس surhommes (أمثلان)، وتقولُ في نهايةِ الكلمات إنَّكَ أيُّ أحد؛ وهي جملةٌ بالغةُ الغموض؛ فأنت تفكِّرُ ولا تفكِّرُ فيها في الوقتِ نفسِه، أوَّلاً: كيف انتقلتَ من فكرةِ الإنسانِ الأمثل إلى فكرةِ **أيّاً كان**؟، **قُلْ لي، من دونِ مداورة، ماذا تعني لك فكرةَ أيّاً كان؟**

ج.ب.س: أظنُّ أنِّي أكثرُ موهبةً، وعقلاً أكثر تطوُّراً من الآخر؛ لكنهما ليستا ظاهرتَين، يبقى أصلُهما ذكاءً يُكافئ ذكاءَ الجار، أو حساسيَّة تعادل حساسيَّة الجار، لا أظنُّ أنِّي أتمتَّع بأيِّ تفوُّقٍ كان، قد يكون قِمْعُ الكستناءِ السَّاخنة الَّذي يُباع على بابِ أحدِ المقاهي متفوِّقاً؛ لكلٍّ تفوُّقه، وأنا اخترتُ هذا التَّفوُّق.

س.د.ب: أنت غيرُ مقتنع تماماً بهذا، لأنَّك ترى أُناساً؛ منهم الحمقى، ومنهم القذرين...

ج.ب.س: نعم، بالتَّأكيد، لكنِّي لا أظنُّ أنَّهم كانوا أصلاً كذلك: ثمَّة مَن جعلَهُم كذلك.

س.د.ب: ألا تظنُّ أنَّ الذَّكاء مُعطىً وراثيّ، مباشر، وفيزيولوجيّ؟

ج.ب.س: كتبتُ في دفاتري الصَّغيرةِ عن ماهيَّةِ الحماقة، وكيف تمَّ تلقينُها لبعضِ النَّاس، الشَّيءُ الأساسيُّ يأتي من الخارج؛ إنه قمعٌ يأتي من الخارج مفروضاً على العقل، الحماقةُ شكلٌ من أشكالِ القَمع.

س.د.ب: هل تغيَّر إحساسُك بالعبقريَّة بينَ ما قبل الحرب وما بعدها؟

ج.ب.س: نعم، أظنُّ أنَّ الحربَ أفادت أفكاري كلَّها.

س.د.ب: كنتَ مسروراً يومَ كنتَ سجيناً، بمعنى ما، لأنَّك حقَّقتَ لنفسِكَ اعترافاً كأحدٍ مُهمٍّ؛ انطلاقاً من المجهوليَّة، بتعبيرٍ آخر: استطعتَ أن تكونَ أحداً ما، تحديداً، ما كان يُرضيكَ هو أنَّك لم تكن ضائعاً بينَ كلِّ أولئك النَّاس ومعزولاً بثقافتِك، وكتبِك، وذكائِك، بل بالعكس؛ كنتَ معهم طرفاً كاملاً، وأن تكونَ طرفاً كاملاً، أو أيَّ شخصٍ كان؛ هو ما منحَ قيمةً لهذا الـ أحد ما.

ج.ب.س: رُبَّما تكونين مُحقَّة.

س.د.ب: هذا شيءٌ سُررتَ به؛ فقد وصلتَ إلى هناك بيَدينِ فارغتين، ومجهولاً، من دون اسم، وبلا تفوُّقٍ يمكن أن يعترفَ لكَ به النَّاسُ الَّذين كنتَ تعاشرُهم، لأنَّهم لم يكونوا يشعرون كثيراً بالتفوُّق الفكريِّ، وأقمتَ علاقاتٍ طيِّبةً معهم؛ فكتبتَ **باريونا** Bariona[1] الَّتي ما كان لأحد كتابتها، وارتبطتَ بالمثقَّفين، والقساوسة، واستطعتَ أن تنفُذَ من ثقبِك الخاصِّ هناك، وتدبَّرتَ أمورَك كمجرَّد إنسانٍ من الطَّبقة الثَّانية.

حينما حقَّقتَ هذا المجدَ الَّذي انهمرَ عليك بعد الحرب؛ قلتَ أنَّ هذه تجربةٌ غريبةٌ، لأنَّ المجدَ يعني الكراهيةَ في الوقتِ نفسه، ما الَّذي فَعَلَتْهُ فيك هذه الشُّهرة العالميَّة الَّتي لم تكن تتوقَّعها أبداً؟ هل كانت تحقيقاً لرغبة، واعترافاً بعبقريَّتك، أم حدثاً تجريبيّاً ليسَ له تأثيرٌ على الحقيقةِ المتساميةِ الَّتي كنتَ، في كلِّ الأحوالِ، مُتشبِّثاً بها؟

ج.ب.س: أقولُ بالأحرى، نعم هذا هو الحال، لا شكَّ أنَّ اكتسابَ الشُّهرة، ومجيء أُناسٍ من بعيد يسألونني: أنت السَّيد سارتر، وكتبتَ كذا وكذا، قد أثَّر

(١) باريونا، أو ابن الرّعد، مسرحيّة كتبها سارتر عام ١٩٤٠ أثناء فترة اعتقاله في ألمانيا

فيَّ، لكنِّي لم أكنْ أنظرُ إلى هذه الأمور بجديَّة، لم أجد نفسي فيما كان يقوله هؤلاء النَّاس، في المقابل؛ كنتُ أظنُّ أنَّ ساعةَ المجد لم تحِنْ بعد؛ لأنَّ موعدَ هذه السَّاعة يحين عندما تنتهي الحياة؛ إنَّنا نحقِّقُ المجدَ في نهاية الحياة بعد أن يكتمل عملُنا، لم أكن أنظرُ إلى تلك الأشياء بطريقة جيِّدة. إنَّها أعقَدُ من هذا، عند نهاية العمر؛ ثمَّة مرحلةٌ انتقاليَّةٌ تستمرُ عدَّةَ سنواتٍ بعدَ الموت، ثم يأتي المجدُ بعدَ ذلك، من المؤكَّد أنِّي كنتُ أعتبرُ هذا بمثابةِ لعبةٍ صغيرةٍ، كنوعٍ من شبحِ المجدِ الَّذي يُشير إلى ماهيَّة المجد، لكنَّه ليسَ المجد، لم أكن مُتعاطفاً أبداً معَ هؤلاء النَّاس الَّذين يتهافتون لحضور محاضرتي؛ وهم بسنِّ الخامسة والأربعين، كانوا يسحقونَ بعضَهم، وثمَّة نساءٌ يُغمى عليهنَّ، هذا كلُّه، كنت أراهُ مُثيراً للضَّحك.

س.د.ب: كنتَ تعرف بوجودِ شيءٍ من التَّنفُّج snobisme، وسوء التَّفاهم، وشيء مصدره الحياة السِّياسيَّة؛ لأنَّ الثَّقافة الفرنسيَّة، في تلك الفترة، كانت سلعةً للتَّصدير، لعدمِ وجودِ ما هو أفضلُ منها.

ج.ب.س: لم أُسايرْ هذه الحركةَ كثيراً؛ لأنَّ الصَّحافةَ كانت تقولُ: إنَّه يفعل كذا، ويقوم بذاك، بغرض أنْ يتحدَّث الآخرون عنه.

س.د.ب: نعم، لقد اتُّهِمتَ بأنَّك تُروِّجُ لنفسك، بينما كنتَ...

ج.ب.س: لم أكنْ أهتمُّ لذلك كثيراً، كنتُ أكتبُ، وكنتُ طبعاً بحاجةٍ إلى جمهورٍ حينما أكتبُ مسرحيَّة، لكنِّي لم أكن أقومُ بما هو ضروريٌّ لكي يأتي هذا الجمهور إليّ، كلُّ ما كنتُ أقومُ به؛ هو كتابةُ المسرحيَّة والسَّعي إلى أن تُمَثَّل.

س.د.ب: كيف تطوَّرت علاقتُك بكُتبِك بعد الحرب؟ هل تساءلتَ من وقت لآخر: ما قيمةُ كلِّ ما أكتبه في نهاية المطاف؟ وما هو المستوى الَّذي أضعُ نفسي فيه؟ هل ستبقى كتاباتي رهناً بعصرها؟

ج.ب.س: نعم، لكن نادراً ما طرحتُ على نفسي هذه الأسئلة.

س.د.ب: صحيح، المهمُّ كتابةُ هذه الكتب، وأن تكون مسروراً بما تكتب، وأن يتَّفقَ مع هوى البعض، فحينما يعمل الإنسان ليرضيَ نفسَه، ويكسبَ رضا بعضِ القُرَّاء؛ هو أفضلُ ما يقوم به الإنسان خلالَ حياتِه، كما يمكنه أن يحظى بالمجدِ خلالَ حياته، لكن مثل هذا المجدِ لم يمنعْ شاتوبريان من الوقوعِ في أزماتٍ رهيبةٍ من المرارةِ، لها علاقةٌ بالتَّواريخ السِّياسيَّة.

ج.ب.س: لكنْ؛ لا يمكن أن يكونَ المجدُ خاصّاً، إنَّه يقتضي الفنَّ، وكذلك السِّياسة، وأشياء كثيرة؛ الشُّهرة الَّتي حظيتُ بها منعتني من الرَّغبة في أيِّ شيء آخر، لكنِّي لم أخلُطْها أبداً بالمجد القادم الَّذي قد أحظى، أو لا أحظى به.

س.د.ب: بعبارة أُخرى؛ هل المجدُ، كما تراه، يعني حكمَ الأجيالِ اللَّاحقة؟

ج.ب.س: إذا لم يتغيَّر العالم؛ سيوكلُ إليَّ دورٌ في القرن العشرين، الكتبُ التَّعليميَّةُ الأدبيَّةُ تُذكِّرني بوصفي مؤلِّفاً ناجحاً، إمَّا لخطأ ارتكبهُ الجمهور، أو بالعكس، لأنِّي مهمّ، أو غير ذلك؛ المجدُ يترافقُ بنوعٍ من التَّفوُّق على الكُتَّابِ الآخرين؛ لا بُدَّ من الاعترافِ بأنَّ ذلك ليسَ جميلاً، لأنِّي أفكِّرُ في شيئينِ متناقضين؛ أولاً: أظنُّ أنَّ الكُتَّابَ الجيِّدين أعلى مرتبةً من الآخرين، وأنَّ الكاتبَ الجيِّد جدّاً أرفعُ منزلةً من الجميع؛ أقولُ: الجميع، باستثناءِ قِلَّةٍ قليلة من كُتَّابٍ رائعين آخرين، هذه هي الفئة الَّتي أضعُ نفسي فيها، وأظنُّ أيضاً أنَّ الظُّروف تتحكَّمُ بقدرة القُرَّاءِ على تمييز مَن يمتهنونَ الكتابة، ويصنعون الأدب، قد لا يكونُ هذا الكاتبُ أفضلَ من ذاك دائماً، بل تراه يقدِّمُ خلالَ فترةٍ مُعيَّنة، فعليّاً، المزيدَ من الخدمات عبرَ كتُبه حتَّى لو كان ميِّتاً؛ لأنَّ أسباباً مختلفةً تجعل هذه الكتبَ مُناسِبةً للعصر، أظنُّ أنَّ كاتباً صنَعَ كتاباً صالحاً؛ ستكون حياتُه مختلفةً بعد الموت، بحسب ما تقتضيهِ الأحقابُ والعصورُ، وقد يطويهِ النِّسيان، كما أظنُّ أنَّ كاتباً يحقِّقُ جوهرَ الأدبِ بأعماله؛ لا يعدُّ أقوى أو أضعفَ من قرينه؛ فقد تُحبِّينَ ذاك أكثرَ من هذا تِبعاً لقربِه من أفكارك، أو حساسيَّتِك، لكنَّهما، في نهاية المطاف، متشابهان.

س.د.ب: تقصد أنَّ تفوُّقَ الكاتبِ يبدو لكَ بمثابةِ مُطلَقٍ ونسبيٍّ قياساً بالتَّاريخ.

ع.ب.س: هو كذلك. أو أنَّ يظنَّ المرءُ نفسَه كاتباً، فيكتبُ بعضَ الأشياء، فإذا كانت جيِّدة؛ فهو كاتب جيِّد، لكنِّي أظنُّ أيضاً أن يكونَ المرء كاتباً؛ يعني بلوغَه جوهرَ فنِّ الكتابة، ولدى بلوغِه جوهرَ فنِّ الكتابة؛ فليسَ معنى هذا أنَّه أقلُّ أو أكثرُ بلوغاً له من قرينه، بطبيعة الحال؛ يمكنه أن يضعَ نفسه على الأطراف، لكن هذا ليس موضوعَ حديثي، بل أتحدَّثُ عن الكُتَّابِ الحقيقيِّين، مثل شاتوبريان، أو بروست، لِمَ تراني أقول إنَّ بروست أدركَ الأدبَ أكثرَ من إدراك شاتوبريان له؟

س.د.ب: حسناً، ليس هناك هرميَّة تشبه المشاركة في المسابقات؛ كلٌّ واحدٍ، وفي كلِّ فترةٍ يُفضِّلُ هذا الكاتبَ أو ذاك، لكن؛ هل تُفكِّر اليومَ بالأجيال اللَّاحقة؟ وهل تراها موجودة؟ أم هي أشبهُ بالسَّلطعونات في مسرحيَّتك سجناء ألتونا séquestrés d'Altona، الَّتي لا يربطها أيُّ رابطٍ بك؟

ع.ب.س: لا أعرف، في بعض الأحيان؛ انتابني انطباعٌ بأنِّي أعيش في عصر ستتبعه تقلُّباتٌ من شأنها تغييرُ مفهوم الأدب تماماً؛ حيثُ ستقومُ مبادئ جديدة، ولا يعودُ لأعمالِنا أيُّ دلالةٍ بالنِّسبة للقادمين الجدُد. فكَّرتُ في هذا، وما أزال أفكِّر فيه أحياناً، لكن ليس دائماً، فقد استأنفَ الرُّوسُ أدبَهم السَّابق، أمَّا الصِّينيُّون فلَمْ يفعلوا ذلك، حينئذٍ؛ يتساءل المرءُ ما إذا كان المستقبلُ سيُبقي على كُتَّابِ الماضي، أم على بعضِهم فقط.

س.د.ب: طالما أنَّك تُفكِّر في هذا الأمر، فهل تظنُّ أنَّ البقاء سيُكتَبُ لعملِك الأدبيِّ أم لعملِك الفلسفيِّ، أم الإثنين معاً؟

ع.ب.س: أظنُّ أنَّ البقاء سيُكتَبُ [لمجموعة] **مواقف** Situations، وللمقالاتِ المكتوبة بأسلوب بسيط؛ والَّتي تحيل إلى فلسفتي، وتتحدَّث عن أشياء يعرفها الجميع.

س.د.ب: إجمالاً؛ هل هو نوعٌ من التَّفكُّر النَّقديِّ حولَ جميع أوجه العصر؛ السِّياسيَّة، والأدبيَّة، والفنيَّة ؟

ع.ب.س: هذا ما أريدهُ مجموعاً في كتابٍ واحدٍ تنشرُه دارُ غاليمار.

س.د.ب: ما هي علاقتُك الذَّاتيَّة بأعمالِك؟

ع. ب.س: لستُ مسروراً من هذه العلاقة؛ لفشلي في مجالِ الرِّواية.

س.د.ب: لا، مشروعُكَ الرِّوائيُّ لم يفشلْ؛ لكنَّه لم ينتهِ.

ع.ب.س: عموماً، لم يلقَ حظّاً كبيراً من التَّقدير، وأظنُّ أنَّ النَّاسَ مُحقِّين في ذلك، ثمَّ؛ الأعمال الفلسفيَّة...

س.د.ب: إنَّه جيِّد بشكل كبير!

ع.ب.س: صحيح، لكنْ إلامَ يُفضي ذلك؟

س.د.ب: أرى أنَّ كتابَك **نقد العقل الجدليّ** يساهمُ كثيراً في دفعِ الفكر إلى الأمام!

ع.ب.س: ألا ترينَ أنَّ ذلك يتَّسمُ بالمثاليَّة قليلاً ؟

س.د.ب: لا أظنُّ ذلكَ أبداً، بل أظنُّ أنَّ لهُ فائدةً عظيمةً، كما يُسهم، بطريقةٍ أُخرى، كتابُك «**فلوبير** »، في فهمِ العالم، والنَّاس...

ع.ب.س: لم أُكملْ «فلوبير» بعد، ولن أُنهيه.

س.د.ب: صحيحٌ أنَّك لم تُكملْه بعد؛ لأنَّ الأسلوبَ الَّذي كُتبَتْ فيه روايةُ مدام بوفاري لم يكن يهمَّك كثيراً.

ع.ب.س: مع ذلك؛ كان هناك أشياءُ كثيرةٌ أريد قولَها.

س.د.ب: لكن، سبق لكَ أن قُلتَ الكثيرَ عن فلوبير، فيه خلاصة كبيرة عن الطَّريقة الَّتي يمكن التَّفكير من خلالِها حولَ الرَّجل، ومناهج التَّفكير فيه ! وهو

وجهٌ لا ينبغي إهمالُه، أعني الوجهَ الأدبيَّ للكتاب، ومتعة قراءة كتاب «**فلوبير**»، أشبهُ بمتعة قراءةِ **الكلمات**.

ج.ب.س: لم أحاولْ أبداً كتابةَ فلوبير.

س.د.ب: لكنَّه يتضمَّن أشياء مكتوبة بشكل مثير، وثمَّة لحظات تشعر بأنَّك أمامَ عمل أدبيّ، يُشبه **الكلمات**.

ج.ب.س: **الكلمات**، كتبتُه بطريقةٍ جيِّدة لأنِّي أردتُ ذلك.

س.د.ب: لكنَّكَ لستَ مُستاءً، من دون تواضع، لو قارنْتَ عملَك بما أردتَ القيامَ به. أعرف أنَّ أحلامَ الشَّباب غيرَ المحدَّدة لا تلتقي مع الإنجاز المكتمل، ومع ذلك؛ أليس هذا ما أردتَ القيامَ به؟

ج.ب.س: لستُ مسروراً جدّاً، كما أنِّي لستُ مُستاءً. ثمَّ إنَّ هناكَ علامةَ استفهامٍ كبيرة: ما الَّذي سيكون عليه؟

س.د.ب: هذا ما كُنَّا نقولُه قبلَ قليل. ما الَّذي ستفعل الأجيال اللَّاحقة به؟

ج.ب.س: نعم، إذا كانت هناك أجيالٌ لاحقةٌ كأجيال الصِّين اللَّاحقة؛ لن تفعلَ به شيئاً كبيراً.

س.د.ب: الظُّروف غيرُ متشابهةٍ على الإطلاق.

ج.ب.س: الآن؛ نحنُ نعيش عصرَ تغيُّرٍ حقيقيّ؛ لا ندري في أيِّ اتِّجاه يسيرُ هذا التَّغيير، لكنَّ العالمَ الَّذي نعيشُ فيه لن يستمرّ.

س.د.ب: لكنَّنا لسْنَا في القرنِ الثَّامنَ عشر، أو القرن السَّادسَ عشر، ومع ذلك؛ نقرأ كُتُباً تنتمي إلى القرن السَّادسَ عشر.

ج.ب.س: لكنَّ القرنَ الثَّامنَ عشرَ لم يشهدْ ثورةً من هذا النَّوع؛ ثورةُ ١٧٩٨ لا علاقةَ لها.

س.د.ب: إنَّنا نقرأ اليونانيِّين والرُّومان، بينما العالم قد تغيَّر.

ج.ب.س: نقرأهم بوصفِهم غيرَ راهنين، وهذا شيء آخر.

س.د.ب: هل ترى أنَّ الأدبَ احتفظَ دائماً بالقيمةِ نفسِها، منذ أن بدأتَ في ممارسةِ السِّياسة، وهل قلَّلَ ذلك من قيمةِ الأدب؟

ج.ب.س: لا، لم يقلِّلْ من قيمته.

س.د.ب: كيف كنتَ تشعرُ بالعلاقةِ بينهما؟

ج.ب.س: ظننْتُ أنَّ على العملِ السِّياسيِّ تشكيلَ عالمٍ؛ بحيثُ يُمكن أن يكون الأدبُ حُرّاً في التَّعبير عن نفسه: خِلافاً لما كان يظنُّه السُّوفييت. لكنِّي لم أطرقِ المسألةَ الأدبيَّة من النَّاحية السِّياسيَّة، ولطالما تصوَّرتُ أنَّه أحدُ أشكال الحُرِّيَّة.

س.د.ب: هل مرَّت أوقاتٌ بدا الأدبُ لكَ، بالنِّسبة للسِّياسة، شيئاً غيرَ مفيد، أو ينبغي وضعُه في المرتبة الثَّانية على الأقل؟

ج.ب.س: لا، لم يخطرْ ببالي هذا الأمرُ أبداً. لن أقولَ أنَّه ينبغي وضعُ الأدبِ في المرتبة الأُولى، لكنِّي اعتقدتُ بأنِّي مَنذورٌ لصناعة الأدب، وممارسة السِّياسة كما يُمارسها الجميع، لكنِّي منذورٌ للأدب بنحو خاصّ.

س.د.ب: نعم، لهذا السَّببِ رفضْتَ التَّوقُّفَ عن كتابة «فلوبير» حينما طلب منك فيكتور وغافي ذلكَ خلالَ حواراتك معهُما.

لقد مرَرْتَ بفترةٍ توقَّفتَ فيها عن الكتابة، في عام ١٩٥٢، لتتفرَّغَ للقراءة بشكل كبير، وقد تناسبَ ذلك مع تقرُّبِك من الحزب الشُّيوعيِّ، وإرادتِك في «كسرِ عظامٍ في رأسِك» كما سبق لك القول. في تلك الفترة؛ حافظَ الأدبُ على...

ج.ب.س: لم أكن أتساءَل، لكنْ لو فعلتُ ذلك؛ لقلتُ لكِ إنَّني كنتُ منذوراً للأدب.

س.د.ب: لم تكن الكتابةُ أهمَّ ما في عملِك في تلك الفترة.

ج.ب.س: كانت القراءة.

س.د.ب: والتَّفكير.

ج.ب.س: كان ذلكَ في زمنِ كتابِ **الشُّيوعيُّون والسَّلام**.

س.د.ب: كانت تلكَ الكتاباتُ سياسيَّةً أكثرَ منها أدبيَّة.

ع.ب.س: نعم. وكانت القطيعة مع كامو Camus[1] في جوهرها؛ سياسيَّة أيضاً.

س.د.ب: ماذا كان دورُ الاستحسانِ من قِبَلِ محيطِك أو من النَّاس مثل Paulhan أو النُّقَّاد؟ هل كنتَ تحتقرُ النُّقَّاد بشكل جذريّ؟ أم كنتَ تأخذُ رأيَهم بعينِ الاعتبار؟ كيف كانت علاقتُك بالنُّقَّاد، والقُرَّاء؟

ع.ب.س: لطالما كان القُرَّاءُ أكثرَ ذكاءً - في حدود معرفتي - من النُّقَّاد. لم يُضِفِ النُّقَّادُ، عمليّاً، شيئاً على كتاباتي، اللَّهُمَّ إلَّا أولئك الَّذين وضعوا كتاباً حولَ إحدى وجهات نظري؛ هؤلاء علَّموني في بعض الأحيانِ شيئاً ما؛ لكنَّ غالبيَّة النُّقَّاد لم يضيفوا إليَّ شيئاً.

س.د.ب: لكنَّكَ، كغيرك، كنتَ تنتظرُ منهم شيئاً حينما يصدرُ أحدُ كتبِك...

ع.ب.س: من البديهيّ أنَّني كنتُ أريدُ معرفةَ رأيهم، نعم؛ حينما كان يصدرُ لي كتابٌ؛ أقرأ كلَّ الانتقادات. لِنَقُلْ: ليسَ كلَّها حينما لا أكون قادراً على ذلك. وكنتُ أُدهَشُ حينما أرى فهرساً بالانتقاداتِ المكتوبةِ خلالَ السَّنة، وأرى أنَّ نصفَها قد فاتني. لكنِّي لا أسعى إلى قراءة ما فاتني؛ لأنَّ النَّاقدَ يقول: هذا جيِّد، أو أقلُّ جودة، أو غيرُ جيِّد. هذا كلُّ ما يقولُه النَّاقد لي. الباقي...

س.د.ب: هل اطّلعتَ على تصويباتٍ من قُرَّاء اقترحوا عليكَ شيئاً لعملك المستقبليّ، أو شيئاً أوقفَك عنه؟ وهل كان لهذا تأثيرٌ على سَيرِ كتاباتك؟

ع.ب.س: ليس لديَّ هذا الانطباع. لا. كان لديَّ قارئٌ مُفضَّل، هو أنتِ. حينما كنتِ تقولينَ لي: «أنا مُتَّفِقةٌ معَك، حسناً»، أنتَ مصيب؛ كنتُ أنشرُ كتبي غيرَ مكترثٍ بالنُّقَّاد. لقد قدَّمتِ لي خدمةً كبيرةً؛ منحتِني ثقةً بنفسي ما كان لي أن أحقِّقَها لوحدي.

---

(١) ألبير كامو (١٩١٣-١٩٦٠): كاتب، وفيلسوف، وروائيّ فرنسيّ مشهور.

س.د.ب: القارئُ هو من يصنعُ حقيقةَ النَّص، بمعنى من المعاني.

ج.ب.س: لكنِّي لم أكن أعرفُ القارئ، أو أنَّ النُّقَّادَ همُ الَّذين لم يكونوا يرضونَني. لم يكن أحدٌ غيرك. طالما كان الحالُ كذلك: حينما كنتِ تجدينَ أمراً جيِّداً كنتُ أوافق عليه. لكنَّ النُّقَّادَ لم يكونوا يرونَه كذلك. لقد كانوا حَمقى.

س.د.ب: لكنَّكَ كنتَ حسّاساً إزاءَ التَّصويباتِ الذَّكيَّة، أو حتَّى النَّجاح بحصرِ المعنى.

ج.ب.س: النُّقَّاد اليومَ مختلفون قليلاً. ثمَّة واحدٌ منهم أُحبُّه كثيراً، أعني؛ دوبروفسكي Doubrovsky[1]؛ فهو ناقدٌ ذكيٌّ، مرهفُ الحسّ، وثاقبُ البصر. ثمَّة آخرون يشبهونه؛ لأنَّ للنَّقدِ معنىً في الوقت الرَّاهن لم يكنْ له سابقاً.

س.د.ب: من المؤكَّد أنَّ الاستحسانَ الحماسيَّ جدّاً؛ الَّذي حظيَ به كتابُ **الكلمات**؛ لم يدفعْكَ إلى اتِّخاذِ قرارِ كتابةِ الكتابِ التَّالي.

ج.ب.س: لا. لِمَ يكونُ دافعاً لي؟ كانوا يقولون إنَّ له تَتِمَّة، حسناً؛ لم تكنْ له تَتِمَّة.

س.د.ب: لكنَّ الكتابةَ هي استجابةٌ لحالة، إلى حدٍّ ما؛ زِدْ على هذا؛ أنَّك في أغلبِ الأحيانِ كتبتَ أعمالاً ظرفيَّة. وقد نجحْتَ في هذا عموماً. **مواقف** كلُّها عبارةٌ عن....

ج.ب.س: **مواقف** كلُّها عبارةٌ عن كتاباتٍ ظرفيَّة.

س.د.ب: ومع هذا؛ ثمَّة علاقةٌ مباشرةٌ بالجمهور.

ج.ب.س: هناك علاقة؛ يقعُ حدثٌ مُعَيَّن؛ فيتساءل الجمهور عن رأيِ سارتر في هذا الحدث، لأنَّه يُحبُّني. عندئذٍ؛ أكتبُ له.

---

(١) سيرج دوبروفسكي (١٩٢٨-٢٠١٧): كاتب، وناقد أدبيّ، وأستاذ جامعيّ فرنسيّ.

س.د.ب: حينما عرفتُكَ شابّاً؛ كنتَ تعيشُ من أجلِ الأجيالِ اللّاحقة. لكن: ألم يمرَّ عليكَ وقتٌ قلتَ فيه إنَّ ليس لهذا أيّ معنىً بالنِّسبة إليك؟ هل يُمكنُ أن تَشرحَ لي العلاقةَ بين الكتابةِ بطريقةٍ مُلتزمةٍ لمعاصريك، واستفتاءِ العصورِ اللّاحقة؟

ج.ب.س: حينما نصنعُ أدباً مُلتزماً؛ نهتمُّ بقضايا تفقُد معناها بعدَ عشرين سنة، ولها علاقةٌ بالمجتمع الحاليّ. فإذا كان لنا بعضُ التّأثير، وطرحْنَا القضيَّةَ بشكلٍ جيِّدٍ؛ ننجحُ في دفعِ النّاسِ إلى الفعلِ، أو النَّظرِ إلى الأشياءِ من وجهةِ نظرهِم. ولا وجودَ لقضيَّةِ الأجيالِ اللّاحقةِ إلّا بعدَ أن يتمَّ حلُّ المشكلةِ سلباً أو إيجاباً، ليس من قِبَلِ الكاتبِ نفسِه بكلِّ تأكيد. وبما أنَّ القضيَّةَ قد حُلَّت؛ هناكَ طريقةٌ للنَّظرِ إلى العملِ بعدَ عشرين أو ثلاثين عاماً، من وجهةِ نظرٍ جماليَّةٍ تحديداً ا. بمعنى أنَّنا نعرفُ التّاريخ، ونعرفُ أنَّ الكاتبَ قد كتبَ هذا في لحظةٍ مُعيَّنة، وأنَّ بومارشيه Beaumarchais[1]، على سبيلِ المثال. كتبَ بعضَ أُهجياته الهامَّة جدّاً. لكنَّنا لسنا قادرينَ اليومَ على استخدامِها لهذه القضيَّة أو تلك. ننظرُ إلى الموضوعِ الأدبيِّ بوصفِه مُناسباً للجميع، لكنْ من دونِ اعتبارِ مضمونِه الحكائيّ. وتتحوَّلُ التَّفاصيلُ إلى رموز. فأيُّ حدَثٍ خاصٍّ يصلحُ لمجموعةٍ من الوقائعِ الَّتي يتميَّز بها مجتمعٌ مُعيَّن، أو عدَّة أنواع من المجتمعات. ويتحوَّل الموضوعُ الَّذي كان محدوداً إلى موضوعٍ عامّ؛ بحيث إنَّه حينما نكتب نَصّاً مُلتزماً؛ فإنَّ أوَّل ما نهتمُّ به؛ هو الموضوع الَّذي علينا معالجتُه، والحججُ الَّتي ينبغي تقديمُها، والأسلوب الَّذي يجعل الأشياءَ أكثر منالاً، والأكثر تأثيراً بالنِّسبة للمعاصرين، ولا نعود منشغلينَ بالتَّفكير بما يمكن أن تكونَ عليه قيمةُ الكتابِ حينما لا يعودُ قادراً على دفعِ أيِّ شخصٍ على الفعل. لكن؛ هناكَ فكرةٌ خلفيَّةٌ غامضةٌ تجعلنا نعتبرُ أنَّ العملَ، إذا نجحَ في تحقيق هدفه، ستكونُ له

---

(١) بيير أوغيستان دو بومارشيه (١٧٣٢-١٧٩٩): كاتب ومسرحيّ، وموسيقيّ، ورجل أعمال، عُرف بوصفه كاتباً بالدّرجة الأولى.

ارتداداتُه في المستقبلِ بشكلٍ عالميّ. ولا يعودُ فعّالاً، وسيُنظَر إليه بوصفِه شيئاً مجّانيّاً، إلى حدٍّ ما. وتسير الأمورُ كما لو كانَ الكاتبُ قد كتبَ هذا الشّيء مجّاناً، وليسَ لقيمته الدّقيقةِ بوصفه عملاً حولَ واقعةٍ اجتماعيّةٍ مُحدَّدةٍ. هكذا نُعجَبُ بأعمالِ فولتير لقيمتها العامّة، بينما كانت حكاياتُه تَستمدُّ قُوّتَها، في زمنه من رؤيةٍ اجتماعيّةٍ مُعيّنة. هناكَ إذاً وجهتَا نظر، يعرفهما المؤلّفُ حينما يشرعُ في الكتابة، فهو يعرفُ أنّه يكتب شيئاً خاصّاً، ويساهم في عمل مُعَيَّن، ولا يبدو أنّه يستعملُ اللُّغة لمجرَّدِ مُتعةِ الكتابة؛ لكنّه، في أعماقه، يظنُّ أنّه يبدعُ عملاً ذا قيمةٍ عامّة، هي دلالتُه الحقيقيّة مع إنّه نُشِرَ لتحقيقِ عملٍ فريد.

س.د.ب: هناك أيضاً شيئان أو ثلاثةُ أشياء نُسمِّيها أعمالاً فنّيّة. وهي أعمالٌ أدبيّةٌ حقيقيّةٌ. من جانب آخر، في الكتاباتِ الّتي تتضمّن دعوةً، أو تريد إقناع النّاس من خلالها، طالما أولَيتَ عنايتَك للأسلوب والإنشاء؛ لبلوغِ معاصريك، وفي الوقتِ نفسه؛ لتركِ بصمةٍ عالميّةٍ تجعلُ العملَ الأدبيَّ صالحاً في ما بعد.

ج.ب.س: إذا شئتِ.

س.د.ب: هذا يعني أنّكَ لم تكنْ دائماً غيرَ مكترثٍ بالأجيال اللّاحقة.

ج.ب.س: لا، لم أكنْ أهتمُّ بها. لكن خلفَ حُلُمي القائمِ على الكتابةِ دائماً لجاري الّذي سيقرأني، كانت تكمن فكرةُ الأجيال اللّاحقة؛ أجيال لاحقةٌ لا يمكن أن تكون موجودةً إلّا مع تَغيُّرٍ كامل للعمل الّذي يتوقّفُ عن التّأثير، لكنّه يصبح عملاً فنيّاً، شأنُه شأنُ أشياء الماضي كلّها تقريباً.

س.د.ب: تُدرِكُ في اللّحظة الّتي قُدِّمَتْ فيها عن بعد. طبعاً، كنتَ تفكِّر بالأجيالِ اللّاحقةِ، لأنّك طالما قلتَ لي، بل كتبتَه على ما أظنُّ، في **الكلمات**: أنَّ الأدبَ يُخفي عنكَ تماماً فكرةَ الموت. فالموتُ كانَ بالنّسبة لكَ مساوياً للّحظة الّتي تعيشها، ومن ثمَّ فقد كنتَ تُفكِّر بأنَّ للكتاب حياةً باقية.

ع.ب.س: آمنتُ بالأجيالِ اللَّاحقة بطريقةٍ قويَّة، لا سيما في صِغَري، أي في الفترة الَّتي أنهيتُ فيها **الكلمات**، ثمَّ خلالَ السَّنوات اللَّاحقة، وحينما صرتُ في العشرين من عمري. وشيئاً فشيئاً؛ رحتُ أفهمُ أنِّي كنتُ أكتبُ لقُرَّائي الرَّاهنين. عندئذٍ؛ أصبحَتِ الأجيالُ اللَّاحقةُ شيئاً يُدغدِغُني من الخلف، كلَمعانٍ يُرافق ما أكتبه أساساً لقُرَّائي الرَّاهنين.

س.د.ب: لم تكنْ أبداً أحدَ أولئكَ الكُتَّابِ الَّذين يقبعونَ في المستقبلِ بهدوءِ المحتَقِرِ لكلِّ معاصريه، مثل ستاندال، الَّذي أحببتَهُ، مع ذلك، كثيراً. والَّذي كان يقول: «سيفهمني النَّاسُ بعدَ مائةِ سنة، لذلك لا يهمُّني اليومَ كثيراً».

ع.ب.س: قطعاً لا.

س.د.ب: لم تكنْ تحتقرُ مُعاصريك، أو تفكر بأنَّ كُتبَكَ ستكونُ بمثابةِ انتقامٍ لك. بل، ربَّما على العكس، كنتَ تظنُّ أنَّك طالما نجحتَ في الوصولِ إلى مُعاصريك؛ ستكون مُمثِّلاً لعصرك، وستنتقل إلى الأجيال اللَّاحقة، وليس من خلالِ انفصالِك عنهم.

ع.ب.س: كنتُ أظنُّ أنَّ اعترافَ معاصريَّ هذا؛ عبارةٌ عن فعلٍ يجري خلالَ حياتي، وأنَّه المرحلةُ الَّتي لا بُدَّ من المرورِ بها لبلوغِ المجد أو الموت.

س.د.ب: إنَّ وَضْعَنَةَ Objectivation عملِك هي الَّتي أسبَغَتْ عليه واقعيَّتَه؛ كان ثمَّة مفهومٌ هامٌّ، تحدَّثْتَ عنه في **الكلمات**، هو فكرةُ ذلك النَّوعِ من الخلاص الَّذي يمنحُهُ الأدب.

ع.ب.س: بالتَّأكيد، كما ذكرت في الكلمات، إنَّ فهمي للبقاءِ الأدبيِّ هو حتماً نوعٌ من نَسخٍ للدِّيانة المسيحيَّة.



الوجود والعدم

س.د.ب: حتَّى حينما كنتَ تَدْرُس الفلسفةَ في ألمانيا؛ لم يمنعْكَ هذا من كتابةِ **الغثيان**. كنتَ موزَّعاً بينهما.

ج.ب.س: كان **الغثيانُ** هو الأهمَّ.

س.د.ب: لكنَّ دراستَك للفلسفةِ لمدَّة سنةٍ في ألمانيا تعني أنَّها مُهمَّةٌ بالنِّسبةِ لك. سألْتُكَ كيفَ وصلتَ إلى كتابةِ **الوجود والعدم**؛ أجبتَني: بسببِ الحرب.

ج.ب.س: نعم.

س.د.ب: لكنَّ هذا ليسَ تفسيراً كافياً.

ج.ب.س: حسناً. كتبتُ منهُ أشياءَ كثيرة في دفاتري الصَّغيرة. تكوَّنَتْ أفكارُ **الوجود والعدم**، انطلاقاً من دفترٍ صغيرٍ كتبتهُ خلالَ تلكَ الحربِ الغريبة. وقد جاءتني هذه الأفكارُ خلالَ السَّنواتِ الَّتي قضيتُها في برلين؛ لأنَّ النُّصوصَ لم تكنْ بحوزتي في تلك الفترة، فأعدتُ خلقَ كلِّ شيءٍ بنفسي. لم أعرفْ لِمَ أهداني الألمانُ كُتُبَ هايدغر Heidegger خلالَ وجودي في معسكر السُّجناء. وهو أمرٌ بقيَ غامضاً بالنِّسبة لي.

س.د.ب: كيف تصرَّفت؟

ج.ب.س: خلال الأسْر؛ سألني أحدُ الضُّبَّاطِ الألمان عَمَّا ينقصني، فأجبته: هايدغر.

س.د.ب: رُبَّما؛ لأنَّ النِّظامَ كان ينظر إلى هايدغر نظرةً إيجابيَّة...

ج.ب.س: رُبَّما. قدَّموه لي في كلِّ الأحوال. وهو مُجلَّدٌ ضخمٌ باهظُ الثَّمن. كان ذلكَ غريباً، لأنَّهم لم يكونوا يعاملون السُّجناءَ بالورود، كما تعرفين.

س.د.ب: نعم، أعرف هذا. يبقى الأمر غامضاً. المهمُّ أنَّك قرأتَ هايدغر عندئذٍ.

ج.ب.س: قرأتُ هايدغر بينما كنتُ في معسكرِ المعتَقَلين، وفضلاً عن هذا؛ فهمتُهُ بفضلِ هوسرل Husserl أكثر من فهمي له مباشرةً. حيث سبقَ لي أن قرأتُه في عام ١٩٣٦.

س.د.ب: نعم، أتذكَّر ذلك، إذ طلبتَ مِنِّي أن أُترجمَ لكَ أجزاءً كبيرةً منه. وناقشناه معاً، كما أذكر، يومَ كُنَّا في مدينة روان Rouen. حسناً؛ لكن. في الوقت نفسه. كان كتابُ **الوجود والعدم** يندرجُ في إطار ما اكتشفتَه في كتاب **المُتخَيَّل** L'imaginaire.

ج.ب.س: نعم. هذا ما حدث. اكتشافُ الوعيِ بوصفه عَدَماً.

س.د.ب: بعد ذلك كنتَ تقول: إنَّك تركتَ الفكرة، أو الحدْسَ الَّذي كان لديك حولَ **الوجود والعدم**.

ج.ب.س: نعم... لكنِّي، مع ذلك، كتبتُ كُتباً لها علاقة بالفلسفة؛ مثل: **القديس جينيه** Saint Genet.

س.د.ب: صحيح.

ج.ب.س: كان ذلك، بالنِّسبة لي، دراسةً ضخمةً، غير فلسفيَّة، لكنِّي، في الحقيقة، كنتُ دائماً أستخدمُ مفاهيمَ فلسفيَّة.

س.د.ب: صحيح.

ج.ب.س: يُمكنُ القولُ إنَّه كتابٌ فلسفيٌّ... ثمَّ خطرَتْ ببالي بعضُ الأشياء، مع كتابِ **نقدِ العقلِ الجدليِّ**.

س.د.ب: حدثَ هذا على مراحلَ أيضاً، من خلالِ مُسابقاتٍ ظرفيَّة؛ لأنَّ البولونيِّين...

ج.ب.س: لأنَّ البولونيِّين سألوني أين وصلتُ من النَّاحية الفلسفيَّة...

س.د.ب: أفضى هذا إلى كتابةِ **مسائل في المنهج**.

ج.ب.س: نعم. أفضى هذا إلى **مسائل في المنهج**، نشرَهُ البولونيُّون. أردتُ تقديمَه لقُرّاء مجلّة الأزمنةِ الحديثة ـ كما نصحتِني ـ.

س.د.ب: صحيح.

ج.ب.س: لم يكنِ النّصُّ الأصليُّ جيِّداً جدّاً. فشرعتُ في إعادةِ كتابته، ونشرتُه في **الأزمنة الحديثة**.

س.د.ب: نعم. لكن، ألم تكنْ هناكَ مُسوِّغات أُخرى؟ شرعتَ، منذ بداية عام ١٩٥٢ في قراءةِ الماركسيَّة بشكلٍ كبير، وأصبحتِ الفلسفةُ نوعاً من السِّياسة ـ وليس من باب المصادفة أن يَطلبَه البولونيُّون منك ـ.

ج.ب.س: صحيح. يرى ماركس أنَّه لا بُدَّ من إلغاءِ الفلسفةِ. أمَّا أنا؛ فلمْ أكُ أرى الأشياءَ على هذا النَّحو. بل كنتُ أرى الفلسفةَ باقيةً في مدينةِ المستقبل. لكن من المؤكَّد أنَّني كنتُ أرجِعُ إلى الفلسفةِ الماركسيَّة.

س.د.ب: لكن، من المهمّ أن تفسِّر رأيَك بشكلٍ أفضل؛ لقد اقتُرحَ عليكَ كتابةُ **مسائل في المنهج**، فكيف قبِلْتَ ذلك؟

ج.ب.س: لأنِّي أردتُ معرفةَ ما وصلتُ إليه من النَّاحية الفلسفيَّة.

س.د.ب: في ما يتعلَّق بعلاقاتك بِالماركسيَّة...

ج.ب.س: سطحيّاً، نعم. لكنَّ علاقاتي بِالديالكتيك بنحوٍ خاصٍّ، إذ لو نظرتِ إلى دفاتري ـ لسوءِ الحظِّ أنَّها لم تَعُدْ موجودةً ـ لرأيتِ كيف ينزلقُ الديالكتيك إلى ما كنتُ بصددِ كتابته.

س.د.ب: ومع ذلك؛ فإنَّ **الوجود والعدم** يخلو من الديالكتيك تماماً.

ج.ب.س: صحيح. انتقلتُ من **الوجود والعدم** إلى فكرةٍ ديالكتيكيَّةٍ.

س.د.ب: نعم؛ حينما كتبتَ **الشُيوعيُون والسَّلام**؛ شرعتَ بوضع فلسفةٍ للتَّاريخ. وهذا ما أدَّى إلى كتابةِ **مسائل في المنهج**.

ج.ب.س: صحيح.

س.د.ب: لكن، كيف انتقلتَ من **مسائل في المنهج** إلى **نقد العقل الجدليّ**؟

ج.ب.س: **مسائل في المنهج**؛ يتضمَّن المنهجيَّة فقط، لكن كانت تكمن خلفَهُ الفلسفة، والديالكتيك الفلسفيُّ الَّذي بدأتَ بتحديدِ معالمه. وما أن انتهيتُ من كتابةِ **مسائل في المنهج**، بعدَ ثلاثةِ أو ستَّةِ أشهر، شرعتُ بكتابةِ: **نقد العقل الجدليّ**.

س.د.ب: وكيفَ اكتشفتَ أنَّ لديكَ أفكاراً جديدة، لأنَّك طالما قُلتَ لي خلالَ سنوات: «لا، لا أعرفُ إن كنتُ سأكتبُ يوماً كتاباً فلسفيّاً آخر؛ لقد نضبَتْ أفكاري».

ج.ب.س: أظنُّ أنَّني حينما كنتُ أقولُ «نضبَتْ أفكاري؛ أعني أنَّها نضبَتْ من حيثُ وعيي بها. لكن كان لديَّ شيءٌ ما مع ذلك...

س.د.ب: شيءٌ كان بصددِ التَّشَكُّل.

ج.ب.س: صحيح. حينما كتبتُ **مسائل في المنهج**، عادَتْ أفكاري بشكلٍ سريع جدّاً لتستعيدَ مكانها. هي الأفكار الَّتي دوَّنتُها خلالَ ثلاثِ أو أربعِ سنواتٍ في دفاتري... أنتِ تعرفينَ هذه الدَّفاتر...

س.د.ب: نعم، نعم، أتذكَّرُها... ومع هذا؛ لا يبدو أنَّكَ وجدْتَ في هذه الدَّفاتر تلكَ الأفكار بالغة الأهميَّة حولَ التَّواتر Récurrence و العطالة العمليَّة Pratico-inerte.

ج.ب.س: لا. لكنِّي كنتُ بعيداً عن المستوى الجدليِّ، بحيث لم أشعرْ بها.

س.د.ب: اعتباراً من عام ١٩٥٢؛ قرأتَ كمّاً هائلاً من كتب التَّاريخ.

ج.ب.س: نعم، في الجزء الثَّاني، الَّذي لم أكتبْه أبداً، من **نقد العقل الجدليّ**...

س.د.ب: لكنَّكَ، كنتَ قد كتبتَ قسماً كبيراً...

ج.ب.س:...كان عليَّ أن أتحدَّث عن التَّاريخ.

س.د.ب: لكن، عَمليّاً؛ ما الفرق بينَ عملِك على الأدب وعملِك على الفلسفة؟

ج.ب.س: حينما أكتبُ في الفلسفة؛ لا أستخدمُ المسوَّدات. بينما في العادة، أكتبُ سبعَ أو ثمان مسوَّدات، سبعُ أو ثمانِ قطعٍ ورقيَّةٍ للنَّص نفسِه؛ أكتبُ ثلاثةَ أسطر، ثمَّ أضعُ خَطّاً فوقَها، ثم أكتبُ الخطَّ الرَّابعَ فوقَ صفحة أُخرى. أمَّا في الفلسفة؛ فلا شيءَ من هذا: أتناولُ ورقةً، وأبدأ بكتابة الأفكارِ الَّتي تعتمل في رأسي، والَّتي رُبَّما لم تكن موجودة فيه منذُ زمنٍ طويل، ثم أستمرُّ في كتابتها حتَّى النهاية. رُبَّما ليس حتَّى نهاية الصَّفحة، لكنِّي أصلُ إلى أبعدِ حدٍّ مُمكن فيها؛ ثم حينَما أصلُ إلى نهاية الصَّفحة تقريباً؛ أتوقَّفُ بسببِ خطأ كتابيّ، وأستأنفُ في الصَّفحةِ التَّالية؛ بعد تصحيحها، وهكذا دوالَيك حتَّى النِّهاية. بتعبير آخر؛ الفلسفةُ كلامٌ أوجهُه إلى أحدٍ ما. وهذا ليسَ كما في الرِّواية الَّتي تتوجَّه إلى أحدِهم، لكنْ بطريقةٍ أُخرى.

س.د.ب: نعم.

ج.ب.س:.. أكتب الرِّوايةَ ليقرأَها أحدٌ ما. أمَّا في الفلسفةِ فإنِّي أشرحُ لأحدٍ ما ـ بقلمي، ولكن قد يتمُّ ذلك بلساني وفمي ـ كما تتواردُ إلى ذهني اليوم.

س.د.ب: إجمالاً؛ لا يمكنكَ كتابةَ أدبٍ في آلةِ التَّسجيلِ، ولكنَّك قد تفعلُ ذلكَ في ما يتعلَّق بالفلسفة.

ج.ب.س: هو كذلك.

س.د.ب: رأيتُك تعملُ على **نقد العقل الجدليّ**؛ وكان ذلكَ مُرعباً إلى حدٍّ ما. لن يكونَ سهلاً عليكَ مراجعتُه.

ج.ب.س: أُعيدُ قراءةَ ما كتبتُ صبيحةِ اليوم التَّالي؛ أكتبُ حوالي عشرِ صفحات.

س.د.ب: نعم.

ج.ب.س: هذا كلُّ ما أستطيعُ كتابتَه طيلةَ اليوم.

س.د.ب: يظنُّكَ المرءُ رياضيّاً وأنتَ تكتبُ **نقد العقل الجدليّ** . كنتَ تكتبُ تحتَ تأثير مُنشِّط كوريدران Corydrane.

ج.ب.س: دائماً.

س.د.ب:... بينما لم تكتبِ الأدبَ تحتَ تأثيرِ كوريدران أبداً.

ج.ب.س: أبداً. ما كان يمكنُ للأدبِ أن يتناسبَ مع كوريدران، لأنَّه يقودُ إلى السُّهولة. أذكر أنِّي حاولتُ العملَ مع كوريدران بعد الحرب؛ كان مَقْطَعاً من رواية، حيثُ ماتيو يتنزَّه في شوارع باريس قبلَ العودةِ إلى منزله. كان بَشِعاً. كان يتنزَّه في الشَّوارع، وكانت كلُّها مُتشابهة.

س.د.ب: أذكرُ هذا. كان مُخيفاً. أودُّ أن أطرحَ عليكَ سؤالاً آخر. حتَّى لو لمْ يكنِ المرءُ نرجسيّاً؛ فإنَّ لديه صورةً عن نفسه. تَحَدَّثْنا عن صورتِك حينما كنتَ شابّاً، ويومَ كنتَ أقلَّ شباباً؛ فماذا عن اليوم؟ اليوم، وقد بلغتَ الثَّمانية والسَّتِّين من عمرك؛ ما الَّذي يعنيهِ لكَ، وأنتَ موضوعٌ لعددٍ كبيرٍ من الأُطروحاتِ، والمراجعِ، والسِّيرِ الذَّاتيَّةِ، والمقابلاتِ، والتَّقديراتِ، والكثيرِ من النَّاس الَّذين يودُّون مقابلَتك؛ ما الَّذي يعنيهِ ذلك لكَ؟ هل تظنُّ أنَّك قد صُنِّفتَ بوصفِك صرحاً تاريخيّاً أو...

ج.ب.س: أظنُّ أنِّي مُصنَّفٌ كصرحٍ تاريخيٍّ، نعم إلى حدٍّ ما، ولكن ليس تماماً. إنَّها حالةٌ أشبهُ بتلك الشَّخصيَّة الَّتي وضعتُها أمامي، في البداية. هناك ثمَّة شخصيَّةٌ ليست أنا؛ ومع ذلك فهيَ أنا؛ لأنَّ النَّاس تتوجَّه إليها؛ يَخلُق النَّاس

لأنفسهم شخصيَّةً معيَّنةً هي أنا. فصار هناك **أنا ـ هو**، وأ**نا ـ أنا**. **أنا ـ هو**: هو الأنا الَّذي أوجده النَّاس، وربطوه بي بطريقة معيَّنة.

س.د.ب: هذا التَّوافقُ بين شخصيَّة اليوم، وتلك الشَّخصيَّة الَّتي حلُمْتَ بها وأنت شابٌّ، هل لهذا معنى أم لا؟

ج.ب.س: ليس له معنى. إذ لا أقولُ لنفسي أبداً «والله، هذا هو تقريباً ما كنتُ أريده وأنا صغير، وما إلى ذلك». لا، ليس له معنى. لم أكنْ أفكِّرُ بنفسي كثيراً، وتوقَّفتُ تماماً عن التَّفكير فيها منذُ عدَّةِ سنوات.

س.د.ب: منذُ متى؟ منذُ أن التزمتَ سياسيّاً؟

ج.ب.س: تقريباً، نعم. يعودُ الأنا للظُّهورِ حينما أفعلُ أشياءَ فرديَّة أو شخصيَّة، وحينما أذهبُ للقاءِ أحدهم، وحينما أقدِّمُ شيئاً للآخر. عندئذٍ؛ يعودُ الأنا للظُّهور. لكنْ في الأدب، حينما أكتب، لا يعودُ الأنا موجوداً. حينما كنتُ في الخمسين، أو الخامسة والخمسين من عمري ـ قبلَ كتابةِ **الكلمات** ـ كنتُ أحلُم، من وقت لآخر، بكتابةِ قصَّةٍ يَرى القارئُ فيها شخصيَّةً لها عمري في علاقاتها بالحياة. كان يمكنُ لهذا أن يكون توجُّهاً ذاتيّاً.

س.د.ب: أتذكَّر ذلكَ قليلاً. ها قد تذكَّرت؛ ثمَّة شيءٌ ينبغي أن نتحدَّثَ عنه، أعني عن كُتبِك الَّتي لم تكتبْها.

ج.ب.س: هاتِ.

س.د.ب: لماذا فكَّرتَ فيها، ولِمَ تخلَّيت عنها؟...

ج.ب.س: كتبتُ مسرحيَّةَ **الملكة ألبيرمال أو آخر السَّائحين** La Reine Albermale، ودفاترَ أُخرى عديدة.

س.د.ب: لديَّ سؤالٌ أخير؛ قُلتَ إنَّك لم تكن مُهتمّاً بصورتك، من خلال صورتك. مع ذلك أراكَ مُرتاحاً لهذه الحوارات؟

ج.ب.س: نعم. لاحظي لو أنَّ أحدَهم آذاني؛ لتصرَّفت. ولو شتمني أحدُهم لكنتُ مُستاءً.

س.د.ب: حتماً.

ع.ب.س: وبما أنّي خالي الوفاضِ من أيِّ عملِ اليوم؛ فلا بُدَّ أنْ أهتمَّ بنفسي قليلاً... وإلَّا؛ فلن يكونَ لديَّ أيُّ شيء...

س.د.ب: لا سيما وأنَّك لم تتحدَّثْ سوى القليلِ عن نفسِك.

ع.ب.س: صحيح.

س.د.ب: في **الكلمات**؛ تحدَّثتَ قليلاً عن ميرلو ـ بونتي، ونيزان، لكن؛ بعدَ سنِّ الحاديةَ عشرةَ؛ لم تضع أبداً خلاصةً حول نفسِك. ولم تكتب أبداً مذكَّراتِك. كنتَ تكتبُ أفكاراً تمرُّ في رأسك، لكنَّك لم تكتبْ مذكّراتٍ تروي يوميَّاتِكَ، ولم يخطر ببالك أن تفعلَ ذلك أبداً.

ع.ب.س: ما عدا خلال الحرب. خلال الحرب؛ كنتُ أكتبُ كلَّ يومٍ ما يجول في رأسي. لكنِّي كنتُ أنظرُ إلى ذلك بوصفِه عملاً صغيراً. فالأدبُ يبدأُ بالاختيارِ، ورفضِ بعض السِّمات، والقبولِ بالآخرين. إنَّهُ عملٌ لا يتناسبُ والمذكَّرات الَّتي يكون اختيارُها عفويّاً تقريباً، ولا تعبِّرُ عن نفسِها بشكلٍ جيِّد.

س.د.ب: لكنَّ هذا الأدب الَّذي يمكنُ وصفُهُ بالأدبِ الخام؛ يتضمَّن فرعاً كنتَ فيه متفوِّقاً. وحظيتَ بشهرةٍ تستحقُّها؛ بوصفِك كاتبَ رسائلٍ عظيمةً، لاسيما في فترةِ شبابِك. كنتَ تكتبُ لي حينما كُنَّا منفصلَين، رسائلَ طويلة ـ لم تقف عليَّ فقط ـ إذ كنتَ تكتبُ رسائلَ من اثنتي عشرةَ صفحةً إلى أولغا Olga تحدِّثها فيها عن أسفارِنا. وكتبتَ إليَّ أيَّامَ خدمتِك العسكريَّة، أو رحلاتِك مشياً على الأقدام، كنتَ تكتبُ إليَّ رسائلَ طويلةً جدّاً جدّاً، وأحياناً؛ كنتَ تكتبُ إليَّ يوميّاً طيلةَ خمسةَ عشرَ يوماً. ما الَّذي كانت تُمثِّلهُ لكَ تلكَ الرَّسائل؟

ع.ب.س: كانت عبارةً عن نَسخٍ للحياةِ المباشرة. مثلاً، كان اليومُ في نابولي طريقةً لجعلِه موجوداً بالنِّسبة للشَّخص الَّذي يتلقَّى الرِّسالة. كان ذلك عملاً عفويّاً. كنت أظنُّ أنَّه بالإمكانِ نشرُ هذه الرَّسائل الموجَّهة إلى الشَّخص الَّذي

كنتُ أكتبُ إليه، ما عداي. كانت لديَّ فكرةٌ خلفيَّةٌ صغيرةٌ هي أنَّها ستُنشَرُ بعدَ موتي. لكنِّي لم أعدْ أكتبُ مثلَ هذه الرَّسائل، لأنِّي لا أرى أيَّ جدوى من طبعِ ونشرِ رسائلِ أحدِ الكُتَّاب.

س.د.ب: لماذا؟!

ج.ب.س: لأنَّها لا تكونُ مشغولةً بشكلٍ كافٍ؛ باستثناءِ بعضِ الحالات؛ مثل: رسائل ديدرو Diderot[1] إلى صوفي فولان Sophie Volland. أمَّا أنا؛ فقد كنتُ أكتبُ دفعةً واحدةً من دونِ تشطيب، أو اكتراثٍ بأيِّ قارئ آخر، اللهمَّ إلَّا بمن أُرسلُ رسالتي إليه. من ثمَّ؛ لم يبدُ لي ذلكَ عملاً أدبيّاً صالحاً.

س.د.ب: صحيح، لكنَّك كنتَ تحبُّ كتابةَ الرَّسائلِ كثيراً.

ج.ب.س: صحيح، كنتُ أحبُّ ذلكَ كثيراً.

س.د.ب: لاشكَّ أنَّها ستُطبعُ لاحقاً لأنَّها كانت بالغةَ الحيويَّة والإمتاع.

ج.ب.س: لرسائلي، في الحقيقة، دورُ المذكَّرات.

س.د.ب: كنتَ تقولَ لي، ذلك اليوم، إنَّ حياةَ الكُتَّابِ المشهورين أثَّرتْ فيكَ كثيراً. هل لأنَّ مراسلات فولتير، وروسو، وآخرين، ذات أهمِّيَّة كبيرة وطُبعت من ثمَّ، قد دفعكَ هذا إلى كتابة الرَّسائل؟

ج.ب.س: لم تكن لي أهدافٌ أدبيَّة حينَ كتبتُ هذه الرَّسائل.

س.د.ب: مع ذلك؛ كنتَ تقولُ بشكلٍ ماكرٍ بأنَّها قد تُطبع.

ج.ب.س: آه ! في اللَّحظة الَّتي كتبتُها فيها، رُبَّما وضعتُ فيها قليلاً من المرح أو الشَّاعريَّة الَّتي ما كان يُمكن لأيِّ شخصٍ آخر كتابتها لأيٍّ كان إنْ لم يكنْ كاتباً. الحقيقةُ أنِّي حاولتُ جَدْلَ رسائلي بطريقةٍ مُحبَّبة، من دون مبالغة، وإلَّا لكنتُ متحذلِقاً، وزعمتُ أنِّي أكتبُ أدباً عفويّاً، كنتُ في تلك الفترةِ أؤمن به. رسائلي، إجمالاً، تعادلُ شهادةً على حياتي.

(١) دوني ديدرو (١٧١٣- ١٧٨٤): كاتب موسوعيّ، وفيلسوف فرنسيّ ينتمي إلى عصر الأنوار.

س.د.ب: نعم، لكنْ لكي تقدِّم هذه الشَّهادة؛ كان لا بُدَّ لكَ من مُخاطَب.

ج.ب.س: صحيح

س.د.ب: لِنعُدْ إلى الكُتُبِ الَّتي لم تنشرْها، والَّتي لم تكملْها؛ أودُّ لو تحدِّثني عنها.

ج.ب.س: أظنُّ أنَّها حالُ الكُتّاب جميعاً.

س.د.ب: آه ! لا أظنُّ ذلك، هل يمكنُكَ تذكُّرُ الكتبِ الَّتي لم تنشرْها تقريباً ؟

ج.ب.س: **أسطورة الحقيقة**.

س.د.ب: **أسطورة الحقيقة** شيءٌ آخر، لأنَّه رُفض. ولم تُنشرْ منه سوى قطعةٍ واحدةٍ... لكنْ هناكَ عملٌ لا بأسَ في أهمِّيَّته؛ أعني به **الحياة النَّفسيَّة** La Psyché: فما الَّذي يتضمَّنهُ تحديداً ؟

ج.ب.س: كتبتُ **الحياة النَّفسيَّة** بعد عودتي من ألمانيا؛ حيثُ أمضيتُ سنةً في قراءةِ هايدغر، وهوسرل، بنحوٍ خاصٍّ.

س.د.ب: عندها؛ كتبتَ **تسامي الأنا الأعلى** Transcendance de l'ego **والحياة النَّفسيَّة**.

ج.ب.س: الَّذي طُبِعَ ثمَّ طواهُ النِّسيان، ثمَّ اختفى وأعادَت الآنسة لوبون Le Bon نشرَه.

س.د.ب: كانت ثمَّة علاقةٌ بينَ **تسامي الأنا الأعلى** وَ**الحياة النَّفسيَّة**.

ج.ب.س: نعم. انطلاقاً من هنا؛ تصوَّرتُ كتابَ **الحياة النَّفسيَّة**، الَّذي هو بمثابةِ وصفٍ لما نُسمِّيه العامل النَّفسيّ le psychique، أي كيف **نعيشُ الذَّاتيَّة فلسفيّاً** ؟ وهو ما شرحتُهُ في كتابِ **الحياة النَّفسيَّة** الَّذي يتحدَّث أيضاً بشكلٍ جيِّدٍ عن الانفعالاتِ، والمشاعر...

س.د.ب: جعلتَ منهُ موضوعاتٍ نفسيَّةً تقعُ خارجَ الوعي. تلك كانت فكرتَكَ الأساسيَّة.

ج.ب.س: صحيح. هو كذلك.

س.د.ب: مثلما أنَّ الأنا مُتسامٍ، فكذلك...

ج.ب.س: المشاعر.

س.د.ب:... المشاعر، والانفعالات. كانت دراسةً ضخمةً تُغطِّي المجالَ النَّفسيَّ كلَّه.

ج.ب.س: كانت له أهمِّيَّة **الوجود والعدم** نفسَها.

س.د.ب: ألا يعدُّ كتابُ **نظريَّة الانفعالات** جزءاً من كتابِ **الحياة النَّفسيَّة**؟

ج.ب.س: بلى، كان جزءاً منه.

س.د.ب: لماذا احتفظتَ **بنظريَّة الانفعالات** ـ وكنتَ مُحِقّاً بذلك، لأنَّه جيِّدٌ جدّاً ـ ولم تحتفِظْ ببقيَّةِ **الحياةِ النَّفسيَّة**؟

ج.ب.س: لأنَّ بقيَّةَ **الحياةِ النَّفسيَّة** عبارةٌ عن تكرارٍ لأفكارِ هوسرل الَّتي هضمتُها، وعبَّرتُ عنها بأسلوب آخر، لكنَّها بقيَتْ لِهوسرل تماماً، من ثمَّ فهي ليسَتْ أفكاري. بينما احتفظتُ بكتابِ **الانفعالات** لأصالةِ أفكارِه. إنَّه دراسةٌ جيِّدةٌ لبعضِ الخبرات Erlebnisse الَّتي يُمكن تسميتُها: الانفعالات الَّتي بيَّنْتُ أنَّها ليست عفويَّةً بل لها علاقةٌ بالوعي.

س.د.ب: تُحَرِّكُها قصديَّةٌ مُعيَّنة.

ج.ب.س: صحيح. إنَّها فكرةٌ ما زلتُ محتفظاً بها؛ فكرةٌ لستُ مصدرَها، لكنَّها ضروريَّة لي.

س.د.ب: الأصالةُ تقومُ على تطبيقِ القصديّةِ على الانفعالِ، والتَّعبيرِ عن الانفعالاتِ وطريقةِ عيشِنا لها، وما إلى ذلك.

ج.ب.س: لا شكَّ أنَّ هوسرل كان يمكنُ أن يَعُدَّ الانفعالَ مقدَّمةً للقصديَّة.

س.د.ب: هذا أكيد، لكنَّه لم يهتمَّ به.

ج.ب.س: في حدودِ معرفتي، على الأقل.

س.د.ب: إذاً، **الحياة النَّفسيَّة** أوَّل الكتبِ الَّتي تخلَّيتَ عنها.

ج.ب.س: صحيح، لكنِّي احتفظتُ بجزء منه... وخلالَ الفترةِ نفسِها تقريباً؛ كتبتُ قصَّةً طويلةً تروي حكايةَ انتقالِ فرقةٍ موسيقيَّةٍ نسائيَّةٍ من الدَّارِ البيضاء إلى مرسيليا.

س.د.ب: الفرقة الموسيقيَّة الَّتي تعود للظُّهور في **وقفِ التَّنفيذ** Le sursis.

ج.ب.س: إنَّها فرقةٌ موسيقيَّةٌ نسائيَّةٌ استمعتُ إلى عزفِها في مدينة روان، ولم تكن لها أيُّ علاقةٍ بالدَّار البيضاء.

س.د.ب: هذه الفرقةُ كانت موجودة، ثم كان هناك جنديٌّ يظنُّ نفسَه جميلاً.

ج.ب.س: كان ثمَّة جنديٌّ يعتقدُ بأنَّه إذا كان جميلاً؛ فلا بُدَّ أن يتذكَّر.

س.د.ب: ماذا حلَّ بهذه القصَّة؟

ج.ب.س: العِلْمُ عندَ الله. مصيرها أشبهُ بمصيرِ قصَّةِ **شمس منتصف اللَّيل**، الَّتي فقدتُها أثناءَ إحدى الرِّحلات الَّتي قُمْتُ بها سيراً على الأقدامِ معَكِ.

س.د.ب: صحيح. في منطقة ليكوس Les Causse. كتبتَها بعدَ **الغثيان**، وكنتَ تنوي إدراجَها في مجموعةٍ قصصيَّة...

ج.ب.س: نُشِرَتْ.

س.د.ب: نُشِرَتْ لاحقاً. هل لك أن تحدِّثَني قليلاً عن قصَّةِ **شمس منتصف اللَّيل**؟

ج.ب.س: إنها حكايةُ صبيّةٍ كانت ترى شمسَ منتصفِ اللَّيل بطريقةٍ طُفوليَّة، لكنِّي لم أعدْ أتذكَّر جيِّداً كيفَ كانَتْ تراها.

س.د.ب: لقد كَوَّنَتْ في ذهنها صورةً لشمسٍ عجيبةٍ في السَّماء في عزِّ اللَّيل. ثمَّ ترى شمسَ منتصفِ اللَّيل الحقيقيَّة التي تُشبه، إجمالاً، شَفَقاً بالغَ الطُّولِ ولا ينطوي على أيِّ غرابة. لم تكن حريصاً جدّاً على هذه القصَّة.

ج.ب.س: لا. لم أعُدْ لصياغتها مُجدَّداً أبداً. في نهاية المطاف؛ هي كتابةٌ عن رحلةٍ قمْتُ بها، وانطباعاتُ الصَّبيَّة كانت انطباعاتي إلى حدٍّ ما.

س.د.ب: كتبتَ قصَّةً أُخرى تتقاطعُ مع الرِّسالة الَّتي كتبتَها إلى أولغا حولَ مدينة نابولي.

ج.ب.س: نعم، نُشِرَتْ قطعٌ منها.

س.د.ب: تحتَ عنوان: **أطعمة** Nourritures.

ج.ب.س: زيَّنها وولز Wols بالصُّور، بعد أن طلبَ منِّي نصّاً لتزيينه، فأعطيتُه تلك القصَّة.

س.د.ب: نُشرت لدى مطبوعات سكيرا Skira.

ج.ب.س: أعتقدُ ذلك.

س.د.ب: هل يمكنكَ روايةَ هذهِ القصَّة؟

ج.ب.س: انتظري. كنتُ في نابولي معكِ، ثم ذهبنا إلى أمالفي Amalfi.

س.د.ب: تركتكَ في نابولي؛ لأنَّ أمالفي لم تعجبْكَ كثيراً، ثمَّ لحقتُ بك. من ثمَّ قضيتَ ليلةً في نابولي لوحدِك.

ج.ب.س: صحيح. والتقيتُ باثنين من نابولي؛ اقترحا عليَّ مرافقتي لزيارةِ المدينة. ومعروف ما الَّذي يعنيه ذلك. أي زيارة نابولي الخفيَّة، بمعنى آخر،

المواخير. وبالفعل؛ رافقاني إلى أحدِ المواخير الخاصَّة إلى حدٍّ ما. دخلنا إلى غرفةٍ فيها أريكةٌ دائريَّةٌ بطولِ الحائط ـ كانت الغرفة دائريَّة ـ، وفي الوسطِ أريكةٌ أُخرى دائريَّةٌ تُحيط بعمود. قامتْ مُساعدةُ المديرةِ بطرد النَّاس. ثمَّ جاءَتْ صبيَّةٌ وأُخرى أكبرُ سِنّاً؛ عاريتان تماماً. داعبتا نفسَيهما، أو تصنَّعتا المداعبة؛ لعبت السَّيِّدةُ الأكبرُ سِنّاً، والسَّوداءُ تماماً؛ دورَ الرَّجل، والصَّبيَّةُ دورَ المرأة.

س.د.ب: قلتَ لي إنَّهما كانتا تُمثِّلان مختلفَ الوضعيَّاتِ الموجودةِ في فيللا الأسرار في بومبيي Pompei.

ج.ب.س: هو ذا بالتَّحديد. قامتا بالتَّعبير عنها. ثمَّ قامتا بمحاكاةِ تلك الوضعيَّاتِ بتكتُّم. تركتُ المكانَ تعتريني دهشةٌ كبيرة. حضنتُ صاحبيَّ اللَّذينِ كانا بانتظاري. أعطيتُهما بعضَ النُّقودِ لشراءِ زجاجةِ نبيذ أحمر من نوعِ فيزوف Vésuve احتسيناها في الشَّارع. أكلنا معاً؛ ثمَّ ودَّعاني. رحلا بقليلٍ من المال، أمَّا أنا؛ فرحلتُ بتلك المناظر الَّتي لم تهمَّني كثيراً.

س.د.ب: لكنَّكَ، بشكل عام، تسلَّيت. ورويتَ لي ذلكَ بكثيرٍ من المرح حينما عدتُ إليكَ في اليوم التَّالي. هل ما رويتَهُ في القصَّة هو ما جرى معكَ في تلكَ اللَّيلة؟

ج.ب.س: نعم. أردتُ أن أحكيَ عن انتقالِ الشَّاب إلى الماخور ثمَّ رؤيته لِنابولي.

س.د.ب: ولمَ لم تنشرْ هذه القصَّة؟ كان اسمها **تَغَرُّب** Dépaysement.

ج.ب.س: لا أعرف، ربَّما لأنَّكِ نصحتِني بعدم نشرِها.

س.د.ب: لماذا، ألِأنَّها لم تكنْ جيِّدة؟

ج.ب.س: ربَّما لم تكُنْ جيِّدة.

س.د.ب: ربَّما رأينا أنَّها لم تكنْ مبنيَّةً بشكلٍ جيِّد، وأقلُّ مستوىً من القِصص الأُخرى.

ج.ب.س: ربَّما.

س.د.ب: بعدَ كتابِ **الوجود والعدم**؛ شرعْتَ بالكتابةِ حولَ أخلاقيَّةٍ مُعَيَّنة.

ج.ب.س: نعم، أردتُ القيامَ بذلك، لكنِّي أجَّلتُهُ إلى وقتٍ لاحق.

س.د.ب: في هذه الفترة؛ كتبتَ دراسةً عظيمةً وطويلةً وجميلةً حولَ نيتشه.

ج.ب.س: حولَ نيتشه، بالفعل؛ كانَتْ جزءاً منه، فضلاً عن ذلك؛ كتبتُ مائتي صفحةٍ تقريباً عن مالارميه.

س.د.ب: صحيح. لقد تضمَّن شروحاً مُفصَّلةً جدّاً حولَ جميعِ القضايا المتعلِّقةِ بِمالارميه. لِمَ لَمْ يُنشَر هذا الكتاب؟

ج.ب.س: لأنَّه لم يكتملْ. كنتُ أتركُه، ثمَّ أعود إليه.

س.د.ب: لماذا تخلَّيتَ عن هذا المجموع؛ الَّذي لا تُسمِّيه أخلاقاً بل دراسةً ظواهريَّةً لبعض المواقف البشريَّة، ونقداً لبعض المواقفِ المرتبطةِ بدراستك حولَ نيتشه؟

ج.ب.س: لم أتخلَّ عنه. فقد كَتبتُ هذه الملاحظات لكي أطوِّرَها.

س.د.ب: يبدو لي أنَّ الجانبَ الظواهريَّ بدا لكَ مثاليّاً.

ج.ب.س: صحيحٌ تماماً.

س.د.ب: بدا لكَ أمراً مثاليّاً أن تقومَ بتحليل...

ج.ب.س: ليسَ تحليلاً، بل وصفاً.

س.د.ب: وصفٌ ظواهريٌّ لمختلف المواقف البشريَّة.كتبتَ دراسةً مطوَّلةً حول الرَّسَّام الإيطاليِّ Le Tintoret، لم تَنشُر منها سوى قطعةٍ في مجلَّة **الأزمنة الحديثة**. لماذا تركته في طَور المخطَّط؟

ج.ب.س: انتهى بي الأمرُ إلى السَّأمِ منه.

س.د.ب: أظنُّ أنَّ الأساسيَّ كان في ما كتبت.

ج.ب.س: كتبتهُ بناءً على طلب سكيرا.

س.د.ب: صحيح.

ج.ب.س: لم يختزْ هو موضوعَ لوتانتوريه، بل أنا مَنْ قلت له: سأتناول تانتوريه بالدِّراسة. ثمَّ تخلَّيت عنهُ لأنِّي ضجرتُ منه.

س.د.ب: هناك كتابٌ آخر عملتَ عليه وقتاً لابأس به، ثم أسقطتَه من حسابك، أعني: **الملكة ألبيرمال** La Reine Albermale، أو: **آخرُ السُّوَّاح**. متى كان ذلك؟

ج.ب.س: بين عاميّ ١٩٥٠و ١٩٥٩. كتبتُ مائة صفحةٍ منه. وأظنُّ أنِّي خصَّصتُ عشرين صفحةً للحديثِ عن هديرِ زوارقِ البندقيَّة.

س.د.ب: نعم، كتبتَ كثيراً عن البندقيَّة. ثمَّ إنَّك نشرتَ هذا حولَ البندقيَّة. نشرتَ منهُ شيئاً.

ج.ب.س: صحيح، في مجلَّة **القريحة** La Verve

س.د.ب: تقومُ فكرتُه على وضع إيطاليا في مِصيدةِ الكلمات؛ لكنَّها كانت حكايةَ أسفارٍ أنهت نفسَها بنفسها.

ج.ب.س: انتهت بوصفها حكاية سائح.

س.د.ب: صحيح.

ج.ب.س: وبقي عليَّ اكتشافُ إيطاليا الأهمّ، أي إيطاليا غير السِّياحيَّة.

س.د.ب: هذا أمرٌ ينمُّ عن طموحٍ بالغ، فقد أردتَ أن تكونَ القصَّةُ تاريخيَّةً ـ الحديث عن صرح فيكتور ـ إيمانويل، الَّذي يتحدَّث عنهُ تاريخُ إيطاليا كلُّه ـ وفي الوقتِ نفسه ذاتيَّة.

ج.ب.س: صحيح.

س.د.ب: كنتَ تريدها قصَّة ذاتيَّة ـ موضوعيَّة.

ج.ب.س: كان ذلكَ طُموحاً تخلَّيتُ عنه، لأنِّي لم أصِلْ إلى وجهةِ نظرٍ صحيحة.

س.د.ب: ومع ذلك؛ فقد كنتَ تتسلَّى بكتابتها.

ج.ب.س: نعم، لقد سلَّتني كثيراً.

س.د.ب: هل فكَّرتَ بقصصٍ أدبيَّة أو فلسفيَّة أُخرى لم تُنجِزْها؟

ج.ب.س: ثمَّة كتابٌ في الأخلاق هيَّأتُه للجامعة الأميركيَّة الَّتي دعتني لزيارتها. بدأت بكتابة أربع أو خمس محاضرات: كان عليَّ إلقاؤها هناك، ثم تابعتُ الكتابةَ لنفسي. لديَّ ملاحظاتٌ كثيرة، لا أدري ما الَّذي آلت إليه، لا بُدَّ أنَّها في بيتي. لديَّ كمٌّ كبيرٌ من الملاحظات حولَ الأخلاق.

س.د.ب: ألم يكنْ يدورُ ذلكَ، أساساً، حولَ علاقةِ الأخلاقِ بالسِّياسة؟

ج.ب.س: بلى.

س.د.ب: إذاً، كان ذلكَ مختلفاً تماماً عمَّا كتبتَهُ في سنوات ١٩٤٨ و١٩٤٩؟

ج.ب.س: مختلفٌ تماماً. لديَّ ملاحظاتٌ حولَه. كان يُمكن أن يكونَ بالغَ الأهميَّة لو قُدِّرَ له أن يكتمل.

س.د.ب: لمَ تخلَّيتَ عنه؟

ج.ب.س: لأنِّي تعبتُ من العمل في الفلسفة ؛ أنت تعرفينَ أنَّ الفلسفةَ تأتي بشكل عفويٍّ، بالنِّسبة لي على الأقلِّ. فقد كتبتُ **الوجود والعدم**، ومن ثمَّ تعبت. كان يُمكن أن يكونَ له تتمَّة أيضاً. لكنِّي لم أكتبْها. وكتبتُ **القدِّيس جينيه** الَّذي يمكنُ عَدُّهُ وسطاً بينَ الفلسفة والأدب. ثمَّ توقَّفتُ بعدَ كتابةِ **نقد العقل الجدليّ**.

س.د.ب: هل السَّببُ هو: وجوبُ القيامِ بدراساتٍ تاريخيَّةٍ ضخمة؟

ج.ب.س: صحيح. كان لا بُدَّ من دراسةِ خمسين سنةً. ومحاولة النَّظر في كلِّ المناهج اللَّازمة لمعرفةِ خمسين السَّنة هذه، ليس مجموعها فحسْب؛ بل تفاصيلُها الخاصَّة.

س.د.ب: ومع ذلك؛ فقد فكَّرتَ في دراسةِ مرحلةٍ أقصر؛ هي الثَّورة الفرنسيَّة، وعملتَ كثيراً على هذا الموضوع.

ع.ب.س: نعم، ولكن كان لا بُدَّ لي من أمثلة أُخرى. لأنِّي أردتُ تعميقَ ماهيَّةِ التَّاريخ فعلاً.

س.د.ب: تحدَّثتَ عن الستالينيَّة.

ع.ب.س: نعم. بدأتُ بالحديث عن الستالينيَّة.

س.د.ب: ثمَّة وجهٌ آخر من أعمالك لم نتحدَّثْ عنه، مع أنَّه بالغُ الأهمِّيَّة: أعني المسرح... كيف تُفسِّر تناولَك الكتابة المسرحيَّة، وما أهميَّة ذلك بالنِّسبة لك؟

ع.ب.س: طالما فكَّرتُ بالكتابةِ المسرحيَّةِ، لأنِّي حينما كنتُ طفلاً في الثَّامنة من عمري؛ رأيتُ في حديقة اللوكسمبورغ دُمى مسرح العرائس الَّتي تُحرِّكها الأيدي.

س.د.ب: هل عدتَ إلى كتابةِ المسرحيَّات في مرحلة المراهقة؟

ع.ب.س: نعم. كتبتُ مسرحيَّاتٍ ساخرة، وأوبريتات؛ اكتشفتُ الأوبريت في مدينة لاروشيل؛ حيثُ كنتُ أرتاد مسرحَ البلديَّةِ مع رفاقي الصِّغار، وتأثرت بهذه الأوبريتات، وبدأت بكتابة إحداها Horatius Coclès[(١)].

س.د.ب: بالله عليك!

ع.ب.س: أتذكَّر بيتين منها: «أنا موكيوس، موكيوس سكايفولا/أنا موكيوس، موكيوس وهكذا.». وبعدَ دارَ المعلِّمين؛ كتبتُ مسرحيَّةً من فصل واحد بعنوان: ستكون لي جنازة جميلة. وهي مسرحيَّة هزليَّة حولَ شخصٍ يصفُ احتضارَه.

س.د.ب: هل مُثِّلَت؟

ع.ب.س: لا، أَوَتظنِّين ذلك! كما كتبتُ فصلاً من مسرحيَّة ساخرة في دار المعلمين حيث كُنَّا نكتب في كلِّ سنة مسرحيَّةً ساخرةً نصوِّر فيها المدير،

---

(١) بطل أسطوري روماني.

وموظَّفيه والتَّلاميذ، والأهالي؛ كتبتُ فيها فصلاً واحداً. وكانت تتَّسم بفحشٍ كريه.

س.د.ب: ولعبتَ دوراً في هذه المسرحيَّة.

ج.ب.س: لعبتُ دورَ المديرِ لانسون.

س.د.ب: كلُّ هذا كانَ عبارةً عن تسالي صغيرة. هل تابعتَ بعد هذا؟

ج.ب.س: كتبتُ مسرحيَّةً بعنوان: Epiméthée، على ما أعتقد. كانت الآلهةُ تدخلُ إحدى القُرى اليونانيَّة؛ رغبةً منها في معاقبتها. وكانت هذه القرية تضمُّ شعراءَ، وروائيِّين، وفنَّانين. وأخيراً؛ نشأت المأساة، وقام بروميثيوس بطردِ الآلهة، ولم يصبْه أيُّ مكروه. لكنِّي كنتُ أظنُّ أنَّ المسرحَ جِنساً دونيّاً إلى حدٍّ ما. ذلك كان تصوُّري في البداية.

س.د.ب: وبعد ذلك ؟ علينا أن نتحدَّث عن مسرحيَّة اسمها باريونا Bariona، كما أظنُّ.

ج.ب.س: خلالَ فترةِ اعتقالي؛ كنتُ أحدَ أفرادِ مجموعةٍ من الفنَّانين الَّذين يمثِّلون مسرحيَّاتٍ كلَّ يومِ أحدٍ في سقيفةٍ كبيرة؛ وكُنَّا نُركِّبُ الدِّيكور بأنفسنا، وبما أنِّي كنتُ المثقَّف الَّذي يكتب؛ فقد طلبوا منِّي كتابةَ مسرحيَّةٍ في عيد الميلاد. فكتبت باريونا، وكانت سيِّئة، لكنَّها تتضمَّنُ فكرةً مسرحيَّة. في كل الأحوال؛ ذاك ما جعلني أُحبُّ المسرح.

س.د.ب: كتبتَ لي رسائلَ حولَ هذا الأمر، تقول لي فيها بأنَّك ستكتبُ في المسرح من الآن فصاعداً. تنتمي مسرحيَّة باريونا إلى المسرح الملتزم: أردتَ التَّلميحَ إلى فرنسا من خلالِ ذريعةِ احتلالِ الرُّومان لفلسطين.

ج.ب.س: وهو ما لم يفهمْهُ الألمان، ولم يروا فيه سوى مسرحيَّةٍ عن عيد الميلاد؛ لكنَّ السُّجناء الفرنسيِّين فهموا كلَّ شيء، واهتمُّوا بمسرحيَّتي.

س.د.ب: هذا ما جعَلَكَ قويّاً، أي التَّمثيل لجمهورٍ لم يكن جمهوراً خارجيّاً كما في المسارح البورجوازيّة.

ع.ب.س: صحيح. فقد مثَّلنا **باريونا** أمامَ جمهورٍ معنيّ بالأمر، إذ كانَ هناك رجالٌ لو فهموا المسرحيَّة لأوقفوا عرضَها. فهم جميع السُّجناء الموقف، فكان العملُ مسرحاً حقيقيّاً بهذا المعنى.

س.د.ب: بعد ذلك كتبتَ مسرحيَّة **الذُّباب**. حَدِّثني قليلاً عن الظُّروف الَّتي أحاطت بكتابة هذه المسرحيَّة.

ع.ب.س: كنتُ مثلكِ صديقاً لِأولغا كوزاكييفيتش الَّتي كانت تتعلَّم مهنةَ التَّمثيل عند ديلان Dullin، وكانت بحاجةٍ إلى فرصةٍ لتلعبَ دوراً مسرحيّاً. فاقترحتُ على ديلان كتابةَ مسرحيَّة.

س.د.ب: ما الَّذي تمثِّله مسرحيَّة **الذُّباب** بالنِّسبة لك؟

ع.ب.س: الذُّباب، مثلها مثلُ موضوعاتي القديمة ! أسطورةٌ ينبغي تطويرها، وإعطاؤها معنىً راهناً. احتفظتُ بقصَّة أغاممنون وزوجته، والجريمة الَّتي ارتكبها أورست بحقِّ أُمِّه، ثم الإيرينيِّين، لكنِّي خلعتُ عليها معنىً آخر. والحقيقة أنِّي أعطيتُها المعنى المتعلِّقَ بالاحتلالِ الألمانيّ.

س.د.ب: اشرحْ لي بشكلٍ أفضل.

ع.ب.س: في **الذُّباب**؛ أردتُ التَّحدُّث عن الحرِّيَّة، عن حُرِّيَّتي المطلقة، حُرِّيَّتي كإنسان، ولا سيما حريةُ الفرنسيِّين المحتلِّين أمامَ الألمان.

س.د.ب: قلتَ للفرنسيِّين: كونوا أحراراً، استعيدوا حُرِّيَّتكم. وتخلَّصُوا من تأنيب الضَّمير الَّذي يريدون إثقالَكم به. ترى ما هو الأثر الَّذي تركه تمثيل هذه المسرحيَّة فيك ؟ كان هناك جمهورٌ وعملك؛ ما الفرق بين هذا ونشرِ أحدِ كُتُبِك؟

ع.ب.س: لم أحبَّ ذلك كثيراً. كنتُ صديقاً لِديلان، وناقشتُ معه عمليَّة الإخراج، الَّذي لم أكن أعرف عنه الشَّيء الكثير، لكنِّي ناقشتُه معَه. لأن عملُ

المخرجِ بالغُ الأهمِّيَّة؛ بحيثُ لمْ أشعرْ بوجودي على الخشبة. كان شيئاً يتمُّ انطلاقاً ممَّا كتبت، لكنَّه ليس ما كتبت. اختفى ذلكَ الانطباعُ لاحقاً في المسرحيَّاتِ الأُخرى، لأنّي انغمستُ في هذا العمل، كما أظنُّ.

س.د.ب: كيفَ جرَتِ الأمورُ بالنِّسبة للمسرحيَّات الأُخرى في المرَّات التالية؟ أوّلاً في ما يتعلَّق بمسرحيَّة **الأبواب المُغلقة؟**

ج.ب.س: قام رولو Rouleau بعملٍ رائع، وإخراج جيِّدٍ؛ صار نموذجاً للمسرحيَّات الأُخرى. ما أنجزه كان ما تصوَّرتُه حينما كنتُ أكتبُ المسرحيَّة.

س.د.ب: وماذا عن المسرحيَّة التَّالية؟

ج.ب.س: كانت **موتى بلا قبور**. أردتُ أن أبيِّنَ فيها لامبالاةَ الشَّعبِ الفرنسيِّ، بعدَ الحرب، بالمقاومين، وكيف بدأوا بنسيانهم شيئاً فشيئاً؛ كانت تلكَ الفترةُ تشهدُ ولادةً قويَّةً للبورجوازيَّة؛ بورجوازيَّة متواطئة مع الألمان إلى حدٍّ ما؛ وأزعجتْها مسرحيَّةٌ تتحدَّث عن المقاومة.

س.د.ب: صحيح، إذ أثارتْ مشاهدُ التَّعذيب، بنحوٍ خاصّ، ضجَّةً كبيرةً، ما هو السَّببُ الحقيقيُّ وراءَ كتابتِك لهذه المسرحيَّة؟

ج.ب.س: للتَّذكيرِ بحقيقةِ المقاومينَ الشجعان، وبأنَّهم عانوا من التَّعذيب، وبالنَّذالةِ الَّتي كانوا يتحدَّثون بها عنهم.

س.د.ب: لن نستعرضَ مسرحيَّاتك كلَّها. أودُّ لو تحدِّثني عن الفرقِ الَّذي كنتَ تراه بينَ العملِ المسرحيِّ والعملِ الأدبيِّ بالمعنى الدَّقيق.

ج.ب.س: أولاً؛ يصعبُ جدّاً العثورُ على الموضوع. فأحياناً؛ أقضي خمسةَ عشرَ يوماً، أو شهراً، أو شهراً ونصف أمامَ طاولتي، وأحياناً تكون ثمَّة جملة في رأسي.

س.د.ب: صحيح، قلتَ لي: «فرسانُ نهايةِ العالمِ الأربعة».

ج.ب.س: من وقت لآخر؛ يأتيني موضوعٌ مُبهَم.

س.د.ب: ما ينبغي قوله، إنَّ مسرحيَّاتك في أغلبِ الأحيان، كانت أعمالاً ظرفيَّة. لم يكن لديكَ موضوعٌ تعالجه. أردتَ على سبيل المثال تقديمَ مسرحيَّة لتمثِّلها واندا Wanda.

ج.ب.س: صحيح.

س.د.ب: أرادت أن تقومَ بتمثيلها بعد انقطاعها الطَّويل عن التَّمثيل. كانت ترغبُ في ذلك، وكنتَ راغباً في أن تقومَ بذلك. عندها؛ قلتَ لنفسِكَ: «أريدُ أن أكتبَ مسرحيَّة».

ج.ب.س: بالضَّبط؛ ثمَّة موضوعٌ طالما فكَّرتُ فيه، ولم أعالجْهُ أبداً. إنَّه نمطُ الأمِّ الحاملِ الغاضبةِ من حَمْلِها.

س.د.ب: والله!

ج.ب.س: إنَّها تنظر إلى حياتها، ويرى المشاهدَ فوقَ خشبةِ المسرح «قصوراً» يُضاءُ الواحدُ منها تلوَ الآخر. نرى مراحلَ حياتها كلِّها، بما في ذلك عذابَها وموتَها في النِّهاية. ثمَّ تضعُ طفلَها ؛ يولدُ الطِّفلُ، ويكبُر، ويتنقلُ عبرَ المشاهدِ المتوقَّعة، لكنَّه في نهايةِ المطافِ؛ رجلٌ عظيم، بَطَل.

س.د.ب: نعم، لقد فكَّرت كثيراً في هذه المسرحيَّة. لكنَّها لم تنجحْ أبداً.

ج.ب.س: أبداً.

س.د.ب: دعْنا نَعُدْ إلى طريقةِ عملِك للمسرح.

ج.ب.س: أوَّلاً، أعمل على موضوعٍ ثُمَّ أُهملُه ؛ أعثرُ على جُمَلٍ، وردود، فأسجِّلُها. وهذا يتَّخذُ شكلاً مُعقَّداً إلى حدٍّ ما، بعد ذلك؛ أعملُ على تبسيطه ؛ فعلت هذا لدى كتابةِ **الشَّيطان والله**؛ أتذكَّرُ كلَّ ما تخيَّلتُه، وتخلَّيت عنهُ لكي أَصِلَ في النِّهاية إلى...

س.د.ب: إلى الصِّيغة النِّهائيَّة.

ج.ب.س: نعم. في تلك الفترة لم تكنْ تعترضُني صعوباتٌ في الكتابة. فالأمرُ بالنِّسبة لي عبارةٌ عن محادثةٍ بينَ أُناسٍ يتراشقون ما لديهم من عبارات.

س.د.ب: أنا الَّتي رأيتُك تعمل، أظنُّ أنَّ العملَ للمسرحِ يحتاجُ إلى عمل تمهيديٍّ كبيرٍ كان يجول في رأسك، بينما العملُ على القَصَصِ والرِّوايات؛ يتمُّ فوقَ الورق.

ج.ب.س: صحيح.

س.د.ب: هل نجاحُ الكتابِ يمتِّعُكَ أكثرَ من نجاح المسرحيَّة؟

ج.ب.س: أكيد أنَّني أُسعَدُ بنجاح المسرحيَّة؛ إذ سرعان ما نعرفُ ما إذا كانت المسرحيَّة فاشلة أم ناجحة. لكنَّ الغريب، هو مصيرُ المسرحيَّات؛ فإمَّا أن تسقطَ المسرحيَّة، أو تنهضَ إذا لم يحالفْها الحظُّ عموماً. نجاحُها دائماً موضعُ شكٍّ. أمَّا الكتاب؛ فلا. فنجاحُ الكتابِ يتطلَّب وقتاً طويلاً قد يدوم ثلاثة أشهر، لكنَّنا واثقون من تأثيره. بينما قد يتحوَّل نجاحُ المسرحيَّة إلى فشل، أو فشلها إلى نجاح. غريبٌ هذا الأمر. وغالباً ما تنتهي النَّجاحات الكُبرى بشكلٍ جيِّدٍ إلى حدٍّ ما. فمثلاً؛ أضرَّ براسور Brasseur بيَ مرَّتين، على سبيل المثال؛ إذ مثَّلَ المسرحيَّةَ خلالَ عدَّةِ عروض، ثمَّ ذهبَ في عطلة، وخضع لعمليَّة جراحيَّة؛ فتوقَّف العرض.

س.د.ب: ثمَّة شيءٌ آخر: هو أنَّك نادراً ما تراجع كُتبَك، لكنَّك غالباً ما تُراجع إحدى مسرحيَّاتك بعد عرضها بإخراجٍ جديد، أو في بلدٍ أجنبيٍّ. فهل تنشأ لديكَ نظرةٌ جديدةٌ حينما تُلقي على مسرحيَّاتك نظرةً ثانية؟ هل يتكوَّن لديكَ انطباعٌ بأنَّ مسرحيَّتك قد كتبها شخصٌ آخر؟

ج.ب.س: لا. فالإخراجُ هو ما نتنبَّهُ إليه خلالَ سيرِ المسرحيَّة.

س.د.ب: ماذا كانت أكثرُ مُتَعِكَ المسرحيَّة؟ أعني رؤية المسرحيَّة خلالَ عرضِها وأنت تظنُّ بأنَّها جيِّدة، أو مُخرجة بشكل جيِّد، أم تُسَرُّ لأنَّها حققَّت النَّجاح؟ أي: ما هي أكثر اللَّحظات متعةً في مهنتك المسرحيَّة؟

ج.ب.س: حسناً. هناك شيءٌ غريبٌ، هو أنَّ الكتابَ ميِّت، شيءٌ ميِّت. إنَّه هناك، فوقَ الطَّاولة، لا نتضامن معه. أمَّا المسرحيَّة؛ فهي مختلفة خلالَ فترة

معيَّنة من الزَّمن. نعيش، نعمل. لكن كلَّ مساء؛ هناك مسرحيَّةٌ لك مستمرَّة في العرض. شيءٌ غريبٌ أن يسكنَ المرءُ في شارع سان ـ جيرمان، ويعرف أنَّ في مسرح أنطوان؛ هناك...

س.د.ب:... مسرحيَّة تُعرَض. كان الأمرُ مُزعجاً بالنِّسبةِ لكَ في ما يتعلَّقُ بمسرحيَّةِ **موتى بلا قبور**، هل صار هذا مُمتعاً في مرَّاتٍ أُخرى؟

ج.ب.س: نعم. **موتى بلا قبور** أمْتَعَتْني. لقد حقَّقتْ نجاحاً ضخماً.

س.د.ب: ثمَّ بعد أن أُعيد تمثيلُها عندَ ويلسون Wilson...

ج.ب.س: نعم، لقد سرَّني ذلك أيضاً.

س.د.ب: أظنُّ أنَّ عَرْضَها في براغ قد سرَّك أيضاً.

ج.ب.س: نعم، لقد سرَّني الأمر. نعم. انتابني فرحٌ مسرحيٌّ قويٌّ حينما نجحَتِ المسرحيَّة. لا ينتابُ المرءَ فرحٌ رائع لدى العرضِ الأوَّل؛ لا، في العرض الأوَّل لا نعرف إلى ما ستؤول إليه الأمور.

س.د.ب: بل ينتابنا القلق. تضامناً معكَ؛ لم أحضرْ عرضاً عامّاً لإحدى مسرحيَّاتك من دون أن ينتابني قلقٌ فظيع.

ج.ب.س: حتَّى لو سارت الأمور على ما يرام؛ فليس هذا سوى مؤشِّر. لكن حينما يستمرُّ العرضُ بشكل جيِّد؛ نكون عندها مسرورين. إذ هنا ثمَّة شيءٌ منطقيٌّ؛ تكون لنا علاقةٌ جيِّدة مع الجمهور. وإذا شئنا؛ يُمكننا الدُّخولُ إلى المسرحِ كلَّ مساء، ونجلس في زاوية، ونراقب ردودَ فعلِ الجمهور.

س.د.ب: لكنَّكَ لم تفعلْ هذا أبداً.

ج.ب.س: لم أفعلْ هذا أبداً، أو تقريباً أبداً.

س.د.ب: ما هي أفضلُ مسرحيَّاتك بالنِّسبة لك؟

ج.ب.س: **الشَّيطان والله**.

س.د.ب: أنا أيضاً، أُحبُّها كثيراً، لكنّي أُحبُّ أيضاً مسرحيَّة **سجناء ألتونا**.

ج.ب.س: أنا لا أُحبُّها كثيراً، ومع ذلك فإنّي مسرورٌ بها.

س.د.ب: لكنَّك كتبتَها في ظروفٍ كانت بالنِّسبة لك...

ج.ب.س: كتبتُها في وقتِ أزمة عام ١٩٥٨.

س.د.ب: رُبَّما هذا ما جعلك مُكتئباً.

ج.ب.س: تذكَّري أنَّنا، حينما علمنا بانقلابِ شارل دوغول، ذهبنا في عطلة إلى إيطاليا، وكتبتُ المشاهدَ الأخيرةَ من **سجناء ألتونا** في روما.

س.د.ب: مع مجلس العائلة...

ج.ب.س: صحيح.

س.د.ب: كان مشهداً بالغَ السُّوء.

ج.ب.س: سيِّئ جدّاً. أضفْ إلى ذلك أنَّ الفصلَين الأوَّلَين عبارةٌ عن مشروعين، استأنفتُ كتابتَهما لاحقاً، طيلة السَّنة... هل تتذكَّرين ذلك؟

س.د.ب: بشكلٍ جيِّدٍ جدّاً. كُنَّا في ساحة سان ـ أوستاش Saint-Eustache، بالقرب من الفندق الَّذي نزلنا فيه.

ج.ب.س: صحيح.

س.د.ب: نزلتُ لقراءةِ الفصلِ الأخير، وكنتُ مرعوبةً. اتفقت معي يومها، وفهمتَ أنَّه لا ينبغي وجودُ مجلسٍ عائليٍّ، بل علاقةُ أبٍ بابن.

ج.ب.س: صحيح.

س.د.ب: والآن؛ أين أنتَ من المسرح؟

ج.ب.س: توقَّفتُ عن كتابةِ المسرحيَّات؛ انتهى الأمر.

س.د.ب: لماذا؟

ج.ب.س: لماذا؟ لأنَّ المرءَ، في عمرٍ مُعيَّن، لا يعودُ مُتعلِّقاً بالمسرح. والمسرحيَّاتُ الجيِّدةُ لا يكتبها العجائز. ولأنَّ المسرحيَّة تقومُ على شيءٍ طارئ؛

ثمّة شخصيَاتٌ تأتي لتقول: «صباح الخير، كيف حالك ؟ ونعرف بعدَ مشهدينِ أو ثلاثة مشاهد أنَّ تلك الشخصيَّاتِ تجدُ نفسَها مُحاصرةً بقضيَّةٍ عاجلةٍ قد تخرج منها بطريقةٍ سيِّئة. وهذا شيءٌ نادرُ الحدوث في الحياة، لأنَّنا لا نعيش في الطَّوارئ ؛ قد نكون تحتَ وطأةِ تهديدٍ خطير، لكنَّنا لسْنا في حالة طوارئ. والمسرحية لاتُكتبُ إلَّا في حالةٍ طارئة. وهذه الحالةِ الطَّارئة تجدينها في نفسك؛ لأنَّ المتفرِّجين يعيشونها. إنَّهم يتساءلون ما إذا كان غوتز سيموت، أو سيتزوَّج هيلدا؛ المسرح الَّذي نكتبه، يضعنا كلَّ يوم، خلالَ التَّمثيل، في نوع من الحالة الطَّارئة.

س.د.ب: لكن، لِمَ لا تستطيعُ إحياءَ هذه الحالة الطَّارئة وأنتَ في سن الشَّيخوخة؟ بالعكس،عليك أن تقول: «لم يبقَ ليَ كثيرٌ من العمرِ لأعيشَه. لذلك عليَّ أن أقولَ الأشياءَ الأخيرةَ الَّتي ينبغي قولُها بطريقة سريعة»

ج.ب.س: صحيح، لكنْ ليس لديَّ شيءٌ أقولُه من خلالِ المسرح في الوقت الرَّاهن.

س.د.ب: هل تأثَّرتَ بكون المسرح في فرنسا اليوم لم يَعُد مسرحَ المؤلِّف؟

ج.ب.س: هذا مُؤكَّد. فمثلاً: مسرحيَّة ٨٩ لِمنوشكين Mnouchkine[١] صنعها الممثِّلون الَّذين صاغوا النَّص بأنفسهم.

س.د.ب: هل هذا شيء يؤثِّر فيك فعلاً، أم لا؟

ج.ب.س: نعم؛ أصبحَ مسرحي شيئاً من الماضي. لو كتبتُ مسرحيَّةً الآن - وهو ما لن أفعلَهُ - سأضعها في شكل آخر لتكونَ متوافقةً مع ما يحاولون فعلَه اليوم.

---

(١) آريان منوشكين (١٩٣٩-): مخرجة سينمائيّة ومسرحيّة، وكاتبة سيناريو فرنسيّة، أسَّست وأدارت ما يُسمّى مسرح الشَّمس.

س.د.ب: ثمَّ هناكَ شيءٌ مُزعج في المسرح، هو هذا الجمهور البورجوازي دائماً. قُلتَ مرَّةً: «لم يعدْ لديَّ شيءٌ أقولُه لأولئك البورجوازيين الَّذين سيأتون لمشاهدة مسرحيَّتي».

ج.ب.س: عشتُ تجربةَ الجمهور العُمَّاليِّ أثناءَ عرض مسرحيَّة **نيكراسوف** Nekrassov، وكنتُ مع صحيفة لومانيتيه L'Humanité، والحزب الشُّيوعيِّ في تلك الفترة؛ حيث أرسلَ جماعاتٍ من المصانعِ الكبيرةِ والضَّواحي الباريسيَّة لمشاهدةِ نيكراسوف.

س.د.ب: هل أحبُّوا المسرحيَّة؟

ج.ب.س: لا أعرف. كلُّ ما أعرفه أنَّهم جاؤوا. كما كانَ هناكَ فِرَقاً شعبيَّة مثَّلتْ مسرحيَّةَ **البغي المحترمة** في بعضِ المصانع، ونجحوا في ذلك.



القراءة والكتابة

س.د.ب: ثمَّة سؤالٌ أودُّ طرحَه عليك، هو الآتي: تكلَّمتَ كثيراً في **الكلمات** عن القراءة، ثمَّ الكتابة. وشرحتَ بطريقة جيِّدةٍ جدّاً ما تعنيه القراءة، فرأيتَ أنَّ للقراءة درجتين: القراءة الَّتي لا تَفهم منها شيئاً مع أنَّها تُبهِرك، وتلك الَّتي تفهمها. كما تحدَّثتَ بشكلٍ سريع عن معنى اكتشافِ الكُتبِ الأُخرى بالنِّسبة لك، بعد أن تقدَّم بك العُمر. لكنِّي أرى أن نقومَ بمراجعةِ ما تعنيهِ الكتابةُ لك؛ بدءاً، لِنَقُل، بسِنِّ العاشرة. فماذا كانت تعني لكَ وأنتَ في مدينة لاروشيل؟ وما عنته لكَ بعدَ قدومِك إلى باريس؟ وكيف صرتَ تنظر إليها لاحقاً؟ وخلالَ أدائك لخدمتِك العسكريَّة؟ وطيلةَ سنواتِ التَّدريس؟ انتهاءً بالسَّنوات الأخيرة؟

ج.ب.س: علينا تمييزُ نوعين من القراءة: تلك الَّتي نُمارسها بعدَ زمنٍ مُعيَّن، أي قراءة الوثائق أو الكتب الَّتي تُعينني مباشرةً في أعمالي الأدبيَّة، أو كتاباتي الفلسفيَّة؛ ثمَّ القراءة الحرَّة، أي قراءة كتابٍ نُشِرَ حديثاً، أو كتاب لا أعرفه؛ يعود إلى القرن الثَّامن عشر. وهذه قراءةٌ مُلتزمة، بمعنى أنَّها مُرتبطة بشخصيَّتي كلِّها، وبحياتي كلِّها. لكن ليسَ لها دورٌ مُحدَّد في العملِ الَّذي أكتبهُ في الفترةِ نفسِها. أمَّا بالنِّسبةِ للقراءةِ الَّتي لا تقومُ على غايةٍ شخصيَّة، أي القراءة الَّتي يقوم بها أيُّ شخصٍ مُثقَّف، فقد مررتُ بمراحلَ قادتني أوّلاً، كما تعرفين، في سنِّ العاشرة، إلى قراءةِ رواياتِ المغامراتِ مثل مغامرات نيك كارتر Nick Carter وَ Buffalo Bill الَّتي عرَّفتني بالعالم نوعاً ما ؛ ومغامرات بوفالو بيل هذه كانت تدور في أمريكا، وهو ما يُعدُّ بمثابة اكتشافٍ لأمريكا؛ فنرى نيك كارتر في الصُّوَر الَّتي كانت تتضمَّنها كلُّ واحدة من حلقاتِ ذلك

الكتابِ المسلسَل. كُنَّا نراهُ تماماً كما نرى الأمريكيِّين في السِّينما: طويلاً وقويّاً، حليقَ الشَّاربين واللِّحية، يرافقه مساعدوه وأخوه الَّذي كان مثلَه طويلاً وقويّاً. وكانت الرِّواية تصفُ حياةَ أهل نيويورك؛ وهنا تعرَّفتُ على مدينة نيويورك.

س.د.ب: هذا ما تحدَّثتَ عنه في **الكلمات**. لكنِّي أودُّ أن تنتقلَ إلى الفترة الَّتي لم تأتِ على ذكرها في هذا الكتاب. ما الَّذي كانت تعنيه لكَ القراءةُ يومَ كنتَ في لاروشيل؟

ج.ب.س: في لاروشيل؛ كنت مُشترِكاً في مكتب للقراءة، أي أنِّي استَعدتُ دورَ جدَّتي.تعرفتُ على هذا المكتبَ، كما ذكرتُ في **الكلمات**، من خلالِ جدَّتي الَّتي كانت تستأجرُ الرِّواياتِ منه، ثمَّ بدأتُ بالتَّردُّد على مكاتبِ القراءة في لاروشيل. كما تردَّدتُ على مكتبةِ البلديَّة، الَّتي كانت تقومُ بإعارةِ الكتبِ أيضاً.

س.د.ب: لكن؛ ما الَّذي كنتَ تقرأهُ، ولماذا؟ هذا هو المهمُّ.

ج.ب.س: كان خليطاً من الكتبِ الَّتي تظلُّ باقيةً من خلالِ الاعتناءِ بها، وجعلِها أكثرَ فخامةً وتخصُّصاً، ورواياتِ المغامرات. وهناك، على سبيل المثال؛ قرأتُ غوستاف إيمار Gustave Aymard[١].

س.د.ب: وقرأتَ فينيمور كوبر Cooper Fenimore[٢] أيضاً؟

ج.ب.س: قرأتُ القليلَ من فينيمور كوبر؛ لأنَّه كان يبعثُ المللَ في نفسي قليلاً، وآخرين نسيتُ أسماءَهم.

س.د.ب: حسناً، ماذا قرأتَ غيرَ كتبِ المغامرات هذه؟

ج.ب.س: إضافةً إلى هذه الكتب؛ عدتُ قليلاً إلى موقفي أيَّام جدِّي. حيث كنتُ أقرأ في مكتبته كُتباً فخمةً لم تكن تهمُّني كثيراً حينما اكتشفتُ كُتبَ المغامرات. كنتُ صغيراً، بينما قرأتُ رواياتِ جدِّي في فترةٍ لاحقة.

---

(١) غوستاف إيمار(١٨١٨-١٨٨٣) اسمه الحقيقيّ أوليفيه غلوكس: كاتب روايات مغامرات كانت تُنشر على حلقات في الصّحف آنذاك.

(٢) جيمس فينيمور كوبر (١٧٨٩- ١٨٥١): كاتب أمريكيّ.

س.د.ب: لكنَّكَ، في لاروشيل، لم تكنْ تقرأ سوى كتبِ جدِّك. ما هي تلك الكتبُ إذاً؟

ج.ب.س: في لاروشيل؛ كنتُ أقرأ مُقتنيات أُمِّي وجدِّي من الكُتب. وينصحاني بقراءتها. كانت أُمِّي تقرأ قليلاً، أي من وقتٍ لآخر، ما كان النَّاس يقرؤونه في تلك الفترة.

س.د.ب: ماذا عن زوجِ أُمِّك؛ هل كان يقرأ؟

ج.ب.س: قرأ في فترةٍ مُعيَّنة، ثمَّ توقَّفَ عن ذلك. لكنَّه قرأ.

س.د.ب: هل كان ينصحُكَ بالقراءة ؟ هل وجَّهَكَ قليلاً؟

ج.ب.س: لا. لا.

س.د.ب: لا، أبداً ؟

ج.ب.س: أبداً. ولا حتَّى أُمِّي.أصلاً ما كنتُ أودُّ ذلك.

س.د.ب: ومع ذلك؛ قلتَ إنَّك كنتَ تقرأ الكتب الَّتي كانا يقرأانها.

ج.ب.س: نعم، كان ذلك بمبادرةٍ شخصيَّةٍ منِّي. كنتُ أرى كتبَهما في غرفتهما، أو في الصَّالون، فآخذها، لاسيما بعد الحرب لعلاقتها بها. بدافع المعرفة.

س.د.ب: ألم تكنْ ثمَّة كتبٌ ممنوعةٌ عليكَ ؟. هل كنتَ تقرأ ما تُريد ؟

ج.ب.س: لا، لم تكن هناكَ كتبٌ ممنوعةٌ عليَّ أبداً. في كلِّ الأحوال؛ لم أكُ أمدُّ يدي إلى كتبٍ ممنوعة. كنتُ أطَّلعُ على الكتبِ العاديَّة. بعضها يتحدَّث عن العلاقة بين ثقافةِ الأساتذة والثَّقافة البورجوازيَّة. وأشياءَ كهذه.

س.د.ب: هل كان الأساتذةُ يشيرون عليكَ ببعضِ الكتب؟

ج.ب.س: هذا الأمرُ لم يكنْ وارداً في تلك الفترة. كانوا يُشيرون علينا بقراءة كُتبٍ لها علاقة بدروسِنا. طبعاً؛ كانت هناك مكتبةٌ لكنَّها تضمُّ كتاباتِ جول فيرن Jules Verne[1]، بنحوٍ خاصٍّ.

---

(١) جول فيرن (١٨٢٨-١٩٠٥): كاتب روايات مغامرات وخيال علميّ فرنسيّ مشهور.

س.د.ب: إذاً، كان ذلك عارضاً.

ج.ب.س: لم يكن ذلك ما تُمليه المصادفةُ تماماً. كان هناك ثمَّة أبحاث. مثلاً، قرأت أحد كتب كلود فارير Claude Farrère لوجود أحدِها في مكتبةِ زوجِ أُمّي. وهي من نوع تلك الكتبِ العتيقةِ الَّتي وقعتُ عليها. قرأتها لأنَّها كانت موجودةً في مكاتب القراءة. تلك هي الكتبُ الَّتي كُنَّا نراها.

س.د.ب: هل وجدتَ في تلك الفترة كُتباً أثارَتْ دهشتَك بنحوٍ خاصٍّ؟. وهل عثرتَ على كتبٍ أحببتَها رغمَ القيود البورجوازيَّة؟

ج.ب.س: نعم، كانت خصوصاً من نوع الرِّوايات البوليسيَّة، أو روايات المغامرات الَّتي كانت تعجبني في تلك الفترة.قرأتُ كتبَ كلود فارير، ولا شكَّ أنِّي كنتُ أهتمُّ بها، لكنِّي قرأتُ غيرَها من الفئة نفسها، لكنَّها لم تكن تعجبُني كثيراً.

س.د.ب: نعم. لا شكَّ أنَّ شيئاً منها لم يعجبْك.

ج.ب.س: لا شيء.

س.د.ب: كيف تغيَّر الأمر، بالنسبة للقراءة، حينما انتقلتَ إلى باريس؟

ج.ب.س: كان ذلك تغيرُّاً تامّاً؛ لأنَّ رفيقي نيزان ومعه أفضل ثلاثة أو أربعة في الصَّف، مثل بيركو Bercot، وشقيق الرَّسّام غروبر Gruber كانوا يقرؤون. كما كان غويل Guille يقرأ أيضاً حينما تعرَّفت إليه في ثانويَّة هنري الرَّابع، خلال المرحلة الأُولى؛ هؤلاء كانوا يقرؤون بروست بشكلٍ أساسيٍّ. وكان هذا هو الاكتشاف الكبير. أي الانتقال من روايةِ المغامرةِ إلى روايةِ الثَّقافة، ومن ثم إلى الكتاب الثَّقافيّ.

س.د.ب: من أحببتَ في تلك الفترة؟؛ بروست أم جيرودو[1]؟

ج.ب.س: جيرودو، بعد أن جعلني نيزان أقرأه. كما نصحني بقراءة موران Morand؛ لقد أدخلَني نيزان إلى هذه الحياة الأدبية، لأنَّه لم يكنْ يقرأ روايات المغامرات، بل كان يقرأُ الكثيرَ من الكتبِ الحديثة.

---

(١) جان جيرودو (١٨٨٢-١٩٤٤): كاتب وديبلوماسيّ فرنسيّ.

س.د.ب: هل قرأتَ جيد Gide أيضاً؟ في نهاية المطاف؛ اكتشفتَ الأدبَ الحديث.

ج.ب.س: نعم، لقد اكتشفتُ الأدبَ الحديث. ولا شكَّ أنّي قرأتُ **الأطعمة الأرضيَّة**.

س.د.ب: نعم.

ج.ب.س: لكن، لا شيء غير هذا. باختصار؛ صارت تلك الفترةُ من الماضي البعيد. كان هناك كمٌّ كبير من المؤلِّفين الحديثين، وكان نيزان يقول لي: «هل قرأت هذا؟ وهل قرأت ذاك؟». وكنتُ أقرأ تلكَ الكتب. مع بدايةِ المرحلة الأُولى، أي قسمِ الفلسفة، من الثَّانوية؛ تغيَّرَ العالمُ. لم تكنْ تلك الكتبُ فلسفيَّةً تماماً، بل كتباً للسّرياليِّين. وبروست، وموران، وغيرها.

س.د.ب: كان جزءٌ من قراءتك لإرضاءِ نيزان، ولكي لا يتجاوزك، ولكي تتساوى معرفتُك بمعرفته، ولكي تكونَ مُطَّلِعاً.

ج.ب.س: نعم. خصوصاً من أجله، ومن أجلِ بعضِ الرِّفاق الَّذين كانوا يقرؤون أيضاً.

س.د.ب: قلتَ إنَّ «هذا غيَّرَ العالم»، هل يُمكنكَ توضيحُ ماتعني قليلاً؟ هل بوسعك وصفُ تغيُّرِ العالم هذا؟

ج.ب.س: مثلاً، على صعيد المغامرات، كنتُ أرى أنَّ أحداثَ بعضِ الرِّوايات تدور في أمريكا، وهو عالمٌ لم أكنْ أعرفه.لأني لم أكنْ مُهتمّاً بالجغرافيا، وأجهل كيف هي أمريكا. بينما مثلاً ـ بدءاً من الصَّف العاشر ومرحلة الفلسفة ـ فَتَحَتْ كتبُ موران العالمَ أمامي؛ بمعنى أنَّ الأشياءَ لم تعدْ تجري خارجَ العالمِ الَّذي أعيشُ فيه فقط. بل في هذا المكان أو ذاك؛ كالصِّين أو نيويورك، والبحر المتوسِّط... هذهِ الأشياءُ كلُّها كانتْ تدهشُني. أي أنَّني اكتشفتُ عالماً.

س.د.ب: وماذا عن المستوى الكوكبيّ الجغرافيّ؟

ج.ب.س: نعم، كان لهذا أهمّيّة كبيرة. ومع أنّي لم أكنْ جيّداً في مادّة الجغرافيا خلالَ الدّراسة، لكنّي بدأت التّعرُّفَ عليها.

س.د.ب: أعتقد أنّ ثمّة ظاهرةً عامّة؛ فقد اكتشفَ مؤلّفو تلك الفترةِ ك: موران، وفاليري، ولاربو، وكثيرون غيرهم، البلادَ الأجنبيّةَ، فخرجوا من فرنسا ووصفوا العالم. لكنْ كان لديكَ انفتاحاتٌ أُخرى على العالم من خلالِ جيرودو، وبروست اللّذين لا يمكن تصنيفُهما في هذا الإطار.

ج.ب.س: كان جيرودو مُتشنّجاً، ولم أكنْ أحبُّه كثيراً.

س.د.ب: وقد سوّيتَ حسابَك معه لاحقاً.

ج.ب.س: كان ذلك في الصّفّ العاشر، لا شكّ أنّ بروست أفادني، أساساً، في ما يتعلّق بعلمِ نفسِ الشّخصيّات. لكنّه أفادني أيضاً بفكرة «الوسط». إنّه شيء علّمني إيّاه بروست، وهو وجود أوساط اجتماعية، كوجود أنواعٍ حيوانيّةٍ؛ فنحن إمّا بورجوازيٌّ صغير، أو نبيل، أو بورجوازيٌّ كبير، أو أستاذ... إلخ. كلُّ هذا يمكن التّعرُّف عليه، ويمكن رؤيته في العالم البروستيّ. وهو شيء فكّرتُ فيه كثيراً؛ فقد فكّرتُ فوراً تقريباً، أو بعدَ ذلك بقليل: أنّ على الكاتبِ معرفةَ كلِّ شيءٍ عن العالم، أي عليه أن ينتمي إلى عدّة أوساط. وقد عثرتُ على هذا لدى أُناسٍ لا أحبُّهم كثيراً: لدى الأخوَين غونكور Goncourt[1]، اللّذين أرادا مخالطةَ جميعِ الأوساطِ والتهامَ أشخاص يضعانهم في روايات. فقد كتبا روايةً حولَ الخادمات؛ لأنّ لديهما خادمةً كانا يحبّانها ثمّ توفّيت بعد أن عاشَتْ حياةً جنسيّةً هامّةً إلى حدٍّ ما.

---

(١) الأخوان جول (١٨٣٠-١٨٧٠) وإدمون (١٨٢٢- ١٨٩٦) غونكور: كاتبان فرنسيّان شهيران، وتوجد جائزة أدبيّة باسمهما.

س.د.ب: لكن؛ ألم يكنْ هذا إشارة إلى كشفٍ من نوع آخر؟ أعني أنَّك كنتَ خارجاً من وسط ريفيٍّ جدّاً وبورجوازيٍّ. ألم يفتحْ هذا أمامَك أشكالاً من الحياة: كالمشاعر، والأخلاق، والنفسيّات؟ ألم يكنْ هذا أيضاً؟

ج.ب.س: بلى بالتَّأكيد. فتحَ لي هذا الحياةَ المعاصرة؛ لأنَّ والديَّ كانا متخلفَين بمقدارِ خمسين سنة عن الثَّقافة والحياة. أمَّا في باريس؛ فكان هؤلاء الأولاد يعيشون الحياة الثَّقافيَّة الرَّاهنة يوماً بيوم. لا سيما السّرياليِّين. كان ذلك بالنِّسبة لنا،كما قلت، مبعثَ ثراءٍ ومصدرَ تأثيرٍ. ثمَّ اكتشفت **المجلَّة الفرنسيَّة الجديدة** [م.ف.ج] La Nouvelle Revue Française؛ المجلَّة والكتب. كان ذلكَ بمثابة اكتشافٍ حقيقيٍّ. في تلك الفترةِ كان للكتبِ الَّتي تُصدرها م.ف.ج رائحةٌ كرائحة الورق. وقد احتفظت بالكتب الَّتي طُبِعَت في تلك الفترة بهذه الرَّائحة. إنِّي أتذكَّرها. كانت رائحةَ الثَّقافة، إذا شئتِ فإنَّ م.ف.ج كانت تُمثِّلُ شيئاً بالفعل؛ أعني: الثَّقافة.

س.د.ب: الثَّقافةَ الحديثةَ.

ج.ب.س: الثَّقافةَ الحديثةَ، حيثُ قرأتُ كونراد[١]؛ وكان كونراد هذا يعني لي م.ف.ج لأنَّه طبعَ كتبَه كلَّها فيها.

س.د.ب: لِمَ تحبُّ كونراد إلى هذا الحدّ؟ هذه هي المرَّةُ الثَّانيةُ الَّتي تذكرُ اسمَه فيها.

ج.ب.س: لم أكنْ أحبُّ كونراد كثيراً، لكنِّي كنتُ تلميذاً داخليّاً في صفِّ الفلسفةِ في ثانويَّة هنري الرَّابع، وتربطني علاقةٌ بتلاميذِ المرحلةِ الأخيرةِ من المرحلةِ التَّحضيريَّةِ khâgneux في ثانويَّةِ هنري الرَّابع الَّذين كانوا يهيِّئون أنفسَهم لامتحانِ دارِ المعلِّمينَ مع أساتذة مشهورين مثل آلان Alain[٢] كانوا

---

(١) جوزيف كونراد (١٨٥٧-١٩٢٤): كاتب بريطانيّ من أصل بولونيّ روسيّ (أيّام الامبراطوريّة الرّوسيّة) كتب باللّغة الانكليزيّة.

(٢) أليان (إميل أوغست شارتييه ١٨٦٨-١٩٥١): فيلسوف وصحفيّ فرنسيّ معروف.

يتكلَّمون معنا، وهو شرفٌ عظيم لنا، لأنَّهم في صفٍّ مُتقدِّمٍ جدّاً. كانوا أُناساً من نوعٍ خاصّ، لا نعرفهم بشكلٍ جيِّد، ونسعى إلى التَّعرُّفِ عليهم. كانوا، من وقتٍ لآخر، يفسحونَ لنا في المجالَ لقراءةِ بعضِ الكُتُب من مكتبتهم، لا سيما كونراد.

س.د.ب: هل كان لِآلان، أيُّ تأثيرٍ عليك،من خلال هؤلاء التلامذة أو من خلال أي طريقة أخرى؟ هل كنتَ تقرأ آلان حينما كنت في صفِّ الفلسفة؟

ج.ب.س: ليس حينما كنتُ في المرحلةِ التَّحضيريَّةِ، وما بعد، نعم. في دارِ المعلِّمين.

س.د.ب: متى قرأتَ الكُتَّابَ الكلاسيكيِّين الكبار مثل زولا، وبلزاك، وستاندال وغيرهم؟

ج.ب.س: لم أهتمَّ كثيراً بِزولا وبلزاك؛ في وقتٍ لاحقٍ؛ قرأتُ زولا، أمَّا بلزاك؛ فلم أُخدعْ به أبداً. جمعتُ لنفسي مكتبةً من الكلاسيكيِّين تبعاً للظروف. بدأتُ بقراءةِ بعضِ أعمالِ ستاندال مباشرةً في صفِّ الفلسفةِ، ثمَّ رحتُ أقرأ له حتَّى وأنا في دار المعلِّمين. كان أحدُ كُتَّابي المفضَّلين. لهذا كنتُ مُندهشاً حينما أدركتُ أنَّه لا يمكن قراءته بين السَّابعةَ عشرةَ والثَّامنةَ عشرةَ من العمر؛ لأنَّه يبعثُ الذُّبولَ في نفوسِ الأطفال، ويقدِّم لهم أفكاراً كئيبة، وينفِّرهم من الحياة. وهو ما كان يُقالُ عنِّي؛ ما زلتُ لا أفهم...

س.د.ب: لا، بل لأنَّه مُفرحٌ جدّاً.

ج.ب.س: مُفرحٌ جدّاً، نعم. في الغراميَّاتِ، والبطولةِ، والمغامراتِ. لا أدري ماهو نوعُ المقاومةِ الَّتي أثارها ستاندال.

س.د.ب: حسناً، وماذا بعد؟

ج.ب.س: إنَّ مؤلَّفاً مثل ستاندال، قرأته مع أُناسٍ ممَّن لهم عمري وضدَّ من كانوا أكبرَ سنّاً، حتَّى الأساتذة.

س.د.ب: كانت القراءةُ وسيلتَك لامتلاكِ العالَم إجمالاً، ومتعتك، في الوقتِ نفسِه، بطبيعةِ الحال...

ج.ب.س: هي كذلك، متعةٌ ؛ ثمَّ إنِّي كنتُ أمتلكُ العالمَ أيضاً ؛ العالم، بمعنى الكوكب أساساً ؛ وقد منحتني طموحاتي (كالعيشَ في كمٍّ كبيرٍ من الأوساط، مع عددٍ كبيرٍ من النَّاس، وفي أكبرِ عددٍ من البلدان)؛ تذوُّقاً أوَّليّاً. فقرأتُ كثيراً حتَّى السَّنة الثَّالثة من دار المعلِّمين. وتوقَّفتُ كثيراً حينما كنتُ بصددِ تحضيرِ شهادةِ أهليَّةِ التَّعليم Agrégation، مع أنِّي رسبتُ في المرَّة الأولى.

س.د.ب: لقد عملتَ كثيراً. لكنَّك أدهشتني حينما عرفتكَ، لأنَّك قرأتَ مؤلِّفين لا نقرأُهُم بشكل عامّ، مثل باور-لورميان Baour-Lormian[١]، ونيبوميسين لميرسييه Népomucène[٢]، كانت لديكَ ثقافةٌ شاملة.

ج.ب.س: نعم. هذا ما أرشدني إليه التَّاريخِ والأدبِ.حيث كان الأساتذةُ يذكرون أسماءَ مثل أولئك المؤلفين خلالَ دروسِ التَّاريخ أو اللُّغة الفرنسيَّة، فأُسارعُ إلى قراءتهم.

س.د.ب: وحينما جئتَ إلى باريس؛ كيف كنتَ تحصَلُ على الكُتُب؟

ج.ب.س: دأب نيزان على إعارتي بعضَها، وكنتُ أشتري البعضَ الآخر، ومن وقتٍ لآخر، كان طُلَّابُ المرحلةِ التَّحضيريَّةِ في ثانويَّة هنري الرَّابع يعيروني قسماً كما سبقَ ذكره.

س.د.ب: وما الَّذي كانت تمثِّله القراءةُ بالنِّسبة لكَ بعدَ حصولِك على شهادةِ أهليَّة التَّعليم؟ مع معرفتي بأنَّ القراءةَ كانت لك بمثابةِ تزجيةٍ للوقت خلالَ تأديتِك الخدمةَ العسكريَّة.

ج.ب.س: صحيح.

---

(١) بيير باور- لورميان(١٧٧٠-١٨٥٤): شاعر وكاتب، وعضو في الأكاديميَّة الفرنسيَّة.

(٢) جان نيبوميسين (١٣٤٥- ١٣٩٣): كاهن كاثوليكيّ، ولد في بوهيميا.

س.د.ب: لأنَّكَ كنتَ تضجرُ كثيراً.

ع.ب.س: نعم.

س.د.ب: لكن؛ كان هناكَ شيءٌ آخر.

ع.ب.س: هو احتكاكي بالعالم. فالرِّوايةُ، أو كتابُ التَّاريخ، أو الجغرافيا؛ كلُّها منحتني معلوماتٍ عن العالم. عن شيءٍ جرى في مكانٍ مُعيَّن، أو حدثَ قبلَ قرن، أو يجري في بلدٍ أذهبُ إليه. تلك كانت معلوماتٍ أعرفها عن العالم، فتثيرُ اهتمامي.

س.د.ب: والأدب الرُّوسيّ أيضاً.

ع.ب.س: بدأت بقراءة الكتبُ الرُّوسيَّة القديمةُ، مثل كتب تولستوي، ودوستويفسكي، وغيرهما. منذُ فترةٍ طويلة. لم أحبَّ تولستوي، لكنِّي غيَّرت رأيي. وحتماً أحببتُ دوستويفسكي.

س.د.ب: وحينما صرتَ أستاذاً في مدينة لوهافر Le Havre؛ هل كنتَ تقرأ كثيراً؟

ع.ب.س: نعم، كنتُ أقرأ.

س.د.ب: بعد أن بدأتَ الكتابةَ بشكلٍ جدِّيّ؛ هل بقي لديكَ مُتَّسعٌ من الوقتِ للقراءة؟ وما الَّذي كانت تمثِّلهُ بالنِّسبة لك؟

ع.ب.س: كنتُ أقرأ كثيراً وأنا في القطار؛ ذهاباً وإياباً بين لوهافر ـ باريس، ولوهافر ـ روان. اكتشفتُ في تلك الفترةِ شيئاً جديداً، هو اهتمامي بالرِّواية البوليسيَّة.

س.د.ب: والله!

ع.ب.س: قبل هذا؛ انصبَّ اهتمامي على رواياتِ المغامرات؛ ففي القطار؛ لم يكن لديَّ شيءٌ أفعله. جُلُّ ما نقومُ به النَّظرُ إلى مرورِ النَّاس. والقراءةُ. لكن؛ قراءةُ ماذا؟ شيء غير ثقافيّ إلى حدٍّ ما. ولم أتنبه، في حقيقةِ الأمر، إلى أنَّ الرِّواياتِ البوليسيَّة كانت تُثقِّفني.

س.د.ب: كُنَّا نستقلُّ القطار كثيراً.

ج.ب.س: بشكلٍ هائلٍ. عندئذٍ؛ كنتُ أقرأُ رواياتٍ بوليسيَّة.

س.د.ب: ولِمَ كنتَ تحبُّ الرِّواياتِ البوليسيَّة؟

ج.ب.س: ما شدَّني إليها هو اهتمامُ النَّاس بها. في هذه الفترة؛ كان الجمهور يهرعُ إليها.

س.د.ب: صحيح، لكنْ كانَ بوسعِك رفضُها.

ج.ب.س:كان بوسعي ذلك، لكنَّ خلفيّتي المغامراتيَّةَ القديمةَ كانت تشدُّني إليها.

س.د.ب: ألمْ يشدُّكَ بناؤها أيضاً؟

ج.ب.س: بلى، البناءُ كان يستهويني؛ وهو البناءُ الَّذي طالما فكَّرتُ بإمكانيَّةِ استخدامِه في رواياتٍ تُعالج موضوعاتٍ أكثرَ...

س.د.ب: أكثرَ جدِّيَّة.

ج.ب.س: أكثرَ جدِّيَّة، وأكثرَ أدبيَّة. أي؛ بناءٌ اللُّغزِ الَّذي يأتي مفتاحُه في النِّهاية، وفكَّرت بأنِّي إذا عملتُ شيئاً مُخفياً قليلاً؛ لا أعني الجريمة، بل حدثٌ في حياةٍ ما، وعلاقاتٌ بين رجالٍ ونساءٍ، فمن شأنِ هذا أن يكونَ ثيّمةً لروايةٍ ما؛ هذا الحدث يتكَشَّفُ شيئاً فشيئاً، ويتحوَّلُ إلى مادَّةٍ للفرضيَّات. ظننتُ أنَّ من شأن هذا أن يقدِّم إمكانيَّةً لكتابةِ رواية. لكنِّي تخلَّيتُ عن هذه الطَّريقةِ لاحقاً. ثمَّ هناكَ في الجزء الأوَّل من ثلاثيَّة دروب **الحُرِّيَّة** عناصرُ من شأنها أن تكونَ روايةً بوليسيَّة، أعني علاقة بوريس مع لولا، على سبيل المثال.

س.د.ب: حتَّى روايةُ **الغثيان** تتضمَّن نوعاً من التَّرقُّب؛ لأنَّ البطلَ يسألَ: «ما هذا؟، ماذا هناك؟...»

ج.ب.س: صحيح.

س.د.ب: أظنُّ أنَّ نوعَ الضَّرورةِ الموجودِ في الرِّوايةِ البوليسيَّةِ المشغولةِ والمنسوجةِ بشكلٍ جيِّدٍ؛ كان أمراً يعجبك.

ج.ب.س: تلك كانت ضرورةً من نوعٍ خاصّ. وهي الضَّرورةُ الَّتي تُعبِّرُ الحواراتُ عنها في أغلبِ الأحيان، إذ حينما يكتشفُ التَّحرِّي شيئاً ما في الرِّواية البوليسيَّة؛ هناك...

س.د.ب: استجوابات.

ج.ب.س: يظهرُ الحدثُ أو يعود للظُّهورِ في الحوار، بنحوٍ خاصّ، ويُثيرُ اضطراباتٍ أو مواقفَ انفعاليَّة لدى بعضِ النَّاس. إذاً؛ كان هذا يقتضي أن يكونَ الحوارُ ...

س.د.ب: أن يكتسب قيمةِ الفعل، نوعاً ما.

ج.ب.س: صحيح، إعلامُ النَّاس ثمَّ دفعُهم إلى التَّصرُّف،المغامرةُ كانت في الحوار، والحوارُ بوصفِه مغامرةً هو ما كان يبدو لي هامّاً.

س.د.ب: ماذا قرأتَ غيرَ الرِّوايات البوليسيَّة حينما كنتَ في لاوون Laon، وبعد عودتِك إلى باريس. باختصار، خلالَ السَّنواتِ الَّتي عملتَ فيها مُدرِّساً قبلَ الحرب؟

ج.ب.س: كنتُ أقرأ الأدبَ الأميركيَّ بنحوٍ خاصّ. وما زلتُ أذكر أنَّني فيه تعرَّفتُ على فوكنر(١). وأنتِ أوَّل مَن قرأه، وأريتِني القصصَ قائلةً لي: عليكَ بقراءتها.

س.د.ب: فعلاً!

ج.ب.س: كنتُ في غرفتكِ ذاتَ يومٍ، بعدَ الظُّهر، وكانَ الكتابُ لديكِ. سألتكِ عنهُ، ثمَّ قلتِ لي ما قُلتِيه. كما كنتُ قد قرأتُ دوس باسوس Dos Passos(٢).

---

(١) ويليام فوكنر (١٨٩٧-١٩٦٢): روائيّ وقاصّ أمريكيّ.

(٢) جون دوس باسوس (١٨٩٦- ١٩٧٠): كاتب ورسّام أميركيّ.

س.د.ب: اكتشفنا كافكا معاً في وقتٍ مُتأخِّر.

ج.ب.س: في بروتانيا Bretagne[1]، إذا أسعفتني الذَّاكرة.

س.د.ب: صحيح. كان أحدُهم يتحدَّث في م.ف.ج عن الكُتَّابِ الكبارِ مثل بروست، وكافكا، وجويس، ماذا عن جويس، هل كُنَّا نعرفه؟ لم أعُدْ أذكر.

ج.ب.س: نعم، لقد عرفناهُ بسرعةٍ، ثمَّ قرأناه بعدَ ذلك. اهتممتُ بجوِّهِ، ومونولوغ السَّيِّد بلوم Bloom الدَّاخليّ أعجبني كثيراً. حتى أنني ألقيتُ محاضرةً حولَ جويس في مدينة لوهافر في قاعةٍ يُلقي فيها الأساتذةُ محاضراتِهم مدفوعةَ الأجر. وقد رتَّبَتِ البلديَّةُ هذا الأمرَ بالتَّعاونِ مع المكتبةِ،كما ألقيتُ محاضراتٍ حولَ الكُتَّابِ الحديثين الَّذين لم يكن البورجوازيُّون يعرفونهم.

س.د.ب: مثل مَن؟

ج.ب.س: مثل فوكنر.

س.د.ب: ألقيتُ محاضرةً عن فوكنر؟

ج.ب.س: تحدَّثتُ عنه في إحدى المحاضراتِ فسألوني عنه.

س.د.ب: مَنْ الَّذينَ تناولَتْهم محاضراتُك؟ يبدو لي أنَّك ألقيتَ واحدةً حول أندريه جيد Gide، أليس كذلك؟

ج.ب.س: صحيح، وأُخرى حولَ جويس.

س.د.ب: سبقَتْ مقالاتُك النَّقديَّة الأُولى هذه المحاضرات.

ج.ب.س: صحيح. كانت أقلَّ تطوُّراً من مقالاتي، لكنَّها كانت تسيرُ في الاتِّجاه نفسِه.

س.د.ب: هل كانت لديكَ فكرةٌ عن أنَّ التقنيَّةَ عبارةٌ عن ميتافيزيقيا؟

ج.ب.س: نعم، كانت لديَّ هذه الفكرةُ مُبكِّراً.

---

(١) مقاطعة في شمال فرنسا.

س.د.ب: حسناً. إجمالاً؛ هل كنتَ تقرأ لإرضاءِ نفسِك، وبغيةَ الاطّلاع، ومعرفة ما كان يُنشرُ في العالم؟

ج.ب.س: كنتُ أقرأ كثيراً، ومُهتمّاً جدّاً بالقراءة؛ بوصفها أكثرَ أدوات التَّسلية أهمِّيَّةً. بل كنتُ مهووساً بها إلى حدٍّ ما.

س.د.ب: هل بين هذه القراءات ما أثَّرَ على عملك ؟

ج.ب.س: حتماً. كان لِدوس باسوس أثراً هائلاً عليَّ.

س.د.ب: لولا دوس باسوس لما كتبتَ **وقف التَّنفيذ** Sursis.

ج.ب.س: تأثَّرتُ بِكافكا أيضاً. لا أستطيعُ القولَ كيف، لكنَّه أثَّرَ فيَّ كثيراً.

س.د.ب: هل كنتَ قد قرأتَ كافكا حينما كتبتَ **الغثيان**؟

ج.ب.س: لا، حينما كتبتُ **الغثيان**؛ لم أكنْ قد عرَفتُ كافكا بعد.

س.د.ب: بعدَ ذلك؛ اندلعَتِ الحربُ، وأظنُّ أنَّكَ قرأتَ كثيراً خلالَ هذه الحربِ الغريبة.

ج.ب.س: صحيح، وقد أَرسلتِ لي كَمّاً كبيراً من الرَّسائل. كنتُ أتلقَّاها في المدرسةِ حيث كُنَّا نجلسُ في النَّهار، كراصدين، لا نقوم إلَّا بتصحيحِ أو دراسةِ استطلاعاتِ الرَّأي الَّتي كُنَّا قد أجريناها صباحاً، أو خلال الأيَّام السَّابقة. ولم يكنْ عمُلنا هذا مُفيداً لأحد. لعدمِ وجودِ شخصٍ يهتمُّ بالاستفتاءات.

س.د.ب: لا شكَّ أنَّك لا تتذكَّر ما قرأتَه ؟ هل كانت الكتبُ تظهرُ تِباعاً ؟

ج.ب.س: نعم.

س.د.ب: لمْ تتوقَّفْ قراءاتُك على الرِّوايات بطبيعة الحال، فقد كنتَ تقرأ الفلسفة.

ج.ب.س: أو التَّاريخ.

س.د.ب: هل قرأتَ الكثيرَ من كتب التَّاريخ؟

ج.ب.س: نعم. لكنَّه التَّاريخ الَّذي كان يُكتَبُ في تلك الفترة، تاريخُ الحكايات والسِّيَر الذَّاتيَّة. قرأتُ على سبيل المثال، كُتباً مُختلفةً حولَ قضيَّة دريفوس Dreyfus[1]. كما قرأتُ عدداً لابأس به من كتب التَّاريخ؛ لتوافقها بأنَّها مع التَّصوُّر الفلسفيّ القائل بالاهتمامِ بالتَّاريخ، وبأنَّها جزءٌ من الفلسفة.

س.د.ب: كنتَ تقرأ الكثيرَ من كتب السِّيَر الذَّاتيَّة.

ج.ب.س: صحيح.

س.د.ب: كانت أذواقُنا مشتركةً حولَ هذا الأمر. ثمَّة كتبٌ كثيرةٌ كُنَّا نقرأها معاً. وقد وضعتُ قائمةً بالكتب الَّتي قرأتها في كتابي **سِنّ النُّضج** La Force de l'âge.

ج.ب.س: كُنَّا نتشارك في الكتاب نفسه، ونتكلَّم كثيراً عنه.

س.د.ب: نعم، كثيراً.

ج.ب.س: وكانت بعضُ الشَّخصيَّات الرِّوائيَّة أو الحقيقيَّة تُشكِّل مرجعيَّةً لنا.

س.د.ب: نعم، كلُّ ما كُنَّا نقرأه كان مُندمجاً جدّاً في حياتنا.

ج.ب.س: صحيح، لابُدَّ من القولِ: إنَّ الكتابَ الَّذي كُنَّا نتناوبُ عليه يمنحُ القراءةَ طابعاً إضافيّاً.

س.د.ب: حينما كنتَ في معسكر المعتقلِين؛ أظنُّ أنَّه كان يصعبُ عليكَ الحصولُ على الكتب.

ج.ب.س: حصلتُ على بعضِها. كتبٌ حملها أحدُ السُّجناء في متاعِه. وقدَّم ليَ الألمانُ، سِرّاً، كتاباً أو اثنين. لا شيء عمليّاً. لكنِّي حصلتُ على كتاب **الكينونة والزَّمن** Sein und Zeit بناءً على طلبي.

---

(١) ألفرد دريفوس (١٨٥٩-١٩٣٥): ضابط فرنسيّ يهوديّ. وقع ضحيّة خطأ قانوني في عام ١٨٩٤؛ حيث اتُّهم بالخيانة ظلماً، وأثارت قضيّته الرأي العامَّ الفرنسيّ.

س.د.ب: هذه لا تُعدُّ قراءةً، بل عملاً. لا بُدَّ من تمييزِ الكتبِ الَّتي كانت بالنِّسبة لكَ كُتباً للعمل؛ مثل كتب هايدغر، وهوسرل على سبيلِ المثال.

ج.ب.س: تعرفين أنَّه من الصَّعب تمييزُ كتبِ العمل. هل كان هايدغر وهوسرل عملاً أم قراءةً أكثر انتظاماً من غيرهما؟ من الصعبِ البتُّ في ذلك.

س.د.ب: هل تدخلُ القراءاتُ من أجلِ المتعةِ في نوعٍ من عملٍ يقوم على استيعابِ العالم؟

ج.ب.س: لاحقاً نعم، احتجتُ إليها لكتابةِ كتبي. لكن حينما كتبتُ **الغثيان**؛ لم أحتجْ إلى أيِّ كتاب تقريباً. كما لم أحتَجْ إليها لكتابة القصص.

س.د.ب: وحينما عدتَ إلى باريس، خلال الحرب وبعدها مباشرةً، ماذا كانت تعني القراءةُ بالنِّسبة إليك؟ وقد بدأتَ قبلَ الحربِ بكتاباتك النَّقديَّة.

ج.ب.س: صحيح.

س.د.ب: من انتقدتَ قبلَ الحربِ؟ هل هو مورياك Mauriac[١]؟

ج.ب.س: دوس باسوس بنحوٍ خاصٍّ.

س.د.ب: ماذا عن بريس باران Brice Parain؟ هل كتبتَ عنه؟

ج.ب.س: نعم، خلال الحرب. ما الَّذي كُنَّا نقرأه خلالَ الاحتلال؟

س.د.ب: ما أذكره هو أنَّنا قرأنا موبي ديك Moby Dick[٢] في تلك الفترة. لكن، من حيثُ المبدأ؛ لم يعدْ لدينا كتبٌ أمريكيَّة.

ج.ب.س: لم يعدْ لدينا كتبٌ أمريكيَّةٌ، ولا كتبٌ إنجليزيَّةٌ أو روسيَّةٌ.

---

(١) فرانسوا مورياك (١٨٨٥- ١٩٢٦): كاتب وروائيّ فرنسيّ، وعضو في الأكاديميّة الفرنسيّة.

(٢) إحدى روايات الكاتب الأمريكيّ هيرمان ميلفيل.

س.د.ب: إذاً، ماذا كُنّا نقرأ؟

ج.ب.س: كُنّا نقرأ الكتبَ الفرنسيّة.

س.د.ب: كانت المنشوراتُ قليلةً.

ج.ب.س: قرأنا أشياءَ لم يسبِقْ لنا قراءتها، أو نعيد قراءتَها.

س.د.ب: لم نكنْ نقرأ إصداراتٍ جديدةً، هكذا كان الحال.

ج.ب.س: ومع ذلك؛ فقد قرأنا كَمّاً لابأسَ به.

س.د.ب: بالنِّسبة لي؛ أعتقدُ أنّي قرأتُ في تلك الفترةِ أجزاءَ **ألف ليلة وليلة** كُلّها بطبعةِ الدكتور ماردروس Mardrus. لا أدري إن كنتَ قد قرأتها أيضاً.

ج.ب.س: نعم، كُنّا نقرأ كتباً تتجاوز الأزمانَ؛ قرأنا كتباً من القرنِ التّاسعَ عشرَ. وأعدتُ قراءةَ زولا Zola في تلك الفترة.

س.د.ب: وبعد الحرب؟

ج.ب.س: كان ثمّة كتابٌ هامٌّ خلالَ الحربِ لِجان جوريس Jaurès[1] بعنوان: **تاريخ الثّورة**.

س.د.ب: بعدَ الحربِ شهِدْنا اجتياحاً لكتبِ الأدبِ الأميركيّ والإنجليزيّ. فاكتشفنا عندئذٍ شكلاً آخر من رواياتِ المغامراتِ. وكمّيّاتٍ من الكتبِ الّتي كَشفَتْ لنا عن ماهيّة الحربِ في الجانبِ الآخِرِ من ستائرِنا اللّيليّة.

ج.ب.س: كان ذلك أكثرَ أهمّيّة بالنِّسبةِ لكَ ممّا هو بالنِّسبة لي.

س.د.ب: لماذا؟

ج.ب.س: لأنَّ... لا أعرف. طبعاً، كنتُ أقرأ شيئاً من ذلك الأدب. لكنّي لم أكنْ أملكُ الخبرةَ للانطلاقِ من نقطةٍ نحوَ قراءةٍ من هذا النّوع.

---

(١) جان جوريس: كاتب وصحفيّ وسياسيّ فرنسيّ اشتراكيّ، ولد في عام ١٨٥٩ واغتيل في باريس عام ١٩١٤.

س.د.ب: أَلَمْ تقلَّ قراءتُك بعدَ الخامسةِ والأربعين من عمركِ بسببِ كثرةِ ما كتَبتَ، وانخراطِك في النِّزاعات السِّياسيَّة؟

ج.ب.س: صحيح، ولكنْ لم يكنْ عندي شيءٌ آخرُ أفعله. فقبل هذا؛ كانت الثَّانويَّة. وفي تلك الفترةِ تقريباً كوَّنتُ مكتبةً لنفسي؛ فكنتُ آخذُ الكتبَ منها، وأقرأها ثمَّ أُعيدُ قراءتها.

س.د.ب: وضعتَها في شقَّة والدتِك الَّتي كنتَ تعيشُ فيها. مرَّ عليكَ وقتٌ لم يكنْ لديكَ كتابٌ واحد. حينما كُنَّا في فندقِ لويزيانا؛ جاء أحدهُم لرؤيتك، فسألَك مُندهشاً: «أليسَ عندك كتب؟». فقلتَ له: «نعم، إنِّي أقرأ، ولكنِّي لا أملكُ كتباً». وبعد أن سكنتَ شارع بونابرت؛ كوَّنتَ مكتبتَك.

ج.ب.س: صحيح، بسببِ حُبِّي للكُتب، والرَّغبة في لمسِها، والنَّظر إليها. وكنت أشتري الكُتبَ يومَ كُنَّا من سُكَّانِ شارع بونابرت وشارع مازارين أيضاً. ثمَّة مكتباتٌ كثيرةٌ في هذا الحيِّ. كنتُ أشتري طبعاتٍ كاملة...

س.د.ب: كانت لديكَ الطَّبعةُ الكاملة لأعمال كوليت[1].

ج.ب.س: صحيح.

س.د.ب: وأعمال بروست الكاملة...

ج.ب.س: صحيح. بعد أن سكنتُ في بيت أُمِّي؛ قبلتُ امتلاكَ بعضِ الأشياءِ كالمكتبة، على سبيل المثال. وقد كان عدمُ امتلاكي للكتبِ في السَّابقِ استجابةً لقرارٍ إراديٍّ. لم أكنْ راغباً في امتلاكِ أيِّ شيء. وبقيتُ كذلك حتَّى سِنِّ الأربعين.

س.د.ب: ينبغي القولُ إنَّ الظُّروفَ المادِّيَّة لم تكنْ مُهيَّأةً كثيراً لذلك؛ لأنَّنا كُنَّا نقضي وقتَنا في الفندق...

---

(١) سيدوني غابريل كوليت (١٨٧٣- ١٩٥٤): روائيَّة، وصحفيَّة، وممثِّلة فرنسيَّة مشهورة.

ج.ب.س: صحيح، لكن كان بإمكاني اقتناءُ الكتبِ لو أردتُ ذلك. لا، السَّببُ هو أنِّي لم أكنْ راغباً في امتلاك أيِّ شيء؛ لا في مدينة لوهافر، ولا في لاوون... وفي عام ١٩٤٥؛ حوَّلتُ حياتي نحوَ بعضِ الأمور.

س.د.ب: صحيح. إذ اتَّخذتَ لنفسك سكرتيراً، واستقرَّيتَ بشكلٍ أفضلَ ممَّا كنتَ عليه في السَّابق. كان ذلك بسبب الظُّروف.

ج.ب.س: كان ذلك؛ لأنَّ أُمِّي أرادَت أن أسكنَ معها بعد وفاةِ زوجها.

س.د.ب: أعرف هذا. دعنا نَعُدْ إلى موضوع القراءة: هل قرأتَ بعد ١٩٤٥ كما كنتَ تقرأ قبل ذلك؟ وهل قرأتَ الأشياء نفسها؟ يبدو لي، وقد أكونُ مخطئةً، أنَّكَ قد قلَّلتَ من القراءاتِ المجَّانيَّة، وقلَّتْ قراءتُك للرِّوايات.

ج.ب.س: صارت قراءتي للرِّوايات أقلَّ. فقد نُشِرَتْ رواياتٌ جيِّدة، لمْ أقرأْها أبداً. وتوجَّهتُ إلى الكتبِ التَّاريخيَّةِ بنحوٍ خاصٍّ.

س.د.ب: متى بدأتَ بقراءةِ كمٍّ هائلٍ من الكُتب حولَ الثَّورةِ الفرنسيَّةِ، واشتريتَ الكثيرَ من كتبِ المذكِّرات حولَ هذه الثَّورة؟. حوالي عام ١٩٥٢، كما يبدو لي.

ج.ب.س: صحيح، بين عامي ١٩٥٠و ١٩٥٢.

س.د.ب: هل كان هذا من أجلِ كتابةِ **نقدِ العقل الجدليّ**؟

ج.ب.س: نعم و لا. في تلك الفترة؛ كنتُ ما أزالُ راغباً في العملِ الفلسفيِّ، لكنَّ الأمرَ بقي غامضاً. كانت رغبتي قويَّة، لكنَّ قراءاتي ظلَّت غامضةً. ثمَّ تلكَ الملاحظات الَّتي دوَّنتُها في دفتري.

س.د.ب: لكنَّكَ كنتَ تقرأ. بطريقة منتظمة، كتباً غيرَ جذَّابة في بعض الأحيان؛ كنتَ تقرأ كتباً حولَ بذارِ الأرضِ، والإصلاحِ الزِّراعيِّ في إنجلترا. وبنحوٍ خاصٍّ أشياءَ كثيرة جدّاً حولَ تاريخِ فرنسا.

ج.ب.س: حولَ تاريخِ الثَّورةِ الفرنسيَّةِ والقرنِ التَّاسعَ عشرَ بشكلٍ أساسيٍّ.

س.د.ب: الكثير من التَّاريخ الاقتصاديّ.

ع.ب.س: نعم، الكثير من التَّاريخ الاقتصاديّ.

س.د.ب: كانت تلكَ قراءاتٍ وثائقيَّة، لهدفٍ لم يكنْ بعدُ مُحدَّداً، لكنَّ معالمه مرسومة.

ع.ب.س: كنتُ أُدوِّن الأفكارَ الَّتي أستقيها من تلك الكتب، أو ما أكتسبُه من معارفها، في دفاترِ الملاحظات والذِّكريات.

س.د.ب: قرأتَ كتابَ بروديل Braudel حولَ البحرِ الأبيضِ المتوسِّطِ، وكتاباً كنتَ تعدُّه هامّاً، أعني كتابَ سوبول Seboul الموسوم: **المدافعون عن الجمهوريَّة** Les Sans-Culottes كما كنتَ تقرأ الرِّواياتِ البوليسيَّة، وروايات التَّجسُّس في أوقات الرَّاحة.

ع.ب.س: روايات التَّجسُّس بنحوٍ خاصٍّ. مررتُ بفترة كنت أقرأ كلَّ ما يُنشر من رواياتِ التَّجسُّس. ثمَّ اتَّجهت نحوَ كتبِ السِّلسلة السَّوداء.

س.د.ب: كانت السِّلسلةُ السَّوداءُ قد نشأت حديثاً وجيِّدة في البداية؛ كالسِّلسلة السَّوداء لِدوهامل Duhamel. بعد ذلك؛ راحت جودتُها تتراجع.

ع.ب.س: نَفَدَتْ من الأسواقِ تقريباً.

س.د.ب: أودُّ، مرَّةً أُخرى، سؤالَك عمَّا عناهُ الأدبُ لكَ طيلةَ حياتِك. شرحتَ في **الكلمات**، ماذا يعني لك خلال سنواتك الأُولى. لكنْ ما الَّذي آلَ إليه اليومَ بالنِّسبة لك؟

ع.ب.س: في البدايةِ كنتُ أنظرُ إلى الأدب بوصفه رواية؛ رواية قصصٍ جميلة. لِمَ كانت جميلة ؟؛ لأنَّها كانت مكتوبةً بطريقة جيِّدة، تقوم على بدايةٍ ونهايةٍ، وفيها شخصيَّاتٌ أجعلها موجودةً عبرَ الكلماتِ. هذه الفكرةُ البسيطةُ تتضمَّنُ فكرةَ أنَّ الرَّوي ليسَ شيئاً لا يشبه ما أرويه لصديقٍ عمَّا فعلتُه طيلةَ

اليوم السَّابق. بل يعني شيئاً آخر. الرِّواية تعني الإبداعَ بالكلمات. الكلمةُ وسيلةُ روايةِ القصَّة، والَّتي تبدو لي مستقلَّةً عن الكلمات. لكنَّها وسيلةُ روايتها. كان الأدبُ مسروداً récit مصنوعاً من كلمات، يكتملُ حينما تكون هناكَ بدايةٌ لمغامرةٍ نتابعها حتَّى نهايتها. استمرَّ هذا إلى أن جعلَتني دراساتي في الثَّانويَّة ألاحظُ وجودَ أدبٍ آخر، لوجودِ كَمٍّ من الكتبِ الَّتي لا تروي.

س.د.ب: كنتَ إذاً تكتبُ في لاروشيل، مثلاً، أشياءَ أقربَ إلى المسرودات récits. وهو أمرٌ مختلفٌ جدّاً عن الرِّواية من خلال المسرود، أو الرِّواية لأحدِ الرِّفاق، فقد كانت هناك الكلماتُ أيضاً.

ج.ب.س: نعم، لكنَّها لم تكنْ حيَّةً بذاتها. الأمرُ يعني إطلاعَ الرَّفيق على ما جرى في العشيَّة؛ الأشياء الَّتي كانت موجودة، فنخلع عليها الأسماء الَّتي تدلُّ عليها، لكنَّنا لا نُعطي أيَّ ميزةٍ لهذه الكلمات. إنَّها موجودة. لأنَّ الكلمات هي الَّتي تدلُّ. بينما، في المسرود، الكلمةُ في حدِّ ذاتها تساوي شيئاً مُعيَّناً.

س.د.ب: ألم يكنْ مردُّ ذلك أيضاً إلى كونِنا ندخلُ في المُتخَيَّل imaginaire آنذاك؟

ج.ب.س: نعم، لكنِّي لا أعرفُ، ففي سِنِّ العاشرة؛ كنتُ أُميِّزُ بوضوحٍ بينَ الحقيقيِّ والمتخيل.

س.د.ب: رُبَّما لاحظتَ حتماً أنَّ القصصَ الَّتي كنتَ تكتبها لم تحدث.

ج.ب.س: نعم، لكن لا أدري إن كنتُ أُميِّز، في سِنِّ العاشرة، ما إذا كانت هذه القصصُ مُختلَقَة، لكن من جانب آخر، بما أنَّها كانت تشبهُ، أو حتَّى تشبهُ تماماً. مسروداتٍ قرأتها في الصُّحفِ المسلِّية، فلديَّ الانطباعُ بأنَّها كانت تنطوي على الأقلِّ؛ على حقيقةِ الانتماءِ إلى عالمِ هذه المسروداتِ الَّتي كانت موجودةً بعيداً عنِّي. لم تكنْ لديَّ بعدُ فكرةُ الخيالِ المحض، الَّتي امتلكتُها

لاحقاً بشكل سريع. لم يكنْ ثمَّة خيال. حسناً، هذا لم يكنْ موجوداً، بل اختُلِقَ، لكنَّه لم يكنْ خيالاً. لم يكن خيالاً بمعنى أنَّه لم يكنْ قصَّةً لها قوام، ومع ذلك؛ فهو ليسَ كذلك.

س.د.ب: لكن؛ ألم يكنْ مع ذلك ما يشبهُ الإحساسَ بما يمكن تسميتُه بالجَمالِ وضرورةِ المسرود؟

ج.ب.س: لم نكن نروي أيَّ شيءٍ له بدايةٌ ونهايةٌ ترتبط بالبدايةِ ارتباطاً وثيقاً؛ بحيث نصنعُ شيئاً تكون بدايته عِلَّةَ النِّهايةِ وتُحيل نهايتَه إلى البداية.

س.د.ب: شيءٌ منغلقٌ على نفسه؟

ج.ب.س: نعم. المسرود يُصنع من أشياء تتلاءم مع بعضها؛ فالبداية تخلق حالةً تُفَكُّ عقدُتها في النِّهاية بعناصر البداية. إذاً؛ النِّهاية تُكرِّرُ البداية، والنِّهاية تسمح بتصوُّرِ البداية. كان هذا بالغَ الأهميَّة بالنِّسبة لي. بعبارة أخرى، هناك مسرودٌ يستخدم ابتكاراً، وهو أحد العناصر، والعنصر الآخر هو أنَّ ما أبتكرُهُ هو القصَّة الَّتي تكتفي بنفسها، وترتبطُ نهايتُها بالبداية. والعكس صحيح.

س.د.ب: هل تعني بذلكَ الضَّرورةَ، من دون أن تُسمِّيها؟

ج.ب.س: إنَّها الضَّرورة الَّتي لا نكشف عنها إلَّا بالرّوي. هذا هو الجوهر، إذا شئتِ. حينما نروي؛ نوقظ ضرورةً ما، هي سلسلةُ كلماتٍ ترتبط مع بعضها، اختيرتْ لكي تترابط... هناك أيضاً، لكن بشكلٍ بالغِ الإبهام، فكرةُ وجودِ كلماتٍ جيِّدةٍ تمنحُ الجمالَ إذا ترابطت، لتشكِّلَ بعدَ ذلك جملةً معيَّنة. لكنْ هذا يبقى مُبهماً جدّاً؛ كنتُ أشعرُ أنَّ الكلماتِ يمكن أن تكونَ جميلةً، لكنِّي لم أكنْ أهتمُّ بها كثيراً. بل أُولي اهتمامي بقولِ ما ينبغي قوله. استمرَّ هذا الحال حتَّى سِنِّ الثَّانية عشرة، حينما بدأتُ في الثَّانويَّة بقراءة كتبٍ لكُتَّابٍ كبار من القرن الثَّامن عشر أو القرن التَّاسع عشر، ورأيت أنَّها لم تكنْ كلُّها مسروداتٍ روائيَّة، بل فيها

مناقشاتٌ ودراسات. عندئذٍ تُفضي إلى أعمال لا يظهر الزمنُ فيها بالطَّريقة نفسِها. مع أنَّ الزَّمنَ كان يبدو لي أساسيّاً في الأدب. والزَّمنُ المخلوقُ هو زمنُ القارئ؛ أي إنَّ لدى القارئ زمنَه الخاصّ أوّلاً، ثمَّ يوضع في مُدَّةٍ خُلقت لأجله، وتكوَّنت فيه. والقارئ يتكوَّن خلالَ قراءةِ الموضوع الَّذي يصنعُه.

س.د.ب: إذاً؛ كان لديك مفهومٌ للأدب يُراهن دائماً على زمن القارئ. لكنَّ ذلك لم يكن بالضَّرورةِ مسروداً. ما الَّذي صارَ إليه في تلك الفترة؟

ج.ب.س: هناك قبل وبعد. يبدأ القارئُ الدِّراسةَ بأفكاره الَّتي لم تكنِ الأفكار الَّتي يعرضها المؤلِّف. لا بُدَّ من الزَّمن؛ كالبدءِ في السَّاعة الثَّانية بعد الظُّهر، والاستمرارِ حتَّى السَّاعة السَّادسة مساءً، والبدء من جديد في اليوم التَّالي. إذاً؛ القارئ يتعرَّف على أفكارِ المؤلِّف من خلالِ الزَّمن. الفصل الأوَّل يتضمَّن مشروعاً نبدأ ببنائه ثمَّ ينتهي الأمر بنا إلى رؤية فكرةٍ زمنيَّةٍ. نقول: فكرة زمنيَّة؛ لأنَّ تكوُّنها استغرق وقتاً. تلك هي رؤيتي للأشياء.

س.د.ب: لكن، هل كتبتَ دراساتٍ بمعناها المعروف، حينما كنتَ شابّاً في السَّنة التَّحضيريَّة لدار المعلِّمين khâgne، أو في الصَّفِّ الثَّاني الثَّانويِّ؟

ج.ب.س: ليس قبلَ التَّحضيريِّ، في كلِّ الأحوال؛ هل كتبتُ دراسات؟ في تلك الفترة كنتُ ونيزان نعملُ كلٌّ لنفسِه، لكنَّنا كُنَّا نتبادلُ كتاباتِنا. والرِّوايات في الوقتِ نفسِه كانت دراسات؛ بمعنى أنَّنا كُنَّا نضعُ فيها أفكاراً، فأصبح طولُ الزَّمن، في الوقتِ نفسِه، طولاً لزمنِ الفكرةِ الَّتي نُعبِّر عنها. وكانت قصصُ نيزان المنشورة في مجلَّة **بلا عنوان** عبارةً عن دراسات .أمَّا دراستي الأُولى؛ فحملَت عنوانَ: **أسطورة الحقيقة**.

س.د.ب: وكيف تنظر إلى قصَّة **إر الأرمنيِّ**؟

ج.ب.س: بمثابةِ دراسة، لكنَّها تتضمَّن شخصيَّاتٍ يحدثُ معها أشياءُ ذاتُ معنى. فيُطوِّرونَ تلكَ الأشياء ويُشرِّحونها في خطاباتهم. فتصبح رمزاً.

س.د.ب: لكنَّك قلتَ ليَ البارحة: إنَّ أحدَ الأشياء الَّتي تتمنَّاها هو الكشف عن الحقائق؛ كشفُ حقيقة العالم للآخرين.

ج.ب.س: صحيح. حدثَ ذلك ببطء. هذا لم يحدثْ في البداية، لكنَّه كان موجوداً. كان لا بُدَّ من موضوع. بالنِّسبةِ لي؛ كان ينبغي أن يدور الموضوعُ حولَ العالم.لأن ما كان لديَّ قوله، يتعلَّقُ بالعالم ؛ إنِّي أُفكِّر، مثلي مثل كلِّ الكُتَّاب. وليس أمامَ الكاتبِ سوى شيءٍ واحد: هو العالم.

س.د.ب: صحيح، لكن هناك كُتَّابٌ يتَّجهون نحوَ العالمِ مروراً بأنفسهم، فتراهم يتحدَّثون عن حميميَّتهم وتجاربهم.

ج.ب.س: لكلٍّ طريقتُه في رؤية العالم. أنا لم أكتبْ عن نفسي، ولا أعرف سببَ ذلك. على الأقلِّ حولَ نفسي بوصفي شخصيَّة ذاتيَّة لها ذاتيَّتُها وأفكارُها. لم تراودني فكرةُ الكتابة عن نفسي أبداً، أيْ كتابة قصَّة حَدَثَت معي. ومع هذا، بطبيعة الحال، فالأمرُ يتعلَّقُ بي تماماً. لكنَّ الهدفَ لم يكنْ تمثيلَ نفسي في القصص الَّتي كنتُ أكتبها.

س.د.ب: بمعنى إدراكِ العالمِ من خلالك.

ج.ب.س: لا شكَّ أنَّ موضوعَ **الغثيان**، هو العالم، قبل أن يكونَ أيَّ شيءٍ آخر.

س.د.ب: ما ينبغي الكشفُ عنه هو البعدُ الميتافيزيقيُّ للعالم.

ج.ب.س: هو كذلك. لكنْ هذه فكرةٌ أُخرى تختلف عن فكرةِ الأدب. فالأدبُ يكشفُ الحقيقةَ حولَ العالم، لكن بطريقةٍ مختلفةٍ عن طريقةِ الفلسفةِ؛ ففي الفلسفةِ؛ ثمَّة بدايةٌ ونهايةٌ، أي: هناك مُدَّةٌ، لكنَّ الفلسفةَ ترفضُ المدَّة. إذ لا يمكن فهمُ الكتابِ إلَّا حينما ننتهي منه، لذلك لا توجد مُدَّة هنا. إنَّنا لا نُدخِلُ الزَّمنَ الَّذي قضيناه في فهمِه وتفكيكِ رموزِه في الكتابِ. والفكرةُ الَّتي نحصلُ عليها فكرةٌ مثاليَّةٌ، فنحتفظُ بها في رأسِنا، بوصفِها مجموعاً مُنظَّماً بشكلٍ جيِّد. يمكننا الحديثُ عن المدَّة، وقد نكتبُ فصلاً أو فصلين حولَ المدَّة،

عندئذٍ؛ يصبح هذا **مفهوماً** للشَّيء، وليس بُعداً له؛ لقد تغيّرتُ في هذا المجال، لأنَّني الآن، بالعكس، أعتبر أنَّ الأعمالَ الفلسفيَّةَ الَّتي كتبتُها تتضمَّنُ فكرةَ الزَّمانيَّة Temporalité، وليس فقط بمثابةِ الضَّرورةِ الَّتي لدينا لقراءةِ العملِ انطلاقاً من البدايةِ أو النِّهايةِ، وهو مضيعةٌ للوقت، بل إنَّ الزَّمن الَّذي نقضيه لعرضِها والنِّقاش حولهَا؛ جزءٌ من الفلسفةِ نفسِها، إنَّه يحدِّدها.

س.د.ب: لمَ تحدثْني عن هذا، لكنَّكَ قد تتحدَّثُ عنه لاحقاً، باعتبار أنَّ موضوعَنا الآنَ هو الأدب. هل كانت فكرةُ الضَّرورةِ تراودكَ حينما كتبتَ رواية **الغثيان**؟

ج.ب.س: نعم.

س.د.ب: هل كان لفكرةِ الجمالِ علاقةٌ بكتابةِ الكتابِ في ذهنك؟

ج.ب.س: في الحقيقة، لا. كنتُ أظنُّ أنَّ هذا الأمرَ يأتي لوحده، إذا راقبَ الكاتبُ جُمَلَهُ، وأسلوبَه، وطريقةَ سردِ القصَّة. لكنْ هذه صفاتٌ شكليَّةٌ لم أكن أُعيرها بالاً. ما كان يعنيني هو العثورُ على العالَم في عُمقِ المسرود.

س.د.ب: لكنَّكَ قلتَ لي قبلَ قليلٍ إنَّك كنتَ تُعير اهتمامَكَ للكلماتِ حينما كنتَ فتى.

ج.ب.س: نعم، كانت نوعاً من الجمال، والدِّقَّة، والحقيقة أيضاً. فالجملة المؤلَّفةُ من كلمات مُنتقاةٍ؛ هي جملةٌ صحيحة، وحقيقيَّة.

س.د.ب: لكن، في نهايةِ **الغثيان**، يقولُ البطلُ لدى سماعِه عبارةَ Some of these day؛ إنَّه يودُّ خلقَ شيءٍ يُشبه ذلك. وهذا يؤثِّر فيه من خلالَ ما نسمِّيه جمالها.

ج.ب.س: صحيح. لكن إذا كانت عبارةُ Some of these day تؤثِّر في روكانتان؛ فذلك أنَّها شيء أبدعه الإنسان، إنسانٌ بعيدٌ جدّاً، لمسَه من خلال شعره. هذا لا يعني أنَّه ذو نزعةٍ إنسانيَّة؛ بل إنَّ إبداعَ الإنسان هو ما أثَّر فيه، فأحبَّهُ.

س.د.ب: بتعبيرٍ آخر؛ هل كانت للمسألةِ علاقةٌ بالتَّواصل أكثرَ من علاقتها بالجمال؟

ج.ب.س: هذه الأشياء الَّتي تبقى بعدَ إنتاجها، كانت موجودةً في المكتباتِ. وفي نوع من سماءٍ غيرِ واضحة، ليست سماءً خياليَّة. إنَّها واقعٌ يبقى. وأتذكَّر أنَّ روايةَ **الغثيان** كانت متأخِّرة قليلاً عن أفكاري الخاصَّة بي. بمعنى أنِّي لم أكنْ بعدُ قادراً على خلقِ أشياء خارجَ العالم، سواءٌ أكانت صحيحة أم خاطئة، كما كنتُ أعتقدُ قبلَ معرفتي بكِ، لكنِّي تجاوزتُ هذا. لم أعرفْ تماماً ما أريد، لكنِّي كنت أعرف أنَّ هذا الشَّيء جميلٌ. ومن وجهة النَّظر هذه؛ يكون روكانتان قد حقَّقَ نهايةَ مرحلةٍ، وليس بدايةَ مرحلةٍ أُخرى.

س.د.ب: لم أفهمْ تماماً ما تريدُ قوله. فقد كان فلوبير يظنُّ أنَّ الكتابَ شيءٌ قائمٌ بحدِّ ذاته، لا يحتاج إلى قارئ، يراه تماماً بلا جدوى. هل هذا ما كنتَ تُفكِّر فيه قبلَ **الغثيان**؟

ج.ب.س: قليلاً. لكنِّي لم أكنْ أؤمن بعدمِ الحاجةِ إلى قارئ.

س.د.ب: حينما انتهيتَ من كتابة **الغثيان**، بل حتَّى أثناءَ كتابتك له، كيف كنتَ تنظرُ إلى الكتاب؟

ج.ب.س: كنت أعدُّهُ بمثابةِ جوهرٍ ميتافيزيقيٍّ؛ لقد ابتكرتُ شيئاً ميتافيزيقيّاً؛ كان أشبهَ بفكرةٍ أفلاطونيَّة، إذا شئتِ. لكنَّها فكرةٌ مُخصَّصَة، قد يجدها القارئ أثناءَ قراءةِ الكتاب. بدأتُ بكتابةِ **الغثيان**؛ مؤمناً بذلك، لكنِّي في النِّهاية توقَّفتُ عن الإيمان بها.

س.د.ب: بماذا كنتَ تؤمن في تلك اللَّحظة؟

ج.ب.س:لم أكنْ أعرفُ بشكلٍ جيِّد.

س.د.ب: متى بدأتَ بكتابةِ القصص؟ وما الَّذي كُنتَ تريدهُ من كتابتكَ للقصَّة؟

ج.ب.س: كان للقصصِ ضرورةٌ مباشرةٌ أكثر؛ لأنَّ القصَّة تحتلُّ ثلاثين أو خمسين صفحةً. عندها؛ لم أكن أتصوَّر الضَّرورة فحسب، بل أراها حينما كنت أقرأ القصَّة، إلى حدٍّ ما. كانت لديَّ رؤيةٌ للشَّيء الأدبيِّ في كتابةِ القصصِ أكثرَ وضوحاً من رؤيتي له حينما كنتُ أكتبُ **الغثيان**، لأنَّها روايةٌ طويلة.

س.د.ب: نعم؛ لكن ما الَّذي تمثِّلهُ كتابةُ القصَّة بالضَّبط بالنِّسبة لك؟ هذا واضح جدّاً في الغثيان، كان ثمَّة كشفٌ عن العالم أساساً، مع هذا البعد المسمَّى: فكرة الحدوث (الإمكان العَرَضيّ Contingence) الَّتي اهتممتَ بها كثيراً. لكن ماذا عن القصص؟

ج.ب.س: القصصُ؛ شيءٌ عجيب. لقد تغيَّرت دلالاتها. أردتُ كتابةَ قصَّةٍ للتَّعبير عن بعض الانطباعات العفويَّة من خلال الكلمات. وهو ما ضمَّنتُهُ قصَّتي **شمس منتصف اللَّيل** الَّتي فقدتُها، كنت قد أردتُ كتابةَ مجموعة من قصص...

س.د.ب: قصص جوٍّ (بيئة) نوعاً ما.

ج.ب.س: قصص جوٍّ مثل جوِّ نابّولي؛ أردتُ أن تكون القصَّةُ وسيطاً لرؤية نابولي.

س.د.ب: وماذا بعد؟ هل تغيَّر هذا؟

ج.ب.س: نعم. تغيَّرَ. لكن لا أعرفُ السَّبب. فقصَّةُ Erostrate (حارق معبد أرتيميس) كانت حلماً رآه بوست Bost.

س.د.ب: نعم. لكن لِمَ وقعَ اختيارُكَ على هذا الحلم؟

ج.ب.س: اتَّخذَ مشروعي طابعاً أوسع. قد يكون هذا شيئاً أهمّ، مثل حربِ إسبانيا. وكانت هناك قصَّة تتحدَّث عن الجنون. إذاً؛ الأمر يتعلَّق بحالات

خطيرة إلى حدٍّ ما. ومختلفة تماماً عمَّا كنتُ أُريده في البداية. ففي البداية؛ كنت أرغبُ في كتابة قصَّة تتناول إحدى الأماسي في شوارع باريس، أو حديقة، أو حول نابّولي، أو حول رحلة بحريَّة.

س.د.ب: تلك هي القصصُ الَّتي حذَفتَها، أعني قصصَ الجوّ. ثمَّة قصَّةٌ مفقودة، لم تحاول إعادةَ كتابتها، تتعلَّق برحلةٍ في مركبٍ برفقةِ فرقةٍ موسيقيَّةٍ نسائيَّةٍ، قمتَ بحذفها لإعادة كتابتها. لكن ما أطلقتَ عليه اسم «جوهر» الأدب نفسه في ذلك اليوم، ماذا يعني في كلِّ هذا؟ يعني سردَ كلِّ شيء.

ج.ب.س: حتماً يعني السَّرد. حتَّى الدراسة؛ تروي شيئاً ما.

س.د.ب: لكنَّ وضْعَ دراسةٍ حولَ جياكوميتي Giacometti؛ لا يشبه السَّردَ في الجدار.

ج.ب.س: صحيح، الأمران مختلفان. لكن لا بُدَّ من الوقتِ للدُّخول في لوحات جياكوميتي، ثمَّ هناك زمن القراءة: وهو ليس زمنَ الإبداع تماماً، لكنَّ الزَّمنَين يلتقيان. حينما يقرأ القارئُ الدِّراسة؛ فهو يعيد الخلقَ بوصفه قارئاً، ويُظهرُ الشَّيءَ كما أراده المؤلِّف.

س.د.ب: دعنا نتحدَّثْ عن الدِّراسات. لقد بدأتَ بكتابةِ النَّقد منذُ ما قبلَ الحرب، أليس كذلك؟

ج.ب.س: صحيح.

س.د.ب: واستمرَّيت في ذلك خلالَ الحرب...

ج.ب.س: استمرَّيت في هذا، ونشرتُ دراسةً في إحدى مجلَّات مرسيليا.

س.د.ب: صحيح.

ج.ب.س: كان عنوانها Confluences [تلاقي].

س.د.ب: واستمرَّيتَ بعدَ الحرب. تدور دراساتُك حولَ أشياء كثيرة مختلفة: كالنَّقد الأدبيّ، والنَّقد الفنِّيّ، ثمَّ التَّعليقات السِّياسيَّة. وكانت تتناولُ حيوات

بعض النَّاس في بعض الأحيان. فرسمتَ لوحاتٍ لِميرلو -بونتي، ونيزان، على سبيل المثال.. الآن؛ كيفَ كنتَ تنظر إلى النَّقد؟ ولماذا أفردتَ له حيِّزاً من اهتمامك؟ أتذكَّرُ في البداية فكرةٌ استحوذَتْ عليَّ؛ وهي أنَّكَ منذورٌ لكتابةِ الرِّوايات، وبدا لي أنَّ ذلك كان بمثابةِ مضيعةٍ للوقت. وقد أخطأتُ جدّاً في ظنِّي هذا؛ لأنَّ الرِّواية تُشكِّل أحدَ أهمِّ جوانب عملك. لكن؛ ما الَّذي دفعكَ إلى ممارسة النَّقد؟

ج.ب.س: إنَّه العالم. النَّقد عبارةٌ عن اكتشاف، وطريقة معيَّنة لرؤية العالم؛ طريقة لاكتشاف كيف ينظرُ مَنْ نقرأ عملَه إلى العالم، على سبيل المثال. والطَّريقة الَّتي رُويَتْ من خلالها الأحداثُ في كتبهِ، وكيفيَّة عرضِه للشَّخصيَّات. إنَّها طريقةٌ لعرضِ ردودِ الفعل إزاء النَّاس من حوله، وإزاء المناظرِ المحيطةِ به، إلخ. هذا كلُّه نراه في الكتاب، لكن ليس مباشرةً. نراه عبرَ كمِّيَّةٍ من الإشارات الَّتي ينبغي دراستها.

س.د.ب: كان ثمَّة شيءٌ يثير اهتمامَك في الرِّوايات الَّتي كنتَ تتحدَّث عنها؛ أعني: التِّقنيَّة.

ج.ب.س: أعتقد أنَّ مسألة التِّقنيَّة جاءتني من نيزان، لأنَّها كانت محورَ اهتمامه؛ سواءٌ في رواياته أو روايات الآخرين.

س.د.ب: لكنَّكَ تأثَّرت مباشرةً بتقنيَّات دوس باسوس.

ج.ب.س: صحيح، بكلِّ تأكيد. لكنَّ فكرةَ دراسةِ التِّقنيَّة في عملٍ ما، والبحث عن قيمتها، جاءتني من نيزان.

س.د.ب: أعرفُ أنَّه حينما حدَّثنا نيزان عن دوس باسوس؛ كان حديثُه هذا يدور أوَّلاً حولَ تقنيَّة دوس باسوس.

ج.ب.س: هو كذلك.

س.د.ب: كانت لديكَ فكرةٌ بالغةُ الأهمّيَّة تقول إنَّ التِّقنيَّة تكشفُ عن ميتافيزيقيا معيَّنة في الوقت نفسه.

ج.ب.س: هذا ما قلتُهُ لكِ قبل قليل؛ نقدي في جوهره يبحث عن الميتافيزيقيا الموجودة في كتابٍ مُعيَّن من خلال التِّقنيَّة. وكنتُ أُسرُّ جدّاً حينما أعثرُ على هذه الميتافيزيقيا. عندئذٍ؛ أكون قد امتلكتُ العملَ فعليّاً.

س.د.ب: نعم.

ج.ب.س: هذه هي الفكرة النَّقديَّة برأيي. أي:كيف هو العالمُ كما يراه الكاتب. الكُتَّاب يصِفون العالمَ، لكن، كلٌّ منهم يراه بطريقته.

س.د.ب: بعضُهم يراه من خلالِ بُعْدِ الحرّيَّة، وآخرون عبرَ بُعْدِ الضَّرورة، أو القمع... نعم.

ج.ب.س: ينبغي إدراكُ هذا كلّه.

س.د.ب: وكانت لديك فكرةٌ مفادها أنَّ الدِّراسة شيء objet؛ شيءٌ ضروريٌّ، ينبغي أن تكونَ له صفته الخاصَّة. في البداية؛ كنتَ ترى أنَّه من الصَّعب وضعُ دراسةٍ لا تكون بمثابة موضوع إنشائيٍّ يتمتَّع بالأناقة والجمال.

ج.ب.س: مشكلةُ الأناقة تقوم على فصلِ الشَّيء عن حقيقته. إذا كان مُفرطاً في رشاقته، فلن يقول أكثرَ ممَّا يريد قولَه. إذا تضمَّن نقدٌ دوس باسوس أشياء بالغة الرَّشاقة؛ فإنَّنا بهذا نُضحّي بالجمال، ولا تعود تقول ما أردتَ منها أن تقوله...

س.د.ب: بعبارةٍ أُخرى، القضيَّةُ هي العثور على التَّوازن بين الشَّيء الَّذي ينبغي إدراكه، وطريقةُ كلٍّ مِنَّا في الحديث عنه.

ج.ب.س: صحيح. علينا قولُ ما ينبغي قَولهُ، لكن بطريقةٍ ضروريَّة، منسوجةٍ بشكلٍ جيِّد...

س.د.ب: وما هو برأيك المكَوِّنُ الَّذي تقومُ عليه رشاقةُ الدِّراسة؟

ج.ب.س: أفكارٌ موغلةٌ في الدِّيكارتيّة: الخفَّة، والوضوح، والضَّرورة.

س.د.ب: نعم.

ج.ب.س: نوعيَّةُ الدِّراسةِ تنشأ من الذَّات، باعتباري قد أدخلتُ الميتافيزيقيا فيها. إذاً؛ هناكَ دائماً نقد، بمعنى دراسة كلمات المؤلِّف المعنيّ، عند مستوى مُعَيَّن: لِمَ أختارُ هذه الصِّفة، أو هذا الفعل، وما هي إضافاته، إلخ... وخلفَ هذا تكْمنُ الميتافيزيقيا المطروحة للبحث. أرى أنَّ للنَّقد اتِّجاهين: ينبغي أن يكونَ عرضاً لمناهج المؤلِّف، وقواعده، وتقنيّاته، باعتبارِ أنَّ هذه التِّقنيَّات تكشفُ لي ميتافيزيقيا مُعيَّنة.

س.د.ب: صحيح، لكن، في الوقت نفسه؛ ينبغي قولُ هذا كلِّه بطريقةٍ، لِنَقُلْ، فنيَّة. هناك فكرة الفنّ؛ لأنَّ نقدَك لِموريياك يقول: «الله ليس فنَّاناً، والسيِّد موريياك ليس كذلك أيضاً». أي إنَّك كنتَ تؤمن بوجود فنٍّ أدبيٍّ، أو فنٍّ للكتابة. وقد حدَّثتني بالأمس عن جوهر فنِّ الكتابة.

ج.ب.س: صحيح.

س.د.ب: هل كنتَ تعتقد، من ثمَّ، أنَّ هناك فنّاً نوعيّاً لكتابة الدِّراسة؟

ج.ب.س: نعم... ولم أجدْ هذا الفنَّ بسهولة...كان ذلك صعباً عليَّ في البداية، مع أنِّي قرَّرتُ ألَّا أكتبَ سوى الدِّراسات.

س.د.ب: كيف ذلك؟

ج.ب.س: بعد توقفي عن كتابة الرواية؛ بدأتُ بكتابة المسرح، لكن بمعزل عن المسرحيَّات الَّتي لا تنتمي إلى النَّوع الأدبيِّ نفسه، ما الذي فعلته؟ كتبتُ مقالات، وكُتُباً...

س.د.ب: آه! ثمَّ كتبتَ في الفلسفة. هذه، لا أُسمِّيها دراسات، لأنَّها تفتقرُ إلى الفنِّ الأدبيِّ، وهو ما لا تتضمَّنه كتبُ الفلسفة.

ج.ب.س: لا.

س.د.ب: يتضمَّن كتابُ **الوجود والعدم** مقاطعَ أدبيَّة جدّاً، لا سيما أنَّ **نقد العقل الجدليّ** يتَّسم بقسوة الأسلوب والنَّبرة.

ع.ب.س: في الرِّواية؛ لا يعرف الكاتب ماذا يفعل بالشَّخصيَّات، وما الَّذي ستقوله لبعضها. يمكننا لَيَّ الحوار، وقطعَ رقبتِه بحيث نكتبهُ بطريقةٍ مُغايرة؛ لأنَّ حدْسَنا يقول لنا: من الأفضل أن يكون على هذا النَّحو وليس ذاك. كما فعلتُ في قطز Gtz، على سبيل المثال.

س.د.ب: صحيح، حينما غيَّرتَ المشهد. بينما في الدِّراسة؛ أنت مضطرٌّ لقولِ ما عندك.

ع.ب.س: ما عندي بطبيعةِ الحالِ يمكنُ أن نلجأ إلى المجاملاتِ من وقتٍ لآخر، لكن لا ينبغي أن نبالغَ فيها. إذا كانت إحدى هذه المجاملاتِ طويلةً إلى حدٍّ ما؛ فلا تعودُ الدِّراسةُ دراسةً.

س.د.ب: ما هي الدِّراساتُ الَّتي كتبتها بسرعة، والأُخرى الَّتي توجَّبَ عليك العملُ عليها أكثر.

ع.ب.س: لم أكتب أبداً دراسةً سريعة، لطالما اشتغلتُ على دراساتي أدبيّاً.

س.د.ب: حتَّى دراستك حولَ **لومومبا** ¢> Lumumbatf

ع.ب.س: بالضَّبط، كنتُ أفكِّر في لومومبا؛ وفي اللَّحظة الَّتي يمكنكِ أن تعارضيني فيها. لا، لقد حاولت العملَ على دراستي حولَ لومومبا. مثلاً؛ أُناقشُ الكتبَ الَّتي قرأها. بإمكاني ألَّا أفعل هذا، أو أن أتحدَّث عنه بطريقةٍ مختلفةٍ. هناك إذاً قسمٌ فيه ابتكار؛ أعني أنَّه قد لا يكون أمامَنا مُخطَّط مُحدَّد في بدايةِ مقالةٍ ما، وإذا كنتُ قد اخترتُ الكتبَ الَّتي قرأَها؛ فذلك لأنَّ الأمرَ هامٌّ. لكنَّنا نحنُ من يُحدِّد أهميَّتها.

---

(١) باتريس لومومبا (١٩٢٦- ١٩٦١): رجل دولة، ورئيس وزراء الكونغو بعد أن كان من أبرز وجوه استقلالها.

س.د.ب: يبدو لي أنَّك كنتَ تكتبُ الدِّراساتِ السِّياسيَّةَ من دونِ الاهتمامِ بأدبيَّتها.

ع.ب.س: رُبَّما، قليلاً.

س.د.ب: مثل دراسةِ **الشُّيوعيُّون والسَّلام**.

ع.ب.س: آه! مع ذلكَ حرصتُ على أن تكونَ مكتوبةً بشكلٍ جيِّد.

س.د.ب: طبعاً. مكتوبة بشكل جيِّد، لكنَّها غيرُ مُنتجة. لِنَقُلْ: سبب ذلك قلَّة الاهتمام بالأسلوب.

ع.ب.س: إجمالاً، ولتلخيصِ ما قُلنا، فإنَّ العمل الأدبيَّ بالنِّسبة لي، موضوع؛ موضوعٌ له مُدَّته الخاصَّة، بداية ونهاية. هذه المدَّة الخاصَّة تتجلَّى عبرَ الكتاب في أنَّ كلَّ ما نقرأه يُحيلُ دائماً إلى ما كان موجوداً قبلَه، وما سيليه أيضاً. هذه هي ضرورة العمل. أي؛ وضعُ الكلمات الَّتي تتمتَّعُ بتوتُّرٍ مُعَيَّن في شكل مُعيَّن، ومن خلال هذا التَّوتُّر ينشأ توتُّرُ الكتاب الَّذي هو عبارةٌ عن مُدَّةٍ ننخرطُ فيها. إنَّنا حينما نبدأ بالكتاب؛ ندخلُ في هذه المدَّة، بمعنى أنَّنا نحدِّد مدَّتنا الخاصَّة بحيث يكونُ لها الآنَ نوعٌ من البداية الَّتي هي بدايةُ الكتاب، وسيكون لها نهاية. إذاً؛ هناك علاقةٌ مُعيَّنةٌ للقارئ بمدَّةٍ أصبحَتْ مُدَّتهُ، وليسَتْ مُدَّته في الوقتِ نفسِه، بدءاً باللَّحظة الَّتي يبدأ فيها قراءةَ الكتابِ حتَّى النِّهاية. وهذا يفترضُ وجودَ علاقةٍ مُركَّبةٍ بينَ المؤلِّفِ والقارئ؛ لأنَّه لا ينبغي له أن يكتفي بالقراءة، بل عليه أن يصنعَ مسرودهُ، بحيث يتصوَّر القارئ فعلاً مُدَّةَ الرِّوايةِ ويُعيدُ تشكيلَ علاقةِ العِلَل والمعلولات، تبعاً لما هو مكتوب.

س.د.ب: أعتقد أنَّ بوسعِكَ الحديثَ عن هذا الأمرِ أكثر؛ لأنَّ هذا هو تصوُّرك للأدبِ إجمالاً. إنَّه تَصوّرُ علاقتِك بقارئِك.

ع.ب.س: القارئُ شخصٌ يكون أمامي طيلةَ المدَّةِ الَّتي أعمل فيها. هذا هو تعريفي للقارئ. في هذه المدَّة، أُظهر مشاعرَ لها علاقةٌ بكتابي، مشاعر

تُصحِّحُ بعضَها، وتتناقش في ما بينها، ثمَّ تتراكب، لتخرجَ متظافرةً، أو تختفي من العمل بعدَ استكماله.

س.د.ب: تحدثتَ، ذاك اليوم، عن محاولةِ إغراء القارئ.

ج.ب.س: نعم، هو كذلك، إنَّها محاولةُ إغراء. لكنَّه إغراءٌ غير محظور. لا يشبه ذلك الَّذي يقوم على إغراء أحدهم بحجج غير حقيقيَّة ومُزيَّفَة. لا، إنَّه إغراء من خلال الحقيقة. إذا أردنا الإغراء؛ لا بُدَّ أن تكون الرِّوايةُ انتظاراً، أي مُدَّة تتطوَّر.

س.د.ب: هناك دائماً ترقُّب، بطريقة مُعيَّنة.

ج.ب.س: دائماً. ترقُّبٌ يجد حلَّهُ في النِّهاية.

س.د.ب: نتساءل دائماً عمَّا يمكن أن يحدث. حتَّى في الدِّراسة، يتساءل القارئ دائماً: ما الَّذي سيقوله المؤلِّف الآن، وما الَّذي يسعى للبرهنة عليه؟

ج.ب.س: وما الَّذي سيقولُه الآن، وكيفَ سيردُّ على الاعتراضاتِ؟ للزَّمن دورُهُ هنا أيضاً. ومن خلالِ هذا الزَّمن، وبناءِ الموضوع، أقرأ العالمَ، أي الكائنَ الميتافيزيقيّ. العملُ الأدبيُّ عبارةٌ عن أحدٍ يبني العالم، كما يراهُ، عبرَ مسرودٍ لا يستهدف العالم مباشرةً، أو الشَّخصيَّات المبتَكَرَة. هذا ما أردتُ القيامَ به تقريباً.

س.د.ب: لا بُدَّ من العودةِ إلى شرحِ انتقالَكَ إلى الأدب الملتزم. مع أنَّك شرحتَ ذلك بطريقة جيِّدة جدّاً؛ لكنَّ النَّاس لم يفهموه تماماً.

ج.ب.س: لقد كرَّستُ كتاباً كاملاً لهذا الموضوع.

س.د.ب: صحيح، بالتَّأكيد. لكن ما هي العلاقة، أو ما هو الفرق بين الأعمال الَّتي وضعتها قبل نظريَّتك الملتزمة وتلك الَّتي وضعتها بعد ذلك ؟ أعني: هل نجدُ الأشياء نفسها في الأعمال الملتزمة وغير الملتزمة؟

ج.ب.س: إنَّها الأشياء نفسها. ليس ثمَّة تغيير في التِّقنيَّة، بل بالأحرى، تغيير لفكرةِ ما نريدُ إبداعَه بالكلمات في كتاب ملتزِم. لكن ليسَ في هذا تغيير؛ لأنَّ

العملَ الملتزمَ يرتبطُ بنوعٍ من الهمّ السّياسيّ أو الميتافيزيقيّ الّذي نريد التّعبير عنه، والحاضر في العمل حتّى وإن لم يفصِحْ عن نفسه بأنّه «مُلتَزِم».

س.د.ب: بالأحرى، الأمر يتعلّق باختيار الموضوعات.

ج.ب.س: هو كذلك. ما كان لي أن أكتبَ عن لومومبا في عام ١٩٢٩، لو كان لومومبا موجوداً.

س.د.ب: لكن، حينما أردتَ إيصالَ الشُّعورِ بالحدوث Contingence، كما فعلتَ في **الغثيان**، أو إيصال الشُّعور بالظُّلم والقسوةِ الّتي عومل بها لومومبا، الحقيقة أنّك اتّبعت التّقنيّات نفسها، وأقمت العلاقةَ نفسَها مع القارئ.

ج.ب.س: تماماً. لكن كانت لديَّ الرَّغبةُ في جعلِهِ ينخرطُ في قضيَّةٍ من شأنها أن تكشفَ أمامَه بعضَ أوجهِ العالم.

س.د.ب: فضلاً عن ذلك، طالما قلتَ إنَّ مُجملَ العملِ هو ما ينبغي أن يكون مُلتزماً. وإنَّ كلَّ كتابٍ من نوع خاص...

ج.ب.س: يُمكنُ لكلِّ كتابٍ ألّا يكونَ مُلتزماً.

س.د.ب: لقد كتبتَ **الكلمات**، على سبيل المثال.

ج.ب.س: نعم، تماماً، الالتزامُ هو العمل في مُجمله.

س.د.ب: لم نتكلّمْ كثيراً عن **الكلمات**؛ رُبّما يُمكنُنا العودة إليه قليلاً. إنّه كِتابٌ أمضيتَ عشرَ سنوات في كتابته. كيف راودتك الفكرةُ الأُولى لكتابةِ **الكلمات**؟، ثمَّ لماذا بقي مُهمَلاً؟

ج.ب.س: طالما راودَتني. وأنا في الثّامنة عشرة أو العشرين من عمري، فكرةُ الكتابة عن حياتي بعد أن أعيشَها، أي حينما أبلغُ الخمسينَ من عمري.

س.د.ب: طالما فكَّرتَ في الكتابةِ عن حياتكَ.

ج.ب.س: نعم.

س.د.ب: ماذا حدث لكَ في سِنِّ الثَّانية والخمسين؟

ج.ب.س: حسناً، قلتُ لنفسي: ها إنِّي سأبدأ الكتابة.

س.د.ب: لكن، لمَ قلتَ لنفسكَ هذا في عام ١٩٥٢ تحديداً؟

ج.ب.س: حدثَ تغيُّرٌ كبير في عام ١٩٥٢

س.د.ب: أعرف هذا. ساهم هذا التَّغيير في تسييسِكَ. كيف دفعكَ هذا إلى الكتابة عن مرحلة طفولتك؟

ج.ب.س: ذلك لأنِّي أردت الكتابةَ عن حياتي كلِّها من وجهة نظر سياسيَّة، أي عن طفولتي، وشبابي، ومرحلة النُّضج من خلالِ إعطائِها هذا المعنى السِّياسيِّ للوصول إلى الشُّيوعيَّة. وحينما كتبتُ كتابَ **الكلمات**، بصيغته الأُولى؛ لم أكتبْ عن الطُّفولة الَّتي أُريدها أبداً، إذ بدأت بكتابٍ كان يمكنه أن يستمرَّ. بعدها؛ كُنَّا رأينا زوجَ والدتي وهو يتزوَّج من والدتي، وغيرَ ذلك. ثم توقَّفْتُ عند هذه المرحلة، بسبب مشاغل أُخرى.

س.د.ب: حدِّثني عن هذه الصِّيغة الأُولى؛ إذ لا أحد يعرفها.

ج.ب.س: هي الصِّيغة الَّتي استندتُ إليها للعمل على الثَّانية. فجاءت أكثرَ قسوةً من الأُولى، عليَّ وعلى بيئتي. أردتُ أن أُظهر نفسي في عجلةٍ دائمةٍ نحوَ التَّغيُّر، كنتُ مُتضايقاً من نفسي، ومن الآخرين، ثمَّ تغيَّرتُ وأصبحتُ، أخيراً، ذلك الشُّيوعيُّ الَّذي كان ينبغي أن أكونهُ في البداية. لكن طبعاً، لم يكن هذا صحيحاً.

س.د.ب: وضعتَ له اسم Jean-sans-terre [جان بلا أرض]، أليس كذلك؟ ما الَّذي يعنيه هذا العنوان؟

ج.ب.س: بلا أرض تعني بلا ميراث، بلا مُلكيَّة. معناه هو ما كنتُ عليه.

س.د.ب: عند أيِّ مرحلةٍ من حياتك توقَّفَتْ كتابتُه؟

ج.ب.س: عندما توقَّفَت **الكلمات**.

س.د.ب: إجمالاً، كانت تلك الصِّيغة الأُولى لكتاب **الكلمات**.

ج.ب.س: صيغة أُولى لكتاب **الكلمات**، لكنَّها صيغةٌ كان ينبغي لها أن تستمرَّ.

س.د.ب: بعدَ كم من الوقتِ استأنفتَ كتابته؟

ج.ب.س: في عام ١٩٦١... أليس كذلك؟

س.د.ب: بلى، أعتقد.

ج.ب.س: استأنفتُ كتابتَه لأنِّي لم أعُدْ أملكُ مالاً، فاقترضتُ من غاليمار دفعةً مُسبقة.

س.د.ب: أراد منك أحدُ الإنكليز كتاباً غيرَ منشور، لكنَّك في النِّهاية؛ قدَّمتهُ لِغاليمار. فعدتَ إلى صياغتهِ، وغيَّرتَ فيه الكثير.

ج.ب.س: أردتُ أن يكونَ هذا الكتاب أكثرَ أدبيّةً من الكتب الأُخرى، لتقديري أنَّه سيكون بمثابةِ نوعٍ من الوداع لنوعٍ من الأدب، فكان لا بُدَّ من إنجازه، وشرحه، ثمَّ استئذانه. أردتُ أن أكونَ أدبيّاً لكي أُبيِّنَ خطأً أن يكون المرءُ أدبيّاً.

س.د.ب: لستُ أفهم جيِّداً. ما هو نوع الأدبِ الَّذي أردتَ دفنَهُ مع **الكلمات**؟

ج.ب.س: إنَّه الأدبُ الَّذي مارستُه في شبابي ثمَّ في رواياتي، وقصصي. أردتُ الإشارةَ إلى نهايةِ هذا العهدِ، وتحديدِ تلك النِّهايةِ بكتابةِ كتابٍ بالغِ الأدبيّةِ حولَ مرحلةِ شبابي.

س.د.ب: ما الَّذي كنتَ تنوي القيامَ به بعد ذلك؟ باعتبارِ أنَّكَ لم تعدْ راغباً في ممارسةِ الأدبِ كما في السَّابق.

ج.ب.س: الأدب الملتزم والسِّياسيّ.

س.د.ب: لكنَّكَ كتبتَ أدباً مُلتزماً قبلَ هذا.

ج.ب.س: لكنَّه كان سياسيّاً. خصوصاً، أدبٌ سياسيٌّ.

س.د.ب: هذا غريب، لأنَّك بعدَ هذا كتبتَ كتابَ **فلوبير**، الَّذي لم يكنْ أدباً سياسيّاً تحديداً.

ج.ب.س: ومع ذلك؛ فإنَّ فيه شيئاً من هذا.

س.د.ب: ليس كثيراً. لِنَعُدْ إلى الموضوع: ما الَّذي تعنيه بأدبٍ أكثرَ أدبيَّةً من غيره؟ كيف لنا أن نحدِّدَ درجاتِ الأدبيَّة؟

ج.ب.س: مثلاً، يُمكن العملُ أكثرَ على الأسلوبِ؛ فكتابُ **الكلماتِ** مشغولٌ بشكلٍ كبيرٍ، لتضمُّنِه جُملاً من أهمِ الجملِ الَّتي عملتُ عليها.

س.د.ب: صحيح.

ج.ب.س: وقد قضيتُ وقتاً طويلاً في كتابته. أردتُ أن تحملَ كلُّ جملةٍ فيه مُضمراً أو اثنين، من ثمَّ أردتُ أن يثيرَ الدَّهشةَ في أذهان النَّاس بدرجةٍ أو بأُخرى. وأن أُظهِرَ كلّاً من النَّاس والأشياء بطريقةٍ مُعيَّنة. كتابُ الكلماتِ مشغولٌ بشكل جيِّد جدّاً.

س.د.ب: صحيح، أعرفُ هذا، وقد لاقى الكتابُ نجاحاً جيِّداً. لكنِّي أردتُ منكَ تحديدَ ما تعنيه «الأدبيّة» بالنِّسبة لك.

ج.ب.س: ثمة أشياءُ كثيرةٌ، لها علاقةٌ بفنِّ الكتابة، واللَّعبِ بالكلماتِ تقريباً.

س.د.ب: هل هذا يعني أنَّ إغراءَ القارئ بالكلماتِ، وصياغةِ الجملِ فيه أهمُّ ممَّا في أعمالِك الأُخرى؟

ج.ب.س: هو كذلك.

س.د.ب: هذا ما تسمِّيه «أدبيَّة». لكن، بناءً على ما قُلت، لا يمكننا تصوُّر عمل أدبيٍّ يخلو من همِّ الإغراء.

ج.ب.س: صحيح. لطالما راودَني هذا الهمُّ؛ حينما يتكوَّن لديَّ الانطباعُ بأنِّي نجحتُ فيه، يصبح شيئاً أكنُّ له الحنان، أو التَّقدير الخاصّ.

س.د.ب: وهل تُكِنُّ لكتابِ **الكلمات** الحنان والتَّقدير؟

ج.ب.س: نعم.

س.د.ب: واليوم، كيف تنظر إلى الأدب؟

ج.ب.س: اليومَ انتهيتُ. صرتُ في الجانب الآخر من الباب.

س.د.ب: نعم، ولكن كيف تنظرُ إليه؟

ج.ب.س: أظنُّ أنّي فعلتُ ما فعلت.

س.د.ب: منذ زمن بعيد؛ كنتَ قد مللتَ من الأدب. وقلت: الأدبُ قذارة. ما الَّذي قصدته بهذا تحديداً؟ ومن وقتٍ لآخر؛ كنتَ تقول لي، بل ومنذ وقتٍ قريب: من الحماقةِ أن يكتبَ المرءُ لكي يُعبِّر عمَّا يُريد. وكأنَّك تقولُ إذا أردتَ أن تقول شيئاً فاكتبْ كما شئت. كما كنت تقول لي، في بعض الأحيان، إنَّك كتبتَ كتاب **فلوبير** هكذا. لكن هذا غيرُ صحيح.

ج.ب.س: ليس صحيحاً.

س.د.ب: لقد كتبتَ مُسوَّداتٍ، وتصحيحاتٍ. ثمَّ كان لديكَ تعابيرُ مُوفَّقة، حتَّى لو لم تبحثْ عنها. وقد تضمَّنَ كتابُك **بودلير** الكثيرَ من النَّجاحات.

ج.ب.س: أكتبُ بشكل أسرع. لكنَّ هذا يعود إلى طبيعة العمل.

س.د.ب: إجمالاً؛ ما الَّذي قصدتَه بقولك: «إنَّ الأدبَ قذارة» أو حينما كنتَ تقول: «لا حاجة أن يُضيعَ المرءُ وقتَه ليكتبَ بشكل جيِّد»؛ إلى أيِّ حدٍّ كنتَ تعني ذلك؟ هل كنتَ تعنيه فعلاً؟

ج.ب.س: الأسلوب أمرٌ غريب. ينبغي أن نناقشَ،إذا أردنا معرفةَ ما إذا كان العملُ يستحقُّ عناءَ أن يُكتبَ بشكل جيِّد، كما ينبغي أن نتساءلَ إذا كانت الطَّريقةُ الوحيدةُ الَّتي يُمكن أن يكون لدينا أسلوب. إنَّما هو، كما فعلت، تصحيحُ ما كتبناه بحيثُ يتطابقُ الفعلُ مع الفاعل، وأن تكونَ الصِّفةُ في مكانها

الصَّحيح، إلخ. أو ما إذا كانت طريقةٌ ناجحة لتركِ الأمورِ تجري بسلاسة. مثلاً؛ تراني الآنَ أكتبُ بسرعةٍ أكبر لأنّي اعتدتُ على هذا. حسناً ! أليسَ هناكَ طريقةٌ نكتبُ من خلالها بسرعةٍ مُنذُ البداية ؟ لاحظي أنَّ كثيراً من الكُتَّاب اليساريِّين تتملَّكُهم فكرةُ الأسلوب هذه، وطريقةُ المبالغةِ بالاهتمامِ بالكلمات، كلُّ هذا يبعثُ على الضَّجر، فلمَ لا نتوجَّه مباشرةً نحوَ الموضوع، وعدم الاهتمام بخلاف ذلك؟.

س.د.ب: لكنَّ النَّتيجة تكونُ كارثيَّةً في أغلب الأحيان.

ج.ب.س: لا أتَّفقُ معهم. أنا لا أعني الاستغناءَ عن الأسلوب؛ بل أتساءلُ فقط إذا كان العملُ الكبيرُ حولَ الكلماتِ ضروريّاً لخلقِ أسلوب مُعَيَّن.

س.د.ب: ألا يتعلَّقُ هذا بالنَّاس، والفترات الزَّمنيَّة، والموضوع، والمزاج، والحظوظ؟

ج.ب.س: نعم، لكن في الحقيقةِ أظنُّ أنَّ أفضلَ الأشياءِ المكتوبةِ هي تلك الَّتي كُتبَتْ من دون الإغراقِ في التَّكَلُّف.



الموسيقا والنحت والرسم

س.د.ب: لماذا قَلَّتْ قراءتُك للأدب الآن؟

ج.ب.س: طالما نظرتُ إلى الكتاب، منذُ شبابي وخلالَ فترةٍ طويلةٍ حتَّى سِنِّ الثَّانية والخمسين، بوصفه حاملاً لحقيقة مُعيَّنة. والأسلوب، وطريقة الكتابة، والكلمات، كلُّها حقيقة، وكلُّها كانت تُقدِّم لي شيئاً ما. لم أكنْ أعرف ما هو هذا الشَّيء، ولم أتساءلْ عنه، لكنِّي كنتُ أظنُّ بأنَّ ذلك يحملُ إليَّ شيئاً. لم تكنِ الكتبُ أشياء، أو مجرَّد علاقة بالعالم فحسب، بل علاقة بالحقيقة، وهي علاقة يصعبُ قولُها، لكنِّي كنتُ أحسُّ بها. هذا ما كنتُ أبحث عنه في الكتب الأدبيَّة، بمعنى أنِّي أبحثُ عن علاقتها بالحقيقة.

س.د.ب: حقيقةُ رؤيةٍ مُعيَّنة للعالم، لم تكن حقيقتَك.

ج.ب.س: لم يكنْ بوسعي تحديدُ هذه الحقيقةِ تماماً. وأرى أنَّ وظيفةَ النَّقد هي هذه. أي: محاولة استخراج معنى حقيقةِ المؤلِّف، وما يمكنه أن يقدِّمَ لنا. وهو أمرٌ بالغُ الأهمِّيَّة.

س.د.ب: هل فقدتَ هذه الفكرة، ولماذا؟

ج.ب.س: فقدتها، لاعتقادي بأنَّ الكتابَ أتفهُ من هذا بكثير؛ من وقت لآخر، يعاودني هذا الانطباع لدى قراءة الكُتّاب الكبار.

س.د.ب: متى فقدتَ هذا الانطباع؟

ج.ب.س: حوالي عام ١٩٥٠ و١٩٥٢، بعد دخولي قليلاً في السِّياسة، وازداد اهتمامي بها، بعد بدء علاقاتي بالشُّيوعيِّين. هذا كلُّه اختفى. أظنُّ أنَّها فكرةٌ تعود إلى قرن من الزَّمن.

س.د.ب: هل تعني أنَّها كانت فكرةً سحريَّةً للأدب؟

ج.ب.س: صحيح، سحريَّة إلى حدٍّ ما. تلك الحقيقةُ لم تقدِّمها ليَ المناهجُ العلميَّةُ أو المنطقيَّة. جاءتني من جمالِ الكتاب في حدِّ ذاته، وعبرَ قيمتِه. وهو ما آمنتُ به كثيراً. اعتقدتُ أنَّ الكتابةَ نشاطٌ مُنتِجٌ للواقع، وأنَّ الحقيقةَ ليسَتْ في الكتاب تحديداً، بل في ما وراء الكتاب. الكتابُ مُتخيَّلٌ imaginaire، أمَّا الحقيقة؛ فتكمنُ في ما هو أبعد من الكتاب.

س.د.ب: وتوقَّفَ اعتقادُكَ هذا بعدَ أن قرأتَ الكثيرَ من كتبِ التَّاريخ، وغرِقتَ في الأدبِ الملتزم.

ج.ب.س: صحيح، كلَّما انخرطَ الإنسانُ في ممارسةِ تجربتِه شيئاً فشيئاً؛ تراه يفقدُ ما كان لديه من أفكار. هذا ما حدثَ معي عام ١٩٥٢.

س.د.ب: يبدو لي أنَّ آخر كتابٍ قرأته بمتعةٍ كبيرةٍ كان موبي ديك Moby Dick. ثمَّ كُتب جينيه Genet، على ما أظنُّ. وليس من بابِ المصادفة أنَّك كتبتَ عنه. فقد كُنتَ مبهوراً بما كان يكتب. أظنُّ أنَّك فقدتَ حماستَكَ الأدبيَّة منذ عام ١٩٥٢.

ج.ب.س: لا.

س.د.ب: كانت القراءةُ بالنِّسبة لك، في تلك الفترة، عبارةً عن دراسةٍ أو من أجلِ تزجيةِ الوقت.

ج.ب.س: أو كنتُ أقرأ كتبَ التَّاريخ.

س.د.ب: أعرف أنَّكَ لم تكنْ على علمٍ بالكتب الَّتي أحببتُها في تلك السَّنوات الأخيرة. فقليلاً ما حدَّثتُكَ عنها، ولم نتحدَّث عنها معاً، حتَّى يوم كنتُ أقولُ لكَ إنَّ هذا الكتاب جيِّد، مثل ألبير كوهين Albert Cohen[1]، أو

(١) ألبير كوهين (١٨٩٥-١٩٨١): شاعر وكاتب، وكاتب مسرحي سويسريّ، تأثَّر أدبه بأصوله اليهوديّة.

جون كوبر بوايز John Cowper Powys[١]. لم تكنْ مُهتمّاً أبداً بقراءة مثل هذه الكتب.

ج.ب.س: لا. لا أعرف السَّبب، لكنِّي لم أكنْ مُهتمّاً بها.

س.د.ب: بعبارة أُخرى، تخلَّصتَ من سحرِ الأدب تحديداً.

ج.ب.س: إذا شئتِ. بشكل عام، لم أعدْ أعرفُ السَّببَ الَّذي يدفعُ النَّاس إلى كتابة الرِّواية. أودُّ الحديثَ عمَّا اعتقدتُ أنَّهُ الأدب، ثمَّ عمَّا تخلَّيتُ عنه.

س.د.ب: حدثني عن هذا؛ فهو يبدو لي هامّاً جدّاً.

ج.ب.س: في البداية؛ اعتقدتُ أنَّ الأدبَ هو الرِّواية. وقد سبقَ أن قلتُ هذا.

س.د.ب: نعم، عبارة عن مسرود، وفي الوقت نفسه كُنَّا نرى العالم من خلاله. وهو يقدِّم شيئاً لا يُمكن لأيِّ دراسةٍ سوسيولوجيّة أو إحصائيَّة تقديمه.

ج.ب.س: إنَّه يعطي الفرديّ، ويقدِّم الشَّخصيَّ والخاصَّ. الرِّواية تصف لكَ قطعةً مثلَ لونِ هذا الجدار، وتلك السَّتائر، والنَّافذة، ولا يُمكن لغير الرِّواية تقديم مثل هذا. وهو ما أحببته فيها، أي إنَّك فيها تُسمِّي الأشياءَ فتكون قريبةً مِنَّا عبرَ طابعها الفرديّ. كنتُ أعرف أنَّ الأماكنَ الموصوفةَ موجودةٌ أو وُجدت، وبالنَّتيجة، أنَّ هذه هي الحقيقة.

س.د.ب: مع أنَّك لم تكنْ تحبُّ الوصفَ الأدبيَّ، فقد كانت رواياتُك تتضمَّنُ الوصفَ، من حينٍ لآخر، لكنَّهُ وصفٌ مرتبطٌ بالفعل، أي بالطَّريقةِ الَّتي ينظر النَّاس من خلالها إلى هذا الوصف.

ج.ب.س: وصف مُختصر.

س.د.ب: استعارةٌ صغيرة، أو ثلاثُ كلماتٍ قصيرةٍ للإشارة إلى شيءٍ مُعيَّن، فعلاً، لم يكن وصفاً.

ج.ب.س: لأنَّ الوصفَ ليس الزَّمن.

---

(١) جون كوبر بوايز (١٨٧٢-١٩٦٣): كاتب وفيلسوف بريطانيّ.

س.د.ب: صحيح. الوصفُ يوقفُ الزَّمن.

ج.ب.س: يوقفهُ، ولا يُقدِّمُ الشَّيءَ كما يظهرُ في اللَّحظة نفسها، بل الشَّيء كما كان عليه قبلَ خمسين عاماً. هذه حماقة!

س.د.ب: أمَّا الإشارةُ إلى الشَّيء عبرَ الحركة؛ فهو أمرٌ جيِّد!

ج.ب.س: جيِّد. صحيح.

س.د.ب: لكن، إجمالاً، أليسَ هناك سببٌ آخر؟ هل لأنَّ ما يُنشرُ اليومَ يخلو من ميزةٍ مثيرةٍ قياساً بكتب الأدب العظيمة الَّتي قرأتها كلَّها تقريباً.

ج.ب.س: كان الأمرُ كذلك قبلَ الحرب.

س.د.ب: لا، قبلَ الحربِ لم تكنْ قد قرأتَ كافكا، وجويس، أو موبي ديك.

ج.ب.س: لا. قرأت سيرفانتيس بشكلٍ سيئ. طالما قلتُ لنفسي: عليَّ أن أُعيدَ قراءةَ دون كيشوت. حاولتُ ذلكَ مرَّتين أو ثلاث. لكنِّي توقَّفتُ، ليس لأنِّي لم أُحبَّ هذا الكتاب. بل؛ لأنَّ ثمَّة ظروفاً منعتني من هذا. ثمَّة أشياء كثيرة عليَّ إعادة قراءتها، أو قراءتها. قد أبدأ بذلك.

س.د.ب: رُبَّما لاعتقادِك بأنَّ هذا لن يضيفَ إليكَ شيئاً مهمّاً، أو لا يُغنيك، ولا يُعطيك رؤىً جديدةً حولَ العالم. لاحظ أنَّكَ وقَفتَ على كُتَّابٍ شعبيِّين، كما حدثَ معكَ طيلةَ مسارِ حياتِك، وحياتي أيضاً. عموماً: قليلٌ من النَّاس يقرأ الرِّواياتِ الَّتي لم يحبُّوها في فترة مُعيَّنة. ينبغي الحديثُ عن محاولة ما سُمِّيَ بالرِّواية الجديدة الَّتي تبعث على الضَّجر، فنُفضِّل عليها قراءةَ سِيَرِ الأشخاص، أو السِّيَرِ الذَّاتيَّة، والدِّراسات السوسيولوجيَّة، والتَّاريخيَّة. فقراءتها تُقدِّم لنا انطباعاً عمَّا هو واقعيٌّ أكثر ممَّا تقدِّمُه قراءةُ الرِّواية.

ج.ب.س: تلك هي الأشياء الَّتي أقرأها فعلاً.

س.د.ب: صحيح، هذا ما يهمُّك حالياً. لكنَّك شُغفتَ بأشياءَ أُخرى طيلةَ حياتِكَ غير الأدب، أي بوصفِكَ مُستهلِكاً للثَّقافة؛ كالموسيقا والرَّسم. إضافةً إلى النَّحت. ما أُلاحظهُ، ويحيِّرني قليلاً؛ أنَّك أحببتَ الموسيقى كثيراً، وكنت تعزف على البيانو؛ كنتَ تنتمي إلى عائلةٍ من الموسيقيِّين، وما تزال مستمرّاً في الاستماع إلى الموسيقى حتَّى الآن: سواء الأسطوانات، أو الرَّاديو، لكنَّك لم تكتبْ أبداً عن الموسيقا، باستثناءِ مقدِّمة لكتاب ليبوفيتش Leibowitz حول الموسيقا الملتزمة.

ج.ب.س: صحيح.

س.د.ب: أمَّا الرَّسم... فلم تكن تحبُّه في البداية، حينما تعرَّفتُ إليكَ؛ وصرت تؤهِّلُ نفسَكَ تدريجيّاً، فأحببتَ الرَّسمَ وفهمتَه جيِّداً، وكتبتَ الكثيرَ عن هذا الأمر. هل لكَ أن تحدِّثني عن الدَّور الَّذي لعبه الرَّسم في حياتك؟ ولِمَ هذا التَّضادّ؟

ج.ب.س: سأبدأ بالموسيقا، لأنِّي عرفتها مبكِّراً؛ أمَّا الرَّسم فقد رأيت نُسخاً مُصوَّرةً منه؛ لم أكنْ أرتادُ المتحف يومَ كنت في الخامسة، أو السَّادسة، أو السَّابعة من عمري، وكنتُ أرى نُسَخاً مُصوَّرة للَّوحات، لا سيما في قاموس لاروس الشَّهير الَّذي يتضمَّن نُسَخاً محفورة. كانت لديَّ ثقافةٌ رسوميَّةٌ قبلَ أن أرى أيَّ لوحة، كالكثير من الأطفالِ. لكنِّي نشأت في وسطٍ موسيقيٍّ. الغريبُ أنَّ جدِّي كان يهتمُّ كثيراً بالموسيقا.

س.د.ب: جدُّكَ شوايتزر Schweitzer نفسُه؟

ج.ب.س: نعم، كان مُهتمّاً بالموسيقا، وكتب أطروحةً حولَ المغنِّي والموسيقيِّ هانز ساش Hans Sache.

س.د.ب: ثمَّ ذلك الكتاب الَّذي كتبه ألبير شوايتزر عن باخ Bach.

ج.ب.س: كان جدِّي يُقدِّر ذلك الكتابَ كثيراً، ويستمتعُ بإعادةِ قراءته. ويؤلِّف الموسيقى في بعضِ الأحيان. أتذكَّر أنَّه كان يؤلِّف الموسيقا، يوم كنتُ

في الخامسةَ عشرةَ من عمري، في بيت أخيه القسِّ لوي. جلس خلفَ البيانو، وراح يؤلِّف مقطوعاتٍ أشبهَ بموسيقا مندلسون Mendelson.

س.د.ب: ما هي درجة قرابته من ألبير شوايتزر؟



ج.ب.س: كان عمَّهُ.

س.د.ب: وهل كان جدُّك يُقدِّر ألبير شوايتزر؟

ج.ب.س: نعم. لكنَّه لم يكنْ يفهمه. إذ لم يكن يتقاسم معه قضاياه، ولا يعبأ به إلى حدٍّ ما.

س.د.ب: إذاً، كان شوايتزر هو موسيقيُّ العائلة الكبير.

ج.ب.س: نعم. وقد حضرتُ، وأنا صغيرٌ بصحبةِ والدتي وجدِّي، إحدى الجلساتِ الَّتي عزفَ فيها على الأورغ في باريس.

س.د.ب: ماذا عن والدتك، هل كانت موسيقيَّة؟

ج.ب.س: كانت موسيقيَّةً جدّاً، نعم. وتعزف بشكلٍ جيِّدٍ بعد أن أخذَتْ دروساً هامَّةً في الغناء، وكانت تُغنِّي بشكل جيِّد. كانت تعزفُ مقطوعاتٍ صعبةً لكلٍّ من شوبان، وشومان. لا شكَّ أنَّها كانت أقلَّ ميلاً نحوَ الموسيقا من عمِّي جورج، لكنَّها أحبَّت الموسيقى كثيراً، وقد رويت في **الكلمات** أنَّها كانت تعزف على البيانو لوحدها.

س.د.ب: هل أخذتَ دروساً في العزف على البيانو؟

ج.ب.س: مُبكِّراً جدّاً. أخذت دروساً عندما كنت في التاسعة أو العاشرة من عمري.

س.د.ب: حتى أي عمر بقيت تأخذ دروساً؟

ج.ب.س: لبعض الوقت، فقد توقفت عن متابعة الدروس بعد أن غادرتُ باريس نحو مدينة لاروشيل.

س.د.ب: كيف وصلت لأن يكونَ عزفُك مقبولاً على البيانو؟

ج.ب.س: تعلَّمتُ العزفَ لوحدي منذُ الصَّف العاشر؛ حيث كان بيانو أُمِّي في صالون زوجها، وحاولت عزفَ ألحان من الذَّاكرة، ثمَّ اشتريتُ أو استأجرت أوبريتات من محلات الموسيقى في لاروشيل. في البداية كنت أتعلَّم ببطء وصعوبة. لكنِّي كنتُ حسَّاساً إزاءَ الإيقاع والموسيقا. بعد أن تزوَّجَت أُمِّي ثانيةً؛ قلَّ عزفُها؛ لأنَّ زوجها لم يكنْ يحبُّ الموسيقا كثيراً. لكنَّها كانت تعزف عندَ ساعةِ عودتي من المدرسة حينما لا يكون زوجها قد عاد إلى البيت بعد.كنتُ أجلسُ إلى جانبها، وأصغي، ثمَّ أعزفُ لوحدي حينما تغادرُ البيت. في البدايةِ كنتُ أعزفُ بأصبعٍ واحدة، ثمَّ بخمس، وبعدها بعشرِ أصابع، ووصلتُ حدَّ تمرينِ أصابعي. لم يكنْ عزفي سريعاً، لكنِّي كنتُ أعزفُ المقطوعات كلَّها.

س.د.ب: هل كنتَ تعزف مع أُمِّك بأيدكما الأربعة؟

ج.ب.س: كُنَّا نعزف سيمفونيَّة فرانك Frank، بأيدينا الأربعة Quatuor.

س.د.ب: هل رتَّبت هذا كلَّه من أجل البيانو؟

ج.ب.س: نعم. ثمَّ كوَّنتُ لنفسي ثقافةً موسيقيَّةً لا تختلف عن ثقافة أُمِّي في هذا المجال.

س.د.ب: إلى متى بقيتَ تعزف على البيانو؟

ج.ب.س: إلى ما قبل سنتين.

س.د.ب: في بيت آرليت؟

ج.ب.س: في بيت آرليت، نعم.

س.د.ب: مررتَ بأوقاتٍ عزفتَ فيها كثيراً؛ حين كنتَ تسكنُ شارعَ بونابرت مع والدتك؛ ما أزالُ أرى ذلك المقعدَ الذَّهبيَّ المشبَّك الَّذي كنتَ تجلسُ فوقَه وتعزف أحياناً ساعةً من الزَّمن، قبل أن تبدأ بالدِّراسة.

ج.ب.س: كنتُ أفعل ذلك.

س.د.ب: غالباً ما كنتَ تعزفُ من السَّاعة الثَّالثة حتَّى الخامسة. ثمَّ تبدأ بالعملِ عند السَّاعة الخامسة. في البداية، حينما كنتُ أُجيدُ العزفَ قليلاً على البيانو؛ طالما عزفتُ بشكلٍ سيِّءٍ جدّاً جدّاً، لكنْ في بعض الأحيان؛ كنتُ أُجيد العزفَ قليلاً.كُنَّا نعزفُ معاً بأيدينا الأربعة.

ج.ب.س: قليلاً، نعم.

س.د.ب: لم نكنْ نعزفُ كثيراً، لأنَّكَ كنتَ تجيدُ العزفَ أكثرَ منِّي بكثير. كنتَ تعزف شوبان. ثمَّ بعد أن تركتَ السَّكن عندَ والدتك؛ لم يعدْ لديك بيانو.

ج.ب.س: ثمَّة مراحلُ لا بُدَّ من تمييزها. إذاً؛ عزفتُ في بيت أُمِّي، وفي بيت زوجِ أُمِّي في سانت ـ إتيين حتَّى سِنِّ الثَّالثةَ عشرةَ. حينما قدمتُ إلى باريس، في المدرسة الدَّاخليَّة، كنتُ أعزف في بيت جَدِّي. كان هناك بيانو. لكنَّه لم يكنْ صالحاً للعزف أبداً. وكانت جدَّتي تعزف قليلاً، حيث كانت تجلس إلى البيانو وتعزف بعضَ الألحان. أمَّا جدِّي؛ فلم يكنْ يعزف أبداً. وعندما كنتُ أعود من المدرسة يَومَيِ السَّبت والأحد؛ كان البيانو مصدرَ فرح شديد بالنِّسبة لي. كنت أعزفُ، وأُصحِّح عزفي لأنَّه كان سيِّئاً، وأرتكبُ أخطاء تتعلَّق بالزَّمن، ويداي لم تكونا رشيقتَين حينما يتعلَّق الأمر بوصْلَةٍ ما، لكنِّي أتدبَّر أمري بعزفِ مقطوعاتِ شوبان، وفرانك وباخ.

س.د.ب: لم يكن عزفُك سيِّئاً على الإطلاق. صحيحٌ أنَّكَ لم تكن فذّاً، لكن لا بأس به.

ج.ب.س: توصَّلتُ إلى هذا تدريجيّاً خلالَ العزف. وكان لوالدتي دورٌ في دفعي قليلاً إلى التَّمرُّن. كنتُ أعزف في بيت جدَّتي. ما أزال أتذكَّر نُسخةً تُعزف بيدينِ اثنتين على البيانو، وهي سوناتات كَتبها بيتهوفن لِلبيانو والكمان. كما عزفتُ لِشوبير Schubert، والقليل لِشوبان. احتجتُ إلى وقتٍ لكي أُجيدَ هذه المعزوفات. لكنَّ الموسيقا كانت تعجبني فعلاً.

س.د.ب: هل كنتَ تحضر حفلات فرقٍ موسيقيَّة (كونشيرتو)؟ وتحتفظ بأسطوانات؟

ج.ب.س: لم يكن لديَّ أسطوانات. لأنَّها كانت سيِّئة، إلى حدٍّ ما، في تلك الفترة إضافةً إلى أنَّ عائلتي لم تكنْ معتادةً على الاستماعِ للأسطوانات. لكنِّي كنت أحضر حفلات الموسيقا الكلاسّيكيَّة يومَ الأحد مع أُمِّي، وأحياناً مع جدِّي. كان وقتَها ما يُسمَّى «Concerts rouges» [الكونشرتو الأحمر] الَّذي كان يعزف في شارع السِّين Seine، كما أعتقد. ذهبتُ مرَّةً برفقة جدِّي لحضور إحدى تلك الحفلاتِ في مكانٍ كانوا يقدِّمون الكرزَ مع ماء الحياة خلالَ الاستراحة.

س.د.ب: هل كانت الموسيقا التي تُعزف هناك كلاسّيكيَّة؟

ج.ب.س: نعم، كانت موسيقا كلاسِّيكيَّة، وكان الموسيقيُّون جيِّدين؛ يعزفون بشكل جيِّد. في تلك المرحلة؛ لم أكنْ أعرف سوى الموسيقى الكلاسِّيكيَّة.

س.د.ب: وكنتَ مُطَّلعاً على موسيقى الأوبريت، كما قلتَ لي.

ج.ب.س: صحيح، لم أكنْ أعرف الموسيقا الأحدث جيِّداً، بل لم أكنْ أعرفها أبداً. باستثناءِ شيءٍ من موسيقا دوبيسي Debussy.

س.د.ب: بعدَ تعارُفِنا؛ غالباً ما كُنَّا نذهبُ، كلَّ عامٍ تقريباً، لحضور سلسلةِ رباعيَّات quatuors بيتهوفن في قاعة غافو Gaveau.

ج.ب.س: صحيح، ذهبنا مرَّتين على الأقلّ.

س.د.ب: كُنَّا مهتمِّين جدّاً بمعرفة ما إذا كان هناك بعض الموسيقيِّين الكبار الَّذين لا نعرفهم. والحقيقة أنَّه كان هناك من نجهلهم تماماً، لا سيما مدرسة فيينا بنحوٍ خاصّ.

ج.ب.س: وبيلا بارتوك Béla Barok[١].

---

(١) بيلا بارتوك (١٨٨١-١٩٤٥): مؤلّف موسيقيّ وعازف بيانو هنغاريّ.

س.د.ب: أعتقدُ أنَّكَ اكتشفت بيلابارتوك في أمريكا.

ج.ب.س: صحيح.

س.د.ب: بعدَ فترةٍ قصيرةٍ، أو في الفترةِ نفسِها؛ عرَّفَنا ليبوفيتش على الموسيقا غيرِ النَغَميَّة Atonale.

ج.ب.س: صحيح، بعدَ الحرب.

س.د.ب: بعدَ الحرب؛ اكتشفنا بارتوك، وبروكوفييف Prokofiev(١).

ج.ب.س: نعم، لكنِّي لم أشعرْ بتعاطفٍ كبيرٍ مع بروكوفييف.

س.د.ب: ولا أنا. لكنَّه أوَّلُ الموسيقيِّين الحديثين الَّذين استمعنا إليهم.

ج.ب.س: اكتشفنا بارتوك بنحوٍ خاصٍّ، ثمَّ المدرسة غير النَّغميَّة.

س.د.ب: حينما سكنتُ شارع لا بوشري La Bûcherie؛ اشتريتُ حاكياً Phonographe.

ج.ب.س: كان حاكياً كبيراً.

س.د.ب: ساعدني بوريس فيان على الاختيار. كُنَّا نُصغي فيه إلى أسطوانات ٨٧ دورة، مُدَّةُ الواحدة منها خمسُ دقائق. استمعنا إلى أشياء كثيرة، منها مونتيفردي Monteverdi(٢). ثمَّ ظهرت الأسطوانة ذاتُ المدَّة الطَّويلة، واشتريتُ حاكياً ثانياً.

ج.ب.س: وكان لديك مجموعةٌ جميلةٌ من الأسطوانات.

---

(١) سيرغيي بروكوفييف (١٨٩١- ١٩٥٣): مؤلّف موسيقيّ أوكرانيّ-سوفييتيّ، وعازف بيانو، وقائد أوركسترا.

(٢) كلوديو مونتيفردي (١٥٦٧-١٦٤٣): مؤلّف موسيقيذ إيطاليّ، تقع موسيقاه بين موسيقا عصر النّهضة والموسيقا الباروكيّة.

س.د.ب: عندئذٍ بدأنا بالاستماع بشكلٍ جدّيٍّ إلى بيرغ Berg[١]، وويبرن Webern[٢]، وغيرهما. ثمّ إلى الأحدث أيضاً. أقول نحن؛ لأنّي وإيّاك كُنَّا نستمع مع بعضنا بشكلٍ عامّ. فبدأنا بالاستماع إلى ستوكهاوزن Stockhausen[٣]، ثمّ كسيناكيس Xenakis[٤]، وبعدَهما كبار الموسيقيّين الحديثين. الموسيقا كانت بالغةَ الأهميّة بالنِّسبة لكَ. فكيف، والحال هذه، لم تغريكَ (مع أنّكَ شرحتَ لي بشكلٍ جيّد جدّاً ماهيّة الموسيقا غيرِ النَّغميّة، لا سيما نظامَ الاثني عشر صوتاً Dodécaphonisme)، إذاً؛ كيف، وأنت العارف بالموسيقا، لم تحاولْ كتابةَ شيءٍ حقيقيٍّ عن الموسيقا؟

ج.ب.س: أعتقدُ أنّي لستُ مؤهَّلاً للحديث عن الموسيقا؛ يمكنني الحديثُ عن أشياءَ لها علاقة بالأدب البعيد عنّي إلى حدٍّ ما، لكنّي أكتب، على أيِّ حال، فهذه مهنتي، وفنّي، ومن ثمَّ يحقُّ لي التَّساؤل أمام النَّاس، عن عمل أدبيٍّ مُعيَّن، أظنُّ الحديثَ عن الموسيقا شأنَ الموسيقيّين، أو المتخصِّصين بعلومِ الموسيقا.

س.د.ب: لا بدَّ أنَّ الحديث عن الموسيقا أمرٌ صعب جدّاً. الحقيقة أنَّ الجميعَ تقريباً يتحدَّثون عنها بشكل سيِّئ. عموماً؛ لا شيءَ يبعث على الضَّجر أكثرَ من النَّقد الموسيقيّ. لقد كتبَ ليبوفيتش عنها دراسةً مقبولةً في مجلَّة **الأزمنة الحديثة**. كما كتب بريجيت وجان ماسان Les Massin كتاباً جيِّداً عن موزار Mozart[٥].

---

(١) أليان يوهانيس بيرغ (١٨٨٥- ١٩٣٥): مؤلّف موسيقيّ نمساويّ.

(٢) أنطون ويبرن (١٨٨٣-١٩٤٥): مؤلّف موسيقيّ، وقائد أوركسترا، ينتمي إلى الحلقة الأوّلى من مدرسة فيينا

(٣) كارل هاينز ستوكهاوزن (١٩٢٨-٢٠٠٧): مؤلّف موسيقا الكترونيّة، ألمانيّ.

(٤) يانيس اكسيناكيس (١٩٢٢-٢٠٠١): مؤلّف موسيقيّ، ومهندس معماريّ فرنسيّ من أصل يونانيّ.

(٥) أمادوس موزارت (١٧٥٦-١٧٩١):مؤلف موسيقي نمساوي معروف.

ج.ب.س: إنَّه كتابٌ جيِّد جدّاً، نعم.

س.د.ب: لكن عموماً؛ يبقى الأمرُ تقريبيّاً، لأنَّه من الصَّعب كتابة الموسيقا.

ج.ب.س: الموسيقا لغةٌ قائمةٌ بذاتها.

س.د.ب: هل لديكَ معلوماتٌ نظريَّة أوليَّة عن الموسيقا؟

ج.ب.س: تعلَّمتُ بعضَها.

س.د.ب: هل تعلَّمتَ الصُّولفيج، والهارموني؟

ج.ب.س: نعم، تعلَّمتُ هذا حينما كنتُ في التَّاسعة أو العاشرة من عمري.

س.د.ب: كانت معلوماتُك أوَّليَّةً إذاً.

ج.ب.س: صحيح، لكنِّي قرأت لاحقاً كتباً لبعض مُنظِّري الموسيقا حولَ الطِّباق اللَّحنيّ Contrepoint.

س.د.ب: لكنْ، فَسِّرْ لي كيفَ استطعتَ فهمَ الموسيقا غير النَّغميَّة Atonalisme والنِّظام الموسيقيّ الإثني عشريّ Dodécaphonisme تحديداً، بشكل جيِّد؟ هل كانت أذُنُك معتادة على سماع ذلك؟ أسألُكَ، لأنِّي لا أفهم شيئاً في هذا.

ج.ب.س: هل فعلاً، أفهمها إلى هذا الحدّ؟

س.د.ب: أعني، في كلِّ الأحوال، حدَّثتني عنها أشياءَ كثيرة.

ج.ب.س: فهمتُ أوَّليَّاتها، لكنِّي احتجتُ إلى وقتٍ طويلٍ لفهم معناها.

س.د.ب: أعود إلى سؤالي: لماذا كتبتَ مقالةً عن الموسيقا الملتزمة؟

ج.ب.س: أردتُ أن يكونَ لي موقفٌ من الموسيقا باعتباري أستمع إليها؛ نعم، أردتُ كتابةَ شيءٍ عن الموسيقا. وحينما طلبَ ليبوفيتش منِّي كتابةَ مُقدِّمةٍ لكتابه؛ رأيتُ من الطَّبيعيِّ أن أقومَ بذلك.

س.د.ب: قلتَ لي: «لا يبدو لي أنِّي مؤهَّل للكتابة في الموسيقا، فهذا شأن الموسيقيِّين». لكن لماذا فكَّرتَ، في وقتٍ ما بأنَّك معنيٌّ بالكتابةِ عن الرَّسم؟

ج.ب.س: حدثَ هذا لاحقاً. رأيت بعض اللَّوحات، بعد زيارتي لمتحف اللُّوفر للمرَّة الأُولى في السَّادسة عشرةَ من عمري برفقة جدِّي الَّذي كان يُعلِّق عليها بخطابات لا تنتهي، وتبعثُ على الضَّجر إلى حدٍ ما. لكنَّ الأمرَ حَظيَ باهتمامي، في نهاية المطاف. فعدتُ إلى اللُّوفر لوحدي، يومَ كنتُ في صفِّ البكالوريا. قسم الفلسفة، برفقة ابنةُ عمٍّ نيزان؛ وهي فتاة شقراء صغيرة، أعرفُ كيف أحدِّثها عن اللَّوحات بطريقة هزليَّة، على ما أظنُّ. لكنِّي لم أكنْ أنتمي إلى عائلةٍ لها قيمٌ راسخةٌ في الرَّسم، كما عائلتها في مجال الموسيقا. عائلتي لم تكن تهتمُّ بالرَّسم.

س.د.ب: ماذا عن رفاقِك؟ نيزان، بنحوٍ خاصٍّ، وغروبر Gruber الَّذي كان شقيقاً لأحد الرَّسامين؟

ج.ب.س: غروبر، لم يكنْ يتحدَّث عن الرَّسم أبداً.

س.د.ب: ألم يكن نيزان مولعاً بالرسم كثيراً؟

ج.ب.س: كان نيزان يدرسُ الرَّسم مثلي تقريباً، بمعنى أنَّه لم يكن مُطَّلعاً عليه في الخامسة عشرة من عمره؛ وفي السَّادسة عشرة؛ زارَ اللُّوفر، ورأى فيه بعضَ اللَّوحات. وحاولَ فهمها. لكنَّنا لم نكنْ نتردَّد إليه معاً، أو نادراً ؛ كنتُ أزوره منفرداً.

س.د.ب: في كلِّ الأحوال؛ لم تكنْ تشاهدُ إلَّا اللَّوحات الكلاسيكيَّة، ولم تكن تتردَّدُ على معارض الفنِّ الحديث.

ج.ب.س: أبداً. كنتُ أعلم بوجود فنٍّ حديث، لكن...

س.د.ب: إلى أيِّ حدٍّ كنتَ تذهب؟ بطبيعة الحال، كنتَ تشاهد اللَّوحات الانطباعيَّة، مثل لوحات سيزان Cézanne[١] وفان غوغ Van Gogh[٢].

ع.ب.س: سيزان وفان غوغ، نعم. أذكر أنَّ جدِّي حدَّثني عن سيزان.

س.د.ب: لقد أهَّلْتَ نفسَكَ شيئاً فشيئاً، وسافرتَ، ورأيتَ أشياءَ كثيرة؛ وعَمِلنا معاً على تعليمِ نفسينا في هذا المجال.

ع.ب.س: أنتِ مَنْ جعلني أكتشف الرَّسمَ الحديث.

س.د.ب: لم أكنْ أعرفُه كثيراً، لكنْ بتأثير جاك؛ عرفتُ القليل عن بيكاسو Picasso[٣]، وأقلَّ القليل عن براك Braque[٤]...

ع.ب.س: بالنِّسبة لي؛ لم أكنْ أعرفُهما أبداً، ومن ثمَّ عرفتهما من خلالكِ...

س.د.ب: لقد ساعدتنا كلٌّ من إسبانيا وإيطاليا على تعليم نفسينا. وبدأ فرنان غيراسي Fernand Gerassi الرَّسم، من دون أن يكون على وفاقٍ معنا في مدريد؛ لتقديره أنَّنا نبالغ في حبِّ بوش Bosch[٥]، أكثر من غويا Goya[٦]. أحبُّ غويا، لكن ليس بمقدار محبَّتي لِبوش. وكان غيراسي يرى أنَّ

---

(١) بول سيزان (١٨٣٧- ١٩٠٦): رسّام فرنسيّ يعدّ من مُطلقي مدرسة ما بعد الانطباعيّة، ثمّ التكعيبيّة.

(٢) فينسان فان غوغ (١٨٥٣-١٨٩٠): رسّام هولنديّ، من جماعة الواقعيّة، وما بعد الانطباعيّة، والفنّ الحديث.

(٣) بابلو بيكاسو (١٨٨١-١٩٧٣): رسّام، ونحّات، وحفّار إسبانيّ، قضى معظم حياته في فرنسا.

(٤) جورج براك (١٨٨٢- ١٩٦٣): رسّام ونحّات، وحفّار فرنسيّ.

(٥) جيروم بوش (توفي عام ١٥١٦): رسّام هولنديّ اهتمّ بتصوير مشاهد الآخرة، والطّوفان.

(٦) فرانشيسكو دو غويا (١٧٤٦- ١٨٢٨): رسّام إسبانيّ، اشتهر برسومه الّتي تصوّر أهوال الحروب.

ثمَّة شيئاً لدى غويا لم نتمكَّن من رؤيته. وكان مُحقّاً في هذا. من هنا بدأتُ التَّعلُّقَ بالرَّسم تدريجيّاً، فزُرنا الكثيرَ من المعارض لِبيكاسو، وكليه Klee[١] وغيرهما. لكن؛ من أين جاءتك الجرأة، مع أنَّك لستَ رسَّاماً، للحديث عن الرَّسم بشكل جيِّد، برأيي؟ ثمَّ مَنْ هم الَّذين تحدَّثتَ عنهم؟ في المحصِّلة؛ تحدَّثتَ عن دي ولس De Wols[٢]، وجياكوميتي Giacometti.

ج.ب.س: وكتبتُ عن كالدير Calder[٣] أيضاً، لكنّي لم أخصّه بمقالة ؛ بل ورد الحديث عنه في مقالات تحدَّثتُ فيها عن جياكوميتي وولس Wols، وتانتوريه Tintoret[٤].

س.د.ب: أعود إلى سؤالي: لماذا بدت لكَ الكتابةُ عن الرَّسم عاديَّة وسهلة، بينما امتنعتَ عن الكتابة في الموسيقا؟

ج.ب.س: لأنّي كنتُ أظنُّ أنَّ الكتابةَ عن الموسيقا تتطلَّب ثقافةً في علم الموسيقا؛ كمعرفة الطِّباق اللَّحنيّ Contrepoint، وكلُّ ما يخبِّئه العملُ خلفَه قبلَ الحديث عنه؛ يمكننا الاستمتاع، والانتفاع به، كما كنتُ أفعل، ولكن ليس لمعرفة ما يدلُّ عليه، إذ ينبغي التَّمتُّعُ بثقافةٍ تتجاوز ثقافتي.

س.د.ب: وكيف أتتكَ الرَّغبةُ للتَّحدث عن الرَّسم؟

ج.ب.س: مررتُ بتجربة الرَّسم من دون علاقةٍ بتاريخ الرَّسم. فقد رأيتُ لوحةً بدا لي أنَّه ينبغي تفسيرها. كان ذلك في مدينة كولمار Colmar، حين كنتُ في سِنٍّ...

---

(١) بول كليه (١٨٧٩-١٩٤٠): رسّام ألمانيّ ذو ثقافة سويسريّة.

(٢) اسمه الحقيقي ألفرد أوتو وولفغانغ شولتز (١٩١٣- ١٩٥٧): فنّان تشكيليّ ألمانيّ.

(٣) ألكساندر كالدير (١٨٩٨-١٩٧٦): نحّات ورسّام أميركيّ.

(٤) جاك روبوستو الملقب بتانتوريه (توفي عام ١٥٩٤): رسّام إيطاليّ من عهد النّهضة، أحد المنتمين إلى مدرسة البندقيّة.

س.د.ب: آه، صحيح، كانت أكثرَ لوحةٍ أحببتها لِغرونفالد Grünwald[١].

ج.ب.س: صحيح.

س.د.ب: كانت هناكَ لوحةٌ أُخرى أحببتها كثيراً هي شفيعة أفينيون La Pièta d'Avignon[٢].

ج.ب.س: عرفتُ هذه اللَّوحة قبل أن أعرفَ الرَّسم؛ لأنَّني رأيتها لدى مروري في إحدى قاعات متحف اللُّوفر. ما إن رأيتُها حتَّى أحببتُها كثيراً. هذا قبلَ أن أتعرَّف عليكِ.

س.د.ب: أنتَ من أراني غرونفالد.

ج.ب.س: ورأيتُ أنَّه يمكنُ الكتابةُ عنها بعد أن قرأتُ كتابَ ويسمان Huysmans[٣].

س.د.ب: هل تحدَّثَ ويسمان عن غرونفالد؟

ج.ب.س: نعم، بشكل مُطوَّل في كتابه A rebours [بالمقلوب].

س.د.ب: هذا مُهمٌّ؛ لأنَّك لم تجدْ أبداً كتابةً أدبيَّةً تبعث فيك الرَّغبةَ للحديث عن الموسيقا.

ج.ب.س: أبداً.

س.د.ب: لا يوجد سوى رجلٍ واحدٍ يتكلَّم بشكل مُوفَّقٍ عن نوعٍ من العمل الموسيقيِّ، هو بروست، لكنَّه يتحدَّث بطريقة ذاتيَّة. بينما أرى أنَّ ما يُكتب عن الرَّسم أفضل ممَّا يُكتب عن الموسيقا. إذاً؛ قرأتَ كتاب ويسمان. واعتقدتَ أنَّ بوسع الأديبِ الكتابةَ عن الرَّسم.

ج.ب.س: صحيح. لقد تحدَّثَ عنه بطريقة أفضل، على الأقلِّ بالنِّسبة لتلك الفترة. فقد طرح قضايا، ووصف اللَّوحات. تعرَّفتُ على كتاب ويسمان من

---

(١) ماتياس غرونفالد (١٤٧٠-١٥٢٨): رسّام ومهندس مائيّ ألمانيّ من عصر النّهضة.

(٢) لوحة تعود إلى القرن الخامس عشر، رسمها إنغيرن كارتون Enguerrand Quarton

(٣) جوريس كارل ويسمان (١٨٤٨-١٩٠٧): كاتب وناقد فرنسيّ.

خلال ما تحدث به حولَ غرونوالد قبل أن أتعرَّف على لوحته. كان ذلك خلالَ الحرب، ولم يكنْ بوسعنا الذَّهاب إلى الألزاس آنذاك. بعد الحرب تعرَّفتُ على هذه اللَّوحة. وخلال تلك الفترة قرأتُ كتابَ ويسمان حولَ غرونوالد، صفحات، وصفحات.

س.د.ب: ما هي المقالة الأُولى، أو الدِّراسة الأُولى الَّتي كتبتَها حولَ الرَّسم؟ استشهدنا ببعضها قبلَ قليل، لكن من دون ترتيب. ما هي مقالتك الأُولى في هذا الشَّأن؟

ج.ب.س: لا بدَّ أنَّها كانت حولَ كالدير Calder.

س.د.ب: صحيح، أعتقد أنَّك كتبتَ مقالتَك الأُولى حولَ كالدير في عام ١٩٤٦، أو ١٩٤٧. كتبتها يومَها بمناسبة افتتاح معرضٍ لِكالدير في باريس. الحقيقة أنَّ مقالتَكَ عن كالدير ليسَتْ مقالةً عن الرَّسم تماماً. لكنْ لا يهمُّ. بعدها، عمَّنْ كانت المقالةُ الأُولى: عن جياكوميتي أم عن وولس ؟

ج.ب.س: عن جياكوميتي. كتبتها قبلَ مقالتي عن وولس بزمن طويل.

س.د.ب: هل بدأتَ بالكتابة عن منحوتاته أم عن رسومه؟

ج.ب.س: عن منحوتاته أوَّلاً. إذ بقي جياكوميتي لزمنٍ طويلٍ بالنِّسبة لي نحَّاتاً فقط، بعد ذلك بدأتُ بتثمين رسمه.

س.د.ب: الحقيقة أنَّ أجملَ ما عمله هي منحوتاته بكلِّ تأكيد.

ج.ب.س: أكيد، لكنِّي أحببتُ بعضَ لوحاته.

س.د.ب: أنت وجياكوميتي، كنتما صديقين، وتتحدَّث كثيراً معه، وكان في طريقته لفهم النَّحت ما يتوافق مع نظريَّاتك حولَ الإدراك والخيال.

ج.ب.س: صحيح، كان أحدُنا يفهمُ الآخرَ. وكان يفسِّر لي النَّحتَ من خلالِ شرحه لنحته. لذلك كتبتُ عنه.

س.د.ب: لقد استوحيتَ منه إلى حدٍّ ما. لكن بشكلٍ شخصيّ تماماً. وماذا عن تينتوريه Tintoret؟ قلت لي إنَّكَ تعرَّفت إليه مُصادفةً. لكنَّ فكرةَ كتابةِ كتابٍ كبير عن رسَّام...

ج.ب.س: كانت الفكرةُ تغريني. وبدا لي تينتوريه مُهمّاً لأنَّه تطوَّرَ من خلال البندقيَّة، بمعزل عن فلورنسا الَّتي كانت بالغةَ الأهمِّيَّة، وعن روما. كان هناك رسمٌ بندقيّ [نسبة إلى مدينة البندقيَّة] أحبُّهُ أكثرَ من الرَّسم الفلورنسيّ. وإذا فُهِم تينتوريه؛ يمكن فهمُ الرَّسم البندقيّ Vénitienne. وقد بدا لي أنَّ تينتوريه قد درَس الأبعاد الثلاثَ للَّوحة. وهو أمرٌ جديدٌ بالنِّسبة لي؛ لأنَّ اللَّوحة في كلٍّ الأحوال مُسَطَّحَة، والأبعاد خياليَّة. لكنَّ اهتمام تينتوريه بالفضاء ذي الأبعاد الثَّلاثة، بكل ما يملك من صلابة وقوَّة، دفعني إلى الكتابة عنه.

س.د.ب: خطرت ببالي فكرةٌ بعد ما قلته لي. هل فضَّلتَ الكتابةَ عن الرَّسم بدلاً من الكتابة عن الموسيقا؛ لأنَّ الموسيقا تعكس زمنها، ومجتمعَ عصرِها، لكن بشكل بعيد، وغير مباشر، يصعب إدراكها، وبحيث تبدو مستقلَّة عنه، بينما الرَّسم هو فعلاً صورةٌ للمجتمع ومنبثق عنه؟ أليس هذا هو أحد الأسباب؟

ج.ب.س: صحيح. تينتوريه يعني البندقيَّة، مع أنَّه لم يرسم البندقيَّة.

س.د.ب: رُبَّما هذا هو السَّبب الَّذي دفعكَ للكتابة حولَ الرَّسم.

ج.ب.س: بالتَّأكيد. الموسيقا، يصعبُ تحديدُها في مكان.

س.د.ب: حسناً. ماذا لديكَ لتقولَه بعدُ؛ حولَ هذا الموضوع؟

ج.ب.س: الرَّسم والموسيقا، طالما كانا موجودين بالنِّسبة لي، وما يزالا موجودَين، الرَّسم محظورٌ عليّ الآن، لم أعُدْ قادراً على الرُّؤية.

س.د.ب: صحيح، منذ عام.

ج.ب.س: ولمْ أعُدْ قادراً على عزفِ الموسيقا، للأسباب نفسها. لكنِّي قادرٌ على الاستماعِ إليها من خلال المذياع، والأسطوانات.

الأسفار

س.د.ب: بعد أن تحدَّثنا قليلاً عمَّا يندرجُ في إطار الثَّقافة من موسيقا، ورسم، ونحتٍ، ماذا عن الأسفارِ بوصفِها جزءاً من الثَّقافة؟ لقد سافرتَ كثيراً، وحلمتَ بتلكَ الأسفارِ خلالَ شبابِك، وقمتَ بالكثيرِ منها معي، ومن دوني. كان بعضها سهلاً، والآخر صعباً. منها ما كان مشياً على الأقدام، أو فوقَ درَّاجة هوائيَّة، أو بالطَّائرة، إلخ. أودُّ لو تحدِّثني عنها.

ج.ب.س: كانت حياتي سلسلةً من المغامرات، أو هي، بالأحرى، مغامرة. هكذا أراها؛ عشتُ المغامرةَ في كلِّ مكانٍ تقريباً، لكنَّها كانت نادرةً في باريس، لأنَّكَ نادراً ما ترى في باريس هنديّاً أحمرَ يُزيِّنُ الرِّيشُ رأسَه، ويحمل قوساً في يده. إذاً؛ ضرورةُ المغامرات اضطرَّتني للتوجه نحوَ أمريكا، وأفريقيا، وآسيا. فتلك قارَّاتٌ هُيِّئَتْ للمغامرة. أمَّا القارَّة الأوروبيَّة؛ فلا حظَّ لك فيها للمغامرة، لذلك بدأتُ أحلمُ بأنِّي سأذهب إلى أمريكا، وأقاتل الزُّعران فيها، فأنجو، وأُلحِقُ الأذى ببعضهم. حلمتُ كثيراً بهذا. وحينما كنتُ أقرأ رواياتِ المغامرات بأبطالها الشَّباب، في الطَّائرة، أو في مِنطادٍ مُتَّجهٍ نحو بُلدانٍ يصعب عليَّ تخيُّلها؛ كنت أحلم بالذَّهاب إليها أيضاً. كما كنتُ أحلم بالذَّهاب لإطلاق النَّار على السُّودِ؛ أَكَلةِ لحمِ قريبهِم، أو على الصُّفرِ الَّذين لا ذنبَ لهم سوى أنَّهم كذلك.

س.د.ب: هل كنتَ عُنصريّاً في تلك الفترة؟

ج.ب.س: ليس تماماً، لكنَّ هؤلاء كانوا ذوي جلدٍ أصفرَ، وكان يُقال لي إنَّهم ارتكبوا أسوأ المذابح والفظاعات، وكلَّ أشكال التَّعذيب؛ فرأيتني مُدافعاً باسلاً

ضِدَّ الصُفر، عن فتاة أوروبيَّة وجَدَت نفسَها في الصِّين رغمَ إرادتها. وأنا مُمتنٌّ لروايات المغامرات لأنَّها منحتني تذوُّقاً للأرض كلِّها. وقليلاً ما فكَّرتُ بأنِّي فرنسيٌّ؛ كنتُ أفكِّر بهذا أحياناً، لكنِّي كنتُ أفكِّر بأنِّي إنسان، لا أقول أمتلكُ الأرض، بل أراها مكاناً أليفاً بوصفها مكاناً لحياتي. كان يخطر ببالي أنِّي سأجد نفسي لاحقاً، في إفريقيا، أو آسيا، مالكاً لتلك الأماكن بالأفعال. من ثمَّ، فإنَّ فكرة الأرض كلِّها، وهي فكرة هامَّة، تلتقي قليلاً، بفكرة أنَّ الأدب جُعِلَ ليتحدَّث عن العالم؛ كان العالمُ أوسعَ من الأرض، لكنَّهما شيءٌ واحد تقريباً. والسَّفرُ يُحقِّقُ لي هذه الملكيَّات. أُسمِّي هذا «مُلكيَّات» لأنِّي كنت أفكِّر في الطِّفل الَّذي كنتُهُ، لكنِّي اليومَ لا أُسمِّي هذا هكذا. كما أفكِّر، فضلاً عن ذلك، أنَّها لم تكن مُلكيَّات بالضَّبط، إنَّها نوعٌ من علاقةِ الإنسان بالمكان الموجود فيه في تلك اللَّحظة، وكسب المال، والعثور على كنز. لكنَّها طريقةٌ لكي أستخرج من الأرض والطَّبيعة أشياءَ ما رأتها عيناي قَطُّ، وأنِّي سأراها وأنا هناك، لي، وأنا الَّذي تغيَّرتُ بسببها.

س.د.ب: أيْ؛ إغناءٌ للتَّجربة، في المحصِّلة.

ج.ب.س: نعم. تلك كانت بدايةَ فكرةِ السَّفر، ومنذ تلك اللَّحظة؛ صرتُ مسافراً بالقوَّة. حينما عرفتِني...

س.د.ب: كنتَ تريدُ الذَّهاب إلى القسطنطينيَّة لرؤيةِ قاعِ هذه المدينة.

ج.ب.س: صحيح.

س.د.ب: هل سافرتَ قبلَ أن تتعرَّفَ إليَّ؟

ج.ب.س: إلى الخارج، أبداً، باستثناءِ سويسرا. كُنَّا نزورها؛ لأنَّ جدِّي وأُمِّي كانا يحبَّان التَّردُّد إلى المدن المائيَّة مثل مونترو Montreux.

س.د.ب: لكن هذا لم يتركْ لديكَ الانطباعَ بأنَّك مُسافر.

ج.ب.س: لا.

س.د.ب: كان هذا يترك لديك الانطباعَ بأنَّك في فترة اصطياف. هل طلبُك لوظيفةٍ في اليابان له علاقةٌ بذلك؟

ع.ب.س: طبعاً! هذه الوظيفة كانت خاليةً في اليابان، لذلك اقترحوها. لم أطلبْ أن أسافرَ إلى اليابان هكذا. بل؛ لأنَّ مدير المدرسة كُلِّفَ باختيار أحدِ التَّلاميذِ الرَّاغبين في الذَّهاب إلى اليابان ليتسلَّم في كيوتو مهمَّةَ تدريسِ اللُّغة الفرنسيَّة في مدرسة يابانيَّة. فقدَّمتُ ترشيحي؛ لأنَّ الأمرَ بدا لي عادياً حينما تعرَّفتِ إليَّ...

س.د.ب: نعم، يومها طُرحَتْ مسألةُ أن نتركَ بعضَنا لكي تقضي سنتين في اليابان. وكنتَ حزيناً لأنَّكَ لم تذهبْ إلى هذا البلد.

ع.ب.س: تمَّ اختيارُ بيرون Péron لأنَّهم أرادوا أستاذاً للُّغاتِ لتعليمِ اللُّغةِ الفرنسيَّة هناك، وهو ما تفهَّمتُه قليلاً. إذاً؛ الرِّحلة الأُولى هي تلك الَّتي قُمنا بها معاً إلى إسبانيا. وكانت بمثابةِ عيد بالنِّسبة لي. وبدأت الأسفار...

س.د.ب: كان ذلكَ بفضل غيراسي، لأنَّنا كُنَّا نُفكِّر برحلة متواضعة إلى بروتانيا، بتأثير نيزان الَّذي نصحنا بها. فقال غيراسي: «اِسمعا، ستسكنان في بيتي في مدريد، الأمر سهل، والتَّكلفة غير مرتفعة، ويمكن أن نتدبَّر أمورَنا». كيف شعرتَ وأنتَ تعبر الحدود؟

ع.ب.س: حوَّلتني هذه الرِّحلة إلى رحَّالة كبير. فما إن أتجاوز حدوداً ما؛ يمكنني عبورَها كلَّها. بالتَّالي أصبحتُ رحَّالةً كبيراً. ما هو اسم تلك الحدود الَّتي عبرناها؟

س.د.ب: عبرنا الحدودَ عند مدينة فيغيراس Figueras، على ما أعتقد. إنَّها ليست الحدود تماماً، لكنَّنا نزلنا من القطار هناك.

ع.ب.س: هناك رأينا الوحدات العسكريَّة للمرَّة الأُولى، وبُهِرْنا بها. وكُنَّا سعداءَ لوجودنا في إسبانيا.

س.د.ب: أتذكَّر تلك الأمسيةَ الرَّائعة، مع أنَّ فيغوراس كانت بشعة، ولم تكنْ ضواحيها جميلةً على الإطلاق. مررْتُ بها ثانيةً تلك السَّنة. أقمنا في غرفة Posada صغيرة، وكُنَّا سعيدَين. لكنْ لم تكنْ هذه هي الرِّحلة الَّتي حلمتَ بها. لأنَّها كانت برفقتي...

ج.ب.س: آه، تلك كانت رحلةً جيِّدةً جدّاً!

س.د.ب: لكنَّها خَلَتْ من جانبِ المغامرة الَّتي كنتَ تأملُها. كانت رحلةً عاقلةً جدّاً؛ رحلةَ شابَّين جامعيَّين، بإمكانات ماديَّة قليلة.

ج.ب.س: جانبُ المغامرةِ هذا كان يشغلُ أحلامي، لكنِّي تخلَّصتُ منه تدريجيّاً. انتهى منذُ الرِّحلة الثَّانية. وحينما ذهبتُ إلى المغرب، حيث خاضَ أبطالي معاركَ ناجحةً كثيرةً، فقدتُ تماماً فكرةَ أنَّه قد يحدث لي شيء ما. وفعلاً، لم نتعرَّض إلى أيِّ شيء.

س.د.ب: إذاً...؟

ج.ب.س: السَّفرُ اكتشافٌ للمدن، والمناظر الطَّبيعيَّة، هو هذا أوَّلاً. بعدها جاء النَّاس؛ النَّاس الَّذين لمْ أكنْ أعرفُهم من قبل. خرجتُ من فرنسا الَّتي لمْ أكنْ أعرفها، أو أنِّي لم أعرفْها حقَّ المعرفة؛ ففي تلك الفترة لم أكن أعرف منطقة بروتانيا.

س.د.ب: لم تكن تعرف شيئاً تقريباً عن فرنسا، ولا أنا كنت أعرفها.

ج.ب.س: كنتِ تعرفين الشَّاطئ اللَّازورديّ La côte d'Azur.

س.د.ب: وأنتَ كنتَ تعرف الألزاس.

ج.ب.س: نعم تقريباً، كنتُ أعرف سان رافاييل Saint-Raphaël.

س.د.ب: خلالَ تلك السَّنوات الأُولى؛ زرنا إسبانيا، ثمَّ إيطاليا، وبعدها؛ القِسمَ الإسبانيَّ من المغرب عند نهاية الرِّحلة الثَّانية إلى إسبانيا. تلك كانت

أسفارَنا في المرحلة الَّتي سبقت الحرب. وزرنا اليونان أيضاً. ما الَّذي أضافته إليكَ تلك الأسفار؟

ج.ب.س: في البداية؛ كانت الإضافةُ ثقافيَّةً. حينما كنتُ أذهبُ إلى أثينا، على سبيل المثال،، أو إلى روما؛ روما مدينة نيرون، وأغسطوس، أمَّا أثينا؛ فهي سقراط، وألسيبيادس Alcibiade.

كُنَّا نقرِّر رحلتَنا تبعاً للثَّقافة؛ في إسبانيا، كان هناك غيراسي، صديقنا الَّذي دعانا إليها. وكان لها أهمِّيَّة مختلفة. لكنَّ الأساسَ هو إشبيلية، وغرناطة، وقصرُ الحمراء، وسباقُ الثِّيران، وغيرُ ذلك من الأشياءِ الكثيرة. أردتُ أن أفهمَ، وأعثرَ على كلِّ ما قاله الكُتَّاب الَّذين أحببتهم، وليس ما تعلَّمتُه في المدرسة. لم أكُنْ أحبُّ باريس Barrès[١] كثيراً، لكنَّه تحدَّث عن طليطلة، وعن غريكو Greco. أردتُ أن أعرف ما قدَّمته لي قراءتي لِباريس حول غريكو، على سبيل المثال.

س.د.ب: إنَّك تخلطُ الأشياءَ قليلاً. فسباقُ الثِّيران ليسَ معبداً يونانيّاً أو رسماً. والسَّفرُ طريقةٌ للانغماس في البلد وأهله، وهذا أمر مهمٌّ أيضاً.

ج.ب.س: كان سباقُ الثِّيران بالغَ الأهمِّيَّة.

س.د.ب:كانت لديكَ فكرةٌ تقوم على أنَّه لا بُدَّ للمرءِ أن يكون «حديثاً» في طريقةِ سفرِه.

ج.ب.س: صحيح.

س.د.ب: حينما بقي غويل Guille في الحمراء، وغرناطة؛ كنتَ تظنُّ ـ بحقٍّ ـ أنَّه لا بُدَّ من النُّزولِ إلى قاع المدينة.

ج.ب.س: وأن نرى الإسبانيِّين.

---

(١) موريس باريس (١٨٦٢-١٩٢٣): كاتب وسياسيّ فرنسيّ.

س.د.ب: أيّ رؤيةَ الحياةِ في الحاضر،أتذكَّرُ نقاشاً جرى مع غويل في رواندا. وكنتَ مُتضايقاً من التَّوقُّف على رؤية الأشياء العابرة، والميّتة، وقصور الأرستقراطيّين، وفقدان المدينة لحياتها في الحاضر. بينما كنتَ بالغَ السَّعادة في برشلونة، لأنَّك انغمستَ في الحشودِ الحيَّة.

ج.ب.س: رأينا مُضربين إسبانيّين في إضرابهم. نعم. وأتذكَّر الانقلابَ الَّذي قام به الجنرال سان جيورجيو في إشبيلية.

س.د.ب: لم يدُمْ طويلاً، حيث وُضِعَ حدٌّ له في اليوم التَّالي.

ج.ب.س: لكنَّنا رأينا الجنرال في سيَّارة مكشوفة. كان مع عُمدةِ المدينة...

س.د.ب: التقى هذا بأحلامِكَ المغامراتيَّة إلى حدٍّ ما.

ج.ب.س: صحيح. لقد كان في هذا شيءٌ من الغامرة.

س.د.ب: لكنَّنا لم نتعرَّضْ لأيِّ خطر.

ج.ب.س: لا، لم نشهدْ أيَّ خطر، لكنَّ الحدثَ أثَّر علينا في تلك اللَّحظة. في كلِّ الأحوال؛ كانت تربطنا علاقات بالنَّاس.

س.د.ب: ركضنا مع الحشودِ. ثمَّة سيِّدةٌ كانت تمدُّ ذراعيها قائلةً: «هذا غباءٌ كبيرٌ، هذا غباءٌ كبيرٌ». هل كان الإحساسُ بالغربةِ يعني لك شيئاً؟

ج.ب.س: سباقُ الثِّيران، والأشياءُ الشَّبيهة به؛ لم تكنْ شأناً ثقافيّاً. بل كانت أشياءَ أكثرَ غموضاً، وأكثرَ قوَّةً من مجرَّدِ لقاءٍ في الشَّارع، أو حادث كنت شاهداً عليه في الشَّارع. إنَّه يلخِّصُ كثيراً من أوجه البلد. كان لا بُدَّ من البحثِ والتَّفكيرِ في سباق الثِّيران، ومحاولةِ إيجادِ معنىً له.

س.د.ب: ثمَّ كان هناكَ ذاكَ النَّوعُ من الغُربة الَّتي يمكن أن يكونَ لها مذاقاتٌ مختلفة، أي ما كُنَّا نأكله، ونشربه.

ج.ب.س: أتذكَّرُ يومَ أكلنا في إيطاليا الحلوى الإيطاليَّة. وقد تحدَّثنا عنها كثيراً.

س.د.ب: صحيح

ج.ب.س: حتَّى إنَّني كتبتُ.

س.د.ب: صحيح. أتذكَّر أنَّك قارنتَ قصورَ جنوه Gênes بمذاقِ الحلوى الإيطاليَّة، ولونها. وفي لندن؛ أتذكَّر أيضاً أنَّكَ حاولتَ وضعَ خلاصةٍ عمَّا كانت عليه لندن. طبعاً، كانت دراسة عَجلى... لكنَّك حاولتَ الإحاطةَ بمُجمل المدينة. كانت بيننا اختلافاتٌ كبيرة؛ إذ كنتُ أريد أن أرى دائماً كلَّ شيء. وأنتَ كنتَ تظنُّ أنَّه من الجيِّد أن يتندّى الإنسانُ من دونِ القيام بأيِّ شيء، فتبقى في إحدى السَّاحات تُدخِّن غليونَك، على سبيل المثال. والحقيقة أنَّكَ كنتَ تفهم إسبانيا عبر زيارتكَ لِكاتدرائيَّةٍ أو اثنتين فيها.

ج.ب.س: قطعاً. وأنا باقٍ على وجهةِ نظري هذه.

س.د.ب: لقد اعتمدتُ هذه الفكرةَ الآن.

ج.ب.س: نعم. في الحقية، إنَّ تدخينَ الغليون في ساحة زوكودوفير Zocodover أمرٌ يعجبني.

س.د.ب: في فلورنسا؛ كنتُ مجنونةً في تلك الفترة، إذ كنتُ أنا من يُسافر بشكل سيِّئ. حينما تناولنا طعامَ الغداء في فلورنسا، حوالي السَّاعة الثَّانية بعد الظُّهر، لم تكنْ تريدُ التَّحرُّكَ قبلَ السَّاعة الخامسة. كنتَ تدرسُ اللُّغة الألمانيَّة، لأنَّك كنتَ تنوي الذَّهابَ إلى برلين في السَّنة القادمة. أمَّا أنا؛ فكنتُ أذهبُ بين السَّاعة الثَّانية والخامسة لزيارةِ بعضِ الكنائس، ورؤيةِ اللَّوحاتِ، وأشياء أُخرى، المهمُّ أنِّي لم أكنْ أتوقَّف عن الحركة أبداً. في المحصِّلة؛ كنتَ بالغَ السُّرور بالقيام بهذه الزِّيارات الَّتي كنتَ تسمِّيها ذاتَ طابع ثقافيٍّ. هناك ثمَّة بُعدٌ لم نتحدَّث عنه؛ أعني البُعدَ السِّياسيَّ في هذه الرِّحلات كلِّها.

ج.ب.س: آه ! كان ما يزال هذا البُعد مُبهماً.

س.د.ب: بالغ الإبهام. ومع ذلك؛ كُنَّا نتأثَّر بالجوِّ [السِّياسيِّ].

ج.ب.س: صحيح.

س.د.ب: سافرنا إلى إسبانيا في زمن الجمهوريَّة، أو بداية الجمهوريَّة. أمَّا رحلتنا إلى إيطاليا؛ فكانت في فترة الفاشيَّة. وسافرنا معاً إلى ألمانيا الَّتي أقمتَ فيها، إبَّان الفترةِ النَّازيَّة. وفي اليونان؛ كان رئيس الوزراء ميتاكساس. لم نشعرْ به كثيراً، لكنَّه كان موجوداً بالنِّسبة لكلينا.

ج.ب.س: صحيح، كان موجوداً. كُنَّا نلتقي عند زوايا الشَّوارع مواطناً لا يتَّفقُ أبداً مع أفكارنا، بل كان الاختلافُ بيننا يصل إلى حدٍّ بعيد. وهو ما شعرتُ به في إيطاليا بنحوٍ خاصٍّ. لقد كان حضورُ الفاشيَّة قويّاً بالفعل. أتذكَّرُ يومَ كُنَّا جالسَين ذاتَ ليلة في ساحة نافونا Navona غارقَين في أحلامنا؛ جاء اثنانِ من الفاشيِّين بملابسهما السَّوداء وقُبَّعتيهما الخاصَّتين، وسألانا عمَّا نفعله في هذا المكان، ونصحانا بالعودة إلى الفندقِ بحرارة؛ لقد التقينا بالكثيرِ من الفاشيِّين عندَ زوايا الطُّرقات.

س.د.ب: وأتذكَّر، في البندقيَّة، أنَّنا التقينا بألمان من ذوي القمصان السَّمراء، وكان لقاءً مقيتاً جدّاً دفعكَ للذَّهاب إلى ألمانيا، تحديداً، في السَّنة التَّالية.

ج.ب.س: صحيح، ما زلت أتذكَّر هؤلاء ذوي القمصانِ السَّمراء. يومَها؛ شعرنا بوجود الجنرال ميتاكساس Metaxas أيضاً، لكنَّنا لم نعرف تماماً ما الَّذي كان يريده؛ لعدم معرفتنا به، لكنَّه لم يزعجنا كثيراً.

س.د.ب: أتذكَّر أنَّنا رأينا أيضاً أحدَ السُّجون الَّذي تحيطُ به شجيراتُ الصبَّار في نوبيل Naupile، حيث التقينا يونانيّاً قال لنا بكثيرٍ من الفخرِ: «جميعُ الشُّيوعيِّين اليونانيِّين مجموعون هنا في الدَّاخل». ما هي أكثرُ ذكرياتُك المثيرةُ خلالَ تلك المرحلة؟ لقد زُرنا إيطاليا مرَّتين.

ج.ب.س: مرتين، صحيح، وإسبانيا أيضاً.

س.د.ب: بدت لنا إسبانيا أكثرَ حيويَّة.

ج.ب.س: كانت إيطاليا، بسبب الفاشيِّين، مُتصنِّعة، وجامدة، بقِيَمها القديمة الَّتي اندثرت، أو أُجِّلت إلى وقت مُعيَّن؛ وبدا لي الإيطاليُّون سيِّئين؛ بسبب إجماعهم حولَ الفاشيَّة. لم نكن نتعاطفُ معهم، ولا يتيحون لكَ الفرصةَ للتَّعبير عن هذا التَّعاطف. وكنا نتَّصل بكثيرين من سُكَّان المدينة والرِّيف. كان هذا القيدُ الفاشيُّ موجوداً دائماً.

س.د.ب: ماذا تضيف حولَ هذه الرِّحلات الأُولى؟

ج.ب.س: كانت تبعث فيَّ فرحاً جنونيّاً، وتمنحني بُعداً إضافيّاً؛ بُعداً خارجيّاً، هو بعدٌ في العالم؛ بعدَ أن ضاقت بنا فرنسا.

س.د.ب: صحيح، لم تعُدْ باريس مركزاً مُطلقاً. أظنُّ أنَّك كنتَ متأثِّراً برحلتكَ إلى المغرب.

ج.ب.س: آه! المغربُ عالمٌ مختلفٌ تماماً، حيث القيمُ والمفاهيمُ الأُخرى. كان هناك وَرَثةُ الجنرال ليوتي Lyautey، ثمَّ جاء السُّلطان... كُنَّا هناك، كفرنسيِّين، نتعامل مع بعضنا، ولا نعيش في المدينة العربيَّة.

س.د.ب: كُنَّا منقطعينَ عن الآخرين. أمَّا في مدينة فاس؛ فلم نكن نغادرُ المدينةَ إلَّا للنَّوم.

ج.ب.س: ألم أقعْ مريضاً في فاس؟

س.د.ب: بلى.

ج.ب.س: بماذا أُصبتُ حينها؟

س.د.ب: ذهبنا لتناولِ وجبةٍ محلِّيَّة رائعة، وخرجنا من المطعم قائلين: «إنَّه لأمرٌ غريب أن نأكلَ أربعة أطباق، بل ستَّة، وكان يُفترض أن يكون الطَّعام ثقيلاً على المعدة، لكنَّنا لم نشعر بأيِّ شيء أبداً». وحتَّى إننا تناقشنا قائلين:

«ذلك لأنَّنا لم نحتسِ النَّبيذ، ولأنَّنا لم نأكلْ خبزاً؛ وعدتَ بعدها لتخلد إلى النَّوم، فأُصبتَ بنوبةٍ في الكبِد ألزمَتكَ الفراش، ربَّما لثلاثة أيَّام.

ج.ب.س: أذكر هذا.

س.د.ب: هل في ذهنك ذكرياتٌ أُخرى هامَّة؟

ج.ب.س: سافرنا إلى اليونان برفقة بوست في رحلة مُسلِّية. غالباً ما كُنَّا ننام في الطَّبيعة، كما في ديلوس Délos، على سبيل المثال؛ كما زرنا جزيرةً رأينا فيها المهرِّج اليونانيّ.

س.د.ب: أظنُّك تقصد جزيرة سيرا Syra؟

ج.ب.س: نعم سيرا. ثمَّ زرنا الرِّيف اليونانيَّ. وكُنَّا ننامُ في العراء.

س.د.ب: أوه، نعم. كُنَّا ننام مرَّةً كلَّ ليلتين في العَراء.

ج.ب.س: صحيح، مرَّة كلَّ ليلتين.

س.د.ب: من دونِ خيمة، أو أيِّ شيء آخر. لا سيما في تلك المدينةَ الجميلةَ جدّاً. الَّتي نسيتُ اسمها، وهي مدينةٌ بالغةُ الجمال بالقرب من إسبارطة؛ حيث الكنائسُ البيزنطيَّةُ بلوحاتها الجداريَّة. نمنا مرَّةً في إحدى الكنائس، وحينما استيقظنا في الصَّباح؛ وجدنا أنفسَنا بينَ حشدٍ من الفلَّاحين؛ ها أنا أتحدَّث عن ذلك، مع أنَّ دَوري ينبغي أن يقتصرَ على طرحِ الأسئلة.

ج.ب.س: لا عليكِ، لنتحدَّث معاً. لأنَّها فترةٌ عشناها سويَّة. وتلك أسفارٌ مرَّت من دونِ قصصٍ إجمالاً. وكُنَّا نقوم بما نستطيع القيام به بهدوء. نرى خلالها أُناسَ الخارج. كان لتلك الرِّحلات طابعاً بورجوازيّاً إذا نُظر إليها من باريس، لكنَّ هذه النَّظرةَ تتضاءلُ لدى دخولِنا البلد المقصود؛ كالنَّوم في العراء، على سبيل المثال.

س.د.ب: نعم، لأنَّنا لم نكنْ نملك المال.

ج.ب.س: هذا ما كان يشعر به النَّاس، ويضعوننا في فئةٍ أكثرَ شعبيَّة.

س.د.ب: كُنَّا منقطعَين تماماً عن الآخرين بسببِ جهلنا للُغة.لم نجدْ إلَّا في إسبانيا مَن يأخذنا في نزهات من أهل البلد، ويروي لنا القصص، ويدلُّنا على المقاهي، ويعرِّفنا بوادي إنك ـ لان Vallé Inclan. هكذا كانت رحلتُنا الأُولى إلى إسبانيا.

ج.ب.س: في إيطاليا؛ الأمورُ كانت تسيرُ بشكلٍ مقبولٍ إلى حدٍّ ما، بفضل غيراسي. وهناك بدأتُ بتعلُّم اللُّغةِ الإيطاليَّة.

س.د.ب: نعم، كنا نتدبَّرُ أمورَنا. لكنْ لم نُجرِ هناك مناقشات. ولم نكنْ نلتقي بمثقَّفين، أو رجال سياسة؛ كُنَّا منقطعَين عن الفاشيِّين بالتَّأكيد. و ماذا عن أمريكا لاحقاً؟ كانت شيئاً مختلفاً.

ج.ب.س: صحيح. هناك فئة ثالثة من الرِّحلات. الأُولى ـ الَّتي لم أقمْ بها أبداً ـ هي رحلات المغامرات. أمَّا تلك الَّتي كانت ظروفُنا تفرضها؛ فهي الرِّحلات الثَّقافيَّة، وقد قمنا بالكثير منها. وبسبب الأحداث التَّاريخيَّة الَّتي وقعت بعد عام ١٩٤٥؛ بدأنا بالقيام برحلات ـ لم تكن سياسيَّة أبداً بالمعنى الدَّقيق للعبارة إلَّا في جزء منها. بمعنى أنَّنا كُنَّا نحاول من خلالها فهمَ البلد الَّذي نزوره على الصَّعيد السِّياسيِّ.

س.د.ب: رحلات لم نكنْ فيها مُجرَّد سائحَيْن منعزلَين، بل ربطتنا علاقاتٌ مع أُناسٍ من البلد. وهذا أمرٌ بالغُ الأهميَّة. دعنا نتحدَّثْ إذاً، عن رحلتكَ إلى أمريكا.

ج.ب.س: لقد فكَّرنا بأمريكا كثيراً. لأنَّني أوَّلاً، حينما كنتُ طفلاً.كان نايك كارتر Nick Carter وعائلة بيل بوفالو Buffalo Bill[1] تحيلني إلى أمريكا خاصَّةً، وعرفناها أكثر من خلال الأفلام. وقرأنا روايات المرحلة الحديثة الهامة، مثل دوس باسوس وأرنست هيمنغواي.

---

(١) من الأدب الشّعبيّ الأميركيّ.

س.د.ب: هناك موسيقا الجاز أيضاً. صحيح. لم نتحدَّث عنها في معرض حديثنا عن حُبِّك للموسيقا. لقد كان للجاز أهميَّة كبيرة بالنِّسبة لك.

ج.ب.س: كبيرة.

س.د.ب: تلك كانت الرِّحلة الأُولى الَّتي تقوم بها ضمنَ مجموعة، لا أقصد مجموعة السَّائحين، كالَّتي نراها في الحافلات؛ لكن مع مجموعة من الصَّحفيِّين، وهي الرِّحلة الأُولى الَّتي ذهبتَ فيها بتعليمات مُحدَّدة، أيْ؛ كتابة مقالات. وكان عليك أن تكتبَ هذه المقالات لصحيفة Le Figaro؛ أي إنَّكَ قمتَ بهذه الرِّحلة بوصفِك مُراسلاً إلى حدٍّ ما.

ج.ب.س: هذا صحيح، لقد سافرتُ مع صحفيِّينَ ماهرينَ اعتادوا صناعةَ التَّحقيقِ الصَّحفيِّ، مثل الصحفيَّة أندريه فيوليس Andrée Viollis[1].

س.د.ب: ألم تكنْ تلكَ المرَّةَ الأُولى الَّتي تركبُ فيها الطَّائرة؟

ج.ب.س: بلى، كانت المرةَ الأوْلى؛ وهي طائرةٌ عسكريَّةٌ ربَّانها عسكريّ.

س.د.ب: بماذا شعرت؟ هل انتابكَ خوفٌ، أم لم تشعر به أبداً؟

ج.ب.س: أبداً؛ لا خلالَ الإقلاعِ ولا خلالَ الهبوطِ.

س.د.ب: وكيف كنتَ تشعرُ وأنتَ في السَّماء؟

ج.ب.س: كنتُ قلقاً وأنا في السَّماء، لكن ليس كثيراً. لم أشعر بشيء كبير.حتَّى في الطَّائرة الأمريكيَّة الَّتي وضعها الأمريكيُّون بتصرُّفنا، وجالت بنا أطرافَ أمريكا، لم أشعرْ بشيء.

س.د.ب: ما هي الأبعادُ الَّتي أضافتها إليكَ مثل هذه الرِّحلة؟

ج.ب.س: كانت رحلةً مُختلفةً تماماً بالنِّسبة لي. فقد اعتدتُ على رحلات القطار، والعبور من بلدٍ لآخر؛ الفرقُ هنا ضخمٌ. أولاً؛ لأنَّ الطَّائرةَ أشبهُ

(١) أندريه فرانسواز كارولين جاكيه الملقبة بأندريه فيوليس (١٨٧٠-١٩٥٠): صحفيّة وكاتبة فرنسيّة.

بقفصٍ زجاجيٍّ سافرتُ فيه فوقَ المحيطات. وعبورُ الحدودِ هنا يختلف عن عبورِ الحدودِ العاديَّة. وشراسةُ رجالِ الجماركِ الأمريكيَّةِ لا تشبه ذلك التَّساهلَ الَّذي نشهدهُ في الحدودِ الأوروبيَّةِ.

س.د.ب: هل كان رجالُ الجماركِ الأمريكيُّونِ شرسين؟

ج.ب.س: كانوا شرسينَ إلى حدٍّ ما، أعني رجالَ الشّرطة بنحوٍ خاصّ.

س.د.ب: لكنْ، ألم تُقدَّم لك تسهيلاتٌ لكونك ضمنَ مجموعةٍ مدعوَّة؟

ج.ب.س: لا. لقد فتَّشوا حقائبَنا، وطرحوا علينا الأسئلة المعتادة.

س.د.ب: ما الَّذي اختلفَ بالنِّسبة لكَ في هذه الرِّحلة؟

ج.ب.س: كانت مُنظَّمَة، ليس بمعنى ذلك التَّنظيم الَّذي يجمعُ سبعةَ أعضاءٍ فحسب؛ بل لأنَّه كان مُرتبطاً بالمكتب الحربيِّ.

س.د.ب: كانوا يريدونَ إطلاعَكُم على المجهود الحربيِّ الَّذي بذلتْهُ أمريكا.

ج.ب.س: لم يكن موضوعُ المجهود الحربيِّ هو ما يهمُّني، بل أردتُ رؤيةَ أمريكا.

س.د.ب: أكيد.

ج.ب.س: وأنا مدينٌ لهم إلى حدٍّ ما لأنَّهم أتاحوا لي فرصةَ رؤيةِ أمريكا، ثمَّ يأتي موضوعُ المجهودِ الحربيِّ في الدَّرجة الثَّانية.

س.د.ب: ما الَّذي أطلعوكم عليه بوصفِهِ مجهوداً حربيّاً؟

ج.ب.س: مصنعُ أسلحة، على سبيل المثال.

س.د.ب: هي رحلةٌ رأيتَ فيها، من حيث المبدأ، بلداً حيّاً، ولا يتوقف عن الحركة.

ج.ب.س: من حيثُ المبدأ؛ لأنِّي حينما رأيتُ شركة T.V.A. Tennessee Valley Authority Act روزفلت؛ لم أرَ فيها أهمِّيَّة خاصَّة من وجهة نظرٍ حربيَّة.

س.د.ب: صحيح، لكنَّها معرفةٌ اقتصاديَّة. فالأمر لم يعدْ يتعلَّق بلوحات، أو بصروح، أو مناظر طبيعيَّة، كما في السَّابق.

ج.ب.س: ثم أخذونا، في نيويورك، إلى إحدى صالاتِ العرضِ، وعرضوا علينا، خلالَ عدَّة أيَّامٍ، أفلاماً أمريكيَّة أُنتجت بعدَ الحرب، لم نكنْ قد رأيناها بعد. وهذا شيءٌ ثقافيّ.

س.د.ب: لابُدَّ أنَّ هذا كان مُمتعاً.

ج.ب.س: كان مُمتعاً.

س.د.ب: أين سكنتَ في نيويورك؟

ج.ب.س: في البلازا.

س.د.ب: هل عُوملتم بشكلٍ جيِّد؟

ج.ب.س: وصلنا نيويورك السَّاعةَ العاشرةَ مساءً، ولم يكنْ أحدٌ بانتظارنا في تلك اللَّحظة. مررنا بالجمارك، ولم يكنْ ثمَّة مَنْ يوصي هؤلاء النَّاس بعدم مضايقتنا كثيراً. تسلَّمنا أمتعتَنا، وجلسنا في زاويةِ قاعةِ انتظارٍ كبيرة. لم يكن اسمه مطار Dlewild في تلك الفترة.

س.د.ب: نعم، أعرف، كان اسمه مطار La Guardia.

ج.ب.س: كُنَّا هناك سبعة أشخاص عند السَّاعة العاشرة ليلاً، جالسينَ إلى جانب أمتعتنا الَّتي لم تكنْ كثيرة، إذ كان معَ كلٍّ مِنَّا حقيبةٌ واحدة، ورحنا ننتظر. أخيراً؛ قال رئيس المجموعة، الَّذي لم يكنْ يحاول أن يكون كذلك: «سأتَّصل هاتفيّاً». إذ كان معه رقمُ هاتفٍ أعطوه له في باريس. اتَّصلَ، وردُّوا عليه بكثيرٍ من المرح والدَّهشة وقالوا إنَّهم لم يكونوا بانتظارِ أحدٍ اليومَ بسبب الرِّحلة التي اخترناها.

س.د.ب: نعم، كان الأمرُ غيرَ مُنتظم.

ج.ب.س: إلى حدٍّ ما. أخيراً؛ وصلنا ذاكَ المساء من يوم السَّبت، وكان يمكن أن نصلَ في أيِّ يومٍ آخر. ولهذا السَّبب؛ لم يكنْ أحدٌ بانتظارنا. أرسلوا

لنا فوراً سيَّارات إلى المطار، ثمَّ رافقونا إلى نيويورك. ولم يكنْ ذلكَ أوَّلَ احتكاكٍ لي مع أمريكا؛ بل مع نيويورك. سارت بنا السَّيَّارة في نيويورك. ولدى مغادرتنا المطار، باتِّجاه الفندق، مررنا في شوارع كبيرةٍ مزدحمةٍ بالنَّاس؛ في السَّاعة العاشرة والنِّصف مساءً؛ كانت الشَّوارع ممتلئة. وكلُّ شيء يلمع. صحيحٌ أنَّ الكهرباء قد خَفَّتْ في المساء؛ لكنَّها بقيت مُستمرَّة. أتذكَّر كيف كانت دهشتي، في السَّيَّارة، وأنا أرى المحالَّ مفتوحةً، ومُنارةً، وحيث النَّاس يعملون في محالَّ للحلاقة في السَّاعة الحادية عشرة ليلاً. بدا كلُّ هذا طبيعيّاً تماماً، حيث رأيت سبعةَ أو تسعةَ محالّ في الطَّريق. بحيثُ يمكنُ للمرءِ أن يقصَّ شعرَه، أو يحلقَ ذقنَه عندَ السَّاعةِ الحاديةَ عشرةَ ليلاً. وبدت لي هذه المدينةُ مُدهشةً، لِمَا رأيتُ فيها من ظِلال؛ محالٌّ في الأسفل، فوقها ظلال كبيرة، انتبهت إلى أنَّها كانت ناطحات السَّحاب الَّتي سأراها في اليوم التَّالي.

س.د.ب: ألم يبدُ لكم الفندق باذخاً بروعته؟

ج.ب.س: الفندق... الشَّيء الأوَّل الَّذي رأيته في الفندق هو بابٌ دوَّار يخرج منه عددٌ كبيرٌ من السَّيدات بثيابِ السَّهرة بشعرهنَّ الأبيض، وأكتافهنَّ العارية، ورجال ببدلات السموكينغ، كان هناك احتفال على ما يبدو.

س.د.ب: مثل هذا دائم. إنَّها ليست احتفالات...

ج.ب.س: كان النَّاس يجتمعون لسببٍ أو لآخر، وهم يرتدون ملابس السَّهر. كان ذلك بمثابة شيء يبعث في نفسي الطَّمأنينة. لم يكونوا يدركون أنَّهم في حالةِ حرب.

س.د.ب: بما أنَّنا كُنَّا نقيم في فنادقَ متواضعة؛ ألم ترَ أن البلازا يحمل مظهرَ البذخ المدهش؟

ج.ب.س: لا. لكنَّنا حظينا بإفطار رائع صباحَ اليوم التَّالي. تذكَّرتُ إفطاراتنا في لندن، المتواضعة بالتَّأكيد، لكنَّ الطعامَ كان لذيذاً.

س.د.ب: صحيح، لكنَّه متناقضٌ مع الإفطار في فرنسا الَّتي كانت ما تزال تعيش حالة من البؤس الكبير، ألم يكن هذا مُدهشاً؟

ج.ب.س: فسَّرتُ ذلك بسببِ المسافةِ الَّتي تفصلُ أمريكا عن الحرب، ولأنَّها لم تشهدْ أيَّ اجتياح بعد.

س.د.ب: صحيح. هذا هو جزءٌ كبيرٌ من السَّبب، بينما كانت فرنسا تعيش في فقرٍ رهيب. حينما ذهبتُ إلى إسبانيا والبرتغال في الفترة نفسها؛ تكوَّن لديَّ انطباعٌ رهيبٌ بوجود ثروةٍ في هذين البلدين. ماذا عن هذا في أمريكا؟

ج.ب.س: نعم. لكن في المحصِّلة، كلُّ هذا لم يؤثِّر فيَّ.

س.د.ب: حكيتَ لي قصَّةً عن ملابسك.

ج.ب.س: نعم. غداةَ اليومِ التَّالي؛ أرسلتْنَا جماعةُ المكتبِ الَّذي دعانا، للتَّسوُّقِ في المحالِّ التجاريَّة، لا سيما محلات السّترات والبنطلونات، فكان نصيبي بنطلوناً مُقَلَّماً.

س.د.ب: اشتريتَ لي طقماً أيضاً.

ج.ب.س: صحيح. وخلالَ ثلاثة أيَّام؛ حصلنا على بزَّة، وانطلقنا بعد أن ارتدي كلٌّ منَّا بزَّته. كان من نصيبي سترة كنديَّة.

س.د.ب: سترة بائسة، صحيح. التقطَ لكَ كارتييه بريسون Cartier Bresson[1] صورةً وأنتَ ترتديها. دعني أسألْكَ الآن: كيف كان احتكاكُكَ بِنيويورك في اليوم التَّالي؟

ج.ب.س: تُركَت لنا حُرِّيَّةُ التَّصرُّف. فذهبنا في البدايةِ إلى الشَّارع الخامس. كان ذلكَ يومَ أحدٍ على ما أذكر، وهو شارع أثار دهشتنا. فتجوَّلتُ فيه برفقةِ أفراد مجموعتي. ورأينا النَّاس في الصَّباح يدخلون إحدى الكنائس.

(١) هنري كارتييه بريسون (١٩٠٨- ٢٠٠٤): مصوِّر ضوئيّ، ورسّام فرنسيّ، اشتهر بدقّته.

لكن بعد أن رأيت شوارع أُخرى، لا سيما شارع Bowery، والشَّارع الثَّالث. والسَّادس. والسَّابع؛ قلَّ إعجابي به. بدأت أتدبَّر أموري في هذه الشَّوارع، إذ كان الأمر بسيطاً كغيره من الأمور. وكنتُ سعيداً بهذا؛ كُان فندقنا يقع بينَ الشَّارعين؛ السِّتِّين والخمسين، أي في مركز المدينة تقريباً.

س.د.ب: في فندق بلازا، قريباً من المنتزه المركزيِّ Central Park. أين كنتم تتناولون الطَّعام؟

ج.ب.س: كُنَّا نُدعى كثيراً لتناول الغداء، أو العشاء.

س.د.ب: أعتقد أنَّ رحلتَك هذه اختلفت عن رحلاتنا الأُخرى، لأنَّك كنتَ ترى أُناساً خلالَها.

ج.ب.س: صحيح. ليس سكَّان البلد تحديداً. بل أناسٌ جميعهم من هذا المكتب العسكريِّ، لإجراءِ مقابلات إذاعيَّة، على سبيل المثال، من أجل فرنسا، وإنكلترا.

س.د.ب: هل كان هناك فرنسيُّون؟

ج.ب.س: نعم، كان هناك فرنسيُّون وإنجليز أيضاً.

س.د.ب: لكنَّك التقيتَ بأمريكيِّين، أليس كذلك؟

ج.ب.س: نعم، بالتَّأكيد.

س.د.ب: تعرَّفتَ هناك على المجموعة الَّتي تهتمُّ بالمجهود الحربيِّ في الإذاعة.

ج.ب.س: بهذه الطَّريقة، تعرَّفْتَ على أُناس كثيرين. أمَّا الأمريكيُّون؛ فقد التقيتُ بهم هناكَ حيث كانوا يأخذوننا. وتحدثوا إلينا. أتذكَّر أنَّني كنتُ في مصنعٍ مُشيَّد في قرية مؤلَّفة من بيوت مُسبقة الصُّنع، بين الأنقاض والأوساخ.

كان غريباً أن أرى بيوتاً مُسبقة الصُنع مجموعةً على شكل قريةٍ في وسط هذه الأنقاض، وفوقَ تلك التُّربة المقلوبة.

س.د.ب: إجمالا؛ ما الَّذي رأيته في نيويورك ؟ وكم من الوقت بقيتَ هناك ؟ ثلاثة أشهر أم أربعة؟

ج.ب.س: نعم، ثلاثة أو أربعة أشهر.

س.د.ب: هل قضيتَ أطولَ وقتٍ في نيويورك؟

ج.ب.س: في البداية؛ قضينا ثمانيةَ أيَّام في نيويورك، ثمَّ خمسة، وبعدها ستَّة أيَّام لدى عودتنا. بقيت أربعةَ عشرَ يوماً في نيويورك. ثمَّ ذهبتُ إلى واشنطن. بعد ذهاب الآخرين إليها. كلٌّ مِنَّا ذهبَ في تواريخَ مختلفة، لأنَّنا كُنَّا نملك النُّقودَ إلى حدٍّ ما. بقيت شهراً ونصفَ الشَّهرِ تقريباً بعد نهايةِ الرِّحلة.

س.د.ب: في نيويورك؟

ج.ب.س: نعم، في نيويورك.

س.د.ب: هل زرتَ هوليوود؟

ج.ب.س: نعم، ذهبتُ إليها فورَ وصولي تقريباً. زرنا واشنطن، ثمَّ شركة T.V.A، وبعدها أورليان الجديدة لم نزر ميامي حينها لكني تعرفت عليها في وقت لاحق. عبرنا أمريكا بالطَّائرة، وزرنا مضائق أنهار كولورادو، ثمَّ عُدنا.

س.د.ب: هل رأيتَ شيكاغو أيضاً؟

ج.ب.س: طبعاً، بكلِّ تأكيد. زرنا هوليوود، ومنها توجَّهنا إلى شيكاغو، ومن شيكاغو إلى ديترويت، على ما أظنُّ.

س.د.ب: لابُدَّ أنَّهم أروكَ مُدناً مُزعجةً حولَ المجهود الحربيِّ.

ج.ب.س: نعم، رأيت ديترويت، ومنها عُدنا إلى نيويورك.

س.د.ب: وهناك قابلتَ كثيرين من الفرنسيِّين، مثل بروتون على سبيل المثال.

ج.ب.س: بطبيعة الحال؛ تعرّفتُ على فرنسيِّين. وقابلت لازاريف Lazareff[١]، وزوجته مرَّةً واحدة.

س.د.ب: كان كثير من الفرنسيِّين الَّذين ذهبوا إلى أمريكا، إمَّا لأنَّهم كانوا يهوداً، أو لأنَّهم لم يريدوا البقاءَ تحتَ الاحتلال. اندريه بروتون كان قد رحل.

ج.ب.س: نعم سافر. إذاً؛ التقيتُ أندريه بروتون، وكذلك ليجيه Leger[٢]؛ حيث ذهبتُ لزيارته.ثمَّ التقيتُه عدَّة مرَّات، ولم يتركْني أسافر من دون أن يحمِّلَني بالهدايا، أي: تركني أختارُ عدداً من لوحاته الَّتي احتفظتُ بها زمناً طويلاً. اخترتها في أمريكا، ثمَّ أرسلها إليَّ لاحقاً.

س.د.ب: بالإضافة لليجيه وبروتون كان هناك أيضاً ريريت نيزان.

ج.ب.س: وليفي شتراوس، نعم رأيت ريريت نيزان مرَّةً أُخرى هناك. مَنْ أيضاً؟ كان ثمَّة أُناسٌ حولَ بروتون مثلُ جاكلين بروتون وزوجها المستقبليِّ دافيد هار، الَّتي كانت بصددِ الطَّلاقِ منه.

س.د.ب: كان هار هذا أمريكيّاً.

ج.ب.س: كان نحّاتاً أمريكيّاً شابّاً لا يبدو أنَّه كان لامعاً في مهنته.

س.د.ب: كان هناك ديشان Duchamp أيضاً.

ج.ب.س: صحيح، لكنَّ ديشان لم يكنْ من بين اللَّاجئين.

س.د.ب: كان يعيش هناكَ منذُ فترةٍ طويلة.

ج.ب.س: تناولتُ الغداء معه.

---

(١) بيير لازاريف (١٩٠٧- ١٩٧٢): صحفيّ، ومنتج برامج تلفزيونيّة

(٢) فرنان ليجيه (١٨٨١- ١٩٥٥): رسّام ونحّات فرنسيّ، ومصمّم...

س.د.ب: بمن التقيتَ من الأمريكيِّين الَّذين كنتَ تعرفهم؟

ج.ب.س: التقيتُ بزوجة سانت ـ اكزيبيري Saint- Exupéry. ثمَّ تعرَّفتُ بشكلٍ جيِّد على كالدير Calder.

س.د.ب: ألم تلتَقِ بكُتَّاب؟

ج.ب.س: التقيتُ كُتَّاباً أمريكيِّين في باريس مثلَ دوس باسوس.

س.د.ب: تعرَّفتَ على رتشارد رايت Richard Wrignt(1) هناك أيضاً؟

ج.ب.س: صحيح، مع زوجته. كما تعرَّفتُ على نُقَّاد أمريكيِّين، لم أتحدَّثْ معهم عن هيمنغواي(2). تعرَّفتُ على هيمنغواي في فرنسا أيضاً.

س.د.ب: صحيح، أذكر أنَّنا رأيناه في صحيفة ليبراسيون. ألم تكنْ متضايقاً من عدم معرفتك اللُّغة الإنكليزيَّة؟

ج.ب.س: لا، لأنِّي لم ألتقِ إلَّا بالأمريكيِّين الَّذين يتكلَّمون اللُّغة الفرنسيَّة. وكان الآخرون يهملونني لجهلي بلغتهم. وهو أمرٌ طبيعيٌّ. كنتُ معروفاً إلى حدٍّ ما في أوساط اللَّاجئين الأجانب في أمريكا بعد كتابةِ مقالةٍ في مجلَّة Aron حولَ فرنسا أثناءَ الاحتلال.



(١) ريتشارد رايت (١٩٠٨- ١٩٦٠): كاتب وصحفيّ أمريكيّ.

(٢) إرنست هيمنغواي (١٨٩٩-١٩٦١): كاتب وروائيّ أمريكيّ معروف حاز جائزة نوبل للآداب في العام ١٩٥٤.

القمر

س.د.ب: اتَّفقنا على أن نتحدَّث عن القمر.

ج.ب.س: نعم؛ لأنَّ القمرَ يرافقنا من المهد إلى اللَّحد. ويتركَ بصمتَه، منذ حوالي خمسين أو ستِّين عاماً، على تطوُّر الوسط (البيئة) ومن ثمَّ على ثورتنا الدَّاخليَّة، والخارجيَّة. حينما عرفتهُ في سِنٍّ مبكِّرة جدّاً؛ بدا لي بمثابة شمس اللَّيل؛ كان دائرةً في الفضاء، بعيداً كالشَّمس ومصدراً لنورٍ ضعيفٍ، لكنَّه موجود. كُنَّا نرى في داخله رجلاً يحملُ سلَّةً فوقَ ظهره، أو سماتِ رأسٍ، إجمالاً؛ كُنَّا نرى فيه ما نريد. كان أكثرَ أُلفةً، ويُقال لنا إنَّه أقربُ من الشَّمس، وأكثرُ ارتباطاً بالأرض، وكُنَّا ننظر إليه بوصفه مُلكيَّة لنا. كان في السَّماء بمثابة شيءٍ مرتبط بنا.

س.د.ب: إنَّه كذلك، في الحقيقة، لأنَّه تابع.

ج.ب.س: صحيح، لكن، علَّمتْنَا التَّجربةُ أنّ القمر موجود دائماً،، وأنَّه طالما كان هناك قمرٌ مكتملٌ، وهو ما يُمثِّلُ علامةً أرضيَّة في السَّماء، ويبقي كما عرفتهُ في البداية. كنتُ أرى اللَّيل، وفيه القمر شيئاً هامّاً، ولم أكنْ قادراً على تحديد ذلك الشَّيء بالضَّبط. كان ضوء اللَّيل شيئاً يبدو مُطَمئِنّاً في اللَّيل. حينما كنتُ صغيراً؛ ينتابني خوفٌ من اللَّيل، لكنَّ ظهورَ القمر كان يبعثُ الطَّمأنينة في نفسي. وحينما كنتُ أخرجُ إلى الحديقةِ ليلاً، والقمرُ فوقَ رأسي، أحسُّ بالسَّعادة؛ لأنَّه لن يصيبَني شيءٌ خطير. وككلِّ الأطفال؛ غالباً ما كنتُ أتخيَّل بأنَّه يراني أيضاً. كان يمثِّل فعلاً شيئاً بالنِّسبة لي، وأذكر أنَّني كنتُ

أرسمه، وأضعُ في داخله الأشياءَ الَّتي كنتُ أزعمُ أنَّني رأيتها فيه، والَّتي لم تكنْ ذلكَ الرَّجل الحامل لحزمة من القصب فوقَ ظهره، ولا الرَّأس: بل وجوه، أو مناظر طبيعيَّة أضعها ضمنَ القمر الَّذي كنتُ أخترعهُ، من دون أن أراه، بل أزعم أنِّي أراه.

س.د.ب: وبعد أن تقدَّمَ بك العمر؛ هل بقي لهُ دورٌ في حياتك؟

ج.ب.س: لفترةٍ طويلة؛ نعم؛ لم أكُ أحبُ الشَّمس تماماً، ليس دائماً، على أيِّ حال، لأنَّها كانت تبهرني. كانت السَّماء عبارةٌ عن مدى تسكنه الشَّمس والقمر.

س.د.ب: هل تحدَّثتَ عن القمر في كُتُبِكَ؟ أذكر أنَّ ذِكرَهُ وردَ في تمهيدكَ لمسرحيَّة **نيكراسوف**؛ حيث يقفُ رجلٌ وامرأةٌ فوقَ الرَّصيف، فيقول لها: «انظري، انظري إلى القمر»، فتجيبه المرأة: «إنَّه ليس جميلاً،لأننا نراهُ كلَّ يوم»، فيردُّ عليها: «إنَّه جميل لأنَّه دائريٌّ». ولا أذكر أنَّ رواياتك تضمَّنت أحاديثَ عن ضوء القمر.

ج.ب.س: يبدو لي أنَّ ثمَّة حديثاً عنه في **الجدار**. كنت أنظرُ إلى القمر بوصفه شيئاً شخصيّاً. الحقيقة؛ إنَّ القمر يمثِّل لي كلَّ ما هو سِرِّيّ، في مقابل كلِّ ما هو عامٌّ وموجود. وكنت أظنُّ أنَّه نسخةٌ عن الشَّمس.

س.د.ب: لماذا أردتَ أن تتحدَّث عن هذا بنحو خاصّ؟

ج.ب.س: لأنَّني قلت لنفسي: سأكتب ذاتَ يومٍ عن القمر. ثمَّ عرفتُ لاحقاً ما هو القمر. فهو إجمالاً ليس سوى تابع. وهو ما علَّموني إيَّاه، لكنِّي نظرتُ إليه بشكلٍ شخصيٍّ، فلمْ أرَهُ تابعاً للأرض؛ بل تابعاً لي. هكذا كان شعوري إزاءه. كان يبدو لي أنَّ ثمَّة أفكاراً تأتيني من خلال القمر. فأحببتُه كثيراً، لأنَّه شاعريٌّ، بل الشِّعر الصَّافي نفسه. كان مُنفصلاً عنِّي تماماً، في الخارج هناك، وبيننا في الوقت نفسه علاقةٌ، ومصيرٌ مُشترَك. كان هناك كالعين والأذن، ويرسلُ إليَّ الخطابات. وقد كتبتُ خطاباتٍ حولَ القمر.

س.د.ب: لِمَ تتكلَّم بصيغة الماضي؟

ج.ب.س: لأنَّ وقْعَها عليَّ أخفُّ من وقعِ تقدُّم العمر. كان القمرُ هكذا حتَّى اللَّحظة الَّتي بدأنا بالذَّهاب إليه. فاهتممتُ كثيراً بأنَّ ثمَّة مَنْ يُفكِّرُ بالذَّهاب إليه، ومن ثمَّ بلوغه. تابعتُ الرِّحلات إليه. بل أذكر أنِّي استأجرتُ، في مدينة نابولي، جهازَ تلفزيون، لأتابعَ رحلة آرمسترونغ إلى القمر.

س.د.ب: لتتابعَ خطواتِ البشر الأُولى فوقَ سطحِ القمر.

ج.ب.س: لأرى هيئتَهم، وما يفعلون هناك، وكيف هو القمر، وكيف تبدو الأرضُ منظوراً إليها من القمر، هذا كلُّه كان يُثير شغفي. لكن في الوقت نفسه، فإنَّ هذا حوَّل القمرَ إلى شيءٍ علميٍّ، وفقَدَ صِفتَه الأسطوريَّةَ الَّتي رافقته حتَّى تلك اللَّحظة.

س.د.ب: هل تخيَّلتَ أنَّ الإنسانَ سيصل القمرِ ذاتَ يوم؟

ج.ب.س: لا. كنتُ قد قرأتُ رواياتِ جول فيرن Jules Verne حولَ القمر، وبعدها رواية ويلز Wells الرِّجال الأوائل فوقَ القمر. كنتُ أعرفُ هذا كلَّه، لكنَّه كان يبدو لي أسطوريّاً، ويدخل في إطار المستحيل. لكنَّ الطَّريقةَ الَّتي وصفَ بها ويلز ذهابَ البشرِ إلى القمر لمْ تكنْ علميَّة.

س.د.ب: أمَّا أساليبُ جول فيرن j.Verne فكانت أكثرَ علميَّة... كان هناك أيضاً كتابُ سيرانو دي برجراك Cyrano de Bergerac[١]: **رحلةٌ إلى القمر**.

ج.ب.س: صحيح، لكنَّ هذا...

س.د.ب: لم يكنْ مهمّاً. المهمُّ أنَّ الإنسانَ طالما حلُم بالذَّهاب إلى القمر.

ج.ب.س: لم أقرأْ هذا الكتاب.

---

(١) المقصود هنا الكاتب سافينيان سيرانو دوبرجراك (- توفي عام ١٦١٩) وهو كاتب فرنسيّ. أمّا سيرانو دو برجراك، فهو اسم لمسرحيّة معروفة كتبها إدمون روستان (١٨٠٦- ١٩١٨).

الهرميَّة والمساواة

س.د.ب: تحدَّثنا يوماً عن فكرةٍ وَرَدَتْ في آخر كتابك **الكلمات** تقول إنَّ **أيّاً مِنَّا يُضاهي أيّاً كان**، وإنَّك **أيّاً كان**. أودُّ أن أعرفَ، تحديداً، ما الَّذي يعنيه لك هذا التوْكيد؟. لكن، في البداية، كيف تكوَّنت لديكَ أفكارُ التَّساوي بين النَّاس، أو التَّفاضل بينهم، أو هرميَّتهم؟ فمن جهة تقول: حينما كنتَ شابّاً؛ شعرتَ بنفسك عبقريّاً، ومن جهة أُخرى: طالما كنتَ تُفكِّر بأنَّ النَّاس متساوين إلى حدٍّ ما. هل يُمكنك أن توضِّح لي هذا قليلاً؛ ابتداءً بطفولتك ومن ثمَّ شبابك؟

ج.ب.س: حينما كنتُ صغيراً، أي في العمر الَّذي كنتُ أكتبُ رواياتي الأُولى فيه، أي في الثَّامنة من عمري، كان جدِّي يعاملني كأمير، وينظر إليَّ بوصفي الأمير الصَّغير إلى حدٍّ ما. إذاً؛ في تلك الفترة بدا له أنِّي أتمتَّعُ بميزة داخليَّة ذاتيَّة، يتمتَّع بها الأمير الصَّغير، تتجلَّى بالطِّيبة والكرم اللَّذين رآهما النَّاس فيَّ. فالكائن الَّذي له ميزةُ الأمير الذَّاتيَّة هذه، لا يتساوى بالآخرين؛ لأنَّ الأمير أرفعُ شأناً ممَّن يُحيطون به. مع ذلك؛ هناك مساواة في هذا كلِّه، لأنِّي كائنٌ بشريٌّ، وبالتَّالي؛ فالآخرون كلُّهم أُمراء. هكذا كنتُ أنظرُ إلى الأمور تقريباً. أمَّا الجماهير؛ فتتكوَّن من أنصافِ كائناتٍ بشريَّة، أي كائناتٍ بشريَّةٍ لم تتمكَّن من تحقيقِ النَّجاحِ التَّامّ. هذا هو الجوُّ الَّذي كان مُحيطاً بي. لكن؛ هناك كائناتٌ بشريَّةٌ أُخرى ناجحةٌ كنتُ أكتشفها، وتمرُّ بجانبي، وكانوا أمراءَ حتماً. إذاً؛ كان هناك عالَم يتضمَّن المتساوين، الَّذين كانوا أُمراء، وهناك

الجماهير Tourbe. هذه ليست المساواة بطبيعة الحال، لكنَّها كانت موجودةً في ذهن أولئك الأمراء الَّذين كانوا يعدُّون أنفسَهم متساوين في ما بينهم، والَّذين لم يكونوا أمراء أكثرَ مِنِّي، والعكس صحيح؛ كانت تلك الفكرةُ تتضمَّن نوعاً من المساواة الَّتي طالما أردتها، وحلمتُ بتحقيقها بيني وبين النَّاس. إذ كُلَّما ارتبطتُ بعلاقة قويَّة مع أحدهم سواءٌ أكان رجلاً أم امرأة؛ كنتُ أُلاحظ أنَّ ذلك الشَّخص مساوٍ لي، وأنِّي قادرٌ على التَّعبير عن ذلك من خلالِ الكلماتِ بشكلٍ أفضلَ، وفي كلِّ الأحوال؛ فإنَّ الحدسَ الَّذي كان لدى هذا الشَّخص يشبه حدسي الأوَّل، وأنَّه ينظر إلى الأشياء من وجهة النَّظر نفسها الَّتي أنظر إليها من خلالها.

س.د.ب: لكن، دعنا نعود إلى طفولتِكَ. حينما كنتَ في المدرسة، ألم يكن هناك نوعٌ من الهرميَّة بين التَّلاميذ الجيدين والسَّيِّئين؟

ج.ب.س: بالفعل، كانت ثمَّة هرميَّة قائمة. لكن، بما أنِّي لم أكنْ مُفضَّلاً لدى الهرميَّة لأنِّي لم أكنْ تلميذاً جيِّداً. فقد كنتُ مع المتوسِّطين، أو أعلى بقليل من الوسط، وأحياناً تحته؛ لم أكنْ أظنُّ أنَّني مقبولٌ من هذه الهرميَّة. وأرى أنَّها لا تعنيني. لم أكنْ أفكِّر أنَّ كوني الأوَّل، قبلَ لوبران الصَّغير، أو قبل مالاكان الصَّغير، أو بعدَهما، أمرٌ يُقدِّم رؤيةً حقيقيَّة حولَ كينونتي؛ كينونتي هي الواقع الذَّاتيُّ العميقُ الَّذي يتجاوز كلَّ ما يمكنُ الحديثُ عنه. والَّذي لا يخضع للتَّصنيف. هنا، في الحقيقة بدأتُ القولَ إنَّ التَّصنيفَ غيرُ ممكن. الذاتيَّة شيءٌ لا يظهر على شكلٍ أوَّل أو ثاني، بل هي حقيقةٌ كُلِّيَّة وعميقة، وهي لا نهائيَّة بطريقةٍ ما، موجودة بذاتها، وأمامَ ذاتِها، إنَّها الكينونة، بمعنى: كينونة الشَّخص. لذلكَ، لا يمكن تصنيفها قياساً بهذه الكينونة أو تلك، الَّتي قد تكون أقلَّ وُضوحاً، أو أقلَّ رسوخاً، لكنَّها حقيقيَّة في العُمق. لا أعني بهذا تصنيفِ أولئك الأفراد، بل تركهم كَكُلِّيَّات تُمثِّل الإنسان.

س.د.ب: هذا يعني أنَّك تؤكِّد على الجانب المطلق قبلَ تأكيدك على الجوانب الأُخرى، نوعاً ما.

ج.ب.س: صحيح. أُؤكِّدُ على الجانب المطلق أوَّلاً فيَّ، وقد بدأت بتأكيده بوصفي أميراً صغيراً، لكن هذا يعني الوعيَ بالحقيقة؛ وعيَ ما كنتُ أراهُ، وأقرأه، وأشعر به. ثمَّ وعياً عميقاً يرتبطُ بما حولي من الأشياء، وفي الوقت نفسِه؛ يتمتَّع هذا الوعيُ بعمقٍ يصعبُ نقلُه، وهو: أنا. وهذا لا يمكن أن يكون أقلَّ مستوىً من أحد، ولا أعلى منه. الآخرون كانوا كذلك أيضاً، وهو ما شعرتُ به شابّاً، وطفلاً.

س.د.ب: لكن، حينما كنتَ مع نيزان في الصَّفِّ الثَّاني عشر؛ كنتَ تقول إنَّكما كنتما تريانِ نفسَيكما أَمثليْن surhommes (كائنينِ أَسمَيَيْنِ)، وفي الوقت نفسه؛ قلتَ لي إنَّه كان لديكما حدسٌ بأنَّكما عبقريَّين. ألا تتناقض فكرةُ المثاليَّة والعبقريَّة مع فكرة المساواة؟

ج.ب.س: لا؛ لأنَّ العبقريَّ، والإنسان الأمثل (الأسمى) كما أراهما؛ يتبدَّيان في حقيقتهما في الإنسان. وقد نجدُ في الكتلة (الجمهور) الَّتي كانت تُصنَّف وُفقاً للأرقام، بوصفها عجينة، رجالاً أمثل قادمين، سينفصلون عن بعضِهم. كانت (الكتلة) مُكوَّنةً من بشر دونيِّين Sous-hommes لهم، في الحقيقة، علاقةٌ بالهَرَميَّات، والهرميَّات لا تعني الإنسانَ نفسَه إلَّا نادراً، لكنَّها تعني صفاته، كمفتِّش السِّككِ الحديديَّة، ومفتِّش الأشغالِ العامَّة، والأساتذة. أي؛ المهنة إجمالاً، والأشياء الَّتي يُحيطُ المرءُ بها نفسَه، وهذا كلُّه قابل للتَّصنيف. لكن؛ إذا بلغنا العُمقَ؛ فلا يوجد تصنيفٌ مُمكن. وهذا ما شرعتُ بتوضيحه لنفسي شيئاً فشيئاً.

س.د.ب: وحينما أصبحتَ في دار المعلِّمين Ecole normale، كانت ثمَّة تنافساتٌ، وأمكنةٌ، ومراتبُ، إلخ.

ج.ب.س: لا، لم يكنْ هناك تنافسات، ولا مواقع، قطعاً لا.

س.د.ب: لكن، كان هناك امتحانٌ قبولٍ في دار المعلّمين.

ج.ب.س: كان امتحاناً لدخولِ دارِ المعلّمين، وكان لكلٍّ مِنَّا مكانه، ثمَّ التَّخرُّج من الدَّار، وبعدها شهادة التَّأهيل التَّدريسيّ Agrégation.

س.د.ب: صحيح.

ج.ب.س: وكانت هناك أيضاً مسابقةٌ للحصول على وظيفةٍ، لكن لا شيءٌ بين الاثنين. حتَّى الآن حدَّثْتُكِ عن فكرةِ الذَّاتيَّةِ بوصفِها عبقريَّة، وفكرة الهرميَّة بوصفها تصنيفاً له علاقةٌ بالصِّفات الخاصَّة. كان في دار المعلّمين هذان التَّصنيفان: تصنيفٌ أشبهُ بغياب التَّصنيف؛ وغياب التَّصنيف يعني الذَّاتيَّة المحضة، الَّتي تُعدُّ بمثابة عبقريَّة. وهي فكرةٌ راودتني يومَ كنتُ شابّاً صغيراً؛ نشأَتْ عن فكرةٍ لإخوتي الكبار من الكُتَّاب، يومَ كنتُ، أنا نفسي كاتباً. كنتُ أظنُّ أنَّ كاتباً مثلَ بلزاك أو بوسويه Bossuet[1] يساويني، وبالنَّتيجة؛ سأصبح ما يُسمَّى بالعبقريِّ. إذاً؛ كان هناك في دارِ المعلّمين ذاتيَّتي الَّتي كانت عبقريَّة، ومن جهة أُخرى: المراتبُ الَّتي هي مراتبُ العمر. فمثلاً؛ حينما دخلتُ إلى دار المعلّمين؛ كنتُ في السَّنة الأُولى أذهبُ إلى غرفةٍ مع أربعةٍ أو خمسةٍ من رفاقي الَّذين أعرفهم، وأكنُّ لهم الوُدَّ. إلى جانب هذا؛ كانت توجدُ غُرفٌ من النَّوع نفسِه. وفي الطَّابق العُلويِّ، حيثُ تلاميذُ السَّنة الثَّانية carré الَّذين كانوا يُجمَعون في غرفة، لكنَّ عددَهم أقلُّ في كلِّ غرفة. ثمَّ تلاميذُ السَّنة الثَّالثة Cubes، بعدها، التَّلاميذُ القُدامى Archicube. وهذا كُلُّه تصنيفٌ بحسب السَّنوات. وبالفعل، كان ذلك يرتبطُ بشيءٍ مُعيَّن، لأنَّنا كُنَّا نكتسبُ معارفَ تنتهي بإعطائك قيمةً مُعيَّنة، كأن تكون أستاذاً في هذه المادَّة أو تلك. فعلى سبيل المثال: خلالَ أربعِ سنوات؛ أتعلَّم الأساسيَّات الَّتي ينبغي معرفتها

---

(١) جاك بينينيو بوسويه (١٦٢٧- ١٧٠٤): رجل دين، واعظ، وكاتب. يقال إنّه كان أعظم خطيب في العالم.

لممارسة الفلسفة، وأُخرى لتعليم اللُّغة الفرنسيَّة. باختصار: كان هذا التَّصنيف موجوداً في سنوات دار المعلِّمين، وكُنَّا نرى أنَّه لا يتوافق مع أيِّ شيء. ولا نعدهم أعلى مرتبةً مِنَّا، بل مُجرَّد تلاميذ مُصَنَّفين.

س.د.ب: نعم، أي هرميَّة في المساواة، إذ إنَّ كُلّاً منكم يمرُّ بها بطريقة رياضيَّة إلى حدٍّ ما.

ج.ب.س: طبعاً؛ لم تكن أشكالُ المساواةِ هي نفسها تماماً، إذ كانت هناك كلَّ مرَّةٍ، معارفُ أكثرَ عدداً. لكنَّها، في نهاية المطاف، المساواة Égalité نفسها.

س.د.ب: لكنَّكَ كنتَ تُميِّز بين رفاقكَ. ولم تكن لديك فكرة أنَّ النَّاس مقبولون. في النِّهاية؛ لم يكن هذا الموقف، المنفتح جدّاً والمتقبّل جدّاً والّذي هو موقف ميرلو ـ بونتي؛ هو موقفك.

ج.ب.س: أبداً. بل بالعكس. كنتُ أُميِّزُ بعنفٍ بينَ الأخيار والأشرار. وسرعان ما وضعتُ نفسي مع نيزان، وغويل Guille إلى حدٍّ ما، بعنفِهما وشراستِهما الشَّديدَين في تلك الفترة، إلى جانب آلان Alain، وكانا يريدانِ إشاعةَ نوعٍ من الرُّعب في دار المعلِّمين. ولا بُدَّ أن أعترفَ بأنَّ هذا السُّلوكَ لم يكن مُتَّفِقاً تماماً مع الهرميَّة والذَّاتيَّة العبقريَّة. لكنِّي أظنُّ أنَّ لذلكَ علاقةً بالذَّاتيَّة العبقريَّة. وأظنُّ أنَّه حينما كُنَّا نختبئ في أعلى الدَّرج لإلقاءِ قنابلَ مائيَّة على التَّلاميذِ العائدينَ حوالي منتصفِ اللَّيل بِبِزَّاتهم (السموكينغ) بعد أن قاموا بزيارات في العالم؛ كُنَّا نريدُ الإشارةَ بذلك إلى أنَّ الزِّيارات، والسموكينغ، والهيئة المتميِّزة، والغُرَّة الممشَّطة بشكلٍ جيِّد؛ أشياءٌ غريبةٌ قطعاً، تُعبِّر عن اللَّا ـ قيمة، بل عن غيابِ القيمة، وينبغي ألَّا يتحلَّوا بها، وألَّا يسعوا وراءَها، إذ ما ينبغي السَّعيُ وراءَه؛ هو الألقُ الدَّاخليُّ للعبقريَّة، وليسَ التَّألُّق في عشاءٍ دُنيَويٍّ.

س.د.ب: ألا يمكن القولُ إنَّكَ كنتَ تعيش في مستويَين معاً، كباقي النَّاس؟ مستوىً ميتافيزيقيّ يترسَّخُ فيه مُطلقُ أيِّ وعي، ومستوىً أخلاقيّ عمليّ، بل اجتماعيّ. لم يكن مُطلقُ الوعي هذا يهمُّك فيه، إذا كان لهذا الشَّخص تصرُّفات، وطريقة حياةٍ وتفكير كنتَ تحاربها؟ عُرِفَ عنكم في السُّوربون، أعني أنتَ ونيزان وماهو Maheu موقفكم الَّذي يحتقرُ العالَم بكلِّيَّته، لا سيما طلبة السُّوربون.

ج.ب.س: لأنَّ طلبةَ السُّوربون كانوا يمثِّلون كائناتٍ ليست بَشراً تماماً.

س.د.ب: قولُكَ إنَّ بعضَ النَّاس ليسوا بشراً تماماً؛ ينطوي على خطورةٍ. وهذا مُناقضٌ لفكرةِ المساواة.

ج.ب.س: خطير جدّاً. وهو موقفٌ تخلَّصتُ منه لاحقاً. لكن من المؤكَّد أنَّ هذا الأمرَ كان موجوداً في البداية. هذه كانت البدايةَ بالنِّسبة لي، أي إنَّ هؤلاء النَّاس لا يساوون شيئاً هامّاً، لكن قد يصبح بعضُهم أُناساً، إلَّا أنَّ غالبيَّتهم لن تصبحَ كذلك أبداً. وهذا كان يتَّفقُ مع انعدامِ صداقتي بهم، لذلك لم تكنْ لي علاقةٌ بهم، أو أيُّ رابطٍ بيننا، كُنَّا ننظر إلى أنفسِنا...

س.د.ب: كانت تربطُكم علاقاتٌ هَرَميَّة بهؤلاء، كما قلتَ.

ج.ب.س: كانت هناك علاقاتٌ بين أعمالهم وأعمالي. كُنّا مُصنَّفينَ في تلك الفترة، ومن ثمَّ فقدْ كنتُ أقفُ على قاعدة موضوعيَّة. كُنَّا خمسة وعشرين، وكنتُ مُصنَّفاً خامساً، وعاشراً، وأوَّلاً، وبالتَّالي؛ كُنَّا نقارن أنفسَنا ببعضنا على هذا النَّحو. لكنَّ هذا لم يبلغْ أبداً الكائنَ الَّذي كان أنا، والَّذي يقومُ ببعضِ الكتاباتِ أيضاً. والنَّاتجة عن عبقريَّة، كما كنتُ أظنُّ، والَّتي لا يمكن مقارنتها على أسسِ الهرميَّة.

س.د.ب: يعني أنَّه كانت لديكَ صداقاتٌ انتقائيَّة، وفي كلِّ الأحوال؛ فقد كانت صداقاتُكَ انتقائيَّةً طيلةَ حياتك. لكنَّ عدمَ وجودِ صداقةٍ مع أحدهم،

ورفضه؛ يعني تأسيسَ لا مساواة بينهم وبين أولئك الَّذين كانت تربطُكَ بهم علاقةُ صداقة. وتقبلُ ذلك.

ع.ب.س: صحيح. في الحقيقة، لكلٍّ منَّا، في شخصِه وفي وعيِهِ، ما يجعلُه عبقريّاً، أو إنساناً حقيقيّاً في كلِّ الأحوال، إنساناً يتمتَّعُ بصفاتِ الإنسان؛ لكنَّ غالبيةَ النَّاس لا تريدها، إنَّهم يتوقَّفونَ عند مستوىً مُعيَّن، ومن ثمَّ فإنَّ هذا الشَّخصَ مسؤولٌ عن المستوى الَّذي بقي عنده. إذاً، من النَّاحية النَّظريَّة، أرى أنَّ الإنسانَ يساوي أيَّ إنسان، وقد تنشأ علاقاتُ الصَّداقة بينهم. لكنَّ هذه المساواة يبدِّدها أناسٌ بالانطباعاتِ الحمقاء، والأبحاثِ الحمقاء، والطُّموحاتِ، وضعفِ الإرادة الأحمق. إذاً؛ نحن إزاءَ أُناسٍ يمكن أن يكونوا متساوين لو أرادوا تغييرَ موقفِهم قليلاً، لكنْ إن بقَوا على حالهم؛ فهم أُناسٌ مضادُّون [لما ينبغي أن يكون عليه الإنسان]؛ وضعوا أنفسهم في ظروفٍ غيرِ إنسانيَّة تقريباً.

س.د.ب: أولئك الَّذين تُطلقُ عليهم اسمَ الأوغاد Salauds، بنحوٍ خاصٍّ.

ع.ب.س: الأوغاد تحديداً؛ هم من يُضحُّون بحرِّيَّتهم ليعترَفَ آخرون بهم، بينما هم في الحقيقة، سيِّئون بسبب ما يقومون به. أحبُّ فعلاً ذلك الإنسانَ الَّذي يبدو لي مالكاً مُجمل خصائص الإنسان؛ كالوعي، والقدرة على الحكم بنفسه، وعلى قول: نعم أو قول: لا، والإرادة، وإنِّي لمقدِّرٌ كلَّ هذا في الإنسان؛ لأنَّ هذا يؤدِّي إلى الحرِّيَّة. في تلك اللَّحظة؛ يمكنني أن أُكنَّ له الصَّداقة، وغالباً ما أحتفظ بهذه الصَّداقة لأُناسٍ لا أعرف عنهم سوى النزرَ اليسير. ثمَّ هناكَ الغالبيَّة، النَّاس الَّذين كانوا إلى جانبي في القطارِ، أو في الميترو، أو في الثَّانوية؛ هؤلاء الَّذين ليس عندي شيءٌ أقوله لهم بصدق. يمكننا النِّقاشُ، على صعيدِ الهرميَّاتِ، والموقعِ الخامسِ، أو الموقعِ العاشرِ الَّذي يُمنَحُ إلى تلميذٍ أو إلى أستاذ.

س.د.ب: وحينما كنتَ في المدرسةِ الثَّانويةِ، هل أدَّتْ علاقاتُ العمرِ بينك وبين تلاميذكَ إلى علاقاتِ عدمِ مساواة، أم بالعكس، كانت علاقاتُ المساواة ممكنة؟

ج.ب.س: طبعاً، علاقاتُ المساواةِ كانت ممكنةً جدّاً. يمكنُ القولُ، لا سيما في دارِ المعلِّمين، فعلاقة السِّنّ تتيحُ نشوءَ هرميَّة سهلة، لكنَّها لا تتوافقُ أبداً، بالنِّسبة لكلٍّ مِنَّا، مع قيمةٍ ذاتِ طبيعةٍ ذاتيَّة، أو قيمةٍ أساسيَّة. كانت مُجرَّدَ طريقةٍ لوضعِ النَّاس في نظامٍ مُعيَّن، بحيث يُمكن الهيمنة عليهم، لكنَّ هذا لم يكن له علاقة بأيِّ واقع. بعبارة أخرى؛ كان هناك الواقعُ الحقيقيُّ الَّذي هو واقعُ كلٍّ مِنَّا، لكنَّه مستور، ويبقى على ما هو عليه، ثمَّ تصنيفٌ كبيرٌ عامٌّ يتطابقُ مع تصنيفاتٍ وُضِعَتْ بالطَّريقة نفسِها، وتمنحُ مرتبةً للشَّخص على شكلِ ظاهرة، في مستوىً يكون فيها واقعُ الشَّخص مُلغىً تماماً. كان ثمَّة مجتمعٌ حيث واقعُ الإنسان مُلغىً تماماً، وأشخاص قادرون على القيام بنوعٍ مُعيَّن من الفعلِ المعطى لهؤلاءِ النَّاس، بوصفه مُميِّزاً لهم؛ لكنْ لا وجودَ لذاتيَّةٍ تُدرك نفسَها بنفسها، أو واقعٍ أساسيٍّ يمكن بلوغه، إمَّا من خلالِ الآخرين، أو من خلالِ مَنْ يملك تلكَ الذَّاتيَّة، أو ذلك الواقع؛ لا شيءَ من هذا كان موجوداً. كلُّ هذا تُركَ بعيداً.

س.د.ب: هل هذا الشُّعور بالمساواة بين النَّاس هو السَّبب وراءَ رفضِك الدَّائم لكلِّ ما يمكنه تمييزك؟ أعني؛ طالما أشارَ أصدقاؤك إلى رفضك، ونفورك حتَّى ممَّا يُسمَّى التَّشريفات، أو التَّكريم. هل هذا مُرتبطٌ أكثر، أو أقلّ بهذا الرَّفض أو النُّفور؟ وفي أيِّ ظروف عبَّرتَ عن هذا النُّفور تحديداً؟

ج.ب.س: هذا مرتبطٌ بذاك حتماً. لكنَّه مرتبطٌ أيضاً بأنَّ واقعي العميق يتجاوز التَّشريفات؛ لأنَّ هذه التَّشريفات يعطيها أناسٌ لأناسٍ آخرين. والنَّاس الَّذين يمنحونَ التَّشريف، سواءٌ جوقة الشَّرف، أو جائزة نوبل، لا يتمتَّعون بميزة المانِح. لا أرى مَنْ يُمكنه منحَ كانط Kant أو ديكارت Descartes، وغوته Goethe جائزةً تعني أنَّك الآنَ تنتمي إلى تصنيفٍ مُعيَّن. لقد حوَّلنا الأدبَ إلى

واقعٍ مُصَنَّفٍ، وإنَّك تنتمي إلى هذه المرتبة أو تلك من مراتب الأدب. هذا الأمر؛ أرفضُ إمكانيَّةَ القيامِ به، وبالنَّتيجة؛ فإنِّي أرفضُ أيَّ تكريم.

س.د.ب: هذا يُفسِّر رفضكَ لجائزةِ نوبل، لكن بعدَ الحرب؛ كان رفضُكَ الأوَّل لجائزةِ جوقةِ الشَّرف.

ج.ب.س: صحيح. بدا لي أنَّ المكافأة بجوقةِ الشَّرف؛ ينالها متوسِّطو القيمة والذَّكاء. يُقال: هذا المهندسُ أو ذاكَ يستحقُّ جائزةَ جوقةِ الشَّرف، بينما لا يستحقُّها مهندسٌ آخر لا يقلُّ أهميَّةً عن الأوَّل. الحقيقة أنَّ مَنْ يحظى بمثلِ هذه الجائزة لا ينالها لقيمته، بل لعملٍ أنجزه، أو بناءً على توصية من رئيسه، أو لظروفٍ من هذا النَّوع. بمعنى أنَّ الجائزة لا تتوافق مع حقيقته. وهذه الحقيقة غيرُ قابلة للتَّكميم (القياس بالكمِّيَّة).

س.د.ب: تلفَّظتَ بكلمة: متوسِّطي الذَّكاء»، كما لاحظتُ، من وقت لآخر، أنَّك تستخدم صفات، وعبارات أرستقراطيَّة جدّاً.

ج.ب.س: لا. أبداً، لأنِّي قلتُ لكِ إنَّه ينبغي وضع الحرِّيَّة، في البداية، والمساواة في النِّهاية، في عمليَّةٍ إنسانيَّة، أي في تطوُّرِ الإنسان. لكنَّ الإنسانَ كائنٌ هرميٌّ أيضاً؛ قد يصبح غبيّاً، أو يُفضِّلُ الهرميَّة على حقيقته العميقة. عند هذا المستوى، أي مستوى الهرميَّة؛ يمكنه أن يستحق الصِّفات التَّشهيريَّة. هل هذا واضح؟

س.د.ب: نعم.

ج.ب.س: أعتبرُ أنَّ غالبيَّة النَّاس المحيطين بنا ما يزالون مُهتمِّين بجائزةِ جوقةِ الشَّرف، أو بجائزةِ نوبل، وبأشياءَ مُشابهة، بينما في الحقيقة، لا علاقةَ لهذا بأيِّ شيء؛ إنَّه مرتبطٌ بتمييز تقدُّمه الهرميَّة، إلى كائنٍ غيرِ حقيقيٍّ، لكنَّه يرتبط بها، من دونِ فهم السَّبب.

س.د.ب: ومع ذلك فإنَّك تقبلُ بعضَ الإقرارات بك. أنتَ لا تقبلُ إقرارَ بعضِ النَّاس واعترافَهم بقيمةِ عملِك الفلسفيِّ، بحيث يمنحونَك جائزةَ نوبل، لكنَّك تقبلُ إقرارَ واعترافَ القُرَّاء، والجمهور، بل تتمنَّاه.

ج.ب.س: صحيح. هذه هي وظيفتي. إنَّني أكتب، ومن ثمَّ؛ أطلبُ من القارئ الَّذي أكتبُ له العثورَ على الأشياء الجيِّدة في ما أكتب. ليس لأنِّي أحسبُ أنَّ هذه الأشياء جيِّدة دائماً، لكنْ حينما تريد المصادفةُ أن تكون جميلةً؛ أرغبُ مباشرةً بأن يراها القارئ على هذا النَّحو.

س.د.ب: لأنَّ عملكَ، إجمالاً، هو أنتَ. فإذا تمَّ الاعتراف بعملِكَ؛ فإنَّه يعني الاعتراف بك في حقيقتك.

ج.ب.س: هو كذلك.

س.د.ب: في حين أنَّ الصِّفة الخارجيَّة الَّتي من شأنها أن تكونَ سبباً في منحك جائزةَ جوقةِ الشَّرف؛ ليسَتْ هي نفسك.

ج.ب.س: لا، هذا تجريد.

س.د.ب: هل تذكر ما الَّذي جرى بالنِسبة لجائزةِ جوقةِ الشَّرف؟

ج.ب.س:كان ذلك في عام ١٩٤٥، وجماعة لندن الَّتي جاءت لتستقرَّ في باريس...

س.د.ب: تقصد ديغول.

ج.ب.س: ديغول، نعم. عيَّنوا وزراءَ، ومعاوني وزراء، وكان ثمَّة وزيرٌ للثَّقافة؛ أندريه مالرو[1] كان وزير الثَّقافة، ورفيقي ريمون آهارون[2] معاوناً لوزيرِ

(١) أندريه مالرو (١٩٠١-١٩٧٦): كاتب ورجل سياسيّ، ومُغامر فرنسيّ، ترك عدّة روايات ودراسات.عيّنه ديغول وزيراً للثّقافة.

(٢) ريمون آهارون (١٩٠٥-١٩٨٣): فيلسوف وعالم اجتماع، وكاتب في العلوم السّياسيّة.

دولة، وراحوا يوزِّعون جوائزَ جوقةِ الشَّرفِ. وهو ما جعلَ رفيقي زيورو [1]، الَّذي تحدَّثتُ عنه في موضعٍ آخر؛ يُفكِّر في منحي جائزةَ جوقةِ الشَّرفِ رغماً عنِّي، وذلك ظنّاً منه أنَّ الأمرَ يُزعجني.

س.د.ب: لأنَّ زيورو كان يُحبُّ أن يقومَ ببعضِ الألاعيب إزاءَك.

ج.ب.س: صحيح. فقد ذهبَ لمقابلةِ والدتي، وأمضى ساعةً معها، وانتزع موافقتها ولم تكنِ المسكينةُ تعرفُ أيَّ شيءٍ عن هذا الأمر، وكان والدُها قد حصلَ على جائزةِ جوقةِ الشَّرفِ، وزوجها أيضاً...

س.د.ب: اعتقَدتَ أنَّ الأمرَ جيِّد.

ج.ب.س: بدا لها أنَّه ينبغي أن يحصلَ ابنُها على هذه الجائزة؛ فقالت بلساني: إنَّني أقبلُ جوقةَ الشَّرف، وإنَّهم سيُفاجئوني بها. قَبِلَت بحسنِ نيَّة.

س.د.ب: بمعنى أنَّها وقَّعت على ورقة.

ج.ب.س: نعم، وقَّعَت على ورقة. كان ذلك امتيازاً من غيرِ حقٍّ؛ لأنَّني أنا من ينبغي عليه التَّوقيعُ على الورقة. لكنِّي لم أعرفْ بالأمرِ إلَّا لاحقاً؛ فذاتَ يومٍ؛ اتَّصل أحدُ الأصدقاءِ هاتفيّاً، وكان له قريبٌ يعملُ في الوزارة، ليقولَ لي: «هل سعيتَ وراءَ جائزةِ جوقةِ الشَّرف؟». صِحتُ من شدَّةِ المفاجأة، ثمَّ أردفَ قائلاً: «إذاً؛ ستنالها». سارعتُ إلى الهاتف، وتحدَّثت مع ريمون آهارون، وقلتُ له: «يا رفيقي العزيز، ثمَّة من يريد منحي جائزةَ جوقة الشَّرف، عليك أن تمنعَ ذلك». لم يسرَّهُ كلامي هذا، ولكنَّه تصرَّف بحيث نجوتُ من جوقة الشَّرف هذه.

س.د.ب: كانت الحكومةُ، إجمالاً، لطيفةً معنا، لأنَّها كانت تضمُّ المقاومين الفرنسيِّين. وفيها بعضُ أصدقائنا، أرادوا مكافأتك بوصفك مثقفاً مُقاوماً، كما فعلوا مع ألبير كامو.

ج.ب.س: بالتَّأكيد.

---

(١) أطلقتُ عليه اسم ماركو في مذكّراتي.

س.د.ب: كانت أفضلُ الظُّروف مُهيَّأة لقبولها. ومع ذلك...

ج.ب.س: كانت ثمّة هُوَّةٌ، حتَّى لو كانت أفضل الظُّروف متوفِّرة؛ لكنَّ القبولَ شيءٌ لا يمكن تصوُّره بالنِّسبة لي.

س.د.ب: لأنَّ جوقةَ الشَّرف تندرج في إطار الهرميَّة البورجوازيَّة. وهو ما يعني دمجكَ في هذا المجتمع.

ج.ب.س: ليس المجتمع البورجوازيّ، بل الهرميَّة؛ ثمَّة هرميَّاتٌ مشابهة في الاتِّحاد السُّوفييتيّ، أو في البلدان الاشتراكيَّة الأُخرى.

س.د.ب: لكنَّكَ قبلتَ عدداً من الجوائز، لذا؛ من المهمّ أن أعرفَ السَّبب، أعني تلك الجائزة الإيطاليَّة...

ج.ب.س: قبلتُ غيرَها. أوَّلاً: قبلتُ جائزةً شعبويَّة في عام ١٩٤٠، هي عبارة عن مبلغ ماليّ صغير يتيح لي إمكانيَّة العيشِ بشكلٍ أفضل. كنتُ أؤدي خدمتي العسكريَّة. أعطيتكِ جزءاً من هذا المال، واحتفظتُ لنفسي بالقسم الآخر وأنا في الجبهة، ممَّا حسَّن وضعي آنذاك. أظنُّ أنَّني كنتُ وقتَها غيرَ مؤمن بالأعرافِ والتَّقاليد، لاعتقادي بأنَّ الحربَ تنزعُ القيمةَ عن الجائزة واللَّا ـ جائزة، وأنَّكَ إن أُعطيتَ جائزةً خلالَ القتال؛ فقد يكون هذا من باب المزاح، ومن ثمَّ يمكن قبولُها. الحقيقة أنِّي لم أكنْ عابئاً بجائزة شعبويَّة؛ لأنَّ لا شيءَ يربطني بالكُتَّاب الشَّعبويِّين. وبالتَّالي؛ فقد قبلتها.

س.د.ب: صحيح، قبلتَ المالَ بوقاحة.



ج.ب.س: نعم، قبلته بوقاحة.

س.د.ب: وقبلتَ أشياءَ من دون فائدة.

ج.ب.س: الجائزة الإيطاليَّة سببُها أنَّني كنتُ مع الشُّيوعيِّين، وأنَّ عدداً منهم كان يعجبني كثيراً؛ بينما لم تكن علاقتي جيِّدة مع الشُّيوعيين

الفرنسيِّين. وبما أنِّي كنت أحبُّ الشُّيوعيِّين الإيطاليِّين؛ فقد عملوا على تنظيمِ احتفالٍ صغير، يقدِّمون فيه سنويّاً، جائزةً لكلِّ مَنْ أبدى ضرباً من الشَّجاعة، أو الذَّكاء خلالَ الاحتلال، وكانت الجائزة من نصيبي تلك السَّنة. وهو ما لم يكنْ متوافقاً أبداً مع نظريَّتي.

س.د.ب: هل كان للجائزةِ علاقةٌ بالاحتلال؟

ج.ب.س: كان لهذهِ الجائزةِ علاقةٌ بالمقاومة. حصلتُ عليها، واللّه وحدَهُ يعلمُ مقدارَ مقاومتي... كنتُ مُقاوماً، وكنتُ أرى المقاومين، لكنَّ هذه المقاومةَ لم تكلِّفْني الشَّيءَ الكثير. كنت واعياً جدّاً بأنَّ موقفي لم يكن، قطعاً. قريباً من مواقفِ أولئك الَّذين سجنَهم الألمان، وتحمَّلوا التَّعذيبَ، وماتُوا في السُّجون. كُنَّا مُقاومينَ حينما كُنَّا كُتَّاباً، بمعنى أنَّنا كُنَّا نكتبُ في مجلَّات سِرِّيَّة، أو نقومُ بأعمال صغيرة من هذا النَّوع. لقد رأيتُ في تلك الجائزة، بالأحرى، اعترافاً من الإيطاليِّين بهذا النَّوع من المقاومةِ الفكريَّة أثناءَ الاحتلال. هذا ما كان يهمُّني. بمعنى أنَّهم ركّزوا على هذا النَّوعِ من الرَّفضِ الَّذي عبَّر عنهُ الكُتَّابُ أثناءَ الاحتلالِ، على الأقلِّ أولئكَ الَّذين عرفتُهم، فأبرزناه في كتاباتنا. إذاً؛ لم أرَ نفسي جديراً بهذا التَّميُّز؛ لأنَّ كُتَّاباً آخرين كان يمكنُهم أن يحصلوا على ما حصلتُ عليه. ولم يحُزْ على هذهِ الجائزةِ سوايَ. وهو ما كان يمثِّل نوعاً من المقاومةِ الفرنسيَّة.

س.د.ب: إذاً، علاقةُ الصَّداقةِ بالشُّيوعيِّينَ الإيطاليِّينَ هي الَّتي اعترفَتْ بعملك، إضافةً إلى رفاقِكَ خلالَ الحرب، وقبلتها، من ثمَّ من بابِ الصَّداقة. لكنَّ هذا الأمرَ لم يمرَّ عبرَ هَرميَّاتٍ، وتشريفاتٍ، وجوائز.

ج.ب.س: قطعاً لا.

س.د.ب: كانت العلاقةُ تبادليَّةً بينَك وبينَ أولئكَ الَّذين...

ج.ب.س: لقد قدَّموا ليَ المالَ.

س.د.ب: وهو الّذي منحتَه لدعمِ حركةٍ لم أعدْ أذكرُ اسمَها. لكن هناك تكريمٌ آخر اقتُرحَ عليك، وألحَّ عليك حتّى بعضُ المقرَّبين لقبولِه؛ هو أن تكون أستاذاً في Collège de France.

ج.ب.س: صحيح، لكنْ، لا أرى سبباً في أن أكونَ أستاذاً في كوليج دو فرانس. لقد كتبتُ كُتباً في الفلسفة، لكنَّ الفلسفةَ طالما كانت مادَّةً يتمُّ تعليمها منذُ القرن الثّامن عشر؛ مادَّةٌ يتمُّ تعليمها إذا كانت تتعلَّق بأنظمة الفلسفة السَّابقة. لكنَّنا نحاول التَّفكير بالحاضر فلسفيّاً، وهذا ليسَ بفضل ما نُعلِّمُهُ للتَّلاميذ. إذ يمكنهم التَّعرُّف على ذلك، لكن ليسَ هناكَ سببٌ يدعو أستاذاً لتعليمِ شيءٍ لم يتطوَّرْ تماماً ولا يعرف قيمتَه. باختصار؛ لم أجدْ سبباً يدعوني، بوصفي فيلسوفاً، للتَّدريس في كوليج دو فرانس؛ لأنَّ الأمرَ كان يبدو لي غريباً عمَّا كنتُ أقومُ به.

س.د.ب: كنتَ تظنُّ أنَّه من الأفضلِ كتابةُ كتبٍ يقرأها النَّاس كما يحلو لهم في وقتٍ يسمحُ لهم بالتَّفكُّرِ فيها، وليس إلقاءَ محاضراتٍ حولهَا من فوقِ المنبر Ex cathedra.

ج.ب.س: صحيح. وينبغي القولُ إنِّي كنتُ مشغولاً جدّاً في تلك الفترة؛ إذ كنتُ أكتبُ كُتباً تَشغل وقتي كلَّه، وكان من شأنِ التَّدريسِ التَّأثيرُ على وقت عملي، إذ كان يمكن أن أخصِّصَ عدداً من السَّاعات خلالَ الأسبوع لتحضيرِ محاضراتٍ حولَ أشياء ينتابني الانطباعُ بأنِّي أعرفُها، وبالتَّالي؛ فلم يكنْ لإلقاءِ المحاضراتِ في كوليج دو فرانس أن يدفعَني إلى الأمام. أمَّا ميرلو ـ بونتي؛ فقد كان ينظرُ إلى الفلسفةِ بأنَّها تقعُ ضمنَ المنظومةِ التَّدريسيَّةِ إلى حدٍّ ما. لم تكنْ كتبُه جامعيَّةً تحديداً، لكن أظنُّ أنَّ بيننا فارقاً، هو أنَّه قَبِلَ الجامعةَ منذُ البدايةِ بوصفِها وسيلةً لممارسةِ الفلسفةِ، وهو ما لم يكنْ رأيي.

س.د.ب: ميرلو ـ بونتي كتبَ أُطروحة.

ج.ب.س: نعم كتبَ أُطروحة.

س.د.ب: امتهنَ التَّدريسَ الجامعيَّ. ينبغي القولُ أيضاً إنَّه كانت لديك اعتباراتٌ عمليَّةٌ؛ فأنتَ بوصفِك كاتباً مُحترفاً؛ كنتَ تكسبُ الكثيرَ من المالِ في تلك الفترة، ومن الطَّبيعيِّ أن يكونَ التَّدريسُ مهنةً تدرُّ المالَ على ميرلو- بونتي ليتمكَّنَ من العيش. وكان لهذا الأمرِ أهميَّتُه الكُبرى، أمَّا هو؛ فكانَ لديه الوقتُ ليدرِّسَ في كوليج دو فرانس؛ لأنَّه لن يكونَ أمامَه سوى القليلِ لو اكتفى بالتَّدريس في السُّوربون.. أظنُّ أنَّ هذا تكريمٌ يُحفِّز الكثيرين من النَّاس في كوليج دو فرانس. أمَّا أنت، بما أنَّه لم يكنْ لديكَ سببٌ عمليٌّ أو اقتصاديٌّ؛ فالأمرُ لا يتعدَّى التَّشريف.

ج.ب.س: لم أكنْ أعتبرُ أنَّ التَّدريسَ في كوليج دو فرانس بمثابةِ تشريفٍ لي.

س.د.ب: لم تعتبرْ أبداً أيَّ شيءٍ بمثابةِ تشريفٍ لك.

ج.ب.س: فعلاً؛ كنتُ أرى نفسي فوقَ التَّشريفاتِ الَّتي يمكنُ أن تُقدَّمَ إليَّ، لأنَّها مُجرَّدةٌ، وغيرُ موجَّهةٍ إليّ.

س.د.ب: إنَّها موجَّهةٌ إلى الآخرِ فيك. بالعودة إلى جائزة نوبل، وهي أكبرُ فضائحِ ما كنتَ ترفضه، والرَّفضُ الأشهر الَّذي أثارَ الكثير من التَّعليقات.

ج.ب.س: أنا على نقيضٍ تامٍّ مع جائزةِ نوبل؛ لأنَّها تقومُ بتصنيفِ الكُتَّاب. لو وُجِدَتْ هذه الجائزةُ في القرنِ الخامسَ عشرَ أو السَّادسَ عشرَ؛ لكُنَّا عرفنا أن كليمان مارو Clément Marot قد حصلَ على جائزة نوبل الَّتي فاتت كانط؛ الَّذي كان يستحقُّها، لكنَّها لم تُمنحْ له لوجودِ تشوُّش، أو لقيامِ بعضِ أعضاءِ لجنةِ التَّحكيم بالتَّشويش؛ ولكانَ يمكن لِفيكتور هيجو أن يحصلَ عليها طبعاً...إلخ.

كان يمكنُ للأدبِ في تلك الفترةِ أن يكونَ هرميّاً تماماً؛ هناكَ أعضاءُ كوليج دو فرانس، وآخرون حصلوا على جائزة غونكور، وغيرهم على تشريفاتٍ أُخرى.. تقوم جائزةُ نوبل على تقديمِ جائزةٍ كلَّ سنة. ماذا تعني هذه الجائزة؟ ما الَّذي يعني أنَّ كاتباً حصل في عام ١٩٧٤ على جائزة، وما الَّذي

يعنيه ذلك بالنِّسبة للنَّاس الَّذين حصلوا عليها قبلَه، أو أولئك الَّذين لم يحصلوا عليها، لكنَّهم كانوا يكتبونَ مثلَه، وربَّما أفضلَ منه؟ ما الَّذي تعنيه هذه الجائزة؟ قد أقول إنَّه في السَّنة الَّتي قُدِّمَتْ لي فيها؛ كنتُ أرفعُ من زملائي، أي من الكُتَّابِ الآخرين، وفي السَّنة الَّتي تلتها؛ ثمَّة آخرُ أرفعُ منِّي؟ هل ينبغي النَّظر إلى الأدب على هذا النَّحو؟ كأُناس متفوّقين في سنة، أو هم كذلك منذُ وقتٍ طويل، لكنْ لا يُعترفُ بهم إلَّا تلك السَّنة بوصفهم متفوّقين؟ هذا عبث. لا شكَّ أنَّ كاتباً ليس أفضلَ من الآخرين في لحظة مُعيَّنة. إنَّه مكافئٌ للمتفوّقين، للأفضل. و«الأفضل»؛ عبارة سيِّئة. إنَّه مُكافئ لأولئك الَّذين ألّفوا كُتباً جيِّدة، وسيبقى الأفضلَ دائماً. ربَّما يكونُ قد كتبَ هذا العملَ قبلَ خمسِ سنواتٍ، أو حتَّى عشرِ سنواتٍ. لا بُدَّ من تجديدٍ لتُستَحقَّ عليهِ جائزةُ نوبل. بعدَ نشري لكتابِ **الكلمات**؛ وجدوه صالحاً، ومنحوني الجائزةَ بعدَ عام، وهو ما يضفي قيمةً على عملي بالنِّسبة إليهم. لكنْ هل ينبغي الاستخلاصُ بأنَّ قيمتي كانت أقلَّ قبلَ عام، وقبل نشري لهذا الكتاب؟ هذا تصوُّرٌ أخرق. وهي فكرةٌ تضعُ الأدبَ ضمنَ هرميَّةٍ مناقضةٍ تماماً لفكرةِ الأدب، بل ملائمةٍ لمجتمعٍ بورجوازيٍّ يريدُ دمجَ كلِّ شيءٍ فيه. إذا كان الكُتَّابُ مندمجينَ في مجتمعٍ بورجوازيٍّ؛ فإنَّهم سيندمجونَ بطريقةٍ هرميَّةٍ؛ لأنَّ الأشكالَ الاجتماعيَّةَ تتكوَّن بهذه الطَّريقةِ. فالهَرميَّةُ هي الَّتي تُدمِّرُ القيمةَ الشَّخصيَّةَ للنَّاس؛ أن يكونَ المرءُ فوقَ، أو تحتَ مفهومٍ أخرق. ولهذا؛ رفضتُ جائزة نوبل، لأنِّي رفضتُ أن أكونَ مساوياً لِهيمنغواي أبداً، وقد عرفتُ الرَّجلَ شخصيّاً، وذهبتُ لرؤيته في كوبا، لكن: أن أكونَ مساوياً له، أو في مرتبةٍ ما قياساً به؛ فهي فكرةٌ بعيدةٌ عنِّي. إنَّها فكرةٌ ساذجةٌ، بل حمقاء.



الأنَفَةُ والكبرياء

س.د.ب: أودُّ العودةَ إلى فكرةِ زَهوِكَ (أَنَفَتك): القولُ بأنَّك أنوفٌ؛ جاءَ نتيجةَ مجمل أحاديثنا. لكن كيف تُعرِّف أَنَفَتَك؟

ج.ب.س: لا أظنُّ أنَّه كبرياء يتعلَّق بِشخصي جان بول سارتر، بوصفه فرداً خاصّاً، بل بالخصائصِ المشتركةِ بين النَّاس جميعاً. كبريائي له علاقة بما قمت به من أفعالٍ لها بدايةٌ ونهايةٌ، وبتغييري لجزءٍ ما من العالم لأنّي أُؤثِّر، وأكتب، وأؤلِّفُ الكتب ـ وهو ما ليس بوسع الجميع، لكنَّ الجميعَ يفعل شيئاً ما ـ، أي النَّشاط الإنسانيّ، وهذا ما يجعلني أنوفاً (مزهُوّاً). ليس لأنّي أرى نشاطي أرفعَ من نشاطِ أيٍّ كان، لكنَّه نشاط. إنَّه زهوُّ الوعيِ المتطوِّر إلى فعل Acte. ولا شكَّ أنَّ هذا يتعلق بالوعيِ بوصفه ذاتيَّة. لكنْ بوصف هذه الذَّاتيَّة تُنتجُ أفكاراً ومشاعر.

إنَّه كونُك إنساناً؛ كائناً وُلدَ محكوماً عليه بالموت، لكنَّه، بين هاتين الحالتين، فاعلٌ ومتميِّزٌ عن بقيَّة النَّاس بعمله وفكره الَّذي يُعدُّ أيضاً بمثابة فكر، وبمشاعره الَّتي هي انفتاحٌ على عالم العمل. من خلالِ هذا كلِّه، ومهما كانت مشاعري، ومهما كانت أفكاري، أرى أنَّ على الإنسان تحديدَ نفسه؛ باختصار: أنا لا أفهمُ كيفَ لا يكون الآخرون مزهوِّين مثلي؛ لأنَّ الزُّهوَ يبدو لي صفةً طبيعيَّة، بنيويَّة للحياة الواعية، وللحياة في المجتمع...

س.د.ب: ولِمَ يفتقر عددٌ من النَّاس، عموماً إلى هذا الزَّهو الذي تتمتع به؟

ج.ب.س: أفترض أن الفقر والقمع هما ما يمنع ذلك في أكثر الحالات وأعمّها.

س.د.ب: هل هناك ثمّة ميل لدى جميع الناس للشعور بنوع من الكبرياء؟

ج.ب.س: هذا ما أعتقده. لأن الكبرياء مرتبط بالتفكير وبالتأثير. بهذا نكشف عن الواقع البشري، وهذا يترافق بوعي للفعل الذي ننجزه، فنسَرُّ منه ونفتخر به. أظن أن هذا هو الكبرياء الذي ينبغي أن نجده لدى جميع الناس.

س.د.ب: ولمَ هناك عددٌ كبير من الناس ليس لديهم كبرياء؟

ج.ب.س: خذي مثالَ ولدٍ يعيش في عائلة مُفكَّكة إلى حدٍّ ما، في بيئةٍ فقيرةٍ، وغيرِ مُتعلِّم، وليس في المستوى الَّذي يطلبُ منه المجتمعُ تقديمَ براهينَ ومواصفاتٍ إنسانيَّةٍ. ويصلُ في هذه الظُّروف، إلى حالةٍ، بعمر الثَّامنة عشرة، أو التَّاسعة عشرة، تنطوي على عملٍ ثانويٍّ، وقاسٍ، وأجرٍ زهيد. قد يكون هذا الولدُ مَزهوّاً بعضلاتِه، لكنَّ هذا الزَّهو ليسَ سوى غرور؛ وليس كبرياء بالمعنى الدَّقيق؛ لأنَّه دائمُ الاغتراب، ومرفوضٌ دائماً وبعيدٌ عن المجال الَّذي ينبغي أن يكون قادراً على التَّاثير فيه مع الآخرين مُؤكِّداً: «فعلتُ كذا، وقمتُ بكذا، لذا يحقُّ لي الكلام».

س.د.ب: هل يمكن اعتبارُ ا الكبرياء بمثابة ميزة طبقيَّة؟

ج.ب.س: لا، أنا لا أقول هذا. أقول إنَّ إمكانيَّات أنْ يتمتَّع المرءُ بالكبرياءِ موجودةٌ الآنَ في طبقة، هي طبقةُ القمع، الطَّبقة البورجوازيَّة أكثر منها في أيِّ طبقةٍ أُخرى، أي الطَّبقة المقموعة، الطَّبقة الكادحة؛ لكنْ يبدو لي أنَّه ما من كائنٍ إلَّا ويتمتَّعُ بهذا الكبرياء. لكنَّ الظُّروفَ تشاءُ أنَّ هذا الأمرَ أسهلُ على بعضِ البورجوازيِّين منه على الكادحينَ المُهانينَ المُذَلِّينَ. لذلك ترى لديهم شيئاً آخر غيرَ الكبرياء، هو **الحاجة إلى الكبرياء**. إنَّهم يشعرون بأنَّ مكانَ هذا الكبرياء الَّذي ينبغي أن يتمتَّعوا به فارغ،، وفي الثَّورة؛ تراهم يُطالبون بأن يكونَ لهم كبرياء؛ أن يكونوا بشراً. ثمَّة كادحونَ، وفلَّاحونَ، نرى من خلالِ أفعالِهم أنَّهم احتفظوا بكبريائِهم. هؤلاء النَّاس يصبحون ثوريِّين. ولئن كانت ظهورُهم محنيَّة؛ فذلك رغماً عنهم.

س.د.ب: ألا تعتقدُ بأنَّ للعائلةِ دوراً كبيراً في التَّربية؟ فلو حظي هؤلاءِ الَّذين ينتمون إلى طبقاتٍ فقيرةٍ بتربيةٍ عائليَّةٍ؛ لحافظوا على كبريائِهم حتَّى في ظروفِ القمعِ والاستغلالِ، خلافاً للبورجوازيِّين الأغنياء الَّذين خرَّبتهم طفولةٌ بُولغ في حمايتها. في هذه الحالة؛ كيف يمكنكَ أن تفسِّرَ لي قدرتَك على التَّمتُّع بالكبرياء؟

ج.ب.س: عشتُ طفولةً بينَ أهلٍ أفرطوا في الحديثِ عن ذكائي، لأنَّني كنتُ حفيدَ جدّي؛ الَّذي كان يرى نفسَه رجلاً عظيماً، وهو ليس كذلك، فوُجِّهتُ إلى الاعتقادِ بأنّي أميرٌ صغير. كنت محظيّاً في هذا الجوِّ البورجوازيِّ الصَّغير حيث أعيشُ، ويعاملني جدِّي بوصفي أميراً صغيراً أتمتَّعُ بميزة لا تُقدَّرُ. وهذا لا يتَّفقُ مع ما قُلتُه عن الكبرياء، لأنِّي لا أظنُّ أنِّي أملك صفةً لا تُقدَّر بثمن، إنَّما كنتُ أظنُّ بأنِّي أتمتَّع بإمكانيَّات بشريَّة؛ إنِّي مزهوٌّ بالكائن البشريِّ الموجود في داخلي. لكنَّ هذا الكبرياءَ جاءني من كبريائي الأوَّل، الَّذي هو كبرياءُ الطِّفل.

س.د.ب: لقد شُجِّعتَ على التَّمتُّعِ بكبرياءِ أن تكون إنساناً.

ج.ب.س: صحيح. أظنُّ أنَّ جدِّي كان يتمتَّع بهذا أيضاً، لكنْ بطريقةٍ أُخرى؛ فقد كان كبرياؤُه يقوم على صفاتٍ شخصيَّةٍ، أكثرَ ارتباطاً بالجامعة: كبرياء واهن، لكنَّه كان يتمتَّع حتماً بالكبرياء.

س.د.ب: لقد وافقتَ جونيه Genet حينما كتبتَ كلمةً عنه: «الكبرياءُ يأتي لاحقاً». هل ترى هذا صحيحاً؟

ج.ب.س: الكبرياءُ سُمِّيَ كبرياء، وأحسَّ لاحقاً بأنَّه كبرياء؛ أي بعد الثَّانية عشرة من عمري، وعشتُ حياةً أولى، كان موجوداً فيها، لكن من دون أن يكون له اسم.



المجموع

س.د.ب: يبدو لي أنَّ ثمَّة شيئاً كنتَ تحبُّه كثيراً أثناءَ دراستك في دار المعلِّمين وهو: المجموع Ensemble

ج.ب.س: صحيح. غالباً ما كُنَّا نرى بعضنا. كان المجموع (مع) يتكوَّن من مجموعات؛ فنذهبُ إلى السينما معاً، ونتناول طعام الغداء معاً. في أغلب الأحيان، نتناول الغداءَ والعشاءَ في دار المعلِّمين معاً. وكانت تدور بين العلميِّين والأدبيِّين مناقشاتٌ من طاولةٍ لأُخرى.

س.د.ب: غالباً ما كنتَ تقول إنَّ سنواتِك في دارِ المعلِّمينَ أسعدُ سنواتِ حياتِك.

ج.ب.س: صحيح، كنتُ فيها سعيداً تماماً.

س.د.ب: إذاً، هل كنتَ تستمتعُ بالحياةِ بين الرِّجال؟ إذ كنتَ طالباً داخليّاً. وكما تقول: كنتم تأكلون معاً، وما إلى ذلك، إذاً؛ صحبةُ الرِّجال كانت مُحبَّبةً إلى نفسك.

ج.ب.س: صحيح، ولكن كانت لي علاقاتٌ مع النِّساء.

س.د.ب: أعرف هذا، فقد كانت لك صديقةٌ اسمها كاميليا، ثمَّ الخطيبة.

ج.ب.س: كان حولي الكثيرُ من النَّاس.

س.د.ب: وبطريقة أُخرى؛ كانت السَّيِّدة موريل Mme Morel هناك، من خلالِ غويل Guille.

ج.ب.س: لكن بشكلٍ عامٍّ؛ كانت الأيَّامُ تمرُّ بصحبةِ الرِّجال.

س.د.ب: وهل كان هذا يعجبك؟

ج.ب.س: كنتُ مع غويل، وماهو، ونيزان؛ نشكِّلُ مجموعةً تُثيرُ الاستهزاء.

س.د.ب: لأنَّكم كنتم مختلفينَ عن النَّاسِ الَّذينَ لا يعجبونكم. مثلاً، كانت علاقتُكم سيِّئة مع ميرلو ـ بونتي. أليس كذلك؟

ج.ب.س: صحيح، لكنِّي حميتُه ذاتَ مرَّةٍ من أولاد كانوا يريدون ضربَه.

س.د.ب: هل صحيح أنَّكم كنتم تردِّدونَ أغانٍ بذيئة، وأراد أن يعترضكم لأنَّه كان كاثوليكيّاً مؤمناً؟

ج.ب.س: لدى خروجه؛ لحقَ به اثنان، وكادا أن يُحطِّما وجهه لأنَّهما كانا غاضبَين جدّاً، عندها خرجتُ بدوري، وكانت تربطني به علاقة صداقة غامضة، ومعي شخص آخر، ولدى وصولنا قلنا: «لا تضرباه، وابتعدا عنه»، فتركاه يرحل، ولم يفعلا شيئاً، ثمَّ رحلا.

س.د.ب: ثمة مناسبة أُخرى في حياتِكَ كنتَ فيها بالغَ السَّعادة، مع مجموعة من الرِّجال في معسكر المعتَقَلين.

ج.ب.س: كنتُ أقلَّ سعادة.

س.د.ب: طبعاً بسبب الظُّروف؛ لكنِّي قصدتُ أنَّك لم تكن مُنزعجاً للعيش بين الرِّجال في تلك الفترة. وليس هذا هو ما جعلَ حياتَك كسجين صعبةً إلى حدٍّ ما، بل ما كانت عليه من النَّاحية الموضوعيَّة؛ لكن كونك مع رجال، وسعيُك لأن يعترفوا بك، والعمل معهم، هل أعجبكَ هذا؟

ج.ب.س: أعجبني

س.د.ب: عجباً، لأنَّه إذا عدنا هنا إلى بقيَّة التَّدرُّج الزَّمنيِّ؛ لرأينا أنَّ صداقاتِكَ مع الرِّجال كانت نادرةً إلى حدٍّ ما، أو مُنتقاة بعنايةٍ فائقةٍ، وأنَّك لم تكنْ تُحبُّ العيشَ كثيراً بين الرِّجال؛ لنبدأ بفترةِ الخدمةِ العسكريَّة...

ج.ب.س: القسم الأوَّل من الخدمةِ العسكريَّةِ قضيتُه في متابعةِ المحاضراتِ في مدرسةِ سان سير Saint-Cyr، وحينها لم تكنْ علاقاتي كثيرةً بالجنودِ الآخرين، باستثناءِ غويل الَّذي اختارَ التَّخصُّصَ نفسَه مع آرون الَّذي كان مُعلِّماً هناك. كان هناك اثنانِ أو ثلاثة أتحدَّث معهم فقط. لكنَّ المعلِّمَ والرَّفيقَ كانا أفضلَ أصدقائي. ثمَّ حينما صرنا في فيلا بولوفينا Villa Polovina؛ وجدتُ نفسي مع اثنين؛ أحدُهما من مدينة تولوز، والثَّاني كان كاهناً مُتعلِّماً تفوحُ من قدميهِ رائحةٌ كريهةٌ رهيبةٌ، وغيرُ ماهرٍ في أداءِ عمله، وكانت علاقتُه بي عاديَّةً لأنِّي لم أُخفِ عليه عدمَ إيماني بالله.

س.د.ب: هل كانت ثمَّة عدائيَّةٌ بينكما؟

ج.ب.س: حينما لا تسيرُ الأمورُ على ما يُرام؛ تصبح العلاقة عدائيَّة. كما أنِّي لم أحبَّ ذلك التولوزيِّ على الإطلاق، لأنه كان سارقاً ومُخادعاً، وبقيَتْ علاقتي به محدودة، ولا أُطيق رؤيتَه إلَّا أثناء الطَّبخ، أو التَّجوُّل في مدينة تور Tours.

س.د.ب: وحينما كنتَ أستاذاً؛ كنتَ حتماً على علاقة بمجموعة الأساتذة.

ج.ب.س: لا، لم أكن على علاقة بهم.

س.د.ب: أقصد أنَّك كنتَ بينهم، وأساتذة آخرون حولَك، فهل كنتَ بعيداً عنهم تماماً؟ لا بد أنَّك كوَّنتَ صداقاتٍ مع بعضهم! ألم يكن لك صديقٌ في لوهافر اسمه بونافيه Bonnafé؟

ج.ب.س: عرفتُ بونافيه، ثمَّ أستاذَ اللُّغة الإنكليزيَّة، لكنَّنا، أنا وبونافيه، كُنَّا نعدُّهُ مُهرِّجاً. كُنَّا نتناول الغداء معاً في المطعم الَّذي وصفتُهُ في **الغثيان**.

س.د.ب: لماذا تكوَّنت صداقةٌ بينك وبين بونافيه؟

ج.ب.س: لأنَّه كان ولداً جميلاً ومُلاكماً، هذا هو السَّبب الرَّئيس.

س.د.ب: بعد ذلك، ألم تُكوِّن صداقاتٍ مع زملائِك في مختلفِ الوظائفِ الَّتي شغلتها في لاوون Laon وباريس؟

ج.ب.س: كنتُ ألتقيهم في الجلساتِ الَّتي تُقدَّم خلالَها لوحاتُ الشَّرف، حينما كنتُ أذهبُ إليها ـ لأنَّهم طالما أخذوا عليَّ عدمَ حضوري لها ـ لكن لا يمكنني القولُ بأنَّه كانت لي علاقاتٌ بهم. بلى، كانت تربطني علاقةٌ بكلٍّ من مانيان Magnane، وميرل Merle: بقيتُ سنتين في ثانويَّة باستور، وهناك كنتُ أرى الاثنين.

س.د.ب: لكنَّك لم تكنْ على علاقةٍ صداقةٍ مع مانيان، أليس كذلك؟ كنتَ تراه، ولكن من دون أن يكون لهذا أهمِّيَّة.

ج.ب.س: لكني كنتُ أراه أكثرَ من ميرل؛ لانشغال ميرل بحياتِه الخاصَّة، ولم يكن لديه مُتَّسعٌ من الوقت، بينما كان الوقت مُتوفِّراً بالنِّسبة لِمانيان.

س.د.ب: ما هي العلاقاتُ الأُخرى الَّتي كوَّنْتها؟ ؛ في مدينة لوهافر، كنتَ تلتقي بِبوست، وبال، وكنت تمارسُ معهما رياضةَ الملاكمة. من المفيدِ أن نتحدَّثَ عن علاقاتِك بتلاميذك.

ج.ب.س: كنتُ أكنُّ لهم الوُدَّ، من حيث المبدأ، وحينما أوجدَ بونافيه رياضة الملاكمة؛ شجَّعتهم على ارتيادِ صالةِ الرِّياضةِ البدنيَّةِ.كُنَّا عشرة أو اثنا عشر. أمَّا الآخرون فلم يكونوا مُتابعين ـ لخوفهم من أن يصيروا مَضحكة، أو أن يوجِّهوا لبعضهم ضربةً غير موفَّقة ـ كُنَّا عشرة نتبادل اللَّكمات من دونِ أن نؤذي بعضَنا.

س.د.ب: كان هناكَ تلاميذ آخرون تحبُّهم، مثل مورزادِك. بشكل عام، هل كنتَ تحبُّهم أكثرَ من زملائك؟

ج.ب.س: لم أكنْ أرى زملائي، كنتُ ألقي التَّحيَّة عليهم، وأسأل عن صحَّتهم، وعائلتهم، وزوجاتهم، ويتوقَّف الأمرُ عندَ هذا الحدِّ.لم أكنْ فَظّاً

معهم، لكنّي لم أكنْ أراهم، ولم يكونوا يسعَون إلى رؤيتي؛ فقد كانت لهم حياتهم؛ كان من بينهم واحدٌ أو اثنانِ لطيفانِ معي.

س.د.ب: بالأساس؛ كنتَ تتعاطفُ مع التَّلاميذ.

ج.ب.س: نعم، بالأساس.

س.د.ب: لكنَّها علاقاتٌ بين رجال، مع ذلك ـ مع الفارق طبعاً ـ، فقد كانوا شباباً، ولم تكن مُسنّاً، ولكن...

ج.ب.س: كان هناك فارقٌ صغيرٌ حينما وصلتُ إلى مدينة لوهافر.

س.د.ب: تقدَّمتَ إلى مسابقةِ أهليَّة التَّعليم في الثَّالثة والعشرين من عمرك، وأدَّيتَ خدمتَك العسكريَّة، يوم كنتَ في السَّادسة والعشرين، أو السَّابعة والعشرين...

ج.ب.س: وأعمارُهم تتراوحُ بينَ السَّادسةَ عشرةَ والسَّابعةَ عشرةَ، وكنتُ أحبُّهم؛ لكنّي لم أكنْ أحبُّ الأوائلَ أو البارزين في الصَّفِّ،، بل أهتمُّ بمن لديهِ أفكار، وكانوا مختلفينَ قليلاً عن الأوائل، وفي بداية تَّفكيرهم.

س.د.ب: لماذا كنتَ تحبُّهم؟ هل لأنَّهم لم يفقدوا مرونتَهم بعد؟ هل لأنَّهم لم يشعروا بعدُ بحقوقِهم، أم لأنَّهم لم يتحوَّلوا إلى أوغاد بعد؟

ج.ب.س: كنتُ قريباً منهم جدّاً من النَّاحية الفكريَّة، وطريقة العيش. كنتُ أكثرَ حرِّيَّةً إلى حدٍّ ما، لأنّي لم أكنْ بين عائلتي، لكن هو الشَّيء نفسه في نهاية المطاف. كانت ثمَّة رابطةٌ بيني وبينَ كلٍّ من بوست وبال، كما لو كانوا أصدقاء، كما هو حالي مع غويل وماهو.

س.د.ب: ثمَّة شخصٌ لم نتحدَّث عنه، أعني زيورو، الَّذي كانت تربطك به علاقة غريبة.

ج.ب.س: كنتُ أشعرُ بتعاطفٍ نحوَه، تعاطفٍ سببُه جسمُه، لقد كان جميلاً إلى حدٍّ ما.

س.د.ب: بل كان شديدَ الجمال.

ج.ب.س: كان مُسلِّياً، ومتهكِّماً، وذكيّاً، إلى حدٍّ ما

س.د.ب: وكان مهووساً بالكذب.

ج.ب.س: ولواطيّاً. وقد حدثَتْ معه قصصٌ في المدينة الجامعيَّة، حيث كنتُ أسكن في الفترة نفسها. لا يمكن القولُ بأنّي كنتُ على تفاهمٍ معه، بل كان تفاهمُه أفضلَ مع غويل، على سبيل المثال.

س.د.ب: لكنَّك كنتَ تراهُ في أغلبِ الأوقاتِ تقريباً.

ج.ب.س: صحيح، كنت أراهُ في أغلبِ الأوقات.

س.د.ب: دعنا نعدْ إلى الشَّباب، لماذا كنتَ تحبُ الشَّباب؟

ج.ب.س: ذلك لأنّي أجدُ نفسي في الشَّباب أكثرَ ممَّا أجدُها في المسنِّين، أو في مَن يضاهونني عُمراً،وبما أنَّهم كانوا يهتمُّون بالفلسفة، كانت لهم طريقتُهم في البحثِ عن الأفكارِ، من دونِ منهجٍ يتوافقُ مع الطَّريقةِ الَّتي كنتُ أبحثُ من خلالِها عن أفكاري وحقائقي. غالباً ما كنتُ أقولُ: عثرتُ على ثلاث نظريَّات هذا الأسبوع. لقد كان لديهم شيئٌ كهذا؛ طريقةُ تفكيرِهم كانت نوعاً من الاختراع، لم يكونوا مصنوعين، بل كانوا بصددِ صناعةِ أنفسِهم. وأنا أيضاً لم أكنْ مصنوعاً، وهو ما كنتُ أشعرُ به جيّداً؛ كنتُ أشعر بأنّي أتغيَّر، وهم كانوا قبلَ التَّغيُّر الَّذي كنتُ أحسُّه في نفسي، وأخيراً؛ كنتُ أراهم كثيراً من خلالِ إجبارِهم على الملاكمة، ثمَّ من دونِ إكراهِهم على العلاقاتِ اليوميَّة.

س.د.ب: كان هناك أيضاً أستاذُ التَّربيةِ البدنيَّةِ، الَّذي كنتَ تراهُ من وقتٍ لآخر.

ج.ب.س: راسكان Rasquin. دعاني إلى الغداءِ في بيته، مع زوجتِه الَّتي طبخَت لي بعناية، طبخاً لم أحبَّه لأنَّه كان يقوم على المحار.

س.د.ب: لمَ هذا من دونِ غيره؟

ج.ب.س: كان شخصاً طويلاً وجميلاً، وعامرَ الجسم، وراويةً للقصص. ما كنتُ أحبُّه هو حيوات النَّاس الَّذين يروون قصصاً جنسيَّة، ومنازعات.

س.د.ب: في المحصِّلة؛ ما كان يعجبُكَ في كلٍّ من بونافيه، وراسكان، كونهم لم يكونوا متبجِّحين، ولا يسعون للتَّواصلِ الفكريِّ معك، بل كانوا حيويِّين، وجميلَين، ويروون القصص.

ج.ب.س: كان كلاهُما يمارسُ الرِّياضةَ البدنيَّة، بالأحرى، كان بونافيه يمارسُ الملاكمة.

س.د.ب: هل كان بونافيه أستاذاً للُغةِ اللَّاتينيَّة؟

ج.ب.س: كان أستاذاً للُغة اللَّاتينيَّة، والفرنسيَّة، واليونانيَّة. لكن ينبغي القولُ إنَّ مدينةَ لوهافر لم تكنْ مركزَ علاقاتي. كنتُ في لوهافر، لكنَّ علاقاتي كانت أعمقَ مع كلٍّ من غويل، وماهو، وتلك السَّيِّدة، أمَّا علاقتي بِنيزان؛ فكانت أقلَّ في تلك الفترة.

س.د.ب: فترَتِ العلاقةُ بينَكما بعدَ عودتِه من عدن Aden، وزواجِه. استمرَأتما في رؤيةِ بعضِكما، لكن من دونِ حميميَّة. بينما بقي غويل شديدَ الحميميَّةِ معك. كان صاخباً في صداقتِه: في البداية، حينما كنتَ تصحبني دائماً معكَ؛ انزعجَ وطلبَ مرَّةً أو اثنتينِ أن يراكَ لوحدك، وأن يبقى لوحدِه معكَ في لوهافر.

ج.ب.س: فعلاً.

س.د.ب: كان لدى غويل دائماً جانباً صاخباً وغيوراً.

ج.ب.س: صحيح. أمَّا ماهو فلمْ يكن كذلك أبداً؛ حيث لم يكن من السَّهل كسبُ صداقته؛ كان انتهازيّاً.

س.د.ب: لقد وصل!

ج.ب.س: وصل، وهذا ما كان يريدهُ بالضَّبط.

س.د.ب: وماذا بعد؟

ج.ب.س: بدأتُ العملَ على روايةِ **الغثيان**، ثمَّ ذهبتُ إلى برلين بعدها.

س.د.ب: هناك أيضاً عشتَ مع مجموعة ذُكوريَّة.

ج.ب.س: صحيح، ولكن كان بيننا امرأة.

س.د.ب: تلك التي أطلقتَ عليها اسمَ المرأة القَمَريّة. لكن إجمالاً؛ كنتَ تعيش مع الرِّجال بنحوٍ خاصٍّ.

ج.ب.س: كانت تلك الحياة؛ عبارة عن نزهة منفردة في برلين، وثمَّ العمل.

س.د.ب: في الحقيقة، ألمْ يكن بينَك وبينَ رفاقِ برلين أيُّ اتِّصال؟

ج.ب.س: لا، كُنَّا نرى بعضَنا خلالَ وجباتِ المساء؛ لأنَّ وجبةَ الظُّهر كانت حُرَّةً؛ حيث كان معنا ما يكفي من المالِ لكي نتناولها. لكنَّنا كُنَّا نتناولُ طعامَ العشاءِ مع بعضنا. كُنَّا ستَّة أو سبعة.

س.د.ب: كنتَ تلتقي سوزيني Susini[1]، وبرونشفيغ Brunschwig[2] بنحوٍ خاصٍّ؟

ج.ب.س: صحيح، لكن كان هناك غيرُهما. كان يأتي بعضُهم لدراسةِ شاعرٍ ألمانيٍّ مُعيَّنٍ، ليكتبوا عنه أطروحةً في ما بعد.

س.د.ب: هل كان هناك مَنْ كرهتَهُ؟

ج.ب.س: كان هناك أستاذٌ نسيتُ اسمَه. وهو شخصٌ طويلٌ يضع نظَّارتين، وله شاربانِ سوداوانِ، لا بدَّ أنِّي أريتُكِ صورَته.

---

(١) لم أعثر على أحد يحمل هذا الاسم سوى جان-جاك سوزيني (١٩٣٣-٢٠١٧): وهو رجل سياسيّ فرنسيّ، وأحد مؤسّسي تنظيم الجيش السّرّيّ المنادي بانتماء الجزائر إلى فرنسا.

(٢) جاك برونشفيغ (١٩٢٦-٢٠١٠): مؤرّخ فرنسيّ.

س.د.ب: ألم تكنْ تحبُّه؟

ج.ب.س: لم أكنْ أحبُّه أبداً. ثمَّ هناكَ آخر، شابٌّ صغيرٌ أيضاً.

س.د.ب: كيف كانت علاقاتُك بمن لم تكنْ تحبُّهم؟ هل كانت عدوانيَّةً أم مُهذَّبة؟

ج.ب.س: مهذبةً عموماً، وعدوانيَّةً قليلاً. وُجِّهَتْ إليّ توبيخاتٌ قويَّةٌ إلى حدٍّ ما، مساءً أثناءَ العشاءِ. إجمالاً؛ كانت علاقاتي مع هؤلاءِ النَّاس صادقةً. كُنَّا نلتقي، ونذهب إلى السِّينما معاً.

س.د.ب: ثمَّة شخصٌ كنتَ تُقدِّرهُ إلى حدٍّ ما، كان اسمه إيرهارد Erhard، على ما أظنُّ.

ج.ب.س: كان شخصاً غريباً.

س.د.ب: هو مَنْ صَحِبنا إلى المرابع اللَّيلية، حينما ذهبتُ لملاقاتِك. وكنتَ تخرج معه.

ج.ب.س: لم أكنْ أخرجُ مع أحد. كنت أذهب بمفردي لتناول الغداء في حيِّ كورفورستيندام Kurfürstendamm الأنيقِ في تلك الفترة. هناك كنتُ أتناولُ الغداءَ في أحدِ المقاهي، أو في مكانٍ قريبٍ من المحطَّة...لم أكن مُهتمّاً بالعلاقاتِ مع الطَّلبةِ الدَّاخليِّينَ الآخرين.

س.د.ب: كنت مُهتمّاً أكثرَ بقصَّتِكَ مع تلك المرأةِ القمريَّة. هل كان لتلكَ المرأةِ أهميَّةٌ أكثرَ من الأشخاصِ الآخرينَ بالنِّسبةِ لك؟

ج.ب.س: صحيح، طبعاً.

س.د.ب: بعدَ ذلك، بدأتَ بنشرِ كُتُبك. هل كنتَ تعرف الكثيرَ من النَّاسِ في تلك الفترة؟

ج.ب.س: قبلَ الحرب؟ نعم، كنتُ أعرفُ عدداً منهم.

س.د.ب: عرفتَ بولان Paulhan، وبريس باران B Parain، وغاستون غاليمار G.Gallimard[١]، وكلود غاليمار Cl.Gallimard. لأنهم ناشرون.

ج.ب.س: ثمَّ تعرَّفتُ إلى كُتَّابٍ. وأذكر اجتماعاً منحوساً في بيت غاليمار بعد ظُهرِ أحد الأيَّام، كان عبارة عن حفل كوكتيل، قبل عام من إعلانِ الحرب، في شهر حزيران عام ١٩٣٨، وفي تمُّوز - آب عام ١٩٣٩؛ كانت النِّهاية، حيث شعرنا بأنَّ شيئاً ما سيقع، ولم يكن الجوُّ ينمُّ عن الفرح في ذلك اليوم. ولم نتحدَّث إلَّا في هذا الأمر. نعم، كنت أعرف القليلَ من الكُتَّابِ الَّذين ينشرون لدى غاليمار.

س.د.ب: هل التقيتَ جواندو Jouhandeau[٢] في ذلك اليوم؟ أليس هو من سألك: «هل كنتَ في الجحيم؟»

ج.ب.س: نعم، هو بعينه.

س.د.ب: لم تَسِرِ الأمورُ على ما يُرام بينكما. لم تجمعْكُما صداقةٌ، بل لقاءات.

ج.ب.س: صحيح. لم أكنْ ألتقي بالنَّاس الَّذين يمارسونَ الأدب.

س.د.ب: هل التقيتَ جيد Gide[٣]؟

ج.ب.س: نعم. التقيتُ جيد. حيث دعَتني أدريان مونييه Adrianne Monnier[٤] إلى عشاء مع جيد لم أعُدْ أذكرُ ما جرى فيه. لكن لم ينفرْ أحدُنا من الآخر، أعني أنا وجيد.

---

(١) غاستون غاليمار (١٨٨١-١٩٧٥): مؤسّس دار غاليمار للنّشر الفرنسيّة الشّهيرة.

(٢) مارسيل جواندو (١٨٨٨-١٩٧٩): كاتب فرنسيّ.

(٣) أندريه جيد (١٨٦٩-١٩٥١): كاتب فرنسيّ معروف.

(٤) أدريان مونييه (١٨٩٢- ١٩٥٥): كاتبة وشاعرة وناشرة وصاحبة مكتبة فرنسيّة، كانت تجمع الكتّاب والأدباء في سهرات ثقافيّة.

س.د.ب: هل كنتَ تُسرُّ لرؤية الكُتَّاب؟

ج.ب.س: نعم؛ كانت ثمَّةَ جلسةٌ مُسلِّية، التقطَتْ أدريان مونييه خلالَها صوراً لعدد من الكُتَّاب، وقد التقيتُ بكثيرٍ منهم بهذهِ الطَّريقةِ مثل فاليري Valéry[1]؛ ثمَّ رأيتُ فاليري مرَّةً أُخرى بعدَ الحربِ في بار Pont-Royal. تواعدنا، لكنِّي لم أعُدْ أذكرُ ما دارَ بيننا من أحاديث. لا أذكر أشياءَ كثيرةً منها.

س.د.ب: هذا كلُّه لم يتجاوزْ حدودَ الفضولِ وتزجيةِ الوقت؛ لأنَّكَ لم تعقدْ أيَّ صداقة.

ج.ب.س: ولا أيَّ صداقة.

س.د.ب: لم تلتقِ السّرياليِّين، مثل أراغون[2] أوغيره.

ج.ب.س: لا، التقيتُ أراغون بعدَ الحرب.

س.د.ب: حسناً، لِنَعُدْ إلى الحرب: هناك أيضاً كنتَ ضمنَ مجموعةٍ من الرِّجال. ما طبيعةُ علاقاتِك بزملائِك العاملينَ في الأرصادِ الجوِّيَّة؟

ج.ب.س: كانت علاقتي جيِّدةً مع بييتر Pieter، الَّذي كان يهوديّاً، وأذكرُ كم كانَ مُكتئباً في عام ١٩٤٠.

س.د.ب: كنتم جميعاً مُعتقلين. فهل كان مُعتقلاً؟

ج.ب.س: نعم.

س.د.ب: ألم يعرفوا أنَّه كان يهوديّاً؟

ج.ب.س: لا.

س.د.ب: كيف تدبَّر أمرَه؟

ج.ب.س: كيف كان بإمكانهم معرفةُ أنَّه كان يهوديّاً؟ إذ لم يكن لديه أوراق.

---

(١) بول فاليري (١٨٧١- ١٩٤٥): شاعر وكاتب، وفيلسوف فرنسيّ مشهور.

(٢) لوي آراغون (١٨٩٧-١٩٢٩): شاعر، وكاتب، وصحفيّ فرنسيّ.

س.د.ب: من اسمه...

ج.ب.س: احتفظَ باسمه، لكنَّه لم يقُلْ بأنَّه يهوديّ.

س.د.ب: يبدو لي أنَّنا رأيناه بعدَ الحربِ مرَّةً أُخرى.

ج.ب.س: رأيته خلالَ الحربِ نفسِها. خرجَ من السِّجنِ، على ما أظنُّ، وتدبَّر أمرَه للهروب.

س.د.ب: هل كنتَ مُتفاهماً معه إلى حدٍّ ما؟

ج.ب.س: نعم؛ لكنَّ علاقتي لم تكن على ما يُرام بالعريف؛ بينما كانت حَسَنةً مع العامل الباريسيِّ مولر.

س.د.ب: لكنَّكَ كنتَ ترى جنوداً آخرين.

ج.ب.س: نعم، كنتُ أرى أمناءَ سرِّ القيادة العامَّة للجنرال، وكُنَّا نتجاذبُ أطرافَ الحديث.

س.د.ب: هل كانوا متعاطفين معكَ بشكلٍ عامٍّ؟

ج.ب.س: بييتر كان مُتعاطفاً معي، أمَّا العريف بيير؛ فلم يكنْ كذلكَ أبداً.. فقد كنتُ وإيَّاه أُستاذَين. وكان من شأنِ هذا أن يربطَنا ببعضنا، كما كان يشعر بيير، أمَّا أنا؛ فلم أكن أشعرُ بذلك، ولم يكن مسروراً منِّي بسببِ غيابِ هذه العلاقة.

س.د.ب: سبق أن تحدَّثتَ عن تجربتك في السِّجن، لكن هل لديكَ أشياء أُخرى صغيرة تريد الحديث عنها؟

ج.ب.س: عرفتُ بينارBénard في مُعسكر الاعتقال. كان يسكن مدينة لوهافر، وتزوَّج ابنةَ صاحبِ صحيفة Le Petit Havrais، وعمل مُحرِّراً فيها قبلَ الحرب، وكان مولعاً بزوجته الَّتي كانت تلميذتي في لوهافر.

س.د.ب: لكن، لِمَ ارتبطتَ به؟

ج.ب.س: كان مُسلِّياً. وخصوصاً أنَّه يتكلَّمُ بشكلٍ جيِّدٍ في المعسكرِ، كانت تربطنا علاقاتٌ غريبة، هي علاقاتُ عمل، ومقاومةٌ للضُّباطِ والجنودِ العُملاءِ

للألمان. فكان يساعدني، ويهتمُّ بموضوعِ الغذاءِ بشكلٍ جيِّد جدّاً. كنتُ على علاقةٍ به وبأحدِ الخوارنة بنحوٍ خاصٍّ، هو القسُّ لوروا. وكانت علاقتي دائمةً بالقساوسة، الَّذين خُصِّصَتْ لهم تخشيبة لوحدهم.

س.د.ب: لماذا اخترتَ هؤلاء القساوسة؟

ع.ب.س: لأنَّهم مُثقَّفين، إضافةً إلى أنَّهم جنَّدوني، كما جنَّدوا آخرين. فإذا كان المثقَّف قادراً على التَّفاهم مع قساوسة، في ظروف كهذه، فإنَّهم يتبنَّونهُ. وكان من بينهم الأب بيران، الَّذي حافظتُ على علاقاتٍ طيِّبة معه.

س.د.ب: ماذا عن الآخرين الَّذين لم يكونوا مُثقَّفين؟، هل كنتَ على علاقة بهم؟

ع.ب.س: نعم، علاقاتي الأكثر كانت معهم، لأنَّنا كُنَّا في التَّخشيبة نفسِها.

س.د.ب: كيف كان شعورُكَ إزاءَهم؟

ع.ب.س: كانت تخشيبتي تضمُّ الفنَّانين؛ منهم مَنْ كان يعزف على آلة الترومبيت، وآخر يُشرف على المسرح يومَ الأحد مثل شوميس Chomisse؛ وغيرهم كانوا مُغنِّين، أو ممثِّلين مُرتجِلين إلى حدٍّ ما.

س.د.ب: إجمالاً؛ ألم يكنْ وجودُك في وسطِ الرِّجال مُزعجاً لك؟

ع.ب.س: لم يكن يزعجني أبداً.

س.د.ب: ألم تكنْ تشعر بالاحتقار، والقرف، والعزلة، والوحدة؟

ع.ب.س: كانت ثمَّةَ عزلةٌ طالما أنِّي كنتُ أفكِّر في أشياء لم يكونوا يفكِّرون فيها: فقد كنتُ أسردُ القصص، وأجلس إلى طاولةٍ في وسط التَّخشيبة، وأتحدَّث، بينما كانوا يضحكون. كنتُ أقصُّ عليهم أيَّ شيء؛ لاعباً بذلك دورَ الأحمق.

س.د.ب: بمعنى أنَّك كنتَ تسعى إلى إيجاد علاقة معهم، وهو ما حقَّقتَه.

ع.ب.س: صحيح، بشكل جيِّد جدّاً.

س.د.ب: أعتقد، مع أشخاص لم تكن تحبُهم على الصَعيد الفرديِّ.

ج.ب.س: صحيح، ثمَّة منهم مَنْ لم يكنْ يعجبني على الصَعيد الفرديِّ.

س.د.ب: لكن، ما الَّذي كان يجعلك تحبُّ هذا، ولا تحبُّ ذاك؟

ج.ب.س: إجمالاً، لم أكنْ أحبُّ الشَّخص الَّذي لايتصرَّف وفقَ القواعدِ المعمولِ بها؛ إذ ثمَّة دائماً لعبةٌ في العلاقاتِ القائمةِ بين النَّاس. مثلاً، ففي مُعسكرِ الاعتقال؛ ثمَّة طريقةٌ للعيش مع الآخرين. فهذا يودعُ سرَّه إلى الآخرين، وآخرُ يطلب منهم النَّصيحة، إلخ.حسناً، أولئك الَّذين كانوا يفيدون من ذلك لتحقيقِ بعض المزايا، هم من يثيرون نفوري أوَّلاً، وقد يتحوَّلون إلى أعداء حقيقيِّين؛ شوميس، على سبيل المثال، كان من أولئك الَّذين لا نعرفُ حقيقته؛ ويُزعَمُ أنَّه كان يفتحُ أبوابَ السَّيَّارات لمرتادي سينما -Gaumont Palace. وهو أمرٌ غيرُ ممكن.

س.د.ب: لكن، ليس هذا هو ما دفعكَ إلى النُّفور منه، أليس كذلك؟

ج.ب.س: لم أكنْ أحبُّ تكتمه، وروايته الأكاذيب عمَّا كانت عليه حياته.

س.د.ب: لم تكنْ تحبُّ المنافقين أو المحتالين.

ج.ب.س: نعم، لم أكنْ أحبُّ المحتالين، هذا هو الأساس.

س.د.ب: وماذا عن الكذَّابين..

ج.ب.س: الكذَّابونَ لا يضايقونَني.

س.د.ب: أعرفُ أنَّك كنتَ تحبُّ لوروا، على سبيل المثال، لأنَّه كان بالغَ الوفاءِ، والشَّجاعةِ، إذ لم يُرِدْ تغييرَ معسكره، والإفادة من مزايا القساوسة، أراد أن يبقى في تخشيبته. كنتَ تحبُّ من يتمتَّعون بشخصيَّة مُعيَّنة، أي الصلبين.

ثمَّةَ الكثيرُ من الصَّداقات الهامَّة الَّتي عقَدتَها خلالَ الحرب، بعد أن عُدتَ إلى باريس وكنتَ على علاقة بالمقاومة الفكريَّة؛ على مَنْ تعرَّفتَ في تلك الفترة؟

ج.ب.س: تعرَّفت على أشخاص نسيتُ أسماءَهم.

س.د.ب: كان كلود مورغان Cl. Morgan[١] منهم.

ج.ب.س: نعم كلود مورغان، وبعد فترة وجيزة تعرَّفت على كلود روا Cl.Roy[٢].

س.د.ب: ما هو العمل الَّذي كنتم تقومون به؟

ج.ب.س: كُنَّا نكتبُ في صحف صغيرة، لا سيما **الآداب الفرنسيَّة** Lettres Francaises.

س.د.ب: هل كنتَ تشعرُ بالتَّضامن مع هؤلاء النَّاس، كما كنتَ تشعر به إزاءَ معتقلي المعسكر؟

ج.ب.س: نعم، إلى حدٍّ ما.

س.د.ب: أعتقد أنَّك عرفتَ كامو Camus، بعد المقالة الَّتي كتبتَها عنه. ما هي الصَّداقات الَّتي كوَّنتها في تلك الفترة؟

ج.ب.س: كان هناك جياكوميتي Giacometti، لكنَّه سرعان ماسافر إلى سويسرا، وعادَ منها بعد الحرب.

س.د.ب: تعرَّفنا إليه خلالَ السَّنوات الأُولى.

ج.ب.س: ثمَّ أسرعَ بالرَّحيل إلى سويسرا في عام ١٩٤٢.

س.د.ب: ألم تكنْ تربطُك به علاقةٌ خلالَ الحرب؟

ج.ب.س: لا، كانت علاقتي به أقلَّ حميميَّة ممَّا أصبحَتْ عليه لاحقاً.

س.د.ب: إلى مَنْ تعرَّفتَ خلالَ الحرب؟

ج.ب.س: ليريس Leiris وزوجتُه.

---

(١) كلود مورغان (١٨٩٨-١٩٨٠): كاتب وروائيّ وصحفيّ فرنسيّ.

(٢) كلود روا (١٩١٥-١٩٩٧): شاعر، وصحفيّ، وكاتب.

س.د.ب: كيف تعرفتَ عليه؟ ربَّما من خلالِ مجلَّة **الآداب الفرنسيَّة؟**

ج.ب.س: من خلال المقاومة. قرأتُ كُتبَه كلَّها في تلك الفترة، وربطتنا صداقةٌ بسيطةٌ، وعظيمةٌ، وقويَّةٌ جدّاً. غالباً ما كان يدعونا وزوجته لتناولِ العشاء؛ لم تكنْ أنواعُ معارفه، بوصفه عالم اجتماع، تتَّفقُ مع معارفي، كما كانت اهتماماتُه وأبحاثُه مختلفةً عن اهتماماتي وأبحاثي. لكنَّ هذا لم يمنعْ إعجابَنا بهذين الزَّوجين.

س.د.ب: ثمَّة شخصٌ لم نتحدَّثْ عنه أبداً، رغمَ المكانة الَّتي كان يحتلُّها لديكَ قبلَ الحرب، وخلالها؛ أقصد ديلان Dullin[١].

ج.ب.س: آه، ديلان، كنتُ أكنُّ له الكثيرَ من التَّقدير.

س.د.ب: وهناك أيضاً كينو Queneau[٢].

ج.ب.س: تعرَّفنا على كينو وزوجته في بيت ليريس[٣].

س.د.ب: حوالي عام ١٩٤٣؛ كانت تُقام تلك الاحتفالات Fiesta...

ج.ب.س: حيث تعرَّفنا على باتاي Bataille[٤]، وليبوفيتش Leibowitz، وجاك لومارشان Jacques Lemarchand[٥]، وعالَمٍ أدبيٍّ بأكمله. لم يكنْ عالَم الأدب هذا، في تلك الفترة، يتبدَّى في الصُّحفِ اليوميَّة، وكفَّ عن إنتاج الكُتُب، وبقي الجميع متحفِّظين، لكنَّه كان ما يزال يجتمع، حيث التقينا بيكاسو. في مقهى فلور Flore، على سبيل المثال. وكان ثمَّة مطاعم نرى فيها أُناساً يُحيطون بكلٍّ مِن بيكاسو وليريس، لا سيما في المطعم المسمَّى كاتالان.

---

(١) شارل دي؛ لأنَّ (١٨٨٥-١٩٤٩): ممثل ومخرج فرنسيّ.

(٢) ريمون كينو (١٩٠٣-١٩٧٦): روائيّ، وشاعر، وكاتب مسرحيّ فرنسيّ.

(٣) ميشيل ليبريس (١٩٠١- ١٩٩٠): كاتب وشاعر، وإتنولوجيّ فرنسيّ.

(٤) جورج باتاي (١٨٩٧- ١٩٦٢): كاتب فرنسي، كتب تقريباً في كلّ الميادين.

(٥) جاك لومارشان (١٩٠٨-١٩٧٤): كاتب وناقد مسرحيّ فرنسيّ. أشرف على إحدى السّلاسل الّتي تصدرها دار غاليمار الفرنسيّة.

س.د.ب: لكنَّنا لمْ نكن نتردَّد عليه، لأنَّ أسعاره كانت مرتفعة بالنِّسبة لنا.
ع.ب.س: لكننا ارتدناه مع ذلك، حيث دُعينا مرَّتين أو ثلاث.

س.د.ب: ربَّما. ثمَّ مُثِّلَتْ فيه مسرحيَّة بيكاسو: **الرَّغبة الممسوكة من ذيلها** .Le Désir attrapé par la queue

ع.ب.س: وتعرَّفنا على أصدقاء بيكاسو عن كثب.

س.د.ب: ما هي طبيعة علاقتك بِبيكاسو؟
ع.ب.س: قليلة إلى حدٍّ ما، لكنَّها لطيفةٌ جدّاً. استمرَّت حتَّى التَّحرير. بعدها شغَلَهُ الحزب الشُّيوعيُّ، إضافةً إلى أنَّه كان يعيش في الجنوب، ولم أعدْ أراه إلا نادراً. كانت علاقتي به سطحيَّة جدّاً.أي؛ علاقة مجاملة، لكنَّها كانت دائماً صادقة.

س.د.ب: حدِّثني عن النَّاس الَّذين كانت علاقتك بهم أكثرَ وُدّاً، مثل كامو.
ع.ب.س: التقيتُ كامو عام ١٩٤٣، في العرض العامِّ لمسرحيَّة **الذُّباب**، حيث جاء إليَّ وقال لي: أنا كامو.

س.د.ب: صحيح. كتبتَ مقالةً نقديَّةً حارَّةً عن روايته **الغريب**.
ع.ب.س: كان هذا يعني أنِّي كنت أعلِّقُ أهميَّةً خاصَّةً على هذا الكتاب.

س.د.ب: هلَّا حدَّثتني عن علاقتك بِكامو؟ بدايتها، وامتداداتها.
ع.ب.س: الحديث عن بدايتها، واستمرارها بعدَ الحرب أمرٌ بالغُ التَّعقيد...كانت علاقاتنا غريبة، لم تكنْ تتلاءم مع ما كان يرغب في إقامتها مع النَّاس، وحتَّى نحن؛ لم تكن بيننا علاقاتٌ نحبُّ أن تكون بيننا وبين النَّاس.

س.د.ب: ليس في البداية. أنا أحببتُ كثيراً علاقاتنا بِكامو.
ع.ب.س: ليس في البداية. كانت حسنةً خلالَ عام أو عامين. كان إنساناً غريباً، بالغَ الخشونة، لكنَّه كان غريباً في أغلب الأحيان. كان مُنخرطاً تماماً

في المقاومة، ثمَّ أشرفَ على صحيفة Combat. ما جعله قريباً مِنَّا بشخصيَّتُه الجزائريَّة، ولكنتُه الشَّبيهة بلكنةِ أهلِ الجنوبِ الفرنسيّ، وكانت له صداقاتٌ إسبانيَّة تعود إلى علاقاته بالإسبانيّين والجزائريّين...

س.د.ب: لا سيما آنَّ علاقاتنا لم تكنْ مُتصَنِّعة، وكُنَّا جَدّيِّين، ومثقَّفين: نأكل ونشرب..

ج.ب.س: كان ينقصُه نوعٌ من حميميَّةٍ لم يكن يفتقر إليها أثناء المناقشات، لكنَّها لم تكن عميقة. كُنَّا نشعر بأنَّ ثمَّة أشياء من شأنها أن تخلق تصادماً بيننا إن تطرَّقنا إليها، لذلك كُنَّا نتحاشاها. كُنَّا نُكنُّ وُدّاً كبيراً لِكامو، لكنَّنا كُنَّا نعرف أنَّه لا ينبغي أن نذهبَ بعيداً معه.

س.د.ب: كان ذلك الشَّخص الَّذي يمكن أن نتسلَّى معه أكثر من غيره، وغالباً ما نلتقي، ونروي لبعضنا الكثيرَ من القصص.

ج.ب.س: نعم، كانت تربطنا به صداقةٌ حقيقيَّةٌ، لكنَّها كانت صداقةً سطحيَّة. كان النَّاس يظنُّون أنَّهم يرضوننا حينما كانوا يسموننا بالوجوديِّين الثلاثة، وهو ما كان يُغضِب كامو. وهذا صحيح؛ إذ لم يكن له أيُّ علاقة بالوجوديَّة.

س.د.ب: إذاً: كيف تطوَّرت علاقاتك معه؟. لقد خطر بباله إخراجُ مسرحيَّتك **الأبواب المغلقة**، ولعبَ دورَ غارسان، ما يعني أنَّكما كنتما قريبَين جدّاً من بعضكما عام ١٩٤٣.

ج.ب.س: وفي عام ١٩٤٤ أيضاً؛ انضممتُ إلى مجموعته من المقاومين، قبل التَّحرير بقليل. والتقيتُ أُناساً لم أكنْ أعرفُهم، يجتمعون مع كامو لمناقشة ما يمكنُ للمقاومةِ القيامُ به خلالَ تلك الفترة الأخيرة من الحرب. لكنْ تمَّ اعتقالُ الكثيرين من هؤلاء النَّاس خلالَ الأسابيع التَّالية، من بينهم صبيَّة اسمُها جاكلين برنار.

س.د.ب: بعد ذلك؛ طلبَ منكَ إجراءَ تحقيقٍ صحفيٍّ حولَ تحرير باريس، وزرتَ أمريكا لصالحِ صحيفة Combat.

ج.ب.س: كان كامو هو مَنْ أدرجَ اسمي كصحفيٍّ للذَّهاب إلى أمريكا لصالح صحيفة Combat.

س.د.ب: ومتى بدأت الأمور تفسد بينكما؟ أذكر ذلك النِّقاشَ الحادَّ مع ميرلو ـ بونتي.

ج.ب.س: نعم، لقد حيَّرَنا ذلك الأمر؛ فقد وقع هذا ذات مساء عند بوريس فيان عام ١٩٤٦. كان قد قضى عدَّة أيَّامٍ مع امرأةٍ رائعة الجمال ماتت بعدها، وبسبب هذه القصَّة الغرامية، وهذا الانفصال، كان مُنغلقاً على نفسه، وحزيناً؛ حيَّا الجميعَ، ثمَّ راح يهاجم ميرلو ـ بونتي بسببِ مقالته حولَ كوستلر Koestler والبلشفيَّة.

س.د.ب: لأنَّ ميرلو ـ بونتي كان يميل إلى الشُّيوعيَّة في تلك الفترة.

ج.ب.س: نشرتُ هذه المقالة المعنية في مجلَّتي **الأزمنة الحديثة**، وبالتَّالي كنت ضِدَّ كامو. لا شكَّ أنَّ كامو لم يكن حاقداً عليَّ في تلك اللَّحظة، لكنَّه لم يعُدْ قادراً على احتمال ميرلو ـ بونتي. كما لم يكن مُنحازاً لأطروحة كوستلر، لكن كانت لديه أسبابٌ شخصيَّة جعلته مُنحازاً إليه.

س.د.ب: زد على هذا أنَّ علاقته كانت غريبةً معك؛ وغالباً ما كان يقول إنَّه حينما يراك يكون مُتعاطفاً معك، لكن من بعيد؛ كانت لديه أشياءٌ كثيرة يلومك عليها؛ وتحدَّث عنك بطريقةٍ كريهةٍ إلى حدٍّ ما أثناءَ جولةٍ قام بها إلى أمريكا.

ج.ب.س: صحيح. كان له موقفٌ مُزدوج.

س.د.ب: لمْ يُرِد العملَ معنا في المجلَّة، وأعتقد أنَّه كان بالغَ الانزعاج من عدِّهِ بمثابة أحد تلاميذك، لأنَّه أصغر منك، ولكونك أكثرَ شهرةً منه. كان

نَفُوراً، ولم يكن يحبُّ هذا الأمر كثيراً. هل تعاظمت الأمور على هذا النَّحوِ بحيث بلغت حدَّ القطيعة؟

ج.ب.س: كان الأمرُ مزعجاً قليلاً، وبما أنَّ تلك السَّيِّدة قد قطعت علاقتها به لأسباب شخصيَّة؛ فقد انزعجَ منِّي قليلاً أيضاً؛ إنَّها قصَّة مُعقَّدة. وكانت له مشكلة مع صديقته الممثِّلة ماريا كازاريس، وتشاجر معها. وبعد أن قطع علاقته بها؛ اعتبر أنَّنا كُنَّا وراءَ هذه القطيعة. أذكرُ أنِّي كنتُ وإيَّاه في أحد البارات، حيث كُنَّا نتردَّد كثيراً في تلك الفترة، كنت معه لوحدي، بعد أن أصلحَ علاقته بِكازاريس، كان يمسك برسائل قديمة منها، أراني إيَّاها قائلاً: «آه، هذا ! حينما عثرتُ على هذه الرَّسائل، وحينما تمكنتُ من قراءتها...». لكن السِّياسة فرَّقتنا عن بعضنا.

س.د.ب: هذا يفترضُ وجودَ نوعٍ من الحميميَّة بينكما على الصَّعيد الخاصِّ.

ج.ب.س: نعم، كانت هذه الحميميَّةُ بيننا طالما كُنَّا معاً، ولم تكن اختلافاتنا السِّياسيَّة تضايقنا خلالَ المناقشة. مثلاً؛ عاد إلى كازاريس، وجاء لرؤيتها تتدرَّب على مسرحيَّةِ **الشَّيطان والله**، هل تتذكَّرين ذلك؟

س.د.ب: بالفعل. لكن ما هي هذه الاختلافات السِّياسيَّة، وكيف انتهت علاقتكما بالانفجار؟ هل كان ذلك بسببِ حركةِ الديمقراطيِّين الثَّوريِّين R.D.R. الَّتي كان عضواً فيها؟

ج.ب.س: لا.

س.د.ب: متى وقعت الخصومة النهائيَّة إذاً؟

ج.ب.س: وقعت الخصومة النهائية بيننا حينما نشرَ كتابه **الإنسان المُتمرِّد**. فبحثتُ عمَّن يكتبُ عنه نقداً في مجلَّة **الأزمنة الحديثة** من دون مهاجمته كثيراً، لكنَّ الأمرَ كان صعباً. إذ لم يكن جانسون Jeanson موجوداً في تلك الفترة، ولم يشأ أحدٌ من محرِّري المجلَّةِ القيامَ بهذه المهمَّة، لأنِّي

أردت أن تكونَ الكتابةُ متحفِّظة، لإجماعهم على مقت هذا الكتاب. مرَّت ثلاثةُ أشهرٍ من دون أن يكتبَ أحدٌ من **الأزمنة الحديثة** شيئاً عن **الإنسان المُتمرِّد**. ثمَّ عاد جانسون من رحلته وقال لي: «أنا أريد أن أكتبَ عن الكتاب». زدْ على هذا أنَّ موقف جانسون كان مُعقَّداً إلى حدٍّ ما؛ إذ كان يسعى وراءَ أُناسٍ مثل كامو ليرى إن كانوا يريدون تأسيسَ مجلَّةٍ تقف على الجانب الآخر من **الأزمنة الحديثة**، ويساريَّة باعتبار أنَّ **الأزمنة الحديثة** كانت إصلاحيَّة، بينما المجلَّة المنْويُّ تأسيسُها ستكون ثوريَّة.

س.د.ب: غريبٌ أن يتمَّ هذا التَّنسيق مع كامو، إذ لا علاقةَ له بالثَّوريَّة.

ج.ب.س: طلبَ من بعض النَّاس. وطلب من كامو، لكنْ حتماً لم يكن بإمكانه أن ينجح. ربَّما أراد أن ينتقمَ من كامو لأنَّه رفضَ العمل معه، فكتب المقالة بطريقةٍ لم أكنْ أتمنَّاها، أي إنَّها كانت عنيفة، وصادمة، وبيَّنَت بسهولة العيوبَ الَّتي تعتورُ الكتاب.

س.د.ب: في كلِّ الأحوال؛ ما كان لكَ أن تراقبَ مقالةً لأحدِ مُساعديك.

ج.ب.س: لا؛ لكنَّ ميرلو ـ بونتي كان مُنزعجاً من هذه المقالة ورأى ـ بوصفه المسؤول الوحيد في باريس ـ أنِّي ما كنتُ لأرضى عن نشرها؛ أراد أن يدفعَ جانسون إلى تغيير رأيه، ووقعَ بينهما خلافٌ حادٌّ، لكنَّه لم يتمكَّن إلَّا أن يسمحَ بنشرِ المقالة. ونشرت فعلاً لكن بشروط خاصَّة، إذ قَبِلَ جانسون ـ وهو التَّحفُّظ الوحيد الَّذي قَبِلَ به ـ أن يعرضَ المقالة على كامو قبلَ نشرِها، وسؤاله عمَّا إذا كان موافقاً على ذلك. غضب كامو وكتبَ مقالةً توجَّه فيها إليَّ بقوله: **السَّيد المدير**، وهو ما ينطوي على التَّهكُّم، إذ اعتدنا أن نخاطبَ بعضنا بحُرِّيَّة، ولا نستخدم ضميرَ المفرد المخاطب، أو لفظة «سيِّد» بيننا. عندئذٍ؛ كتبتُ مقالةً للرَّدِّ على التَّلميحات الَّتي وجَّهها إليّ؛ لم يتكلَّم كامو كثيراً عن جانسون في مقالته، ونسب أفكاره إليَّ، كما لو كنتُ كاتبَ المقال. فجاء ردِّي

عليه قاسياً إلى حدٍّ ما، وهنا؛ انقطعت علاقتنا. لكنِّي بقيتُ أحتفظ له بالوُدِّ برغمِ اختلافِ سياسته عن سياستي تماماً، ومنها موقفه خلالَ حربِ الجزائر.

س.د.ب: حدث هذا لاحقاً. في الوقت نفسه الَّذي كان يلعب فيه دورَ إحدى الشَّخصيَّات، وأصبح مُهمّاً. اختلف كثيراً عن ذلك الشَّابِّ الكاتبِ المرحِ جدّاً، والمسلِّي، والَّذي أسكَرَهُ المجد، لكنْ بطريقة ساذجة؛ لكن، ما هي طبيعة علاقتك بكلٍّ من ميرلو ـ بونتي، وكوستلر؟

ج.ب.س: لم تكنْ علاقتي عميقةً بكليهما. كنت أُكنُّ الكثيرَ من الاحترام لِميرلو ـ بونتي، وصدقتُ تماماً في مقالتي الَّتي كتبتها لدى موته، لكنَّه لم يكن شخصاً سهلَ المعشر.

س.د.ب: في كلِّ الأحوال؛ لم يكن شخصاً تحبُّ مخالطتَه. لا أذكر أنَّنا تناولنا العشاء معه أبداً، ولم يشارك في احتفالاتنا على الإطلاق، أو يدخل حياتنا الخاصَّة أبداً.

ج.ب.س: وكان يشير إلى ذلك.

س.د.ب: باستثناءِ تلك المرَّة الَّتي التقيناهُ فيها في سان ـ تروبيه Saint-Tropez. إجمالاً؛ كان لا بُدَّ من توفُّرِ ظروفٍ استثنائيَّة لكي نلتقي به.

ج.ب.س: لم نكنْ على وفاق في مناقشاتنا.

س.د.ب: وماذا عن كوستلر؟ كان أكثرَ أُنساً.

ج.ب.س: تعرَّفنا عليه في بور ـ رويال. حيث عرَّفنا بنفسه هناك؛ نهض وقال: «أنا كوستلر».

س.د.ب: كنتَ تحبُّ روايته **الوصيَّة الإسبانيَّة** كثيراً.

ج.ب.س: صحيح. حيَّيناهُ بلطفٍ كبير، وبقينا معه قليلاً، واعتباراً من تلك اللَّحظة؛ تكرَّرت لقاءاتنا، لكنَّنا سرعان ما ضجرنا من أحاديثه المناهِضة

للشُيوعيَّة، ليس لأنَّنا كُنَّا أصدقاءَ مُتحمِّسين للشُيوعيِّين، لكنَّ عداءَ كوستلر للشُيوعيَّة لم يكنْ بذي قيمة. فقد كان شيوعيّاً، ثمَّ قطع علاقته بالشُيوعيَّة، ولم يحدِّثنا عن الأسباب العمليَّة الَّتي دفعته إلى هذه القطيعة. كان يقدِّم أسباباً نظريَّةً مرتبطةً بأسباب عمليَّة وليست نظريَّة: ما هي؟.كُنَّا نجهلها، على الأقلِّ أنا، وأنتِ. كان يُفرط بالحديث عن مناهضته للشُيوعيَّة؛ وذهبإلى إيطاليا لإجراءِ تحقيقٍ صحفيٍّ، فعاد مُرتاعاً من الحركة الشُيوعيَّة الإيطاليَّة، وغصَّت الصُّحف كلُّها بذرائعه المناهضة للشُيوعيَّة.

س.د.ب: وهناك شيءٌ فيه أزعجنا، هو: علمويتهُ Scientisme[1].

ج.ب.س: كانت علمويتهُ تزعجنا، لقلَّة معارفه، واستخدامه لمفاهيم مُسطَّحَة لكتابةِ كُتبٍ تبسيطيَّة.

س.د.ب: زِدْ على هذا نفورَه من الشَّباب؛ أذكر مرَّةً أنَّ إحدى السَّهرات قد ساءَت لأنَّنا اصطحبنا بوست معنا، فامتعضَ جدّاً. لنقل إنَّ هذه العلاقات لم تكنْ على قدر من الأهمِّيَّة. لكن كان هناك شخصان ارتبطتَ بهما بحرارة، أعني جياكوميتي Giacometti، وجينيه Genet. أعتقد أنَّهما الشَّخصان اللَّذان ارتبطتَ بهما بعد الحربِ بشكلٍ وثيق، لماذا؟

ج.ب.س: في كلِّ الأحوال، ثمَّة شيءٌ مشتركٌ بينهما، هو أنَّهما كانا رائقَين؛ أحدُهما في مجال النَّحت، والثَّاني في مجال الأدب. ولا شكَّ أنَّهما كانا من بين أهمِّ النَّاس الَّذين عرفتهم من هذه النَّاحية. كُنَّا نلتقي جياكوميتي على العشاءِ مرَّةً في الأسبوع تقريباً. ونتناول العشاءَ في المطاعم خلالَ عامي ١٩٤٥و١٩٤٦، في أيِّ مكانٍ تقريباً، ونتحدَّث في كلِّ شيء. كان يتحدَّث عن نحتهِ، فلا أفهم تماماً ما كان يعنيه، ولا أنتِ حتَّى.

---

(١) العلموية Scentisme: موقف فلسفيّ يقوم على أنّه لا يمكن اكتساب المعرفة إلّا من خلال العلم، وأنّ المعرفة العلمّية كافية لحلّ القضايا الفلسفيَّة.

س.د.ب: لكن انتهى بكَ الأمرُ إلى فهمه، بعد أن كتبتَ مقالاتٍ حولَه.

ج.ب.س: صحيح، بعد عدَّة سنوات. حاول أن يشرحَ ما يعنيه تلقِّي النَّحت، ويتحدَّث عن منحوتاتِهِ، ويصف تقدُّمَه، منذ التِّمثال الأوَّل الَّذي قام بنحته، حيث كان سميكاً، وثقيلاً جدّاً، وانتهاءً بالتَّماثيل الرَّشيقة والطَّويلة الَّتي أنجزها لاحقاً، وتلك الَّتي بصدد إنجازها. لم نكنْ نفهم دائماً ما يقوله، لكنَّه كان يبدو لي هامّاً، ومُثيراً للانتباه. بعدها كُنَّا نتناول موضوعات شتَّى، حولَ علاقاته، وغراميَّاتِهِ.

س.د.ب: كان يتكلَّم كثيراً عن حياته، ويروي الكثيرَ من القصص بطريقة أنيسة.

ج.ب.س: كُنَّا نحبُّ زوجتَه آرليت كثيراً، لا سيما وأنَّها كانت ترافقه دائماً.

س.د.ب: لكنَّك لم تلتقِ جياكوميتي لوحدكما.

ج.ب.س: أبداً. فقد كانت آرليت دائماً حاضرة، وفي غيابها تكونين أنتِ حاضرة. لكن ذات مرَّةً، رأيت جياكوميتي وآرليت، من دونكِ، لأنَّك كنتِ مُسافرة.

س.د.ب: لكنَّ هذا، كان شيئاً لطيفاً لم نتكلَّمْ عنه بعد. كلُّ هذه الصَّداقات الَّتي حظيتَ بها، بدءاً بالحرب، كنتَ تتقاسمها معي. لمْ ترَ كامو، أو ليريس، أو جياكوميتي أبداً تقريباً لوحدك؟

ج.ب.س: بلى. التقيتُ كامو لوحدي. أذكر أنَّني التقيتُ به لوحدي، حيث كنتُ خارجاً من بيت والدتي، وذهبتُ إلى مقهى Les Deux Magots. كنتُ في أغلب الأحيان أراه في هذا المقهى صباحاً خلال السَّنة الأُولى، ثمَّ أذهب لرؤيتكِ في فندق لويزيانا. حيثُ كنتِ تقيمين.

س.د.ب: صحيح. لكنَّك لم تكنْ تتَّصلُ بأحد هؤلاء الأصدقاء وتتَّفقُ معه على تناول العشاءِ معاً، ليس لكي لا تتركني وحدي فحسب؛ بل لأنَّك لم تكنْ حريصاً على عقد صداقةٍ مع أحدهم لوحدك، كما حدثَ مع نيزان وغويل.

ج.ب.س: لا، لم يكن ذلكَ وارداً.

س.د.ب: ومع جينيه؟

ج.ب.س: علاقتي بِجينيه كانت أكثرَ من غير متوقَّعة؛ فقد التقيتُ به هنا، على سبيل المثال.

س.د.ب: هنا في روما؟

ج.ب.س: نعم، هنا في روما مع شابٍّ لواطيّ.

س.د.ب: وكيف بدأت علاقتُك بِجينيه؟

ج.ب.س: كنتُ أعرف كوكتو في تلك الفترة، وأعرفُ أنَّه كان يكنُّ له الوُدَّ. لكنَّ علاقتنا لم تنتهِ بشكل جيِّد مع كوكتو، ولم أعرف السَّببَ قَطُّ، لكنَّها انتهت في السَّنة الَّتي توفِّي فيها. تناولنا طعام الغداء معاً، قبل ثلاثةِ أسابيع، أو شهر من موته.على أيِّ حال؛ من المؤكَّد أنّ جينيه ساهمَ في ألَّا تكونَ علاقتنا بِكوكتو متوازنة.

س.د.ب: لكنَّ انسجامَك مع جينيه كان أكبر، وهو ما لم يكنْ بينَك وبين كوكتو.

ج.ب.س: أكثر بكثير؛ لم يكن بيني وبين كوكتو أيُّ انسجام.كان إنساناً ذكياً، أزوره، أو أتناول العشاءَ معه.

س.د.ب:كان ذكيّاً ولامعاً، وبالغَ اللُّطف. ومن الأشخاص النَّادرين الَّذين لم يعمل على منافستك؛ بل ساند مسرحيَّتك: **الأبواب المغلقة** بقوَّة. لكن دعنا نعدْ إلى جينيه، ماذا بعد؟

ج.ب.س: لم يكن كوكتو يتمتَّع بأيِّ صَغَار، ولديه حسُّ الصَّداقة؛ وحينما كان يحبُّ أحداً ـ يبدو أنَّه أحبَّني خلالَ فترة مُعيَّنة ـ يكون صادقاً في ذلك- لكنَّ علاقاته بِجينيه كانت متناقضةً مع علاقاتي بِجينيه، لأنَّه لم يكنْ يرى فيه سوى شخصيَّةٍ لافتة تستحقُّ المساعدة، أمَّا أنا؛ فقد رأيتُ أنَّه كان يساعد نفسَه بشكل جيِّد جدّاً، ولم يكنْ بحاجة كوكتو أو غيره. وما عليه سوى أن يتدبَّر

نفسَه، وستسير الأمورُ بشكل أفضل. من ثمَّ، فإنَّ علاقاتنا بِجينيه مختلفة؛ فقد شجَّعتُهُ ليكونَ وحدَه، كما كنتُ لوحدي. لا أقصد أن يتخلَّى الجميعُ عنه، بل عليه ألَّا يبحث عن أيِّ عرَّابٍ للدُّخول في مجال الأدب، بينما قام كوكتو بكفالته. عرفني جينيه قليلاً من خلال كتبي حينما التقاني في مقهى فلور Flore، حيث رأيتُ ولداً صغيراً أشبه بالملاكم يتَّجه نحوي.

س.د.ب: كنتُ معكَ يومَها.

ج.ب.س: ملاكم من «الوزن الخفيف». بل حتَّى «الخفيف جدّاً»، وفي تلك اللَّحظة كان يُفكِّر بكتبه وكيفيَّة التَّعريف بها.

س.د.ب: كُنَّا قرأنا روايته **سيِّدة الورود** Notre-Dame-des-Fleurs وأحببناها كثيراً.

ج.ب.س: نعمِ أحببناها كثيراً؛ كانت المحادثةُ معه لطيفة، لاسيما أنَّها من نوع خاصّ، أي الإصغاء إلى خطاب طويل حولَ أيِّ موضوع، خطابٌ غالباً ما يكون مُهمّاً، ومُرهِقاً في بعض الأحيان، لأنَّه يدور حولَ الأدب، الذي كانت لديه وجهاتُ نظره الخاصَّة به...

س.د.ب: في تلك الفترة؛ كان مُتحذلِقاً، لكنَّه توقَّفَ عن ذلك تماماً في ما بعد. لم تكن علاقتي به تقوم على الحديث عن كلِّ شيء، كما هو الحال مع جياكوميتي.

ج.ب.س: لا، لكنَّها كانت علاقةً طيِّبة، إذ كُنَّا نتناول العشاء معاً، بل أذكر أنَّه تناول العشاء في بيتكِ، وحضَّرتِ لنا واحدةً من تلك الوجبات الَّتي اعتدتِ على تحضيرها في تلك الفترة.



س.د.ب: إذاً، كان ذلك عندَ نهاية الحرب...

ج.ب.س: تعرَّفتُ على جينيه عندَ نهايةِ الحرب.

س.د.ب: حوالي عام ١٩٤٣؟

ج.ب.س: ١٩٤٣ أو ١٩٤٤. ربَّما في أواخر أشهرِ الاحتلال. في كلِّ الأحوال؛ كان يروي لنا بعضَ قصصِ حياته، وقدَّمني إلى أصدقائه الَّذين كانوا عموماً أولاداً جميلين. يبدو أنَّهم كانوا يعوِّضون لِواطتهم بقسوة متعمَّدة. وكان يحبُّ الحديث معنا حولَ اللّواط، لأنَّه كان يعرف جهلَنا به، وأنَّ عقلنا منفتحٌ نسبيّاً؛ قادر على فهم ما كان يشرحه.

س.د.ب: كيف خطرَتْ ببالك كتابةَ كتابٍ حولَ جينيه؟

ج.ب.س: نشَرَتهُ دار غاليمار.كانت علاقته جيِّدة جدّاً بي، واقترح عليَّ كتابةَ مُقدِّمة له.

س.د.ب: صحيح. طلب منك مُقدِّمةً، فحوَّلتَ المقدِّمة إلى كتاب. كيف نظرَ إلى هذا الكتاب؟

ج.ب.س: بطريقةٍ غريبة؛ في البداية، لم يهتمَّ به كثيراً، وقليلاً ما حدَّثني عنه، وروى لي بعضَ الأشياء الصَّغيرة؛ حينما انتهيت، قدَّمتُ له المخطوط. فقرأه. وذاتَ ليلة؛ نهضَ واتَّجه نحوَ الموقد(الشومينيه) وفي ذهنه إلقاؤه في النَّار. بل أظنُّ أنَّه ألقى ببعضِ الأوراق فيه، ثمَّ استرجعها. لقد نفرَ من هذا الكتاب، لشعوره بأنَّه كما وصفتُه؛ لم يكن كارهاً لنفسه، لكن...

س.د.ب: لكنَّه كان كارهاً أنْ يُكتبَ كتابٌ عنه؛ إذ كان أشبهَ بصرحٍ جنائزيٍّ.

ج.ب.س: لم يناقش الأفكار؛ لاعتقاده بأنَّ مُجملَ ما قلتهُ صحيح، بل كان في بعض الأحيان مُتفاجئاً بحقيقتها، لاسيما وأنَّه يعدُّ نفسَه شاعراً؛ كان يعدُّ نفسَه **الشَّاعر** وأنا **الفيلسوف**، وأكثَرَ من استخدام هذا التَّمييز الَّذي لم يكنْ صريحاً، لكنَّنا كُنَّا نحسُّ به؛ كان يقول أشياء عن الشَّاعر، مثلما كان يقول أشياء عن الفيلسوف، ليجمعَ كلَّ هذا ويرتِّبه، ويجعلَ منه كتاباً، وفي الوقت نفسه؛ كان ينظر إلى الكِتاب بكثيرٍ من الحذر. أمَّا بالنِّسبة لي؛ فلا أظنُّ أنَّه أسوأ كتبي.

س.د.ب: لا، بل كتاب رائع. إلامَ آلت علاقتُكما بعد هذا الكتاب؟ أعني: هل تأثَّرت به؟

ج.ب.س: الحقيقة أنَّها انخفضت. بعد هذا التقينا في دار غاليمار؛ حيث كان يريدُ إيداعَ مخطوطةٍ له، ويطلب المال. قضينا معاً بعضَ الوقت، وتواعدنا في اليوم التَّالي أو الَّذي يليه. لكن لا بُدَّ من القول إنَّ شيئين حدثَا في تلك الفترة: فقد كان مُتعلِّقاً بعبد الله؛ الَّذي انتحرَ بسببه إلى حدٍّ ما. ولمْ يعدْ يكتبُ أشياءَ مهمَّة منذُ تلك الوفاة، أضفْ إلى ذلك أنَّه لم يعدْ يقيم في باريس. التقيته بعد ستَّة أشهر أو سنة.

س.د.ب: ثمَّة شيء أخير: كيف انتهت تلك الصَّداقات الَّتي تحدَّثنا عنها؟ أيِّ صداقات ما قبلَ الحرب، مثل صداقتك بغويل Guille، ونيزان Nizan، وماهو Maheu، وغيرهم.

ج.ب.س: انتهت صداقتي بغويل بعد أن تغيَّر مسارُ حياته. فقدَ زوجته الَّتي كانت تعني له الشَّيء الكثير، وكُنَّا على أفضل تفاهم معها، ثمَّ تزوج أُخرى، لكنَّه لم يتفضَّل علينا بتعريفنا بها. وشيئاً فشيئاً؛ انسحبَ من حياتنا.

س.د.ب: علاقتك لم تكن جيِّدة معه منذ عام ١٩٥٠، لأنَّه كان مُحافظاً جدّاً، ومُغرِقاً في بورجوازيَّته، وماضويّاً جدّاً، فساءت الأمور بينكما على هذا الصَّعيد، وبالنَّتيجة؛ لم نعد نرى بعضنا. لكن، ماذا عن ماهو؟

ج.ب.س: اختلفتُ مع ماهو بسبب قصَّةٍ وقعَت مع أحد أصدقائِنا التشيكيِّين، الَّذي كُنَّا نحميه و...الأمر مُعقَّد.

س.د.ب: الحقيقة أنَّ علاقتنا به تراوحت بينَ المدِّ والجزر، وشابَها انقطاعاتٌ؛ ومرَّتْ سنواتٌ من دون أن نرى بعضنا خلالَها، ثمَّ عدنا فالتقينا. وماذا عن زيورو Zuorro؟

ج.ب.س: توفِّي أثرَ حادثِ سيَّارة في الجزائر.

س.د.ب: في ظروفٍ مُريبة قليلاً.

ج.ب.س: غير مؤكَّد. لا نعرف شيئاً عن ظروف هذا الحادث.

س.د.ب: لقد قطعتَ علاقتَك مع أرون Aron مباشرةً بعد الحرب، لأسباب سياسيَّة.

ج.ب.س: ليسَ بعدَ الحربِ مباشرةً، لأسباب سياسيَّة، وأُخرى أساسيَّة، ذلك أنَّ طريقتنا في رؤية العالم كانت مختلفةً تماماً، ليس بوصفنا بشراً فحسب، بل بوصفنا فلاسفة أيضاً.

س.د.ب: بالنِّسبة لِلِيبريس؛ استمرَّينا في محبَّته، لكنَّنا لم نعدْ نراه على الإطلاق، لكنْ حدثَ بيننا وبينَ كينو اختلافٌ لم نفهمْ سببَه جيِّداً.

ج.ب.س: لكنَّ قطيعتَنا معه كانت نهائيَّة.

س.د.ب: أخيراً، لم تتشبَّث بصداقةِ أيٍّ من كلِّ هؤلاء الَّذين حظيتَ بصداقتهم، كما كان حالُك يومَ كنتَ شابّاً مثلَ نيزان أو غويل.

ج.ب.س: بالتَّأكيد، لا.

س.د.ب: رُبَّما كان جياكوميتي الأقربَ إليك، إذ لم يقعْ بينَك وبينه أيُّ خلاف.

ج.ب.س: لم يقع أيُّ خلافٍ بيننا، لكنَّ علاقتنا شهدَتْ لحظاتِ برود.

س.د.ب: بسببِ قصَّةٍ كنتَ قد رويتها في **الكلمات**، والَّتي لم تكن تلك الَّتي يظنُّ أنَّها حقيقيَّة.

ج.ب.س: استمرَّت علاقتي بِجياكوميتي جيِّدةً حتَّى وقتٍ مُتأخِّر. لكنَّ تلك القصَّة؛ شوَّشتها خلالَ الشُّهورِ الأخيرة.

س.د.ب: كثير من علاقاتك انتهت إلى سوءِ تفاهم. مع كينو وآرون، وغويل أيضاً.

ج.ب.س: وقعَ سوءُ تفاهم أيضاً مع ماهو.

س.د.ب: تماماً، في الفترة الأخيرة. لماذا حدث هذا؟
ج.ب.س: سوء التَّفاهم لايعني لي شيئاً. إنَّه شيءٌ ماتَ فحسْب.

س.د.ب: هل يمكنك أن تفسِّرَ لي لمَ لا يعني لكَ سوء التَّفاهم أيَّ شيء؟
ج.ب.س: أظنُّ أنَّه لم تكن تربطني علاقةُ عميقة ببعض النَّاس الَّذين كانوا من أقربهم إليَّ. أنا وغويل لم نكن ننتمي إلى العالم نفسه؛ بسببِ طريقةِ عيشهِ البورجوازيَّة الأكثر بكثير من الطَّريقة الَّتي كنتُ أعيش بها؛ فهو لم يكن فيلسوفاً، ولا يهتمُّ بنظريَّاتي حينما أعرضها عليه.

س.د.ب: لكن، لم يكن هذا هو السَّبب الَّذي أثَّر على صداقتك به.
ج.ب.س: لكنَّها أشياء ظلَّت تتكرَّر حتَّى النِّهاية؛ فمثلاً: زواجه من دونِ أن يخبرَنا به، يعني أنَّ لديه تصوُّر عنِّي.

س.د.ب: كان لديه تصوُّرٌ عن تصوُّركَ له. وهو ما لم يكن يحبُّه. وهو تصوُّر خاطئ على كلِّ حال. لكن؛ ما الَّذي تعنيه بقولك: لم تكن لديَّ صداقاتٌ عميقة ؟ مع مَنْ كانت صداقتُك عميقة؟
ج.ب.س: مع بعضِ النِّساء. ومع نيزان، نعم حتَّى زواجه، بل وبعده بقليل. حينما تعرَّفتُ عليكِ؛ كنتُ ما أزالُ على علاقة عميقة بِنيزان Nizan رغمَ إقامته في عَدَن؛ الَّتي فصلتْنا عن بعضنا.

س.د.ب: وحينما عرفتُكَ؛ كانت علاقتُك ما تزال قويَّة بِغويل Guille؛ أعتقد أنَّه لوكانت ثمَّة علاقةٌ مشوَّشة مع غويل في تلك الفترة؛ لكنتَ عانيت منها.
ج.ب.س: بالتَّاكيد. لكنْ لم يكن بيني وبينَ الأشخاص عناصرُ عميقة وحسَّاسة تجمعنا عموماً.

س.د.ب: تعني وجودَ نوعٍ من التَّفاهم الفكريِّ، وأنَّه لو انتهى هذا التَّفاهم لأسباب سياسيَّة، كما هو الحال مع آرون Aron، أو لأسباب أُخرى، لانهارَ كلُّ شيء؟
ج.ب.س: صحيح. هذا ما أعنيه.

س.د.ب: ولَمَا بقيَ هذا الرَّابط العاطفيُّ الَّذي يجعلنا نتجاوز أيَّ سوء تفاهم...

ج.ب.س: بالضَّبط.

س.د.ب: لكن، هناك حالاتٌ شهدَتْ صراعاتٍ عنيفة مع بوست إلى حدٍّ ما؛ تمَّ تجاوزها مباشرةً، بسبب انحيازه إلى جان كو Cau[1].

ج.ب.س: وقعت مُشادَّة. في ذلك المساء طردتَه من بيتكِ، ثمَّ خرجتُ معه لتناول قدحٍ في أحد المقاهي المجاورة. هذه المشاجرة لم تكن مهمَّة. لكنّي لمْ أتشاجر مع النَّاس إلَّا قليلاً. بالأحرى؛ كان يقع سوء التَّفاهم بسبب ارتخاء العلاقات.

س.د.ب: قام بوست بكلِّ ما بوسعهِ لكي لا تبقى علاقتُه بكَ مُشوَّشة. وهناك شخصٌ آخر فعلَ كلَّ ما يستطيع لكي لا يبقى بينَك وبينه أيُّ سوءِ تفاهمٍ بعدَ وقوع نزاعات، وأعني به لانزمان، بينما لم يكترثْ آخرون وتركوا الأمورَ على حالها، رُبَّما لأنَّهم شعروا بِلامبالاتك بهم.

ج.ب.س: بل لأنَّهم كانوا هم أنفسهم لا مبالين.

س.د.ب: كانوا كذلك، لأنَّك أنتَ كنتَ كذلك.

ج.ب.س: غالباً ما تشاجرت مع الآخرين، لكنْ لا أظنُّ أنَّ ذلك كان يقع من دون سبب؛ فأمامي دائماً شخص يقودني إلى الشِّجار. لِنَقُلْ: إلى انزياحٍ في كلِّ الأحوال، وإلى الابتعاد دائماً !

س.د.ب: من المؤكَّد أنَّ آرون وكامو، على سبيل المثال، دفعاكَ إلى هذا الابتعادِ عنهما.

ج.ب.س: لقد كتبَ كامو رسالةَ قطيعةٍ معي.

---

(١) جان كو (١٩٢٥-١٩٩٣): كاتب وصحفيّ، عمل سكرتيراً لسارتر بين عامي ١٩٤٦-١٩٥٧.

س.د.ب: حينما توجَّه إليكَ بعبارةِ: «السَّيِّد المدير» طبعاً.

ج.ب.س: كانت قضيَّة الدِّيغوليَّة كلُّها تفصلني عن آرون، إضافةً إلى حوار في التِّلفزيون؛ كُنَّا نتحدَّث فيه لمدَّة ساعةٍ كلَّ أسبوعٍ حولَ الحالة السِّياسيَّة ؛ وكُنَّا عنيفَين إزاء ديغول. فأراد الدِّيغوليُّون الردَّ عليَّ مواجهةً من خلالِ بينوفيل Bénouville، ثمَّ شخص آخر نسيتُ اسمه. فذهبتُ إلى دار الإذاعة، وكان ينبغي ألَّا نلتقي قبلَ بدءِ الحوار. وصل آرون الَّذي أظنُّ أنِّي اخترته ليكونَ حَكماً بيننا، لقناعتي بأنَّه لن ينحاز إليَّ، ويبدو أنَّه لم يرَني، فانضمَّ إلى الآخرين، وتصوَّرتُ أنَّه رأى الآخرين لكنَّه لم يهملْني. في تلك اللَّحظة؛ فهمت أنَّ آرون كان ضدِّي على الصَّعيد السِّياسيِّ. واعتبرتُ أنَّ تضامنه مع الدِّيغوليِّين كان بمثابة قطيعةٍ معي. كان دائماً ثمَّة سببٌ قويٌّ يُبَرِّرُ خصوماتي العابرة. لكنْ، في نهاية المطاف، كنتُ أنا من يتَّخذ قرارَ الخصومة.كنت أرى آرون، على سبيل المثال، منذُ عودتِه من لندن، لكنَّنا صرنا نشعر تدريجيّاً بأنَّه ليس إلى جانبنا. وكانت المحاولة الأخيرة هي قضيَّة الإذاعة هذه، لكنَّنا بدأنا، منذ فترة، لا نتَّفقُ معه في المناقشات. لذلك كان لا بُدَّ من الانفصال. وقد وقعَ هذا الانفصال بعدَ خصومة. مثلاً، لم يكنْ ينتمي إلى مجلَّة **الأزمنة الحديثة**، ولم يعُدْ يعمل معنا فيها.

س.د.ب: كان قد بدأ بالعمل فيها؛ لكنَّ هذا يقودنا إلى شيء لم نتحدَّث عنه أبداً. من بين علاقاتك بالرجال، تلك الَّتي جمعتك بفريقِ **الأزمنة الحديثة**.

ج.ب.س: هذا الفريق يُمثِّلُ أفضلَ أصدقائي، حاليّاً.

س.د.ب: فريق اليوم. لكن ماذا عن الفريق في البداية؟

ج.ب.س: في البداية، كان هناك أناسٌ أعرفهم قليلاً، قدِموا بسبب الشُّهرة الَّتي كنتُ أحظى بها.

س.د.ب: بعدها، نشأت علاقاتٌ خلالَ المقاومة.

ج.ب.س: كان آرون أحدَهم، وأحدَ الدِّيفوليِّين...

س.د.ب: كان هناك أولليفييه Ollivier[1]، وليبريس Lieris، وأنتَ، وأنا.

ج.ب.س: كامو رفض أن يكونَ أحدَ أعضاء هذا الفريق، وهو ما أتفهَّمُه تماماً؛ لأنَّه لم يكنْ مُضطرّاً لأنْ يكونَ جزءاً من جماعة Collectif.

س.د.ب: إجمالاً؛ كان الفريق متنوِّعاً، لكنَّه سُرعان ما تفكَّك. لاحقاً؛ مررنا بأوقات كان عددُنا كبيراً، وكُنَّا نجتمعُ في غرفتك.

ج.ب.س: آه، لاحقاً، لم نكنْ نجمعُ المدراءَ فقط؛ بل فريقاً من النَّاس الَّذين يكتبون في كلِّ عدد، أو الَّذين يختارون النُّصوص اللَّازمة لكلِّ عدد.

س.د.ب: كيف كنتَ تنظر إلى هذه الاجتماعات؟

ج.ب.س: كشيءٍ بالغِ الحُرِّيَّة، حيث كان يأتي أُناس لطيفون ليعرضوا وجهةَ نظرهم حولَ هذا الشَّيء أو ذاك، وحولَ هذا القسم أو ذاك من المجلَّة.

س.د.ب: يبدو لي أنَّ عملَ الفريق هذا كان يؤنسُك، أليس كذلك؟

ج.ب.س: نعم، كان يؤنسُني.

س.د.ب: هلَّا كلَّمتني عن فريق **الأزمنة الحديثة** الحاليِّ؟

ج.ب.س: الفريقُ الحاليُّ للأزمنة الحديثة يتكوَّن من أُناسٍ كانوا ضمنَ هذا الفريق منذ البداية، مثل بوست، وبويوّن Pouillon. أمَّا لانزمان؛ فقد جاء مُتأخِّراً أثناءَ اجتماعاتِ الأحد الَّتي عُقِدَت في بيتي.

س.د.ب: التحقَ في عام ١٩٥٢. وماذا عن هورست؟

ج.ب.س: هورست كانَ منذُ البداية.

---

(١) ألبير أولليفييه (١٩١٥-١٩٦٤): مؤرِّخ، وكاتب، وصحفيّ، كان أحد أعضاء هيئة تحرير مجلّة الأزمنة الحديثة الّتي أسّسها سارتر.

س.د.ب: ثمَّ حَصَلَتِ القطيعةُ مع كلٍّ من بينيو Pignaud وبونتاليس Pontalis. لماذا تركا العمل، مع أنَّه لم تقعْ خصومةٌ معهما؟

ج.ب.س: كُنَّا مُختلِفين حولَ التَّحليل النَّفسيِّ؛ إذ طالما كان هذا الموضوعُ مُلِحّاً.

س.د.ب: صرنا اليومَ نقبل كثيراً من الأشياء المتعلِّقة بالتَّحليل النَّفسيِّ، لكنَّنا لا نُحبُّ الطَّريقة الَّتي يعمل بها المحلِّلون النَّفسيُّون حاليّاً، والضَّغطَ الَّذي يمارسونه على الخاضعين لعمليَّة التَّحليل. كان هذا أحدَ الأسباب. لكن كانت هناك أشياء أُخرى خلفَ ذلك؛ أعني موقفَك الأكثرَ جذريَّة من موقفهم.

ج.ب.س: بالتَّأكيد؛ موقف بونتاليس[١] وبينيو الرَّاديكاليّ، وقد اختلفنا في وقتِ نشرِ نصٍّ حولَ الإنسان في آلة التَّسجيل L'Homme au magnétophone..

س.د.ب: يُضاف إلى هذا افتتاحيَّاتُ هورست حولَ الجامعة الَّتي لم يُريدا تبنِّيها، لأنَّهما رأيا فيها إفراطاً في الرَّاديكاليَّة.

ج.ب.س: صحيح. في كلِّ الأحوال؛ لم يكنْ بونتاليس مُنسجماً مع هذه المجلَّة. فقد كان أكثرَ بورجوازيَّة، ويُساند نظريَّةً أكثرَ بورجوازيَّةً في السِّياسة، ويرى أنَّ مالديه من راديكاليَّة؛ تمرُّ عبرَ التَّحليل النَّفسيِّ والدِّراسة الَّتي يجريها عليه. ثمَّ إنَّ بينيو كان مُعادياً من النَّاحية السِّياسيَّة.

س.د.ب: كان ينتمي إلى اليمين في السَّابق. وكتب مع بوتان Boutang[٢] كتاباً ضدَّك. ثمَّ جاءَ إلى اليسار؛ مع احتفاظه بشيء من ماضيه. لكن، بالعودةِ إلى مجموع الفريق؛ قلتَ لي: إنَّهم أفضلُ أصدقائي، هل لك أن تُحدِّدَ أكثر؟

ج.ب.س: حسناً، هناك بوست الَّذي أعرفه منذُ زمنٍ بعيد، منذُ أكثر من ثلاثين عاماً، بل أربعين تقريباً. هؤلاء الموجودون كلُّهم أصدقاءُ قُدامى.

---

(١) جان بيرتران بونتاليس (١٩٢٤-٢٠١٣): فيلسوف، ومحلّل نفسيّ، وصحفيّ وكاتب فرنسيّ.

(٢) بيير بوتان (١٩١٦- ١٩٩٨): فيلسوف، وشاعر، وصحفيّ فرنسيّ.

س.د.ب: أصدقاءُ قدامى، لكنَّهم جميعاً أصغرُ منكَ بعشر سنوات. في الوقت الرَّاهن؛ ثمَّة تكافؤ، لكنَّ فرقَ العمرِ كان كبيراً في البداية. بوست كان أحدَ تلاميذك. لكن هورست لم يكنْ كذلك، لِنَقُلْ إنَّه أحدُ مُريديكَ؛ لأنَّه كتب كثيراً حول ما كتبت. ولانزمان ليس واحداً من تلاميذك القُدامى.

ج.ب.س: لكن؛ كان يُمكن أن يكون كذلك. أمَّا بالنِّسبة للعمر.

س.د.ب: هل لديك شيء تقوله عنهم جميعاً؟

ج.ب.س: كان للسِّياسة دورُها...

س.د.ب: عموماً؛ هناكَ تطابق في الهويَّة السِّياسيَّة بينكم.

ج.ب.س: لكنِّي الآنَ أكثرُ ارتباطاً بالماويِّين، أمَّا بويون وبوست؛ فليسَا كذلك.

س.د.ب: بالعودة إلى هذه المجموعة. ما الَّذي يربطكَ بهم؟ ثمَّة قصَّةٌ طويلةٌ بينكم؟

ج.ب.س: نعم، ثمَّة قصَّةٌ طويلةٌ؛ هناك صداقةٌ لا يُعبَّرُ عنها بالانفعالاتِ العنيفة، لكنِّي كنتُ أعتمدُ عليهم، كما كان يمكنُهم الاعتمادُ عليَّ. كانت مشاعرُنا إزاءَ بعضنا حقيقيَّة. منذ رحيلِ بونتاليس وبينيو؛ أرى أنَّ المجموعةَ أصبحت مُتجانِسة.

س.د.ب: صحيح، مُتجانِسةٌ جدّاً. طبعاً. كان بينكم مناقشاتٌ حولَ هذا الأمر أو ذاك، لكن عموماً، حينما ينبغي اتِّخاذُ قرارٍ يكون ثمَّة تردُّدٌ صغير: هل نُصوِّت؟ هل سنمتنعُ عن التَّصويت؟ لكنَّها تبقى اختلافاتٍ كالَّتي تحدث بيني وبينَك، بمعنى أنَّها ليست جوهريَّةً أبداً. إذاً؛ هناكَ بينكم ماضٍ، وأساسٌ سياسيٌّ مُتقاربٌ جدّاً.

ج.ب.س: الحقيقة هي أنَّني أحبُّهم كثيراً.

س.د.ب: كان بينكم تشابهٌ ثقافيٌّ...

ج.ب.س: كُنَّا نتسلَّى أيضاً معاً...

س.د.ب: كما كان بينكم وئامٌ فلسفيٌّ؛ كان هورست وبوبون يعرفان فكركَ بشكل جيد جدّاً؛ ليس بينكم مُجرَّدُ تطابقٍ سياسيٍّ؛ بل ثقافيٌّ أيضاً، وفلسفيّ. إجمالاً؛ كنتم تستمتعون بلقاءِ بعضِكم في اجتماعاتِ **الأزمنة الحديثة** يومَ الأربعاء؟

ج.ب.س: صحيح، إنّي أستمتعُ بلقائهم، وهو شيءٌ مُحبَّبٌ إلى نفسي، عِلماً بأنّي لم أكنْ مُواظباً على هذا الاجتماع.

س.د.ب: إجمالاً؛ كان ذلك يخلق رابطاً حارّاً بينكم، غاب عن الرِّجال الَّذين عرفتهم طيلةَ حياتك. لكنَّ هذا لا يعني أنَّكم لم تكونوا قريبين من آخرين على الصَّعيد السِّياسيّ. لكنَّ علاقتك بالماويِّين تطرح مسألةَ فارقِ العمر.

ج.ب.س: صحيح، لكنِّي أحبُّ الشَّباب أكثرَ من المسنِّين. في هذه الحالة لا يعودُ الأمر يتعلَّق بأن أحبَّ أكثر أو أقل، لكن حينما أتحدَّث مع القائد الماويِّ الَّذي لا يتجاوز عمره الثَّلاثين عاماً؛ أرتاحُ أكثرَ من حديثي مع شخص في الخمسين أو السِّتِّين من العمر. وأنتِ تعرفينَ كيف التقيتُ بالماويِّين، وهو موضوعٌ سنتحدَّث عنه.

س.د.ب: هنا؛ أتحدَّث عن مستوى الصَّداقة، أي على مستوى العلاقة العاطفيَّة مع الرِّجال.

ج.ب.س: ليس لغالبيَّةِ الماويِّين صداقةٌ نحوي، ولا منِّي نحوَهم، بل نعمل معاً، ونلتقي لنقومَ بأشياء، ونقرِّر معاً. ثمَّة واحدٌ منهم تربطني به صداقةٌ حقيقيَّةٌ، هو فيكتور Victor، الَّذي يلتقي بي مرَّةً أو مرَّتين أسبوعيّاً؛ فنناقش الوضعَ السِّياسيَّ اليوميَّ، ونتَّخذ قراراتٍ حولَ ما علينا القيام به. وكنت أصغي إليه خصوصاً حينما يحدِّثني عمَّا يقوم به. كان قائداً لحركة اليسار الثَّوري G.P؛ لكنَّ الحزب الماويَّ يوشك على التَّواري في فرنسا، ولم يبقَ سوى فيكتور الآن. فيتناقش معي. وقد رأيتِ الكتابَ الَّذي كتبناهُ مع غافي.

س.د.ب: لكنَّك تلتقي به على انفراد.

ج.ب.س: ألتقي به مرَّةً أو اثنتين أسبوعيّاً؛ إنَّه يُعجبني، وأنا أحبُّه كثيراً. أعرفُ أنَّه لا يُعجب الجميع. لكنِّي أراهُ ذكيّاً، ولي معه علاقاتٌ ثقافيَّةٌ وسياسيَّة، لأنَّه يتمتع بثقافةٌ حقيقيَّة لها علاقةٌ بثقافتي. كما أتَّفق معه حولَ بعض وجهات النَّظر السِّياسيَّة الَّتي سأتحدَّث عنها لاحقاً. من الجميل أن تكونَ لك علاقة مع شابٌ في التَّاسعة والعشرين من العمر.

س.د.ب: هنا السُّؤال الَّذي أريد أن أطرحه عليك: لماذا تُفضِّل الشَّباب؟ هناك أُناس يكرهون الشَّباب، مثل كوستلر Coestler، كما أنَّ ميرلو ـ بونتي لم يكن يحبُّهم كثيراً. فلماذا لديكَ حُكمٌ مُسبق حولَ أفضليَّة الشَّباب؟ لماذا ترتاح مع الشَّباب؟

ج.ب.س: لأنَّ أفكارَهم وحياتهم غيرُ ناجزة تماماً حولَ العديد من النُّقاط، لذلك نتناقش كشخصين لكلٍّ منهما رأيٌ مُبهم. ونحاول تقريبَ وجهتي النَّظر، بينما مع المسنِّين؛ فالأمرُ مختلفٌ تماماً. إذ لديهم رأي محسوم، وأنا لديَّ رأيي المحسوم. وكلانا يعرف ذلك، فنتناقش، واضعينَ ما يُفرِّق بيننا جانباً من دون أمل في الوصول إلى توافق.

س.د.ب: هورست شديدُ الذَّكاء، وقريبٌ منكَ سياسيّاً، لكنَّك تفضِّلُ الانفراد بِفيكتور، لماذا؟

ج.ب.س: لدى هورست فكرٌ يعمل على تكوينه بنفسه، وهو شديد الذَّكاء، إضافة إلى أنَّه يتناقش معي. ما أحبُّهُ هو ألَّا يكون فكرُ الإنسان ناجزاً؛ حينما أتحدَّث مع أُناسٍ أقلَّ تأهيلاً منِّي حولَ نقطة مُعيَّنة، وأقلَّ ثقافة مني، أو أنَّهم لم يفكِّروا بشكلٍ كافٍ؛ يمكنني مساعدتهم. من جانب آخر؛ هناك أمور يعرفون عنها أكثر ممَّا أعرفه عنها. وبالنِّسبة لِفيكتور؛ الأمر واضح؛ إذ إنَّه يعرف أشياء لا أعرفها؛ مثل النِّضال الحزبيِّ، وإدارة الحزب. وهذا ما لا أعرفه. لكن

هناكَ أمور أُخرى يمكنني أن أقدِّم له رأيي حولها، فيقبله بعد تحليله، ويُدرجُهُ في تصوُّرِهِ للحزب؛ مثلاً، في حواراتي مع فيكتور وغافي؛ قدَّمتُ بعضَ الأفكار، لا سيما فكرةَ المناضل الحُرِّ، وفكرة معنى النِّقاش بينَ أُناس أحرار، أي إنسان آخر مختلف عن المناضل الشُّيوعيِّ، مثل ذلك الَّذي لا يعرف هذا النَّوع من الحُرِّيَّة، أو غير موجودة بالنِّسبة إليه.

س.د.ب: بعبارةٍ أُخرى؛ هل لديكَ الانطباعُ بأنَّك أكثرُ فاعليَّة ونفعاً حينما تتحدَّث إلى الشَّباب الَّذين ما يزالون منفتحين تماماً من الحديث إلى بالغين ناجزين، حتَّى لو كانت أفكارُهم قريبةً من أفكارك؟ ولأنَّ هذا يُعطيكَ الانطباعَ بتجدُّد شبابك حينما تكون مع الشَّباب؟

ج.ب.س: لا، لا أحسُّ بنفسي عجوزاً، ولا أشعر بأنِّي مختلفٌ عمَّا كنتُ عليه وأنا في الخامسة والثَّلاثين من العمر.

س.د.ب: هذا مهمٌّ، وينبغي العودة للحديث عنه، أعني إحساسُك بالعمر.

ج.ب.س: لم أشعرْ أبداً بأنِّي عجوز. وبما أنَّه ليسَ لي شكلُ عجوز كلاسيكيٍّ ـ لحية بيضاء، أو شارب أبيض، ولا لحية لي أو شارب ـ إذاً؛ ما أزال أشعرُ أنِّي في الخامسة والثَّلاثين من العمر.

س.د.ب: إذاً، حديثك مع الشَّباب لا يُجدِّد شبابَك. الأمرُ مختلفٌ بالنِّسبة لي، فأنا أشعر بتقدُّم العمر، والحديث مع الشَّابَّات يُجدِّد شبابي. قلتَ لي، ذلك اليوم، إنَّك لم تتعمَّق في تحليلِ علاقتك بالرِّجال: ماذا تضيف إلى هذا القول؟

ج.ب.س: أولاً، أقول إنَّ كثيرين منهم ـ ليس مَنْ هم حاليّاً أفضل أصدقائي ـ قد أسرُّوا لي بأنِّي أبدو لهم بمثابةِ شخصٍ كان ينبغي أن يُعهدَ إليه بما لدى كلُّ واحدٍ منَّا من أسرار، وهو أمرٌ يُثقل كاهلي، وأُعاني منه. كان لا بُدَّ منه، لأنَّني أستطيع بذلك أن أؤثِّر عليهم إلى حدٍّ ما، كنتُ ذلك الَّذي يعرفُ أسرارَهم، لكنِّي لا أحبُّ هذا.

س.د.ب: لكن أين؟ هلَّا حدَّدتَ ذلك قليلاً ؟ هل كان يُعهد إليك بأسرارٍ في دار المعلِّمين العُليا؟

ج.ب.س: نعم، لكنَّ الأمرَ كان مُختلفاً هناك؛ حيث كُنَّا نتكلَّم بصراحة، وأنا معهم. لكنِّي أتذكَّر رفيقاً لي، جنديّاً خلالَ الحرب في الألزاس كان يبوح لي بأسراره؛ وكانت علاقته بي تقوم على البَوح بالأسرار.

س.د.ب: لماذا ؟ بالنِّسبة لي؛ كان يُعهَدُ إليَّ بكثير من الأسرار خلالَ حياتي، وكان ذلك يُؤنسني.

ج.ب.س: لأنَّ هذا يُغيِّر العلاقات، فلا تعود هي نفسها. يكون المرءُ منشغلاً بتقديم النَّصائح، فيرجعُ إليك الآخرون، ما يعني أنَّهم يكنُّون الاحترامَ للشَّخص الَّذي يبوحون له بأسرارهم. وتحوَّلتُ، في نهاية المطاف، إلى ذلك الشَّيء الَّذي لم أكن راغباً في أن أكونَهُ، وألعبُ دورَ المعلِّم مع مُريديهِ، ولم أكنْ أحبُّ بأن يبوحَ الآخرون لي بأسرارهم. لم أكن أسعى إلى ذلك. لكنِّي لم أكن أرفضُه حينما أجدُ نفسي في هذا الموقف، لكنِّي لم أكن أسعى وراءَ ذلك.

س.د.ب: تلاميذُ قُدامى يبوحون لكَ بأسرارهم، ويطلبون منكَ النَّصيحة، فعلاً، كان هذا يحدثُ معكَ في أغلب الأحيان.

ج.ب.س: وغيرُهم أيضاً؛ لقد استؤمِنتُ على الكثير من الأسرار.

س.د.ب: بعبارة أُخرى؛ كان لعبُ دورِ «المعلِّم» الَّذي يبوح له الآخرون بأسرارِهم يُثقل عليك.

ج.ب.س: كان ذلك يُثقل عليَّ، ولا يبدو لي مشروعاً.

س.د.ب: لماذا ؟ هل لأنَّكَ كنتَ تشعر بتقدُّم العمر في تلك الفترة؟ ولم تكن راغباً في ذلك؟ ؟ أم؛ لأنَّ هذا لم يكن يُساويكَ بهم؟

ج.ب.س: لم يكن هذا يساويني بهم، والأهمُّ أنَّه لا يُمكن لأحدٍ تقديمُ نصيحةٍ لشخص آخر. طبعاً إذا كان الأمرُ يتعلَّق بعلاقتكِ بي، وعلاقتي بكِ؛ يمكن أن يزجي أحدنا النُّصحَ إلى الآخر. وقد أُقدِّم النَّصائحَ إلى بوست

وفيكتور، لما بيننا من حميميَّة. لكن من حيثُ المبدأ؛ لا يمكن القيام بذلك. لأنَّنا نفتقدُ العناصرَ اللَّازمة للقيام به، مثلما يفتقدُها طالبُ النَّصيحة. فهو يقول أشياء عليكَ أن تعرفَ من خلالها بأنَّه يُعبِّر عن موقفه الحقيقيّ، ولا بُدَّ من أن تتلاءم النَّصيحة مع ذلك الموقف.

س.د.ب: هذا صحيح تماماً؛ أي إنَّ الشَّخص يسعى إلى نصيحة بشكل عامّ؛ ليس دائماً، بل بشكل عامّ. حسناً، هل هذا شيء يُعيقُ علاقتك بالآخرين؟

ج.ب.س: بالتَّأكيد.

س.د.ب: أمَّا إذا باحَتْ لك النِّساءُ بخافياتهنَّ، فليس في هذا ما يزعجكَ، أليس كذلك؟

ج.ب.س: هذا لا يُزعجني على الإطلاق. بل بالعكس، أطلبُ منهنَّ ذلك.

س.د.ب: هذا بسببِ حسِّ الذُّكوريَّة عندك. هل لأنَّ المرأةَ بطبيعتها أكثرُ هشاشةً، وعليها أن تبوحَ بخافيتها إلى الرَّجل؟

ج.ب.س: لا أدري إن كان ذلكَ بدافع الذُّكوريَّة، بل لاعتقادي بأنَّ غالبيَّة الرِّجال لا يستمعون إلى المرأة.

س.د.ب: أنا أعتقد أنَّ رفضَ خافياتِ الرِّجال بمثل هذا النُّفور، وقبولَ خافياتِ النِّساء؛ هو شكلٌ من أشكال الذُّكوريَّة.

ج.ب.س: لم أكنْ أرفضُ خافياتِ الرِّجال، لكن لم تكن تعجبني. ثمَّ إنَّ العلاقةَ مختلفة، وهو ما سنتحدَّث عنه مرَّةً أُخرى.

س.د.ب: حسناً، إنَّكَ لا تكرهُ خافياتِ الرِّجال فحسب، بل أظنُّكَ ترفضُ أيَّ علاقة شخصيَّة، لا سيما أنَّ جياكوميتي كان يسردُ عليك قصصاً بالغة الخصوصيَّة، ولم تكن خافيات.

ج.ب.س: أنْ يرويَ لي أحدُهم قصصاً؛ فإنِّي لا أعدُّها أسراراً. حينما كان جياكوميتي يروي لي طريقتَه في التردُّد على المواخير للبحث عن امرأة مَقيتة، أو قبيحة إلى حدٍّ ما، لأسباب متنوِّعة، أجدُ ذلك مُسلِّياً.

س.د.ب: أكمِل حديثَك عن علاقاتك بالرِّجال: تحدَّثتَ عن رفضِ الخافيات.

ع.ب.س: في المقابل، فإنَّ اعتقادي وقولي بأنَّ العلاقاتِ بين النَّاس ينبغي أن تكونَ متكافئة، ثمَّة طريقةٌ لمخاطبتي كما يُخاطَبُ مَن يعرف بأنَّ لديَّ تفضيلاً ما، وهذا طبعاً، غير صحيح.

س.د.ب: كيف ذلك؟

ع.ب.س: مرَّ وقتٌ كان النَّاس يقولون: هل أفعل هذا، أو ذاك؟ فأقدِّمُ لهم النَّصائح.

س.د.ب: إنَّك تقولُ شيئين متناقضين؛ تقول إنَّك تكرهُ تقديم النَّصائح، وفي الوقت نفسه تحبُّ أن يُطلبَ منك، فكيف يستقيمُ ذلك؟

ع.ب.س: لا، لكنِّي كنتُ أحبُّ أن أقدِّمَ تشجيعاً من شأنه أن يجعلني ناصحاً، وليس في هذا تناقض. هكذا كانت علاقتي بالآخر؛ عبارة عن خليطٍ عجيب. الحقيقة أنَّه طالما كانت لي علاقة بالآخر، لكنَّها علاقة مُجرَّدة؛ إنِّي أعيشُ تحتَ وعيِ الآخرين الَّذين ينظرون إليَّ. قد يكون هذا الوعي هو الله، إذا شئتِ، أو بوست. إنَّه آخر غيري، يتكوَّن بوصفه أنا، ويراني. هكذا أُفكِّر.

س.د.ب: وما تأثير ذلكَ على علاقاتِك بالرِّجال؟

ع.ب.س: إنَّهم جميعاً مظاهر لهذا الوعي.

س.د.ب: هل تعني أنَّهم شُهودٌ، قُضاة؟

ع.ب.س: قضاة، إلى حدٍّ ما، لكنَّهم قضاةٌ رفيقون.

س.د.ب: تقول إنَّهم قضاةٌ رفيقون، لكن كان لديكَ أعداء، وخصوم.

ع.ب.س: لا قيمة لهذا. حينما يكون بعضُ النَّاس مرتاحين معي؛ أرى من خلالِهم انعكاسَ هذا النَّوع من الوعي الأعمِّ وهو ينظرُ إليَّ.

س.د.ب: وهل تضايقك رؤيةُ أولئك الشُّهود، أم تراها مُحبَّبةً إلى نفسِك؟

ج.ب.س: بالأحرى مُحبَّبةٌ إلى نفسي! فلو كان ذلك يضايقني؛ لوددتُ أن أبقى وحيداً، وهذا النَّوع من الوحدة أمرٌ أخرَق.

س.د.ب: وهذا أيضاً ينبغي التَّوسُّعُ بالحديث عنه؛ لأنَّك تقول في علاقاتك بالرِّجال: إنَّك كنتَ دائماً على مسافةٍ منهم، أو لا مبالياً بهم إلى حدٍّ ما. لكنَّكَ لم تكن مُنعزلاً أبداً، بل لطالما خالطتَ النَّاس، وكنتَ اجتماعيّاً جدّاً، باستثناءِ أوقاتِ الكتابة. وهذا ما يتطلَّبُ معرفةَ أيِّ نوعٍ من الحياة الاجتماعيَّة. لم تكنْ تحبُّ الحياةَ الاجتماعيَّة الدُّنيويَّة أبداً!

ج.ب.س: لا.

س.د.ب: تحديداً بعد الحرب؛ كنت تُشاركُ في الاحتفالات (كوكتيل) الَّتي تنظِّمها دار النشر غاليمار كان ذلك مُسلِّياً، لكنَّكَ لم تكن دنيويّاً على الإطلاق.

ج.ب.س: تناولتُ طعامَ العشاءِ في المدينة ثلاثَ مرَّات طيلةَ حياتي؛ أكلتُ في المطعم، وعشتُ في المقهى، وقليلاً ما قبلتُ دعوةَ أصدقاء معروفين على العشاء: ثلاث مرات.

س.د.ب: تحدَّثنا عن علاقاتك بالشَّباب؛ هل كانت تربطكَ علاقاتٌ بمن هم أكبرُ منكَ سِنّاً؟ وما تأثير ذلك عليك؟

ج.ب.س: لا شيء أبداً. صحيح، ربطتني علاقات بمَن هم أكبرُ منِّي، لكنَّها كانت قليلة؛ مثل: بولان Poulhan، وجيدGide، وجواندو Jouhandeau الَّذي لم ألتقِ به إلَّا قليلاً، ولا شكَّ في أنَّه لم يعدْ يتذكَّر تلك اللِّقاءات.

س.د.ب: التقيتَ به لماماً.

ج.ب.س: صحيح، لكنَّها كلمة تُقال؛ كانت لي هذه العلاقاتُ مع أُناسٍ أكبرَ منِّي سِنّاً. وكنتُ أتَّخذُ موقفاً متواضعاً (مُنزوياً) إلى حدٍّ ما، وأستمعُ إليهم. وكانوا يتحدَّثون إليَّ كما يحلو لهم، بمعنى أنَّ علاقتي بهم كانت تقوم على

التَّهذيب الدَّقيق، وهو ما لم يكنْ يعني شيئاً، إذ لم أكن أرى أنَّ تقدَّمهم في العمر يجعلهم أكثرَ حكمةً منِّي؛ كانوا مثلي تماماً؛ يحدِّثونَني بما لديهم، وأحدِّثُهم بما لديَّ. أذكرُ، على سبيل المثال، أنَّ جيد حدَّثني في عام ١٩٤٦ عن هولنديٍّ جاء يسأل عن عنوان... كان رجلاً متزوِّجاً، اكتشف أنَّ لديه ميولاً مِثليَّة، وجاء يسأل عن عنوان، وأذكر أنَّ جيد كان حاضراً، وحدَّثني عن ذلك، ويبدو أنَّه كان يعدُّني بمثابة لِواطيّ، برغمِ الخطأ الَّذي ارتكبته بالحديث عن النَّصائح، بينما كان الأمر يتعلَّق بأمرٍ آخر.

س.د.ب: قلتَ له: «هل جاء يسألُك بعضَ النَّصائح؟». فأجابكَ جيد: «لا! إنَّه يسألني عن بعض العناوين». ألا يمكننا القولُ أيضاً بطريقة مُعيَّنة: إنَّ الذَّكرَ البالغَ يعني لكَ «رائحةً سيِّئةً» كما كان جينيه يقول؟

ج.ب.س: إذا شئتِ، نعم، فأنا لا أحبُّ هذا. لا أحبُّ هذا على الإطلاق، وأرفضُ أن أُوصفَ بهذا الشَّكل. لم أعد بالغاً، بل أنتمي إلى الجيل الثَّالث، كما أرفض أن أُسمّى ذَكراً، إلى حدٍّ ما.

س.د.ب: نعم، حدِّثني بدقَّة عن هذا، لأنَّه يبدو لي هامّاً.

ج.ب.س: الذَّكرُ البالغُ يبعثُ نفوراً بالغاً في نفسي. ما أحبُّه هو الشَّابُّ، لأنَّه لا يختلف تماماً عن الفتاة؛ هذا لا يعني أنِّي لواطيّ، بل؛ لأنَّ الشَّابَّ لا يمتاز كثيراً عن الفتاة من حيثُ اللِّباس، وطريقة الكلام، والهيئة؛ لم أنظر أليهما أبداً بوصفهما مُتمايزيَن.

س.د.ب: حينما كان لديكَ علاقاتٌ شخصيَّةٌ فعلاً، وصداقات؛ لم يكن الذَّكرُ البالغ يظهرُ بوصفه كذلك؛ إنَّه جينيه؛ إنَّه جياكوميتي، وغيرهما. لكنَّ الرَّجلَ، بشكلٍ عامٍّ، إذا التقيتَه على هذا النَّحو...

ج.ب.س: إنه الذَّكَرُ البالغُ.

س.د.ب: وهذا ما لا تريد أن تكونَه.

ع.ب.س: نعم، هذا ما لا أريدُ أن أكونَه. هذا أكيد.

س.د.ب: لماذا ؟ حتَّى هذه العبارة الَّتي استخدمتها؛ دفعتكَ إلى الابتسامِ بقرَفٍ.

ع.ب.س: لأنَّها تُفرِّقُ بين الجنسين بشكلٍ بشعٍ ومُضحك. الذَّكر، هو الشَّخص الَّذي يحملُ أنبوباً بين فخذيه. بينما هناك الأنثى البالغة الَّتي ينبغي مقابلتها به. إنَّها حياةٌ جنسيَّةٌ بدائيَّة إلى حدٍّ ما. ثمَّة أشياء تُضاف إليها عموماً. وهذا أمرٌ هامٌّ إلى حدٍّ ما.

س.د.ب: أظنُّ أنَّ هناك كلمةَ بالغ أيضاً.

ع.ب.س: كلمة بالغ، موجودة، وهذا يعني أنَّنا أنجزنا دراستنا، ووصلنا إلى نوعٍ من المهنة الَّتي تلائم البالغ، وأصبحت لدينا أفكارُنا، الَّتي كوَّنَّاها لنحتفظَ بها طيلة حياتنا. والمحافظة عليها جزءٌ من حياة الإنسان.

س.د.ب: صحيح، صناعة الأفكار، وإغلاق الباب عليها، والحدُّ منها، إلخ. وهناك شيءٌ آخر، يتَّفق مع ما تقول؛ لديكَ إزاءَ الرِّجال والنِّساء، والجنس البشريِّ عموماً، موقفاً مزدوجاً مُخالِفاً لموقفي، وربَّما هذا هو السَّببُ الَّذي يجعلني أراه غريباً. بمعنى أنَّك مُنفتحٌ جدّاً حينما يأتيك أحدُهم للحديث معك؛ كما يحدث معكَ في مقهى لاكوبول La Coupole؛ حينما يأتي أحدُهم للتَّحدُّث معك. أمَّا أنا فلستُ لطيفةً في هذا، لأنِّي طالما أرغبُ بطردِ هؤلاء النَّاس؛ أمَّا أنتَ فمضيافٌ؛ تُسارع إلى تحديد موعد، وتكون كريماً، ومُنفتحاً، لكن حينما تريد معلومةً وأنت في الشَّارع؛ فهذا مُريعٌ لو قلتُ لك: سأطلب معلومةً من أحدِهم حولَ شارع ما، كيوم ضِعنا في نابولي مثلاً، فإنَّك ترفض ذلك، ويتجهَّم وجهُك. لمَ هذا الموقفُ المضياف، وذلك الموقفُ الرَّافض بحنقٍ تقريباً؟

ع.ب.س: في الحالة الأُولى؛ النَّاس يأتون لسؤالي عن شيء، ويعرضون عليَّ وجهةَ نظرٍ مُعيَّنة، ويرغبون في أن أكرِّسَ لهم جزءاً من وقتي. المعلومة، هم من يقدِّمونها إليَّ؛ فأُصغي؛ وهو نقيضُ الحالة الأولى. إذ أنني، هنا، مَنْ يسأل غيري عن شارع مُعيَّن...

س.د.ب: لكن، السُّؤال عن اسمِ شارعٍ، أو طلب خدمةٍ صغيرة من أحدهم يدخل في إطار التَّبادليَّة؛ وهو اعترافٌ به بوصفه صِنواً لك، كأيٍّ كان، مثلك، ولا يعني هذا الاستجداء كالمتسوِّل. لِمَ هذا الموقفُ المتحفِّظ، وهذا الرَّفض، حينما يتعلَّق الأمر بطلب معلومةٍ مُعيَّنة؟

ع.ب.س: إنَّه حتماً يعني مخاطبةَ ذاتيّةِ الآخر، وجوابهُ حاسمٌ بالنِّسبة لي؛ فإذا قال لي: عليَّ التَّوجُّه إلى اليسار؛ عليَّ أن أتَّجه يساراً، وإن قال لي: عليَّ التَّوجُّه إلى اليمين؛ سأذهبُ يميناً، وهذا الاحتكاك بذاتيَّة الآخر هو ما أريد اختصارَه إلى الحدِّ الأدنى.

س.د.ب: ليس ما يجيبك عنهُ ذاتيّاً إلى حدٍّ كبير. فهو يردُّ عليكَ كما لو كنت تنظرُ إلى مخططِ مدينةٍ.

ع.ب.س: ومع هذا ! سيقول لنفسِه: هذا شخصٌ يطلبُ منِّي كذا، وسيقول بأنِّي لم أعُدْ أتذكَّر تماماً أيَ يقع هذا الشَّارع، لكن... إنَّنا نكتشفُ النَّفسيَّة الذَّاتيَّة لشخصٍ مُعيَّن من خلالِ طرحِ السُّؤال؛ أي إنَّنا نقيمُ معه علاقةً ذاتيَّة.

س.د.ب: هل تعني أنَّك تضعُ نفسَكَ في علاقة تَبَعيَّة؟

ع.ب.س: هذا صحيحٌ من جهة، خصوصاً وأنَّ ذاتيَّة الآخر لا تعجبني أبداً. باستثناءِ بعضِ الأشخاص، المحددِّين تماماً. والَّذين أحبُّهم، عندها يكون لذلك معنى.

س.د.ب: لكن؛ حينما تقول عن نفسك بأنَّكَ **أيّاً كان**، وتساوي **أيّاً كان**، إلخ، فهذا يفترضُ أنَّكَ تعيش علاقاتكَ مع النَّاس بنوعٍ من الوضوح، والشَّفافية،

بحيث إذا طُلبَتْ منكَ خدمةٌ؛ فإنَّك تؤدِّيها. هناك من يعيشُ الأشياءَ على هذا النَّحو.

ج.ب.س: قطعاً، وهم مُحِقُّونَ بذلك ! هكذا ينبغي أن تكون الأمور. في الماضي كان ذلك عندي، خجلاً، ثمَّ أصبح عادةً. أما الآن؛ فلمْ أعُدْ كذلك.

س.د.ب: لكن هناك ثمَّة نوعٌ من العِناد إزاءَ فكرةٍ أن يطلبَ أحدُهم خدمةً منك، كأن يُزعجك النَّادل مرَّتين، بينما هي مهنته، ليحملَ إليكَ شيئاً. ثمَّة عنادٌ سببُه ما بقي لديكَ من حِقدٍ قديم على البشريَّة.

ج.ب.س: بالفعل ـ مع أنِّي لستُ عمليّاً ولا بارعاً ـ أُفضِّل دائماً تدبيرَ أموري بنفسي بدلاً من طلب المساعدة. لطالما ثَقُلَ عليَّ طلبُ المساعدة.

س.د.ب: أيُّ نوع من المساعدة؟

ج.ب.س: أيَّ مساعدة؛ أعني مساعدةَ أُناس لا أعرفهم جيِّداً، أو أعرفهم قليلاً. لمْ أطلبِ الكثيرَ من المساعدة في حياتي.

س.د.ب: لا، لكن، في ذلك اليومِ الَّذي فقدتُ فيه مالي[1]، ولم يكن لديَّ الوقتُ لاستبدالِ ما معي من عُملةٍ صعبةٍ بعملة إيطاليَّة، وبطبيعة الحال، تحدَّثتُ مع مدير الفندق، وأقرَضني مائتي ألف ليرة إيطالية؛ أنا على يقينٍ بأنَّني لو قلتُ لكَ: سأقترضُ مائتي ألف ليرة من مديرِ الفندق ـ لا سيما أنَّنا زبائن قُدامى، ولا يزعجهم الأمر لأنَّهم يعرفون بأنَّنا سنُعيد إليهم مالَهم في اليوم التَّالي ـ لقلتَ لي: «لا، هذا يُزعجني!».

ج.ب.س: لا، ليس إلى هذا الحدِّ. ربَّما قلتُ لكِ هذا قبلَ عشرِ سنوات، أو خمسَ عشرةَ سنة، أمَّا اليومَ فليس لي أن أقولَ لكِ ذلك، بل لرُبَّما نصحتُك بالقيام به.

---

(١) في روما حيث سُرقت حقيبة يدي.

س.د.ب: مع ذلك؛ أريدك أن تشرحَ لي سببَ هذا العِناد قليلاً إزاءَ النَّاس عموماً. أُدركُ ألَّا يكونَ للمرءِ رغبةٌ في طلب النَّجدةِ من النَّاس دائماً، والتَّشبُّث ببعضهم، لكنْ لمَ هذا النُّفورُ كلُّه؟ هل يعود السَّببُ إلى طفولتِك؟

ج.ب.س: نعم؛ كانوا يطلبون الكثيرَ من الآخرين، وكانوا يقولون: يمكنهم تقديمُ خدمة، ويجب أن نطلبَ منهم ذلك، وسيلبُّونه، إلخ؛ أمَّا أنا؛ فكان عندي الانطباعُ بأنَّنا نزعجُهم بطلب خدمةٍ منهم؛ لا شكَّ أنَّ لديَّ فكرةَ أنَّني أُزعج الآخرَ حينما أطلب معلومةٍ منه.هنا، أتذكَّر شخصيَّةً كنتِ تقولين إنَّها تُشبهني...

س.د.ب: شخصية السَّيِّد ريشة Plume في نصوص هنري ميشو Michaux، كانت هكذا تماماً.

ج.ب.س: كنتُ أظنُّ أنَّ النَّاس مُعادون.

س.د.ب: مُعادونَ لمن؟

ج.ب.س: مُعادونَ لي، إن طلبتُ شيئاً مُهمّاً.

س.د.ب: إذاً مُعادون للنَّاس عموماً؟

ج.ب.س: معادون للآخرين، لا أعرف؛ لأنَّ لديهم طريقتَهم الخاصَّة في الطَّلب.

س.د.ب: لماذا تراهم مُعادين لكَ، طالما أنَّك عابرٌ مجهول؟

ج.ب.س: لأنَّ ذلك مرتبطٌ بتصوُّري عن نفسي؛ كنتُ أعتقدُ أنَّ النَّاس لا يحبُّونَني لجسدي. ربَّما كمن هنا شعوري بأنِّي قبيحٌ، وهو شعورٌ لم أكترِثْ لهُ كثيراً، على الرَّغم من وجودِه.

س.د.ب: لكنَّك لستَ قبيحاً بحيثُ تنفرُ منك امرأةٌ حامل، لو سألتها أين يقعُ شارع روما...

ج.ب.س: لا، لمْ أفكِّر بهذا على الإطلاق. لكن حينما يكون السائل قبيحاً قد يُظَنُّ المسؤول أنَّك تفرض حضوراً كريهاً عليه.

س.د.ب: قد يعود هذا إلى الطُّفولة؛ لا تبالغ: فلستَ أكثرَ قُبحاً من غالبيَّة الرِّجال.

ج.ب.س: بلى، لأنِّي أحوَل.

س.د.ب: الرِّجال ليسوا جميلين جدّاً.

ج.ب.س: لا، ليسوا جميلين.

س.د.ب: لكن، فعلاً بسببِ أمرٍ بسيطٍ كهذا...

ج.ب.س: لكن ينبغي أخذُ هذا بعين الاعتبار. لا بدَّ أنَّه كان ثمَّة رابطٌ بينَ الآخرين وبيني حينما كنتُ شابّاً، حيث كان الآخرون هم العنصرَ الأساسيَّ، وأنا العنصرَ الثَّانويَّ.

س.د.ب: الأمر دائماً كذلك حينما نكون صغاراً، إلَّا إذا نظرنا إلى الأشياء بعدوانيَّة تامَّة.

ج.ب.س: هذا لا ينطبقُ عليَّ. صحيحٌ أنَّني لم أكُنْ أحبُّ الدُّخولَ إلى الصَّفِّ، كتلميذٍ جديد؛ لم أكنْ أحبُّ هذا، كما لم أكنْ أحبُّ الأوْلادَ الموجودين هناك. في ما بعد؛ نقوم بالتَّعرُّف على بعضنا، ونتدبَّرُ أمورَنا، لكنَّهم في البداية أناسٌ مُعادون لي.

س.د.ب: بمعنى أنَّك حينما تدخل في جماعة مُعيَّنة؛ يتكوَّن لديكَ انطباعٌ أوَّليٌّ بأنَّها مُعادية. هل هذا ما شَعرتَ به أيضاً حينما بدأتَ الخدمة العسكريَّة؟ أعني، في سان ـ سير. لأنَّ عددَكم أصبح قليلاً بعد ذلك.

ج.ب.س: نعم، بالتَّأكيد.

س.د.ب: لكن، لمْ يخالجْكَ هذا الشُّعور حينما أتيتَ إلى دار المعلِّمين، لأنَّكم كنتم تعرفون بعضَكم هناك...

ج.ب.س: لا؛ كنتُ أعرف بعضَهم، لكن عموماً؛ كانت ثمَّة عدائيَّةٌ. وبشكلٍ طبيعيٍّ، فإنَّ الشَّخص الَّذي ينظر إليَّ، أو يتقاطعُ معي في الشَّارعِ هو مُعادٍ بشكلٍ طبيعيٍّ.

س.د.ب: تلك أشياءُ هامَّةٌ من شأنها تفسيرُ موقفٍ عامٍّ. أذكر حينما تعرَّضتُ لحادثِ الدرَّاجة، وكان منظري بَشِعاً. دخلتُ إلى أحدِ المحالِّ، وتحدَّثت إلى التَّاجر، وقلت لنفسي يومَها: «يا إلهي، كم يكون المرءُ مُعاقاً حينما يشعرُ بأنَّه قبيح !». من المحبَّب للنَّفس أن تشعرَ الفتاةُ بأنَّها مَليحة. لم أكنْ أعتبرُ أنّي ذات جمالٍ مُميَّز، كنت في الثَّلاثين من عمري. وكانت العلاقة أولويَّة، علاقة غوايةٍ تقريباً؛ كنتُ في طريقي لشراءِ قطعةٍ من الخبز، وأظنُّ أنَّ حضوري من شأنه أن يسرَّ الرِّجالَ. قلتُ في نفسي: «يا إلهي. لا بُدَّ أن يتغيَّر هذا بطريقة دقيقة، وكتابته بالغة الصُّعوبة، لا بُدَّ أنَّ تتغيَّر نتائجُ أن يكونَ المرءُ مُشوَّهاً طيلةَ حياته. نعم.

ج.ب.س: لكنِّي، أعترفُ بأنَّكِ كنتِ، في تلك الفترة، أقبحَ ممَّا أنا عليه بشكلٍ طبيعيٍّ.

س.د.ب: طبعاً؛ لكن ليس هذا ما قصدتُ قولَه. ثمَّ إنّي حتماً، لا أحسُّ بعلاقتي بالنَّاس بالطَّريقة نفسِها، بعد أن تقدَّم بي العمرُ كما كنتُ أشعر بها عندما كان عمري ثلاثين عاماً.

ج.ب.س: هذا مُؤكَّد. أنا لم أشعرْ بأنَّ رؤيتي مُريحةٌ للآخرين أبداً.

س.د.ب: أردتُ أن أتحدَّث عن طريقةٍ أو كيفيَّةٍ أن يكونَ المرءُ راضياً عن نفسه إزاءَ الآخرين.

ج.ب.س: هي طريقةٌ لم أجدْها، تحديداً.

س.د.ب: لم تجدْها لأسبابٍ أُخرى غيرَ نقص الجمال، لأنَّك أوَّلاً، لم تكن قبيحاً...

ج.ب.س: بلى، كنتُ قبيحاً؛ لكنَّ هذا الأمرَ لم يكنْ يُزعجني كثيراً.

س.د.ب: إنَّها حتماً عُقَدُ الطُّفولة، والمراهقة؛ لا بُدَّ أنَّك تأثَّرت كثيراً حينما قالتْ لك الفتاةُ: «أنت أحمقٌ وضيع».

ج.ب.س: صحيح، ولهذا صلةٌ بزواج أُمِّي، وبحياتي في مدينة لاروشيل.

س.د.ب: أُكرِّر، غريبٌ أمرُ هذا التَّناقض بين تصلُّبِك، وانفتاحِك في الوقت نفسه، إضافةً إلى لُطفك، وحرارتك حينما...

ج.ب.س: حينما يتوجَّه إليَّ أحدُهم ليطلبَ منِّي شيئاً، فإنَّ ذلك كلَّه يختفي.

س.د.ب: نعم، لأنَّك كنتَ معروفاً في تلك الفترة. إنَّنا اليومَ نتحدَّث عن الحاضر؛ لكن ليس هذا الحاضر هو المهمّ: بل يومَ كان عمرُكَ أربعين عاماً، أو في الخمسين، كان هذا التَّضادُ مُثيراً. بقي منه فيكَ شيءٌ، لكنَّه انتهى. إنَّها مواقف ينبغي وصفُها لأنَّها أدهشَتْني حينما كنتَ ما تزال أكثرَ شباباً.



النِّساء

س.د.ب: دعنا نتحدَّثْ عن علاقاتِكَ بالنِّساء، ماذا تقول في هذا؟

ج.ب.س: لطالما شكَّلَتِ النِّساء لي منذُ طفولتي، شاهداً على العاطفة، والكوميديا، والغواية، سواءً في الحلم أم في الواقع؛ فقد كان لديَّ،وأنا في السَّابعة من عمري خطيبات، كما يُقال. في فيشي Vichy؛ كان لديَّ منهنَّ أربع أو خمس؛ وفي أركاشون Arcachon؛ أحببتُ إحداهنَّ حُبّاً جَمّاً؛ تُوفِّيت في السَّنة التَّالية بمرضِ السّلّ؛ كان عمري ستَّةَ أعوامٍ في تلك السَّنة الَّتي التُقطَتْ لي فيها صورةٌ وأنا أحملُ مجرفةً في مركبٍ صغيرٍ من الخشبِ المطليِّ بالدِّهان؛ وأنا أُلاطفُ تلكَ البنتَ اللَّطيفة الَّتي توفيت؛ وأجلس إلى جانبِ كرسيِّها المتحرِّك؛ وهي مُمدَّدةٌ، لإصابتها بالسِّل.

س.د.ب: هل تألَّمتَ كثيراً لوفاتها؟ هل تأثَّرتَ؟

ج.ب.س: لم أعُدْ أذكر. ما علِقَ في ذاكرتي هو أنِّي كنتُ أكتبُ إليها أشعاراً عجيبة، أرسلتُ قسماً منها إلى جدِّي في رسائلي.

س.د.ب: أشعاراً طفوليَّة.

ج.ب.س: أشعارٌ بلا إيقاع، كتبَها طفلٌ في السَّادسة من عمره. إضافةً إلى ذلك؛ كانت ثمَّة فتياتٌ في كلِّ مكان تقريباً تربطني بهنَّ علاقاتٌ قليلة، لكنَّها تقوم على فكرة غراميَّة.

س.د.ب: ما الَّذي أوحى لكَ بهذه الفكرة؟ هل هي قراءاتُك؟

ج.ب.س: لا شكَّ في ذلك. وما زالت ذكرى عالقةً في ذهني منذُ أن كنتُ في الخامسة من عمري، وهي بالتَّأكيد ذكرى يحملها كثيرٌ من الأطفال: فقد تركني

جدَّاي مع فتاةٍ في سويسرا على حافَّة البُحيرة. ومرَّةً بقيتُ لوحدي في الغرفة معها، ننظر إلى البُحيرة عبرَ النَّافذة، ولعبنا لعبةَ الطَّبيب؛ كنتُ الطبيبَ، وهي المريضة، فأعطيها حقنةً في الشَّرج، بعد أن تُخفضَ سروالَها الدَّاخليَّ القصير، ثمَّ تأتي الأشياءُ اللَّاحقة. بل كان عندي جهازٌ أظنُّه أنبوبةً كانوا يحقنونني بها صغيراً، فأحقنها بها. إنَّها ذكرى جنسيَّة تعود إلى سنتي الخامسة...

س.د.ب: هل كانت الصَّغيرة تستمتعُ بذلك؟

ج.ب.س: في كلِّ الأحوال؛ لم تكن تقاوم. وأظنُّ أنَّ الأمرَ كان يعجبها. وحتَّى سِنِّ التَّاسعة تقريباً؛ كانت لي علاقات، حيث كنتُ أقومُ بدورِ المتبجِّح، والغاوي؛ لم أكنْ أعرف كيفَ تتمُّ الغواية، لكنِّي قرأتُ كتباً تتحدَّث عن كيفيَّة أن يكونَ المرء غاوياً؛ أظنُّ أنَّ ذلك كان يتمُّ من خلالِ الحديث عن النُّجوم، وإحاطة خصر الفتاة، أو كتفيها بالذِّراعين، والتَّحدُّث إليها عن جمالِ العالم بكلماتٍ ساحرة. وفي باريس؛ كان لديَّ مسرحاً صغيراً مليئاً بالدُّمى الصَّغيرة، الَّتي تُمثِّل شخصيَّات كنتُ أُدخِلُ فيها يدي؛ حملتُه معي إلى لوكسمبورغ، فأُزلق يديَّ في هذه الشَّخصيَّات (الدُّمى)، وأنا جالس في كرسيٍّ أتخيَّل مسرحاً أجعلُ شخصيَّاتي تمثِّلُ فيه. كان المتفرِّجون عبارةً عن بنات صغار يَفِدنَ إليَّ من الجوار في فترة بعد الظُّهر. وبطبيعة الحال؛ كان خياري يقعُ على هذه البنت أو تلك. هذا كلُّه لم يستمر إلَّا حتَّى التَّاسعة، أو ربَّما حتَّى السَّابعة، أو الثَّامنة من عمري. بعد ذلك؛ هل كان قبحي سبباً في عدمِ إثارةِ اهتمامِ أحد؟ على أيِّ حال، في حوالي الثَّامنة من عمري، وخلالَ بضع سنوات.لم تعُدْ ليَّ أيُّ علاقة بفتياتِ الشَّوارع، أو الحدائق. في تلك الفترة، أي في سِنِّ العاشرة؛ أصبح الأمرُ مُبهماً بالنِّسبة للأهل، وأدَّى إلى مآسٍ وقصص صغيرة. ربَّما يكون هذا هو السَّبب. من جهة أخرى، كانت أُمِّي وجدَّتي محاطتَين بنساءٍ شابَّات بعمر والدتي، كنَّ في أغلبِ الأحيانِ تلميذات لجدِّي، أو صديقاتٍ لجدِّي، وأقمت نوعاً من العلاقة مع بعضهن.

س.د.ب: هل تعني أنَّ النِّسوة اللَّاتي بعمر والدتك كنَّ كلُّهنَّ، أو بعضهنَّ يبدون لك جذَّابات؟

ج.ب.س: نعم؛ لكنِّي لم أكن قادراً على تخيُّلِ إقامةِ علاقاتٍ مع نساء أكبرَ منِّي بعشرين سنة أو أكثر. كنَّ يداعبنني. فتطوَّرت شهوانيَّتي الأُولى مع النِّساء.

س.د.ب: مع النِّساء الأكبر منك، وليس مع الفتيات؟

ج.ب.س: كنتُ أكنُّ الوُدَّ للفتيات الصَّغيرات، كرفيقاتٍ اخترتهنَّ في تلك الفترة، لكنَّ الشَّهوانيَّة لم تكن موجودة بيننا؛ لم تكن هيئاتُهنَّ قد تكوَّنت بعد، فانصبَّ اهتمامي صغيراً على نهودِ النِّساء ومؤخِّرتهنَّ. كنتُ أحبُّ حينَ يربتنَ عليَّ. أتذكَّر فتاةً تركت في نفسي أثرَين متناقضين: كانت فتاةً بالغةَ الجمال وقويَّة في الثَّامنةَ عشرةَ من عمرها، أي أكبر منِّي بكثير. لنلعبَ لعبة الزَّوج والزَّوجة، ومع ذلك صارت بيننا علاقاتُ الزَّوج بالزَّوجة؛ ربَّما قبلت المشاركةَ في تلك اللُّعبة بدافع اللَّطافة، والتَّساهل؛ كنتُ أراها جميلةً فتعلَّقت بها إلى حد كبير، وكنتُ في السَّابعة من عمري آنذاك، وهي في الثَّامنة عشرة. حدثَ ذلك في الألزاس.

س.د.ب: وحينما كبرتَ أكثر، أي بعد أن صرتَ في العاشرة، أو الثَّانية عشرة من عمرك، ماذا فعلت؟

ج.ب.س: لم يحدث شيء. بقيتُ في مدرسة هنري الرَّابع حتَّى الثَّانية عشرة. ولم أعد أرى سوى صديقاتِ والدتي، والقليل من الفتيات. في سِنِّ الحادية عشرة؛ سافرتُ إلى لاروشيل. لكنَّ علاقاتِ زوج أُمِّي، ونظرته إلى الحياة جعلت علاقاتي بالفتياتِ مستحيلةً، لأنَّه كان يرى أنَّ على صبيٍّ في عمري أن تكونَ له علاقاتٌ مع الأولاد. فاقتصَرتْ علاقاتي على رفاقِ المدرسة، إضافةً إلى أنَّ زوجَ أُمِّي لم يكنْ يعرفُ سوى قائدِ المنطقة والعمدة، وبعض المهندسين، وأُناسٍ من هذا القبيل، وشاءت المصادفةُ ألَّا يكون لهؤلاء النَّاس

بناتٌ صغيرات؛ بالنَّتيجة، كنتُ ضائعاً تماماً في لاروشيل، ولم تنتبْني سوى مشاعر غامضة إزاءَ اثنتين أو ثلاثة من صديقاتِ والدتي، لكنَّها لم تكن مشاعر كبيرة. لا شكَّ أنَّه كان لديَّ شعورٌ جنسيٌّ، إلى حدٍّ ما، إزاءَ والدتي. في الثَّالثة عشرةَ أو الرَّابعة عشرةَ من عمري؛ أُصبتُ بالتهابٍ في الأنف والأذن Mastoïdite، وأُجريَتْ لي عمليَّة، وبقيتُ ثلاثةَ أسابيع في إحدى العيادات، ووضعت أُمِّي سريراً متعامداً مع سريري. وحينما كنتُ أغفو في المساء؛ كانت تنضو ملابسَها عنها، وتبقى ربمَّا شبهَ عارية، فأبقى مُستيقظاً في نصف إغفاءة، لأرى عبرَ جفنيَّ، وأنظر إليها وهي تتعرَّى. ويبدو أنَّ رفاقي كانوا يرونها مناسبةً لأذواقهم، إذ كانوا، من وقتٍ لآخر، يضعونها في قائمةِ الأشياء النِّسائيَّة، أو الشَّخصيَّات الَّتي تناسب ذوقهم. وفي لاروشيل؛ كانت لي تجربةٌ مع الصَّغيرة ليزيت جواريس، وهي ابنةٌ جميلة لبائع معدَّات للمراكب. كانت تتنزَّه على الرَّصيف الدَّاخلي في لاروشيل، فوجدتها بالغةَ الجمال؛ وكانت تعرف أنَّها جميلة؛ لأنَّ عدداً كبيراً من الأولادِ كانوا يجرونَ خلفَها. قلتُ لرفاقي: [إنِّي راغبٌ في لقاء ليزيت جواريس، وقالوا لي، ذات يوم، إنَّ الأمرَ سهل، وما عليَّ سوى مواجهتها في الممرِّ المشجَّر؛ وكانت هناك فعلاً برفقة عدَّة أولاد كانوا يتحدَّثون إليها عن كثب. أمَّا أنا؛ فكنتُ معَ رفاقٍ آخرين في الجهة الأُخرى من الممرِّ. لم أكنْ أعرفُ كيفَ سأتصرَّف، ثمَّ تنبَّهت؛ رأَت أنَّها غير قادرة على أن تأخذ منِّي أيَّ شيءٍ مفيد لو بقيَت معهم؛ فانطلقَت فوقَ درَّاجتها الهوائيَّة في الدُّروب، فلحقت بها؛ لكن لم أخرج بنتيجة. لكن حينما عدتُ إليها في اليوم التَّالي؛ استدارَت نحوي وقالت لي أمامَ رفاقي: «إنَّك أحمق، بنظارتيكَ وطاقيَّتك». فأغرقتني هذه الكلماتُ في الألم واليأس؛ بعد ذلك، رأيتها مرَّتين أو ثلاث؛ وذات مرَّة؛ أراد أحدُ رفاقي ألَّا أكون الأوَّل في مادَّة اللُّغة اليونانيَّة، فقال لي إنَّها تنتظرني عندَ السَّاعةِ الحاديةَ عشرةَ. كان موعدُ اختبارِ اللُّغة

اليونانيَّة بين السَّاعة الثَّامنة والثَّانية عشرة ظهراً، فكان لا بُدَّ من تسليم الموضوعِ عندَ السَّاعةِ الحاديةَ عشرةَ إلَّا ربعاً، وهو ما قمتُ به، فكانت النَّتيجةُ يُرثى لها. ومرَّةً أُخرى، رأيتها عندَ حاجز الأمواج وهي تتجاوزه لتصلَ إلى الرِّمال. فوقفتُ بحماقةٍ إلى جانبها، لكنِّي لم أعرفْ كيفَ أكلِّمها، فلم أقلْ شيئاً. تنبَّهَت إلى حضوري، لكنَّها تابعَتْ لعبَها، وتساءلت عمَّا إذا كنتُ سأتلفَّظ بحماقاتٍ أم لا.

س.د.ب: ألمْ تتبادل معها الكلامَ أبداً، أو حظيت بنزهةٍ، أو بلعبةٍ مع هذهِ الفتاة؟

ج.ب.س: أبداً، لا شيءَ من هذا.

س.د.ب: ألم تتواصلْ معها أبداً بعدَ ذلك؟

ج.ب.س: أبداً.

س.د.ب: هل كان في لاروشيل فتياتٌ أُخرياتٌ قمتَ بمغازلتهنَّ؟

ج.ب.س: قمتُ، مع اثنين من رفاقي، بمغازلةِ ابنةِ عاملة إحدى دور السِّينما [تُرشد الزَّبائن إلى مقاعدهم]؛ تَعَرَّفنا إليها، لكنَّ اهتمامَها كان مُنصبّاً على كلٍّ من بيلوتييه، وبوتييه لجمالِهما، أكثرَ من اهتمامها بي، لكنَّها كانت تلتقي بنا ثلاثتنا؛ لم تتعمَّق علاقتُنا، وتوقَّف الأمرُ عندَ حدِّ الحديث معها، ومرافقتها إلى بيتها. كنتُ أتكلَّمُ كالاثنين الآخريْن، ونذهب إلى السِّينما، وبما أنَّ والدتها كانت عاملةً هناك؛ فقد كانت تجلس إلى جانبنا، وتكلِّمنا. كانت، على ما أذكر، بالغةَ الجمال.لكن لم تؤدِّ علاقتنا إلى أيِّ شيء؛ رُبَّما لم أكن غاوياً بارعاً. أظنُّ أنَّ هذه هي الأحداث الوحيدة الَّتي مرَّت بي حتَّى الخامسة عشرة من عمري، أي حتَّى مغادرتي لاروشيل، إلى مدرسة هنري الرَّابع في باريس. حيثُ أصرَّ جدِّي على أن أحصلَ منها على شهادة البكالوريا،

الَّتي كان يمكن أن أتقدَّم إليها أيضاً في لاروشيل، لكنَّه ظنَّ أنَّ هذا التَّغيير قد يكون مُفيداً لي. وبالفعل صرتُ تلميذاً داخليّاً بعدَ انتقالي إلى باريس، وهو ما غيَّرني كثيراً، ونلتُ جائزة التَّميُّز، وهو ما كان لي أن أنالَه في لاروشيل.

س.د.ب: دعنا نعُدْ إلى النِّساء، كيف كان الأمر معهنَّ في باريس؟

ج.ب.س: في باريس؛ ظهر عندي ميلٌ مثليٌّ: حيث كنتُ أُخاطر بنزعِ كلاسين الأولادِ في المهاجع.

س.د.ب: لكنَّه ميلٌ خفيفٌ جدّاً.

ج.ب.س: لكنَّه كان موجوداً. رُبَّما اصطحبتُ إحدى قريبات نيزان إلى متحف اللُّوفر في تلك السَّنة. لم تكن جميلةً جدّاً، وأظنُّ أنَّها لم تكن تراني مُغرياً جدّاً.

س.د.ب: لكن، كان لديكَ تصوّرٌ في ذهنك: أي أنَّك شابٌّ لابُدَّ أن تكون له قصصٌ مع النِّساء، هذا شيء مؤكَّد.

ج.ب.س: هذا صحيح، بعد أن صرتُ كاتباً؛ أصبحت لي علاقات غراميَّة مع كثير من النِّساء، وعواطف... إلخ. رُبَّما تكون الكُتبُ المخصَّصة للكُتَّابِ الكبار هي السَّبب.

س.د.ب: هل كان لدى رفاقك، مثل نيزان، التَّصوُّر نفسُه، والتزموا به؟

ج.ب.س: تماماً. كانوا ملتزِمين إلى حدٍّ ما، لأنَّهم كانوا يافعين.

س.د.ب: ولم يكونوا أغنياء، لكن كانت هذه الفكرة تدور في رؤوسهم.

ج.ب.س: مثلاً، كانوا مُغرمين بالسَّيِّدة شاديل، والدة أحدِ رفاقنا الَّذي كُنَّا نتهكَّمُ كثيراً عليه. لا أذكر أنَّه حدثت معي قصصٌ هامَّة في البكالوريا.

س.د.ب: وبعد؟

ج.ب.س: ولا في صفِّ الفلسفة.

س.د.ب: متى ضاجعتَ امرأةً للمرّة الأُولى.

ج.ب.س: في السَّنة الثّالية. كنتُ في مدرسة لوي لوغران Louis-Le-Grand. بعد أن تقدَّمت لامتحانِ البكالوريا الثّانية في مدرسة هنري الرّابع، كانت هناك طالبةٌ بالغةُ الجمال في المرحلة التَّحضيريَّة، وكان آلان أستاذاً للفلسفة. ولا أعرف سببَ إخراجي من مدرسة هنري الرّابع، ووضعي في مدرسة لوي لوغران الّتي كان فيها صفٌّ تحضيريٌّ Khâgne جدّيٌّ ومُمِلٌّ، حيث بقيتُ فيها إلى أن خرجتُ إلى دار المعلّمين. الأمرُ مُعقَّد: في البداية جاءت امرأة من تيفييه Thiviers، وهي زوجةُ أحد الأطبّاء؛ لا أعرفُ سببَ مجيئها للبحث عنّي في المدرسة، فقلت لها إنّي تلميذٌ داخليٌّ، فعبَّرَتْ عن أسفها وسألتني: ألا تخرج يومي الخميس والأحد؟ فأجبتها بالإيجاب، وحدَّدت لي موعداً يوم الخميس التّالي في السّاعة الثّانية بعد الظُّهر عند إحدى الصَّديقات. قبلت، ولكنّي لم أفهم السَّبب. فهمت أنّها كانت ترغب في إقامةِ علاقةٍ جسديَّة معي، لكنّي لم أفهم جيّداً السَّبب؛ لأنَّ لديَّ انطباعاً بأنّي لا أروق لها.

س.د.ب: لكن، حينما قابلتها سابقاً في تيفييه، هل وقع شيء بينكما؟

ج.ب.س: لاشيء.

س.د.ب: هل طال لقاؤكما؟

ج.ب.س: لا. كنتُ مندهشاً تماماً لرؤيتها في المدرسة، ولا يمكنني شرحُ ما كان يدور في رأسِها. ذهبتُ إلى هذا الموعد، وأفهمتني بأنّنا يمكن أن نتضاجع.

س.د.ب: كم كان عمرُها؟

ج.ب.س: ثلاثين سنة، وأنا في الثّامنة عشرة. قمتُ بذلكَ، من دونِ حماسةٍ كبيرة، لأنّها لم تكنْ جميلةً جدّاً؛ بل مقبولةً، فتدبَّرتُ أمري قليلاً، وبدَتْ مسرورة.

س.د.ب: هل عادت مرّةً ثانية؟

ج.ب.س: لا.

س.د.ب: ربّما لأنّها لم تكنْ مسرورةً تماماً. ألم تحدِّدْ لكَ موعداً آخر؟

ج.ب.س: لا، رحلَتْ في اليومِ التَّالي. بتعبير آخر؛ جاءت إلى المدرسةِ بحثاً عنِّي بهدفِ مضاجعتِها. ثمَّ عادت من حيث أتت.

س.د.ب: ألم تعرفْ أيَّ شيءٍ عنها في ما بعد؟

ج.ب.س: رُبَّما لم تكنْ تعرفُ مكانَ وجودي. ولم أفهمْ حتَّى الآنَ سببَ حدوثِ هذه القصَّة، وقد سردتُها لكِ كما حدثَت. في هذه السَّنة، أو في تلك الَّتي تلتها؛ التقيتُ برفاقي من مدرسةِ هنري الرَّابع في حديقةِ اللكسمبورغ لدى خروجي يومَ الخميس، وكانوا مع فتياتٍ من حيِّ سان ميشيل، ومعهنَّ ابنةُ بوَّاب مدرسةِ هنري الرَّابع. خرجنا بصحبتهنَّ ـ يومَها كنتُ تلميذاً داخليّاً ـ وداعبناهنَّ ثمَّ حدَّد كلٌّ منَّا موعداً في الغُرَف، وضاجعناهنَّ. وأذكر أنَّني يومَها ضاجعتُ فتاةً جميلةً في الثَّامنةَ عشرةَ من عمرها؛ كانت سهلةَ القياد.

س.د.ب: هل تواصلتَ معها، أم حدثَ هذا لمرَّةٍ واحدةٍ وانتهى؟

ج.ب.س: مرةً واحدةً، وكذلك الأمرُ بالنِّسبةِ للأُخريات. كانت لطيفةً معي قبلَ وبعد، وبالتَّالي.لم يخبْ أملُها، لم تكنْ تسعى وراءَ شيء أعطيها إيَّاه. كانت مسرورةً بهذا.

س.د.ب: لماذا لم تستمر العلاقة بهنَّ أكثر، بالنِّسبة لكَ ولرفاقك؟

ج.ب.س: لأنَّنا كُنَّا نحتقرُ تلك الفتياتِ في الوقت نفسه.

س.د.ب: لماذا؟

ج.ب.س: كُنَّا نرى أنَّه لا ينبغي على الفتاة أن تُسلِّم نفسَها على هذا النَّحو.

س.د.ب: آه، لأنَّكم تتمتَّعون بأخلاقيَّاتٍ جنسيَّة ! هذا طريف!

ج.ب.س: بمعنى أنَّنا كُنَّا نقارنُ بناتِ صديقاتِ أمَّهاتِنا بالبنات اللَّواتي كُنَّا نلتقيهنَّ عشوائيّاً، والبنات البورجوازيَّات. وبطبيعة الحال؛ إن حدث بيننا

وبينهنَّ مُداعبات؛ فلا يتجاوزُ الأمرُ حدَّ القُبلة على الفم، هذا إذا تمكَّنَّا من ذلك. بينما الأُخريات، إن وجدن، فيمكننا مضاجعتهنَّ.

س.د.ب: وهل تُعيبون عليهنَّ ذلك، بوصفكم بورجوازيِّين صغار؟

ج.ب.س: لا، لم نكن نعيب عليهن ذلك تحديداً، لكن...

س.د.ب: كنتَ مسروراً لإفادتك منهن، وفي الوقت نفسه كانت لديك فكرة أنَّ «الرَّجل لا يتزوَّج بعشيقته». لا سيما أنَّ الزَّواج كان بعيداً عنكَ كلَّ البعد، لذلك لا ينبغي على الفتاةِ أن تقوم بذلك. بالأحرى أنت، أعني أنتَ ورفاقك، كنتم المتحفِّظين؛ ألم تريدوا إقامةَ علاقاتٍ مع تلك النِّسوةِ الفاضلات؟

ج.ب.س: كان ثمَّة هذا، نعم.

س.د.ب: متى تخلَّيتَ عن هذه الفكرةِ الحمقاءِ القائلةِ إنَّ الفتياتِ اللَّواتي يضاجعنَ الشَّبابَ بسهولةٍ، وبحرِّيَّةٍ، عبارةٌ عن مومساتٍ إلى حدٍّ ما؟

ج.ب.س: أوه، بسرعة كبيرة. ما إن بدأتُ بمضاجعةِ النِّساء قليلاً؛ حتَّى تخلَّيتُ عن النَّظر إلى الأمرِ من هذه الزَّاوية. حدث هذا في تلك الفترة، حينما كنتُ في الثَّانويَّة.

س.د.ب: كنتَ ما تزال تحتَ تأثير التَّربية البورجوازيَّة.

ج.ب.س: بالتَّأكيد، لكن ما إن صرتُ في دارِ المعلِّمين حتَّى انتهى هذا.

س.د.ب: كانت تلك أشياءُ جنسيَّةٌ صغيرةٌ محضة، هل حدثَتْ معكَ قصَّةٌ كبيرةٌ قبل البكالوريا؟

ج.ب.س: لا.

س.د.ب: علاقاتُك بِكاميليا، وخطيبتِك، وبعضِ طالباتِ السُّوربون، فأنا أعرفهنَّ جيِّداً، ثمَّ قصَّتُنا الَّتي هي شيءٌ آخر.

ج.ب.س: نعم

س.د.ب: نعم. لكن، علينا ألَّا ننسى أنَّ علاقتَنا موجودةٌ لفهمِ علاقاتِك الأُخرى مع النِّساء. سنتحدَّث عنها في مرَّةٍ أُخرى. ما سأسألُك عنه هو قولُك لي مباشرةً بعد تعارفنا بأنَّك متعدِّدُ الزَّوجات، وأنَّك لا تفكِّر بالاكتفاءِ بامرأةٍ واحدة، وقصَّةٍ واحدة، ففهمتُ هذا، وبالفعل كان لديكَ قصصٌ. ما أودُّ معرفتَه هو: خلالَ هذه القصص، ما الَّذي كان يشدُّك إلى المرأةِ بشكلٍ خاصٍّ؟

ج.ب.س: أيُّ شيء.

س.د.ب: كيف هذا؟

ج.ب.س: لقد توفَّرت فيكِ كلُّ الصِّفات الَّتي كان بوسعي طلبها إلى النِّساء، الصِّفات الأكثر جدِّيَّة. وبالتَّالي، فهذا يُحرِّر النِّساء الطيِّبات الأُخريات اللَّاتي يمكن أن يكنَّ مُجرَّد جميلات، على سبيل المثال. ما حصل؛ هو أنَّكِ تمثِّلين أكثر ممَّا أعطيه لبعضِ النِّساء، أمَّا الأُخريات؛ فقد حصلنَ على ما هو أقلّ، وفجأةً بدأن بتخفيف ما يقدِّمنَه من أنفسهنَّ بأنفسهنَّ. لكن بشكل عام، لم يكن الأمرُ على هذا النَّحو.

س.د.ب: لكن، جوابك «أيُّ شيء» غريب. يبدو أنَّه ما إن توجد امرأةٌ في طريقك؛ تكون عندئذٍ مُستعدّاً لتشبك قصَّةً معها.

ج.ب.س: يا إلهي...

س.د.ب: ليس صحيحاً؛ لأنَّ بعض النِّساء ألقينَ بأنفسهنَّ عليكَ، لكنَّك أبعدتَهنَّ. ثمَّة عددٌ لا بأس به من النِّساء اللَّاتي التقيتهنَّ لم يحدثْ بينك وبينهنَّ قصَّة.

ج.ب.س: رأيتُ بعضَ الأحلام؛ أحلام غراميَّة. قدَّمَت لي ما يُشبه النَّموذج؛ كانت شقراء، رأيت من يشبهها في حياتي في بعض الأحيان. لكنْ لم تحدث معهنَّ قصصٌ تُذكَر. ومع ذلك؛ فقد بقي هذا الوجه في ذاكرتي؛ كانت امرأةً شقراء جميلة، ترتدي بِزَّةَ فتاةٍ صغيرة؛ وأنا كنتُ أكبرَ سنّاً. نلعبُ بالطَّارة إلى جانبِ بحيرةِ اللوكسمبورغ.

س.د.ب: هل هذه قصَّةٌ حقيقيَّةٌ، أم حلمتَ بها؟

ج.ب.س: لا،...حلمتُ بها.

س.د.ب: حلمتَ بغراميَّاتٍ طفوليَّةٍ، إجمالاً.

ج.ب.س: لا، هذه الغراميَّاتُ الطُّفوليَّةُ تُمثِّل الحبَّ؛ فقد كانت ساقايَ عاريتين، وهي ترتدي بِزَّةً بُنيَّةً صغيرة، لكنَّ هذا يُمثِّل حَدَثاً بالنِّسبةِ لعمري آنذاك، أي سنيَّ العشرين. هلَّا فهمتِ؟ كنتُ أحلمُ في سنِّ العشرين، رمزيّاً، بجزءٍ من الطَّارة، مع فتاة.

س.د.ب:كانت فتاةً صغيرةً، وأنتَ، نفسُك، كنتَ ولداً صغيراً.

ج.ب.س: الحقيقةُ أنَّ كلينا كُنَّا أكبرَ سنّاً، وكانت لعبةُ الطَّارةِ تُعبِّر عن علاقاتٍ جنسيَّةٍ، ربَّما؛ لأنَّ الطَّارة والعصا يبدوان لي بمثابة رمزٍ معروف. في كلِّ الأحوال؛ هكذا أحسستُ وأنا أحلم بهما. هذا الحلم رأيتُه يومَ كنتُ في العشرين من عمري. وفيه لم تكن أولويَّة. حيث لم يكنِ الرَّجلُ أفضلَ من المرأة، ولم يكن فيه ذكوريَّة. ظننتُ، في تلك الأيَّام، أنَّ الرِّجال ذكوريُّون، وهم كذلك في أعماقهم، لكنَّ هذا لا يعني أنَّهم يريدون الإمساك بالسُّلطة؛ إنَّهم يظنُّون أنفسَهم أرفعَ شأناً من النِّساء، لكنَّهم يخلطون هذا بفكرة المساواة بين الرَّجل والمرأة، وهو أمر غريب.

س.د.ب: هذا رهنٌ بأيِّ نوعٍ من الرِّجال؟

ج.ب.س: بكثيرين. غالبيَّة الرِّجال الَّذين عرفناهم.هذا لا يعني بأنَّ الخلاصةَ ليست ذكوريَّة، لكن خلالَ المناقشاتِ، والحياةِ اليوميَّةِ؛ تراهم يتفوَّهون بعباراتٍ تنمُّ عن المساواةِ. يمكنهم قولُ أشياءَ ذكوريَّةٍ من دونِ إدراكِ أبعادها، وهناك دائماً ثمَّة تطبيقٌ في تعريفهم المساواتيِّ للعلاقات بين الجنسين. لكنَّ هذا لا يمنع أن تكون الذُّكوريَّة شيئاً يحبُّ الرِّجالُ التَّباهي به، على الأقلِّ أولئك الَّذين نعاشرهم. لذلك يجدر البحث، حتماً، في أوساط أُخرى.

س.د.ب: لكن، بالعودة إليك، ما هو الشّيء الخاصُ الّذي جذبكَ نحوَ النِّساء، وكيف كنتَ داعيةً للمساواة؟ كيف كان لك دورٌ معيّن، لِنَقُلْ إمبرياليّاً، أو حامياً إزاءَ النِّساء؟

ج.ب.س: أظنُّ أنّي كنتُ حامياً لهنَّ، وبالتّالي إمبرياليّاً بهذا المعنى. ولطالما أخذتِ ذلك عليَّ، ليس إزاءَكِ، بل إزاءَ النِّساءِ اللّاتي كنتُ أراهنَّ بمعزلٍ عنكِ. لكن، ليس دائماً؛ لأنَّ أكثرَهنَّ شَدّاً للانتباه؛ كانت لي علاقاتٌ مساواتيَّة معها، وما كان لها أن تسمحَ بعلاقاتٍ غيرِ ذلك. لكن، لِنعُدْ إلى ما كنتُ أطلبهُ من النِّساء. أظنُّ أنّه كان، قبلَ كلِّ شيء، توفيرُ جوٍّ من العاطفيَّة. ولا أعني الجوَّ الجنسيَّ، بالمعنى الدَّقيق للعبارة، بل عاطفيَّةٌ ذاتَ خلفيَّة جنسيَّة.

س.د.ب: حدثَتْ معكَ قصَّةٌ في برلين، على سبيل المثال، مع امرأةٍ سمَّيتها «المرأة القمريَّة». ما الذي كان يعجبُكَ فيها؟

ج.ب.س: أسألُ نفسي هذا السُّؤال.

س.د.ب: لم تكن جميلةً جدّاً، ولا شديدةَ الذَّكاء.

ج.ب.س: لا.

س.د.ب: هل هو جانبٌ مفقودٌ قليلاً؟

ج.ب.س: ثمَّة جانبٌ مفقودٌ، والجانب... الجانبُ العاميُّ في إحدى القُرى القريبةِ من قريتي. والّتي لم تكن لها لهجةُ أهل مونبارناس الّتي هي لهجتي، لكن كان لتلك المرأةِ لهجةُ الأحياءِ المجاورةِ للحيِّ اللاتينيِّ. وهو ما كوَّن لديَّ الانطباعَ حولَ فكرةٍ هي، في الحقيقة، أقلُّ تطوُّراً من فكرنا، ومع ذلك؛ كانت من المرتبةِ نفسِها وهو ما كان خاطئاً تماماً، لكنَّها فكرةٌ خطرَتْ ببالي. لقد كانت حالةً خاصَّة. نعم، أظنُّ، بشكل عامّ، أنّي كنتُ ذُكوريّاً، لأنّي تربَّيتُ في كنفِ عائلةٍ ذكوريَّة؛ جدِّي كان ذكوريّاً.

س.د.ب: الحضارةُ كانت ذكوريَّةً.

ع.ب.س: لكنْ في علاقتي بالنِّساء؛ لم تكن الذكوريَّة هي الغالبة. حتماً كان لكلٍّ مِنَّا دورُه، ودوري كان دوراً فاعلاً وعقلانيّاً. ودورُ المرأة هو دورُ العاطفيَّة. وهو شيءٌ كلاسِّيكيٌّ جدّاً. لكنِّي لم أكنْ أعتبر هذا العاطفيَّةَ أقلَّ شأناً من الممارسةِ واستعمالِ العقلِ. تلك كانت استعداداتٍ متنوِّعةً. وهو لا يعني أنَّ المرأة لم تكن قادرةً على استخدام العقلِ بنفس المقدار الَّذي يستخدمه الرَّجل، وأنَّه لا يمكن للمرأة أن تكون مهندسةً أو فيلسوفة. بل يعني أنَّها في أغلب الأوقات كانت تقوم بأدوار عاطفيَّة، وجنسيَّة في بعض الأحيان. هذا المجموع هو الَّذي أشدُّهُ نحوي، لأنِّي كنتُ أُقدِّرُ أنَّ إقامة علاقةٍ مع امرأة على هذا النَّحوِ، هو استيلاءٌ جزئيٌّ على عاطفيَّتها.

س.د.ب: بتعبير آخر، كنتَ تطلبُ من النِّساءِ أن يُحبِبْنَكَ.

ع.ب.س: صحيح. كان عليهنَّ أن يُحبِبْنَني، لتصبحَ هذه الحساسيَّةُ مُلكاً لي. حينما يُسلِّمنَ أنفسهنَّ إليَّ، أرى هذه الحساسيَّةَ في وجهِهن، وفي هيئةِ الوجهِ وأصبحُ كأنِّي أملكُهن. عمليّاً؛ صرَّحتُ أحياناً في ملاحظاتي، وأحياناً في كُتبي، وما زلتُ أؤمن بأنَّ الحساسيَّة والعقلَ لا ينفصلان. وأنَّ الحساسيَّة تُنتج العقل، أو بالأحرى هي العقل أيضاً. وأنَّ الرَّجلَ العقلانيَّ، في نهاية المطاف، المشغولَ بقضايا نظريَّة؛ هو رجل مُجرَّد. كنتُ أظنُّ أنَّ لدينا حساسيَّة، وأنَّ عملَ الطُّفولة والمراهقة يجعل هذه الحساسيَّة مُجرَّدة، ومتفهِّمة، وباحثة؛ بحيث تصبحُ شيئاً فشيئاً عقلاً للرَّجل؛ عقلاً يعمل على قضايا ذات طابعٍ تجريبيٍّ.

س.د.ب: تعني أنَّ هذه الحساسيَّة لدى النِّساء، لم يتمَّ تحويلها لمصلحةِ العقل.

ع.ب.س: نعم، كانت كذلك في بعض الأحيان، حينما كُنَّ يحملنَ شهادة التَّأهيل التَّعليميِّ، أو الهندسة، وما إلى ذلك. لقد كُنَّ قادراتٍ حتماً على القيام

بما يقوم به الرّجال، لكن ثمّة توجُّهٌ؛ أوّلاً: التّربية الّتي يتلقّينها، ثمّ يشعرنَ بما تقدّمُه لهنَّ العاطفيّة أوّلاً من الدّاخل. وبما أنهنّ لا يرتفعنَ في عملهنّ عموماً، بسبب طبيعة العلاقات المادّيّة، والعلاقات الاجتماعيّة، ونوع المرأة الّتي خلقها المجتمع وحافظت عليه، فقد احتفظنَ برقّة مشاعرهِنّ كاملةً. ورقّةُ المشاعر هذه كانت تتضمّن عقلَ الآخر. إذاً؛ ما هي علاقاتي بالنّساء، من وجهة النّظر الفكريّة؟ كنتُ أقولُ لهنّ أشياءَ أؤمن بها؛ وغالباً لم أكن مفهوماً، لكنّي في الوقت نفسه؛ كنتُ مفهوماً من خلال حساسيّةٍ تُغني فكرتي.

س.د.ب: هل لك بأمثلة؟ ما هو نوع الإثراء الّذي حملته إليك؟

ج.ب.س: إثراءٌ لحالاتٍ خاصّة، ملموسة؛ ولتأويلات لما أقولُ على الصّعيد الفكريّ.

س.د.ب: بشكل عام، ترى نفسك أذكى من النّساء اللّاتي كانت لكَ بهنّ علاقات.

ج.ب.س: أكثر ذكاءً، نعم. لكنّي كنت أنظرُ إلى الذّكاء بوصفه نوعاً من تطوُّرِ الحساسيّة، وكنتُ أعتقدُ بأنّهنّ لم يبلغنَ المستوى الّذي بلغتُهُ؛ لأنّ الظّروفَ الاجتماعيّة لم تُتِح لهنّ ذلك. كنتُ أرى أنّ العلاقةَ الأصليّة هي نفسها القائمة بين رِقّة مشاعرهنّ ورِقّة مشاعري.

س.د.ب: قلتَ إنّكَ كنت، مع هذا، مُهيمناً إلى حدٍّ ما في علاقتك بالنّساء.

ج.ب.س: صحيح؛ لأنّ وجهة نظري لم تكن بسيطة. الهيمنة جاءت من مرحلة الطّفولة، حيث كان جدّي يهيمن على جدّتي، وزوجُ أُمّي يهيمن على والدتي.

س.د.ب: نعم.

ج.ب.س: واحتفظتُ بهذا كنوعٍ من البنية المجرّدة...

س.د.ب: ثمَّ، استلهمتَ الكثير من جميع الكتبِ والقصصِ الَّتي كتبَها رجالٌ مشهورون؛ حيث كان الرَّجلُ هو البطل دائماً.

ج.ب.س: طبعاً؛ لذلك اهتممتُ بحالة تولستوي. الَّتي تُعدُّ بمثابة الفضيحة؛ حيث يُفرطُ الرَّجل باستعمال سلطته.على أيِّ حال؛ ما أردتُ قولَه أنَّه كان لديَّ نمطٌ، أو تصوُّر. لكن، في نهاية المطاف، اعتقدتُ أنَّ السَّببَ يعود إلى التربية. وما فكرت فيه لاحقاً، أي في الخامسة والثَّلاثين، أو الأربعين من عمري، بأنَّ العقل والعاطفيَّة يُمثِّلان مرحلة في تطوُّر الفرد.وأن الفرد لا يكون عاقلاً وحسَّاساً في سنِّ الخامسة أو السادسة.في هذا العمر يكون الفردُ حسَّاساً من الناحية العاطفية، وفكريّاً من الناحية الفكرية، لكنَّ هذا يتعمَّق؛ شيئاً فشيئاً؛ يمكن للحساسيَّة أن تبقى قويَّة، ويتطوَّر العقل، أو تتغلَّب الحساسيَّة على العقل، أو يتطوَّر العقل لوحده، وتبقى الحساسيَّة جافَّةً (فارغة). فهي الَّتي ولَّدَت العقل، لكنَّها بقيت جافَّةً (فارغة) سِرّاً؛ بحيث لا تكون هذه الهيمنة،التي كانت تصوُّراً أو رمزاً اجتماعيّاً، مسوَّغةً على الإطلاق بالنِّسبة لمن يسعى إلى تثبيتها.أنا لا أرى أنَّها كانت موجودةً لأنِّي أذكى. بحيث كان لا بُدَّ من أن أنتصرَ على الزَّوجين أو الهيمنة عليهما. لكنَّ هذا كان على صعيدِ الممارسة، لأنَّني كنت أميلُ إلى هذا، ولأنَّني أنا مَنْ كنت أسعى وراءَ النِّساءِ اللَّاتي أقمنَ علاقاتٍ معي. كنتُ سيِّدَ هذه العلاقات، وبالتَّالي كان يتوجَّب عليَّ قيادتهنَّ. ما كان يهمُّني، في الحقيقة، إعادةُ غمسِ عقلي في الحساسيَّة.

س.د.ب: إنَّكَ تنسبُ لنفسك السِّمات الخاصَّة بالنِّساء...

ج.ب.س: أنسبُ لنفسي السِّمات الخاصَّة بالنِّساء، كما كان يتصوَّرهنَّ المرءُ في تلك الفترة.

س.د.ب: وكما كُنَّ عليه في أغلب الأحيان. ألم تجد نفسَك مشدوداً إلى امرأةٍ قبيحة؟

ج.ب.س: قبيحةٍ فعلاً وتماماً؟ لا، أبداً.

س.د.ب: بل يمكن القولُ إنَّ النِّساء اللَّاتي ارتبطتَ بهنَّ كُنَّ جميلاتٍ بشكل واضح، ومُفعماتٍ بالجاذبيَّة.

ج.ب.س: صحيح؛ كنتُ أحرص على أن تكونَ المرأةُ جميلة في علاقتها بي، فتلك كانت طريقةً لتطوير حساسيَّتي؛ الجمال، والجاذبيَّة، وما إلى ذلك، قِيَمٌ غير عقلانيَّة. لِنَقُلْ: عقلانيَّة، أو يمكن تقديم تفسيرٍ، أو شرحٍ عقلانيٍّ لها. لكن حينما نحبُّ جاذبيَّةَ شخصٍ ما؛ فإنَّنا نحبُّ شيئاً لا عقلانيّاً، حتَّى لو كانت الجاذبيَّة في مستوى أعمق؛ يمكن تفسيرُ ذلك بمفاهيم وأفكار.

س.د.ب: هل حدث أن انجذبتَ إلى امرأةٍ لأسباب أُخرى غير الصِّفات النسائيَّة: كقوَّة الشخصيَّة، أو لشيء فكريٍّ أو أخلاقيٍّ، أكثر من شيء جذَّاب ونسائيّ؟ أُفكِّر هنا بامرأتين، لم تقعْ بينَك وبينهما مشاكل، أحببناهما، وأحببتهما أنتَ، أعني كريستينا، والأخرى هي الَّتي ذكرتها قبلَ قليل.

ج.ب.س: كنتُ أقدِّر قوَّةَ شخصيَّةِ كريستينا، وما كان لي أن أفهمَها لولا هذه الشَّخصيَّة القويَّة. وهو ما حيَّرني، في الوقت نفسه. لكنَّها كانت صفةً ثانويَّةً. الصِّفة الأُولى هي نفسها، وليس جسدها بوصفهِ موضوعاً جنسيّاً، بل جسدَها ووجهَها لأنَّهما يلخِّصان هذه العاطفيَّة غيرَ المفهومة، والَّتي لا يمكن تحليلها، وهي أساس علاقاتي بالمرأة.

س.د.ب: هل شهدَت علاقاتك بالنِّساء جانباً من بيجماليون Pygmalion[1]؟

ج.ب.س: هذا رهنٌ بما تعنيه بالجانب البيجماليونيّ.

س.د.ب: أعني صياغةَ امرأةٍ، وإطلاعِها على أشياء، ودفعها إلى التطوُّر، وتعليمها بعضَ الأشياء.

ج.ب.س: بالتَّأكيد: مررت بهذا وهو ما يفترِضُ، من ثمَّ، تفوُّقاً مؤقَّتاً. تلك مرحلة. بعد ذلك تتطوَّر المرأة مع أُخرياتٍ أو لوحدها. كان دوري أن أجعلَها

---

(١) أسطورة يونانيّة تتحدّث عن النّحات بيجماليون الّذي عشق منحوتته غالاتيه، فأحيتها له أفروديت إلهة الحبّ (ترمز إلى عشق الإنسان لما يصنعه وامتلاكه له).

تنتقل إلى مرحلة مُعيَّنة. في تلك اللَّحظة تكون العلاقاتُ الجنسيَّة اعترافاً بهذا الانتقال، وتجاوزه. هنا الكثير من هذا.

س.د.ب: ما الَّذي كان يثيرُ اهتمامَك في هذا، هل هو القيام بدور بيجماليون؟

ج.ب.س: ينبغي أن يكون هذا دورَ الجميع إزاءَ مَنْ يسعهم مساعدتهم على التطوُّر.

س.د.ب: نعم، ما تقوله صحيح تماماً. لكنَّه كان يشدُّك مع ذلك بطريقةٍ لم تكن أخلاقيَّةً جدّاً وديالكتيكيَّة كما يبدو لي بحسب ما تقول. وهو شيء أكثر من الحساسيَّة بالنِّسبة لك. إنَّها مُتعة.

ج.ب.س: صحيح، فإنْ عثرتُ في الأسبوع التَّالي على أشياء عميقة، سبق لي فهمُها؛ فإنَّ في هذا مصدرَ إعجابٍ لي.

س.د.ب: لم يكن الأمرُ على هذا النَّحوِ مع كلِّ النِّساء.

ج.ب.س: لا.

س.د.ب: فقد كان مِنهنَّ مَنْ تمردَّت على أيِّ نوع من التَّاهيل.

ج.ب.س: حتماً... كانت العلاقات الجنسيَّة مع النِّساء إجباريَّة؛ لأنَّ العلاقات الكلاسّيكيَّة كانت تقتضي هذه العلاقات في فترة مُعيَّنة. لكنِّي لم أكنْ أُعلِّقْ عليها أيَّ أهميَّة. وبصراحة؛ لم يكن هذا يهمُّني أكثرَ من المداعبات. بتعبير آخر: كنتُ بمثابةِ مُستَمْنياً للمرأة أكثرَ من كوني ناكِحاً لها. ولهذا علاقة بي، وبالطَّريقة الَّتي كنتُ أنظرُ إلى الأشياء من خلالها. أي، لظنّي بأنَّ كثيراً من الرِّجال أكثر تطوُّراً منِّي في تصوُّرهم للنِّساء. فمن جانب؛ هم مُتأخِّرون نوعاً ما، ومُتقدِّمون من جانب آخر، لأنَّهم ينطلقون من الجنسيِّ، والجنسيُّ يعني «المضاجعة».

س.د.ب: وتسمي هذا تقدُّماً أم تراجعاً؟

ج.ب.س: أسمِّيه تقدُّماً. هو تقدُّمٌ بما يترتَّب عليه من نتائج. بعبارة أُخرى: العلاقة الأساسيَّة والعاطفيَّة، بالنِّسبة لي، كانت تقتضي أن أُقَبِّلَ، وأن أداعبَ، وأن أُنزِّه شفتيَّ فوقَ الجسد. لكنَّ الفعل الجنسيَّ كان موجوداً أيضاً، وأمارسهُ، بل وغالباً ما أقوم به؛ إنَّما بنوع من اللَّامبالاة.

س.د.ب: هذه اللَّامبالاة الجنسيَّة تتعلَّق بالنِّساء اللَّاتي نتحدث عنهنَّ، لكنَّها علاقة مُعيَّنة مع جسدك... أودُّ أن أحاولَ فهمَ سببِ هذا النَّوع من برودك الجنسيِّ، مع أنَّك تحبُّ النِّساء كثيراً. لم تكن رغبتُك جافَّةً دائماً...

ج.ب.س: أبداً.

س.د.ب: إنَّه بالأحرى: الحسُّ الشَّاعريُّ Romanesque بالمعنى الستانداليّ Stendhalien للعبارة.

ج.ب.س: نعم. شاعريٌّ لازم. بوسعنا القولُ إنَّه طالما رتَّبَ الرَّجلُ أمورَه ليفقِّد جزءاً من حساسيَّته ولتطوير عقله لاحقاً، فقد أدَّى به الأمرُ إلى المطالبة بحساسيَّة الآخر، أي المرأة، أي امتلاك نساءٍ كنَّ حسّاسات، لتصبح حساسيَّته حساسيَّة امرأة.

س.د.ب: بعبارة أُخرى، كنتَ تشعرُ بنقصٍ فيك.

ج.ب.س: نعم. كنتُ أظنُّ أنَّ الرَّغبة العاديَّة تفترض وجودَ علاقةٍ دائمةٍ بالمرأة. الرجل يتحدَّد بما يفعلهُ، وبما يكون عليه في الوقت نفسه، ومن خلال المرأة الَّتي تكون معه.

س.د.ب: كان يمكنك تبادلُ الأحاديث مع النِّساء، وهو ما لم تكن تفعله مع الرِّجال؛ لأنَّ هذه المناقشات الفكريَّة كانت تقوم على أساسٍ رومانسيٍّ.

ج.ب.س: عاطفي.

س.د.ب: شيءٌ ما عاطفيّ. لاحظتُ ـ وهو أمرٌ معروفٌ، بل هو جزء من الأساطير، لكنَّه حقيقة، في الوقت نفسه ـ أنَّه في كلِّ رحلة نقوم بها، أو قمتَ بها لوحدك، كانت هناك ثمَّة امرأةٌ تشكِّل تجسيداً للبلد بالنِّسبة إليك.

ج.ب.س: نعم.

س.د.ب: كانت هناك M في أمريكا، وكريستينا في البرازيل، وغيرهما.

ج.ب.س: يعود هذا جزئيّاً إلى أنَّهم يقدِّمون لكّ امرأة، ليس بين ذراعيك، لكن لترافقك وتشرح لك جمالَ البلد.

س.د.ب: لم يكن هذا كافياً. في روسيا؛ قدَّموا لكَ في البداية رجلاً، وبطبيعة الحال، لم تنعقد روابط صداقة معه.

ج.ب.س: رفضتهُ فوراً... لكنَّ في الحقيقة فإنَّ الأسفار، والمرأة في السَّفر كانت شيئاً هامّاً بالنِّسبة لي.

س.د.ب: لم يكن الأمرُ مُجرَّد شيءٍ جنسيّ؛ ففي أغلبِ الأحيان فإنَّ النِّساء يُجسدّنَ البلدَ الَّذي نزوره بشكل أفضل. وحينما تكون النِّساء بمواصفات عالية؛ يصبحن أهمَّ من الرِّجال.

ج.ب.س: لأنهن يتمتَّعنَ بالحساسيَّة.

س.د.ب: يتمتَّعنَ بالحساسيَّة، إضافةً إلى أنهنَّ هامشيَّات إلى حدٍّ ما بالنِّسبة للمجتمع، ومع ذلك فلديهنَّ هذه الحساسيَّة. إذا كُنَّ ذكيّات يكونُ لديهنَّ رؤيةٌ أهمُّ من رؤية الرِّجال الموجودين في الدَّاخل. هناك أيضاً، موضوعيّاً، كنتَ تتعلَّق بالنِّساء اللَّاتي كنَّ فعلاً جذَّابات. وأنا شاهدةٌ على ذلك، لأنِّي كنتُ متعلِّقة بهنَّ، لكن على صعيد آخر.

ج.ب.س: حينما تستطيعُ المرأةُ تمثيلَ بلدٍ بأكمله، فذلك يعطينا أشياءَ كثيرةً نحبُّها. والنِّساءُ دائماً أكثرُ ثراءً حينما يكنَّ على هامشِ البلد. فقد كانت كريستينا تمثِّل مثلَّثَ الجوع والتمرُّد ضِدَّ بلدٍ ما لا يعني أبداً أنَّنا لا نُمثِّله؛ أولاً نمثِّله، ثمَّ نتمرَّد.

س.د.ب: إنك تحلم قليلاً بهذا كلّه.

ج.ب.س: حينما أحاول تذكُّرَ النِّساء اللَّاتي عرفتهنَّ؛ يحضرنَ في ذهني بملابسهنَّ، وليس عارياتٍ أبداً. مع أنِّي استمتعتُ دائماً برؤيتهنَّ عاريات. أراهنَّ مرتدياتٍ ملابسهَن، ليس كما لو أنَّ العُريَ يمثِّل علاقةً خاصَّة، بالغة الحميميَّة، لكن... على المرء أن يكونَ قد تجاوز مراحلَ ليبلغ ذلك.

س.د.ب: كما لو كان الشَّخصُ أكثرَ واقعيَّة.

ج.ب.س: حينما يكون الشَّخص مرتدياً ملابسه، نعم، يكون أكثر واقعيَّة، لكنَّه أكثر اجتماعيَّة، وأكثر تقبُّلاً لأنَّ تتحدَّث معه. كما لو كُنَّا لا نبلغ العُريَ إلَّا من خلالِ عددٍ من التعرِّيات الجسديَّة والمعنوية في آنٍ معاً. وفي هذا المجال؛ كنتُ كغيري من مُحبِّي النِّساء الكثيرين. في كلِّ الأحوال؛ كنتُ أعيشُ معهنَّ في قصَّة، في عالم؛ أنتِ من كان يمنعني من العيشِ في العالم.

س.د.ب: كيف؟

ج.ب.س: كنتُ أعيش العالمَ معكِ.

س.د.ب: نعم، أفهمُ هذا. كنتَ تعيشُ في عوالمَ تقع ضمنَ هذا العالم.

ج.ب.س: عوالم ضمن هذا العالم. وهذا هو السَّبب وراءَ دونيَّةِ هذه العلاقات، إضافةً، بطبيعة الحال، إلى طباع الأشخاص. وبكلِّ ما هو موضوعيٍّ، والَّذي كان مُغلقاً سلفاً.

س.د.ب: لأنَّه كانت لنا علاقاتُنا الخاصَّة بنا. ثمَّة سؤال آخر: هل عشت الغيرةَ في بعضِ الظُّروف، وكيف؟

ج.ب.س: في الحقيقة، كنتُ لا أكترثُ لوجودِ آخَرٍ في قصصي مع أيِّ امرأة. المهمُّ أن أكونَ الأوَّل؛ لكنَّ تصوُّري لثُلاثيٍّ أنا منه، ثمَّ آخر أكثر رسوخاً منِّي؛ تلك حالةٌ لا أطيقها.

س.د.ب: هل عشتَ هذه الحالة؟

ج.ب.س: وهل لنا أن نعرف ذلك؟

س.د.ب: هل شعرت بهذا؟ مع أولغا Olga وقعَتْ حالةُ غيرةٍ حينما بدأَتْ تُعجبُ بِمارك زوورو Zuorro[١]. مع أنَّ علاقتَك بها لم تكن علاقةَ تملُّك، ولا حتَّى جنسيَّة، أو تملُّكيَّة؛ لكنَّ هذا ما أثار أشياء، أدَّت إلى الانفصال؛ هل تريد أن تكون الأوَّل في قلبها؟

ج.ب.س: نعم.

س.د.ب: لو كان «للمرأة القمريَّة» زوجٌ، ما كان لك أن تكترث بهذا.

ج.ب.س: تماماً. لأنَّه كان أدنى منها، على الأقلّ، من حيثُ وعيُه بها. أظنُّ أنَّ ذكوريَّتي تكمنُ في طريقةِ النَّظر إلى عالمِ المرأةِ بوصفها شيئاً أدنى، لكنَّ هذه النَّظرةَ لا تنطبقُ على النِّساءِ اللَّاتي كنتُ أعرفهنَّ.

س.د.ب: يبيِّنُ جانبُك البيجماليوني أنَّك لم ترغبْ أبداً في اختزال المرأة، والاستئثار بها، والحفاظ عليها في حالة تبدو لكَ معها أدنى شأناً، على أيِّ صعيد كان.

ج.ب.س: لا.

س.د.ب: لكنَّكَ طالما أردتَ الدَّفع بالنِّساء إلى الأمام، نحوَ القراءة، والمناقشة.

ج.ب.س: استناداً إلى الفكرة الَّتي بحسبها أنَّه ينبغي عليهنَّ بلوغُ الدَّرجة الَّتي يبلغها أيُّ رجلٍ بالغِ الذَّكاء. وأنَّه لا فرقَ فكريّاً أو معنويّاً بين النِّساء والرِّجال.

---

(١) مارك زوورو (١٩٠٧-١٩٥٦): من فرنسيي الجزائر. شخصيّة مثقّفة ومؤثّرة، لكنّه لم يترك أيّ عمل فكريّ.

س.د.ب: في كلِّ الأحوال. لو كُنَّ في مرحلةٍ دُنيا؛ فهذا لا يعني أنَّهنَّ أقلُّ شأناً. أعرف هذا، أي إنَّك لم تكن تؤمن أبداً بأنَّ المرأة أقلُّ شأناً من الرَّجل.

ج.ب.س: أبداً.

س.د.ب: كيف كانت تنتهي قصصُكَ مع النِّساء بشكل عامٍّ؟ هل كنتَ سببَ قطع العلاقة معهنَّ، أم هُنَّ، أم الظُّروف؟

ج.ب.س: تارة هذا، وطَوراً ذاك، والظُّروف ثالثاً.

س.د.ب: هل ضايقتْكَ إحدى تلكَ النّسوة ذاتَ يوم؟

ج.ب.س: نعم. حينما توقَّفت إيفلين Evelyne[1] عن الكتابةِ خلالَ فترة من الزَّمن لأنَّها كانت تعيش عدَّة قصصٍ مُعقَّدة.

س.د.ب: أو حينما أرادت M الإقامة في باريس، وأصبحت مُتطلِّبة. وهناك إزعاجاتُ النِّساء اللَّواتي يطلبنَ ما لا نستطيعُ تقديمَه إليهنَّ، وهو أمرٌ عشته في أغلب الأحيان، وانتهت هذه العلاقات بالقطيعة. ومنهنَّ من لا يقدّمنَ ما يكفي.

ج.ب.س: صحيح.

س.د.ب: بشكل عام؛ مثل هذه الأمور تحصلُ في بداية علاقتك. لقد ضايقتكَ أولغا.

ج.ب.س: صحيح.

س.د.ب: وأزعجتكَ إيفلين أيضاً في البداية.

ج.ب.س: صحيح.

س.د.ب: رأيتكَ أكثرَ انزعاجاً مع أولغا، ومع إيفلين بالمعنى الَّذي أقصده. ثمَّ غضبتَ في الاتِّجاه الآخر؛ لأنَّ هناك من يبالغ في طلباته منك، مثل M طبعاً

ج.ب.س: نعم، كنت منزعجاً جدّاً من M.

---

(١) هي شقيقة لانزمان، اسمها في المسرح Evelybe Rey مثّلت في مسرحيّات عديدة لسارتر

س.د.ب: رُبَّما هذه هي المرَّة الوحيدة الَّتي انفصلتَ عن إحداهنَّ بطريقة فَظَّة.

ج.ب.س: صحيح، حدث هذا في يوم واحد.

س.د.ب: قلتَ لها حسناً، انتهى ما بيننا، لا يمكن أن نستمرَّ، لأنَّكما وصلتُما إلى مرحلةِ التَّصعيد.

ج.ب.س: نعم. هذا غريب، لأنِّي كنتُ حريصاً جدّاً عليها، وتوقَّفُ الأمر بيننا على هذا النَّحو.

س.د.ب: كنتَ حريصاً جدّاً عليها، وهي الوحيدة الَّتي أخافتني. أخافتني لأنَّها كانت مُعاديةً لي. كما كنتَ حريصاً جدّاً على إيفلين. لكن كانت تربطني بإيفلين علاقةُ صداقة. وكنتُ فعلاً أحبُّها كثيراً، وكان الأمر مُختلفاً معها. كانت تريدُ أشياءَ لم تحققْها لها، منها أنَّها كانت تريد أن تخفِّفَ من لقاءاتها السِّرِّيَّة بك، لتصبحَ علنيَّة.. ولم يكن ذلك موجَّهاً ضدِّي أبداً.

ج.ب.س: لا، أبداً. حينما أُعيد التَّفكيرَ في حياتي؛ أظنُّ أنَّ النِّساء قدَّمنَ لي أشياءَ كثيرة. وما كان لي أن أبلغَ النُّقطةَ الَّتي بلغتها من دونِ النِّساء، وأنتِ أوَّلُهنَّ.

س.د.ب: دعنا لا نتحدَّث عنِّي.

ج.ب.س: ليكنْ. ثمَّة نساءٌ أُخرياتٌ عرَّفنَني على بلدانِهن، مثل M الَّتي وضعَت أمريكا بين يديَّ. لقد منحَتني الكثيرَ. الدُّروبُ الَّتي طرقتُها في أمريكا تتقاطعُ حولَها.

س.د.ب: عموماً، كنتَ تختارُ النِّساءَ الذكيَّات، بل الواثقاتِ من أنفسهنَّ مثل L وكريستينا وإيفلين؛ كلُّهنَّ كُنَّ ذكيَّات.

ج.ب.س: نعم. نعم، كنَّ ذكيَّات بشكلٍ عامّ. ليس لأنِّي كنتُ أريدهنَّ ذكيَّات، لكنْ كان يظهر في حساسيَّتهنَّ شيءٌ أكثر من الحساسيَّة، أعني الذَّكاء. ولهذا كنتُ أتحدَّثُ لساعاتٍ مع بعض النِّساء.

س.د.ب: صحيح.

ج.ب.س: أمَّا مع الرِّجال؛ فما إن تُقالَ الأشياءُ بيني وبينهم حولَ السِّياسة، و أيِّ شيءٍ من هذا القبيل؛ تراني أتوقَّفُ عن الحديث. ويبدو لي أنَّ ساعتين من الكلام مع الرَّجلِ في اليوم، من دون أن أراه في اليوم التَّالي، وقتٌ كافٍ تماماً. بينما يمكن للحديث مع المرأة أن يستمرَّ طيلةَ النَّهار، والعودة إليه في اليوم التَّالي.

س.د.ب: نعم، لأنَّه على أساسِ هذه الحميميَّة، وهذا الامتلاك النِّسبيِّ لكينونتها من خلال الشعور الَّذي تمنحك إيَّاه. هل حدثَ وأن ردَّت عليك النِّساء بعنفٍ في بعض الأحيان؟ وهل تمنَّع بعضهنَّ عليكَ على الرَّغم من إرادتك في إقامة نوع من العلاقة معهنَّ؟

ج.ب.س: نعم، كما يحدث مع الجميع.

س.د.ب: مثل أولغا.

ج.ب.س: آه، صحيح.

س.د.ب: لكنَّها كانت حالةً مشوَّشة.

ج.ب.س: صحيح.

س.د.ب: وهل هناك نساءٌ أعجبْنَكَ، وغازلتَهنَّ نوعاً ما، ولم تُقِمْ علاقةً بهنَّ، وهنا لا أتحدَّث عن علاقةٍ جنسيَّة، بل علاقاتٍ عاطفيَّةٌ متينة؟

ج.ب.س: كانت قليلةً.

س.د.ب: وشهدَتْ حياتُكَ علاقاتٍ غير عاطفيَّة، أعني غيرَ رومانسيَّة، علاقاتِ صداقةٍ عاديَّة. حدث ذلك مع مدام موريل Mme Morel.

ج.ب.س: مع مدام موريل، نعم.

س.د.ب: لا شكَّ في أنَّ هذه العلاقة شيءٌ ما، لإضفائها شيئاً من النَّوعيَّة على علاقاتِكَ، وهو ما لم يكن موجوداً في علاقتِكَ مع غويل.

ج.ب.س: هذا مُؤكَّد.

س.د.ب: لا شكَّ أنَّ السُّؤال الَّذي سأطرحه عليك أحمق: مَن كنتَ تحبُّ أكثر؛ مدام موريل أم غويل؟

ج.ب.س: الأمرُ مختلف. في البداية؛ كانت السَّيِّدة موريل أُمّاً لأحد الزَّبائن الَّذي طلبَت منِّي تعليمَه شيئاً ما، ولم تكن علاقتُها بي أكثر من علاقة أُمٍّ لزبون عندي. حتَّى وإن صارت هذه العلاقة حميميَّة تدريجيّاً، إلَّا أنَّها بقيت، أصلاً، علاقةً بأمِّ أحدِ طُلَّابي الَّذين أعطيهم دروساً خصوصيَّة. لاحظي أنَّه كان لها العلاقاتُ نفسُها مع غويل، لكن بشكلٍ مختلف؛ لأنَّ التِّلميذ الَّذي بدأتُ بتدريسه، كان قد خرجَ من عالم غويل الَّذي درَّسه طيلةَ السَّنوات السَّابقة.

س.د.ب: كان لك علاقاتٌ عاطفيَّةٌ مُتقدِّمة مع مدام موريل، أكثر تطوُّراً من كلِّ علاقاتك السَّابقة. لكن هل كنتَ تفضِّل صحبةَ مدام موريل أم غويل؟ وبعد أن أصبحتما صديقين، هل بَقِيَتْ والدة التِّلميذ الخصوصيّ؟

ج.ب.س: لم أطرحْ على نفسي هذا السُّؤال أبداً.

س.د.ب: أظنُّ أنَّك كنتَ مُنسجماً أكثر من غويل. السَّيِّدة موريل كانت رائعةَ الجمال، وكنتَ تحبُّها كثيراً، لكن أظنُّ أنَّه كان بينكما مسافةٌ طويلة على أكثر من صعيد.

ج.ب.س: أظنُّ تماماً. إذا كانت ثمَّة فترات كنتُ أحرص فيها على السَّيِّدة موريل أكثرَ من حرصي على غويل، إلَّا أنِّي لم أطرحْ على نفسي السُّؤال بهذه الطَّريقة. لا أعرف نمطَ العلاقةِ الَّتي كانت تربطني بالسَّيِّدة موريل. الجانب العاطفيُّ كان ملغى، بسببِ وجودِ غويل، وكنت أرى أنَّها متقدِّمة في العمر

بالنِّسبة لي. لم أكن أحبُّ جانبَ الصَّداقة مع المرأة. زد على هذا أنَّه لم يكنْ لي هذا النَّوع من الصَّداقة عمليّاً.

س.د.ب: ألم تقضِ أبداً ساعتين لوحدك مع السَّيِّدة موريل؟

ج.ب.س: أوه، حصل هذا، بلى، لكن ليس في أغلب الأحيان.

س.د.ب: عموماً، كانت تجمعكُم علاقةٌ ثلاثيَّة أو رباعيَّة، حينما كنتُ هناك.

ج.ب.س: في كلِّ الأحوال؛ كانت تلك المرأةُ الصَّديقةَ الوحيدةَ، على ما أظنُّ.

س.د.ب: أظنُّ ذلك، نعم.



العلاقة بالجسد

س.د.ب: تحدَّثنا، في المرَّة الأخيرة، عن علاقاتك بالنِّساء، وهو ما أدَّى بنا للحديث عن حياتك الجنسيَّة؛ والحديثُ عن الحياةِ الجنسيَّة يقودُنا إلى الحديث عن علاقتِك بجسدك عموماً. ماذا لديكَ لتقولَه حول علاقتك بجسدك؟ أوّلاً، هل كان لحقيقة قِصَرِكَ تأثيرٌ على علاقاتك بجسدك؟

ج.ب.س: من المؤكَّد أنَّ لهذا تأثير، بل تأثيرٌ كبير. لكنَّه كان تأثيراً على شكلِ حقائق مُجرَّدة، حقائق يقولها الآخر، وبالتَّالي؛ تحافظ على الطابع المجرد للحائق الشبيهة بتلك الَّتي يدرِّسها الأستاذ، على سبيل المثال، حولَ الرِّياضيَّات. لكنَّ الأمرَ لم يكنْ كشفاً بالنِّسبة لي؛ أمَّا «القِصَر»، فقد كنتُ أعرف أنَّني كذلك؛ لقولِهم لي «ياصغيري»، كما لاحظتُ منذ البداية فرقَ القامةِ بين أُمِّي وجدِّي. لكن في الحقيقة، لم يخلق هذا عندي حدساً ملموساً بكوني قصيراً. كنتُ أرى ـ لأنَّ لي عينين مثلَ الجميع ـ الفرقَ في المنظور؛ حيث أنِّي أقصرُ من شخص طويل، وأن أرى الأشياءَ بطريقةٍ مختلفة عمَّا يراها الأشخاص الطِّوال. كنتُ أعرف أنَّ الأشخاص الطِّويلين كانوا طويلين، وأنَّ رفاقي كانوا طويلين إلى حدٍّ ما قياساً بي. هذا كلُّه، كنتُ أراه، لكنِّي كنتُ أراه في نفسي بوصفه شيئاً عمليّاً، من دون تعريف، ومن دون أن يقولَه لي أحد. لكنَّ الحقيقةَ أنِّي كنتُ أرى نفسي طويلاً كأيِّ شخص آخر. وهو أمر يصعبُ تفسيرُه. لكنَّ الفروقاتِ الَّتي كنتُ ألمحها ـ كنتُ أنظرُ في الهواء لكي أرى وجهاً ما ـ تمثَّلت في أنِّي كنتُ أتكلَّم بصوتٍ عالٍ لأردَّ على شخصٍ أطولَ منِّي، لوضوحِ

فرقِ القوَّة؛ لأنَّ الفروقَ لا تنتمي إلى منظومةِ حركة، أو تجمّع، أو اتجاه، ولم يكن لهذا علاقةٌ بتوصيفي من قِبَلِ مُتحدِّثي، لأنّي في الحقيقةِ كنتُ أرى نفسي طويلاً مثله. قد لا أكون صغيراً بين ذراعيه إلى حدٍّ ما؛ لأنَّ العلاقةَ، في هذه الحالة، تكون علاقةَ حنان. حينما كنتُ في السَّادسة من عمري، ويأخذني جدُّي بين ذراعيه، فلا وجودَ لعلاقة هنا تثبتُ أنِّي أصغرُ منه.لأنِّي كنتُ أفتقرُ إلى هذا المفهوم، نوعاً ما. أو يبقى مُجرَّداً، لا أدركه في الحياة اليوميَّة الملموسة، واستمرَّ الحال على هذا النَّحو؛ حينما وُضعتُ مع أولاد من عمري، وكان هذا أمراً هامّاً بالنِّسبة لي، لكي أحدِّدَهم بالنِّسبة إليَّ، عندها يكون ذلك عمري. كانوا بعمري، ومن ثمَّ فهم ليسوا كباراً. أي أنه يصعبُ وصفُ الشَّخصِ الطَّويلِ بأبعاده الجسديَّة، بل بهيئته، وملابسه، ورائحته، ومسؤوليَّته، وبطريقته في الكلام، إذاً؛ فالأمر نفسيٌّ أكثر منه جسديٌّ.. ومن ثمَّ، بقيتُ هكذا، بمعنى أنِّي ألغيتُ أبعادي إلى حدٍّ ما. لو سألني أحدهم عمَّا إذا كنتُ قصيراً أم طويلاً؛ أقول بالأحرى إنِّي قصير، لكنَّه ليس معنىً دقيقاً في حياتي. بل شيءٌ اكتشفته لاحقاً، بشكلٍ بطيءٍ وغيرِ موفَّق.

س.د.ب: لكن، في علاقتِك بالنِّساء، أي حينما كنتَ تشكل ثنائيّاً مع امرأة ما، ألم يكن يزعجُك أن تكون أطولَ منك؟

ج.ب.س: نادراً ما حصل ذلك معي. لكن عموماً؛ كان الأمر يضايقني قليلاً. كنتُ أظنُّ أنَّ الآخرين يرونَني مُضحِكاً، وعشيقاً لفتاةٍ طويلةٍ جدّاً، أو لفتاة أطول منِّي. لكنِّي كنتُ أحبُّ هذا من النَّاحية الشَّهوانيَّة.

س.د.ب: وماذا عن البشاعة؟

ج.ب.س: اكتشفتُ البشاعةَ من خلال النِّساء. كان يُقال لي بأنِّي بشعٌ منذُ أن كنتُ في العاشرة من عمري. كانت لديَّ طريقتانِ للنَّظر إلى نفسي في المرآة؛ طريقة شاملة، بوصفي مجموعة من العلامات. إذا أردتُ معرفةَ ما إذا

كان ينبغي عليَّ قصُّ شَعري، أو أغتَسِل، أو أُغيِّر ربطةَ عنقي، إلخ؛ فكلُّ هذا عبارة عن مجموعة من العلامات. كنتُ أرى إن كان شعري طويلاً جدّاً، أو وجهي مُلطَّخاً، أو وسخاً، لكنِّي في النِّهاية لم أكنْ أفهمُ فردانيَّتي في هذا الوجه. بقي شيءٌ واحد ثابتاً، هي تلك العينُ الحولاء.بقيَ هذا، وهو ما كنتُ أراهُ مباشرةً. وهذا يُفضي بي إلى الطَّريقة الأُخرى الَّتي كنتُ أتصوَّرُ نفسي من خلالها في المرآة، أرى نفسي في المرآة أشبه بمستنقع. حيث أرى سماتٍ لا معنى لها، ولا تتلاءمُ مع وجهٍ بشريٍّ واضحٍ جزئيّاً، بسببِ عيني الحولاء جزئيّاً، والتَّجاعيد الَّتي سرعان ما غزَت وجهي. جملةُ القول: إنَّ وجهي كان أشبهَ بمنظرٍ تراه من الطَّائرة؛ حيث لا معنى للأرض سوى كونِها حقولاً تتوارى من وقتٍ لآخر، ومع ارتفاعِ الطَّائرة؛ تختفي النَّباتات، ولا نعود نرى سوى الهضابِ والجبال. باختصار: كان وجهي أشبهَ بأرض مقلوبة كانت أساساً لما هو عليه وجهُ الرَّجل، وجهٌ كنتُ أراه بالعين المجرَّدة في وجوه جيراني، ولا أراه في المرآة إن نظرتُ فيها إلى نفسي. أظنُّ أنَّ سببَ ذلك يعود جزئيّاً إلى أنَّه كما لو أنَّني صنعته، وأرى العضلاتِ الَّتي كانت تتحرَّكُ لصناعة هذا الوجه، أي صناعة السَّحنة الآدميَّة. بينما كنتُ أرى حركاتِ سَحناتِ الآخرين على شكلِ سماتٍ وتجاعيدَ وسطوح تتغيَّر قليلاً، ولا أرى أبداً عضلاتٍ تتقلَّص وتتمدَّد. هاتان السَّحنتان الخاليتان من أيِّ استمراريَّة، ولا يجمعهما رابط؛ هما العموم أو الشمول الَّذي يمنحني الوجهَ الَّذي نراه في الصُّحف؛ حيث للوجهِ أربعُ سمات. والخاص الَّذي كان يتجاوز الوجه، وكان جلداً زراعيّاً ضخماً، كان لا بُدَّ من أن يعملَ الإدراكُ لتنظيمها في وجهٍ ما. هاتانِ هما الطَّريقتانِ اللَّتانِ كنتُ أنظرُ من خلالهما إلى نفسي. حينما كنتُ أنظرُ إلى الجلدِ الزراعيِّ، ينتابني الأسفُ لعدمِ قدرتي على رؤيةِ الوجهِ الَّذي كان النَّاس يرونه. وبطبيعة الحال؛ حينما كنتُ أرى سماتٍ عامَّة، أعدُّ أنَّ ذلك لا يُمثِّل وجهي. وكان ينقصُني ـ كما

أظنُّ أنَّه ينقصُ كلَّ واحدٍ فينا بطريقةٍ مُعيَّنة ـ ذلكَ الانتقالَ من أحدهما إلى الآخر، وكان يمكن لهذا التَّرابط أن يكونَ الوجهَ تماماً.

س.د.ب: بدأتَ بالقول إنَّك تعرَّفتَ على بشاعتك من خلال النِّساء.

ج.ب.س: نعم، من خلال النِّساء، ومن أيِّ شخصٍ آخر كان يقول لي ذلك. حينما كان يُقالُ لي ذلك وأنا في العاشرة من عمري، من رفاقي الَّذين كانوا يسخرون منِّي قليلاً، لم يكن ذا تأثيرٍ عليَّ. لكن حينما قيلَ لي من النِّساء، أو حينما قالته لي إحداهنَّ بطريقة حاسمة...

س.د.ب: تلك الَّتي تحدَّثت عنها في السَّابق، الَّتي قالت: «هذا الأحمقُ العجوز».

ج.ب.س: نعم. «أحمقٌ عجوز».

س.د.ب: لكن ما عدا ذلك، هل ثمَّة كثيرٌ من النِّساء قُلنَ لكَ بأنَّك بَشِع؟

ج.ب.س: كاميليا[١] كانت تقول لي ذلكَ دائماً بوضوح.

س.د.ب: لكنَّها كانت تجعل منها أداةً للإغراء، لأنَّها كانت تقول إنَّك ذكَّرتَها بوجهِ ميرابو Coup de Mirabeau[٢] المشوَّه حينما التقيتها في الجنازة؛ بدت لها أنَّها بشاعةٌ قويَّة.

ج.ب.س: لا شكَّ أنَّ الجانبَ البشعَ قد لعب دوراً في البداية.

س.د.ب: لكن هذه البشاعة لم تكنْ عائقاً أمامَ نجاحِك لدى النِّساء.

ج.ب.س: لأنِّي عرفتُ لاحقاً أنَّ البشاعةَ لا تلعب دوراً كبيراً.

---

(١) ممثلة فرنسية مشهورة، كانت إحدى صديقات سارتر.

(٢) هونوريه غابرييل الملقّب ميرابو (١٧٤٩-١٧٩١): كاتب، وصحفيّ، وديبلوماسيّ، سُمِّي خطيب الشّعب إبّان الثّورة الفرنسيّة، ولد مع بعض التشوّهات في وجهه وجسده، لكنّه حوّلها إلى مصدر قوّة عرفت عنه لاحقًا.

س.د.ب: صار من البديهيّ أنَّ الرَّجل قد يكون بَشِعاً ويتمتَّع بكثير من الجاذبيَّة، وتُساق أسماءُ كبار الغاوين في هذا الصَّدد، مثل ريشوليو Richelieu[1]، أو غيره.

ع.ب.س نعم، نعم، بالتَّأكيد.

س.د.ب: بالنَّتيجة؛ ألم يخلقْ هذا لديكَ أيَّ نوعٍ من الخَجل؟

ع.ب.س: لا.

س.د.ب: قلت لي إنَّكَ كنتَ حريصاً على عدم الخروجِ إلَّا بصحبة نساء يتمتَّعنَ بحدٍّ أدنى من الجمال، أو جميلات إذا أمكن.

ع.ب.س: صحيح، تصوَّري رجلاً بشعاً وامرأة بشعة... هذا يُثير النَّاس. إذاً، أردتُ تحقيقَ نوعٍ من التَّوازن، أنا أُمثِّل البشاعة، والمرأة تمثِّل الجمال، إن لم يكن الجاذبيَّة، أو الجماليَّة Joliesse.

س.د.ب: إجمالاً. هل شعرتَ خلالَ حياتِك بأنَّك كنتَ راضياً عن نفسك؟ كيف؟ أو إلى أيِّ حدٍّ؟

ع.ب.س: بالأحرى، لم أكن راضياً. أنتِ تتحدَّثين عن الاستحواذ Saisie الذَّاتي للجسد.

س.د.ب: نعم، هذا، ما أعنيه.

ع.ب.س: سمعتُ عدداً كبيراً من الرِّفاق يتحدَّثون عن الشُّعور بالارتياح من النَّاحية الجسديَّة، خلال ممارستهم التَّزلُّج على الجليد، أو السِّباحة، إلخ. هذا كلُّه لم يكن يعنيني؛ فأنا أخافُ السُّقوطَ وأنا أمارسُ التَّزلُّج على الجليد، وهذا هو شعوري حولَ الجسد. أمَّا السِّباحة؛ فقد كنتُ أخشى التَّعب.

---

(١) أرمان بليسيس دو ريشيليو (١٥٨٥- ١٦٤٢): كاردينال، ورجل دولة. شغل منصب الوزير الأوَّل لدى الملك لويس الثَّالث عشر

س.د.ب: صحيح، تحدَّثنا عن هذا. أرى التَّعبَ حالةً تحبُّها النَّفس، لا سيما إذا لم تستمرَّ طويلاً، حيث أكون قادرةً على التَّوقُّف متى شئتُ، فأضع حقيبةَ يدي، وأجلس. لكنَّك كنتَ تكره التَّعَبَ.

ج.ب.س: صحيح.

س.د.ب: غالباً ما كانت تظهرُ آثارُ التَّعبِ عليكَ من خلالِ بعضِ البثرات والتَّقرُّحات، أو الخرَّاجات؛ في جسدك أشياء كثيرة لا تعمل بشكلٍ جيِّد، تعود أساساً إلى عدم رضاك عن نفسك. ومع ذلك؛ فقد كنتَ تتمتَّعُ بصحَّةٍ جيِّدة.

ج.ب.س: نعم، كنتُ أتمتَّعُ بصحَّة جيِّدة، وأظنُّ أنَّه كان عليَّ، بحسب المعايير، تكوينُ انطباعٍ جيِّد عن جسمي. حتَّى الآن؛ لا يمكنني القولُ إنَّ الشُّعور الدَّاخليَّ،أو الحس العضوي بالوجود « Cénesthésique، كما يُقال، لم يكنْ كريهاً جدّاً، لكنَّه ليس مُحبَّباً. لا أشعر بالارتياح.

س.د.ب: هل هو أحدُ الأسبابِ الَّتي جعلتكَ تكره ما سبق أنْ سمَّيتهُ «التخلي Abandon»؟، أعني التخلي عن جسدِكَ بينَ العشبِ، وفوقَ الرَّملِ. بل والعكس؛ أذكرُ يومَ كُنَّا مع بوست في مارتيغ Martigue، كنتما تجلسانِ فوقَ كتلٍ حجريَّةٍ ذاتِ حوافَّ جارحة، بطريقةٍ صعبةٍ جدّاً؛ لطالما كنتَ غير مستقرٍّ في جسدك.

ج.ب.س: نعم، هذا أشدُّ تعقيداً، وهو ما سيقودنا إلى باردايان Pardaillan.

س.د.ب: بالعودة إلى السُّؤال الأوَّل، إلامَ تعزوعدم الارتياح بالإحساس العضوي بالوجود Cénesthésie؟ هل هو نوعٌ من التَّشنُّج؟ وهل تعودُ أسبابُه إلى طفولتك، أم هو رفضٌ أخلاقيٌّ للاستسلام لجسدك؟ هل هو نوعٌ من التَّشنُّج ـ لهذا تحدَّثتُ عن التخلِّي ـ الَّذي قد يكون مرتبطاً بكونه، كما عشتَه مع والدتك، أو مع الآخرين، هو الَّذي نفرتَ منه كثيراً؟

ج.ب.س: نعم، أظنُّ هذا. أعتقد بأنَّ فكرتنا عمَّا ينبغي أن نكونَ عليه كانت موجودة، لكنَّها لم تكنْ تنطوي على الالتخلّي. بشكلٍ عام؛ أظنُّ أنَّ جسدي كان

في حالةِ عملٍ أساساً. وكلُّ ما كان انطواء repliement، واحساس عضوي بالجسد، كلُّ هذا لم يكنْ بذي قيمة، وكان ينبغي إلقاءُه بعيداً عن وعيي. المهمُّ هو الفعل الَّذي كنتُ أقوم به، كفعلِ المشي، أو تناولِ شيءٍ مُعيَّن. أظنُّ أنَّي سرعانَ ما تصوَّرتُ جسدي، حينما كنتُ طفلاً، بمثابةِ مركزٍ للعمل، وأهملتُ جانبَ الإحساس والانفعاليَّة. كانت هذه الانفعاليَّةُ موجودةً بطبيعة الحال، ولم أُشدد على كبْتها ؛ بل كنتُ أُشدِّدُ على كلِّ ما هو موضوعيٌّ وحقيقيٌّ لديَّ، كالعمل الَّذي أُمارسهُ: وضع الرَّمل في دلاءٍ، وبناء قصرٍ، أو بيت. لكن على أيِّ حال؛ كان العملُ هو المهمُّ. وفي طريقة إحساسي ببعضِ العناصر من جسدي؛ كَيَدي، على سبيل المثال، كان ذلك دائماً عبارةً عن فعلٍ أُحسّهُ بيديَّ. طبعاً، ينبغي أن يكون دائماً موجوداً، إلى حدٍّ ما، فاليدُ شيء يحيا، لكن يمكن الإحساسُ بها كشيءٍ يتأثَّر بخشونةِ القماش أو بقسوة الشَّيء. وهذا كلُّه كان يدور في مستوىً ثانٍ، المهمُّ بالنِّسبة لي هو الفعل أو التَّأثير.

س.د.ب: تحدَّثتَ عن باردايان Pardaillan، فما الَّذي تعنيه بذلك؟

ج.ب.س: أردت أن أُشيرَ، تحديداً، إلى وجودِ أجسادٍ مُتخيّلة، تلف الجسمَ كما ندركه. فجسدي المُتَخيَّل كان جسدَ قبطانٍ عسكريٍّ قويٍّ، أي جسدَ باردايان بالتَّحديد، ذلك البطل المحارب. وهو شيء عرفته، حينما بلغتُه، أو حينما طوَّرته يومَ كنتُ صغيراً ألعبُ لعبةَ الكابتن باردايان، بينما كانت أُمِّي تعزفُ على البيانو. وهو ما تحدَّثتُ عنه في كتابي **الكلمات**.

س.د.ب: صحيح.

ج.ب.س: كنتُ أشعر بنفسي أشبهَ بمحاربٍ شرس؛ إذ كان الأمر يعني لي بأن أقتلَ طوابيرٍ من الأعداء الَّذين كانوا يرمون بأنفسهم عليَّ. وهو شعور طالما احتفظتُ به، كتعويضٍ عن قصرِ قامتي إلى حدٍّ ما. لكنِّي، كما قلت، لم أشعرْ بقِصَرِ قامتي إلَّا بشكلٍ مُجرَّد. حيث كان هذا التَّعويض، بالأصل، مُجرَّداً

أيضاً، ثمَّ تحوَّلتُ إلى شخصيَّة ميشيل ستروغوف Michel Strogoff، أو بارديان، وكلُّ أولئك الرِّجال الَّذين كانوا أنا، حاضرين في الخيال، أو في الواقع. كنت أعزو أكثرَ من قيمةٍ إلى ما كنتُ أحسُّهُ فاعلاً بين يديَّ؛ وفي جسدي، مزيد من القوَّة، ومزيد من السَّطوة؛ فلو دفعتُ حجراً؛ يكون فِعلي أكثرَ عُنفاً، والحجرُ أكثرُ ثُقلاً في الخيال، أكثر ممَّا هو في الواقع.

س.د.ب: لكنَّ وعيَ هذا الجسد القويِّ يتناقض قليلاً مع ما قلتَه للتوّ: وهو أنَّكَ سرعان ما تخاف من التَّعب، سواء مشيتَ، أو سبَحتَ، أو ركبتَ درَّاجة. فإن كنتَ تشعرُ بأنَّك عملاقٌ وضخمٌ؛ وكان عليك مواجهةُ المتطلَّبات الجسديَّة بثقةٍ هائلة.

ج.ب.س: كان لديَّ نوعٌ من الثِّقة. لكنَّ تلك الأمورَ كانت حقائق: مثل التَّعب، والعنصرِ الأرضيِّ كله، إضافة إلى العلاقة بالأرض، والتُّراب، والصُّعوبات الَّتي تجعلنا نشعر بجسدنا في تلك الفترة، على صعيد ثانويٍّ؛ نشعر بجسدنا مُنهكاً، ومتعباً، إلخ. كنتُ أُعيرُ هذا كلَّه حتماً أهميَّةً أكبر بكثير؛ إنَّها قسوةُ الواقع. إذ كان الواقعُ أكثرَ قسوةً عليَّ ممَّا كان عليكِ. هل تفهمينَ قصدي؟

س.د.ب: لا. لم أفهمِ العلاقةَ بين هذا الجسد الخياليِّ الصَّلب تماماً، والقادر على تحقيق الكثيرِ من الإنجازات، وبينَ خجلِكَ الجسديِّ؛ لأنَّك تقول إنَّك تخشى حتَّى السِّباحة لخوفِك من التَّعب.

ج.ب.س: لم أكنْ أخافُ من أن أُتعبَ نفسي، بل كنتُ أتعب. كنتُ أرمي بنفسي في السِّباحة للقيام بعملٍ أُحسُّ به، ويعجبني. عندئذٍ؛ يبدأ ما قبلَ التَّعب، الَّذي هو تعبُ الجسد الَّذي يُتعِبُ نفسَه، لأنَّه يعمل. كنتُ أرفضُ التَّعب، نوعاً ما، أو كنتُ أرمي به إلى العُمق. وحينما يصبحُ التَّعبُ أكثرَ قوَّة؛ تراني أرفضُ الرَّفضَ.

س.د.ب: إذاً، ما هي الرَّوابطُ بينَ ما أتيتَ على قولهِ، وبينَ تلك العلاقاتِ الَّتي تحدَّثنا عنها سابقاً حولَ حياتك الجنسيَّة؟

ج.ب.س: عليَّ البدءُ بالقولِ إنَّ الحياةَ الجنسيَّة الكاملةَ تفترضُ وجودَ علاقةٍ مزدوجة؛ ففي الفعلِ الجنسيِّ ـ أعني بشكلٍ عامٍّ، ولا أقصد الفعلَ الجنسيَّ في حدِّ ذاته، بل كلَّ ما يحيط به ـ طرفانِ يأخذانِ من بعضِهما ويعطيان لبعضِهما، ويحيط كلٌّ منهما الآخرَ بذراعيه، على سبيل المثال.

س.د.ب: صحيح.

ج.ب.س: من ثمَّ، يتكوَّنُ لدى كلِّ طرفٍ انطباعٌ بالأخذِ، ذلك الانطباع الَّذي سمَّيتُه قبلَ قليلٍ: ساعةَ العمل، عملَ العملاقِ الطَّيِّب، والانطباع بأنَّه مأخوذٌ في الوقت نفسِه. فحركتُنا لمداعبةِ الجسم، كالكتفينِ العاريتين، تعني القيامَ بفعل. ما كان مُهمّاً بالنِّسبةِ لي وما يزال؛ هو الجانبُ الفعَّال، أي وضعيَّة اليد. وطبعاً، الإحساس بالجسد. لكنَّه الجسد الَّذي أخلقهُ بتمريرِ يدي تحتَ الإبط، وعلى الذِّراعين، وفوقَ الفخذ. هذا هو عملي الَّذي كان يهمُّني، مع كلِّ ما يدركه، أي الجانب الخارجيِّ الموضوعيِّ للجسد المقابل. ينبغي القولُ أنَّ ما يهيمنُ هو النُّعومة الفاعلة لليدِ الَّتي تقوم بالمداعبة. لكنَّ التباديَّةَ هي أقلُّ شيء أُحسُّ به، وكون الآخر قادراً على الشُّعور بلذَّة الإحساسِ بجسدي. فمثلاً، حينما أكون بين ذراعَي شخص، جسداً مُلتصقاً بجسد، وبطناً مُلتصقاً ببطن، وصدراً مُلتصقاً بصدر، أشعرُ بحرِّيَّة امتلاكي للجسد، لكنِّي لا أحسُّ بالآخر مُدرِكاً لجسدي.

س.د.ب: ألم تشعرْ أبداً بأنك تمثل السلبيَّة Passivité؟

ج.ب.س: أبداً. حتَّى أنِّي لم أشعرْ بأنِّي موضوعٌ للمداعبة. أكيد أنَّ العلاقات بين الشَّخصين قد تغيَّرت في هذا الإطار. فحدثَتْ قطيعةٌ بين ما كان يمكن للشَّخص أخذهُ وإعطاءه في مقابلي؛ لأنَّ هذه القطيعة موجودة عندي. وبما أنَّني كنتُ مَنسولاً[ناتج جماع] sexué بشكلٍ مقبول؛ فقد كنتُ أقذفُ بسرعةٍ وسهولة.

غالباً ما كنتُ أمارس النِّكاح، لكن من دون لذَّة كبيرة؛ مُجرَّد لذَّة صغيرة في النِّهاية، لكنَّها متواضعة. كنتُ أُفضِّل أن أكونَ على علاقة بالجسد كلِّه، ومداعبته، باختصار؛ كنتُ أحبُّ أن أكونَ فاعلاً باليدين والسَّاقين، وبملامسة الشَّخص، أكثر من حُبِّي لممارسة الجنس بمعناه المعروف. كان يبدو لي ذلك إجبارياً، ولهذا كان لا بدَّ أن ينتهي الأمرُ على هذا النَّحو لدى معاشرتي للمرأة... لكنَّ سببَ ذلك يعود إلى تصوُّري للآخر، وقراءتي للكتب، وممَّا كان يُقال لي. لكن لم تكن هذه رغبتي الخاصَّة بي. فقد أكون في سرير، عارياً مع امرأةٍ عارية، أُداعبها، وأُعانقها. لكن من دون أن يصلَ الأمر إلى النِّكاح.

س.د.ب: إلامَ تعزو هذا النَّوع من البرود الجنسيّ؟ وأظنُّ أنَّها حالةٌ أكثرُ شيوعاً ممَّا يُصرِّح به الرِّجال، لأنَّهم متحفِّظون حولَ هذا الأمر، ولا يحبُّون الحديثَ عنه، لأنَّه يضايقهم. لذلك؛ أظنُّ أنَّ لكلِّ حالةٍ خاصَّةٍ أسبابُها. هل هذا مرتبطٌ أيضاً بغياب التخلِّي، أو بنوع من تشنُّج الجسد؟ إذ هناك رجالٌ، حينما يكونون يافعين؛ يُصابون بالإغماءِ لدى بلوغِهم مرحلةَ الانتعاظ (النَّشوة القصوى Orgasme). وتراهم فعلاً متأثِّرين وضائعين.

ج.ب.س: لا، لم أكنْ أبداً مُهدَّداً بفقدان وعيي خلالَ الانتعاظ، وفعل النِّكاح، ولا في أي جزء من الممارسة الجنسيَّة.

س.د.ب: إلامَ تعزو هذا؟

ج.ب.س: تحديداً إلى أنَّ الجزء الذَّاتي والسَّلبي للنَّشوة القصوى، وفعل الجماع، كلُّها تختفي أمامَ الجزءِ الموضوعيّ والفعَّال الَّذي يتكوَّن منهُ فعلُ الجِماع.

س.د.ب: إذاً، لا بُدَّ أنَّ المسألة عامَّةٌ. إلامَ يمكنك عزوَ (ربَّما بالعودة إلى الطُّفولة، لا أعرف) هذا النَّوع من الرَّفض لعاطفيَّة الجسد؟، وأيَّ لذَّة يشعر بها الجسد، حينما تبلغ حدَّ رفضِ المتعةِ الجنسيَّةِ بالمعنى الدَّقيق للكلمة؟

ج.ب.س: لا أعرف إن كان هذا يُسمَّى رفضاً.

س.د.ب: أنا لا أقول إنَّ الأمر يحدثُ على مستوى الذّهن، إنَّه شيء بدنيٌّ، أي في الجسمِ نفسِه، لماذا؟ قد تقول لي هنا: إنَّ لهذا علاقةً بأشياء لا تعرفها.

ج.ب.س: نعم، أظنُّ أنِّي لا أعرف.

س.د.ب: قد يكون مُرتبطاً بمسائلَ تعود إلى مرحلة الطُّفولة.

ج.ب.س: ممكن.

س.د.ب: لكن. ألا ترى في حياتك الواعية، كطفل، شيئاً يُفسِّر هذا؟

ج.ب.س: لا شيء.

س.د.ب: مع أنَّك حدَّثتني في بعضِ الأحيان عن أنَّ التخلِّي كان مرتبطاً بِ...

ج.ب.س: آه صحيح! هذا كان يثير الهلعَ في نفسي حتَّى يومَ كنتُ صغيراً. هناك دائماً منذ البداية، شيءٌ مُباشَر. فقد كان تخلِّي أُمِّي عنِّي أمراً كريهاً. مع أنَّه كان نادراً عندها، والدَّليل!

س.د.ب: لقد ضخَّمتَ هذا النُّزوعَ عند شخصيَّة السَّيِّدة داربيدا Mme Darbida في قصَّة الغرفة.

ج.ب.س: نعم، صحيح.

س.د.ب: لم تكن تحبُّ هذا أبداً.

ج.ب.س: لا، أبداً.

س.د.ب: هل كان هذا مرتبطاً بالحدوث Contingence، أم بالجسد؟

ج.ب.س: مرتبط بالحدوث.

س.د.ب: لا يُمكن التَّخلُّص من الحدوث إلَّا بالفاعليَّة.

ج.ب.س: الفاعليَّة، كما أراها، تعني حقيقةَ كونِك إنساناً. الرَّجل أو المرأةُ كائنٌ فاعل. من ثمَّ فهي تشدُّ دائماً نحوَ المستقبل، بينما التخلي حاضر، أو يشدُّ نحوَ الماضي. هذا التَّناقض جعلني أُفضِّلُ الفاعليَّة: أي المستقبلَ على الماضي.

س.د.ب: ألا يرتبط هذا بهلعِك من اللُّزوجة، أو الدَّبق، وبما يخالفُ مفاهيمَ الانتزاع القويَّة عندَك.

ج.ب.س: بكلِّ تأكيد. اللُّزوجة والتَّدبُّق، هو الحدوث، وهذا كلُّه ذاتيُّ اللَّحظة. أمَّا الانتزاعُ؛ فيتَّجه نحوَ المستقبل. لا بُدَّ من تذَكُّرِ ذلك المركَب. التقيتُ في مدينة أوترخت Utrecht الهولنديَّة عالماً نفسيّاً...

س.د.ب: أذكرُ هذا. عرضَ عليكَ عدّة صورٍ ـ زورق يسير بسرعة كبيرة، ورجل يمشي ببطء، وقطار يعدو. وطلبَ منكَ تحديدَ أفضلِ صورة تُمثِّل السُّرعة؛ فاخترتَ المركب، لأنَّه ينتزعُ نفسَه من الماء.

ج.ب.س: الماءُ كان يُمثِّل الحادث. أمَّا المركبُ فهو قاسٍ، ومتكوِّن، وصلب.

س.د.ب: ترتبطُ فكرةُ الانتزاع لديك، على ما أظنُّ، برفضِكَ لكلِّ القيمِ الَّتي يمكن تسميتها حيويَّة، ولا تستأثر إلَّا بالقليل من اهتمامك. أي قيمة الطَّبيعة، والخصوبة، وغيرهما.

ج.ب.س: قليلاً جدّاً.

س.د.ب:لم تكنْ تحبُّ الحيواناتِ أبداً.

ج.ب.س: بلى قليلاً؛ القططَ والكلاب.

س.د.ب: ليس كثيراً.

ج.ب.س: قضيَّة الحيواناتِ هذه قضيَّةٌ فلسفيَّةٌ أساساً بالنِّسبة لي.

س.د.ب: متى كنتَ تتلاكمُ مع تلاميذِك؟

ج.ب.س: كان ذلكَ نوعٌ من الفاعليَّة؛ لأنَّ الملاكمةَ كانت مُحبَّبةً إلى نفسي تماماً، ومتوفِّرة لأنِّي سبقَ أن رأيت مبارياتٍ في الملاكمة، وكنتُ أرى الملاكمين بمثابةِ فاعليَّة كُلِّيَّة.

س.د.ب: ومرَّت عليكَ فترةٌ كنتَ فيها تمارس التَّمارين البدنيَّة، أي: الثَّقافة البدنيَّة.

ج.ب.س: مارستُ ذلكَ من أجل التَّنحيف، ولم تكنْ تسلِّيني أبداً.كنت أمارسها لمدَّة عشرين دقيقةً أو نصف ساعة صباحاً. لكنَّها كانت تُرهقني.

س.د.ب: لكنَّكَ كنتَ مُهتمّاً بمظهرِك نوعاً ما.

ج.ب.س: طيلة حياتي؛ كنتُ أحاول دائماً تنحيفَ جسمي، ليُقالَ إنِّي قصيرٌ نحيف، وليس قصيراً سميناً. ولأنَّ البدانةَ كانت تُمثِّل بالنِّسبة لي شيئاً من التخلي، أو الحدوث.

س.د.ب: لكن، هل كنتَ تبلغُ حدَّ اتِّباعِ حميةٍ غذائيَّة، لتنحِّفَ جسمَك؟

ج.ب.س: لا.

س.د.ب: لا؟

ج.ب.س: من وقت لآخر، حينما كان يُقال لي: «عليك ألَّا تأكلَ كذا»، فأمتنع عنه لفترةٍ من الزَّمن، ثمَّ أعود إليه؛ لأنَّ لي ذوقيَ الخاصَّ الَّذي يخالفُ كلَّ ما ذكرتهُ.

س.د.ب: مثلاً ؟

ج.ب.س: أنواع اللُّحومِ الباردة كلِّها، والنَّقانِق.

س.د.ب: أنواعُ اللُّحوم الباردة كلِّها؟.

ج.ب.س: كلُّ أنواعِ اللُّحوم الباردة؛ أكلتُ منها كمِّيَّاتٍ ضخمة خلالَ حياتي.

س.د.ب: هل يمكن تفسيرُ هذا بأصولِك الألزاسيَّة؟

ج.ب.س: أصلُها من هناك، على أيِّ حال. لكنْ هل يُمكن تفسيرها بذلك؟ ذلك شأنٌ آخر.

س.د.ب: هل كان الطَّعامُ فعاليَّةً تعجبك؟

ج.ب.س: آه، كثيراً! ثمَّ إنِّي أكلتُ كثيراً جدّاً أشياءَ ثقيلةً عموماً، مُخالفاً بذلك جسمي الَّذي أشبِّهُهُ بجسمِ بارديان الخياليّ، لأنَّها كانت أشياءَ ثقيلةً تسبِّب لي السُّمنة. كان هذا منذُ زمنٍ بعيد، وخلافاً للبطل بارديان، الَّذي ينبغي ألَّا يأكلَ إلَّا في الحدود الدُّنيا.

س.د.ب: وماذا عن الشَّراب؟ لقد أحببتَ الشَّراب أيضاً إلى حدٍّ لابأسَ به.

ج.ب.س: أحببتُ الشَّرابَ كثيراً، لكنَّ الأمرَ هنا مُعقَّدٌ جدّاً؛ إذ لا علاقةَ له بالجسد.

س.د.ب: بالجسد؟

ج.ب.س: بلى، له علاقة، لكنَّها ليست علاقةً كبيرة؛ أنا لا أفهمه على هذا النَّحو. أكيد أنَّني لا أشرب من أجلِ الأفكار، أو لجمالِ الأفكار الَّتي ستخرج منه، لكنَّ من أجلِ نوعٍ من الخيال مع ذلك.

س.د.ب: ما الَّذي تريد قولَه؟

ج.ب.س: تصبحُ الذَّاتيَّةُ خلَّاقةً، بطريقة مُعيَّنة. تخلقُ الحماقات، لكنَّ في اللَّحظة الَّتي نختلقُها فيها؛ تعجبنا.

س.د.ب: لا بُدَّ من التَّذكير بأنَّك لم تكنْ تشرب لوحدِك أبداً.

ج.ب.س: أبداً.

س.د.ب: كنتَ تحبُّ الشُّربَ مع أصدقاء، مع أناس...

ج.ب.س: معكِ.

س.د.ب: صحيح، لكنَّكَ كنت تتجاوزُ في بعضِ الأحيانِ حدودَ ما أسمحُ لكَ به، لأنِّي كنتُ ألاحظ أنَّ هذا يجعلُكَ فَظّاً. فقد كنتَ تصبحُ، عند مستوىً مُعيَّن، غريباً جدّاً، وبالعكس، تصبح شاعريّاً جدّاً ومُضحكاً. كان الأمرُ مُمتعاً،

لا سيما في الاحتفالات، أو بعدَ الحربِ تحديداً، حينما كان الشَّرابُ يُشكِّل تفريغاً لما عندَك.

ج.ب.س: نعم، كان تفريغاً؛ لأنَّ الاحتلالَ كان يُثير فينا الضِّيق.

س.د.ب: كان الشَّرابُ معَ الأصدقاء، مثل كامو، أمراً مُمتعاً. وكنتَ تقولُ إنَّ ثمَّة في الكحولِ شيءٌ من المتعة، لأنَّه ينطوي على نوعٍ من المخاطرة.

ج.ب.س: صحيح.

س.د.ب: كان مُدمِّراً إلى حدٍّ ما.

ج.ب.س: لكنَّ الحالةَ كانت تمرُّ سريعاً. ما إن نعبرُ إلى الجانب الآخر قليلاً؛ حتَّى نبدأ بتدمير أنفسِنا، وتصبحُ المخاطرةُ حقيقةً.

س.د.ب: صحيح.

ج.ب.س: وكُنَّا نُحبُّ أن تكونَ لدينا أفكارٌ مضطربة، فيها استفهامٌ غامض، ثمَّ تبدأ بالتَّفكُّك.

س.د.ب: لمْ تتعاطَ المخدِّرات أبداً؛ كالحشيش، أو الأفيون، أو أيِّ نوعٍ آخر. باستثناءِ تجربةِ الميسكالين Mescaline لغايةِ الدِّراسةِ النَّفسيَّة. ومررتَ بأوقاتٍ أفرطتَ خلالَها في تناولِ المنشِّطات.

ج.ب.س: نعم، أفرطتُ في تناولها طيلةَ عشرين عاماً.

س.د.ب: لا سيما خلالَ فترةِ كتابتك لكتاب **نقد العقل الجدليِّ**، إذ كنتَ تتعاطى الأورتيدرين، ثمَّ أشياء مختلفة، إضافةً إلى الكوريدران.

ج.ب.س: صحيح.

س..ب: كيف كانت علاقتُك بهذه الأدوية الخطيرة؟

ج.ب.س: الغريبُ هو أنَّني كنتُ أرفضُها حينما أكونُ بصدد كتابة الأدَب، وألجأ إليها عندَ كتابةِ الفلسفة. لهذا ترينَ أنَّ كتابَ **نقد العقل الجدليِّ** ليسَ تُحفةً من حيث المخطَّط، والإنشاء، والوضوح.

س.د.ب: ولمَ هذا الاختلاف بين الكتابة في المجالين؟

ج.ب.س: قدَّرتُ أنَّ الطَّريقةَ الَّتي كنتُ أختار فيها المصطلحات، وأضع بعضَها إلى جانبِ البعض الآخر، ثمَّ صياغة الجملة، أي الأسلوب باختصار، وطريقة تحليلِ المشاعر في رواية مُعيَّنة؛ كلُّ هذا يفترضُ أن نكونَ طبيعيِّين بالمطلق. لكن، لِمَ كنتُ أرى أنَّه لا بُدَّ من القيام بالعكس لدى كتابة الفلسفة؟

س.د.ب: ألا يعود هذا إلى أنَّ تفكيرَك أسرعُ من الكتابة ؟

ج.ب.س: أعتقدُ هذا.

س.د.ب: أضِفْ أنَّهُ لم يكن هناكَ اختيارٌ للمصطلحات. أتذكَّر أنَّك كنتَ تكتبُ بطريقةٍ سريعةٍ. لكن هل كان هذا ضرورياً ؟، أم هي مُتعةٌ غيرُ طبيعيَّةٍ تتمثل في تجاوزك لقدراتك؟. أذكر أنَّكَ أُصبتَ بأزمةٍ خطيرةٍ بسببِ ذلكَ عام ١٩٥٨.

ج.ب.س: نعم، كانت لديَّ متعةٌ غيرُ طبيعيَّة. فكان هذا يقتضي التَّخلُّص منها، لكنْ لا أعرف متى. كنتُ أُبالغ، إذ لم أكنْ أتناولُ قُرصاً واحدة كلَّ مرَّة، بل عشرَ حبَّاتٍ دفعةً واحدة.

س.د.ب: أعرف، كنت تبلغُ درجةً يصبحُ لسانُك مضطرباً تماماً، بل وصلتَ إلى مرحلةٍ صرتَ فيها نصفَ أطرش.

ج.ب.س: كنتُ أستهلكُ أنبوبةً من الأورتيديرين في يومٍ واحد.

س.د.ب: صحيح، كان الأمرُ مُريعاً. استبدَّتْ بكَ فكرةُ العملِ الكامل وحرصتَ على ألَّا تُضيعَ دقيقةً واحدة، وتستخدم أقصى ما في جسمك من قوىً، بما فيها قوى الدِّماغ.

ج.ب.س: كنتُ أظنُّ أنَّ رأسي يحتوي كلَّ الأفكارِ الَّتي أضعُها فوقَ الورق ـ لكنَّها أفكارٌ غيرُ منفصلة، وغير مُحَلَّلَة بطريقة عقلانيَّة ـ ظنّاً منِّي أنَّه يكفي فصلُها عن بعضها، ومن ثمَّ كتابتُها على الورق؛ باعتبارها تضمُّ كثيراً من

الأدراج (الخفايا). بينما وجودُها في الرَّأس يُشكِّلُ كُلّاً من دون تحليل. إذاً؛ فالكتابةُ في الفلسفة كانت تنطوي إجمالاً على تحليلِ أفكاري، ومن شأنِ أنبوبةٍ من الكوريدران المساعدةُ على تحليلِ هذه الأفكار خلالَ اليومين القادمين.

س.د.ب: لكنَّكَ أُصبتَ بأمراضٍ خلالَ حياتك، أليس كذلك؟

ج.ب.س: صحيح، كان عندي مشكلةُ عيني خلالَ طفولتي، كما أُصبتُ بالتهابِ الخشاء (الأذن الوسطى) في فترةٍ لاحقة، وفي عام ١٩٤٥؛ أُصبتُ بمرض النّكاف.

س.د.ب: وأُصبتَ في بعضِ الأحيان بنوباتٍ قويَّةٍ من الأنفلونزا. وذاتَ مرَّةٍ بِأنفلونزا الأمعاء؛ الَّتي أبقتْكَ طريحَ الفراشِ لمدَّة شهر، كما عانيتَ من آلام كبيرة في أسنانِك. أودُّ لو تحدِّثني عن علاقتِك بالأمراضِ، والتَّعبِ، والألم. فقد كنتَ فريداً في هذا كلِّه. ثمَّةَ أُناسٌ يتغنَّجون، وآخرون لا يفعلون هذا. وهناك من يتنبَّهون لأقلِّ علامةٍ مَرَضيَّة، ونفرٌ ثالثٌ لا يُعير المرضَ أيَّ اهتمام، وفئةٌ تتأفَّفُ وهي رازِحةٌ تحتَ نير المرض.

ج.ب.س: لا أعرف، أنتِ الوحيدةُ القادرةُ على قولِ ذلك على هذا الصَّعيد.

س.د.ب: الشَّيء الأوَّل الَّذي أثار انتباهي؛ هو رفضُك للألم تقريباً. كنتَ شابّاً حينما أُصبتَ بالتهابِ الكِلى في مدينة روان Rouen، ربَّما كنتَ في الخامسة والعشرين أو السَّادسة والعشرين من عمرك. يومَها حيَّرتَ الأطبَّاءَ كثيراً بقولِك لهم إنَّك لم تتألمّ كثيراً. والحقيقة أنَّك تألَّمتَ كثيراً بحيثُ تقيَّأتَ يومها، كان هناك شيء غير مفهوم.

ج.ب.س: صحيح.

س.د.ب: كنتَ تتعاملُ مع الألم بنوعٍ من الرّواقيّة، بل بدهشة غيرِ كبيرة.

ج.ب.س: صحيح، لكنِّي لم أكن أشعرُ إلا بآلام متوسِّطة.

س.د.ب: عانيتَ من وجعٍ رهيبٍ في أسنانك. أتذكَّرُ ذاتَ مرَّة، حينما كان كو ما يزال سكرتيرك، اتَّصلَ ليقولَ لي: «سيصرخ، سيصرخ». لأنَّك كنتَ جالساً خلفَ طاولتك وتتألَّم بشكلٍ كبير.

ج.ب.س: صحيح.

س.د.ب: ذهبنا إلى طبيبِ الأسنان مباشرةً. وأذكر أيضاً ذلكَ الألمَ الرَّهيب الَّذي عانيتَه يومَ كُنَّا في إيطاليا، حيثُ زعمتَ أنَّك ستتغلَّب عليه بممارسةِ اليوغا، وقلتَ: يكفي أن نعزلَه؛ بينما كان الألمُ موجوداً، لكنَّك لم تعاني سوى الألمِ الَّذي لم ينتشرْ في باقي الجسم.

ج.ب.س: في الحقيقة، كنتُ أعتقدُ أنَّني قادرٌ على التَّخلُّص من الألمِ عبرَ مماهاته بالذاتيَّة. والحقيقةُ، أنَّ العلاقةَ الذاتيَّةَ بين نفسي ونفسي لم تكنْ مُحبَّبة؛ لأنِّي كنتُ أعتبرُ بأنِّي قادرٌ على إزالةِ طابعه بوصفه ألماً؛ بالألمِ من خلالِ مُماهاته بالذاتيَّة المحضة.

س.د.ب: هل تقصدُ أنَّ حضورَك الجسديَّ ليسَ مُحبَّباً لأنَّك تُماهيهِ بالألم؟. وفي حالِ المرض؛ كنتَ مُستسلِماً، وبَرِماً، ومسروراً في أعماقِك باسترخائِك قليلاً في السَّرير، وبكونك مُتعباً؟ أم كنتَ غاضباً لأنَّك مضطرٌّ لملازمةِ السَّرير؟

ج.ب.س: هذا كلُّه. وهو رهنٌ بمرحلةِ المرض.

س.د.ب: هل كنتَ تشعر بنوعٍ من المتعة لكونِك مريضاً؟

ج.ب.س: نعم، هذا مؤكَّد. بعد أن أكونَ قد بالغتُ في العمل، كان هذا يمنحني شيئاً من الرَّاحة؛ لأنِّي حينما أكونُ مريضاً؛ أكفُّ عن العمل، ولا أعودُ أشعرُ بأنَّني **فاعليَّة محضة**، بل حدوثٌ Contingence محضٌ.

س.د.ب: إذاً، كان المرضُ يمنحُكَ ذريعةً، أو تسويغاً.

ج.ب.س: نعم. يمنحني تسويغاً، وسبباً لكي لا أعودُ أنا نفسي. فهو شيءٌ أتاني من الخارج، وحوَّلني إلى لزوجةٍ Viscosité حادثةٍ، كانت تعجبني. ولم

أحتفظُ بفاعليَّة إلَّا لأنَّني كنتُ، في أغلبِ الأحيان، أسعى للكتابةِ قليلاً، حتَّى اللَّحظة القويَّة من المرض، أو للتَّفكير بأشياء احتفظتُ بها لكتابتها لاحقاً، وهي على أيِّ حال؛ كتاباتٌ سيِّئةٌ دائماً.

س.د.ب: أتذكَّر حينما أُصبتَ بالنُّكاف؛ حاولتَ كتابةَ مذكُراتٍ غيرِ واضحة، لكنَّك كنتَ تسترخي تماماً في بعضِ الأحيان.

ج.ب.س: صحيح.

س.د.ب: إجمالاً، كان المرضُ هو الحالة الوحيدة التي تعيشُ فيها نوعاً من التخلِّي... ولم تعشْ طيلةَ حياتِك حالاتٍ من الرَّاحة. فمثلاً؛ لم تكنْ تقرأ في السَّرير أبداً. وهو شيءٌ أعشقهُ قبلَ النَّوم مساءً، أو في الصَّباح. أو، حينما لا أضعُ نفسي في السَّرير، كنتُ أتمدَّد فوقَ أريكتي لكي أقرأ.

ج.ب.س: أبداً. أنا كنت أجلسُ دائماً إلى طاولتي.

س.د.ب: حتَّى أنَّك لم تكنْ تقرأ وأنتَ جالسٌ في مقعدك.

ج.ب.س: عموما. لا.

س.د.ب: الآن، أنتَ جالسٌ في مقعدٍ ذي ذراعين. وتتحدَّث إليَّ. لكن، حينما تقرأ؛ تجلسُ فوقَ كرسيٍّ قاسٍ، ذي مسندٍ مستقيم.

ج.ب.س: صحيح. كنتُ أعدُّ الجلوسَ في هذا المقعد نوعاً من الإهمال. لم أجلسْ أبداً فوقَ هذا المقعد حينما كنتُ أسكنُ شارع راسباي Raspail. كان هناكَ كراسي بذراعين، لم أجلس فوقَها أبداً، بل كانت مُخصَّصة للزُّوَّار.

س.د.ب: إنَّك تجعلُ من هذا موقفاً أخلاقيّاً. أودُّ لو تشرحُ لي بشكلٍ أوضح، كيف تشكَّلَت صورةُ جسدِك؟، وكيف أُضيفَت إلى إدراكِك له؟.

ج.ب.س: أصلُ الصُّورة؟ ثمَّة حقيقةٌ مُحدَّدة: يومَ كنتُ في السَّابعة أو في الثَّامنة من عمري؛ كنتُ ألعبُ دورَ المهرِّج، بينما تعزف أُمِّي على البيانو، وفي

تلك اللَّحظة كنتُ أُقلِّدُ فارساً خياليّاً يُحارب أحلاماً خياليَّة. هذه الشَّخصيَّة الخياليَّة؛ كانت في الوقتِ نفسِه: أنا؛ بمعنى أنَّني كنتُ أمثِّلُ دوراً، ثمَّ آلَ هذا الدَّورُ إليَّ. لا بُدَّ أنَّ هذه الشَّخصيَّة، في الأصل، هي تصوُّري لنفسي، ولجسدي المتَخيَّل؛ ولو عدتُ إلى الوراء أكثر، أي إلى الفترة الَّتي بدأتُ القراءة فيها، فإنِّي كنتُ أحلم في سريري، وأتخيَّل قبلَ النَّوم، شخصيَّةً تقومُ بإنقاذ الفتيات من بيوتٍ بصدد الاحتراق؛ كانت شخصيَّةً راشدة؛ لطالما كان لي جسدٌ راشدٌ مُتَخيَّل، ممتلئ إلى حدٍّ ما، لأنَّه كان يصعدُ إلى البيوت المحترقة، وينقذُ الفتيات، وهو يحملهنَّ فوقَ ظهره. إذاً؛ منذُ البداية، حتَّى قبلَ أن أتعلَّم القراءة، كنتُ أتقمَّصُ، استناداً إلى ما سمعتهُ من قصص، دورَ البطلِ القويِّ الَّذي يسعى إلى إنقاذِ فتاة، أو طفل، إنَّه شخصيَّةٌ أقوى من الآخرين، يهتمُّ بالصِّغار، والضُّعفاء. من أين جاءني هذا؟ لا أدري، أظنُّ أنَّ كثيراً من النَّاس قد رأوا هذا الحلُمَ وهم صغار. لكنْ أن يدومَ هذا الحلُمُ طيلةَ حياتي؛ فهذا هو...

س.د.ب: لأنَّه استمرَّ طيلةَ حياتك؟ ما إن أصبحتَ بالغاً؛ حتَّى فقدتَ هذا النَّوع من الأحلامِ الرُّومانسيَّة! ما الَّذي بقي من هذا الجسم المتَخيَّل؟ وكيف صارَ حينما أصبحتَ بالغاً؟

ج.ب.س: حسناً، بقي عندي بعضُ الحبِّ للتَّمارين البدنيَّة. ما إن أصبحتُ في المدرسة حتَّى جُبنا صالاتِ اللَّياقةِ البدنيَّةِ لممارسةِ الملاكمةِ. وما زلتُ أذكر صالةً للَّياقةِ البدنيَّةِ مدفوعةِ الأجرِ لمتابعةِ دروسِ الملاكمةِ، وغالباً ما ذهبنا لرؤية هذه الصَّالة للاستعلام عن الأسعار، الَّتي كانت دائماً مُرتفعة بالنِّسبة لنا.

س.د.ب: لكن؛ لماذا ترتبطُ رغبتُك في ممارسةِ الملاكمة بجسمٍ مُتخيَّل؟

ج.ب.س: كنتُ أؤمنُ بامتلاكِ قوَّةٍ مُتخيَّلة لم أكنْ أملكُها، أو فقدتُها، وكنتُ أُطوِّر هذه القوَّة في أن أُصبحَ مُلاكماً هاوياً، وهو ما قد يُشكِّل عودةً إلى

جسدي الحقيقيّ، الَّذي كان جسدي المتخيَّل. في النَّهاية؛ هذا ما عثرتُ عليه لاحقاً، حينما أصبحتُ أُستاذاً في مدينة لوهافر Le Havre، ورحتُ أتلاكمُ مع التَّلاميذ. كان ذلك طبعاً، بمثابةِ تَخيُّل، إذ لم أكنْ مُلاكماً حقيقيّاً. أثناءَ الصّراع؛ كان هناك عملٌ حقيقيٌّ، لا يعودُ فيه للمُتخيِّل أيُّ دور؛ لكن قبلَ هذا، أي حينما كنتُ أقفزُ فوقَ الحبل، وبعدها، حينما كان بونافيه يوجِّه إليَّ ملاحظاتٍ حولَ طريقةِ ملاكمتنا؛ تراني أعود إلى تلكَ الشَّخصيَّة المتَخيَّلَة.

س.د.ب: أرجو أن تصدُقني القول: هل كنتَ تتفوَّق في أغلبِ الأحيان، أم لا؟

ج.ب.س: لم يكن ثمَّة غالبٌ ومغلوبٌ أبداً، كُنَّا نقوم بجولتَي ملاكمة.ثمَّ نتوقَّف بعدها، لأنَّها كانت عبارةً عن مواجهاتٍ من دون نتائج. كُنَّا نتصارع من دونِ اهتمامٍ بالوزن. أذكر أنِّي تنافستُ مع بوست الَّذي كان طولُه يبلغ ١,٧٥ متراً، وأنا ١,٦٠ متراً. كان هو من الوزن «المتوسّط» أو «الخفيف»، أمَّا أنا؛ فكنتُ من وزن «الرِّيشة».

س.د.ب: في حياتِك اليوميَّة، وبمعزل عن الملاكمة، هل كنتَ تشعر بأنَّك أقوى من الآخرين؟. أعني: حينما بلغتَ الثَّلاثين أو الأربعين من العمر؟

ج.ب.س: الحقيقةُ أنِّي كنتُ أنظر إلى نفسي على حقيقتها، لكنْ طالما راودتني الصُّورة الَّتي كانت قادرةً على القتالِ ضِدَّ أيِّ شخصٍ كان. وتربحُ في أغلبِ الأحيان.

س.د.ب: كم من الوقت احتفظتَ بها؟

ج.ب.س: لا أعرف. لكنِّي أتذكَّر أنِّي لجأتُ إليها مرَّتين؛ المرَّةَ الأُولى في مدرسة لون Laon حوالي عام ١٩٣٧-١٩٣٨: كنتُ يومَها في قاعة المدرِّسين، حيث ظنَّ أحدُ الأساتذة، الَّذي كان له عمري تقريباً، أنَّ بوسعه توجيهَ ملاحظاتٍ إليَّ كعدمِ حضوري اجتماعَ لوحة الشَّرف، ولا أعرف كيف وصلَ بي الأمرُ إلى حدِّ ضربهِ. فأخذَ كلٌّ مِنَّا برقبة الآخر طيلةَ ربعِ ساعة، وصرنا ندورُ في أرجاء القاعة، إلى أن وصلَ مُدرِّس آخر، فتوقفْنا عندَها.

س.د.ب: هذه كانت الحالةَ الأُولى، ماذا عن الثَّانية؟

ج.ب.س: الثَّانية كانت حينما كنتُ مُعتقلاً. كان هناكَ ملاكمون، ومدرِّبون محترفون، ينظِّمون مبارياتِ الملاكمة، للتَّرفيه عنَّا خلالَ يومِ الأحد. فنظَّموا، خفيةً، مباراةً بيني وبين شابٍّ بالغِ اللُّطف، يعمل في الطِّباعة. قُمنا بجولتين: هيمنتُ في الأُولى، أمَّا في الثَّانية؛ فقد أصابني التَّعب، لأني لمْ أمارس الملاكمةَ منذُ سنواتٍ طويلة، فتغلَّب الآخرُ عليَّ. وانتهت النَّتيجةُ إلى التَّعادل، وهو ما خيَّب أملي؛ لأنَّ بارديان لا يخوضُ مباراةً تنتهي بالتَّعادل.

س.د.ب: حدثَ هذا حوالي عام ١٩٤١. كم من الوقت بَقِيَتْ صورةُ بارديان في ذهنك؟

ج.ب.س: انتقلَتْ هذه الصُّورةُ تدريجيّاً إلى الأدب. فكان أبطالي دائماً طويلي القامة: مثل ماثيو Mathieu، وقبلَه روكانتان Roquentin الَّذي قاتل كورسيكيّاً وانتصرَ عليه في النِّهاية. لم يكن هؤلاء الأبطالُ، بطبيعة الحال، بمستوى بارديان، بل أُناسٌ عاديُّون من النَّاحية الجسديَّة، لكنَّهم كانوا طويلين، بينما أنا قصير. كانوا يمثِّلونني. كانوا أنا نفسي، لكنِّي كنتُ صغيراً وقويّاً. ولم أكنْ مُهتمّاً بمعرفة ما إذا كان هناكَ انسجامٌ بينهما من النَّاحية النَّفسيَّة.

س.د.ب: هذا ينتمي إلى الأدب. لكنْ: دعني أرجعُ إلى سؤالي، متى توارَت هذه الصُّورةُ من حياتك؟ وهل كان لها أن تستمرَّ حتَّى الثَّمانين من عمرك؟

ج.ب.س: لا، ولكنِّي لم أعدْ أشعرُ بأنِّي قصير. والباقي عبارة عن تكافؤ من حيثُ القامة. لست رجلاً قصيراً بين الرِّجال المتوسِّطي الطُّول أو الطُّويلين، بل مساوٍ للآخرين. مثلاً، في اجتماعات **الأزمنة الحديثة**؛ لا يكون لديَّ انطباعٌ بأنَّنا جميعاً متساوين. بويون ليس أطولَ منِّي، بل أراهُ مساوياً لي من حيثُ القامة.

س.د.ب: وهل يدخل عمرُك في صورتِك؟ هل دخل فيها سابقاً، وما يزال حتَّى الآن؟

ع.ب.س: دخل فيها وأنا شابٌّ، وأذكر خلالَ خدمتي العسكريَّة، كنتُ مراقباً في مَخْرِس؛ لا أدري، لِمَ تكوَّنَ لديَّ انطباعٌ قويٌّ جدّاً تلك اللَّيلة، بأنّي شابٌّ في الثَّالثة والعشرين من عمري (أدَّيتُ خدمتي العسكريَّة مُتأخْراً جدّاً لأنّي حظيتُ بأكثر من تأجيل). أعرف أنَّ ثمَّة انطباعاً من الفرح قد انتابني، بل ومُتعة، وأنا أُحسُّ بشبابي. اليومَ طبعاً؛ الأمر يختلف، لكنّي لا أشعر بأنّي عجوز، بل لا أشعر بأنّي تجاوزت ذلكَ العمر. ثمَّةَ شيءٌ طالما فكَّرتُ فيه، ووصفتُه قليلاً في **الطَّاعون**، هو فكرة أنَّه ليس لدينا خبرة، وأنَّنا لا نشيخ. وأنَّ مجموعَ الأحداثِ والتَّجاربِ الَّتي تخلُقُ شيئاً فشيئاً شخصيَّةً مُعيَّنةً؛ ما هو إلَّا إحدى أساطيرِ القرن التَّاسع عشر، والمدرسة التَّجريبيَّة. لا أظنُّ أنَّ هذا موجودٌ فعليّاً؛ ليس ورائي حياة، أو تجربة يمكنني تحويلُها إلى أقوال مأثورة، أو عباراتٍ في طريقة العيش. إذاً؛ بما أنّي لا أملك الخبرة، وطالما أنَّ جسمي في حالة جيِّدة؛ فأنا في السَّبعين من عمري تقريباً كما أنا في الثَّلاثين منه.

س.د.ب: لكنَّ جسمَك أقلُّ جودةً ممَّا كان عليه وأنتَ في الثَّلاثين من عمرك.

ع.ب.س: صحيح، إنَّه أقلُّ جودة.

س.د.ب: إنَّك تُعاني صعوبةً في المشي قليلاً، على سبيل المثال.

ع.ب.س: صحيح، وصعوبةً في الرُّؤية أيضاً.

س.د.ب: وأنتَ مضطرٌّ إلى تعاطي الأدوية.

ع.ب.س: صحيح، لكنّي رأيتُ نفسي متكيِّفاً. فمثلاً؛ لم أعُدْ أرى على الإطلاق، وهذا لا يزعجني، وأتدبَّر أمري؛ لم أعد أرى وجهَكِ بوضوح، بل لا أراه أبداً في هذهِ اللَّحظة. الأمر لا يُحزنني؛ إنّي أراهُ بطريقةٍ مختلفةٍ في ظروف أُخرى. أعرف كيف أتوجَّه إلى حدٍّ ما. أرى بشكلٍ إجماليٍّ ما تمثِّلُه

الأشياء، والمسافة الَّتي تفصلها عنِّي، وهذا يكفي لكي أوجِّه نفسي. لذلك؛ لا أشعر بالحزن، أو بالألم لمعرفتي بأنَّ حالتي غيرُ طبيعيَّة.

س.د.ب: لاحِظْ أنَّ هذا يُمكن أن يصيبَ شابّاً. أظنُّ أنَّها سمةٌ في الشَّخصيَّة لدى بعضِ الأشخاص الشُّجعان والمتفائلين، الَّذين يتعاملون مع الحياةِ كما وُهبَت لهم. وبما أنَّك لا تشعر بأنَّك أقصر من بويون؛ فإنَّك لا تشعرُ بأنَّك متقدِّم في العمر، أليس كذلك؟

ج.ب.س: والله، لا. أشعر أنِّي في مستواهم نفسه؛ فهم يعرفون أشياء لا أعرفها، وأنا أعرف أشياء لا يعرفونها. أكيدٌ أنِّي أعرفُ بأنِّي لم أعُدْ في الثَّلاثين من عمري، وأنِّي صرت في الخمسين. بتعبير آخر: مَن ينزلُ درجَ بيته، ويمشي في الشَّارع، ويرى النَّاس ويحيِّيهم؛ فهو رجلٌ في الخمسين. الحقيقةُ أنِّي أرجعُ عشرينَ عاماً إلى الوراء.

س.د.ب: قلتَ لي إنَّك كنت مُرتاحاً حينما قال لكَ الطَّبيبُ بأنَّك شابٌّ؟

ج.ب.س: صحيح، حينما يقولُ لي هذا؛ فهو يُفرحني دائماً. وهو لا يُقال في أغلبِ الأحيان، لكنَّ تصرُّفاتي فاجأتْهُ يومَها بوضوح. مفاجأتُه هي الَّتي أمتعَتني أكثرَ من الجملة الَّتي تلفَّظ بها بعد ذلك. ثمَّةَ شيءٌ أيضاً يُمتِعني؛ وهو عدمُ وجودِ الشَّيب في رأسي، لكنَّ هذا لا يعني أنِّي أُفضِّل لوناً مُعيَّناً من الشَّعر...

س.د.ب: سوالفُك بيضاء، وحينما تحلقُ ذقنَك بشكلٍ سيِّئ؛ يبقى بعضُ الشَّعر الأبيض فوقَ لحيتك. لكن بما أنَّك حسّاسٌ إزاءَ هذا الأمر؛ عليك أن تكونَ أكثرَ اعتناءً بنفسك، وتحلق الشَّعر الَّذي يجعلُك مُسنّاً عن كثب. الحقيقةُ أنَّ لونَ شعرِك رماديٌّ، وليس أبيض.

ج.ب.س: غريب. فعلاً، بناءً على ما قلتُهُ لكِ قبلَ قليل؛ ينبغي عليَّ أن أعتني أكثرَ بجسدي، كأن أحلقَ ذقني بطريقةٍ أفضل، وهو ما لا أفعله. الشَّخصيَّة المتخيَّلَة تحتاجُ إلى حاملٍ واقعيٍّ، ويجب أن يكونَ هذا الحاملُ أكثرَ شبابيَّة ما أمكن. هنا ثمَّة تناقض.

س.د.ب: لا شكَّ أنَّ الشَّخصيَّة المتَخيَّلَة أكثرُ نحافةً، وتَيقُّظاً، بينما الشَّخصيَّةُ الحقيقيَّةُ لها بطنٌ صغير. والحقيقة أنَّك لا تفعلُ شيئاً لتنحيفِ جسمك.

ج.ب.س: لا. أقوم بهذا من وقتٍ لآخر، خلالَ أربعة أو خمسة أشهر...

س.د.ب: صحيح، فأنتَ تُداري نفسَك قليلاً. فلستَ سميناً جدّاً، لكن لو كنتَ تَتَفَنْدَر كما يدور في خيالك؛ لكنتَ حتماً أكثرَ نحافةً.

ج.ب.س: هذا أكيد.

س.د.ب: هل ما يزالُ التَّخيُّلُ كافياً لكَ لِتُحوِّلَ انتباهَك إلى الجسدِ الحقيقيِّ؟

ج.ب.س: صحيح؛ أظنُّ، في الوقت الرَّاهن، أنَّ لديَّ تخيُّلاً من وقتٍ لآخر. صحيحٌ أنِّي لمْ أعُدْ أتخيَّل بارديان، لكنَّ التَّخيُّلَ يحتفظ بشيءٍ ما، عبارة عن شخصيَّةٍ ذاتِ جسدٍ جذَّاب. علينا أن ننطلقَ من فكرةٍ أنَّ الإنسان لا يرى جسده، أو يرى منه القليلَ من الأشياء، مثل اليدين والقدمين، لكنْ ليس الوجه. زِدْ على هذا أنَّ شخصيَّتي المتخَيَّلَة ليسَتْ ثلاثيَّةَ الأبعاد؛ ليس لها سوى عينينِ ويدينِ فقط. ساقا[الشَّخصيَّة المتخَيَّلة] أطولُ من ساقيَّ طبعاً، ويداه أقوى من يديَّ، هما اللَّتان كنتُ أراهما، وأزينهما نوعاً ما' أمَّا الآن؛ فلا أظنُّ أنِّي قويٌّ، أو طويل.

س.د.ب: قلتَ لي، ذلك اليوم، إنَّ علاقتَك بجسدك سيِّئةٌ إلى حدٍّ كبير. إلى أيِّ مدى يُمكن للجسد المتَخَيَّل أن يُخفي هذه الصُّعوبة؟ أو إلى أيِّ مدى يبقى غريباً تماماً؟

ج.ب.س: بقيَ غريباً. بقيَ الجانبُ الماديُّ الَّذي أوجَدَ لديَّ أحاسيسَ حولَ جسدي وكينونتي، كان كريهاً بالنِّسبة لي، لكن لا بُدَّ من فهمِ أنَّهُ مادَّةُ جسدي الَّتي تجاوزها شيءٌ له علاقة بها. كنت أشعر بنفسي فاعلاً بنحوٍ خاصٍّ، وهو ما يُفسِّرُعلاقاتي الجنسيَّة بالنِّساء خصوصاً؛ كنتُ فاعلاً، وهذه الفاعليَّة هي الَّتي تُفضي بي إلى الفعلِ الجنسيِّ بالمعنى المعروف للعبارة. لم تكن رغبتي بإنجازِ

هذا الفعل سوى مُعتدلِة، لكنَّها الفاعليَّة هي الَّتي ينبغي أن تتوفَّر لدى الزَّوجين؛ وأظنُّ أنَّها أحدُ الأسبابِ الَّتي أوقفَت قليلاً معنى المساواة بالمرأة. فبينما، أظنُّ في الحقيقة، أنَّ الرِّجالَ والنِّساء متساوون. لكنَّ الوضعيَّةَ الجسديَّةَ لممارسةِ الحبِّ والفاعليَّة الَّتي أُظهرِها فيها، غير ضروريَّة، وتنسجم مع حساسيَّتي؛ حساسيَّة مُنحرفة، أي الحساسيَّةُ الذُّكوريَّة.

س.د.ب: لماذا تقولُ عن هذه الحساسيَّة إنَّها مُنحرفة؟

ج.ب.س: لأنِّي لا أظنُّ أنَّ الإحساسَ الجسديَّ الكاملَ في لحظةِ الفعلِ الغراميِّ ينبغي أن يكون إحساساً بالفاعليَّة؛ الأمرُ أكثرُ تعقيداً. وينبغي أن تتوفَّر الفاعليَّة لدى الطَّرفين. عليَّ أن أكونَ مُتلقِّياً في اللَّحظة الَّتي يُداعبني فيها الطَّرفُ الآخر، وفاعلاً في اللَّحظة الَّتي أُداعبه فيها.

س.د.ب: نعم، أنا مُتَّفقةٌ معكَ تماماً، مع أنَّ الجانبَ الفاعلَ هو الوحيدُ المتطوِّر لديك. وهو ما جعلكَ تُسيطر عليه بنفسك. لكنَّه في الوقت نفسه؛ خلقَ عندَك شيئاً من البرود.

ج.ب.س: وقليلاً من السَّاديَّة تقريباً؛ لأنَّ الشَّخصَ في نهاية المطافِ يكون مُعطىً لي، ولستُ مُعطىً له. هل لمْ أكن مُعطىً له؟ لا، كنتُ كذلك، لكنَّه ليس شيئاً لأجلي في تلك اللَّحظة، لأنِّي أكون أنا الفاعليَّة.

س.د.ب: هل تعني أنَّه بمقدارِ ما تكون أنتَ الفاعليَّة المحضة؛ فإنَّ هذا ينطوي على شيءٍ من السَّاديَّة؟

ج.ب.س: نعم؛ لأنَّ الفاعليَّة المقابلة للسَّلبيَّة تُمثِّل السَّاديَّة أيضاً.

س.د.ب: لأنَّ الآخرَ يُختَزلُ بشيء، بينما من شأن الحالةِ الطَّبيعيَّة أن تكونَ تبادليَّة حقيقيَّة.

ج.ب.س: بالضَّبط.

س.د.ب: هل لك أن تفسِّر لي سببَ رفضك لهذه السَّلبيَّة؟ هذا الرَّفض المعيشُ في جسدك؟

ج.ب.س: طالما أنِّي أُفكِّر، وأعمل بقلمي، وأكتب؛ لا أرفضُ السَّلبيَّة فعلاً. لقد تأثَّرتُ بالنَّاس، وظننتُ أنَّهم يفهمونَ ما لا أفهمه: ثمَّة عنصرٌ سلبيٌّ في عملي.

س.د.ب: نعم، لكنِّي أتحدَّث على صعيدِ الجسد. هل دلَّلتكَ أُمُّكَ وغنَّجتكّ، وهل فعلَ هذا جَدُّك، فتكوَّنَت لديكَ ردَّةُ فعلٍ قاسيةٌ إزاءَ هذا الأمر؟

ج.ب.س: هذا ممكنٌ، وقد ذكرتُه في كتابِ **الكلمات**. نعم، عشتُ شيئاً من هذا. كنتُ أشعر بأنِّي شيءٌ مختلفٌ عن كوني طفلاً محبوباً وناعماً، وهو ما لم يكن يتَّفقُ مع ما كنتُ أريدُ أن أكون. البالغونَ لم يكونوا كيِّسينَ؛ باستثناءِ جدِّيَ الَّذي كان رجلاً طيِّباً. السَّيِّد سيمونو Simoneau، على سبيل المثال، أو غيره كانوا بذيئينَ جدّاً، وكنتُ أتخيَّل بأنِّي سأكون مثلَهم في المستقبل. آنذاك؛ ثمَّة رجلٌ بذيء، هو أنا، ثمَّ ولدٌ رائعٌ، كان أنا أيضاً، لكنِّي لم أكنْ فخوراً بهذا الأنا.

س.د.ب: هل كانت الفاعليَّةُ لديكَ عبارةً عن ردِّ فعلٍ على مُعطىً سلبيّاً كالبشاعة مثلاً؟

ج.ب.س: لا أعتقدُ ذلك، لأنِّي لم أدركْ بشاعتي إلَّا وأنا في الثَّانية عشرةَ من عمري؛ عندما قالت لي تلك الفتاةُ «تبدو أحمقاً بقبَّعتك الكبيرة هذه». عندئذٍ عرفتُ بشاعتي، لكن ليسَ قبلَ ذلك.

س.د.ب: لكن؛ هل كان لديكَ هذا الموقفُ الفعَّالُ قبلَ ذلك؟ هل تخلَّيتَ عن نفسِك أكثر؟

ج.ب.س: كنتُ أتخلَّى عن نفسي مثلَ كلِّ الأطفال: تذكَّري أنِّي كنتُ ألعبُ دورَ المهرِّج لغوايةِ الفتياتِ الصَّغيرات؛ تلك كانت فاعليَّةً مُتخيَّلَة؛ لكنَّها فاعليَّة.

س.د.ب: لكنْ، الأطفالُ كلُّهم فاعلون إلى حدٍّ ما؛ يمكن للمرءِ أن يكونَ فاعلاً من دونِ كبتِ سلبيَّته تماماً.

ج.ب.س: هنا، لا يسعني إجابتُك؛ فهو أمرٌ صارَ من الماضي البعيد القديم.

س.د.ب: ألم تؤدِّ بكَ سنواتُ لاروشيل، وتعلُّمُ العنف، وزواجُ أُمِّكَ مرَّةً ثانيةً إلى اتِّخاذ موقفٍ مُتطرِّف؟ ألم تشعر في بعضِ الأحيان، بأنَّك كنتَ مفطوماً على المداعبة؟ هناك عدَّةُ فرضيَّات: هل قَرِفتَ منها بسببِ إفراطها، ولأنَّها كانت تختزلُكَ إلى مجرَّد كائنٍ لطيف؟ ألم تعانِ، في الثَّانية عشرة من عمرك، نوعاً من الفطام المفاجئ؟ لا بُدَّ أنَّ الإفراطَ في العاطفة قد قلَّ بالنِّسبة لك.

ج.ب.س: كان ثمَّة شيءٌ من هذا، لكنْ كان أيضاً رغبةٌ في صفعي، لأنِّي لم أكنْ أعملُ بشكلٍ كافٍ.

س.د.ب: هذا أكسبَكَ هذا صلابةً كبيرةً إزاءَ الألم، لأنَّه كان يبدو لكَ بمثابةِ إحساسٍ عاديٍّ بالوجود، ورفضٍ للتَّخلِّي الَّذي يُصيبُ النَّاس الَّذين يرونَك وأنت تعمل جالساً فوق كرسيٍّ قاسٍ، إلخ. هل كنتَ دائماً هكذا؟

ج.ب.س: نعم، دائماً؛ لطالما رأيتُ أنَّ الفاعليَّة تفترضُ غيابَ التخلي. وغيابُ التخلي يعني غيابَ الإحساس بالوجود، وكذلك غيابُ التَّخيُّل؛ البطل المتَخيَّل يسوِّغ التخلي نوعاً ما، لأنَّه يرفضُه كُلِّياً في حالة التخيُّل. إذاً؛ يمكن للمرءِ أن يتخلَّى عن نفسِه في الواقع؛ ولكن، كما اخترعتُ هذا البطل، فقد ظننتُ أنَّ عليه أن يستسلمَ للتخلِّي وكنتُ أفعلُ مثلَه.

س.د.ب: ثمَّةَ سمةٌ أدهشت النَّاس كثيراً، أوَّلهم أنا: خلالَ مشيتِك، وحركاتِك؛ ثمَّةَ دائماً شيءٌ حادٌّ جدّاً، وسريعٌ جدّاً، وجريءٌ جدّاً؛ حتَّى في طريقة مشيك، على سبيل المثال، والطَّريقة الَّتي تهزُّ بها كتفيكَ خلال المشي، وتحريكِ ذراعيك. وتحوَّل هذا الشَّيء بعد أن بلغتَ الخمسين، أو الخامسة والخمسين، إلى نوعٍ من العصبيَّة: فعلى سبيل المثال، تعرَّفَت عليك سيلفي

حينما كُنَّا في أحدِ مطاعم روما؛ كانت تقفُ في نافذةِ أحدِ الفنادق المقابلة، ولم تكنْ قادرةً على رؤيتنا، بل رأت قدمين تتحرَّكان بطريقةٍ جعلتْهَا تقول لنفسها: هذا حتماً سارتر. إذ كانت قدماك تتحرَّكان بعصبيَّة بالغة. كما كان مِرفقاك يتحرَّكان بحيثُ كنتَ تستخدمُ مِسنديِ المقعدِ الَّذي أجلس فوقَه، لعدمِ توقُّفِ مرفقيكَ عن الحركةِ طيلةَ الوقت. حدث هذا وأنتَ في الخمسين أو الخامسة والخمسين من عمرك.

ج.ب.س: فعلاً. كنتُ عصبيّاً قليلاً طيلةَ عشرِ سنوات. لكن انتهى هذا الأمر.

س.د.ب: أظنُّ أنَّ سببَ ذلك يعودُ إلى إفراطِك في تناول مُنشِّط الكوريدران.

ج.ب.س: أظنُّ هذا.

س.د.ب: انتهى الأمرُ الآنَ لأنَّك لم تعُدْ تتناول القهوة، والكوريدران. كنتَ تتناول الكثيرَ من المنشِّطات... وهو ما أدَّى إلى إصابتك بأزمة.

ج.ب.س: لاحظي أنَّ الثِّقة بالكوريدران، يُعدُّ بمثابة استمرارٍ للتَّخيُّل؛ الحالة الَّتي كنتُ فيها أثناءَ تناولي عشرة أقراص منه في الصَّباح، وخلالَ العمل، كانت عبارةً عن تخلٍّ (هجران) تامٍّ عن جسدي؛ كنتُ أتماسكُ من خلال حركاتِ ريشتي وخيالاتي وأفكاري الَّتي كانت تتشكَّل؛ لقد كنتُ ذلكَ الكائنَ الَّذي كان عليه بارديان، أي كائناً مُهمِلاً.

س.د.ب: الجسد الحقيقيُّ الَّذي كان بصددِ تدمير نفسِه والَّذي طالما كان لكَ إزاءَه موقفٌ عدائيٌّ. لم تكن تظنُّ فعلاً أنَّكَ تُدمِّر نفسَك، لكنَّك في واقع الأمرِ أتلفتَ نفسَكَ عدَّة مرَّات. بما أنَّك تتمتَّع بجوهرٍ رائع؛ فقد استعدتَ عافيتكَ بشكلٍ عجيب، لكنَّكَ أتلفتَ نفسَكَ عدَّة مرَّات. بالنِّسبة لي، كشاهدٍ خارجيٍّ، كنتَ في لحظة مُعيَّنة، تتمتَّع بجسمٍ متوازنٍ تماماً، من حيث السُّرعة، والفاعليَّة؛ لكنَّكَ كنتَ غيرَ حاذق، وهو أمر آخر. كنتُ أستمتعُ برؤيتكَ ماشياً في الشَّارع، على سبيل المثال؛ كنتَ سريعاً، وواثقاً، وذا مزاجٍ ينمُّ عن السُّرور. بينما كنتَ من الدَّاخل مُتضايقاً إلى حدٍّ ما، أمَّا جسدك؛ فيعطي الانطباعَ بالمرح.

ج.ب.س: لأنَّه كان فعَّالاً.

س.د.ب: لأنَّك كنتَ دائماً شديدَ المرح، كما يتضحُ من حركاتكَ ومشيتك. وكنتَ حيويّاً وفرحاً. لكن مرَّتْ عليكَ فترةٌ كنتَ فيها معطوباً، فأصبحتَ عندئذٍ بالغَ العصبيَّةِ، لدرجة أنَّك هَلهَلتَ سجَّادة غرفتي، على سبيل المثال، فاضطررتُ آنذاك إلى إضافةِ قطعةٍ إضافيَّة؛ لأنَّ خيوطَها أصبحَت واضحةً للعيان لكثرةِ ما ضربتَ فوقَها بقدميك. وماذا أقول عن المقاعد الَّتي اضطررتُ إلى تغطيتها بسببِ ضرباتِ مرفقيكَ فوقَها!

ج.ب.س: صحيح. كانت بعضُ حركاتي بالغةَ العصبيَّة؛ لكن لا تنسَي أنَّ مُنَشِّطَ الكوريدران كان يمنحني الانطباعَ بأنِّي في حالة انسجامٍ تامٍّ بين نفسي ونفسي؛ فكان إحساسي بالوجود يختفي تقريباً، وتجتمعُ لديَّ، في الوقت نفسه، تلكَ الأفكارُ الَّتي أُشكِّلها في رأسي لحظةَ الكتابة نفسَها، إضافةً إلى الكتابة طبعاً.

س.د.ب: صحيح، لكنِّي لا أتحدَّث عن الكوريدران فقط، بل عن المجموع؛ حتَّى في الأيام الَّتي لم تكن تتناوله فيها، خلقَ عندك حالةً ليست حالةَ التَّوازن الَّتي كنتَ تتمتَّع بها وأنت في الأربعين، أو الخمسين. أُصبتَ بهذه الحالةِ العصبيَّةِ الكبيرةِ تلك، وأنتَ في الخامسة والخمسين، والسَّادسة والخمسين من عمرك، ثمَّ تغيَّرت الحالة؛ لأنَّ الأطبَّاء وصفوا لكَ أدويةً لتخفيضِ ضغطك، إضافةً إلى المهدِّئات؛ الآنَ يبدو جسدُك أكثرَ هدوءاً. ثمَّة شيءٌ لم نتحدَّث عنه، هو النَّوم. ما هي علاقتك بالنَّوم؟

ج.ب.س: رائع. كنتُ أنامُ من دونِ أيِّ مُخدِّرٍ حتَّى الثَّلاثين من عمري، حيثُ أضع رأسي فوقَ وسادتي، وأغطُّ في النَّوم حتَّى اليومِ التَّالي.

س.د.ب: لكن. كان لديكَ بعضُ العادات، حينما تعرَّفتُ عليكَ؛ هلَّا تحدِّثني عنها؟

ج.ب.س: صحيح؛ كنتُ أضعُ عصابةً فوقَ عينيَّ، وكُرات شمعية في أُذنيَّ، لكنِّي كنتُ أنامُ جيِّداً. بعدَ الحربِ صرتُ أتناولُ بعضَ الأقراص لتساعدَني على

النَّوم. وكانت هذه الأقراصُ ضروريَّةً لموازنةِ المنشِّطاتِ الَّتي كنتُ أبتلعُها لكي أتمكَّنَ من الكتابةِ بعدَ السَّاعةِ الثَّامنةِ، أو التَّاسعةِ صباحاً. تناولت البيلادينال Belladenal لفترةٍ طويلة، حيثُ كنتُ أبتلعُ أربعةَ أو خمسةَ أقراصٍ مساءً، وحينما يكون ضغطي مُرتفعاً جدّاً.

س.د.ب: في عام ١٩٥٨؛ أُصبتَ بارتفاعٍ بالغٍ في ضغطِك، أوصلَكَ إلى حدِّ الإصابةِ بالجلطةِ، لكنَّها لم تُصبْكَ.

ج.ب.س: صحيح. في تلك الفترة وُصِفَت لي أقراصٌ متنوِّعة لمساعدتي على النَّوم. لكنِّي كنتُ، بطبيعة الحال، أعودُ إلى تناول البيلادينال. ما زلت أتعاطى المنوِّمات، لكن أقلَّ من السَّابق. أمَّا المنتَجُ الَّذي أتناوله الآن، أي الموغادون Mogadon؛ فأكتفي منهُ بقُرصٍ واحد، بينما كنتُ أتناولُ منه أربعة أو خمسة أقراصٍ في السَّابق.

س.د.ب: لا أدري الآن، إن كان ذلك مُجرَّد عادة.

ج.ب.س: لكنِّي لا أتناولُ شيئاً، وأنا في أحسنِ حال.

س.د.ب: لأنَّكَ كنتَ تتخيَّل بأنَّك لا تنام، وهي حالة نفسيَّة؛ أظنُّ أنَّك كنتَ تنام بشكلٍ مقبول. لكن، دعكَ من هذا. إذاً؛ كنتَ تنام جيِّداً من دون مشاكل.

ج.ب.س: لكن ما إن أتناول قُرصاً؛ حتَّى أخلدُ إلى النَّوم عندَ منتصفِ اللَّيل أو بعدَه بنصف ساعة، وأستيقظ عندَ السَّاعة الثَّامنة أو التَّاسعة صباحاً. إجمالاً؛ لا أُعاني أيِّ صعوبةٍ مع النَّوم.

س.د.ب: هل كنتَ تحلُم في بعض الأحيان؟

ج.ب.س: لا. لكنِّي حلمتُ أحياناً، وكنت أحسُّ بازدحامٍ في رأسي لدى استيقاظي، لا شكلَ له أو اسم. منذ أن كنتُ في الثَّلاثين من عمري تقريباً؛ فقدتُ ذكرى أحلامي.

س.د.ب: أعتقد أنَّ هذا صحيح، إذ طيلةَ حياتنا معاً؛ لم تقصَّ عليَّ أيَّ حلم. كنتَ تحلم كجميع النَّاس، لكنَّكَ كنتَ تنسى أحلامَك بعد استيقاظك، ويكون لديكَ انطباعٌ بأنَّك لم تحلم.

ج.ب.س: ما أزال أتذكَّر تلك الأحلامَ، والكوابيسَ المتعلِّقةَ بالجنون، بعد أن اصطحبَ والديَّ الخادمةَ إلى أحدِ مشافي الطِّبِّ النَّفسيِّ، بعدَ تخيُّلِها بأنَّها كانت تسقطُ في حُفَر؛ حيث ترى فجأةً أمامَها حُفَراً في الشَّارع وأنَّها تسقط فيها، فتبكي، وتنتابها أزمات، فعَرَضَها والدايَ على طبيبٍ أوصى بنقلها إلى المشفى. وقفتُ ضِدَّ هذا الحلِّ بقوَّة، لكن ليس لي معَ والديَّ سوى تقديم الرَّأي. لكنِّي احتفظتُ في أعماقِ نفسي بنوعٍ من الاضطراب، وليلَتها حلمتُ. وما أزال أتذكَّر الأحلامَ الَّتي رأيتُها تقريباً.

س.د.ب: في أيِّ مرحلةٍ كان هذا؟

ج.ب.س: في باريس، قبلَ الحرب، حيث كنتُ أسكنُ مع أهلي.

س.د.ب: إذاً، تلك كانت ذكرى قديمة، هل تتذكَّر بعضَ الأحلام الأُخرى؟

ج.ب.س: لا، لكنِّي أعرف بأنِّي كنتُ أحلُم كثيراً.

س.د.ب: ألا يهمُّكَ تذكُّرُها؟

ج.ب.س: فعلتُ هذا. كتبتُ عن الأحلامِ في الفترةِ الَّتي كنتُ أرى فيها أحلاماً وذكرتها، كما تعرفين، في كتابي **المُتَخيُّل** Imaginaire. إجمالاً؛ النَّومُ شيءٌ لا وجودَ له، أو إنَّه موجودٌ من دونِ مشاكل. أعرفُ أنَّني حينما أغادرُكِ مساءً، وأصعد الدَّرجَ لأخلدَ إلى النَّوم، أعرف أنِّي لستُ ذاهباً إلى ساحةِ معركة، بل إلى هلاكٍ كامل... مع أنَّ وظائفي الهضميَّة جيِّدة جدّاً أيضاً.

س.د.ب: نعم، لم تُصَبْ أبداً بدُوار البحر.

ج.ب.س: أبداً، برغمِ أسفاري الكثيرة في المركب.

س.د.ب: لم تكُنْ أبداً مريضاً، حتَّى بسببِ الشَّراب، الَّذي يؤثِّر في الرَّأس، أو في الجهاز الحركيِّ، ولا يؤثِّر على الكبد أو الجهاز الهضميِّ أبداً.

ج.ب.س: مرَّةً؛ تقيَّأتُ بعد أُمسيةٍ لتوزيع الجوائز. يومَها ذهبتُ أوَّلاً لتناولِ العشاء على الشَّاطئ مع بعض التَّلاميذ، بعدها انتهت الأُمسية بفوضى عارمة، مع أنِّي لم أشرب.

س.د.ب: وتقيَّأتَ مرَّةً أُخرى، في اليابان بعدَ أن أكلتَ سَمَكاً نيئاً. لحظتئذٍ؛ احتملتَ ما حصلَ لكَ بشكلٍ جيِّد، لكن بعدَ أن عُدتَ إلى غرفتِكَ؛ وقعتَ مريضاً. آنذاك؛ لم تكنِ المشكلةُ تتعلَّق باضطرابٍ في المعدة، بل بشيءٍ نفسيٍّ.

ج.ب.س: لم أفهمْ يومَها ما أصابني.

س.د.ب: ينبغي التَّذكيرُ بالجانب النَّفسيِّ ـ الجسديِّ لشخصِك. لأنَّكَ في الأغلب الأعمِّ، سيِّدُ نفسِك، ومُنظَّمٌ جدّاً، وعقلانيٌّ جدّاً، وواعٍ جدّاً. لكن في بعضِ الأحيان؛ كان لجسمِكَ ردودُ فعلٍ لا تعرفها، كهذه الحالة الَّتي ذكرناها، على سبيل المثال. كنتَ مُجاملاً جدّاً خلالَ ذلك العشاء، ومُبتسماً وأنتَ تأكلُ تلكَ الأطباقَ الَّتي كرهتها شخصيّاً، ولدى عودتِنا؛ اعتقدتَ بأنَّكَ مُصابٌ بالحمَّى، فذهبتَ لتتقيَّأ، عندئذٍ فهمتُ أنَّه كان مُجرَّدَ غثيان، لكنَّه غثيانٌ نفسيٌّ ـ جسديٌّ بسبب الجهدِ الَّذي بذلتَهُ خلالَ تلك الوليمة.



الطَّعام

س.د.ب: سنتحدَّث عن موضوعٍ تطرَّقنا إليهِ لماماً، حولَ علاقتِك بالطَّعام. هل لديكَ ما تقولُه في هذا الشَّأن؟

ج.ب.س: أساساً، لا أحبُ أن آكلَ إلَّا القليلَ من الأشياء. هناك أطعمةٌ ممنوعةٌ عليَّ، مثل البندورة. عمليّاً؛ لم آكلْها طيلةَ حياتي. ليس لأنَّها سيِّئة، أو لأنِّي أكرهُ مذاقَها كثيراً، لكنَّها لا تُعجبني كثيراً، لذلك اتَّخذتُ قراراً بالامتناعِ عن أكلِها، وهو ما يحرصُ عليه كلُّ مَنْ حولي عندما يُقدِّمون الطَّعام إليّ.

س.د.ب: هل تعرفُ مصدرَ قَرَفِكَ من البندورة؟

ج.ب.س: بوسعي أن أعرفَ هذا، لاعتقادي بأنَّ الطَّعام عبارةٌ عن رمز. البندورة طعامٌ، لكنَّها ليسَتْ رمزيَّة؛ إنَّها تُغذِّي، ويمكنُ أكلُها. لكنَّ طعمَها، وشكلَها الخارجيَّ يُثيران في نفسي صُوراً، ويرمزان إلى شيءٍ ما؛ شيءٍ يتغيَّر بحسبِ نوعِ الطَّعام نفسِه. في كتابِ **الوجود والعدم**؛ حاولتُ تحليلَ بعضِ المذاقات، أو على أيِّ حال، بعضِ المظاهرِ الرَّمزيَّة للأشياء.

س.د.ب: ماذا تكرهُ غيرَ البندورة؟

ج.ب.س: القشريَّات، والقواقعَ، والمحار.

س.د.ب: ما الذي تكرهُه في القشريَّات والقواقع؟

ج.ب.س: أظنُّ ـ على الأقلِّ بالنِّسبةِ للقشريَّات ـ أنَّ ما يُزعجني منها يعودُ إلى شبهِها وعلاقتِها بالحشراتِ الَّتي تعيشُ في الهواء وليس في الماء، ومستوى حياتِها، ووعيِها الإشكاليِّ، خصوصاً شكلَها الغائبَ تماماً عن عالمنا ـ تكاد تكون

غائبةٌ تماماً تقريباً ـ واللَّحمُ الأبيضُ ليسَ مخلوقاً لأجلنا، إنَّما نسرقُه من عالمٍ آخر.

س.د.ب: حينما تأكلُ الأطعمة النَّباتيَّة، فأنت تسرقُها من عالمٍ آخر أيضاً...

ج.ب.س: لا أحبُ الأطعمة النباتيَّة كثيراً.

س.د.ب: ثمَّةَ اختلافٌ كبيرٌ، هو أنَّ النَّباتاتِ من دون وعي. يبدو أنَّ ما يُزعجُ في الحشرةَ؛ هو انتماؤها إلى عالمٍ آخر، وتمتُّعها بالوعي، في الوقت نفسه.

ج.ب.س: من المحتملِ أنَّ ما هو نباتيٌّ لا يملك وعياً. وطبخُ النَّباتِ يعني تحويلَ شيءٍ ما من دون وعيٍ إلى شيءٍ آخر من دون وعيٍ أيضاً. وهو استيلاءُ العالمِ البشريِّ على الشَّيء. النَّباتُ يتوقَّفُ عن كونِه نباتاً ليصبحَ مسحوقاً، أو سَلَطةً مطبوخة. فتبعدُه نيوءَتُه عنَّا.

س.د.ب: لكن ليسَ في الأصدافِ شيءٌ يُقرِّبها من الحشرات القشريَّة. فلماذا لا تحبُّها؟

ج.ب.س: إنَّها الطَّعامُ المدفونُ في شيءٍ ينبغي استخراجُها منه، ومفهومُ الاستخراجِ هذا هو الَّذي يبعثُ القرفَ في نفسي منها. وكونُ أنَّ لحمَ الحيوانِ مخبوءٌ في صدَفةٍ؛ عليكَ استخدامُ أدواتٍ لاستخراجه منها بدلاً من فصله عنها بشكلٍ نهائيٍّ. إنَّها شيءٌ ينتمي إلى الماء. إنَّها فعلاً هبةٌ مائيَّةٌ، باعتبارِ المائيِّ هو الصدفةُ والهِبة، وهذا القليلُ من اللَّحم الموجود في الدَّاخل.

س.د.ب: أليس في نوعِ هذا اللَّحم ما يُنفِّركَ؟ أليس لهذا علاقةٌ بما فكَّرتَ فيه حولَ اللُّزوجة، والدَّبَق، وذلك الشَّكل الأوَّل للحياة الَّذي يخلقُ لديكَ هذه الكراهيَّات؟

ج.ب.س: هذا مُؤكَّد.. هذا هو سببُ النُّفورِ المادِّيِّ من الأصدافِ حتماً. الحقيقةُ أنَّني فرضتُ على نفسي منعَ أكلِها وليسَ قرفاً منها. كلَّ مرَّةٍ آكلُ

منها، من باب المجاملة، أو المصادفة؛ لا أجدني نافراً منها كثيراً. لا أحبُّ هذه الحموضةَ الّتي تُكسبها للطّعام.

س.د.ب: من بينِ الأطعمة الّتي تكرهُها، هل هناكَ طعامٌ لا تأكلُه أبداً؟

ج.ب.س: الفواكه. إذ لأنّي إنْ رغبتُ في أكلِ شيءٍ حلو، فإنّي أفضّلُ الأطعمة الّتي يصنعُها الإنسانُ مثل (الغاتو) و (الطرطة)؛ لأنَّ الشّكلَ، والتّجميع، والمذاق؛ أمورٌ أرادَها الإنسان وفكّر فيها. بينما للفاكهةِ طعمُ المصادفة؛ فهي فوقَ شجرةٍ مُعيَّنة أو في الأرض بينَ الأعشاب. إنّها ليسَت مخلوقةً لي، ولستُ مصدرَها، بل أنا مَنْ قرَّر أن يجعلَها طعاماً. بينما (للغاتو) شكلٌ مُنتظَم، مثل الكعكة بالشوكولا، أو بالقهوة؛ صنعها الحلوانيُّون، في أفران، وما إلى ذلك.

س.د.ب: بمعنى أنَّ الفواكه طبيعيَّةٌ جدّاً.

ج.ب.س: ينبغي أن يكونَ الطّعامُ ناتجاً عن عمل يقوم به الإنسان، كالخبز؛ طالما فكَّرتُ أنَّ الخُبزَ يشكّل علاقةً مع البَشَر.

س.د.ب: هل تحبُّ اللّحم؟

ج.ب.س: لا. أكلتُ منهُ لفترةٍ طويلة، الآنَ آكلُ منه كمّيَّاتٍ قليلة، لأنّي لا أحبُّه كثيراً. مرَّتْ عليَّ فترةٌ أحبَبْتُ فيها قطعةً من الروم ستيك، أو شاتوبريان، ولحمَ الفخذ، ثمَّ أقلعتُ عنه لأنَّه يُذكّرني كثيراً بأنّي آكلُ لحمَ حيوان.

س.د.ب: إذاً، ما الّذي تحبُّه؟

ج.ب.س: بعضَ الأطعمة من اللّحم والخضار والبيض. أحببتُ اللُّحومَ الباردة كثيراً، لكنَّ حُبّي لها قلَّ اليوم. كان يبدو لي أنَّ الإنسانَ يأكلُ اللَّحم ليفعلَ أشياء جديدة تماماً مثلَ النَّقانق الغليظة، والسّجق المحشيّ باللَّحم المفروم، أو النَّقانق العاديَّة. وما كان لهذا كلّه أن يوجدَ من دون الإنسان. فقد

تعاملَ الإنسانُ مع الدَّمِ بطريقةٍ مُعيَّنة، ورتَّبَهُ بطريقةٍ ما، وخضعَ الطَّبخُ لطريقةٍ مُحدَّدة بدقَّة بعد أن اخترعَه البشر.

س.د.ب: بعبارة أُخرى؛ هل تحبُّ اللُّحومَ الباردة؛ لأنَّ وجودَ اللَّحمِ فيها أقلُّ حضوراً مُباشراً منه في اللَّحم الأحمر؟

ج.ب.س: بالنِّسبة لي؛ هذا لم يعُدْ لحماً. فاللَّحم الأحمر، حتَّى وإن كان مطبوخاً، يبقى لحماً. فله نفسُ القوام، ويرشح الدَّمُ منه، وله نفسُ الدَّفق، ونفسُ الكمِّيَّة الكبيرة مقارنةً بما نأكله منه. النَّقانقُ الغليظة أو العاديَّة ليست كذلك. النَّقانق العاديَّة ببُقعِها البيضاء ولحمِها الورديِّ المستدير؛ شيءٌ مُختلِف.

س.د.ب: إجمالاً، ترى نفسَك إلى جانب المطبوخِ وليس النَّيء؟

ج.ب.س: قطعاً. حتماً يمكنني أكلُ اللَّوز أو البندق مع أنَّه يسبِّب لي آلاماً في لساني، والأناناس لأنَّه يشبه شيئاً مطبوخاً. عرفتُ الأناناس المعَلَّب، وحينما أكلتُه نيئاً للمرَّة الأُولى في أمريكا الجنوبيَّة؛ تكوَّن لديَّ انطباعٌ بأنِّي آكلُ شيئاً ضخماً مطبوخاً.

س.د.ب: هل لديكَ ما تضيفُه حولَ الطَّعام؟

ج.ب.س: لا، ليس شيئاً كثيراً.



المال

س.د.ب: ماذا لديكَ لتقولَه عن علاقتِك بالمال؟

ج.ب.س: أظنُّ أنَّ الأمرَ الأساسيَ ـ كتبته في **الكلمات**، لكن لا بُدَّ من العودة إليه ـ وهو أنَّني عِشتُ في بيوتِ الآخرين حتَّى فترةٍ مُتقدِّمة من شبابي. عِشتُ دائماً بالمالِ الَّذي يُقَدَّم لي، لكنَّه لم يكن مُلكاً لي. كالمالُ الَّذي كان يقدِّمه لنا جَدِّي لكي أتمكَّن أنا وأُمِّي من العيش؛ كانت أُمِّي تقول لي إنَّه ليس مالَنا. بعد ذلك تزوَّجَت من رجلٍ آخر، فصرتُ أقلَّ امتلاكاً لمالِ زوجِ أُمِّي لما كنتُ عليه بالنِّسبة للمال الَّذي كان يقدِّمه لنا جَدِّي. كانت أُمِّي تُعطيني من هذا المال، لكنَّها كانت تجعلني أُحسُّ بأنَّه ليسَ مُلكي، وأنَّ زوجَها هو من يمنحُنا إيَّاه. واستمرَّ هذا الحالُ إلى أن دخلتُ دارَ المعلِّمين، وأصبحَ المالُ المقدَّمُ من أُمِّي أو من زوجِ أُمِّي أكثرَ ندرةً؛ لأنِّي كنتُ أقبضُ المالَ من دار المعلِّمين، وصرتُ أُعطي دروساً خصوصيَّة، ومن ثمَّ كان هذا أوَّل عهدي بامتلاكِ المال، حتَّى التَّاسعة عشرة من عمري؛ كان المالُ يأتيني من الخارج، وبما أنِّي لم أكنْ أُحبُّ زوجَ أُمِّي كثيراً؛ فقد شعرتُ بأنِّي سأصبحُ أكثرَ قوَّةً إذا جاءني المال من الآخر. لا حظي أنَّنا كُنَّا نعيشُ بشكلٍ جيِّد، إذ كان زوجُ أُمِّي مديراً لأحدِ أحواضِ بناءِ السُّفن في لاروشيل، ويكسبُ مبالغَ كبيرة، ومن ثمَّ كُنَّا نعيشُ حياةً جيِّدة. ثم إنِّي لم أكنْ أحتاجُ إلَّا إلى القليلِ من المال. فقد كنتُ في المدرسة ويعطونَني مصروفاً يوميّاً؛ لكن، من المؤكَّد أنَّني كنتُ أشعرُ بأنَّني بلا مال، وأنَّ حياتي رهنٌ بيدِ الآخرين، وفجأةً أصبح للمالِ عندي قيمةٌ مثاليَّة، مع أنِّي لا أملكُه: كانوا يعطونَنا المالَ لنستبدلَه بقطعةٍ حلوى، أو بوظة، لكنَّها مقايضةٌ خارجةٌ عن

إرادتي. كان المالُ بمثابةِ نوعٍ من الإذن بالحصولِ على شيءٍ يعطيني إيَّاهُ زوجُ أُمّي، ولم يكنْ الأمرُ يتجاوز هذا الحدَّ. إنَّه كما لو كان يقول لي: بهذا المالِ يمكنُكَ شراءُ قطعةِ مادلين، أو خُبزاً بِالشوكولا، ما يعني أنَّني أعطيكَ قطعةً من الخبزِ بِالشوكولا. أمَّا قيمةُ المالِ بالمعنى الدَّقيق؛ فلم أكنْ أفهمُها. كما كنتُ مُعادياً إلى حدٍّ ما لهذا المال؛ ليس لأنَّي كنتُ أريد القليلَ منه، بل بالعكس، كنتُ أريدُ أن أتجاوزَ هذا الإذن. كنت أريدُ مالاً يخصُّني، لذلكَ بدأتُ بأخذِ المالِ من حقيبةِ أُمّي وأنا في الثَّانية عشرةَ من عمري في لاروشيل.

س.د.ب: أخذتَ المالَ لأنَّك كنتَ مُنزعجاً من كونِهم يعطونَك إيَّاه؟

ج.ب.س: نعم.

س.د.ب: بماذا شعرتَ حينما كسبتَ أوَّلَ مالٍ يخصُّك؟

ج.ب.س: كان ذلكَ في دار المعلِّمين. وهناك أيضاً لم أفهمْ جيِّداً ماذا يعني أن تكسبَ المال. كان مبلغاً صغيراً يعطوننا إيَّاه في المدرسةِ عندَ نهايةِ كل شهر، فنُنفقُه على تناولِ القهوةِ، وفي الحاناتِ القريبةِ من المدرسةِ. وهو مبلغٌ لم يكنْ كافياً لسدِّ احتياجاتنا، لأنَّنا كُنَّا نكرهُ طعامَ المدرسة المُريع، فكُنَّا ننفق الكثيرَ من هذا المالِ على الوجباتِ، كما كانت ثمَّةَ عادةٌ أُخرى في المدرسة: هي إعطاءُ دروسٍ لتلاميذِ السَّنة الأُولى من قسمِ الفلسفة، وأحياناً لتلاميذِ السَّنةِ الثَّانية والثَّالثة الَّذين كانوا غيرَ قادرين، عموماً، على متابعةِ دروسهم، وكان علينا جعلُهم قادرينَ على ذلك.

س.د.ب: هذا لم يعد مالاً كالَّذي تتلقَّاه من المدرسة. هل وجدتَ عملاً آخرَ يدرُّ عليكَ المال؟

ج.ب.س: نعم، كنتُ أعرفُ أنَّ ذلكَ المالَ كان يُقدَّمُ لي مقابلَ الخدماتِ الَّتي أقدِّمها للتَّلاميذ، لكنَّي لم أفهم العلاقةَ بين ذلك المال والعمل الَّذي أقوم به؛ كنت أعمل بنزاهة عموماً، كأستاذ للفلسفة، لكنِّي كنتُ أقوم أحياناً، بمهام

خاصَّة، حتَّى أنَّني عملتُ أستاذاً للموسيقا.ما كنتُ أشعر به هو أنَّني أقوم بعملٍ صغير سهل، وهو ما يُتيح لي أن أقبضَ مبلغاً من المال في آخر الشَّهرِ يعفيني من تناول الغداءَ أو العشاءَ في المدرسة طيلةَ شهرٍ كامل.

س.د.ب: هل عانيتَ من نقصٍ في المالِ خلالَ تلك الفترات؟

ج.ب.س: نعم، بالتَّأكيد، لكنْ لم تكنْ معاناتي كبيرة. فقد كنتُ أكسبُ مبلغاً لا بأسَ به من الدُّروس الخصوصيَّة الَّتي كانت تُدفع لنا بحسب تعرفةٍ ثابتةٍ حدَّدتها المدرسة، بناءً على رأيِ التَّلاميذ بالاتِّفاق مع المراقب العامِّ للمدرسة Caïman.

س.د.ب: يبدو لي أنَّكَ مررتَ بأوقاتٍ كان المالُ يعوزك خلالَها، حينما أردتَ الذَّهاب إلى مدينة تولوز لرؤية كاميليا Camille.

ج.ب.س: صحيح، كان المالُ معي شحيحاً، كبقيَّة تلاميذِ دارِ المعلِّمين. أذكر أنِّي اقترضتُ ذاتَ مرَّةٍ مبلغاً جمعتُه قرشاً فوقَ قرشٍ من زملائي لتأمينِ ثمنِ بطاقة الذَّهاب إلى تولوز والإياب منها، إضافةً إلى بعض المصاريف. فذهبتُ وجيوبي مليئةٌ بالنُّقود. صحيح، كُنَّا نعيش في حالةٍ من الفقرِ إلى حدٍّ ما. ومرَّتْ علينا شهورٌ من دونِ نقود، لعدم توفُّر الدُّروس الخصوصيَّة؛ فكُنَّا نقترضُ النُّقودَ ثمَّ نسدِّدها لاحقاً.

س.د.ب: هل كانت لديكَ طموحاتٌ ماليَّة ؟ وهل وضعتَ خُططاً للتَّصرُّف بالأموال الَّتي ستكسبها لاحقاً؟

ج.ب.س: لا، أبداً. لم أكنْ أُفكِّر بالمالِ الَّذي سأجنيه لاحقاً. على الإطلاق. حينما فكَّرتُ في أن أصبحَ كاتباً، خطر ببالي تأليفُ أعمالٍ هامَّة، لكنِّي لم أُفكِّر أبداً بأنَّها ستدرُّ عليَّ هذا المبلغ أو ذاك. يمكنُ القولُ إنَّ النُّقودَ لم تكن موجودةً بالنِّسبة لي. فقد كنتُ أتلقَّاها وأنفقُها. كنتُ أُنفق بمقدارِ ما أكسب؛ لأنَّ ما كان يُعطى لي أشبهُ بأوراقٍ ماليَّة تقريباً، فأنفها كما لو كنتُ أُعيدها إلى صندوق مشترك (عامّ). كنتُ أساعدُ رفاقي في دار المعلِّمين، وأعطيهم مبالغَ لا بأس بها.

س.د.ب: أعرف هذا. حينما تعرَّفتُ إليكَ في دار المعلِّمين كنتَ مشهوراً بكرمِك، لا سيما حينما تخرجُ بصحبةِ امرأةٍ فتنفقُ عليها بشكلٍ باذخ. بل حينما كنتَ تخرجُ مع رفاقك لارتيادِ المطاعم الجيِّدة، بمعنى أنَّك كنتَ تُنفق كلَّ ما لديك.

ج.ب.س: هذا ما كنتُ أقوم به فعلاً، لكنِّي لم أكنْ أنظرُ إلى الأمر بوصفه فعلَ كرم؛ بل كنتُ أستخدم هذه الأشياء الغريبة الَّتي يقدِّمونها لنا، فنحصلُ على شيءٍ بدلاً منها. وبطبيعةِ الحال؛ كنتُ أشمل رفاقي المجاورين بهذه المشتريات، لأنَّه لم يكن لديَّ انطباعٌ بأنِّي أكسبها، ولم تكن تمثِّل بالنِّسبة لي سوى علامات. وطبعاً؛ كان لا بُدَّ من الكثير من هذه العلامات للحصولِ على الكثيرِ من الأشياء، لكنِّي كنتُ أتدبَّر نفسي.

س.د.ب: هل كنتَ تأخذُ من نقودِ الآخرين؟

ج.ب.س: لا. لسببٍ بسيط، هو أنَّها لم تكنْ موجودة.

س.د.ب: هل تعني أنَّك ما كنتَ لتلوم مَنْ يفعل ذلك؟

ج.ب.س: لا؛ لأنَّ النُّقودَ كانت تبدو لي خارجَ الحياة. وكنتُ أعتقدُ أنَّ الحياةَ لا يصنعها المال. لكن؛ كلُّ ما فعلتُه كان بفضلِ المال؛ كارتيادِ المسرح، والسِّينما، وقضاءِ العُطَل، كلُّ هذا كان بالمال. كنتُ أرى أنَّ ثمَّةَ أشياء أحبُّها، لكنِّي لم أُدرِكْ أنَّ ذلكَ كان لأنِّي حصلتُ على مبلغٍ مُعيَّن بإعطائي دروساً خصوصيَّة للتَّلاميذ.

س.د.ب: لكن، على خلفيَّةِ هذه اللَّامبالاة، ألم يكنْ لديكَ اليقينُ بأنَّك كنتَ موظَّفاً؟، وأنَّ مستقبلَك صار مؤمَّناً، بشكلٍ متواضعٍ من دون شكٍّ، لكن بطريقة أكيدة؟. ألم ينتابك القلقُ على مستقبلك الماديِّ؟

ج.ب.س: لا، أبداً. بل لم أطرحْ على نفسي سؤالَ ما هي المادَّة، إذا شئتِ، أو إن كنتُ أكثرَ اطمئناناً. بالنِّسبةِ لي؛ كان لديَّ نقودٌ أجنيها يوميّاً مقابلَ

الدُّروس الخاصَّة وأنفقها على ما يعجبني من أشياء. لاحقاً؛ قَدَّمتْ لي الدَّولةُ المالَ مقابلَ محاضراتي، وكنتُ أُنفقها بالطَّريقة نفسِها. لم أكنْ أنظرُ إلى الحياةِ بوصفِها قائمةً على مبلغٍ من المالِ يتكاثرُ كلَّ شهر، وينبغي إنفاقُه في بعضِ الظُّروفِ كاللِّباسِ، والسَّكنِ، وما إلى ذلك. لم أكنْ أنظرُ إلى الأمورِ على هذا النَّحو. كنت أرى أنَّه لا بُدَّ من امتلاكِ المالِ، والمهنةُ هي العملُ الَّذي يدرُّ عليكَ المال. من شأن حياتي أن تكونَ حياةَ أولئك الأساتذةِ الَّذين عرفتهم، ثمَّ هناك حتماً، الكتبُ الَّتي كانت تكلِّفني المزيدَ من المال من دونِ شكٍّ.

س.د.ب: لكن، بمعنى من المعاني، لا أحدَ يرغبُ في المالِ من أجلِ المال؛ إنَّنا نرغبُ فيه دائماً لأنَّنا نريدُ شراءَ أشياءَ به. ألم يكنْ ثمَّة فارقٌ بينَ أحلامِك المستقبليَّةِ، وطموحِكِ إلى السَّفر، لأنَّكَ كنتَ تحلُم بالسَّفر كثيراً، ومعرفتك بأنَّه لن يكونَ لديكَ ما يكفي من المالِ للقيامِ بهذه الأسفارِ، للاطِّلاعِ على حيواتِ المغامراتِ الَّتي كنتَ تحلمُ بها؟

ج.ب.س: حيواتُ المغامراتِ كانت أكثرَ تجريداً. لكن بالنِّسبة للأسفار؛ نعم. أعرفُ أنَّ هولندا كانت تبدو لي مُكلفةً جدّاً قبلَ الحرب، وفكَّرت بأنِّي لن أسافرَ إليها قبلَ مُضيِّ وقتٍ طويل.

س.د.ب: أنا أتكلَّم عن دارِ المعلِّمين، حينما كنتَ شابّاً.

ج.ب.س: لا، لم يكن الأمرُ على هذا النَّحو؛ لم تكن لديَّ حاجاتٌ كبيرة: اللهمَّ إلَّا قدحاً من البيرة أو النبيذ في أحدِ المقاهي، وارتيادِ السينما مرَّةً أو اثنتين أسبوعيّاً.

س.د.ب: ألم تقلْ لنفسِك، مثلاً: آه. ليس لديَّ ما يكفي من المالِ لزيارةِ أمريكا؟

ج.ب.س: كنتُ أظنُّ أنَّه من الصَّعبِ عليَّ زيارةُ أمريكا؛ وكان ذلكَ بعيدَ المنال. ولم يكنْ من أحدِ رغباتي الرَّاهنةِ آنذاك.

س.د.ب: كيف كنتَ تنظرُ إلى أموالِ الآخرين؟ أعني حينما ترى أُناساً فاحشي الثَّراء، وفقراءَ مُعدَمين، هل تتصرَّف إزاءَ ذلك، لأنَّه أمرٌ موجودٌ بالنِّسبة لك؟

ج.ب.س: كنت أرى الكثيرَ من النَّاس الأغنياءِ جدّاً. فقد كانَ بعضُ أولياءِ التَّلاميذ أغنياء. لكنِّي كنتُ أعرف بوجودِ أناسٍ فقراء، وكنتُ أعتبر هذا بمثابةِ انعدامٍ للكرامةِ الاجتماعيَّة. يتطلَّب عملاً سياسيّاً للقضاء على الفقرِ الاجتماعيّ. كانت لديَّ بعضُ الأفكار غيرُ الواضحة حولَ الموضوع، كما ترين، لكن...

س.د.ب: لكن. ألم تكن مُدركاً بأنَّ من شأن المالِ تمثيلَ شيءٍ هائلٍ بالنِّسبة للكنَّاس، أو عاملةِ تنظيفِ البيوت؟

ج.ب.س: بلى، والدَّليلُ على هذا أنِّي كنتُ أُقدِّم المالَ لمثلِ هؤلاء. لكنَّ الأمر ينطوي على تناقض؛ فالمالُ الَّذي لا يعني لي شيئاً كان مُهمّاً جدّاً بالنِّسبة لهؤلاء. لم أحاولْ فهمَ ذلك، وكنتُ أرى أنَّ الأمرَ هو كذلك. بعبارة أُخرى؛ كان لديَّ وعيٌ بالغُ التَّجريدِ بالنِّسبة للمال: إنَّه قطعةٌ، أو ورقةٌ نقديَّةٌ تسمحُ بالحصولِ على أشياء تُعجبني، لكنِّي لا أحيا به. ما ينبغي فهمُه هو الآتي: كنتُ أعيشُ في دار المعلِّمين، حيث لي سريري الَّذي لا أدفع شيئاً مقابلَه. وكنتُ قادراً على تناولِ العشاءِ والغداءِ مجَّاناً؛ حيث إنَّ حياتي، في أبسطِ تعبير عنها، منحَتْها لي الدَّولةُ الَّتي لم تكن أهلي، ولا النَّاس الَّذين عرفوني. الباقي، أي ما كان حياتي كما أراها فقد كانت المقاهي، والمطاعم، ودور السِّينما، وما إلى ذلك، كنتُ أُقدِّمه لنفسي من خلالِ عملٍ مزعوم؛ لأنَّ ساعاتِ الدُّروس الخصوصيَّة، كانت تبدو لي بمثابةِ لعبة. كنتُ أمامَ ولدٍ مبهوتٍ بشكل عامٍّ، يستمع شارداً إلى ما كنتُ أقول، ثمَّ أُقفلُ راجعاً من حيثُ أتيت، بل لم يكن لديَّ انطباعٌ بأنَّ ما أقوم به يدخل في إطارِ التَّعليم؛ بل محادثةٍ تدرُّ عليَّ عشرينَ فرنكاً على سبيل المثال.

س.د.ب: وماذا بعد أن أصبحتَ أُستاذاً؟

ج.ب.س: حسناً، حدث معي شيءٌ أثناءَ ذلك؛ تُوفِّيت جدَّتي لأُمِّي، وورثتُ مبلغاً ضخماً إلى حدٍّ ما، بالنِّسبة لولدٍ مثلي.

س.د.ب: أعتقدُ أنَّه بلغَ ثمانين ألفَ فرنكٍ في تلك الفترة، وهو ما يعادل المليون (فرنك قديم) تقريباً الآن.

ج.ب.س: هذه النُّقود أنفقتُها هكذا، معكِ على سبيل المثال، حيث قُمنا بأسفار.

س.د.ب: صحيح، في أغلبِ الأحيانِ كُنَّا نموِّل أسفارَنا من هذا المال.

ج.ب.س: وترينَ أنَّ النُّقودَ في تلك اللَّحظة أيضاً لم تكنْ واقعاً؛ واقعاً يدركه جيِّداً ابنُ عائلةٍ فقيرة. لأنَّه يعرف قيمةَ قطعةٍ نقديَّةٍ من فرنكَين. أمَّا أنا؛ فلا أستطيع القولَ بأنِّي كنتُ أعرف هذا. جاءتني أموالٌ حَقَّقَت لي أشياء. أحياناً كانت النُّقود تنفدُ منِّي، فلا يكون لديَّ أشياء، أو كنت أقترضُ ـ من دون أن أعرفَ كيف أردُّها ـ لكنِّي كنتُ أعرف بأنِّي سأردُّها لأنِّي سأحظى بتلاميذ يريدون دروساً خاصَّةً في السَّنة التَّالية.

س.د.ب: حينما تعرَّفنا إلى بعضنا كنتَ تعيشُ بما يتجاوز إمكانيَّاتك الماديَّة، فتقترضُ المالَ من السَّيِّدة موريل

ج.ب.س: صحيح.

س.د.ب: كنتَ واثقاً أنَّ السَّيِّدة موريل غنيَّة، وهي الوحيدةُ الغنيَّة من بين أصدقائِك، لم تكنْ تقترضُ منها في أغلبِ الأحيان، لكن كانَ يحدثُ هذا معك. وكانت بمثابةِ ملاذٍ لكَ أيضاً.

ج.ب.س: صحيح.

س.د.ب: أذكر أنَّنا كُنَّا نعاني صعوباتٍ ماليَّةً عندَ آخرِ بعضِ الأشهر، لأنَّنا لم نكنْ نضعُ ميزانيَّاتٍ متوازنة. وقد رهنتُ لدى مكتبِ الإقراضِ دبُوساً، لا

أذكر ممَّن ورثتُه؛ أو كُنَّا نقترضُ من كوليت أودري Colette Audry الَّتي كانت ترهن آلتها الكاتبة لتحصلَ على المالَ الَّذي كُنَّا في أغلبِ الأحيانِ نحتاجُ إليه في الأيَّام الأخيرةِ من الشَّهر، من دون أن يُشعرَنا ذلك بالضِّيق.

ج.ب.س: مع أنَّنا كُنَّا نقبضُ راتبين شهريّاً، نضعهما معاً، فيصبح مجموعُهما أكثرَ من مجموع ما يقبضه أستاذٌ أعزب أو متزوِّج من امرأةٍ لا تعمل. كان راتبُنا قليلاً جدّاً لأنَّنا من الفئة الأُولى.

س.د.ب: لكن كان لدينا ما يُقيتنا، لاسيما بالطَّريقة الَّتي كُنَّا نتَّبِعها في العيش.

ج.ب.س: في مدينة لوهافر، حيثُ وظيفتي الأُولى، كنتُ لا أُنفقُ الكثيرَ من المال.

س.د.ب: وهل تكوَّن لديكَ الانطباعُ بأنَّكَ صرتَ تكسبُ أكثرَ ممَّا كنتَ تكسبُهُ يومَ كنتَ تعطي الدُّروس الخصوصيَّة؟

ج.ب.س: في العمق، لم يتكوَّن عندي الانطباعُ بأنِّي أكسبُ نقودي أبداً. كنتُ أقومُ بعملي، كما تقتضي الحياةُ، بعدها أتسلَّم أجري في آخر الشَّهر.

س.د.ب: لكن كانت تعترضُكَ بعضُ العقبات؛ إذ كنتَ مضطرّاً للعيشِ في لوهافر، على سبيل المثال.ثمَّ اضطرُّوك للعيشِ في لون Laon. ومن ثمَّ لم تكن قادراً على العيشِ في باريس كما كنتَ تتمنَّى.

ج.ب.س: صحيح، لكنَّ وظيفتي اختيرَت لي بحسبِ قربها من باريس. وهي ليسَت سوى عقبةٍ صغيرة، بمعنى أنَّني كنتُ أستقلُّ قطارَ لوهافر-باريس. وأقرأ الرِّوايات البوليسيَّة الأُولى الَّتي كانت تُثيرُ ضجَّةً في باريس وفرنسا عموماً، إضافةً إلى مجلَّة Marianne. كانت مسافةً لطيفةً، وبعدها ألتقيكِ في لوهافر.

س.د.ب: هل أحسستَ، في بعضِ الأحيانِ، بشعورٍ كريهٍ بسببِ نقصِ المالِ في تلك الفترة؟ أعرفُ، على سبيلِ المثال، أنَّ اقتراضَ المالِ كان يضايقُك

أكثرَ ممَّا يُضايقني. ووقَعَتْ بيننا مُشادَّةٌ كبيرة: ففي الفندقِ الَّذي كُنَّا نُقيمُ فيه معاً حينما كُنَّا نذهب في أغلبِ الأحيان إلى باريس، كان عليكَ دعوة آرون على الغداء، لكنَّك لم تكنْ تملكُ المال. لو كنتَ لوحدِك لما اكترثتَ للأمر، إذ قد تقولُ لنفسك بأنَّني لا أريد تناولَ الغداء، لكن؛ كان لا بُدَّ لكَ من دعوةِ آرون وأنا، فقلتُ: «لدينا حلٌّ بسيطٌ جدّاً؛ هو أن تقترضَ من صاحبِ الفندقِ المالَ على أن تعيدَه إليه بعد أربعٍ وعشرين ساعة». وتشاجرنا فعلاً، لأنِّي قلتُ لكَ: «ما المشكلة في هذا؟ فهو شخصٌ قذر، لا يهمُّنا أمرُه. فلْيقدِّم لنا خدمةً على الأقلّ»، فقلتَ لي: «لا، لا أريده أن يعي بأنَّه قدَّمَ خدمةً لي».

ج.ب.س: صحيح، لم أكنْ أريدُ أن يقدِّم لي خدمة.

س.د.ب: أعرف أنِّي تشاجرتُ معك، وقلتُ لك: «الحمد لله أنَّك موظَّف، إذ لا يمكنك أن تكونَ شيئاً آخر؛ لأنَّ علاقتَك بالمالِ خجولةٌ جدّاً». كنتَ سخيّاً، لكنَّ المسألةَ ليسَتْ هنا، فما إن تُفكِّر بحاجتِك إلى المال، وبأنَّك على شفا الافتقار إليه؛ كنتَ تُصابُ بالفزع.

ج.ب.س: صحيح. طالما أصابني القلقُ من الحاجةِ إلى المال: كيف بوسعي الحصولُ عليه خلالَ ثلاثة أشهر لأقومَ بعمل مُعيَّن؟ كنتُ أفكِّر بطريقةٍ للحصولِ عليه، لكن كان هناك قطيعةٌ بينَ المالِ الَّذي أحصلُ عليه والأشياءِ الَّتي يُمكنُني شراؤها به. لم أكنْ أعتقدُ بأنَّ المالَ قد وُجدَ للشِّراء، ومن جانبٍ آخر؛ فإنِّي حصلتُ عليه مقابلَ ما أقوم به من عمل. هذا النَّوعُ من الأشياء، كنتُ أعرفه بالتَّأكيد، لكنِّي الآنَ أتحدَّث عن شعور؛ لم يكن لديَّ شعورٌ بأنِّي أعيشُ في الظَّرف العامّ: كاسباً للمال، ومُنفقاً على شراءِ مُنتجاتٍ مُفيدة.

س.د.ب: وبعدَ ذلك؟

ج.ب.س: لم أُدركْ هذا أبداً، بسببِ طبيعةِ مهنتي المتأرجحة؛ أحياناً يكون الأجرُ مُرتفعاً جدّاً، لكنَّه قليلُ الإنتاجيَّة، إلَّا إذا حقَّقتُه بطريقة أُخرى، أي من

خلال الإنتاجيَّة الثَّقافيَّة. آنذاك كنتُ أعتبرُ أنَّ الشَّيءَ الثَّقافيَّ الَّذي أُعلِّمهُ، أو الَّذي أُبدعه، كالكتاب، بمثابةِ منتوجٍ منِّي، لا علاقةَ له بالمال. فإذا كان ثمَّةَ من يشتري كُتبي؛ فحسناً. لكن؛ كان يُمكن أن أتخيلَ أنَّ كتبي لن تُباعَ، أو لن تجدَ مُشترين خلالَ فترةٍ مُعيَّنة على الأقلّ. أعرفُ أنَّ فكرتي الأُولى عن الكتابة تقومُ على ألَّا تُترجم أعمالي خلالَ حياتي. مرَّت عليَّ فترةٌ، قبلَ أن أفهمَ ما هو الأدب. تصوَّرتُ أن أكونَ مؤلِّفاً لقُرَّاء قليلين. أي، مؤلِّفٌ للمكتبات الصَّغيرة، مثلَ مالارميه Mallarmé، وبالنَّتيجة؛ لن تدرَّ عليَّ هذه الكتاباتُ كثيراً من المال.

س.د.ب: في إحدى مقابلاتِك؛ أَشرتَ إلى شيءٍ من شأنه أن يُشوِّشَ علاقتَك بوصفِكَ كاتباً بالمال، وهو أنَّ للكسبِ علاقةٌ عكسيَّةٌ بالعمل الَّذي تقدِّمه. فقد أنفقتَ وقتاً هائلاً في كتابةِ **نقد العقل الجدليّ**، لكنَّهُ لم يُدرَّ عليكَ سوى القليلِ من المال، بينما كتابةُ وتمثيلُ مسرحيَّةٍ واحدةٍ مثل Kean، أكسبتْكَ الكثيرَ من المال.

ج.ب.س: نعم، هذا صحيح.

س.د.ب: طالما أشرتَ إلى هذا الأمر: إنَّها علاقةٌ عكسيَّة.

ج.ب.س: ليس تماماً، لكنَّها صحيحةٌ إجمالاً، هكذا هي الأشياءُ الَّتي لا شكَّ أنَّها لم تعلِّمني ما هو المال.

س.د.ب: ثمَّةَ شيءٌ آخر يعود إلى الظُّروف الخارجيَّة، فمثلاً؛ يخبرونك فجأةً أنَّ إحدى مسرحيَّاتك ستُمَثَّلُ في بلدٍ مُعيَّن، وسيستمرُّ عرضُها لمدَّةٍ طويلةٍ جدّاً، وهذا سيُكسِبُكَ مبالغَ لا بأس بها، أو أنَّ هناكَ مَن يعمل على سيناريو يقوم على أحدِ أعمالِك.

ج.ب.س: إجمالاً، لم أفهمْ ما هو المالُ طيلةَ حياتي تقريباً؛ ثمَّة تناقضاتٌ غريبةٌ في موقفي. حينما يتوفَّر المالُ لديَّ؛ تراني أنفقُه من غيرِ حساب. ومن جانبٍ آخر؛ طالما أردتُ أن يكونَ لديَّ كمِّيَّةٌ تفوق الكمِّيَّة الَّتي قد أُنفقها منه. لدى

ذهابي في عطلةٍ مُعيَّنة تراني أحملُ مبالغَ تفوقُ ما قد أُنفقه، فللذَّهاب، مثلاً، إلى Cagnes، حيثُ كُنَّا نحجزُ غرفتين في فندقٍ يعرفنا أصحابُه. وحينَ أريدُ تسديدَ الحساب، كنتُ أُخرِجُ من جيبي كمِّيَّةً كبيرةً من الأوراقِ النَّقديَّة، على الرَّغم من علمي بأنَّ هذا من شأنِه إثارةُ الضَّحك، وإغاظةُ صاحبةِ الفندقِ في الوقت نفسه.

س.د.ب: نعم، يمكنني القولُ بأنَّ علاقتَك بالمال أشبهُ بعلاقةِ الفلَّاح به. بمعنى أنَّه لم يكن لديكَ دفتر شيكَّات أبداً. بل كنتَ تحملُ مالَكَ في جيوبِك دائماً على شكلِ أوراقٍ نقديَّة. وبالفعل، إذا كان عليكَ دفعُ ألفِ فرنك؛ كنتَ تسحبُ من جيبِك رزمةً من مائة ألف فرنك[قديم]، أو ما يُقارب هذا المبلغ، وتُنفق بلا حساب، لكن طالما اعتراكَ الخوفُ سابقاً والآن، من عدمِ قدرتِك على الإنفاق من دونِ حساب، ومن أن تضطرَّ إلى إجراءِ حسابٍ لما تُنفقهُ. لم يكنْ خوفُك الحقيقيُّ من نقصِ المال، بل من اضطرارِك إلى حسابِ ما عندَك منه.

ج.ب.س: في الوقت الرَّاهن، على سبيل المثال، أظنُّ أنَّ لديَّ من المال ما يكفيني للعيشِ طيلةَ السَّنواتِ الخمسِ القادمة، بعدها ينتهي الأمر. هوَ ذا حالي؛ لديَّ الآنَ حوالي خمسةِ ملايين فرنك، وهو ما يُوجِبُ عليَّ إيجادَ طريقةٍ للعيش.

س.د.ب: لكنَّك قلقٌ من غيابِ الطمأنينة هذه، لِضيقِكَ من فكرةِ الاضطرار إلى حسابِ ما لديكَ من نقود تضايقك.

ج.ب.س: صحيح، لأنِّي كسبتُ الكثيرَ من المال.

س.د.ب: ولكنَّكَ منحتَ منه مبالغَ ضخمة.

ج.ب.س: نعم. أعطيتُ منه مبالغَ لا بأس بها. وما أزال أُعيلُ بعضّ النَّاس. في هذه اللَّحظةِ تحديداً؛ أُعيل ستَّةَ أو سبعةَ أشخاص.

س.د.ب: صحيح.

ج.ب.س: بشكلٍ كامل. وبطبيعة الحالِ فإنَّ هذا يلزمني، ولا يجوز أن أفقدَ هذه المبالغ، لأنَّني، عندها، سأكون عاجزاً عن مساعدةِ هؤلاء النَّاس.. هذا ما يُقلقني.

س.د.ب: دائماً، حتَّى عندما كنتَ شابّاً، وأكثرَ حُرِّيَّة إزاءَ الآخرين؛ ينتابُك الخوفُ من عدمِ امتلاكِ ما يكفيكَ من المال حتَّى لا تُضطرَّ إلى الحساب. وفي هذا تناقضٌ تقريباً:أي عدمُ اهتمامِك بالمال، وسخاؤك الكبير، وتلك الخشية، حتَّى لا أقولَ القسوةَ من نفسِك وعليها، لعدمِ سعيِكَ دائماً إلى الأخذِ من الآخرين. وهو حالُك اليوم. لو قلتُ لكَ: عليكَ شراءُ حذاءٍ، ستردُّ عليَّ: لا أملكُ المالَ لشرائه. قد يُقال إنَّك بخيلٌ على نفسِك، وبالغُ السَّخاءِ مع الآخرين. فحينما يتعلَّق الأمرُ بك؛ يكون ردُّ فعلِك دائماً: لا، ليس لديَّ ما يكفي من المال. ثمَّة سؤالٌ آخر، حولَ المالِ، له علاقةٌ بالسُّؤال الَّذي طرحتهُ عليكَ حولَ علاقتِك بالآخرين: لماذا تُقدِّم إكراميَّاتٍ (بخشيش) ضخمة؟ لأنَّك لا تعطي فعلاً إكراميَّاتٍ سخيَّةً فعلاً فحسْب، بل تكون الإكراميَّات مضحكةً تقريباً، لضخامتها.

ج.ب.س: لا أدري. طالما أعطيتُ إكراميَّاتٍ كبيرة، لا أعرف. قد أُقدِّمُ لكِ الآنَ تفسيراتٍ، لكنِّي أعرف أنِّي كنتُ أُعطي إكراميَّات ضخمةً يومَ كنتُ في العشرين من عمري. وهي بطبيعةِ الحالِ أقلُّ ممَّا أُعطيه الآن، لأنَّني يومَها لم أكنْ أملكُ الكثيرَ من المال، وكانت تلكَ الإكراميَّاتُ تثير ضحكَ رفاقي. ومن ثمَّ فهي عادةٌ قديمة.

س.د.ب: هل ترمي أيضاً من وراءِ هذا، إلى وضع مسافةٍ بينكَ وبين النَّاس؟.

ج.ب.س: ثمَّة أسبابٌ مُختلفة؛ أوَّلاً لكي أُحافظَ على مسافةٍ مُعيَّنةٍ مع النُّدُل، وثانياً لكي أُساعدَهم في حياتهم. إنَّها طريقةٌ في العطاء. لا أظنُّ أنَّ الجميعَ يفعل ما أفعل، وأتمنَّى لو فعلوا، ويحصل نُدُل المقاهي على ما يكفيهم من المالِ للعيش. مع إنَّ علاقتي بنُدُل المقاهي كانت سيِّئةً جدّاً في تلك الفترة...

س.د.ب: لهذا أرى في تصرُّفِكَ كرماً، رُبَّما، إضافةً إلى تلك المسافةِ الَّتي تريدُ وضعَها بينَك وبينهم.

ج.ب.س: رُبَّما.

س.د.ب: لهذا مظهرٌ مُزدوج. فعلى الرَّغم من كلِّ شيء؛ هؤلاء النَّاس يؤدُّون خدماتٍ، حتَّى لو اقتصرَتْ على وضعِ قدحٍ فوقَ طاولتك. قُلتَ، ذلك اليوم، إنَّك تكرهُ أن يُقدِّمَ النَّاسُ لكَ الخدمات، حتَّى لو كانت مدفوعةً، إذاً ينبغي أن تدفعَ لهم المزيدَ حتَّى لا يتكوَّن لديكَ الانطباع بأنَّكَ...

ع.ب.س: مدينٌ لهم. بالتَّأكيد هذه الفكرة قائمة. أعرفُ أنِّي كنتُ مذهولاً ومتضايقاً في إسبانيا، لمنعِهم تقديم الإكراميَّات هناك. كنتُ أعرفُ أنَّه قرارٌ صحيحٌ، اتَّفقت معه. لكن من جانبٍ آخر؛ كنتُ أشعرُ بأنَّ النَّادل يؤدِّي لي خدمة، وأنِّي مَدينٌ له في مقابلها؛ حينما أُعطيه المالَ؛ فهذا يُمثِّل علاقةً مُعيَّنةً به فقدتها. انتُزعَت منِّي. كان ذاكَ الرَّجلُ إنساناً حُرّاً، يُقدِّم لي خدمةً، لم تُسدَّد له من إكراميَّةٍ قُدِّمَت له، بل من سعرِ الاستهلاك.

س.د.ب: صحيح، كان السِّعر يتضمَّنُ الخدمة.

ع.ب.س: وصلنا إلى شيءٍ أكثرَ حقيقةً. كنتُ أشعرُ به، لكنْ كنتُ مُنزعجاً من عدمِ تقديم شيءٍ إضافيٍّ. هذا السَّخاءُ لا يخلقُ مسافةً في المقهى الَّذي أترددُ إليهِ في أغلبِ الأحيان. رُبَّما يقولون: هذا هو المجنونُ الَّذي يُعطي الكثيرَ من الإكراميَّة، لكنَّهم يُحبُّون إسداءَ الخدمةِ لي.

س.د.ب: طبعاً، لكن طالما صرَّحتَ بأنَّك تريدُ أن تكونَ، وأنَّك كنتَ **أيّاً كان** [كغيرك من النَّاس]، لتجعلَ نفسَك مُميَّزاً عن غيركِ بإعطاءِ إكراميَّةٍ كبيرةٍ. ألا يزعجُكَ هذا الأمر؟

ع.ب.س: لا، لشعوري أن تكونَ الحياةُ كذلك. أنا أخرق؛ لأنَّ الواقعَ يقول إنَّ الحياةَ لا تسيرُ على هذا النَّحو.

س.د.ب: حينما تُعطي إكراميَّةً ضخمةً جدّاً إلى سائق تاكسي؛ أنت تعرفُ بأنَّك لن تراهُ بعدَ ذلك أبداً.

ع.ب.س: ومع ذلك؛ فالعلاقاتُ صحيحةٌ. أعني أنَّني أراها على هذا النَّحوِ بيني وبينَ سائق التَّاكسي خلالَ لحظةِ العطاءِ تلك. صحيحةٌ، لأنَّهُ تلقَّى إكراميَّةً

جيِّدة، وكان لطيفاً، لحظةَ أعطيتهُ المال. لا شكَّ أنَّه لا بُدَّ من فرضِ قانونٍ اقتصاديٍّ حيثُ تتحقَّقُ المساواةُ بأن يُقدِّمَ الأغنى مالاً أكثر، هكذا، طيلةَ اليوم.

س.د.ب: قلتَ إنَّكَ تُعيلُ الكثيرَ من الأشخاص. لكن إجمالاً؛ هؤلاءِ الأشخاصُ من النِّساءِ بنحوٍ خاصٍّ، وأحياناً، بعض الشَّباب. ألا ترى أنّ هذا يُزعج الأشخاصَ الَّذين تُعيلُهم؟ هل كنتَ لتقبلَ من أحدٍ أن يُعيلَك وأنتَ في العشرين من عمرك؟

ج.ب.س: لا. أقول لا، وأنا أعني ما أقول. لكن، بالنِّسبةِ لي؛ كان المالُ شيئاً مُختلفاً جدّاً عمَّا نكسبهُ، ونمنحهُ، لأنَّه شيءٌ بالغُ التَّجريد، ولا أشعرُ بالخزيِ من فكرةِ أنَّني كنتُ مُعالاً لعدَّةِ سنوات.

س.د.ب: لاحظ. أنْ يُعالَ المرءُ لعدَّةِ سنواتٍ؛ فهذا رهنٌ بالظُّروف إذا كان فعلاً بحاجةٍ للقيامِ بعملٍ ما.. لَمْ يَلُمْ أحدٌ فان غوغ Van Gogh لإعالةِ أخيهِ له؛ لأنَّه كان يرسمُ، ولَدَيهِ أسبابٌ تجعلُه يقبلُ ذلك، فلابأسَ في الإعالةِ هنا، لأنَّها تُشجِّع على القيامِ بشيءٍ إيجابيٍّ، ولا مانعَ عندي، مثلاً، من دفعِ نفقاتٍ دراسيَّةٍ لأحدِهم. لكنَّ النَّاسَ الَّذين تصبح هذه الطَّريقةِ الحياتيَّة ديدنهم ... يُمكنني أن أتخيَّلَ بأنَّكَ، مثلي، تقبلُ ما يُمكن أن يقولَه أحدُهم: حسناً، سندفعُ لكَ مصاريفَ خمسِ سنواتٍ من الدِّراسة، وعليكَ تنفيذُ ذلك. لا ينبغي أن يُفسدَ المرءُ مستقبلَه من أجلِ مسألةٍ تتعلَّق بالاحترامِ والكبرياء. ألا تجد أنَّ تقديمَ المالِ للآخرين طيلةَ حياتِهم من دونِ مقابل؛ إنَّما يُفسد علاقتَك بهم؟

ج.ب.س: طالما قلتُ لنفسي، لا. لأنَّهم بحاجةٍ إلى المال. وهنا سيكونُ من بابِ اللَّباقةِ المصطنعةِ، أن نراهم، ونُكنَّ لهم الصَّداقة، من دونِ إعطائِهم قرشاً واحداً، وهم لا يملكون الوسائلَ اللَّازمةَ لتحصيله، سواءٌ أكان بسبب تقصيرٍ منهم أم لا، وقد يموتونَ جوعاً إن لم يحصلوا عليه. برأيي أنَّ الصَّداقة تفترضُ أشياء أكثر ممَّا نقوله عادةً. ثمَّة شيءٌ لم أذكرْهُ، هو أنَّ تصوُّري المتواضعَ للمالِ يوم كنتُ في العشرين، أو الخامسة والعشرين أو الثَّلاثين، وحتَّى مرحلةٍ ما بعد

الحرب، قد كذَّبَتهُ بقيَّةُ حياتي بعدَ الحرب. لديَّ الكثيرُ من المال؛ ما تحدَّثنا عنه، هو مرحلةُ ما قبلَ الحرب، بعدها حصلتُ على الكثيرِ من المال.

س.د.ب: ماذا كان شعورُك بعدَ أن صارَ لديكَ مالٌ كثير؟

ج.ب.س: الأمرُ غريب. هنا أيضاً؛ لم يكنِ المالُ هو ما يعنيني. بل الكتاب، أمَّا الثَّمنُ الَّذي كان يُدفَع لي في مقابله؛ فلم يكنْ يعنيني. وقد كتبتُ شيئاً حولَ هذا الأمرِ في **مواقف** situations قلتُ فيه إنَّ العلاقةَ قليلةٌ بين الكتابِ والزَّمنِ الَّذي نقضيه لإنجازِ الكتابة من جهة، والمال من جهةٍ أُخرى. لا أقصد هنا الزَّمنَ من حيثُ السَّاعات، بل الجوَّ الَّذي نضعُ أنفسَنا فيه: حيث نُفكِّر فيه طيلةَ الوقت، أو حينما ننتهي من الكتابة، ولا نذهب لرؤيةِ الرِّفاقِ إلَّا بعدَ أن نكتب؛ ترانا طيلةَ الوقتِ نُفكِّر في الكتاب. الكتابُ شيءٌ مكتفٍ بذاته، حينما نُنهيه، وننشره بطبيعةِ الحال. لكنِّي لم أكنْ أنشرُ للحصولِ على المال، بل لأعرفَ رأيَ النَّاس في جهودي وعملي. وأحياناً، عندَ نهايةِ السَّنة، أقبضُ بعضَ المال؛ عندئذٍ أُدهش لهذا، ولا يبدو أنَّ له علاقةً بما فعلت. وكذلك حينما أتلقَّى مالاً من بلدٍ أجنبيٍّ؛ فليسَ الكتابُ هو الَّذي يجنيه؛ لأنَّ الكتابَ كُتِبَ باللُّغة الفرنسيَّة ومن فَرنسيٍّ. هنا يمكنُ أن أفهمَ ما إذا قرأهُ خمسةُ آلافِ شخص، أو مائةُ ألفِ شخص، وأنَّه يحقِّقُ أرباحاً كثيرة. لكن، بعدَ عامين، في روما أو لندن أو طوكيو؛ يأتيني المالُ مقابلَ ترجمةٍ لعملي؛ والَّتي لستُ واثقاً حتَّى من جودتها، فهذا فعلاً شيءٌ لا أفهمه. وكوني أتلقَّى المالَ في تلك اللَّحظة أمرٌ غريب؛ إذ لم أعُدْ كاتباً، بمعنى ما، بل عبارةٌ عن قطعةٍ من الصَّابون.

س.د.ب: سلعة، صحيح. لكن، ما أردتُ قولَهُ هو: هل أحسستَ بالذَّنب بعدَ حصولِك على الكثير من المال بعدَ الحرب؛ بالنِّسبة لي، أعرفُ أنَّ هذا أشعرَني بالذَّنب في بعضِ الأحيان؛ حينما اشتريتُ لنفسي ثوباً غالي الثَّمن؛ قلتُ: هذا أوَّلُ تنازلٍ أُقدِّمهُ...

ج.ب.س: آه ! أتذكَّر هذا.

س.د.ب: كان رأيي أنَّه علينا مواجهةُ مسألةِ المالِ هذه، وإدارتُها بطريقةٍ إنسانيَّةٍ (خيريَّة)، أي أنْ نخطِّطَ لشيءٍ ما. وأدركتُ في الوقتِ نفسِه أنَّنا لم نكنْ مؤهَّلين، أنا وأنتَ، لا سيما أنتَ، للقيامِ بمثلِ هذا التَّخطيط.

ج.ب.س: حتماً لا. لا سيما أنَّ التَّخطيطَ صارَ صعباً، لأنَّنا لا نقبضُ المبالغَ نفسَها كلَّ سنة. ففي السَّنةِ الَّتي يُنشَرُ لنا فيها كتابٌ؛ نقبضُ الكثيرَ من المال، وإذا نشرنا بعضَ المقالاتِ؛ فلا نقبض شيئاً يُذكر. لكنَّنا حصلنا، في السَّنة السَّابقة على ما يُمَكِّنُنا من العيشِ لعامينِ قادمينِ.

س.د.ب: لقد راودتْكَ بعضُ الأحلامِ الصَّغيرة من وقتٍ لآخر، حيثُ كنتَ تقول، على سبيل المثال: نعم، ينبغي أن نضعَ جانباً كلَّ عامٍ مبلغاً نساعد به طلَّاباً مُحتاجين...

ج.ب.س: صحيح.

س.د.ب: علينا تخصيصُ مبلغٍ لمثلِ هذا الأمر أو ذاك. الحقيقة أنَّكَ ساعدتَ كثيراً من بابِ المصادفة.

ج.ب.س: نعم، بقدرِ الإمكان.

س.د.ب: بقدرِ الإمكان، وبقدرِ ما كان يُطلبُ منَّا.

ج.ب.س: على سبيل المثال؛ أُفكِّر في لو أنَّنا أنشأنا صندوقاً للطُّلَّاب، فنملأه من جهة، ونوفي بطلباتِ النَّاس من المالِ من جهة أُخرى... إذاً، ما كان أن يغيِّرَ هذا شيئاً، اللَّهمَّ إلَّا أنَّه كانَ من شأنه جعل حياتنا لا تُطاق.

س.د.ب: تابِعْ كلامَك.

ج.ب.س: في الجزء الثَّاني من حياتي، أي اعتباراً من عام ١٩٤٥ ولغاية هذه السَّنة، حصلتُ على الكثيرِ من الأموال، لكنِّي لم أنفقْ منها كثيراً على احتياجاتي. بل على الآخرين، هل هذا ما أردتِ قولَه؟

س.د.ب: نعم، قطعاً. البذخُ الوحيدُ الَّذي عشناهُ على الصَّعيدِ الشَّخصيِّ...

ج.ب.س: هو الأسفار.

س.د.ب: الأسفار. نعم. وكلُّها أسفارٌ قريبة؛ لأنَّ الأسفارَ البعيدةَ كانت تدفعُها لنا بعضُ الجهات مثلَ كوبا، وباهيا [في البرازيل]...

ج.ب.س: ومصر.

س.د.ب: واليابان. تلكَ أسفارٌ لم نُنفِقْ فيها مالاً. جُلُّ ما أنفقناه كانَ على عُطَلِنا في روما، على سبيل المثال.

ج.ب.س: صحيح.

س.د.ب: أضِفْ إلى هذا أنَّنا لا نعيشُ بطريقةٍ باذخة. نعيشُ حياةً مُريحة، لكنَّنا لا نعيش في بذخٍ كبير. ففي باريس لا ننفقُ الكثيرَ من النُّقودِ على حياتنا. ثمَّة شيءٌ لم تفعلْه بمالِك: هو أنَّك لم تعملْ في المضاربةِ أبداً.

ج.ب.س: أبداً. بل لا يمكن الحديث عن مضاربة، لأنِّي لم أستثمرْ مالي أبداً.

س.د.ب: أبداً.

ج.ب.س: ما عندي أُنفقه خلالَ شهرين أو ثلاثة أشهر، أو خلالَ الشَّهر التَّالي.

س.د.ب: في بعضِ الأحيان؛ كانت تبقى لكَ أموالٌ لدى غاليمار لسنةٍ أو سنتين.

ج.ب.س: لأنَّه لم تكنْ لديَّ إمكانيَّة لإنفاقها.

س.د.ب: صحيح، لأنَّك لم تكن تنفقُها مباشرةً، ولم تستخدمْها أبداً من أجل عوائِدها.

ج.ب.س: لا.

س.د.ب: أو لشراءِ أسهم، للقيام بتعاملاتٍ تجاريَّة.

ج.ب.س: أبداً.

س.د.ب: لم يكنِ المالُ وسيلةً لكسبِ المالِ بالنِّسبة لكَ أبداً.

ج.ب.س: لو فعلتُ هذا؛ لبدا لي عملاً نتِناً، مع إنَّها طريقةٌ يستخدمها النَّاس ليعيشوا، أعني القادرين منهم.

س.د.ب: هنا لابُدَّ من التَّعمُّق في معنى قولِك إنَّ استخدامَ المالِ لكسبِ المال، يبدو لكَ عملاً نتِناً. كما أعتقد أنا أيضاً ـ أسير وفقَ خطِّ الحياةِ نفسِه ـ بهذه الطَّريقةِ نتخلَّصُ من الشُّعور بأنَّنا رأسماليُّون، بينما ترانا نستفيدُ من الآخرين؛ لأنَّ مَن يقرأنا أناسٌ يقرأون، ويرتادونَ المسرحَ، ويشترونَ كُتبَنا، ويجعلونَنا نعيش.

ج.ب.س: قطعاً. إنَّهم يقرأون آخرَ كتابٍ يتمُّ نشرهُ، وبالتَّالي، حينما يُنشرُ كتابُنا، ذلك لأنَّه ليس لدينا الجمهور المحدَّد الَّذي نودُّ أن يكون لنا.

س.د.ب: نعم، بكلِّ تأكيد.

ج.ب.س: أريد جمهوراً أوسع، وأقلَّ بورجوازيَّةً، وثراءً؛ جمهوراً من الكادحين، والبورجوازيِّين الصِّغار. لكنَّ جمهوري كان بورجوازيّاً، بالمعنى الدَّقيق للعبارة. ثمَّةَ صعوبةٌ هنا طالما أزعجتني.



الحُرِّيَّة

س.د.ب: كلُّ مَن عرفَ القليلَ عن فلسفتِكَ؛ يعرف الدَّورَ الَّذي يلعبُه مفهومُ الحُرِّيَّة في أعمالك. لكنِّي أودُّ لو تحدَّثني بشكلٍ شخصيٍّ عن كيفيَّة تكوُّنِ هذا المفهوم لديكَ، ووضعَك لهذه الفكرة، والأهمِّيَّة الَّتي أوليتَها لها.

ج.ب.س: لطالما شعرتُ بأنِّي حرٌّ منذُ طفولتي. نَمَتْ فكرةُ الحرِّيَّةِ في ذهني، وفَقَدَتْ أوجُهاً مُبهمةً ومتناقضةً لدينا حينما ننظر إليها على هذا النَّحو في البداية، فتعَقَّدَتْ. ومن ثمَّ تحَدَدَتْ؛ لكنِّي سأموتُ كما عشتُ، بشعور من الحرِّيَّةِ العميقة. حينما كنتُ طفلاً كنتُ حُرّاً بالمعنى الَّذي يُمكن قولُه عن الأشخاصِ الَّذين يتحدَّثون عن **أناهم** ـ أنا أريد كذا، وأنا هكذا ـ ويقولون بأنَّهم أحرار، ويشعرون بأنَّهم أحرار. لكنَّ هذا لا يعني أنَّهم كذلك فعلاً، بل يؤمنون بحرِّيَّتِهم. يتحوَّل الأنا إلى شيءٍ حقيقيٍّ ـ هذا أنا، وذاك أنتَ ـ وإلى مصدرٍ للحرِّيَّة في الوقتِ نفسِه. إنَّه هذا التَّناقُض الَّذي نشعر به منذُ البدايةِ، ويمثِّلُ حقيقةً. الأنا هو عالمُ الحياة الواعية، حيث تتفتَّحُ كلَّ لحظةٍ بقواها الخاصَّة. لكن أيضاً نرى العودةَ الدَّائمةَ للاستعداداتِ نفسِها في الظُّروف نفسِها، وفي ظروفٍ مجاورة، فيمكنُ للمرءِ وصفُ أناهُ. حاولتُ توضيحَ هذا لاحقاً في فلسفتي بجعلِ الأنا شبهَ شيءٍ يرافقُ تصوُّراتِنا في بعض الظُّروف.

س.د.ب: هل هو هذا الَّذي عبَّرتَ عنه في **عُلُوِّ الأنا**[1] Transcendance de l'ego؟

(١) بحسب ترجمة د. عبد الرحمن بدوي، الإشارات الإلهيّة لأبي حيّان التّوحيدي، وكالة المطبوعات، الكويت، ط١، ١٩٨١، ص٢١.

ع.ب.س: صحيح؛ وأرى في هذا التّناقضِ نفسِه مصدراً للحرِّيَّة. ما كان يهمُّني، على وجهٍ خاصٍّ، ليس أنايَ [هو] **شبهُ الشَّيء** الَّذي لم أفكِّرْ فيه كثيراً، بل [هو] جوُّ الخلقِ بذاتِه لذاتِه، الَّذي نجده على مستوىً ما نسمِّيه المعيش. ففي كلِّ لحظةٍ ثمَّةَ وعيٌ الأشياء، الَّتي هي الغرفةُ والمدينةُ الموجودين فيهما من جهة، وطريقة رؤيتنا للأشياء، وتقييمنا لها من جهةٍ أُخرى، وهي طريقةٌ لا ترافقُ الشَّيءَ الَّذي يأتي بذاته من دونِ أن يكونَ مُحدَّداً بشكلٍ مُسبَق؛ إنَّها تنبثقُ في اللَّحظة نفسِها؛ وهي ذاتُ طابَعٍ هشٍّ، تظهرُ ومن ثمَّ قد تختفي. عند هذا المستوى تتأكَّدُ الحرِّيَّة، الَّتي هي إجمالاً، حالةُ هذا الوعي، وطريقةُ إدراكِهِ لنفِسه، باعتبارها حالةً لا تنبثقُ عن أيِّ شيء، ولا تتحدَّد باللَّحظة السَّابقة. لا شكَّ أنَّها تُحيلُ إليها، لكن بحرِّيَّة، إلى حدٍّ ما. بدا لي ذلكَ الوعيُ، منذ البداية، بمثابةِ حُرِّيَّة. فقد كنتُ أعيشُ في كنفِ جَدِّي، الَّذي كنتُ أظنُّ بأنَّه حُرٌّ، لأنِّي كنتُ كذلك؛ لكنِّي لم أكنْ أدرك الحرِّيَّة جيِّداً، لأنَّها كانت تتبدَّى على شكلِ أقوالٍ مأثورة، ولعبٍ بالكلمات، والقصائد. وهو ما لم يكن يبدو لي تعبيراً صحيحاً عن الحرِّيَّة.

س.د.ب: تقصد أنَّ هذا الشُّعورَ بالحرِّيَّة، أتاكَ منذُ الطُّفولة؟

ع.ب.س: نعم. طالما شعرتُ بأنِّي حرٌّ، بسببِ طبيعةِ ماهي عليه حالةُ الوعي.

س.د.ب: هل ساهمَتْ طريقةُ تربيتِك بتكوينِ هذا الانطباعِ بالحرِّيَّة لديك؟

ع.ب.س: نعم؛ أظنُّ أنَّ مفهومَ الحرِّيَّة هذا موجودٌ لدى الجميع، لكنْ تختلفُ الأهميَّة الَّتي تُولى إليه من فرد لآخر. بالنسبة لي - وقد تحدَّثتُ عنه في كتابي **الكلمات** - كان محيطي يعاملُني بوصفي أميراً شابّاً أنجبته عائلةُ شوايتزر Schweitzer، والَّذي كان عبارةً عن ثروةٍ لم تتحدَّد بشكلٍ جيِّدٍ بعد، لكنَّها كانت تتجاوزُ كلَّ تجلِّياته. كنت أشعرُ بنفسي حُرّاً بوصفي أميراً شابّاً، حُرّاً بالمقارنةِ مع النَّاس الَّذين كنتُ أراهم في تلك اللَّحظة. ولديَّ شعورٌ

بالتّفوّق بسببِ حُرّيّتي، وهو شعورٌ فقدتهُ لاحقاً، لأنني أُقدّرُ أنّ النّاس جميعاً أحرار. لكن، في تلكَ اللّحظة، كان الأمرُ غيرَ واضح. كنتُ حُرّيّتي، ولديَّ الانطباعُ بأنَّ الآخرين لا يشعرون بهذا مثلي.

س.د.ب: لكن ألم يتملككَ أيضاً شعوراً قويّاً جدّاً بالتّبعيّة؟ إذ كان الآخرون يختارون لكَ اهتماماتِك، وأماكنَ العطل الّتي تقصدها، وما إلى ذلك. إذاً، كان الآخرون يختارونَ لكَ كلَّ شيءٍ في نهاية المطاف.

ج.ب.س: صحيح، لكنّي لم أكنْ أُعيرُ ذلك أيَّ أهمّيّة. كنت أطيعُهم، في الجلوسِ فوقَ أحدِ الكراسي، وفي تنفُّسي، ونومي.كنتُ أعبّر عن حُرّيّتي عبرَ أشياءٍ ذاتِ أهمّيّة صغيرة، كاختيارِ هذا الطّعام أو ذاك، من وجبة مُعيَّنة؛ وكنتُ أكتفي بالتّنزُّه أو دخولِ أحدِ المحلّات؛ معتقداً أنَّ ذلكَ برهانٌ على حُرّيّتي. في تلك الفترة كانت الحرّيّة، بالنّسبة لي، حالةً، أو شعوراً، حالةَ وعيٍ؛ يصدرُ عنها، بعض الأحيانِ قرارٌ مُعيَّن: كشراءِ غرضٍ ما، أو الطّلب من أُمّي شراءَه لي. كان أبواي، والواجبات المفروضة عليَّ تُمثّل قوانينَ العالم، ونحن أحرارٌ إزاءَ هذه القوانين، إذا عرفنا كيف نتصرَّف.

س.د.ب: هل كنتَ تشعرُ بأنَّ هناكَ ما يُنغِّصُ عليكَ عيشك؟ ألم تشعرْ بأنَّ ثمَّة إرادةٌ حرّةٌ كانت تتعارضُ مع إرادتِك؟

ج.ب.س: شعرتُ بهذا في فترةٍ لاحقة. وكان هذا هو اكتشافي في لاروشيل، حينما واجهتُ تلاميذَ الأرياف يسيئون التصرف مع باريسيٍّ صغير. كانوا أولاداً طويلي القامة، اتفقوا على اضطهادي وأنا الطفل القصير. لكنّي لم أشعرْ بهذا حتّى الحاديةَ عشرةَ من عمري (الصّفّ السّادس). لكن كان هناك آخرون يهبّون لمساعدتي، وتخليصي من المشكلة، وتقديمِ النُّصح إليَّ. لم يكونوا يزعجونَني. رُبّما حدثَ هذا مرّةً أو اثنتين، فاستشطتُ غضباً فيه شيءٌ ميتافيزيقيٌّ. لكنّي، في كلِّ الأحوال، كنتُ مُدلَّلاً. لم أشعرْ بالاضطهاد صغيراً، بل بالعكس، شعرتُ برعايةٍ ذكيّةٍ هدفُها بعثُ الفرحِ في نفسي. وحينما التقيتُ

أولاداً بعمري، بدأتُ أعرف هذا العداءَ الَّذي يكوّنُ علاقةَ النَّاس ببعضِهم بشكلٍ جزئيّ.

س.د.ب: هل احتفظتَ بانطباعِكَ عن الحرِّيَّة هذا بعد تعرُّضكَ للمنغِّصات؟

ج.ب.س: نعم، لكن هذه الحرِّيَّةُ كُبِتَتْ أكثر. حاولتُ، خلال فترةٍ مُعيَّنة، مقاومةَ الاضطهاد،إمَّا بالتناجُز (الضَّرب)، بما يترتَّب عليه من نتائج غير متوقَّعة، أو متوقَّعة جدّاً بالنِّسبة لي. أو بإشراك الآخرين في مشاريعي. لكنِّي كنتُ أشعرُ دائماً بالمعوِّقات. مع هذا؛ ارتبطتُ بصداقاتٍ مع الآخرين. لم تكن وسيلةُ تنغيصِ عَيشي هي الوسيلةَ الوحيدةَ الَّتي كان يستخدمها الآخرون ضدِّي؛ فقد كانوا يتحدثون إليَّ، ويعقدُون صداقة معي، ويتنزهون برفقتي. كنتُ جزءاً من مجموعةٍ تضمُّ رفاقي، فأشعر بأنِّي حُرٌّ من هذه النَّاحية. ما كان يزيد في إزعاجي هو أنِّي بدأتُ في تلك المرحلةِ بالانزعاجِ من والدتي، سببه العميقُ حتماً هو وجود زوجِ أُمِّي. وهنا كان شيءٌ ينقصني لا يرتبطُ بها فحسبُ؛ بل بفكرةِ الحرِّيَّةِ أيضاً. كان لي، خلالَ السَّنوات السَّابقة، دورٌ مُتميِّز في حياةِ والدتي، انتزعهُ وجودُ هذا الرَّجلِ الَّذي يعيش معها، ويلعبُ دوراً أساسيّاً في حياتها. قبل هذا؛ كنتُ أميراً بالنِّسبة لوالدتي، أمَّا الآنَ؛ فقد صرتُ أميراً من الدَّرجةِ الثَّانية.

س.د.ب: كيف تطوَّرَ إحساسُكَ بالحرِّيَّة استناداً إلى تجاربِك مع رفاقك، وزوجِ أُمِّك، وبعدَ قدومِك إلى باريس لاحقاً؟

ج.ب.س: قلتُ إنَّني كنتُ أشعر بالحرِّيَّة في تلكَ الفترة، لكنِّي لم أكنْ أقول لنفسي: أنا حُرٌّ. كان ذلك شعوراً بلا اسم، أو كان يتبدَّى بأشكالٍ مُختلفة. في باريس، بعد أن صرتُ في السَّنة الثَّانية في ثانويَّة هنري الرَّابع، أي في صفِّ الفلسفة؛ عرفتُ معنى كلمةِ الحرِّيَّة، أو معناها الفلسفيَّ على الأقلِّ. في تلك السَّنة شُغِفتُ بالحرِّيَّة، وأصبحتُ المدافعَ الأكبرَ عنها. أمَّا نيزان؛ فقد جذبَتهُ الماديَّة، وهو ما قادَهُ لاحقاً للانتسابِ إلى الحزب الشُّيوعيّ. في السَّنة التَّالية؛

صرتُ في الصَّفِّ التَّحضيريِّ في ثانويَّة لوي لو غران، كتلميذٍ نصفِ داخليٍّ، وكُنَّا، خلالَ الاستراحاتِ بينَ الدُّروس، نتمشَّى في شرفةٍ طويلةٍ ونتناقش حولَ الحرّيَّةِ والماديَّةِ التَّاريخيَّةِ. كُنَّا مُختلفين، إذ كان يستند إلى حُججٍ عقلانيَّة وملموسة، وأنا أُدافع عن مفهومٍ مُعيَّن حولَ الإنسان، إنسانٍ كنتُ أصفُه من دونِ حُجَج. ولم نكنْ نصلُ إلى أيِّ نتيجة. ولا يؤدِّي نقاشُنا إلى غلَبَةِ أحدِنا على الآخر، فتبقى المناقشاتُ من دونِ طائل. وذاتَ يوم؛ قدَّمَ لي نيزان، المؤمن بالمادِّيَّة التَّاريخيَّة، بُرهاناً على حُرِّيَّته؛ إذ أنجزَ فعلاً لم أجدْ له علاقةً بالماضي، لجهلي بمداخلِه ومخارجه. ومرَّةً أُخرى، تغيَّبَ عن المدرسةِ اعتباراً من يومِ الجمعة وحتَّى بعد ظهرِ يوم الإثنين. وحينما عادَ؛ سألتُه عن سببِ غيابِه، فأجابني بأنَّه ذهبَ لكي يختتنَ نفسَه. أدهشني الأمر؛ لأنَّ نيزان كاثوليكيّ، فاستوضحتُه الأسبابَ الَّتي دفعتهُ إلى الخِتان. فأجابني أنَّ ذلكَ أنظف، من دونِ أن يضيفَ أيَّ تفسير. بدا لي الحدثُ من دون سبب. اتَّخذَ قراراً بالخِتان ـ وهو قرارٌ أحمق، لعدمِ وجودِ مُسوِّغ له ـ؛ ذهبَ لزيارة أحدِ الأطبَّاءِ فقام بختنه، وبقي يومين أو ثلاثة في أحدِ الفنادق بعضوِه المعصوب.

س.د.ب: في تلك الفترة، هل ربطتَ الحرِّيَّة بالفعل المجَّانيِّ نوعاً ما؟

ج.ب.س: إلى حدٍّ كبير. لكنَّ الفعلَ المجَّانيَّ لم يُغرِني، كما وردَ تعريفهُ ووصفهُ في كتاب أندريه جيد: **المزيِّفون**. بعد قراءتي لهذا الكتاب؛ لم أعثرْ فيهِ على الحرِّيَّة، كما كنتُ أفهمُها. مع ذلكَ، فقد كان خِتانُ نيزان فِعلاً مجَّانيّاً، أخفى دوافعَهُ عنِّي.

س.د.ب: مفهومُك للحُرِّيَّةِ يتَّفقُ مع المفهوم الرّواقيِّ في جوهرِهِ: لا أهميَّة لما ليسَ له علاقة بنا، وما له علاقة بنا هو الحرِّيَّة؛ إذاً، نحنُ أحرارٌ في كلِّ موقف، وكلِّ ظرف.

ج.ب.س: لا شكَّ أنَّهُ كان كذلك، لكنَّ الفعلَ الصَّادرَ عنِّي، ليس دائماً فعلاً حُرّاً. لا سيما أنِّي شعرتُ دائماً بحرِّيَّتي. الحرِّيَّةُ والوعيُ متشابهان بالنِّسبة لي.

أن ترى وأن تكونَ حُرّاً شيءٌ واحد، لأنَّهما ليسا مُعْطَيَين؛ فأنا أخلقُ الواقعَ إذا عشتُ هذا الشُّعور. لكنَّ أفعالي لم تكن كلُّهَا حُرَّة.

س.د.ب: ألا يمكنُ أنْ يدفعَكَ هذا إلى اتِّخاذِ مواقفَ بالغةِ الرَّجعيَّة؟ لو كان الجميع أحراراً؛ فهذا رائع، إذ لا نعودُ مضطرِّينَ إلى الاهتمامِ بأيِّ شخص، ولا يبقى أمامَ الشَّخصِ سوى الاهتمامِ بحياته الخاصَّة؛ وبالتَّالي؛ يُمكن لأيٍّ مِنَّا الانكفاءُ نحوَ حياتِه الدَّاخليَّة. فكيف لم يؤدِّ بكَ الحالُ إلى هذا المآل؟
ج.ب.س: لم أبلغْ هذا المآلَ أبداً. الصُّعوباتُ الَّتي واجَهتْها هذه الفكرةُ تالياً في علاقاتي بالنَّاس، وبالأشياء، وبنفسي، أدَّتْ بي[الفكرة] إلى تحديدِها، وإعطائِها معنىً آخر؛ فهمتُ أنَّ ثمَّةَ صعوباتٌ كانت تعتري الحرِّيَّة، وفي تلكَ اللَّحظة بدأَ لي الحدوث Contingence بوصفِه مُعارضاً للحُرِّيَّة، وبوصفه نوعاً من حُرِّيَّةِ الأشياء الَّتي لا تقتضيها اللَّحظةُ السَّابقة.

س.د.ب: لكن، ألم تكنْ تعي الضُّغوطَ الَّتي يعانيها النَّاس؟
ج.ب.س: لا، لم أكنْ أعيها في فترةٍ مُعيَّنة.

س.د.ب: الحقيقة أنَّنا تبادلنا الرَّأيَ حولَ هذا الموضوعِ خلالَ كتابتك **الوجود والعدم** .كنتَ تقولُ يمكن للمرء أن يكون حرّاً في أي موقف. متى توقفت عن هذا الاعتقاد؟

ج.ب.س: مبكراً إلى حدٍّ ما؛ هناك ثمَّة نظريَّة مبسطة حول الحرية، تقول: إنَّ المرءَ حُرٌّ، ويختارَ دائماً ما يفعله؛ إنَّه حرٌّ إزاءَ الآخر، والآخرُ حُرٌّ إزاءهُ؛ هذه النَّظريَّةُ موجودةٌ في كتبِ الفلسفة البسيطة جدّاً، واحتفظتُ بها بوصفِها طريقةً مريحةً لتحديدِ حريَّتي، لكنَّها لا تتَّفقُ معَ ما كنتُ أريد قولَه فعلاً. ما أردتُ قولَه، هو أنَّ الإنسانَ مسؤولٌ عن ذاته، حتَّى إن كانَ سببُ الأفعالِ شيئاً خارجَ الذَّات... أيُّ عملٍ يتضمَّن جزءاً من العاداتِ والأفكار الجاهزة والرُّموز من جهة، ومن جهةٍ أخرى؛ ثمَّةَ شيءٌ يأتي من أعماقِ أنفسِنا، وهو ناتجُ حُرِّيَّتنا الأُولى.

س.د.ب: بالعودةِ إلى المشكلةِ السِّياسيَّة والاجتماعيَّة للحُرِّيَّة؛ كيفَ انتقلتَ من نظريَّةٍ بالغةِ الفردانيَّة، والمثاليَّة، إلى فكرةِ ضرورةِ الانخراطِ في النِّضال السِّياسيِّ والاجتماعيِّ؟

ج.ب.س: تأخَّرتُ كثيراً في فهمِ هذا. لا تنسَي بأنَّني، حتَّى عام ١٩٣٧-١٩٣٨ كنتُ أُعلِّقُ أهميَّة كبيرةً على ما كنتُ أُطلقُ عليه اسمَ **الإنسان الوحيد**، أي أنَّ الإنسانَ حُرٌّ طالما أنَّه يعيش بعيداً عن الآخرين؛ لأنَّه حُرٌّ، ويحقِّقُ الأشياءَ انطلاقاً من حُرِّيَّته.

س.د.ب: صحيح؛ لكنَّ هذا لم يمنعْكَ، حتَّى في تلك الفترة، من أن تهتمَّ كثيراً بالقضايا الاجتماعيَّة والتَّحيُّزِلها بعُنفٍ، على الأقلِّ من حيثُ التَّفكير. لماذا اتَّخذتَ موقفاً عنيفاً ضِدَّ فرانكو، على سبيل المثال، وانحزتَ إلى الجبهة الشَّعبيَّة؟

ج.ب.س: لأنَّي كنتُ أعتقدُ بأنَّ الإنسانَ الحرَّ ينحازُ إلى الإنسان كما هو عليه، ضِدَّ أولئكَ الَّذين يريدون استبدالَه بصورةٍ كوَّنوها عنهُ، سواءٌ أكانت صورةَ الإنسان الفاشيِّ، أو حتَّى صورةَ الإنسانِ الاشتراكيِّ. بالنِّسبة لي؛ الإنسانُ الحرُّ يتعارضُ معَ هذه التَّصوُّرات المعتادة.

س.د.ب: أرى أنَّ إجابتَك مثاليَّةٌ جدّاً. الفاشيُّون لا يريدون إعطاءَ الإنسانِ صورةَ الإنسانِ الفاشيِّ فحسْب، بل يريدون وضعَهُ في السِّجن، وتعذيبَه، وإجبارَه على القيام ببعض الأشياء.

ج.ب.س: هذا بديهيٌّ. لكنَّي أتحدَّث عمَّا كنتُ أعتقدُ في تلك الفترة. كالتَّعذيب، على سبيل المثال، الَّذي يبدو لي مُريعاً. كان يبدو لي بمثابةِ نتيجةٍ لإرادة الفاشيِّين في إجبارِ النَّاسِ على أن يكونوا فاشيِّين؛ خاضعينَ للمبادئ المنبثقةِ عن الفاشيَّة.

س.د.ب: لماذا تكرهُ هذه العقيدة؟

ج.ب.س: لأنَّها تنكر الحرِّيَّة. فالإنسانُ هو الَّذي ينبغي أن يقرِّرَ لوحده، كما أرى ـ رُبَّما من خلالِ علاقتِه بآخرين ـ لكنَّ «الإنسانَ لوحدِه» بالنِّسبة للفاشيَّة

يعني هيمنةَ أشخاصٍ يضعونَ أنفسَهم فوقَه. طالما كرهتُ الهَرَميَّات، وأجدُ في بعضِ المفاهيمِ الحاليَّةِ المناهضةِ للهَرَميَّات، أحدَ معاني الحرِّيَّة؛ إذ لا يمكنُ وجودُ الهرميَّات قياساً بالحرِّيَّة، لا شيء فوقَها، ومن ثمَّ فإنِّي أُقرِّرُ لوحدي، ولا يمكن لأحدٍ أن يجبرَني على اتِّخاذ قراراتي.

س.د.ب: وهذا يُحدِّدُ علاقتَك بالاشتراكيَّة إجمالاً، أليسَ كذلك؟

ج.ب.س: صحيح. كانت الاشتراكيَّةُ عقيدةً تُرضيني إلى حدٍّ ما، لكنَّها، برأيي، لم تطرحِ القضايا الحقيقيَّة؛ كقضيَّة مكانةِ الإنسانِ في الاشتراكيَّة، على سبيل المثال. كان لابُدَّ من مقايضةِ الوفاءِ بالحاجاتِ بمفهومٍ ماديٍّ تماماً للطَّبيعة البشريَّة. وهو ما يُزعجني في الاشتراكيَّة قبلَ الحرب. كان لابُدَّ من أن تكونَ ماديّاً لتكونَ اشتراكيّاً معقولاً، وأنا لمْ أكنْ ماديّاً. لم أكنْ كذلكَ بسببِ الحرِّيَّة. وطالما أنِّي لم أجدْ وسيلةً لجعلِ الحريَّة ماديَّة - وهو ما فعلتُه طيلةَ السَّنوات الثَّلاثين الأخيرة من حياتي - فهناكَ ما يُنفِّرني من الاشتراكيَّة؛ لأنَّ الشَّخص فيها كان مُفَتَّتٌ (مُنحَلٌّ) لحسابِ الجماعات. الاشتراكيُّون يستخدمونَ أحياناً كلمةَ الحرِّيَّة، لكنَّهم يعنونَ بها حرِّيَّة الجماعة، من دونِ أن تكونَ لها علاقةٌ بِالميافيزيقيا. توقَّفتُ عندَ هذا الأمرِ أثناءَ الحربِ وفترة المقاومة. وكنتُ راضياً عن نفسي آنذاك. خلال مُدَّةَ اعتقالي؛ كنتُ في غرفتي إذا حلَّ المساءُ أقومُ بدورِ الحكواتي، المسلِّي(المزَّاح).كان الضَّوءُ يُطفأ عندَ الثَّامنة والنِّصف. فنُشعلُ شموعاً في عُلَبٍ صغيرة، وكنتُ أروي القصصَ. كنتُ الوحيدَ الجالسَ والمرتدي ثيابي، بينما الآخرون مُستلقونَ فوقَ هياكلِ أسرَّتِهم، وهو ما أكسبني أهميَّةً شخصيَّة. كنتُ الولدَ الَّذي يُضحِكُ الآخرين، ويُثيرُ اهتمامَهم.

س.د.ب: ما علاقةُ هذا بالحرِّيَّة؟

ج.ب.س: كنتُ أنا مَنْ يُوحِّدُ النَّاسَ الَّذين يُصغون، ويضحون، ويستمتعون. وهي وحدةٌ تركيبيَّة، وكنتُ أنا تلك الوحدة الَّتي تخلق الوحدةَ الأُخرى، أي

الوحدةَ الاجتماعيَّة، وكنت أُدخِلُ حُرِّيَّتي في هذه الوحدات. وأرى نفسي بصددِ خلقِ مجتمعٍ صغيرٍ انطلاقاً من حُرِّيَّتي.

س.د.ب: تلك هي المرَّةُ الأُولى الَّتي انتابكَ شعورٌ بامتلاكِ فاعليَّةٍ ذاتِ طابعٍ اجتماعيّ. حينما أردتَ تأليفَ مجموعةٍ من المقاومين، أطلقتَ عليها اسم «**اشتراكيَّة وحُرِّيَّة**». هل يعني هذا أنَّكَ بدأت التَّفكيرَ بإمكانيَّةِ التَّوفيقِ بينهما؟.

ج.ب.س: صحيح، لكن كنتُ أُميِّزُ بينَ المفهومَين، وأتساءَل عمَّا إذا كانت الاشتراكيَّة يمكن أن تندمجَ في الحرِّيَّة.

س.د.ب: ثمَّ احتاجَك الأمرُ إلى ثلاثين عاماً لتحديدِ ما تعنيه بالحرِّيَّة؟

ج.ب.س: أوليتُ هذا الأمرَ اهتماماً كبيراً في كتابَيَّ **الوجود والعدم** وَ **نقد العقل الجدليّ**.

س.د.ب: وفي **القدِّيس جينيه** أيضاً .المدهشُ في هذا الكتاب، هو عدمُ الإقرارِ بأونصةٍ واحدةٍ من الحرِّيَّة للإنسان. بل أوليتَ اهتماماً بالغاً لتشكّل الفرد، وإعداده كلِّه. تتحدَّث فيه عن عددٍ كبيرٍ من النَّاس، وليس عن جينيه فحسب، وليس بينهم أيُّ فردٍ حُرٌّ تقريباً.

ج.ب.س: لكنَّ هذا الطِّفلَ المثليَّ، الَّذي تعرَّضَ للضَّرب والاغتصابِ من شُبَّان لواطيِّين، وعُومِل بوصفهِ دُميةً من قُساةِ محيطهِ، أصبحَ الكاتبَ جان جينيه Jean Genet. ثمَّةَ عمليَّة انتقالٍ صَنَعَتها الحرِّيَّة. الحرِّيَّة هنا، هي تحوُّلُ جان جينيه من طفلٍ مثليٍّ وتعيسٍ إلى جان جينيه الكاتبِ الكبير، واللّواطيّ باختياره، بل والرَّاضي عن نفسِه. رُبَّما ما كان لهذا التَّحوُّل أن يحدث.. يعود تحوُّلُ جان جينيه فعلاً إلى استخدامه لحرِّيَّته. لأنَّها غَيَّرَتْ معنى العالم عندَه، لتمنحَه قيمةً أُخرى. هذه الحرِّيَّة، ولا شيءَ سواها، هيَ سببُ هذا الانقلاب، إنَّها الحرِّيَّةُ باختيارها لنفسِها، هي الَّتي صنعَتْ هذا التَّغيُّر.

س.د.ب: يبدو لي أنَّكَ تريدُ تعريفَ الحرِّيَّة بوصفِها امكانية اختراعُ الذَّات في بعضِ الفترات. أين تبّدى لك في حياتِك،وجودُ هذه الخيارات الحُرَّة. أو بالأحرى هذه الاختراعات؟

ج.ب.س: أظنُّ أنِّي مَرَرْتُ بواحدةٍ هامَّةٍ إلى حدٍّ ما: حينما غادرتُ لاروشيل لأدخلَ صفَّ البكالوريا في مدرسة هنري الرَّابع. لم أعُدْ هنا مُضطَهَداً على الإطلاق. بل عُهدَ إليَّ بوظيفةٍ شَرَفيَّة.

س.د.ب: صحيح. لكنْ لستَ أنتَ مَنْ قرَّرَ الذَّهابَ إلى مدرسة هنري الرَّابع، ولا عدمَ تعرُّضِك للاضطهاد من رفاقك.

ج.ب.س: لم أُقرِّرِ الذَّهابَ إلى مدرسة هنري الرَّابع، لكنِّي أنا مَنْ قرَّر، إلى حدٍّ ما، أن يكفَّ رفاقي عن اضطهادي.لم يقوموا بذلك، لأنِّي لم أعُدْ أحداً يُمكن اضطهاده، لقد تغيَّرت.

س.د.ب: هل اخترتَ موقفاً؟

ج.ب.س: نعم، رسَّختُ نفسي، ووجدْتُ في مقابلي أولاداً آخرين قَبِلوا هذا التَّرسيخ بشكل جيِّد جدّاً؛ لأنَّهم، من ناحيتهم، كانوا يُرسِّخون أنفسَهم بذلك. وقد كانت سَنَتي الأُولى في البكالوريا ـ قسم الفلسفة ـ، وفي السَّنةِ التَّحضيريَّة العُليا سنواتٍ جميلةً، لأنِّي شعرتُ بأنِّي مقبولٌ تماماً.

س.د.ب: إنَّها إحدى فتراتِ حياتِكَ الَّتي شعرتَ خلالَها، وأنت تستعيدها، بوجودِ خَيَارٍ، وشيء حُرٌ أمامَك. هل في حياتِك لحظاتٌ أُخرى كهذه؟

ج.ب.س: نعم. كانت دارُ المعلِّمينَ نقطةَ الذُّروةِ بالنِّسبة لي. إنَّها الحرِّيَّة؛ فقد مَنَحَتْ أنظمتُها الحرِّيَّةَ لأفعالي؛ كُنَّا نبقى خارجَها حتَّى منتصفِ اللَّيل. ولدى عودتِنا؛ نقفزُ فوقَ الجدارِ لموافاةِ غُرَفِنا حيث خُصِّصت الواحدة منها لثلاثةَ أو أربعةَ تلاميذ، ثمَّ اثنين، وبعد أن غادَرَنا نيزان إلى عَدَن Aden؛ بقيتُ في الغرفةِ لوحدي. وكُنَّا نتناولُ الغداءَ في المدرسة أو في حانةٍ قريبةٍ

منها. ونقضي ساعاتٍ طويلةً في البار؛ حيث نلتقي فتياتِ الجوار وأولادَه. وكُنَّا نخرجُ كلَّ مساءٍ، ونعمل في الغُرف بكلِّ هدوء. وكنتُ أذهبُ لتناولِ الغداءِ عندَ أهلي مرَّتين أسبوعيّاً، ثمَّ أعودُ إلى الدَّار. وصارت علاقتي بعائلتي مَرِنةً جدّاً.

س.د.ب: هل لديكَ الانطباعُ بأنَّ بعضَ الخياراتِ ساهمَتْ في تكوين مصيرِك؟

ج.ب.س: كانت الحرب إحدى تلكَ اللَّحظات الهامَّة.

س.د.ب: لكنْ هناكَ شيءٌ لم تكنْ تتحدَّثُ عنهُ: هل ساهمت الكتابةُ في توجيهِ حياتِك؟

ج.ب.س: نعم، ساهَمَت في توجيهها منذُ أن كنتُ في الثَّامنة من عمري.

س.د.ب: هل مررتَ بفترةٍ تعاملْتَ معها بطريقةٍ خاصَّة؟ ففي الثَّامنة من العمر؛ كان الطِّفلُ هو مَن يكتب، ولا بُدَّ أنَّ هذا قد توقَّف.

ج.ب.س: نعم. تغيَّر الأمر، وعشتُ حياتي بطريقةٍ أُخرى، تختلفُ من وقتٍ لآخر.

س.د.ب: لكنَّ ذلك كان خياراً جوهريّاً استمرَّ معكَ دائماً، أليسَ كذلك؟

ج.ب.س: صحيح.

س.د.ب: لِنَعُدْ إلى تلك الفترات الَّتي رُبَّما لم تشعرْ فيها بأنَّك حُرٌّ؛ لكن لو عدتَ إليها لبدَتْ لك بمثابةِ خياراتٍ هامَّة.

ج.ب.س: الحرب، والرَّحيل. كنتُ ضِدَّ أيِّ حرب، لكنْ: كان لابُدَّ لي من أعيشَها. لقد كَوَّنْتُ لنفسي فكرةَ مناهضةِ النَّازيَّة الَّتي كان يُمكن أن تتبدَّى على شكلِ عملٍ عسكريٍّ. وهذا ما منحني إمكانيَّةَ الاتِّصال برفاقي في الجبهة.

س.د.ب: أين تكمنُ أهمِّيَّتها بالنِّسبة لك؟

ج.ب.س: في كونِها لم تعُدْ حياةَ أستاذ، وتخلَّلتْها بعضُ الأسفارِ إلى الخارج. أمَّا هنا؛ فقد غرقتُ في حالةٍ اجتماعيَّة.

س.د.ب: أنتَ لم تختَرِ الانغماسَ فيها، بل جُنِّدتَ لها.

ج.ب.س: لم أختَرْها، لكن كان عليَّ أن أتصرَّف بطريقة مُعيَّنة. الجميع اختاروا ـ ما إن وضعوا أقدامَهم في القطار ـ أن يعيشوا هذه الحرب. كان دوري فيها يقومُ على قذفِ البالونات. كان لابُدَّ من أن أؤثر على نفسي لأرى العلاقةَ بين رميٍ بالون أحمر في السَّماء. وهذه الحربِ غير المرئيَّةِ المحيطةِ بنا. وعلاقاتي برفاقي المناهضين للحرب بشكلٍ عامٍّ، لأسباب مختلفة، إضافةً إلى علاقتي بكِ، وبأشخاص آخرين.

س.د.ب: هل تعني أنَّكَ كنتَ قادراً على تحديدِ خيارٍ آخر في داخلِك؟ كالخيار المسالِم، على سبيل المثال؟

ج.ب.س: نعم، كنتُ حُرّاً في اتِّخاذِ أيِّ خيارٍ آخر.

س.د.ب: خيارِ أن تكونَ عميلاً، أو موالياً للنَّازيَّة.

ج.ب.س: لا، ليسَ هذا، لأنِّي كنتُ ضِدَّ النَّازيَّة.

س.د.ب: لكن؛ كان يمكن للتَّوجُّهِ السِّلميِّ أن يغريَك. وقد تناقشنا في هذا الموضوع. وكنتَ أقربَ إلى السِّلميَّةِ الَّتي أخذها آلان عنك؛ لكنَّكَ فهمتَ جيِّداً ما الَّذي كان يمكنُ أن يحدثَ لو انتصرَتِ النَّازيَّة. أي أن خيارُك جاء خلاصةً لمجملِ مواقفِك.

ج.ب.س: أتاحَ لي هذا الخيارُ أن أذهبَ بعيداً في الفترةِ اللَّاحقةِ نحوَ المقاومةِ حينما عدْتُ من الأسْر، وبعدَها ذهبَ بيَ الأمرُ إلى حدِّ الاشتراكيَّة. هذا كلُّه جاءَ نتيجةَ الخيارِ الأوَّل. وأظنُّ أنَّه كان خياراً حاسماً. فكنتُ ورفاقي رجالَ حرب ١٩٤٠. تلك السَّنوات الخمسةُ من الحرب، والأسْر، والتَّعايش مع قاهرينا؛ كانت حاسمةً بالنِّسبة لي. فكوني أعيشُ إلى جانبِ ألمانيٍّ قَهَرَني، وهو ليس سوى جنديٍّ بسيطٍ لا يعرفني، ولا يتكلَّم اللُّغة الفرنسيَّة؛ هي تجربةٌ

خضتُها كسجينٍ أوّلاً، وثانياً بوصفي رجلاً حُرّاً في بلدٍ مُحتَلٍّ. وبدأتُ أفهمُ معنى مقاومةِ السُّلطاتِ بشكلٍ أفضلَ. قبل الحرب؛ لم أكن أقاوم. كنتُ، إلى حدٍّ ما، أحتقرُ السُّلطاتِ الَّتي كان لها حقوقٌ عليَّ؛ أي الحكومةَ والإدارةَ. لكنْ بعدَ وقوعي في الأسر؛ صارتْ هذه السُّلطات نازيَّة، أو تابعة للجنرال بيتان في بعضِ الحالاتِ. وكنتُ مثلَكِ أحتقرُ هذه السُّلطات أو تلك، ونقاوم، بقدرِ ما أمكنَنا، تلك الأوامرَ الَّتي كانت تصدرُ إلينا. فمثلاً؛ كُنَّا لا نستطيع الانتقالَ إلى المنطقة المحرَّرة، لكنَّنا ذهبنا إليها مرَّتين. ولم يكنْ لنا الحقُّ بالمرورِ في بعض الأحياءِ في بعض الأوقات...

س.د.ب: إجمالاً، بدءاً بتلك الفترة، حاولنا التَّوفيقَ بين وجودِ الحرِّيَّةِ الدَّاخليَّةِ مع ضرورةِ الحرِّيَّة للنَّاس أجمعين. هل التقَتْ حُرِّيَّتَكَ بحرِّيَّةِ الآخرين عندَ هذه اللَّحظة؟

ج.ب.س: نعم. كُنَّا مُعتقلينَ لدى النَّازيين في المنطقة المحتلَّة. ولكن حُرِّيَّتي كانت مقموعةٌ؛ لعدم قدرتي على التَّعبيرُ عنها في جميع الاتِّجاهات الَّتي أتمنَّاها؛ فما كان للرِّوايات الَّتي كتبتُها أيَّ معنىً لو أنَّ النَّازيِّين غادروا فرنسا، وما كان لها أن تُطبعَ إلَّا في مثلِ هذا الظَّرف. بل ثمَّةَ شيءٌ يبدو غريباً حينَ التَّفكير فيه. هو الاهتمامُ الَّذي أوليتُه لكتابةِ هذهِ الكتُبِ الَّتي ما كان لها أن تُطبَعَ لو لم يختف النَّازيُّون.

المقاومةُ؛ مثل اسم «الاشتراكيَّة والحرِّيَّة» الَّذي اخترتُه؛ بيِّنَهُ بوضوحٍ ينطوي على فكرةِ أنِّي كنتُ أميلُ نحوَ الاشتراكيَّة، لكنِّي لم أكنْ أعرفُ ما إذا كان للحُرِّيَّةِ مكانٌ فيها.

س.د.ب: كانت لديكَ فكرةُ التَّركيب أو الخلاصة.

ج.ب.س: صحيح، بالتَّأكيد:كأَمَل في البداية، وكيقينٍ تكوَّن في النِّهاية.

س.د.ب: وأنتَ تستعيد الماضي؛ ما هي لحظاتُ الاختيارِ الأُخرى الّتي تبدو لكَ هامّة؟

ج.ب.س: علاقاتي بالشُّيوعيِّين بينَ عامي ١٩٥٢-١٩٥٦ تقريباً، الّتي انقطعَتْ بعد القضيَّة الهنغاريَّة. وهو ما أدّى بيَ إلى تصوُّرِ العلاقاتِ برجالِ السِّياسةِ الّتي قد تكون معارضةً للحكومة، لكنَّها تبقى ثابتةً جدّاً في المجتمع.

س.د.ب: كيف ترى الانتقالَ من فكرةِ الحرِّيَّةِ الفرديَّةِ إلى فكرةِ الحرِّيَّةِ الاجتماعيَّة؟

ج.ب.س: أظنُّ أنَّ الأمرَ مُهمٌّ. في تلكَ الفترة، كنتُ أعملُ على **الوجود والعدم**، حوالي عام ١٩٤٣. وهو كتابٌ يدورُ حولَ الحرِّيَّة. كنت أعتقدُ آنذاك، كالرّواقيِّين القدامى، بأنَّ الإنسانَ حُرٌّ دائماً، حتى في ظرفٍ مؤسِفٍ قد تكون عاقبته الموت. لقد تغيَّرتُ كثيراً حولَ هذه النقطة. إذ أؤمنُ فعلاً بوجودِ مواقفَ لا يمكن للمرءِ أن يكونَ فيها حُرّاً، وهو ما شرحتُه في مسرحيَّةِ **الشَّيطان والله**... فالكاهنُ هينريش؛ إنسانٌ لم يعرف الحريَّة قَطُّ، لأنَّه رجلُ كنيسة (دين)، وفي الوقت نفسِه تربطهُ علاقةٌ بالشَّعب، بعيدةٌ تماماً عن التأهيلِ الكهنوتيِّ. الشَّعبُ والكنيسة يقعان على طرفي نقيض؛ إنَّه هو نفسُه المكانُ الَّذي تتواجه فيه هذه القوى؛ فلا يستطيع أن يكونَ حُرّاً أبداً. وماتَ لأنَّه لم يتمكَّن من تأكيدِ نفسِه. حدثَ هذا التَّغيُّر عندي حوالي ١٩٤٢-١٩٤٣، بل رُبَّما بعدَ هذا التَّاريخ؛ انتقلتُ من الفكرةِ الرّواقيَّة القائلة بأنَّنا دائماً أحرار - وهو مفهومٌ كانت له أهمِّيَّتُه عندي، لأنِّي طالما أحسَستُ بأنِّي حُرٌّ، ولم أعِشْ ظروفاً خطيرةً فعلاً؛ لم أشعرْ خلالَها بأنِّي حُرٌّ - إلى الفكرةِ اللَّاحقةِ القائلةِ بوجودِ ظروفٍ تكون فيها الحرِّيَّةُ مُقيَّدةً. وهذه الظُّروفُ مصدرُها الآخرون. بتعبيرٍ آخر؛ الحرِّيَّةُ مُقيَّدةٌ بحرِّيَّةٍ أُخرى، أو بحرِّيَّاتٍ أُخرى، وهو ما ظننتُه دائماً.

س.د.ب: ألم يكنْ مآلُ فكرةِ المقاومةِ أيضاً، في المحصّلة، ودائماً هو الموت؟

ج.ب.س: بالتّأكيد. ثمّة الكثيرُ من هذا. فكرةُ إنهاءِ المرءِ لحياته، ليس بالانتحار بل بعمل يؤدّي إلى الموت؛ تكون له نتائجُه بعد أن يُدمّرَ الإنسانُ نفسَه، كانت فكرةً حاضرةً في المقاومة، وكنت أُقدِّرها. كنتُ أرى أنّهُ نهايةٌ مثاليّةٌ للكائنِ البشريِّ؛ أي: الموتُ بحرّيّة؛ إنّها أكثرُ مثاليّة من أن يموتَ المرءُ بمرض، أو بالشّيخوخة، أو حتّى بالخَرَف، وإجمالاً؛ بضعفِ القدرات العقليّة الّذي يُعَدُّ بمثابةِ ذبولٍ للحرّيّة قبلَ الموت. كنتُ أُفضّلُ فكرةَ التّضحية الكُلّيّة، الحرّيّة بإرادتنا، ومن ثمّ لا تحدُّها حرّيّةُ كائنٍ جوهرُه الحرّيّة. هذا هو السّبب الّذي جعلني أعتقدُ بأنّي كنتُ حُرّاً في الظُّروف كلّها. ثمّ بيّنتُ من خلالِ حالةِ هينريش، أنّ ثمّةَ الكثيرَ من الظُّروف الّتي لا نكونُ فيها أحراراً.

س.د.ب: كيفَ انتقلتَ من فكرةِ الحرّيّة في كلِّ الظُّروف، إلى فكرةِ أنّ الموتَ ليس مآلاً يحرِّرُ الإنسانَ، بل يلغي الحرّيّة؟

ج.ب.س: ما زلتُ أحتفظُ بفكرةِ أنّ الحرّيّةَ تقومُ أيضاً على القدرةِ على الموت. بمعنى إذا ما تعرّضَتْ حُرّيّتي لأيِّ تهديد؛ يكون الموتُ طريقةً لإنقاذِها.

س.د.ب: كثيرٌ من النّاس لا يرغبون في الموت. عامل المصنعِ الّذي يعملُ على خطِّ التّجميعِ لا يشعر بأنّه حُرٌّ. لكنّه لا يختار الموتَ ليتحرّرَ من هذا العمل.

ج.ب.س: لا. إنّه لا يشعرُ بأنّه حُرّ. وهو لا يرى أيّ قيمةٍ في ما تبقّى له من حُرّيّة. هذا التّشوُّش الّذي يعيشُه النّاس إزاءَ الحرّيّةِ، هو الذي يجعلُ الأشياءَ بالغةَ التّعقيدِ في السّياسة.

س.د.ب: بالعودةِ إلى قضيّتِكَ الشّخصيّة. كيف انتقلتَ من فكرةِ أنّ حُرّيّتكَ مُكتفيةٌ بذاتِها، إلى فكرةِ أنّ حُرّيّتك رهنٌ بحرّيّةِ الآخرين؟ هذا ما وصلتَ إليهِ في نهايةِ المطاف، أليس كذلك؟

ج.ب.س: نعم. من غيرِ المقبول، أو لا يمكنُ تصوُّرُ أنْ يكونَ الإنسانُ حُرّاً، إذا لم يكنِ الآخرون أحراراً. فإنْ رفضنَاها للآخرين؛ ستتوقّف عن كونِها

حُرِّيَة. إذا لم يحترمِ النَّاسُ حُرِّيَةَ الآخرين؛ فإنَّ الحرِّيَةَ الَّتي انبثقَتْ فيهم للحظة، ستنهارُ فوراً.

س.د.ب: لكن، متى انتقلتَ من مفهومٍ لآخر.

ج.ب.س: أظنُّ أنِّي انتقلتُ إلى سياسةٍ اشتراكيَّة في الفترة نفسِها. ليسَ لأنَّ الاشتراكيَّةَ تُولِّدُ الحرِّيَةَ، بل لأنَّها، عبرَ أشكالِها الَّتي نعرفها، ترفضُ الحريَّة؛ وتقوم على تضامنٍ هو نفسهُ ناشئ عن الضَّرورة. فمثلاً: الوعيُ الطَّبقيُّ لدى الطَّبقةِ العاملة، ليسَ وعياً حُرّاً، بل وعيُ طبقةٍ مُضطَهَدة، تعاني عنفَ الطَّبقةِ الأُخرى، أي: الطَّبقة البورجوازيَّة. وتظهرُ كناتجِ حالةٍ يائسة. تأمَّلتُ موضوعَ الحرِّيَّة في عددٍ من الكتاباتِ الَّتي وضعتُها في دفاتر كبيرة فقدتُها اليوم، تضمَّنَتْ عدداً كبيراً من الاعتبارات الأخلاقيَّة، والفلسفيَّة، والسِّياسيَّة. في تلك الفترة؛ عملتُ على دراسةِ الحرِّيَةِ من وجهةِ نظرٍ جديدة؛ فتصوَّرتُ الحرِّيَةَ بأنَّها قد تنعدمُ في بعضِ الظُّروف، ومن شأنها أن تكونَ رابطاً بين النَّاس. بهذا المعنى؛ يحتاجُ الإنسان إلى حُرِّيَةِ الجميع لكي يكونَ حُرّاً. حدث هذا بين العامين ١٩٤٥و ١٩٥٠.

س.د.ب: كيفَ تفكِّرُ اليومَ حولَ الحرِّيَة؟ أعني حُرِّيَتكَ الشَّخصيَّة، والحرِّيَة بشكلٍ عامٍّ؟

ج.ب.س: حولَ حُرِّيَتي؛ لم أتغيَّر. أعتقد أنِّي حُرٌّ. قُهِرتُ في بعض المستويات، كالكثيرين، في فترةِ الحرب، وحينما كنتُ مُعتقلاً؛ لم أكنْ حُرّاً حينما كنتُ سجيناً. لكنِّي عشتُ طريقتي، بوصفي سجيناً، بشيءٍ من الحرِّيَة. لا أدري لماذا، لكنِّي أعدُّ نفسي مسؤولاً تقريباً عن كلِّ ما حدث لي. مسؤولاً طبعاً، خلالَ ظروفٍ مُعيَّنة. لكن إجمالاً، أرى نفسي، في كلِّ ما قمتُ به، ولا أظنُّ أنَّ قوَّةً خارجيَّةً دفعتني إلى القيامِ بذلك.

س.د.ب: هذا في ما يتعلَّق بكَ، لأنَّكَ لم تكن تخضع لضغوط، فكنتَ مُميّزاً، وبالتَّالي؛ يمكنكَ التصرُّف بحياتِكَ على النَّحو الَّذي تريد. لكنَّك تحدَّثتَ عن عُمَّالِ التَّجميع، وقلت عنهم: إنَّهم لا يشعرون بأنَّهم أحرار. هل تعتقد أنَّهم **لا يشعرون** بأنَّهم أحرار، أم أنَّهم **ليسوا** أحراراً؟

ج.ب.س: قلتُ لكِ: ما يجعلهم مُصمِّمينَ هو تأثيرُ النَّاسِ الآخرين عليهم، وهو تأثيرٌ يؤدِّي إلى ضغوط وواجبات، وعقودٍ مزعومة تخدعهم، أي إنَّه يؤدِّي إلى عبوديَّةٍ تكون فيها حرِّيَّةُ التَّفكير والفعل خادعةً. وهذه الحرِّيَّة ما تزالُ موجودةً، وإلَّا: لماذا يثورُ النَّاس؟ لكنَّها حُرِّيَّةٌ مُقنَّعةٌ بتصوُّراتٍ جماعيَّة، وأفعالٍ نقوم بها ونكرِّرها كلَّ يومٍ مُكرهين؛ عبرَ مفاهيم يتمُّ تعليمُها، من دونِ أن نفكِّر فيها نحنُ أنفسُنا، بسببِ نقصِ المعارفِ لدينا. وتبدو لهم الحرِّيَّةُ في بعض الأحيان، كما في عام ١٩٦٨ مثلاً؛ تحتَ أسماء ليست اسمها. لكنَّهم يسعون إلى الحرِّيَّة حينما يريدونَ النُّزولَ، وتعطيلَ، أو رُبَّما قتلَ كلِّ مضطهديهم لبناءِ دولةٍ يكونون فيها مسؤولين عن أنفسهم، وعن المجتمع. أظنُّ أنَّ عام ١٩٦٨ كان لحظةً بالنِّسبة للنَّاس؛ وَعَوا فيها الحرِّيَّةَ لكي يفقدوها في ما بعد. لكنَّ هذه اللَّحظةَ كانت هامَّةً وجميلة، وغيرَ واقعيَّة، وحقيقيَّة. كانت عملاً وعى فيها التِّقنيُّون والعُمَّال، والقوى الحيَّة، بأنَّ الحرِّيَّةَ الجماعيَّةَ كانت شيئاً مُختلفاً عن تركيبةٍ تضمُّ الحرِّيَّات الفرديَّة كلَّها. هذا ما جرى في عام ١٩٦٨. وأظنُّ هنا أنَّ كلَّ فردٍ أدركَ حرِّيَّتهُ، وحرِّيَّةَ الجماعةِ الَّتي ينتمي إليها. وقد شهدَ التَّاريخ لحظاتٍ من هذا النَّوع، مثل كومونة باريس.

س.د.ب: هل ترى شيئاً آخر تُريد إضافتَه إلى علاقتِك الخاصَّةِ بالحريَّة؟

ج.ب.س: أكرِّرُ القول: الحرِّيَّة ليسَتْ شيئاً موجوداً، بل شيء يتكوَّن شيئاً فشيئاً، ولطالما كان موجوداً في نفسي، ولن يبعدني عنهُ سوى الموت. وأظنُّ أنَّ الآخرين مثلي، لكنَّ درجةَ الوعيِ والوضوحِ الَّتي تبدو لهم هذه الحرِّيَّةُ من خلالِها؛ تختلف تبعاً لظروفِهم، وأصولهم وتطوُّراتهم، ومعارفهم.

فكرتي عن الحرِّيَّةِ تغيَّرتْ من خلالِ علاقتي بالتَّاريخ؛ كنتُ في التَّاريخ، سواءٌ أردتُ هذا أم لا؛ مشدوداً نحوَ بعضِ التَّغيُّرات الاجتماعيَّة الَّتي كان لا بُدَّ لها أن تحدثَ مهما كان موقفي منها. وفي تلك اللَّحظة تعلَّمتُ تواضعاً صحيّاً، ورهيباً في بعض الأحيان. بعد ذلك تعلَّمتُ، وبقي هذا مُلازماً لي حتَّى اليوم، أنَّ ما هو أساسيٌّ في حياةِ الإنسان، وحياتي بالنَّتيجة، هو العلاقةُ بينَ المصطلحاتِ الَّتي تتعارضُ في ما بينها، مثل الوجود والعدم؛ الوجود والصَّيرورة؛ وفكرة الحرِّيَّة، وفكرة العالم الخارجيِّ الَّذي يعارض، إلى حدٍّ ما، حُرِّيَّتي؛ الحرية والموقف.

س.د.ب: وعيتَ أنَّ حُرِّيَّتكَ كانت متعارضةً مع ضغطِ التَّاريخِ والعالَم.

ج.ب.س: هو هذا. لكي أصنعَ حُرِّيَّتي؛ كان لا بُدَّ من الانتصار، والتَّأثير على التَّاريخ، وعلى العالم. تلك كانت نقطةَ الانطلاق. في البداية؛ عرفتُ نوعاً من الحرِّيَّةِ الفرديَّة قبلَ الحرب، أو على الأقلِّ اعتقدتُ بأنِّي أعرفها؛ واستمرَّ هذا لفترة طويلة، واتَّخذ أشكالاً مُختلفة، لكن عموماً؛ كانت تلكَ حُرِّيَّةَ فردٍ يحاولُ التَّعبير عن نفسِه، والتَّغلُّبَ على قوىً خارجيَّة.

عرفتُ، خلالَ الحرب، شيئاً كان يبدو لي حتماً معاكساً للحُرِّيَّة؛ أوّلاً: واجبُ الذَّهابِ للقتال الَّذي لم أكنْ أدركُ سببَه، لا سيما وأنِّي كنتُ مُعادياً للنَّازيَّةِ تماماً؛ لم أكنْ أفهمُ تماماً لماذا ينبغي على ملايين النَّاس أن يواجهوا بعضَهم من أجلِ الحياةِ أو من أجلِ الموت. تلك كانت المرَّةَ الأُولى الَّتي أُدرِك فيها تناقضي في الالتزام الَّذي أردتُه أن يكونَ التزاماً حُرّاً بالحرب، لكنَّه فَرَضَ عليَّ شيئاً لم أردْهُ فعليّاً، وبحرِّيَّة حتَّى الموت. بعد هذا؛ كانت حُرِّيَّة المقاومة الَّتي قادتني إلى مقابلةِ مجتمعٍ طاغٍ بحرِّيَّةِ الأفرادِ الَّذين يعارضونَه، والَّذين قدَّرتُ أنَّهم سينتصرون لأنَّهم كانوا أحراراً، ويرون ما يريدونه بحرِّيَّة.

بعدَ التَّحرير؛ شعرتُ بأنَّ القوى الَّتي خلَّصها هؤلاء النَّاس كانت تتَّصفُ بالطَّبيعة نفسِها الَّتي للقوى النَّازيَّة. ليس لأنَّها تسعى إلى تحقيقِ الأهدافِ نفسِها،

وتلجأ إلى الوسائلِ نفسِها؛ كاغتيالِ ملايين اليهود، وملايين الرُّوس؛ بل لأنَّ القوَّةَ الجماعيَّةَ وطاعةَ الأوامر، تنتمي إلى النَّوع نفسِه. وحينما وصلَ الجيش الأميركيُّ إلى فرنسا؛ بدا للكثيرين، وأنا منهم، بمثابةِ استبداد. وصار النَّاسُ ديغوليِّين. أمَّا أنا؛ لم أصبحْ كذلك، لكنِّي كنتُ أشعر بشيءٍ كان يشعرُ به النَّاس، وهو الحاجة إلى قوَّة، إلى سلطةٍ دولتيَّة فرنسيَّة، وبالتَّالي؛ إلى شرعيَّةٍ للسُّلطة مثل سلطة دوغول. لم أكنْ مُقتنعاً بهذا، لكنِّي شعرتُ بقوَّةِ وجهةِ النَّظرِ هذه. في تلك الفترة؛ بدأ منذُ التَّحرير، ظهورُ حزبٍ شيوعيٍّ قويٍّ جدّاً لم تشهدْ له فرنسا مثيلاً قبلَ الحرب؛ حزبٌ كان يضمُّ ثلثَ الفرنسيِّين. في تلك الفترة؛ صارَ من الضَّروريِّ تحديدُ موقفٍ من المجموعاتِ الَّتي كانت تحكمُنا. أنا شخصيّاً بقيتُ بعيداً عنهم، كما هو حال ميرلو- بونتي، ولأسبابٍ أُخرى؛ كنتُ قد أسَّستُ مجلَّةَ **الأزمنة الحديثة**، وكُنَّا فيها يساريِّين، لكنَّنا لم نكنْ شيوعيِّين.

س.د.ب: هل كانَ في جزءٍ من تأسيسِكَ لها يعني مشاركتكَ في النِّضال السِّياسيِّ؟

ج.ب.س: ليس بالضَّبط؛ بل لأُبيِّنَ، على كافَّةِ الأصعدة، أحداثَ الحياةِ اليوميَّة، إضافةً إلى الحياة الجماعيَّة؛ الدِّبلوماسية، والسِّياسيَّة، والاقتصاديَّة. كُنَّا نريد أن نُبيِّنَ أنَّ لكلِّ حدثٍ طبقاتٍ مُختلفة، وأنَّ كلَّ واحدةٍ منها هي معنى الحدث، وهو نفس المعنى من طبقةٍ لأُخرى، ولا يتغيَّر إلَّا ما هو على المحكِّ فوقَ هذه الطَّبقة. كانت الفكرةُ الأساسيَّة تقومُ على أنَّ كلَّ شيءٍ يظهر في المجتمع بأوجهٍ مُتعدِّدة، يُعبِّر كلٌّ منها، بطريقته وبشكلٍ تامٍّ، عن معنىً؛ هو معنى الحدث. ونجد هذا المعنى بأشكالٍ مختلفة تماماً، ومشروحة إلى حدٍّ ما في كلِّ مستوىً من مستوياتِ الطَّبقةِ الَّتي تتضمَّنُها في العمق.

س.د.ب: لكن، في هذا كلِّه، يبدو لي الكثيرُ من التَّجانس؛ فقد تحدَّثتَ قبلَ قليلٍ عن وجود تناقض؛ لكنَّكَ صرتَ، من الآن فصاعداً، تعيشُ حياةَ رجلٍ

الأدب، ووجدَ أدبُكَ طريقةً للتَّعريف بنفسِه، بمعنى أنَّه أدبٌ مُلتزم؛ كنتَ تُديرُ مجلَّةَ **الأزمنة الحديثة** الَّتي تُمثِّل هذا الاتِّجاه أيضاً، وهو ما يبدو لي مُتجانساً. فلماذا تحدَّثتَ آنفاً عن هذا التَّناقض، وقلت إنَّ حياتَك بعدَ الحربِ تولَّدت عن شيءٍ من التَّناقض؟

ج.ب.س: لأنَّ التَّجانسَ مرغوبٌ في حياةِ الإنسان، لكنَّه لا ينطبق إلَّا على الأطروحة Thèse، أو على النَّقيضة Antithèse. الأطروحةُ مجموعةٌ من الأفكار، والأخلاق، التي يُفَضَّلُ أن تكونَ مُتجانسة، حتَّى وإن تضمَّنَت هي نفسُها تناقضاتٍ صغيرة؛ كما ينبغي أن تكونَ النَّقيضة متجانسةً مثلَ الأطروحة. وتُفَسِّرُ كلٌّ منهما بتعارضِها مع الأُخرى. هنا؛ عرضتُ عليكِ ما يمكن تسميتُه الأطروحة. بقي أن أشرحَ لكِ النَّقيضة؛ ما لاحظتُه في الجزء الأوَّل من حياتي بوصفِه تعارضاً؛ بقي مُبهماً، بينَ حُرِّيَّتي والعالم. والحربُ وما بعدَ الحرب لم تكونا سوى مرحلتين من تطوُّرِ هذا التَّعارض، وهذا ما أردتُ بيانَه حينما اخترتُ عنوانَ حركتِنا المقاومة: **اشتراكيَّة وحرِّيَّة**. هناك فكرةُ الجماعةِ المنظَّمة الَّتي يتطوَّر فيها كلُّ فردٍ تِبعاً لمبادئه. ومن جهة أُخرى؛ فكرة الحرِّيَّة، أي فكرةُ تطوُّرِ كلِّ فرد، وتطوُّر الجميع، بدتا لي، في تلكَ الفترة، بمثابةِ فكرتين مُتعارضتين ـ وحتَّى في الوقت الرَّاهن؛ ترى كلَّ واحدةٍ موجودةً لوحدها ـ، وما اكتشفتُه بعدَ الحربِ هو أنَّ تناقضي وتناقضَ هذا العالم يكمنانِ في فكرةِ الحرِّيَّة، في فكرة التَّطوُّر الكامل، والتَّفتُّح الكامل للشَّخصِ في مواجهةِ فكرةِ التَّطوُّر الكامل أيضاً للجماعة الَّتي ينتمي إليها الشَّخص، فيظهرُ الاثنان أوَّلاً متناقضَين.

التَّطوُّر الكاملُ للمواطنِ لا يقتضي بالضَّرورةِ تمهيداً يقوم على تطوُّرِ المجتمع؛ عند هذه اللَّحظة يمكن تقديمُ تفسيرٍ لتاريخي الواضحِ بعدَ الحرب، وتاريخي الغامضِ قبلَ الحرب؛ بمعنى أنَّ فكرةَ حُرِّيَّتي تقتضي فكرةَ حُرِّيَّةِ الآخرين. لا يمكن أن أشعرَ بحرِّيَّتي إذا لم يشعرِ الآخرونَ بحرِّيَّتهم. حُرِّيَّتي تقتضي حُرِّيَّةَ الآخرين، وهي ليست قابلةً للتَّحديد. من جانبٍ آخر؛ أعرفُ أنَّ

ثمَّة مؤسَّسات، ودولة وقوانين، أي مجموعةٌ من القيود الَّتي تفرضُ نفسَها على الفرد، ولا تتركه حُرّاً على الإطلاق في فعلِ ما يُريد فعلَه. هنا أرى تناقضاً: إذ لا بُدَّ أن يكونَ للعالمِ الاجتماعيِّ أشكالٌ مُعيَّنة، ويجب أن تكونَ حُرِّيَّتي كاملة. وقد برزَ هذا أيضاً أثناءَ الاحتلال: كانت المقاومةُ تقتضي معاييرَ هامَّة ودقيقة وخطيرة، كالعملِ في الخفاء، أو القيام بمهامَّ خاصَّة وخطيرة، لكنَّ معناها العميقَ هو بناءُ مجتمعٍ آخر ينبغي أن يكون حُرّاً. بالنَّتيجة، لحرِّيَّةِ الفرد مثالٌ هو المجتمع الحرُّ الَّذي كان يناضل من أجل بنائِه.

س.د.ب: ما هي الفتراتُ الَّتي عشتَ فيها هذا التَّناقضَ بشكلٍ حادٍّ؟ وبأيِّ طريقةٍ قدَّمتَ الحلَّ لكلِّ ظرف؟

ج.ب.س: لم تكن سوى حلول مؤقَّتة. كانت حركةُ **التَّجمُّع الدِّيمقراطيِّ الثَّوريّ** R.D.R. (ت.د.ث)، وكان إلى جانب روسيه Rousset أُناسٌ مثلَ ألتمان Altman رئيس تحرير جريدة ليبيراسيون Libération.

س.د.ب: ليبراسيون في تلك الفترة..

ج.ب.س: كانت لبيراسيون في تلكَ الفترةِ صحيفةً راديكاليَّة ـ اشتراكيَّة، ثمَّ شيوعيَّة، ثمَّ قريبة من الشُّيوعيَّة Communisant، وبعد ذلكَ عادت لتصبحَ قريبةً من الشُّيوعيَّة أيضاً. أرادت هذه الحركةُ التَّميُّز عن الحزب الشُّيوعيِّ، لكنَّها بقيت ثوريَّةً، أي تسعى إلى تحقيقِ الاشتراكيَّة من خلالِ الثَّورة. هذه كلُّها كلماتٌ قويَّة، وقد لا تعني شيئاً؛ وَسرعانَ ما طرحَتْ قضيَّةُ الإصلاح/الثَّورة نفسَها أوَّلاً بإلحاح: ما هي الثَّورةُ المعنيَّة؟ هل هي ثورةٌ تريد الدَّفعَ إلى الإصلاحات ومساندتها؟ في هذه الحالة: هل يتعلَّقُ الأمرُ بشيءٍ ينبغي العمل ضدَّه؟ هذه هي الاشتراكيَّة الإصلاحيَّة في فترة ما قبلَ الحرب. أم أنَّ الأمرَ يعني حركةً ثوريَّةً؟ يبدو لي، لو كان بضعةُ أشخاصٍ من هذا الاتِّجاه؛ لكانتِ الاجراءاتُ الَّتي اتَّخذها التَّجمُّع الدِّيمقراطيُّ الثَّوريُّ إصلاحيَّةً أكثرَ منها ثوريَّة.

لا سيما وأنَّ روسيه؛ التروتسكيُّ السَّابق؛ لم يكن يتَّصفُ بأيِّ شيءٍ ثوريٍّ، اللَّهمَّ إلَّا صوتَه العالي. و في ما يخصُّني؛ فقد شدَّني **التَّجمُّع الدِّيمقراطيُّ الثَّوريُّ**، لكنِّي صمَّمتُ ألَّا أنتسبَ إليه شخصيّاً. وما إن صرتُ فيه حتَّى أرادوا منحي مكانةً هامَّةً، ووافقتُ على ذلك. لكنِّي كنتُ على النَّقيض من روسيه؛ إذ رأيتُ أنَّ روسيه يميلُ إلى التَّوجُّهِ الإصلاحيِّ، وسعى للحصول على أموالٍ من أجل التَّجمُّع، عبرَ التماسِ النَّقاباتِ العُمَّاليَّة الأميركيَّة، وهو ما بدا لي محضَ جنون؛ لأنَّه يعني وضعَ مجموعةٍ فرنسيَّةٍ تحتَ الوصايةِ الماليَّةِ للنَّقاباتِ الأميركيَّة الكُبرى المختلفة تماماً عن نقاباتنا، وعن سياستنا اليساريَّة. لذلك كنتُ مُعارضاً لتوجُّهِ روسيه هذا.

انفجرَ التَّناقضُ بعد أن عاد روسيه ببعضِ الأموالِ من أمريكا، ودعا (لاسيما ألتمان) إلى عقدِ ما يُشبه المؤتمر، في فرنسا، يضمُّ المهتمِّين بالتَّجمُّع الدِّيمقراطيِّ الثَّوريِّ، إضافةً إلى دعوتِه لبعضِ الأمريكيِّين.

س.د.ب: لقد سبقَ لكَ أن رويتَ ذلك؛ ما يهمُّني هو أنَّ ما بدا لكَ هو حلٌّ غيرُ مقبول.

ج.ب.س: لا، لم يكنْ مقبولاً، إذ سرعان ما بدا أنَّ تلكَ الحركةَ كانت إصلاحيَّة، وليست ثورية، وأنَّ الإصلاحَ المختار لم يكن مُمكناً؛ إذ لم يكن مُمكناً، في تلك اللَّحظة، إنشاءُ قوَّةٍ ثوريَّةٍ إلى جانبِ الحزب الشُّيوعيِّ تختلفُ عنه. كان هناك تناقضٌ بينَ حُرِّيَّةٍ تُعارضُ الحزبَ الشُّيوعيَّ، والثَّورة، أي الحركة الجماهيريَّة، طالما أنَّ هذه الثَّورة ترفضُ فكرةَ الحرِّيَّة. بعدَ كثيرٍ من التَّردُّد؛ جاءت فترةٌ أُخرى مُتناقضة بعدَ عمليَّة ريدواي Ridgway؛ حيث قدمَ الجنرالُ الأميركيُّ ريدواي إلى باريس، وخرجَتْ مظاهرةٌ ضخمةٌ ضدَّه، وبعد عدَّة ساعات؛ كان ديكلو Duclos[(١)] يمرُّ بسيَّارته ومعه حمامتَين فوقَ المقعد

(١) جاك ديكلو (١٨٩٦-١٩٧٥): رجل سياسيّ، تزعّم الحزب الشّيوعيّ الفرنسيّ، وانتخب عدّة مرّات نائباً في البرلمان، ثمّ سيناتوراً في عام ١٩٥٩ حتّى وفاته.

الخلفيّ، فاعتُقلَ بحجَّة أنَّهما من الحمامِ الزَّاجل. دفعَتني تلكَ التُّهمةُ القميئةُ إلى كتابةِ مقالةٍ أُدافع فيها عن الشُّيوعيِّين، طُبعَت في عدَّةٍ أعداد من مجلَّة **الأزمنة الحديثة**، ممَّا جعلَ الحزبَ الشُّيوعيَّ يُغيِّر موقفه منِّي.

س.د.ب: ما الَّذي دفعكَ إلى كتابة هذه المقالة؟

ج.ب.س: الأمرُ غريب؛ بسبب هنري غيلمان H.Guillman(١) الَّذي أوردَ في كتابِه حركة ٢ كانون الأوَّل، حولَ استلام نابليون الثَّالث السُّلطة، مقبوساتٍ من الصُّحفِ والدَّفاترِ الخاصَّة والكُتبِ الَّتي وضعها بعضُ النَّاس الموافقين على استلام نابليون الثَّالث السُّلطة، ممَّا دفعَني إلى اعتبارِ توقيفِ ديكلو أمراً خطيراً.

س.د.ب: إذاً، اتَّخذتَ قراراً يساند الحزبَ الشُّيوعيَّ من دونِ الانتسابِ إليه، بطبيعة الحال.

ج.ب.س: كتبتُ كتابي **الشُّيوعيُّون والسَّلام** من دونِ أن تكونَ لي أيُّ علاقةٍ بالحزب، بل بالأحرى كنتُ عدواً له، لأقولَ إنَّ اعتقالَ ديكلو أمرٌ مُخجل. وشيئاً فشيئاً؛ تحوَّلتِ المقالاتُ إلى نوعٍ من نصفِ المديح، ثمَّ المديح للحزب الشُّيوعيِّ ضِدَّ التَّشكيلاتِ الفرنسيَّة في تلك الفترة؛ وكانت النَّتيجة أن أرسلَ الحزبُ إليَّ كلود روا Claude Roy ومعه شخصٌ آخر ـ كان كلود روا يمثِّل العنصرَ القادر على التَّكلُّم مع المثقَّفين غير الشُّيوعيِّين ـ ليسألني عمَّا كنتُ سأنضمُّ إلى أولئك المثقَّفين الَّذين يرفضون اعتقالَ هنري مارتان Henri Martin، فقبلت؛ وحضرتُ اجتماعاتِ هؤلاءِ المثقَّفين، واقترحتُ تأليفَ كتابٍ نطالب فيه بتحريرِ هنري مارتان، يتضمَّنُ مقالاتٍ متنوِّعة، قمتُ بوضع نوعٍ من التَّعليق عليها، أطلقتُ عليه اسم: قضيَّة هنري مارتان، وتمَّ نشرُه. لكن لسوء الحظِّ؛ جاء نشرُ الكتابِ بعدَ خمسة عشرَ يوماً على إطلاقِ سراحِ هنري مارتان، بسببِ صعوباتٍ اعترضَت النَّشر، لكنَّ المهمَّ هو أنَّه خرجَ من السِّجن في تلك الفترة.

---

(١) هنري غيلمان (١٩٠٣-١٩٩٢): مؤرِّخ سويسريّ، اهتمّ بكتابة تاريخ فرنسا.

س.د.ب: ثمَّ شاركتَ في مؤتمر السَّلام.

ج.ب.س: في تلك الفترة أيضاً؛ تغيَّرَ موقفُ الحزبِ الشُّيوعيِّ منِّي.كما تغيَّر موقفي من الحزب الشُّيوعيِّ، وأصبحنا حَليفَين. أمَّا بقيَّةُ اليسار؛ فلم يعدْ موجوداً؛ حيث اصطفَّ اليساريُّون إلى جانبِ اليمين، وراحوا يناضلونَ ضِدَّ الحزب الشُّيوعيِّ، وتعرَّض لحملاتٍ حادَّة منهم. يبدو لي أنَّ اليسارَ الوحيدَ الَّذي بقي؛ هو ذلك اليسارُ المرتبطُ بالحزب الشُّيوعيِّ. وقد تحالفَتْ مجلَّةُ **الأزمنة الحديثة** مع الحزبِ الشُّيوعيِّ لممارسةِ سياسةٍ تخدم الحزب، على الرَّغم من بعضِ التَّردُّدِ العميق.

س.د.ب: في الحقيقة، هل كان ذلكَ حلّاً لتناقضاتِك؟

ج.ب.س: لا، لم يكن كذلك. وهو حالٌ لم يستمرَّ لوقتٍ طويل، لكنِّي عشتُ كثيراً خلالَ حياتي لحظاتٍ قصيرة تخلَّيتُ فيها عن الحرِّيَّة لصالح فكرةِ الجماعة.

س.د.ب: هل كنتَ تفكِّر، في تلك الفترة، أنَّ الحزبَ الشُّيوعيَّ كان بمثابةِ مرحلةٍ نحوَ الاشتراكيَّة؟

ج.ب.س: هو كذلك، لم أؤمن بأنَّ أهدافَنا متشابهة، لكنَّ السَّيرَ مع هذه الأهداف كان سهلاً.

س.د.ب: إلى متى استمرَّ هذا الحال؟

ج.ب.س: استمرَّ من عام ١٩٥٢ إلى عام ١٩٥٦...

س.د.ب: ذهبتَ إلى الاتِّحاد السُّوفييتيِّ في عام ١٩٤٥. وكانت علاقتُك ما تزال جيِّدةً بالشُّيوعيِّين.

ج.ب.س: لكنَّ ما رأيتُه في الاتِّحاد السُّوفييتيِّ لم يُثِر حماستي. بطبيعة الحال؛ أرَوني ما كان ينبغي أن أراه، وكانت لديَّ تحفُّظاتٌ كبيرة.

س.د.ب: لكنَّك كتبتَ ورقةً تقريظيَّةً جدّاً في صحيفة ليبيراسيون.

ج.ب.س: كو Cau هو الَّذي كتبَها.

س.د.ب: ينبغي القولُ إنَّك كنتَ مُتعباً جدّاً.

ج.ب.س: قدَّمتُ له بعضَ الإشارات، وذهبتُ لقضاءِ العطلةِ معكِ.

س.د.ب: لكي ترتاح، نعم. ثمَّ عُقِدَ مؤتمرٌ آخرُ للسَّلام في هلسنكي، حيث رافقتُكَ إليه في عام ١٩٥٥.

ج.ب.س: نعم، تعرَّفنا هناك على جزائريِّين أثاروا الانتباهَ إلى الحالة الجزائريَّة.

س.د.ب: بالفعل. ثمَّ جاء عام ١٩٥٦ ليشهدَ القطيعةَ مع الحزب الشُّيوعيّ.

ج.ب.س: قطيعةً لم تنتهِ إلَّا في عام ١٩٦٢؛ حينما عدتُ لزيارةِ الاتِّحاد السُّوفييتيّ.

س.د.ب: عُدنا إليهِ معاً في عام ١٩٦٢، مرَّتين، وبعدها خلالَ الأعوام ١٩٦٣، و١٩٦٤، و١٩٦٥.

ج.ب.س: ومع ذلك؛ لم تكنْ علاقتي على ما يُرام مع الشُّيوعيِّين.

س.د.ب: كان لنا أصدقاء هناك مِن بين مَنْ كانوا مُناهضين لِستالين بشكل عميق؛ ثمَّة التزامٌ آخر كان هامّاً بالنِّسبة لك، أعني وقوفَك ضِدَّ حربِ الجزائر.

ج.ب.س: صحيح.

س.د.ب: قمتَ بنشاطاتٍ مهمَّة إلى حدٍّ ما خلالَ تلك الحرب. ثمَّ بدأَتْ علاقتُك بِ«الماويِّين» في عام ١٩٦٨. كيف تمكَّنتَ من التَّوفيق بينَ رغبتك في الحرِّيَّة الفرديَّة وبينَ عملٍ جماعيٍّ يفترضُ التَّنظيم والتَّعليمات؟

ج.ب.س: حينما انخرطتُ، بطريقةٍ أو بأُخرى، في السِّياسة وقمتُ بالعمل، لم أتخلَّ أبداً عن فكرة الحرِّيَّة الفرديَّة. بل بالعكس، كلَّما كنتُ أعمل؛ كنتُ أشعرُ بأنِّي حُرٌّ. **فلم أنتسبْ إلى حزبٍ قَطُّ.** كنتُ أُبدي بعضَ التَّعاطفِ مع أحدِ الأحزاب خلالَ فترةٍ من الزَّمن ـ حاليّاً أتعاطفُ مع التَّوجُّه «الماويّ» الَّذي

بدأ بالتَّفكُّكِ في فرنسا، لكنَّه لم يمُتْ ـ وتعاطُفاتٌ أُخرى أكثرَ ديمومةً. إذاً، وجدتني على علاقةٍ بمجموعاتٍ من دون أن أنتمي إليها. كانت تطلبُ منِّي أفعالاً. وكنتُ حُرّاً بالاستجابةِ إلى طلبهم أم لا، ولطالما كنتُ أشعرُ بأنِّي حُرٌّ؛ سواءٌ قبلتُ أم رفضت. انظري، على سبيل المثال، إلى الموقفِ الَّذي اتَّخذتُه خلالَ حربِ الجزائر. وهي اللَّحظة الَّتي ابتعدتُ فيها عن الحزب؛ لأنَّ ما كان يريدهُ الحزبُ لم يكنْ هو ما نريدهُ تحديداً. فقد كان الحزبُ يدعو إلى استقلالِ الجزائر، لكنْ بوصفِه إمكانيَّةً من بينِ إمكانيَّاتٍ أُخرى. بينما كُنَّا مع جبهةِ التَّحريرِ الوطنيَّةِ F.L.N. ننادي بأن يكونَ هذا الاستقلالُ فوريّاً. التقينا لتشكيلِ مجموعةٍ مناهضةٍ لمنظَّمةِ الجيشِ السِّرِّيِّ O.A.S؛ لكنَّنا لم نصلْ إلى نتائجَ كثيرة؛ لأنَّ الشُّيوعيِّين أرادوا تخريبَ جهدِنا. طالما اعتبرتُ الإمبرياليَّة فعلَ سرقة، وغزواً شرساً للبلدان الأُخرى، واستغلالاً لبلدٍ من بلدٍ آخر بطريقةٍ لا يُمكن قبولُها على الإطلاق. وكنتُ أرى أنَّه على الدُّولِ الاستعماريَّة كلِّها التَّخلُّص من مستعمراتها عاجلاً أم آجلاً. لقد كنتُ في الحرب الجزائريَّة مُتَّفقاً حتماً مع الجزائريِّين ضِدَّ الحكومة الفرنسيَّة؛ أقول بوضوح: الحكومة، مع أنَّ كثيرين من الفرنسيِّين كانوا يؤيِّدون بقاءَ الجزائر فرنسيَّة. وخضتُ صراعاتٍ دائمةً مع بعضِ الفرنسيِّين، لتوثيقِ عُرى الصَّداقة مع أولئك الَّذين يؤيِّدون تحرُّر الجزائر. بل ذهبتُ إلى أبعدَ من هذا، وكانت لي وجانسون Jeanson علاقاتٌ مع جبهةِ التَّحرير الجزائريَّة، وكتبتُ في صحيفتِهم السِّرِّيَّة. أقولُ هذا لمجرَّدِ الإشارة إلى أنَّه كيفَ كانت الحرِّيَّة على المحكِّ في هذه القضيَّة. لاشكَّ أنَّها الحرِّيَّةُ الأصيلةُ هي الَّتي أدَّت بي، وأنا في السَّادسةَ عشرةَ من عمري، إلى اعتبارِ الاستعمارِ عنفاً مناهضاً للبشريَّة، وعملاً يُحطِّم البشرَ من أجلِ المصالحِ الماديَّة. الحرِّيَّة الَّتي كانت تُشكِّلني كإنسان: كانت تُشكِّلُ الاستعمارَ بوصفِهِ دناءة؛ إنَّها تُدمِّر بشراً آخرين، وهي تُشكِّلني كإنسان، ولهذا

فإنَّ تكوُني كإنسان يعني أنْ أقفَ ضِدَّ الاستعمارِ. ما آمنتُ به وأنا في السَّادسةَ عشرةَ من عمري، رُبَّما أكون قد عمَّقتهُ، لكنِّي ما أزال أؤمن به حتَّى بعدَ حربِ الجزائر، وحتَّى الآن. سافرتُ إلى البرازيل في عام ١٩٦٠. وبينما كنتُ في ريو دي جانيرو؛ تلقَّيتُ مكالمةً هاتفيَّةً من أصدقائي في باريس يخبرونَني عن موعدِ محاكمةِ جانسون وأصدقائه ومعاونيه، وطلبوا منِّي الإدلاء بشهادتي الَّتي ستتمُّ قراءتُها أمامَ هيئة المحكمة؛ لعدمِ قدرتي على العودةِ في التَّاريخ الَّذي حدَّدوه لي. وبطبيعة الحال؛ لم يكن بوسعي إملاءُ هذه الشَّهادة. والهاتفُ كان سيِّئاً. فاكتفيتُ بأن أكرِّرَ لأصدقائي النُّقاطَ الأساسيَّة الَّتي ستقومُ عليها شهادتي. وكانوا يعرفونها، وأعرف أنَّهم سيحسنون استخدامَها. تركتُهم يحرِّرون هذه الشَّهادة. وحينما قرأتُها؛ وجدتُها مُنصفةً تماماً.

س.د.ب: وكتبتَ مقالاتٍ كثيرةً قبل عام ١٩٦٠.

ج.ب.س: طبعاً ! كتبتُ مقالاتٍ ضِدَّ حربِ الجزائر، وضدَّ التَّعذيب.

س.د.ب: أين نشرتها؟

ج.ب.س: في **الأزمنة الحديثة** ومجلَّة **الاكبريس** Express، كما نَشَرْتُ بعضَها في الصحيفةِ الصغيرة التي كان يصدرها جانسون vérité سرّاً إلى حدٍّ ما.

س.د.ب: هل هناك أشياء أُخرى؟

ج.ب.س: يومَ كنتُ في البرازيل؛ التقيتُ مُمثِّلَ الجزائر بناءً على طلبه، وتبادلنا الرَّأيَ حولَ الدِّعايةِ لصالحِ الجزائريِّين، وكانت آراؤنا مُتَّفقةً تماماً. فضلاً عن ذلك؛ ألقيتُ محاضرةً في ساوباولو تناولتُ فيها حربَ الجزائر. وما زلت أذكرُ أنَّها استقطبَت حشوداً كبيرة، لا سيما من الطُّلَّاب، حيث خلعوا البابَ وملأوا القاعةَ تماماً. عرضتُ يومَها تصوُّري لحربِ الجزائر، الَّذي كان تصوُّرَ جبهةِ التَّحرير أيضاً. أراد أحدُ الفرنسيِّين الرَّدَّ عليَّ، وكان ذلك بمثابةِ فعلٍ شُجاع؛ لأنَّ كلَّ مَن في القاعة كان مؤيِّداً للجزائريِّين، فصاروا يصفِّرون له،

فوجدَ صعوبةً في الكلام، ثمَّ ردِّيتُ عليه، فتوارى بعدَها، وتحوَّلَ الحضورُ إلى تظاهرةٍ لصالح الجزائريِّين. كنتُ، في هذا كلِّه أشعرُ بنفسي حُرّاً؛ لأنِّي كنتُ قادراً على رفضِ إلقاءِ محاضرةٍ حولَ حربِ الجزائرِ واختيارِ موضوعٍ أدبيٍّ. لكنِّي أردتُ وصفَ الحقائقِ الرَّاهنةِ والدَّقيقةِ الَّتي كانت تُعرِّض الحرِّيَّة للخطر. في أعماقي؛ كنتُ حُرّاً في إلقاءِ هذه المحاضرة، إضافةً إلى أنَّ عنوانَ المحاضرة كان: **الحُرِّيَّةُ للشَّعب الجزائريِّ**. عند هذا المستوى؛ أجدُ أنَّ علاقةَ الحرِّيَّة؛ حُرِّيَّتي بالحرِّيَّة بمثابة غاية، وممارسة الحرِّيَّة ضِدَّ كلِّ ما من شأنِه تقييدُها، أي عمل النَّاس الآخرين. إذاً؛ كان الموضوعُ يدورُ حولَ عرضِ حرِّيَّة الشَّعب الجزائريِّ بوصفها غايةً عُليا ومُطلقة، والحربُ عمليَّةٌ تمنع البشرَ من التَّحرُّر.

س.د.ب: بما أنَّكَ تحدَّثتَ عن وقائع، هناك واقعةٌ نسيتَها، والَّتي سوَّغت طلبَ شهادتِك، أعني **بيان ال١٢١**، الَّذي كانَ بالغَ الأهمِّيَّة. فقد هُدِّدنا بالسِّجن بعدَ عودتِنا إلى فرنسا بسببِ توقيعنا على هذا البيان. وكانت محاكمةُ جانسون تدور كلُّها حولَ هذا البيان.

ج.ب.س: صحيح. في تلك الفترة خرجَت مسيراتٌ مؤيِّدةٌ لحربِ الجزائر امتلأت بها جادَّةُ الشانزيليزيه، حيث كان النَّاس يصيحون «الموتُ لسارتر». أرادت الحكومةُ جرِّي إلى المحاكم كالمائة وعشرين شخصاً الَّذين وقَّعوا البيان. كان هذا أيضاً موجوداً في الخلفيَّة، وهنا أيضاً كنتُ حُرّاً. لم أنضمَّ أبداً إلى تنظيمٍ مؤيِّدٍ للجزائريِّين، لكنِّي كنتُ مُتعاطفاً معَ كلِّ هذه التَّنظيمات، وموضعَ ترحيبٍ لديها جميعاً. ما أردتُ الإشارةَ إليه هو أنَّه كيف يمكن لعملٍ صغيرٍ كهذا، لا أهمِّيَّة كبرى له، وكيف أنَّ مجموعَ الأفعال الَّتي قمتُ بها في البرازيل لجعلِ قضيَّة الجزائريِّين شعبيَّة؛ سببُها حُرِّيَّتي، وأنِّي لم أكنْ مشروطاً بأحد، وأنِّي أتصرَّفُ من ذاتي، ووفقاً لنظريَّاتي الخاصَّة بي، وإيماني السِّياسيِّ، والتزامي التَّامِّ بها. بعد ذلك؛ ذهبنا إلى كوبا، وعُدْنا عن طريق إسبانيا. ولدى مرورِنا في الحدود؛ حصلَتْ مناقشاتٌ مع رجالِ الجمارك الَّذين انتهى بهم الأمرُ إلى السَّماح لنا بالعودةِ إلى باريس. أرادَ بعضُ الأصدقاءِ أن تكونَ عودتنا

بالطَّائرة، لأنَّه لو أُوقفنا؛ لجرتِ الواقعةُ أمامَ النَّاس جميعاً. لكنَّنا قَدَّرنا أنَّ الاستفزازَ غيرُ مفيد، والأفضل أن تكونَ عودتُنا إلى باريس هادئة، ورسميَّة، وسرِّيَّة. جاءَ بعضُ الأصدقاء لملاقاتِنا في برشلونة مثل لانزمان، وبويون، وبوست. رافقونا إلى باريس؛ حيث بدأ مُفوَّضو الشّرطة بجمعِ شهاداتِنا، واتَّفقنا على المثولِ أمامَ قاضي التَّحقيق بعدَ ثمانية أيَّام. لكنَّ القاضي المسكين وقعَ مريضاً في المشيَّة، كما عرفنا من الصُّحف، وبعدَ ثمانية أيَّام؛ وقعَ طريحَ الفراشِ أيضاً، وهنا انتهت المزحة، ولم نسمعْ بعدَها أبداً باتِّهامنا بوصفِنا موقِّعين على بيان ال ١٢١. هذه واقعةٌ من بينِ المئات مثلها. أردتُ من ذلكَ بيانَ كيف جعلتني الحرِّيَّةُ أكتشف، في لحظة مُعيَّنة، العلاقةَ الحقيقة للجزائريِّين بالفرنسيِّين: إنَّها علاقةُ الاضطهاد. من المؤكَّد أنِّي كنتُ ضِدَّ هذا الاضطهاد، باسمِ الحرِّيَّة الَّتي تشكِّل بالنِّسبة لي جوهرَ وجودِ أيِّ إنسان، وبوصفي كذلك؛ كان لا بُدَّ لي من التَّحرُّك حيثما وُجِد هذا الاضطهاد، وبقدرِ ما أستطيع من أجلِ الحرِّيَّة. الوسائلُ الَّتي كنتُ ألجأ إليها تتعلَّق بالأسبابِ والرَّوابطِ الضَّروريَّة الَّتي لم يَعُدْ لها علاقةٌ بتأكيدٍ حُرّ؛ لكنَّها نفذت من خلالِ الحرِّيَّة حينما كنتُ أستخدمها. لقد كانت ضروريَّةٌ لتأكيدِ الحرِّيَّة في العالم.

س.د.ب: هل ميلُك إلى الحرِّيَّةِ هو ما دفعَكَ إلى القيام بنوعٍ من العملِ مع بعضِ الكُتَّاب، والمثقَّفين من الشَّرق؟ أعني: هل كان لتلكَ الأسفارِ الَّتي قمتَ بها إلى الاتِّحاد السُّوفييتيِّ خلالَ عامي ١٩٦٢-١٩٦٦ معنى محاولةِ مساعدةِ المثقَّفين اللِّيبراليِّين على التَّحرُّر (التَّلبُرل) Se libéraliser؟

ج.ب.س: ليبرالي؛ كلمةٌ قميئة.

س.د.ب: لكنَّ هؤلاء المثقَّفين هم مَن أطلقوا على أنفسِهم هذه التَّسمية. هل كان الأمرُ كذلك؟

ج.ب.س: نعم. أردتُ أن أرى إذا كان بوسعِ المحادثةِ تغييرُ وجهةِ نظرهم قليلاً عن العالم، والقوى الموجودة، وعما ينبغي القيام به. كنت أذهبُ بنحوِ

خاصّ إلى الاتّحاد السُّوفييتيّ للقاءِ أُناسٍ يفكّرون مثلي، أي بمثقَّفين قاموا بهذا العمل بأنفسِهم. كانوا اثنان أو ثلاثة.

س.د.ب: توقَّفتَ عن التَّردُّد إلى الاتِّحاد السُّوفييتيِّ في عام ١٩٦٦ بعدَ قضيَّة سينيافسكي Siniavski ودانييل Daniel[1]. ورأيتَ أنَّ قضيَّة مَن يسمُّون باللِّيبراليِّين كانت خاسرةً إلى حدٍّ ما. لكن ثمَّة واقعةٌ كانت أكثرَ أهمِّيَّة أو حسماً، هي اجتياحُ تشيكوسلوفاكيا.

ج.ب.س: نعم، لكنْ سبقَ ذلك غزوُ هنغاريا.

س.د.ب: وهو ما دفعكَ إلى قطعِ علاقتِك بالشُّيوعيِّين. لكنَّكَ أعدتَ حبلَ الوصلِ بالاتِّحاد السُّوفييتيِّ حوالي عام ١٩٦٢، كما سبق قولُه. أمَّا الآن؛ فالقطيعة نهائيَّة. كيف تأكَّدتْ مواقفُكَ في فترةِ اجتياحِ تشيكوسلوفاكيا؟

ج.ب.س: بدا لي التَّدخُّل السُّوفييتيُّ في تشيكوسلوفاكيا مُثيراً للسُّخط، لاتِّضاحِ موقفِه تماماً إزاءَ البلدانِ الاشتراكيَّة، أو ما يُسمَّى الكتلة السُّوفييتيَّة. كان يريدُ منعَ أنظمةِ الحكم من التَّغيير حتَّى لو احتاجَ الأمرُ إلى الوسائلِ العسكريَّة. دعاني أصدقائي التشيكوسلوفاكيُّون في مرحلةٍ غريبةٍ توقَّفَتْ فجأة؛ لأنَّ الجحافلَ السُّوفييتيَّة كانت على الأرضِ هناك، وكان التشيكوسلوفاكيُّون قد قرَّروا المقاومةَ الفكريَّة في براغ بنحوٍ خاصّ، وحيث كانت تُعرضُ لي مسرحيَّتان في الوقتِ نفسه هما: **الذُّباب، والأيدي القذرة**، لأغراض مناهضةٍ للسُّوفييت طبعاً. حضرتُ العرضَين وتحدَّثتُ إلى الجمهور، وعبَّرتُ عن رأيي صراحةً بالغزوِ السُّوفييتيّ. كما تحدَّثتُ في التِّلفزيون عن هذا بعباراتٍ أكثرَ اعتدالاً. باختصار؛ استخدموني لمساعدتِهم في النِّضال ضِدَّ العدوِّ الَّذي كان

(١) كاتبان سوفييتيان انتقدا النِّظام السِّياسيّ في تلك الفترة، وحكم عليهما بالسّجن في بداية حكم بريجينييف عام ١٩٦٦.

موجوداً، لكنَّه غيرُ مرئي. بقيتُ هناك عدَّة أيَّام، والتقيتُ مثقَّفينَ تشيكيين وسلوفاكيين، وتحدَّثتُ معهم، وكانوا جميعاً مُستاءينَ من هذا الهجوم السُّوفييتيّ وقرَّروا النِّضال ضدَّه. لا شكَّ أنِّي رحلتُ عن البلادِ غيرَ مرتاح، لكنِّي كنتُ مُقتنعاً بأنَّ القضيَّةَ لنْ تُحلَّ بسهولة، وأنَّ النِّضال الّذي سيخوضه الشَّعبُ التشيكوسلوفاكيُّ ضِدَّ العدوان السُّوفييتيِّ سيستمرُّ حتماً. بعد فترةٍ قليلة؛ كتبتُ مقالةً حولَ هذه المسألةِ على شكلِ تقديمٍ لكتابِ ليهم Liehm[1].

س.د.ب: صحيح، وجَمَعْنَا شهادات.

ج.ب.س: شهاداتٍ من غالبيَّة المثقَّفين التشيكوسلوفاكيِّين المعروفين، وكانت كلُّها ضِدَّ التَّدخُّل السُّوفييتيّ.

س.د.ب: كيف كانت نشاطاتُك بعد تشيكوسلوفاكيا؟ هل كانت لكَ علاقةٌ بأحداث أيَّار عام ١٩٦٨؟

ج.ب.س: نعم، مُتأخِّراً. بدأنا بالاهتمامِ بالقضايا الجامعيَّة في مجلَّة **الأزمنة الحديثة**. تناقشنا حولَ الهيئةِ الأستاذيَّة، والمحاضرات العامَّة. وتضمَّنتِ المجلَّةُ مقالاتٍ لِكرافيتس Kravetz، ثمَّ دُهِشنا، ككلِّ الفرنسيِّين، بأحداث أيَّار ١٩٦٨. ولم يكنْ رأيُ الشَّباب فيَّ سيِّئاً في تلك الفترة.

س.د.ب: أدليتَ بتصريحٍ عبرَ إذاعةِ لوكسمبورغ لصالح الطُّلَّاب، وُزِّعَ على شكلِ منشوراتٍ في الحيِّ اللَّاتينيّ.

ج.ب.س: فعلاً. وذاتَ يومٍ من أيَّار ٦٨؛ طُلِبَ مِنِّي أن أتحدَّثَ في القاعة الكُبرى في جامعة السُّوربون. الغريبُ أنَّ السُّوربون كانت في حالةٍ غريبةٍ، ويحتلُّها الطُّلَّاب. بعدها؛ تحدَّثتُ في المدينة الجامعيَّة. باختصار: كان لي بعضُ التَّواصل مع أيَّار ١٩٦٨. بعد هذا أصبحَ الأمرُ أكثرَ إبهاماً؛ أذكرُ أنِّي

(١) أنطونان جاروسلاف ليهم (١٩٢٤-): كاتب، وناشر، ومترجم ومثقّف تشيكيّ.

دُعيتُ للحديثِ في السُّوربون من قِبَلِ بعضِ الأصدقاءِ الطَّلبةِ الَّذينَ كانوا يناقشون نقطةً مُحدَّدة: هل يقومون بمظاهرةٍ في اليوم التَّالي أم لا؟ وهو ما لم أكن مَعنيّاً به، لذا تحدَّثتُ بشكلٍ عامٍّ؛ فوضعوا ورقةً أمامي فوقَ الطَّاولةِ كُتِبَ عليها: «أوجِزْ يا سيِّد سارتر». ومعنى هذا أنَّهم لم يكونوا حريصين تماماً على الاستماعِ لما كنتُ أريدُ قولَه إليهم، باعتباري لم أعُدْ طالبًا منذُ زمنٍ بعيد، كما لم أكنْ أُستاذاً؛ ومن ثمَّ ليسَ لديَّ أيُّ صفةٍ لكي أتكلَّمَ من خلالها. ومع هذا؛ تحدَّثت قليلاً، وحَظيتُ بتصفيقٍ كبير عندما صعدتُ إلى المنصَّة، لكنَّ التَّصفيقَ كان أقلَّ حينما تركتُها، لأنَّهم لم يريدوا سماعَ ما قُلت. بل ينتظرون مَن يقول لهم: «ينبغي الخروجُ في مظاهرةٍ لهذا السَّبب أو ذاك، وينبغي أن تجري في هذا الظَّرف أو ذاك، إلخ». لعبتُ دوراً في ما بعد، أي في عام ١٩٧٠، حينما اعتُقِلَ \مديرا مجلَّةِ **قضيَّة الشعب**، لوبري ولودانتيك، طلبَ منِّي الماويُّون، الَّذين لم أكنْ أعرفُهم، بل وسبق أن هاجموني في العشية على صفحات **قضية الشعب**، أن أشرف على هذه المجلة.

س.د.ب: كان اسمُها **اليسار البروليتاريّ**، في تلك الفترة.

ج.ب.س: صحيح؛ اليسار البروليتاريّ التَّابعة لحزبِ «ماو تسي تونغ» الَّذي يقوده ذلك الَّذي أَطلقَ على نفسِه اسم بيير فيكتور. وهنا أيضاً مارستُ فعلاً حُرّاً، إذ لا شيء كان يضطرُّني إلى القبول، لاسيما وأنَّ الماويِّين لم يكونوا لَيِّنينَ معي. كما أنَّ لا شيء يُجبرني على الرَّفض؛ لأنَّ الأمرَ كان يتعلَّق بهذا اليسارِ الثَّوريِّ الَّذي عملَ قبل أحداثِ ٦٨ وبعدَها. لكن، ما إن طُرحَت المسألةُ عليَّ؛ حتَّى قبلتُ أن أكونَ مديراً لتلك الصَّحيفة. لم أكنْ أدركُ كلَّ الأسبابِ الَّتي دفعتني إلى القبولِ إلَّا بشكلٍ غامض؛ ما دفعني هو تداخلٌ تركيبيٌّ بين هذه الأسبابِ جميعاً. ذاتَ صباح؛ جاء أحدُ الماويِّين، الَّذي لم أعدْ أذكر اسمَه، لمناقشتي في هذا الأمر، فقلت نعم، أقبلُ الإشرافَ على هذه الصَّحيفة منذُ

الآن. ثمَّ ذهبتُ إلى مقهى الكوبول حيثُ كان ينتظرني فيكتور وآخرون لتناولِ طعامِ الغداء. هنا تعرَّفتُ عليه. وصرَّح لأصحابِه بأنَّه كان مسروراً بهذا اللّقاء.

س.د.ب: كيف صارَت علاقتُك بهم؟

ج.ب.س: قبلتُ أن أكونَ نوعاً من المُسَخَّرprête-nom[منْ يعيراسمه]، لأنّي لم أكنْ أملكُ فكرةً مُحدَّدة عن اتِّجاهِهم ومبادئِهم.ولم تخطر الإدارة على بالي، وهم أنفسُهم لم يطلبوا ذلكَ منّي، فكَّرتُ فقط بإعارتِهم اسمي وربَّما العمل معهم لمنحِهم شيئاً من الطَّمأنينة، ومنعِ إلغائِهم بوصفِهم صحيفةً وجماعة. ما جعلَ الأمورَ أكثرَ تعقيداً؛ هو محاكمةُ لويري ولودانتيك لاحقاً. حيثُ كان عليَّ الإدلاءُ بشهادتي بوصفي المديرَ الثَّالث لصحيفة **قضيَّة الشَّعب**، وإعلان تضامني معهم. في ذلك اليومِ؛ صدرَ قرارٌ عن وزارةِ الدَّاخليَّة بإلغاءِ صحيفة **اليسار البروليتاريّ**، ومنعِ الحزب. في الفترةِ نفسِها؛ عوقِبَ كلٌّ من لويري ولودانتيك بالسِّجن مُدَداً ليست هيِّنة. بعدَ وقتٍ قليل؛ اختفى غيمار بعد أن أصبح مُلاحَقاً بدوره، لكن تمَّ العثورُ عليه وحُكِم عليه؛ فذهبتُ أيضاً للشَّهادة لصالحِه. بالنِّسبة لي؛ لم يكنْ أحدٌ يُزعجني، أو يُوقفني، إذ كانوا يعتبرونَ أنّي لستُ المديرَ الحقيقيَّ **لقضيَّة الشَّعب**؛ وهو صحيحٌ، بمعنى ما، إذْ لم تكنْ لي أي علاقةٌ بما كان يُكتَبُ فيها. لكنَّ الجميعَ كانوا يعرفون بأنّي مديرٌ لمنعِ الاعتقالِ المنتظَم للمُدراء. لا شكَّ أنَّه كان يُمكن اعتقالُ مديرٍ آخر أكثرَ شباباً منّي، وينتمي إلى الماويّين. لم يعتقلوني لمعرفتِهم بأنَّ من شأنِ اعتقالي إثارةَ ضجَّةٍ كبيرة. لهذا عاشَت **قضيَّةُ الشَّعب** حياةً غريبة، فهي صحيفةٌ رسميَّةٌ بطريقةٍ ما؛ لأنَّها كانت تُنشَر، ولأنَّني كنتُ مديرَها، لكن من جانبٍ آخر: كانت ممنوعة. حينما كانت الشرطة تمسك بأحد باعةَ **قضيَّةَ الشَّعب**؛ يعتقلونَه لعدَّة أسابيع. لكن قليلاً ما صُودِرَتْ أعدادُها في المطبعة، لأنَّها كانت ترسل تلك الأعداد عشيَّةً في شاحنات، بكمّيَّاتٍ

كبيرة، وتُوزَّعُ في باريس والضواحي. وقُمنا بتوزيعِ بعضِ أعدادِها في شارع الجنرال لوكلير، وبعدَها في شارع بواسونيير Poissonnière. مرَّةً؛ وُضعتُ في سيَّارةٍ للشّرطة، وفي الثَّانية؛ أُودعتُ الحجزَ الاحتياطيَّ. وهي أعمال قربتني من الماويِّين الَّذين كانوا يحرِّرون الصَّحيفة. بدأ هذا التَّقارُب بالتَّعبير عن رغبتِهم في الحوار معي. وعُقِدَت بيننا اجتماعات، حيث كان فيكتور، وغيمار، وآخرون غيرُهما يناقشون معي موقفاً أو رأياً، وفي نهايةِ المطاف؛ بدأتُ أشعرُ بأهمّيَّة اليسارِ البروليتاريِّ، من دونِ أنْ أصبحَ مديراً فعليّاً خلالَ تلك المرحلة الأُولى؛ بدأتُ باكتشافِ نوعٍ من الحرّيَّةِ عندَ المناضلين؛ حُرّيَّةٌ أثَّرت فيَّ على الصَّعيدِ الاجتماعيّ والسِّياسيّ؛ رأيتُ فيها إمكانيَّةَ تصوُّرِ مناضلين أحراراً في فعاليَّاتهم بوصفِهم مناضلين، وهو ما قد يبدو تناقضاً للوهلةِ الأُولى. ولا ينطبقُ على المناضلِ الشُّيوعيّ. بدأتُ أقتربُ شيئاً فشيئاً من بعضِ مواقفِ الماويِّين، من دون أن أنتميَ أبداً إلى اليسار البروليتاريِّ، الَّذي أصبح، كما قلتُ، مُفكَّكاً. لكنَّه استمرَّ في البقاءِ بشكل آخر. دارت بيننا نقاشاتٌ اتسمت بالمزيد من الثقة، وغالباً، مع فيكتور وحده. وأدركتُ مدى أهمّيَّةِ اليسار البروليتاريّ بالنِّسبة لي. ثمَّ بدأتُ مناقشةَ أعدادِ صحيفةِ **قضيَّة الشَّعب**، ومقالاتها مع المحرِّرين. وفي النِّهاية أشرفتُ بنفسي على عددٍ أو عددَين منها، عبر مساعدين مختلفين. لم يعترضِ القادةُ، وأرادوا أن يروا النَّتيجة؛ لا شكَّ أنِّي اعتمدتُ اتِّجاهَ الأفكارِ الماويَّة، لكن بمقدار ما كانت... تغريني. أصدرتُ، إذاً، عددَين من هذا النَّوع، ثمَّ انسحبتُ تقريباً، مع المحافظةِ على اسمي فوقَ صفحةِ الغلاف. في النِّهاية؛ اختفت صحيفةُ **قضيَّة الشَّعب**، لكن ليسَ روح ماو الَّتي بقيت حاضرةً، والَّتي أظنُّ أنِّي أحدُ ممثِّليها، لا سيما وأنَّ اسمَ ماو لم يعد يعني الشَّيءَ الكثير. لقد عَبَّرنا عن أفكارنا في الكتابِ الَّذي نشرناه أنا وغافي وفيكتور بعنوان: **من**

حقّنا أن نتمرَّد. ذلكَ كان انتقالي السِّياسيّ إلى اليسار البروليتاريّ بينَ عامي ١٩٧٠و ١٩٧٣.

س.د.ب: وماذا بعد؟ هل أصدرتَ صحيفةً أُخرى؟

ج.ب.س: ليبيراسيون! كان يبدو طبيعيّاً أن أكونَ مديرَ ليبيراسيون، الَّتي لم تكنْ صحيفةً ماويَّة، لكن أطلقَها بعضُ الماويِّين وممثِّلين آخرين لجماعاتِ اليسار. طُلِبَ إليَّ هذا لأنِّي كنتُ مديرَ **قضيَّة الشَّعب**؛ وقبلتُ لأنِّي ظننتُ أنَّ وجودَ صحيفةٍ يساريَّةٍ بالمعنى الحقيقيّ للعبارة، ويساريَّة مُتطرِّفة؛ يُشكِّلُ تقدُّماً حقيقيّاً لكي نقولَ ما نُفكِّر فيه حولَ أيِّ حدثٍ بكلِّ صراحةٍ ووضوح. هنا؛ كنتُ مديراً حقيقيّاً وليسَ مجرَّد اسم. في البداية لم يكن دورُ المديرِ مُحدَّداً. لكنَّ مَرَضي منعَني من القيام بدورٍ حقيقيٍّ في صحيفة ليبيراسيون. أمَّا الآن؛ فلم أعُدْ مديراً لأنِّي استقلتُ بسببِ مرضي، لكنِّي أشاركُ في لجنةٍ إداريَّةٍ جديدة تُقرِّر توجُّهات الصَّحيفة. فأنا مازلتُ مُتعباً، كما تعرفين، لا أقوى على الكتابةِ أو القراءة؛ قد أكتبُ بشكلٍ ما، لكنِّي لا أستطيعُ قراءةَ ما أكتب. هناك مجموعةٌ من الوسائلِ الَّتي تتيحُ لي إمكانيَّةَ التَّعريف بآرائي. وهنا أيضاً؛ طالما كانت الحرِّيَّةُ دائماً هي الأساس، والسَّبب الَّذي تقوم عليه خياراتي. أُعيدَت هيكلة ليبيراسيون بشكلٍ جديدٍ خلالَ الصَّيف، وهي هيكلةٌ عَمِلَ على دراستها غافي وفيكتور وأنا، وبعضُ الآخرين. ليبيراسيون الجديدة الَّتي ستظهرُ بعدَ بضعةِ أيَّام، من شأنها أن تُشكِّلَ انطلاقةً جديدة.



السِّياسة أيضاً

س.د.ب: خلالَ هذه الحواراتِ كنتَ شديد الحرص على الحديثِ عن علاقتِك بالسِّياسة. تحدثتَ عنها في حواراتِك مع فيكتور، وغافي، وها أنتَ تحرصُ على الحديث عنها هنا معي، لماذا؟ مع أنَّكَ،أوَّلاً وقبلَ كلِّ شيء،كاتبٌ وفيلسوف.

ج.ب.س: لأنَّ الحياةَ السِّياسيَّةَ مَثَّلَت لي شيئاً لم أستطِعْ تجنُّبَه، فانغمستُ فيها. لم أكنْ رجلاً سياسيّاً، بل لديَّ ردودُ فعلٍ سياسيَّة إزاءَ عددٍ كبيرٍ من الأحداث السِّياسيَّة؛ لأنِّي كنتُ أتميَّز بشرطِ الإنسانِ السِّياسيِّ، بالمعنى الواسع للعبارة، أي بمعنى الإنسان المصاب بالسِّياسة، الَّذي تخترقه السِّياسة. الماويُّون، على سبيل المثال، لم يرَوا، لفترة مُعيَّنة، في صداقتي مع فيكتور سوى علاقة سياسية.

س.د.ب: وجهةُ النَّظرِ الماويَّة ليسَتْ عالميَّة و أبديَّة. لن تَعُدَّكَ الأجيالُ اللَّاحقةُ رجلاً سياسيّاً، بل بالأساس كاتباً، وفيلسوفاً اتَّخذَ بعضَ المواقفِ السِّياسيَّة، كما هو حالُ جميعِ المثقَّفين. لِمَ تُولي هذه الأهمِّيَّةَ الخاصَّة للبُعدِ السِّياسيِّ في حياتِكَ؟

ج.ب.س: لم أكن مُسيَّساً في العشرين من عمري. وقد يكون هذا موقفاً سياسيّاً كغيرِه من المواقف، وانتهيتُ شيوعيّاً ـ اشتراكيّاً. ولديَّ تصوُّرٌ لنوعٍ من القَدَرِ السِّياسيِّ للبَشرِ. أرى أنَّ الانتقالَ من إهمالِ السِّياسةِ إلى الاهتمامِ بها بالمعنى الدَّقيق؛ يُمثِّلُ حياةً ما. واحتلَّ هذا الأمرُ جانباً كبيراً من حياتي الَّتي

بَدأتْ بالتَّجمُعِ الدِّيمقراطيِّ الثَّوريِّ R.DR، ثمَّ علاقاتي بالشُّيوعيِّين، والماويِّين، كلٌّ هذا يُشكِّل مجموعاً.

س.د.ب: إذاً، هل تريدُ مراجعةَ سيرتِكَ السِّياسيَّة؟

ج.ب.س: ينبغي أن أشرحَ ما معنى ألَّا يكونَ لدى الإنسان سياسة، وسببُه، ولمَ لمْ أكنْ مُهتمّاً بالسِّياسة حينما عرفتكِ، ثمَّ كيف تُطوِّقُ السِّياسةُ أحدَنا وينتهي الأمر بنا إلى اعتمادِها بطريقةٍ أو بأُخرى. يبدو لي هذا أساسيّاً.

س.د.ب: حسناً، دعنا نتحدَّث عن هذا.

ج.ب.س: حسناً احينما كنتُ طفلاً؛ كانت السِّياسةُ فعاليَّةً بين أيدي الجميع؛ إذ على الفردِ أن يضطلعَ ببعضِ الواجبات، كالانتخاب، على سبيل المثال. فالانتخابُ يجعل البلدَ جمهوريَّة، وليس إمبراطوريَّة ثانية، أو مَلَكيَّة.

س.د.ب: تعني أنَّ البيتَ الَّذي ضمّكَ، مع جدَّيك كان يعيشُ جوّاً سياسيّاً؟

ج.ب.س: نعم، كان جدِّي يعتنقُ مبادئَ الجمهوريَّةِ الثَّالثة، وأظنُّ أنَّه كان ينتخبُ للوسط، ولا يتحدَّث عمَّن انتخبَهم؛ لاعتقادِه أنَّ على الإنسانِ الاحتفاظَ بهذا الأمر لنفسِه. المضحكُ في أمر هذه العائلةُ المكوَّنةُ منه ومن زوجته، الَّتي لم يكن الأمرُ يهمُّها، وابنتِه الَّتي لا تفقَه هذه الأمور، وأنا الَّذي كنتُ صغيراً جدّاً لا يمكنه الاستعلام عن هذا الموضوع، لكنَّه، إجمالاً، كان يُفضِّلُ الوقوفَ على مسافةٍ مع الآخرين. كان ذلك هو سِرَّ الإنسانِ الَّذي يدلي بصوتِهِ، والسُّلطة السِّياسيَّة الَّتي يمارسها عبرَ إدلائِه بصوته. ومع ذلك؛ فقد أخبرَنا، مرَّةً، أنَّه سيعطي صوتَه لِبوانكاريه Poincaré[1].

س.د.ب: إذاً، كنتم تتحدَّثون في السِّياسة حينما كنتَ طفلاً صغيراً.

ج.ب.س: قليلاً جدّاً، قليلاً.

---

(١) ريمون بوانكاريه (١٨٦٠-١٩٣٤): رجل دولة فرنسيّ. أصبح رئيساً للجمهوريّة الفرنسيّة بين عامي ١٩٣١ و١٩٢٠.

س.د.ب: وأظنُّ أنَّه كان يدور حديثٌ حولَ مسائل هامَّة تتعلَّق بالتَّوجُّه الوطنيِّ.

ج.ب.س: نعم، حولَ الألزاس، والحرب.

س.د.ب: إذاً. كان لديكَ بُعدٌ وطني خلالَ طفولتِك.

ج.ب.س: صحيح. كانت الألزاس، المحتلَّة من الألمان؛ أمراً هامّاً بالنِّسبة لجدِّي. وتكوَّنت لديَّ، من ثمَّ، تلكَ الفكرةُ السِّياسيَّة الَّتي نجدها في الكتبِ التَّعليميَّة، واستمرَّ الأمرُ على هذا الحالِ حتَّى الحرب. برزَ خلالَ الحربِ فرنسيُّون صغارٌ بواسل، شبَّانٌ أبطالٌ يقاتلون الألمانَ الأشرار. كان هذا من بابِ الوطنيَّة البسيطة الَّتي نتعلَّمُها في المدارس، والَّتي كنتُ شديدَ الإيمان بها؛ بل كتبتُ روايةَ مغامراتٍ في تلك الفترة، في لحظةِ دخولي إلى صفِّ البكالوريا في باريس؛ حيث كانَ البطلُ جنديّاً اعتقلَ أميراً ألمانياً وريثاً، وكان أقوى منه، فيضربُه أمامَ مجموعة من الجنود الَّذين كانوا يضحكون أمامَ هذا المشهد.

س.د.ب: إذاً، كنتَ تشعر بأنَّك مواطن. أعنى كان لديكَ بُعدٌ وطني. زِدْ على هذا؛ أنَّكَ كنتَ تمثِّلُ في مسرحيَّاتٍ وطنيَّة كتبَها جدُّك.

ج.ب.س: صحيح.

س.د.ب: كنتَ تقول: «الوداع، الوداع يا ألزاسنا الغالية»، أو شيئاً من هذا القَبيل.

ج.ب.س: صحيح. كان ذلكَ بسببِ الحربِ خلالَ إحدى العُطل، مع رفاقِ الفندق، وبعدَ الحرب؛ كان السَّببُ ذلك الجوَّ البورجوازيَّ، الجمهوريَّ الَّذي كانتْ تعيشه عائلتي. وسرعان ما اكتسبتُ فكرةَ أنَّ على حياةِ الإنسانِ السَّيرَ على هذا النَّحو: في البدايةِ لا يكون المرءُ سياسيّاً، لكنَّه يصبح كذلك في سِنِّ الخمسين. زولا Zola مثالٌ على ذلك؛ حيثُ بدأ بممارسة السِّياسةَ بعدَ قضيَّةِ دريفوس Dreyfus.

س.د.ب: من أينَ أتتْكَ تلك الفكرة؟

ج.ب.س: جاءتني بعد دخولي في عالم الكُتَّاب؛ إذ تبدأ حياةُ الكاتبِ بمرحلة الشَّباب، ثمَّ مرحلةِ إنجازِ الأعمال، وبعدها مرحلةٍ متأخِّرة ينخرطُ خلالَها في السِّياسة بوصفِه كاتباً، وعندها يبدأ بالتَّدخُّل في الشُّؤون السِّياسيَّةِ الخاصَّةِ بالبلد.

س.د.ب: لكنَّ هذه السِّيرةَ الذَّاتيَّةَ لا تنطبق على جميعِ الكُتَّاب. فلماذا تَمَلَّكَكَ هذا النَّوعُ من السِّيرةِ الذَّاتيَّة؟ ولماذا بدَتْ لكَ مثاليَّةً، أكثرَ من سيرة ستاندال Stendhal، مثلاً، الَّذي كنتُ أُحبُّه كثيراً، حيث لمْ يمارس السِّياسة أبداً بهذا المعنى؟

ج.ب.س: لكنَّه مارسَ السِّياسةَ بطريقةٍ مُختلِفة.

س.د.ب: لا، لم يمارسْها أبداً بالمعنى الَّذي تتحدَّثُ عنه. لمَ تأثَّرتَ بهذه الأنماطِ من السِّيَرِ الذَّاتيَّة دونَ غيرها؟

ج.ب.س: الكُتَّابُ الَّذين كانوا يحدِّثونَني عنهم؛ كانوا كلُّهم، تقريباً، يمارسون السِّياسة.

س.د.ب: صحيح. لكنَّ الأشياءَ لا تؤثِّرُ فينا أبداً إلَّا إذا كُنَّا قابلينَ للتَّأثُّرِ بها؛ فإذا كنتَ مُتأثِّراً بهذا النَّوعِ من السِّيَرِ الذَّاتيَّة، ووجدتَ فيها سيرتَكَ الخاصَّة بك؛ فهذا يعني أنَّ فيكَ شيئاً ما يجعلُك تنظرُ إليها بوصفها مثاليَّة.

ج.ب.س: نعم. كنتُ أعرف أنَّ السِّياسة تُكتَبُ أيضاً. وأنَّها لا تتحقَّقُ عبرَ الانتخاباتِ أو الحروب فحسب، بل تُكتَبُ أيضاً؛ ثمَّة كتاباتٌ كانت عبارةً عن مُجرَّدِ هجاءٍ، أو مناقشاتٍ لحدثٍ سياسيٍّ مُحدَّد. كنتُ أنظرُ إليها كرافدٍ للأدب. واعتقدتُ أنَّ عليَّ التَّطرُّقَ إليها أيضاً عندَ نهايةِ حياتي، بعد عجزي تماماً عن صناعةِ الأدب. في كلِّ الأحوال؛ كنتُ أرى حياتي ـ حياتي بشكلٍ

خاصٌ، وليس أعمالي - على هذا النَّحو: انتهيتُ إلى السِّياسة. وجيدGide أيضاً؛ ذهبَ في آخرِ مراحلِ حياته إلى الاتِّحاد السُّوفييتيِّ، كما زار تشاد، وكانت له علاقاتٌ كثيرةٌ مع سياسيِّي فترةِ ما بعدَ الحرب.

س.د.ب: صحيح. أتيتَ على ذكرِ كلمةٍ غريبةٍ؛ قلتَ: كانت السِّياسةُ تبدو لي رافداً. هل تظنُّ أنَّ هذا ما يبقَّى للكاتِب، بعد أن تنضبَ قريحتُه ؟ أم هو نوعٌ من الخاتمة، الَّتي تستحقُّ حضوراً أوسع، وتسمح بالانتقالِ من الكتابة إلى العمل؟

ع.ب.س: كان جيد مُسنّاً، غيرَ قادرٍ على التَّصرُّف، اللَّهُمَّ إلَّا تقديمَ النَّصائحِ للشَّباب، والانخراط في قضيَّة خاصَّة؛ قضيَّة دريفوس، مثلاً، أو فيكتور هيغو الَّذي نفى نفسَه إلى جزيرته بعدَ إدانتِه للإمبراطوريَّة الثَّانية. الحقيقة أنَّهما الاثنان معاً. كنتُ أنظرُ إلى السِّياسة بوصفِها مُرادفاً لهمومِ الكاتب،وفي الوقتِ نفسِه؛ لا يُمكن للسِّياسةِ أن تكونَ قصيدةً أو روايةً، بل هما من السِّياسة. ينبغي على الجانبِ المكتوبِ من السِّياسة أن ينتمي إلى الكاتب. ثمَّ، من جانب آخر، بما أنَّ ذلكَ ينتمي إلى الكاتبِ السَّائر نحوَ الكهولة؛ فهي أيضاً خاتمتُه. إنَّها أقلُّ ممَّا فعلَ في السَّابق. لكنَّها خاتمتُه في الوقت نفسِه.

س.د.ب: إنَّها الانحدارُ والتَّأليهُ في الوقتِ نفسه.

ع.ب.س: هي كذلك. وقد عشتُ هذا ردحاً من الزَّمن، إلى أن بلغتُ سِنَّ النُّضج.

س.د.ب: كُنَّا ما نزالُ في مرحلةِ الطُّفولة. حينما وصلتَ باريس، وانتسبتَ إلى دارِ المعلِّمين، وارتبطتَ بِنيزان، وآخرينَ كانوا مُنخرطينَ في السِّياسة، كما أعتقد.

ع.ب.س: صحيح.

س.د.ب: هل كنتَ سياسيّاً؟، وكيف كنتَ تنظرُ إلى مَنْ كانوا يتعاطَونها؟

ع.ب.س: لا، لم أكنْ منهم، بل أسخرُ من السياسة بطريقةٍ ما؛ لتقديري أنَّها لعبةٌ تقعُ خارجَ حدودِ العملِ في دارِ المعلِّمين. ومن جانبٍ آخر؛ كنتُ

مُعجباً بهؤلاءِ لأنِّي لمْ أكنْ قادراً مثلَهم على الانخراطِ في المناقشات، وتحديدِ أهدافِهم. لكنَّ الأمرَ لم يكنْ يهمُّني. فمثلاً: لم أقتربْ من الاشتراكيَّة الَّتي بَهَرت الكثيرين من رفاقي في دارِ المعلِّمين.

س.د.ب: آرون، على سبيلِ المثال.

ج.ب.س: كان ريمون آرون في البدايةِ اشتراكيّاً، لكنَّه لم يستمرَّ على هذا الموقفِ طويلاً. هؤلاءِ النَّاسُ جميعاً كانوا منشغلينَ بنوعٍ من المجتمعات، ولم أكنْ ضدَّهم، أو معهم. كما لم أكنْ رأسماليّاً، لكنِّي لم أكنْ ضِدَّ الرَّأسماليَّةِ تماماً. إجمالاً؛ كنتُ أعتقدُ أنَّه يمكن أن تكونَ لنا العلاقاتُ نفسُها بالمجتمع. هناك مؤسَّساتٌ على رأسِها رجالُ دولةٍ يعملونَ على تغييرها قليلاً، لكنْ علينا أن نتدبَّرَ أمورَنا إزاءَ المؤسَّساتِ كلِّها. عندئذٍ صارَ لا بُدَّ لي من الدُّخولِ في مجال السِّياسة، وأن أنتسبَ إلى حزبٍ مُعيَّن، وأن يكسبَ هذا الحزبُ الانتخابات. وهو ما لمْ أفكِّر فيه.

س.د.ب: حينما تعرَّفتُ إليكَ؛ كان لديكَ ما كنتَ تُطلِقُ عليهِ جماليَّةَ المعارضة. وتعتقدُ أنَّه من الجيِّد أن يكونَ جزءٌ كبيرٌ من العالم قابلٌ للكراهيَّة، وأن تكونَ فيه بورجوازيَّةٌ، وبشكلٍ عامٍّ، أن يكونَ هناكَ عالمٌ نكرهُه.

ج.ب.س: صحيح.

س.د.ب: وأنَّ دورَ الكاتبِ هو، الوقوفُ في وجهِ هذا العالَم برفضه، وكراهيَّته، ولكنْ من دونِ الذَّهابِ إلى حدٍّ تغييره كثيراً. إذ لو تغيَّر، وأصبحَ كما نُريد له أن يعجبنا؛ فلا نعودُ قادرينَ على كراهيَّته بالطَّريقة نفسِها. ثمَّةَ حالةٌ جماليَّةٌ في موقفِك هذا. ومع ذلك؛ كانت لديكَ بعضُ القناعاتِ المتعلِّقةِ بالمجتمع كما كان عليه.

ج.ب.س: أذكرُ أنَّ أوَّلَ ردودِ فعلي كانَ ضِدَّ المستعمرات، يومَ كنتُ في الخامسةَ عشرةَ من عمري. لأنَّها هيمنةٌ مُخزيةٌ من الدَّولة. ولأنَّها تسبِّبُ

الحروبَ، وهي حروبٌ ظالمة، وتفترضُ غزوَ بلدانٍ بغيةَ الإقامةِ فيها، واستعبادِ أهلِها. كنتُ أرى أنَّ هذه العمليَّةَ مشينةٌ قطعاً.

س.د.ب: لماذا؟ لم يكنْ وسطُكَ هو الَّذي يبثُّ فيكَ هذه الفكرة.

ج.ب.س: لا، بالتَّأكيد. رُبَّما توصَّلتُ إليها من خلالِ القراءاتِ إلى حدٍّ ما في مدينة لاروشيل. حينما كنتُ في الرابعةَ عشرةَ من عمري؛ لم يكنِ النَّاسُ مهتمِّينَ بهذا أبداً.

س.د.ب: إذاً. ثمَّة بالعكس، أسطورةٌ حولَ الدَّورِ التَّمدينيِّ للرَّجل الأبيض. كنتَ شخصاً تعني له الثَّقافةُ كثيراً. أمَا كان لكَ أن تقدِّم مثلَ هذه الأساطير؟

ج.ب.س: لكنِّي لمْ أفعل هذا.

س.د.ب: لماذا؟ حاولْ أن تجدَ السَّبب.

ج.ب.س: كانت ثمَّة شخصيَّةٌ أسطوريَّةٌ، ونحن في السَّنة التَّحضيريَّة، والتَّحضيريَّة المتقدِّمةِ في دار المعلِّمين؛ هي شخصيَّةُ فيليسيان شالاي Félicien Challaye؛ أستاذُ الفلسفةِ الَّذي كان يتحدَّثُ ضِدَّ المستعمراتِ مع التَّلاميذِ؛ فيقنعُهم حديثُه. وسرعانَ ما علمتُ بأمرِ هذا الأستاذ؛ أوَّلاً من خلالِ نيزان الَّذي كان بطبيعةِ الحال؛ مناهضاً للاستعمار، لكنْ ليس بقوَّة؛ لأنَّه كان مُهتمّاً بالقضايا الوطنيَّة.

س.د.ب: من اللَّافتِ ألَّا يكونَ لديكَ، وأنت شابٌّ صغيرٌ، ذلكَ الإحساسُ بتفوُّقِ جنسٍ، أو ثقافةٍ، أو حضارةٍ على أُخرى.

ج.ب.س: ليس لديَّ هذا الإحساسُ على الإطلاق.

س.د.ب: هذا أمرٌ هامٌّ. كيف لم تؤثِّر ثقافتُكَ، والنَّخبويَّةُ الَّتي تربَّيت فيها عليكَ بطريقةٍ ما؟

ج.ب.س: كانت فكرةُ المساواةِ تحتلُّ الأوَّلويَّةَ عندي فعلاً. كنتُ أؤمنُ بأنَّ النَّاس مساوينَ لي. أظنُّ أنَّ هذا يعودُ إلى جدِّيَ الَّذي كان يُصرِّح به بطريقةٍ

حاسمة. فالدِّيمقراطيَّةُ، كما يراها، تقومُ على المساواةِ بين النَّاس. وتكوَّنت عندي، بإدراكٍ عفويٍّ، رؤيةٌ عن الظُّلمِ القائمِ على معاملةِ مَنْ هوَ مثلي على أنَّه أقلُّ أهمِّيَّةً مِنِّي. أذكرُ أنِّي اتَّخذتُ من الجزائر مثالاً وأنا في الرَّابعةَ عشرةَ من عمري، وبقي هذا في ذهني حينما رحتُ أفكِّر في الجزائر لاحقاً، أثناءَ الحربِ معها.

س.د.ب: كان هذا أوَّلَ ردِّ فعلٍ سياسيٍّ مشهودٍ لكَ. وماذا عن استغلالِ العُمَّالِ؛ هل شعرتَ بهِ خلالَ فترةِ شبابِك الأولى؟

ج.ب.س: هذا أمرٌ يصعبُ قولُه. لم أعدْ أذكرُ جيِّداً. كان زوج أُمِّي مديراً لمعملِ اللَّوازمِ البحريَّة في لاروشيل، وتحتَ إمرتِه الكثيرُ من العُمَّال. لا أتذكَّر كيف كنتُ أنظر إلى هذا الأمر. لا بُدَّ أنِّي كنتُ أنظر إليه عبرَ وجهةِ نظرِ زوج أُمِّي الَّذي كان يُعامل العُمَّال بوصفِهم قاصرين، أي معاملةَ مَنْ لم يبلغ العشرين عاماً.

س.د.ب: نعم، كأطفال.

ج.ب.س: كأطفال. بعدها؛ أَحَسَّ بأنَّ الشُّيوعيَّةَ جَرحتهُ، لتناقضها مع حياتِه كلِّها. ولم أكنْ مع قيامِ مجتمعٍ اشتراكيٍّ قبلَ حرب عام ١٩٣٩.

س.د.ب: نعم.

ج.ب.س: أذكرُ أيضاً أنِّي كتبتُ في دفتري، خلالَ تلك الحربِ الغريبة، أنَّه لا ينبغي أن يكون المجتمعُ اشتراكيّاً.

س.د.ب: كنتَ تظنُّ أنَّ العيشَ في مثل هذا المجتمع لا يُطاق.

ج.ب.س: صحيح. بحسبِ ما وصلني من وصفٍ للاتِّحاد السُّوفييتيِّ؛ كنتُ أظنُّ بأنِّي غيرُ قادرٍ على العيش في هذا البلد.

س.د.ب: مع أنَّكَ لم تكن مُرتاحاً في هذا المجتمع البورجوازيِّ.

ج.ب.س: لا. بحيث أنِّي صرتُ أخترعُ مجتمعاتٍ أسطوريَّةً: مجتمعاتٍ خيِّرة ينبغي أن نعيشَ فيها. كان ذلك من غيرِ الواقعيِّ الَّذي أصبح معنى سياستي؛ وهكذا دخلتُ السِّياسة.

س.د.ب: دعنا نبقى في الفترةِ الَّتي لم تصبحْ فيها سياسيّاً بعد. كان لديكَ ردودُ فعلٍ، مع ذلك، ضِدَّ تقسيمِ الطَّبقات؛ أذكر جيِّداً أنَّ أحدَ الأشياء الَّتي كانت تُزعجُ تلك السَّيِّدة وغويل، حينما كُنَّا نتنزَّه معاً في إسبانيا، هو أنَّك قلتَ، على سبيل المثال، في قرية روندا Ronda الإسبانيَّة بقرفٍ وغضبٍ بالغ: كلُّ هذه بيوتٌ للأرستقراطيِّين.. كان ذلكَ يُزعجكَ.

ج.ب.س: كان الأمرُ مُبهماً جدّاً. لا شكَّ أنِّي كنتُ مُعارضاً جدّاً للحياة المفروضة على الكادحين، وأرى أنَّها مُرهِقة، ومن المؤكَّد أنِّي كنتُ إلى جانبهم. لكن مع شيءٍ من الحذر؛ لكوني حتماً ابنَ زوجةِ مدير المعمل.

س.د.ب: تقصدُ حينما كنتَ يافعاً؟

ج.ب.س: نعم، حينما كنتُ في الرَّابعة عشرة من عمري.

س.د.ب: أذكر يومَ كُنَّا في لندن؛ انصبَّ اهتمامُك على قضايا البطالة؛ وأردتَ رؤيةَ الأحياءِ الَّتي يعيش فيها العاطلون عن العمل. أمَّا أنا؛ فكنت أريدُ زيارةَ المتاحف. إنَّ لديكَ بُعداً اجتماعيّاً أكثر منِّي.

ج.ب.س: صحيح.

س.د.ب: حينما بلغتَ السَّنة التَّحضيريَّة، والتَّحضيريَّة المتقدِّمة في دار المعلِّمين؛ كان لرفاقك قناعاتٌ سياسيَّة. وكان الَّذين استمرَّتْ علاقتُك بهم ينتمون إلى اليسار إلى حدٍّ ما. وتحدَّثتَ عن تلاميذ **آلان** الَّذينَ كانوا ينتمونَ تقريباً إلى اليسار، وراديكاليِّين بالمعنى المعروفِ في ذلك الوقت. كان نيزان يساريّاً، ورفاقُك الآخرونَ أيضاً.

ج.ب.س: كانوا جميعاً يساريِّين: اشتراكيُّون، أو شيوعيُّون. وكانَ من الجسارةِ بمكانٍ أن يكونَ المرءُ شيوعيّاً في تلك الفترة.

س.د.ب: لكن، كان في دارِ المعلِّمينَ أيضاً اتِّجاهٌ يمينيٌّ كاثوليكيٌّ قويٌّ، كنتَ شديدَ العداءِ له.

ج.ب.س: نعم، كنتُ شديدَ العِداء لهذا الاتِّجاه.

س.د.ب: لماذا؟ أظنُّ أنَّه موقفٌ من الأخلاقِ في الوقت نفسه.

ج.ب.س: صحيح. بالنِّسبة للأخلاق؛ كنتُ إلى اليسار بشكلٍ واضح، ومُناهضاً للمسيحيَّة، على سبيل المثال؛ هل تعرفينَ أنَّني قرَّرتُ، وأنا في الثَّانية عشرة من عمري، أنَّ اللهَ غيرُ موجود، ولم أرجعْ عن هذا القرار أبداً. وهو ما قادني إلى مراجعةِ ماهيَّةِ فكرةِ الدِّين. وقد قادني التَّعليم المدرسيُّ للأديان: الأديان القديمة، والكاثوليكيَّة، والبروتستانتيَّة إلى اعتبارِ الدِّين مجموعةً من التَّعاليم، والوصايا، والأخلاق المتغيِّرة من بلدٍ لآخر ولا علاقة لها أبداً بالله؛ اللهُ غير موجود؛ وبالتَّالي، لم أكن مُتديِّناً، وكنتُ أنفرُ من اتِّجاهاتِ المؤمنين المتفائلة كلِّها، ظنّاً منِّي أنَّهم على خطأ.

س.د.ب: كنتَ من حيثُ المبدأ مع حُرِّيَّةِ الأخلاق.

ج.ب.س: صحيح.

س.د.ب: وماذا عن حُرِّيَّةِ الكلام؟

ج.ب.س: كنتُ معَ حُرِّيَّةِ الكلام.

س.د.ب: هل يمكنُ وصفُ مجموعِ قناعاتِكَ الميتافيزيقيَّة، أو الدِّينية بمثابةِ نوعٍ من الفردانيَّة اليساريَّة؟

ج.ب.س: هي كذلك؛ نعم فردانيَّة يساريَّة. كان للفردِ أهمِّيَّة أكبرُ ممَّا هي عليه لاحقاً. فضلاً عن أنِّي كنتُ أعيشُ في عالم من الفردانيَّة؛ فقد كان جَدِّي فردانيّاً، واكتسبتُ أخلاقاً فردانيَّةً، وكان نيزان فردانيّاً...

س.د.ب: صحيح، ماذا عن نيزان... متى انتسبَ إلى الحزب الشُّيوعيِّ؟

ج.ب.س: انتسبَ إليه مرَّتين. في السَّنة التَّحضيريَّة، وفي السَّنةِ الَّتي تليها في دارِ المعلِّمين، بعدها عادَ إلى اليمين إلى حدٍّ ما. ثمَّ عاد لينتسبَ إلى الحزب الشُّيوعيِّ في السَّنة الثَّانية من دراستِه في دار المعلِّمين.

س.د.ب: ألم يحاول الضَّغطَ عليكَ للَّحاقِ به؟

ج.ب.س: لا، أبداً.

س.د.ب: ورفاقك الآخرون، على سبيل المثال، الاشتراكيُّون، ألم يحاولوا إدخالَك في عقيدتهم؟

ج.ب.س: لا. لكن إن سألتهم كانوا يعرضون عليَّ ما يفعلونه ويشعرون به. وكانت لي الحرِّيَّةُ في أن أنضمَّ إليهم أم لا. كانوا ينظرون إليَّ بأنِّي شخصٌ يمكن أن يتَّجه نحوَ الاشتراكيَّة عاجلاً أم آجلاً، لكنَّهم لم يكونوا قادرينَ على إجباري.

س.د.ب: متى قرأتَ ماركس للمرَّة الأُولى؟

ج.ب.س: في السَّنةِ الثَّالثة من دار المعلِّمين. في الثَّالثة والرَّابعة.

س.د.ب: ما هو الأثرُ الَّذي تركَه فيكَ؟

ج.ب.س: أثرُ عقيدةٍ اشتراكيَّة، وجدتُها مدروسةً جيِّداً. قلتُ لكِ إنِّي كنتُ أريدُ فهمَه، فلم أفهم شيئاً: لم أرَ فيه المعنى الَّذي كان له في تلك الفترة. كنتُ أفهم الكلمات، والأفكار؛ لكنِّي لم أفهم إمكانيَّة تطبيقِها على العالم الحاليِّ، وما هو المعنى الرَّاهن لفكرةِ فضلِ القيمة.

س.د.ب: ألم يؤثِّر فيكَ هذا؟

ج.ب.س: لا. لم تكنِ المنظومةُ الاشتراكيَّةُ الوحيدةَ الَّتي أُتيح لي قراءتها...

س.د.ب: نعم، ولكنَّ المنظوماتِ الأُخرى كانت طوباويَّة، أمَّا هنا؛ فثمَّة تحليلٌ للواقع.

ج.ب.س: صحيح، لكن كانَ يجب أن أكونَ مجنوناً لكي أُميِّزَ الطُّوباويَّ من غير الطُّوباويِّ.

س.د.ب: أي إنَّه لم يتركْ فيكَ أثراً مُرضياً؟ أنا شخصيّاً؛ لم أفهمْ ماركس جيِّداً، لكن لديه مفهومُ فضلِ القيمة الَّذي شكَّلَ صدمةً لي عندما كنتُ في

الثَّامنة عشرة من عمري. فهمتُ الاستغلالَ والظُّلمَ بطريقةٍ مُبهمة، لأنِّي كنتُ أرى أنَّ الأغنياءَ، والفقراءَ، والمستغَلّين، إلخ؛ موجودون، وهو ما رأيته مُنظَّماً لدى ماركس، فأدهشني كثيراً.

ج.ب.س: فهمتُهُ، لكنِّي لم أحسَّ به. كنتُ أعتبر من المهمِّ أنَّ النُّصوصَ الَّتي أقرأها مُفيدة. لكنِّي لم أشعرْ بصدمةٍ، لوجود أشياء كثيرة كان عليَّ قراءتُها في تلك الفترة.

س.د.ب: هل تقصد أنَّه كان لديكَ أشياءٌ فلسفيَّةٌ كثيرةٌ متنوِّعة؟

ج.ب.س: صحيح.

س.د.ب: هل تتذكَّرُ مشاركتَك السِّياسيَّةَ الأُولى في...

ج.ب.س: مُبهمة. الطَّريقةُ الَّتي قضيتُ من خلالِها حياتي السِّياسيَّة قبل عام١٩٣٩، من النَّاحية السِّياسيَّة، شديدةُ الإبهام.

س.د.ب: هل تشكَّلت لديكَ، مع ذلك، بعضُ الأحاسيس السِّياسيَّة؟

ج.ب.س: نعم، ابتداءً من رئاسةِ دوميرغ Doumergue[1].

س.د.ب: المرَّةَ الأُولى الَّتي أتينا فيها إلى إيطاليا، تكوَّنَ لديكَ إحساسٌ سياسيٌّ غيرُ مُحبَّب، وحينما ذهبتَ إلى برلين؛ كان المهمُّ بالنِّسبة إليكَ هو دراسةَ الفلسفةِ، لكنَّك مع ذلك كنتَ مُتحسِّساً من وجودِ النَّازيِّين S.A. في الشَّوارع.

ج.ب.س: نعم. كنتُ معادياً للنَّازيَّة، وأكره الفاشيِّين. أتذكَّر أنِّي رأيتُ فاشيِّين يسيرونَ في سيين Sienne، على شكلِ مجموعةٍ يرأسها قائدٌ ضخمٌ منتفخ، بقميصه الأسود، أرعَبَني منظرُه.

---

(١) غاستون دوميرغ (١٨٦٣- ١٩٣٧): رئيس الجمهوريَّة الفرنسيَّة ١٩٢٤-١٩٣٧.

س.د.ب: كان ذلكَ أوّلَ شرخٍ بينَك وبينَ كلٍّ من مدام موريل وغويل. يومَها؛ وجدنا من الطَّبيعيّ جدّاً أن يذهب غيراسي بوصفه إسبانيّاً وجمهوريّاً، إلى الحرب، حتَّى وإن لم يكن قادراً على القتال. بينما كان غويل وتلك السَّيِّدة يقولان: عليه أن يفكِّر بزوجته وطفله. وهو ردُّ فعلٍ يمينيّ؛ كانا مع الجمهوريَّة، طبعاً، لكن طالما بقيت الجمهوريَّة ديمقراطيَّةً ليبراليَّةً قمعيَّةً إزاءَ العُمَّال. لكنَّهما لم يكونا راغبَين في أن تبلغَ الأمور هذا الحدّ. وثارت ثائرتُنا ضِدَّ بلوم Blum لأنَّه لم يقدِّم أسلحةً إلى إسبانيا، في الوقت الَّذي كانت إيطاليا وألمانيا تُقدِّمان السِّلاحَ، لا سيما إيطاليا. يومَها كُنَّا نؤمنُ بسياسة التَّدخُّل.

ج.ب.س: صحيح.

س.د.ب: ثمَّ، جاءت الجبهةُ الشَّعبيَّة.

ج.ب.س:كان حالُنا غريباً في تلك السَّنوات؛ إذ لم يكن لدينا الانطباعُ بأنَّنا نتعاون مع هذا التَّشكيلِ السِّياسيّ، أي الجبهةِ الشعبيَّة، بل نسيرُ إلى جانبِها.

س.د.ب: أوضحْ لي هذا بشكلٍ أفضل.

ج.ب.س: نشأت الجبهةُ الشَّعبيَّة، وارتبطَ بها أُناسٌ قليلونَ أو كثيرونَ. لكنَّنا لم نكنْ من هؤلاء. كُنا مسرورينَ لنجاحِ الجبهةِ الشَّعبيَّةِ، وتعاطفنَا مع جماعتِها، لكنَّنا كُنَّا مُجرَّدَ مُتفرِّجين، لأنَّنا لم نكنْ نفعلُ شيئاً من أجلِها.

س.د.ب: ثمَّةَ شيءٌ أبعدَنا عن غويل وتلك السَّيِّدة: عندما بدأ العُمَّالُ إضراباتِهم؛ كان غويل يرفضُها بحجَّةِ أنَّها يعيقُ عملَ بلوم؛ كان راضياً عن بلوم طالما أنَّه يعمل على تحقيقِ النِّظام، ولا يسمح للعُمَّال باتِّخاذِ قراراتِهم بأنفسهم. بينما كُنَّا متطرِّفين، وراديكاليِّين جدّاً، على طريقة: «كلُّ السُّلطة للسُّوفييت». كُنَّا ننظرُ إلى إدارة المصانعِ من العُمَّال، وتقديم النَّصائح إليهم أمراً جيِّداً. كُنَّا من النَّاحية النَّظريَّة، مُتطرِّفين بقدرِ ما أمكنَنا ذلك.

ج.ب.س: صحيح، كُنَّا متطرِّفين، من دون أن نفعلَ شيئاً... وآخرون، مثل كوليت أودري[1] Colette Audry انهمكوا في السِّياسةِ اليساريَّة. لم يكونوا يقومون بأشياء كبيرة؛ لأنَّ لا أحدَ كان بإمكانِه تقديمُ الشَّيء الكثير، لكنَّهم كانوا يعملون، أمَّا نحنُ فلا.

س.د.ب: في تلك الفترة؛ لم تكُنْ أحداً، وليسَ لاسمِك أيُّ وزن، ولا تنتمي إلى أيِّ حزب، لأنَّك لم تكنْ راغباً في ذلك، ولم تكنْ قد نشرتَ **الغثيان** بعد. أي؛ لم تكن **أيَّ شخص**. فضلاً عن هذا؛ كانت مزاعمُ المثقَّفين الملتزمين تُثيرُ الضَّحكَ فينا. لكنَّكَ كنتَ تتابعُ الأحداثَ باهتمامٍ كبير. وغالباً ما كانت الأحاديث مع غويل، وآرون، وكوليت أودري؛ سياسيَّةً، ولم تكن ذلكَ النَّوعَ من النَّاسِ المنغلقينَ على أنفسِهم في برجهم العاجيِّ، لا تعني لهم هذه الأمور شيئاً.

ج.ب.س: قطعاً لا. كان هذا يهمُّني جدّاً؛ فقد كانت هي الحياة اليوميَّة، وهي ما كان يحدثُ معي شخصيّاً.

س.د.ب: كيف كانَ ردُّ فعلِك على التَّهديدِ الكبيرِ بالحرب في عام ١٩٣٨، وبعدَها في ميونيخ؟

ج.ب.س: وقفتُ مع مقاومةِ التشيكوسلوفاكيِّين، ومن ثمَّ ضِدَّ تخلِّي القوى المتحالفة مع تشيكوسلوفاكيا عنها. ومع هذا؛ فقد تنفَّستُ الصُّعداءَ بعد ميونيخ بسببِ ابتعادِ الحرب. لكنَّنا، أنتِ وأنا، كُنَّا متشائمَين، ظنّاً مِنَّا أنَّ الحربَ قريبة.

س.د.ب: كنتُ أكثرَ ارتياحاً منكَ، وأكثرَ جُبناً، أكثرَ خوفاً من الحرب، وجرت مناقشات بيننا حيث كنتُ أستعيدُ حججَ آلان السِّلميَّة؛ كنتُ أقول لكَ إنَّ الراعيَ في منطقة لاند لا يأبه لِهتلر، وكنتَ تجيبني: غيرُ صحيح أنَّ راعيَ لاند

---

(١) كوليت أودري (١٩٠٦-١٩٩٠): كاتبة مسرحيّة، وروائيّة، وناشطة نقابيّة، ومقاوِمة.

لا يأبه، بل سيشعر بأنَّه معنيٌّ بانتصارِ هتلر، وأنَّكَ لم تكنْ تريد أن تُقتلَع عينا نيزان بالملعقة الصَّغيرة، ويجبروك على حرقِ مخطوطاتِك. كنتَ مع الحربِ بشكلٍ عنيفٍ جدّاً، لا أدري إن كان ذلكَ في فترةِ انعقادِ مؤتمرِ ميونيخ، أو بعدَه بعام؛ كنتَ تظنُّ أنَّهم لم يسمحوا لِهتلر بالانتصار، ولا يمكنهم الانتظارَ حتَّى يكسب هتلر الحرب. ما الَّذي دفعكَ إلى عدمِ الوقوعِ في التَّوجُّه السّلميِّ الَّذي وقَعَ فيه الكثيرُ من تلاميذِ آلان، على سبيل المثال، وحيث كنتُ على وشكِ الوقوعِ فيه، أي في عدمِ الإحساس بالمسؤوليَّة، بطبيعة الحال؟

ج.ب.س: السبَّب، على ما أظنُّ، هو أنَّه لم تكن لديَّ سياسةٌ؛ فالمرءُ يمارس السّياسةَ إذا رفضَ أو قَبِلَ إعلانَ الحرب، أو كان بينَ النَّاسِ الَّذين يقرِّرون القتالَ، أو المقاومةَ وعدم القتال: للمرءِ خطُّ سيرٍ مرسوم. أنا؛ لم يكن أمامي خطُّ سيرٍ مرسوم. كنتُ شديدَ العداءِ لِهتلر، منذُ تسلُّمِه السُّلطة؛ فموقفُه من اليهود لم يكن يبدو لي مقبولاً.كنتُ أظنُّ بأنَّه لن يبقى زعيمَ دولةٍ مجاورةٍ إلى الأبد. بالنَّتيجة، حينما اندلعت قضيَّة دانتزيغ Dantzig، بلْ قبلَها، في حوالي شهر آذار من ذلك العام، كنتُ ضِدَّ هتلر. بعد ميونيخ؛ شعرتُ بالارتياحِ الَّذي شعرَ به الجميع، من دونِ أن أدركَ أنَّه ارتياحٌ يقتضي سياسةَ انخراطٍ دائمٍ في ما يفعله هتلر. الارتياحُ كان موقفاً ينبغي رفضُهُ. ولم يستمرَّ ارتياحي هذا طويلاً. لقد شعرتُ بتناقضٍ مع نفسي؛ كنتُ ضِدَّ مؤتمر ميونيخ بطريقةٍ ما، لكنِّي ارتحتُ لانعقاده؛ إذ إنَّ الحربَ تراجعت قليلاً. وخلالَ تلك السَّنة؛ أصبحَتْ بولونيا النُّقطةَ المركزيَّة في مشاريع هتلر. وبحسب ما سمعتُه بعدَ ذلك، وعرفتُهُ في تلكَ الفترةِ من خلالِ قراءتي لكتابِ ج.فيست J.Fest[1]؛ هو أنَّ هتلر نفسَه لم يكن قد قرَّرَ خوضَ الحربِ تماماً، ولم يكن يعرفُ موعدَها بالضَّبط. وحينما قامَ بفعله في بولونيا؛ كان واثقاً من أنَّه سيُبقي إنجلترا،

(١) جواشيم فيست (١٩٢٦-١٩٧٣): مؤرّخ ألمانيّ.

وفرنسا في المحصِّلة، خارجَ الحرب. ونحن، كُنَّا مقتنعين بوجوبِ مقاومةِ أزمةِ بولونيا وسعيِ هتلر إلى ضمِّ هذا البلد، وإلَّا ضاعَ كلُّ شيء.

س.د.ب: باسمِ ماذا؟ هل كان هذا باسمِ الأخلاق، وهل كنتَ ترى في هذا ظلماً؟

ج.ب.س: باسمِ تصوُّرٍ سياسيٍّ غامضٍ كان لديَّ، ليس اشتراكيّاً، بل جمهوريّاً. ولو كان جَدِّي حَيّاً لفعلَ ما فعلتُ، ورفضَ ما حدث، لأنَّه اغتصابٌ، وعدوان.

س.د.ب: هل هذا الموقف، الَّذي كان يستشفُّ ما يمكن أن يكونَ عليه العالمُ لو حكمَه هتلر، أخلاقيّاً أم سياسيّاً؟

ج.ب.س: هو هذا. قوَّةُ هتلر كانت تتنامى كلَّ يوم، ولو تُرِك يفعل ما يشاء؛ لأصبحَ سيِّدَ العالم في نهاية الأمر. أو سيِّدَ أوروبًا على الأقلِّ. وهذا ما لم يكنْ بالإمكانِ احتمالُه؛ ثمَّةَ أشياءُ بسيطة جعلتني أقفُ ضدَّه، مثل إحساسي بالحرِّيَّةِ، الذي يشاركني فيه الفرنسيُّون كلُّهم، أي نوع من الحرِّيَّةِ السِّياسيَّة. ومع أنِّي لم أكن ناخباً حتَّى تلك الفترة (يجب أن تعرفي أنَّني لم أكن أقترع. ولمْ أفعل هذا قبلَ نهايةِ الحرب). لذلكَ كُنَّا حريصين على جمهوريَّتنا؛ لإيمانِنا بأنَّها تعني حُرِّيَّةَ النَّاس، الَّتي نجدها في الاقتراع.

س.د.ب: ولمَ هذا الحِرص، مع أنَّك لا تقترع؟

ج.ب.س: كنتُ حريصاً على أن يقومَ الآخرون بالاقتراع. كنتُ أظنُّ بأنِّي سأتمكَّن من الاقتراعِ إذا جاءت مناسبةٌ هامَّة. لا شيءَ كان يمنعني، لكن ببساطة، الأمرُ لم يكن يهمُّني. وكانت الجمعيَّات الوطنيَّة (البرلمانات) الَّتي حكمَت بينَ الحربين تبدو لي هزليَّة.

س.د.ب: لكن، لماذا بقيتَ حريصاً على أن تستمرَّ هذه الجمعيَّات الوطنيَّة في عملها؟

ج.ب.س: كنتُ أظنُّ أنَّ عليها الاستمرارَ في تلك الفترة، فأنا لستُ ضِدَّ الدَّستور. بل ثمَّة مشكلةٌ في العالم السِّياسيِّ الهزليِّ الَّذي وُجدتُ فيه.

س.د.ب: عالمٌ هزليٌّ، وعالمُ طبقات. عالمٌ كان الحاكمونَ فيه يدافعون عن الطَّبقاتِ الغنيَّة.

ج.ب.س: لم أكنْ أظنُّ أبداً أنَّ هذا الأمرَ رهنٌ بالانتخابات والجمعيَّات الوطنيَّة (البرلمانات). كنتُ أظنُّ أنَّه يمكن إجراءُ انتخاباتٍ تتوافقُ فعليّاً مع السُّكَّان. لم أكنْ أفكِّرُ، كما تعرفينَ، بصراعِ الطَّبقات. ولم أفهم صراعَ الطَّبقاتِ إلَّا في وقتِ الحربِ، وبعدَها.

س.د.ب: كنتَ تفهمُها وأنتَ صغيرٌ جدّاً، إذ حينما نشأَتِ الجبهةُ الشعبيَّةُ كُنَّا مسرورين جدّاً لانتصارِ العُمَّال، وكُنَّا نوزِّع المالَ على المضرِبين.

ج.ب.س: صحيح. لكنِّي لم أكنْ أرى في الجبهةِ حركةً تضعُ طبقتين في مقابل بعضِهما، أعني الطَّبقة البورجوازيَّة، والطَّبقة الكادحة، وأنَّهما متقابلتان تاريخيّاً.

س.د.ب: تسرَّعتَ بالقولِ إنَّك لم تكن واعياً لصراعِ الطَّبقاتِ.

ج.ب.س: لقد نشأتُ في وسطٍ بورجوازيٍّ، لم يسمع حتَّى عن صراعِ الطَّبقات. أُمِّي، وجَدِّي لم يكونا يعرفان ما هو صراعُ الطَّبقاتِ هذا. وبالنَّتيجة؛ فقد كنتُ أنظرُ إلى جاري بوصفِه إنساناً مثلي، سواءٌ أكانَ كادحاً أم بورجوازيّاً. لم أكنْ أتصوَّر أبداً هذه التَّمييزات الَّتي بدت لي لاحقاً أنَّها بالغةُ الأهمِّيَّة.

س.د.ب: لكنْ إجمالاً؛ كنتَ تستقبحُ البورجوازيَّة. أليسَ كذلك؟

ج.ب.س: صحيح، لكنِّي لم أكُنْ أستَقبُحها بوصفِها طبقة. فالنَّاس الَّذين يظنُّون أنفسَهم بورجوازيِّين في عام ١٩٢٠ أو عام ١٩٣٠؛ لم يكونوا ينظرونَ إلى أنفسهم بوصفِهم طبقة، بل يعدُّون أنفسَهم من النُّخبة البورجوازيَّة، ويتمثَّلون الأخلاقَ البورجوازيَّة. لكنِّي لم أكنْ أرى في هذا طبقة، طبقةً مالكة، تقمعُ الشَّعب؛ كنتُ أنظرُ إلى هؤلاءِ بوصفهم أُناساً بلغوا، عبرَ بعضِ المواصفاتِ، نوعاً من الواقعِ النُّخبويِّ وهيمنوا على الآخرين. كُنَّا نفتقرُ إلى فكرة الطَّبقة. وأنتِ كذلك، كنتِ تفتقرين إليها.

س.د.ب: لا أرى هذا صحيحاً جدّاً. فقد كُنَّا نعرف، بشكل جيِّد جدّاً، أنَّ حرب إسبانيا كانت تعبيراً عن صراعِ الطَّبقات.

ج.ب.س: نعم، كُنَّا نعرف هذا. وهذه الكلماتُ لم تكنْ غريبةً عنَّا. نيزان كان يتحدَّثُ عن الطبقاتِ كشيوعيّ. لكن بوصفِها مفهوماً، لم نكنْ قد فهمناها بعد. بدأ اهتمامي بصراعِ الطَّبقاتِ خلالَ الحربِ وبعدَها.

س.د.ب: لكن، حينما كُنَّا نقرأ كتاب جوريس Jaurès: **تاريخ الثَّورة الفرنسيَّة...**

ج.ب.س: حدث هذا في ما بعد. في عامي ١٩٣٧و١٩٣٨.

س.د.ب: في تلك الفترةِ كُنَّا نفهمُ جيِّداً الثَّورة من خلالِ صراعِ الطَّبقات.

ج.ب.س: صحيح، لكن لم تكنْ ثمَّة بروليتاريا (طبقة كادحة) موجودة في تلك الفترة. بل كُنَّا نعيش انتصارَ البورجوازيَّة والثَّورة. كان الأمرُ مختلفاً. لهذا جرى تعليمُها بكثيرٍ من الأُبَّهَة في مدارسِنا.

س.د.ب: إن كنتُ أتحدَّثُ عن كتابِ جوريس (الثَّورة الفرنسيَّة)، فذلك لأنَّه يشدِّد كثيراً على الجانب البورجوازيِّ الَّذي لا يبلغ حدَّ جَذْرَنَةِradicaliser الأشياء، ويترك ما كان يُسمَّى بالشَّعبِ خارجَ انتصارِ البورجوازيَّة. أظنُّ أنَّكَ تبالغ، وتُبسِّط الأمورَ قليلاً. كنتَ تعرفُ ما هو صراعُ الطَّبقات، أليس كذلك؟

ج.ب.س:كنتُ أعرفهُ، لكنِّي لم أستخدمْ هذا المفهوم. ولم أُفسِّر حركةً تاريخيَّةً بوصفها تعارضاً بين الطَّبقات.

س.د.ب: لكن حينما كُنَّا نقرأُ كتابَ ليساغاراي Lissagaray[1] الموسوم: **تاريخ الكومونة**؛ كُنَّا نعرف جيِّداً أنَّ الحديثَ يدور حولَ صراعِ الطَّبقات.

---

(١) بروسبير-أوليفييه ليساغاراي (١٨٣٨-١٩٠١): صحفيّ، ومحاضر أدبيّ فرنسيّ.

ج.ب.س: كُنَّا نعرف، لكنَّه كان تفسيراً مقبولاً في بعض الحالات. وليسَ في حالاتٍ أُخرى. لم يكن بإمكانِنا حتماً اختزالُ التَّاريخِ بصراعِ الطَّبقات. لم تكوني تظنِّينَ أنَّه يُمكن تفسيرُ التَّاريخ اليونانيّ ـ الرُّومانيّ، أو تاريخَ **المنظومة القديمة** Ancien Régime بوصفِه تاريخَ طبقاتٍ مُتصارعة.

س.د.ب: لا نعرفُ بعدُ إلى أيِّ درجةٍ ينبغي ألَّا نرى في التَّاريخ سوى صراع الطَّبقات. فالحرب الإسرائيليَّة ـ العربيَّة، على سبيل المثال، شيءٌ مختلف.

ج.ب.س: كنتُ سأقول لكِ هذا. فقد عرفنا أنَّ صراعَ الطَّبقات أساسيٌّ بعد عام ١٩٤٥، وخلالَ الحرب، وبعد عام ١٩٤٥. وكُنَّا نعدُّهُ أحدَ الأسبابِ الأساسيَّة للأحداثِ التَّاريخيَّة، لكن هناكَ أسبابٌ أُخرى أيضاً.

س.د.ب: كيفَ انتقلتَ من مفهومٍ مُعيَّنٍ، كنتَ تعرفهُ من دون أن تستخدمَه، لصراعِ الطَّبقات، إلى مفهومٍ لصراعِ الطبّقات؛ صارَ بالنسبة إليكَ تفسيراً أساسيّاً للعالم؟

ج.ب.س: كلُّ شيءٍ تغيَّرَ مع بدايةِ الحرب؛ حينما كنتُ على تواصلٍ مع رجال آخرين مرتبطين بي لأنَّهم كانوا جزءاً من الكتيبة نفسِها، ورأيتُ كيف ينظرونَ إلى العالم، كان هناك احتمالان؛ الأوَّل: انتصارُ هتلر، والثَّاني: هزيمة هتلر. بعد أن ذهبتُ إلى الحرب لثلاثةِ أشهر، أو ستَّة أشهر مثلَ جميع الفرنسيِّين؛ بدأتُ بالتَّفكير في ماهيَّةِ الكينونةِ التَّاريخيَّة، ماذا يعني أن أكونَ جزءاً من تاريخٍ تُقرِّرُهُ، في كلِّ لحظةٍ، وقائعُ جماعيَّة؟ هذا ما خلقَ عندي الوعيَ بما هو عليه التَّاريخ بالنِّسبة لكلٍّ مِنَّا. كلٌّ مِنَّا هو التَّاريخ؛ لا شكَّ أنَّ تلكَ الحربَ الغريبة، أي المواجهة بينَ جيشين لا يتحرَّكان عملياً، هيَ الَّتي فتحَت عينيَّ.

س.د.ب: لا أرى كيفَ يمكن لهذا أن يعطيكَ معنى صراعِ الطَّبقات.

ج.ب.س: لم أقُلْ: صراع الطَّبقات، بل أتحدَّث عن التَّاريخ.

س.د.ب: آه، نعم ! التَّاريخ.

ج.ب.س: في الحقيقة أنَّني لم أعُدْ أنتمي إلى نفسي منذُ بداية عام ١٩٣٩. اعتقدتُ أنِّي عشتُ حتَّى ذلك الوقت، حياةَ فردٍ حُرٍّ تماماً. فكنتُ أختارُ ملابسي، وطعامي، وكتبتُ بعضَ الأشياء. إذاً؛ كنتُ أرى أنِّي إنسانٌ حُرٌّ في مجتمعٍ، ولم أكنْ أرى على الإطلاق أنَّ هذه الحياةَ مشروطةٌ تماماً بوجود هتلر والجيوشِ الهتلريَّة في مقابلنا. فهمتُ بعدَها، وحاولتُ التَّعبيرَ عن هذا الفهمِ لاحقاً في روايتي (الجزء الأوَّل من **دروب الحُرِّيَّة**، وفي قليلٍ من الجزء الثَّاني). إذاً؛ كنتُ هناكَ بملابسي العسكريَّة الَّتي لم تكنْ تناسبني تماماً، بين أشخاصٍ آخرين يرتدون مثلَها. لم تكنِ العلاقةُ بينَنا علاقةٌ عائليَّة، ولا علاقةُ صداقة، بل علاقةٌ هامَّة. كان لنا أدوارٌ نقوم بها أُنيطَت بنا من الخارج. كانت تنطوي مُهمَّتي على رميِ البالونات والنَّظر إليها من خلالِ منظارٍ مُكَبِّر. أعلموني بهذا عندما لم أكنْ أفكِّر أبداً باستخدامِه خلالَ خدمتي العسكريَّة. وكنتُ هناك، للقيامِ بهذهِ المهنةِ مع أُناسٍ آخرينَ مجهولينَ يقومون بهذه المهنةِ مثلي، ويساعدونني على القيامِ بها، وكانوا ينظرون إلى بالوناتي وهي تتطاير في الغيوم. كان يجري هذا على بُعد بضعِ كيلومترات من الجيشِ الألمانيِّ؛ حيث كان أُناسٌ مثلُنا يتهيَّؤون للقيامِ بهجوم. كان هناكَ حدثٌ تاريخيٌّ حتماً. فجأة وجدتُ نفسي في كتلةٍ أُعطِيْتُ فيها دوراً مُحدَّداً وغبيّاً أقوم به، وأنِّي كنتُ ألعبُ في مقابلِ أُناسٍ آخرين يرتدونَ مثلي ملابسَ عسكريَّة، وينطوي دورُهم على إفشالِ ما كُنَّا نقومُ به، والهجوم علينا في نهايةِ الأمر.

تكوَّنَ وَعيِي الثَّاني الأهمُّ بعدَ الهزيمةِ والأسر؛ بدءاً من لحظةٍ مُعيَّنة، أُبعِدتُ نحوَ مواقعَ أُخرى مع رفاقي؛ ووصلنا في شاحنة إلى إحدى المدن. واستقرَّينا فيها. كُنَّا ننامُ في بيوتِ الأهالي، وتعاملنا مع ألزاسيِّين مختلفي العقليَّاتِ. أتذكَّرُ فلَّاحاً ألزاسيّاً كان مع الألمان، ويتبنَّى نظريَّاتٍ مواليةً لهم في مقابلنا. كُنَّا ننامُ هناك، ثمَّ نذهب من دونِ أن نعرفَ إن كُنَّا سنُفلِتُ من الجيش

الألمانيّ أم لا. اقتربَ الألمانُ منّا. وذاتَ مساءٍ سمعنا صوتَ المدفعيَّة وهي تطلق النَّار على إحدى القُرى البعيدة عَنَّا حوالي عشرة كيلومترات. ونراها على الطَّريق المستوي بوضوحٍ إلى حدٍّ ما، وكُنَّا نعرفُ أنَّ الألمانَ سيصلونَ غداةَ اليومِ التَّالي. وهنا أيضاً تأثَّرتُ بقوَّةٍ بهذه الوقائعِ الصَّغيرة الَّتي لا أجدُها، من النَّاحية التَّاريخيَّة، في أيِّ كتابٍ تعليميٍّ، أو في أيِّ كتابٍ يتحدَّث عن تاريخِ الحرب؛ قريةٌ صغيرةٌ كانت تتعرَّضُ للقصف؛ وأُخرى بانتظار الاحتلال. كان ثمَّة أُناسٌ محاصرين هناكَ بانتظارِ أن يهتمَّ الألمانُ بهم. توجَّهتُ للنَّوم. تخلَّى عَنَّا ضُبَّاطُنا الَّذين راحوا يتنزَّهون في غابةٍ؛ يرفعونَ رايةً بيضاءَ فوقَ رؤوسِهم، بعد أن وقعوا في الأسرِ مثلنا، لكن في ساعاتٍ مختلفة. بقينا بينَ جنودٍ ورُقباء، ونمنا، وفي اليوم التَّالي؛ سمعنا أصواتاً وطلقاتٍ ناريَّة، وصرخات؛ ارتديتُ ملابسي سريعاً، وأنا أعرفُ أنَّني سأقعُ في الأسر؛ خرجتُ؛ كنتُ قد نمتُ في بيت فلَّاحين كانوا في السَّاحة؛ خرجتُ وأنا أتذكَّرُ ذلكَ الانطباعَ الغريبَ الَّذي كان ينتابني بأنَّني بصددِ تمثيلِ مشهدٍ سينمائيٍّ، وأنَّ ما أنا فيه كان حقيقيّاً. كان مدفعٌ يُطلق النَّار على الكنيسة، حيث يوجد فيها، من دون شك، مقاومونَ وصلوا عشيَّةَ اليومِ السَّابق؛ كنتُ أكيداً أنَّ هؤلاءِ النَّاسَ ليسوا من جماعتنا؛ لأنَّنا لم نكن نفكِّر بالمقاومة، لا فتقارنا إلى الوسائل اللَّازمة لذلك. اجتزتُ السَّاحةَ تحتَ بنادقِ الألمان، لأذهبَ إلى حيثُ كنتُ؛ دفعوني، ووضعوني ضمنَ مجموعةٍ كبيرة من الأولادِ الَّذين كانوا بصددِ الانتقال إلى ألمانيا. رويتُ هذا في روايتي الموسومة **الموتُ في النفس**، لكنِّي نسبتُها إلى برونيه Brunet. سِرنا دونَ أنْ نعرفَ ما سيفعلونه بنا. بعضُنا كان يأمل في أنَّهم سيُعتِقونَنا بعدَ ثمانية أيَّام أو خمسة عشر يوماً. كُنَّا في ٢١ حزيران، يومَ ولادتي من جهة، ويومَ وقفِ إطلاقِ النَّار من جهة أُخرى. تمَّ اعتقالُنا بعد ساعاتٍ من وقفِ إطلاقِ النَّار. اقتادونا إلى ثكنةٍ للدَّرك، وهناك عرفتُ معنى

الحقيقة التَّاريخيَّة؛ عرفتُ أنّي كنتُ أحداً ما يعيش في أُمَّةٍ مُعرَّضةٍ لأخطار مختلفة، وأنَّ هذا **الأحدُ ما**، كان عرضةً لتلكَ الأخطار. كان ثمَّةَ نوعٌ من الوحدةِ بين الرِّجالِ الموجودين؛ وحدة حولَ فكرةِ الهزيمة، فكرةٌ أن يكونَ المرءُ سجيناً، وكانت تلك الفكرةُ تبدو أهمَّ بكثير من غيرِها. وبدا لي كلُّ ما تعلَّمتُهُ، وكتبتُهُ خلالَ السَّنواتِ السَّابقة بلا قيمة، بل ومن دونِ مضمون. كان لا بُدَّ أن نكونَ هناك، نأكلُ حينما يقدَّمُ لنا الطَّعام، وهو ما كان نادراً جدّاً؛ إذ مرَّتْ علينا أيامٌ لم نأكلْ خلالَها شيئاً؛ لأنَّ عددَ السُّجناءِ لم يكنْ مُتوقَّعاً. كُنَّا ننامُ في تلكَ الثُّكنةِ فوقَ الخشب.

س.د.ب: كان ذلكَ في مدينةِ باكارات Baccarat، أليسَ كذلك؟

ج.ب.س: صحيح. فوقَ خشبِ القاعاتِ المختلفة. أمَّا أنا؛ فقد كنتُ في مخزنِ العَلَف مع عددٍ كبيرٍ من الأصحاب مفترشين الأرض. كدتُ أُجَنُّ من الجوعِ خلالَ يومين أو ثلاثة، كغيري من جيراني. ونهذي لافتقارنا إلى أيِّ طعام. كُنَّا هناكَ مُمَدَّدينَ فوقَ أرضيَّةِ المخزن. مررنا بساعاتٍ من الهذيان، وبرودِ الأعصاب، بحسبِ الحالة. لم يكنِ الألمانُ مسؤولينَ عن إدارةِ شؤوننا، راكمونا هناك، وذاتَ يومٍ قدَّموا لنا قطعاً من الخبز، فبدأ حالُنا بالتَّحسُّن. في نهايةِ المطاف؛ وضعونا في أحدِ القطاراتِ المتَّجهةِ إلى ألمانيا. كان ذلك قاسياً، لأنَّنا كُنَّا متفائلينَ إلى حدٍّ ما. ظننتُ أنَّنا سنبقى هناك، في فرنسا، وبعد أن تستقرَّ ألمانيا سيُفرَجُ عنَّا، ونعودُ إلى ديارنا. وهو ما لم يكنْ في نيَّتهم على الإطلاق، لأنَّهم اقتادونا إلى منطقةِ تريف Trèves، في أحدِ معسكراتِ الاعتقال؛ كان ثمَّة طريقٌ من الجانبِ الآخر للمعسكر، عبارةٌ عن ثكنةٍ ألمانيَّةٍ. كثيرٌ مِنَّا كانوا يعمَلون في الثُّكنةِ الألمانيَّةِ، أمَّا أنا؛ فبقيتُ مسجوناً من دونِ أيِّ عمل. لم أكن أفعلُ شيئاً، فكنتُ ألتقي السُّجناءَ وأعقدُ الصَّداقاتِ مع خوارنة، وأحدِ الصَّحفيِّين.

س.د.ب: سبقَ أن تحدَّثنا في هذا الموضوع. لكن، ما أودُّ معرفتَه هو: كيف ساهمَ هذا كلُّه في كشفِ الصِّراع الطَّبقي أمامَك؟ أتَّفقُ معكَ في أنَّكَ اكتشفتَ البُعدَ التَّاريخيَّ للحرب.

ج.ب.س: انتظري.

س.د.ب: حسناً.

ج.ب.س: بقيتُ في ألمانيا حتَّى شهرِ آذار. وهناكَ تعرَّفتُ، بطريقةٍ غريبةٍ أثَّرت فيَّ، على مجتمعٍ ذي طبقات، ومجموعات، وأناس ضمنَ مجموعات، وآخرين في مجموعات أُخرى؛ مجتمع مهزوم، أفسده جيشٌ جعلَ منه سجيناً. ومع هذا؛ فقد كان هذا المجتمع كلُّه حاضراً بأكمله. لم يكنْ بينَنا ضُبَّاط، بل مجرَّد جنود؛ كنتُ أنا في المرتبة الثَّانية، أُطيع أوامرَ سيِّئة، وأفهم ما هو جيشُ العدوّ؛ كانت لي صِلاتٌ ببعضِ الألمانِ كفيري، إمَّا لكي أُطيعَهم، أو لأستمعَ،في بعضِ الأحيانِ، إلى محادثاتِهم الغبيَّةِ أو المتغطرسةِ. بقيت هناك حتَّى أقنعتُهم بأنِّي مدنيٌّ فأعتقوني. وضعوني في أحدِ القطاراتِ المتَّجهة إلى درانسي Drancy، وأدخلوني إلى ثكناتٍ للحراساتِ المتحرِّكةِ، وكانت شاسعةً، عبارةً عن ناطحاتِ سَحابٍ تعجُّ بمساجينِ الحرب؛ وأُطلقَ سراحي بعدَ خمسةَ عشرَ يوماً.

س.د.ب: كتبتَ إليَّ، في تلك الفترة، رسائلَ قُلتَ فيها: سأمارسُ السِّياسة. ماذا قصدتَ بذلك حينما كتبتَ إليَّ؟

ج.ب.س: قصدتُ أنِّي اكتشفتُ عالماً اجتماعيّاً، وأنَّ هذا المجتمعَ أعادَ تشكيلي، من وجهة نظرٍ مُعيَّنة، على الأقل، من حيث ثقافتي، وبعض حاجاتي، وطريقتي في العيش. أعادَ معسكرُ الاعتقالِ تأهيلي نوعاً ما.كُنَّا نعيش فيه كَكُتلةٍ، نتلامسُ طيلةَ الوقت، وأذكر أنَّني كتبتُ أنَّ المرَّة الأُولى الَّتي وجدتُ فيها نفسي حُرّاً في باريس، دهشتُ لرؤية النَّاس في المقهى، على هذا المقدار من المسافاتِ في ما بينهم. عدتُ إذاً إلى فرنسا حاملاً لفكرةِ أنَّ الفرنسيِّين

لم يكونوا مدركين لما يحدث، بعضُهم كان يدركُ ذلك، أي أولئكَ العائدونَ من الجبهة، بعد أن تحرَّروا من الأسْر، لكنْ لم يكنْ هناكَ مَنْ يدفعُهم إلى المقاومة. هذا ما بدا لي أنَّه أوّلُ شيءٍ ينبغي القيامُ به بعدَ عودتي إلى باريس، أي تشكيلِ جماعةٍ مُقاوِمة؛ وأحاولُ عن كثب، كسبَ النَّاس إلى صفِّ المقاومة، وإنشاءَ حركةٍ عُنفيّةٍ قادرةٍ على طردِ الألمان. لم أكن أظنُّ بأنَّهم سيُطرَدون، لكن كان لديَّ ما نسبتُهُ ثمانين بالمائة من أنَّهم سيُطرَدون؛ وبقيت نسبةُ عشرين بالمائة بأنَّهم سينتصرون. حتَّى في هذه الحالة؛ كنتُ أؤمن بضرورةِ المقاومة؛ لأنَّ الأمرَ سينتهي بهم إلى التَّعب بطريقة أو بأُخرى؛ كما وقع لِروما الَّتي كانت تغزُو الأراضي، لكنَّها كانت تضيعُ فيها، في الوقت نفسه.

س.د.ب: لكنَّكَ لم تكن تتصوَّر أيَّ نوعٍ من المقاومة. حَمَلَتْ حركتُكَ اسمَ **الاشتراكيَّة والحُرِّيَّة**، فكيف ترى العلاقةَ بين الجانبِ الاشتراكيِّ والجانب المقاوِم؟ علماً أنَّك اتَّصلتَ ببعضِ المقاومينَ المنتمينَ إلى اليمين واليسار. كيف ترى العلاقةَ بين المقاومةِ والاشتراكيَّة؟

ج.ب.س: ظهرت الفاشيَّة في البداية، بوصفها مُناهِضة للشُّيوعيَّة، وبالتَّالي فإنَّ المقاومةَ كانت تعني الشُّيوعيَّة، أو الاشتراكيَّة، على الأقلِّ. بمعنى اتِّخاذ موقفٍ مُعارضٍ تماماً للتَّوجُّهِ الوطنيِّ، والتَّشديدِ على الرَّغبةِ في إقامةِ مجتمعٍ اشتراكيٍّ يُمَكِّنُ من مقاومةِ النَّازيِّين. لذلكَ أنشأنا هذه الحركةَ الَّتي أسَّسناها معاً.

س.د.ب: حدِّثني عن علاقاتِك بالشُّيوعيَّة خلالَ فترةِ المقاومة. يبدو أنَّك تأثَّرتَ كثيراً بالحلفِ الألمانيِّ ـ السُّوفييتيِّ، وردَّةِ فعلِ نيزان.

ج.ب.س: كان نيزان وقتَها خارجَ الحزب الشُّيوعيِّ. كتب لي خلالَ الحرب، قبل أسْري، ومقتلِهِ، رسالةً يقول فيها إنَّهُ لم يعد شيوعيّاً، وإنَّه بصددِ التَّفكير في هذا كلِّه. كان قد اتَّخذَ موقفَ مَنْ يُفكِّر قبلَ أن يتَّخذَ موقفاً سياسيّاً مُحدَّداً مرَّةً أُخرى. وقد أثارَ الحلفُ الألمانيُّ ـ السُّوفييتيُّ دهشةَ غالبيَّةِ النَّاس.

س.د.ب: لماذا أنشأتَ حركةً شخصيَّةً، ولِمَ لمْ تعمل مباشرةً مع الشُّيوعيِّين؟

ج.ب.س: اقترحتُ عليهم ذلك. ودفعتُ بعضَ الأصدقاءِ المرتبطين بالحزبِ الشُّيوعيِّ إلى الاقتراح عليهم بالمشاركة، فجاء الرَّدُّ أنَّ النَّازيِّين أرسلوا سارتر إلى فرنسا ليبثَّ الدِّعايةَ لصالحهم، تحتَ غطاءِ المقاومة. لا نريد على الإطلاق التَّعاونَ مع سارتر.

س.د.ب: لِمَ ناصبَكَ الشُّيوعيُّون هذا العداء؟

ج.ب.س: لا أعرف. لم يكونوا يريدونَ الارتباطَ بأُناسٍ لم يكونوا معَهم قبلَ الحرب... كانوا يعرفون أنِّي لم أكنْ خائناً، كما يقولون، لكنَّهم لم يكونوا يعرفون إنْ كنتُ سأسير معَهم. وهو ما عرفوه جيِّداً بعدَ عامين.

س.د.ب: إذاً، بعد عودتك من ألمانيا: لم يشأ الشُّيوعيُّون السَّيرَ معكَ، فأنشأتَ حركة.

ج.ب.س: أسَّسنا حركةَ **الاشتراكيَّة والدِّيمقراطيَّة**. أنا مَن اختارَ العنوان، لأنِّي كنتُ أفكِّرُ باشتراكيَّةٍ فيها حُرِّيَّة، بعد أن أصبحتُ اشتراكيّاً في تلك الفترة. أصبحتُ كذلك؛ لأنَّ حياتنا كسجناء، إجمالاً، كانت اشتراكيَّة حزينة، لكنَّها كانت حياةً جماعيَّة، حياةَ مجموعة، لا مالَ لدينا، ويفرضُ المنتصرُ علينا أداءَ بعضِ الالتزامات. كانت حياتُنا إذاً حياةً جماعيَّة، وافترضنا أنَّ حياةً لا تكون حياةَ سجين؛ يُمكن أن تكونَ سعيدةً مع بقائِها جماعيَّة. لكنِّي لم أتصوَّر اشتراكيَّةً من هذا النَّوع، كالجلوس إلى طاولاتٍ مشتركة، وأشياء من هذا القَبيل، ولا أنتِ أيضاً بالتَّأكيد.

س.د.ب: لا، حتماً.

ج.ب.س: على كلِّ حال؛ لم تكوني مقتنعةً بفكرة الاشتراكيَّة.

س.د.ب: لا أدري. طالما كنتُ غامضةً حولَ هذه المسألة. كان ثمَّة جانبٌ من المساواة في العِقاب يعجبني كثيراً خلالَ الاحتلالِ. وكنتُ أظنُّ أنَّ

اشتراكيَّةٌ حقيقيَّةٌ لها أسبابُها الموضوعيَّةُ والبنّاءة؛ ستكون أمراً جيِّداً جدّاً. لكنْ لِنبقَ في أمرِ انطلاقتكَ الخاصَّة بك. إذاً؛ عدتَ حاملاً فكرةَ أنَّ الاشتراكيَّةَ قابلةٌ للحياة، أليس كذلك؟

ج.ب.س: صحيح. لكنّي لم أكُنْ مقتنعاً بعد. أذكرُ أنّي وضعتُ دستوراً لفترةِ ما بعدَ الحرب.

س.د.ب: مَن طلبَ إليكَ القيامَ بوضعِ هذا الدُّستور؟

ج.ب.س: لم أعدْ أذكر. أعتقدُ أنَّ ذلكَ حدثَ حينما كان ديغول في الجزائر.

س.د.ب: إذاً، طُلِبَ منكَ وضعُ مشروعِ دستور.

ج.ب.س: هو كذلك. وضعتُ نموذجين: أحدهما أرسلتُه إلى ديغول، والآخَرُ ضاع، لا أدري أين، لكن عثرَ عليه كانابا Kanapa[1] لاحقاً.

س.د.ب: كانابا كان أحدَ تلاميذِك القُدامى، هل كان شُيوعيّاً؟

ج.ب.س: نعم، بالتَّأكيد. كان مشروعُ الدُّستور هذا يتضمَّن طريقةً أعتادَ من خلالها على الاشتراكيَّة، والعمل على هذه الفكرة لتصبحَ شيئاً مُتجانساً، ولكي أفهم معناها.

س.د.ب: هل تتذكَّر ما تضمَّنه، وكيف كان توجُّهُهُ؟

ج.ب.س: كان يتضمَّنُ مقطَعاً طويلاً حولَ اليهود.

س.د.ب: أتذكَّرُ هذا، لأنَّنا ناقشناه معاً، وكنتَ مُحقّاً. أمَّا أنا؛ فكنتُ أعتقدُ أنَّه ينبغي أن يتمتَّع اليهودُ بكلِّ حقوقِ المواطنين، لا أكثرَ ولا أقلَّ. وكنتَ تقول إنَّه ينبغي منحُهم حقوقاً مُحدَّدة: التَّكلُّم بلغتهم، وممارسة ديانتهم، وثقافتهم...إلخ.

ج.ب.س: صحيح.خطر هذا ببالي قبلَ الحرب. حينما كتبتُ **الغثيان**، رأيتُ يهوديّاً طالما تحدَّثنا عنهُ لاحقاً، هو ماندل Mendel.تحدَّث معي، وأقنعني.

(١) جان كانابا (١٩٢١-١٩٧٨): كاتب ومثقّف، وأحد قادة الحزب الشّيوعي الفرنسيّ.

كان رأيي أن يكونَ اليهودُ كالمسيحيِّين تماماً، أمَّا هو؛ فقد أقنعني بخصوصيَّةِ الواقع اليهوديِّ، وبالتَّالي منحهم حقوقاً خاصَّة. بالعودة إلى تحوُّلي إلى الاشتراكيَّة؛ كان ذلك أحدَ العناصر الَّتي دفعتني إلى قبولِ الاقتراح - كان مفاجئاً، لكنَّه مرتبطٌ بتطوُّر الحزبِ - الَّذي قدَّمه الشُّيوعيُّون إليَّ، عبرَ شيوعيٍّ اسمه بييه Billet، عرفتُه حينما كنتُ سجيناً في تريف Trèves.

س.د.ب: آه، صحيح، لقد التقيتُ به.

ج.ب.س: كان شيوعيّاً؛ بصدد تأسيسِ تنظيمٍ للمقاومين المرتبطين بالشُّيوعيِّين، فاقترحَ عليَّ الانضمامَ إليه. لكنِّي لم أفعلْ شيئاً طيلةَ عام؛ فتفكَّكت مجموعتُنا.

س.د.ب: إذاً، بعد أن أدارَ الشُّيوعيُّون ظهرَهم لك، واتَّهموكَ بالعمالة؛ قرَّروا أخيراً العملَ معك. كيف حدثَ ذلك؟

ج.ب.س: لا أعرف. ذاتَ يوم التقيتُ أحدَ رفاقِ الأسر، فقال لي: لماذا لا تنضمُّ إلى المقاومة معنا، وتكون أحدَ أفرادِ مجموعتِنا الَّتي تهتمُّ بالفنِّ والأدب؟ فوجئتُ كثيراً، وأجبته بأنِّي لا أطلب أفضلَ من هذا، وبالفعل حدَّدنا موعداً، وبعد عدَّةِ أيَّام كنتُ عضواً في اللَّجنة الوطنيَّة للكتاب C.N.E، ضمَّتْ شخصيَّاتٍ مختلفةً مثلَ كلود مورغان Claude Morgan، وليريس Leiris، وكامو Camus، وديبو بريديل Debû-Bridel، وغيرَهم.

س.د.ب: وماذا كنتم تفعلون؟

ج.ب.س: دخلتُ هذه اللَّجنة. ولا شكَّ أنَّ ثمَّة شيئاً قد حدث، أعني طرأ تغيُّر...

س.د.ب: لم تكن تضمُّ سوى الشُّيوعيِّين، لأنَّك تحدَّثت عن ليريس.

ج.ب.س: لا. ليريس، وَ ديبو بريديل لم يكونا شيوعيَّين أبداً. لكنْ أظنُّ أنَّه قد حدث تغييرٌ في قيادات الحزبِ الشُّيوعيِّ في ما يخصُّ التَّجنيد. وقيل: ينبغي

أن نظهرَ منفَتحين. في كلِّ الأحوال؛ أصبحتُ عضواً في اللَّجنةِ الوطنيَّةِ للكتاب في عام ١٩٤٣، وعملتُ معهم على كتاباتٍ، وأوراقٍ سرِّيَّة، أهمُّها **الآداب الفرنسيَّة**، حيث نشرتُ مقالةً ضِدَّ دريو لاروشيل Drieu La Rochelle[1]، وبعد التَّحرير: كُلِّفنَا بمهمَّةِ الإبقاءِ على الأسلحةِ بين أيدينا، عبارة عن مُسدَّسٍ واحدٍ للجميع، أي الممثِّلين والكوميديا الفرنسيَّة. استقرَّينا بالتَّناوب في دار الكوميديا الفرنسيَّة. كنتُ في مكتبِ المدير، ونمتُ ليلةً قاسيةً فوقَ الأرض. في اليومِ التَّالي؛ رفضتُ دخولَ بارو Barrault[2]، وقلتُ لن يدخل. ويومَ التَّحرير؛ وقعَت معارك في الشَّوارع، وصداماتٌ صغيرةٌ في مبنى الكوميديا الفرنسيَّة؛ فأقمنا حاجزاً، وما أزال أذكرُ أنِّي رأيتُ في شارع الكوميديا الفرنسيَّة مسؤولَ عُصبةٍ من الجنود الألمان السُّجناء، وهو يقودهم إلى مبنى الرقابة المالية Cour des comptes. ونمت ليلةً أُخرى برفقةِ سالاكرو Salacrou، في الغرفة نفسها.

س.د.ب: كيف أصبحَ موقفُكَ السِّياسيُّ بعدَ الحرب؟

ج.ب.س: بعدَ الحرب، تزامن ظهورُ الأعداد الرَّسميَّة الأُولى من مجلَّة **الآداب الفرنسيَّة** مع وصولِ ديغول، وأذكرُ أنَّني نشرتُ في العددِ الأوَّل مقالةً حولَ الاحتلالِ ومناكفاتِ المقاومة.

س.د.ب: هل بدأتَ بالتَّعاون مع مجلَّةِ الآداب الفرنسيَّة؟

ج.ب.س: نعم. كتبتُ فيها هذه المقالةَ على أيِّ حال، ولا أذكر أنِّي كتبتُ غيرَها. منذ البداية، أي منذُ وصولِ الشُّيوعيِّين بوصفِهم حزباً رسميّاً، تعثَّرَتِ الأمور. لا شكَّ أنَّ الشُّيوعيِّين لم يكونوا راضينَ عن كوني أصبحتُ كاتباً معروفاً؛ حدث هذا فجأةً؛ ثمَّة أُناسٌ عادوا من إنجلترا أو من أمريكا؛ اعتبروني كاتباً معروفاً؛ لا سيما وأنِّي كنتُ عائداً من أمريكا الَّتي أرسلتني مجلَّة Combat إليها، بناءً على طلبِ الأمريكيِّين بلقاءِ صحفيِّين فرنسيِّين.

---

(١) بيير دريو لاروشيل (١٨٩٣-١٩٤٥): كاتب فرنسيّ.

(٢) جان -لوي بارو (١٩١٠-١٩٩٤): ممثِّل، ومخرج، ومدير مسرح فرنسيّ.

س.د.ب: صحيح، من صحيفتيّ Le figaro وَ Combat

ج.ب.س: بعد عودَتي؛ وجدتُ نفسي أمامَ مجلَّةِ **الآداب الفرنسيَّة**، والحزبِ الشُّيوعيِّ وكتَّابِ **الآداب الفرنسيَّة**.

س.د.ب: وصحيفة **العمل** Action أيضاً.

ج.ب.س: صحيح. العمل كانت مجلَّةً أسبوعيَّةً ذاتَ توجُّهٍ شيوعيٍّ. يُشرف عليها بونج Ponge وهيرفيه Hervé. وكتبتُ فيها أيضاً.

س.د.ب: لم تكن كاتباً معروفاً فحسب؛ إذ أسَّستَ منذُ عام ١٩٤٥ مجلَّةً استَنفَرَتْ كثيراً من النَّاس، وكثيراً من المثقَّفين. ولم تكن مجلَّةً شيوعيَّة. من ثمَّ فقد كنتَ تمثِّل خياراً آخر غيرَ خيارِ الشُّيوعيَّة بالنِّسبة لكُتَّابِ اليسار. كيف كان شعورُك إزاءَهم؟

ج.ب.س: حسناً! لم أكنْ أنظرُ إلى الشُّيوعيَّة كما ينظرون إليها، أي بصيغتها السُّوفييتيَّة، بل كنتُ أظنُّ أنَّ مصيرَ البشريَّة يتعلَّق بتطبيقِ نوعٍ من الشُّيوعيَّة.

س.د.ب: هل كنتَ تعتقدُ بإمكانيَّةِ الحوارِ معهم؟ لا سيما أنَّهم استشاطوا غضباً من وجودِ إيديولوجيا بديلةٍ لإيديولوجيَّتهم، كما كانوا يقولون، وانهالوا عليكَ بكلِّ الشَّتائم الَّتي كانوا يكيلونها لليمين. كيف شعرتَ بهذا؟

ج.ب.س: هناك عدَّةُ وجهاتِ نظر؛ وجهة النَّظر الشَّخصيَّة حولَ علاقاتي بالشُّيوعيِّين: فقد وجدتُهم نَتِنينَ معي، فناضلتُ ضدَّهم. ولم يتغيَّر موقفي إلَّا في ما بعد.

س.د.ب: نعم، في عام ١٩٥٢.

ج.ب.س: أي أنِّي كنتُ مُعادياً للشُّيوعيِّين بوصفِهم أفراداً. وهم لم يكِنُّوا لي أيَّ شعورٍ [إيجابيٍّ]. كان لديهم تعليمات، من دون أيِّ شعورٍ إيجابيٍّ من أيِّ نوعٍ كان، باستثناءِ تعاطفٍ غامضٍ معي مِنْ قِبَلِ كلود روا.

س.د.ب: ما أودُّ معرفتَه هو مدى أهمِّيَّةِ هذه الشِّقاقاتِ السِّياسيَّةِ؟ وإلى أيِّ مدىً كنتَ مُلتزماً **بالتَّجمُّع الدَّيمقراطيِّ الثَّوريِّ** R.D.R، وإلى أيِّ مدىً بقيتَ مُتشكِّكاً إزاءَهُ؟

ج.ب.س: كُنتُ مُتشكِّكاً إزاءَهُ، ولم أنخرطْ فيه بشكلٍ عميق.

س.د.ب: بما ذا شعرتَ حينما أغرقَكَ الشُّيوعيُّون بالوحلِ بعد مسرحيَّتِك **الأيدي القذرة**؟

ج.ب.س: آه! بدا لي ذلكَ طبيعيّاً لأنَّهم كانوا ضِدَّ **التَّجمُّع الدَّيمقراطيِّ الثَّوريِّ**، وهي طريقتُهم في الهجوم على الآخرين.

س.د.ب: بدا لكَ ذلك عاديّاً إذاً، ليسَ بسببِ مضمونِ المسرحيَّة، بل بسببِ موقفِهم اللَّاحقِ إزاءَك في كلِّ الأحوال.

ج.ب.س: هو كذلك. كان تصرُّفهم كريهاً إلى حدٍّ ما، لا سيما أنَّ مِنْ بينهم أُناسٌ كنتُ أحبُّهم مثلَ مارغريت ديورا M.Duras[1] الَّتي كانت شيوعيَّةً آنذاك، وكتَبَتْ مقالةً غادرةً في **الآداب الفرنسيَّة**، هل تذكرين هذا؟

س.د.ب: أذكرُ أنَّ الشُّيوعيِّين، إجمالاً، كانوا ضدَّك. إذاً: كيف تحدِّد موقعك السِّياسيَّ؟ إذ لمْ تكن تثقُ **بالتَّجمُّع الدَّيمقراطيِّ الثَّوريِّ** من جهة، ولم تُرِد الانضمامَ إلى الحزب الشُّيوعيِّ وبقيتَ مُتعاطفاً معه مهما كان الثَّمنُ من جهةٍ أُخرى؟. أنت لستَ من النَّوع الَّذي يقول: إذا ركلوني على مؤخِّرتي سأقبلُ بهم بكلِّ سرور.

ج.ب.س: لم يكن عندي موقف. هكذا كنتُ أرى الأمورَ على هذا النَّحوِ حوالي عام ١٩٥٠ بسببِ تهديداتِ الحرب؛ فالسُّوفييت لم يكونوا مُرتاحينَ لي،

(١) مارغريت ديورا هو الاسم الأدبيّ لمارغريت دوناديو (١٩١٤-١٩٩٦): روائيّة، وصحفيّة، وكاتبة مسرحيّة، ومُخرجة مسرحيّة فرنسيّة.

ولو غزوا أوروبّا كما كُنَّا نعتقد؛ لما رحلتُ عنها. أردتُ البقاءَ في فرنسا. بمعنى، مع من سأكون؟، لا أدري.

س.د.ب: ما هي الأهمِّيَّةُ الَّتي توليها لهذا البُعد من حياتك؟ لأنَّ كتاباتك تبقى الشَّيءَ الأساسيَّ على الرَّغم من كلِّ شيء.

ج.ب.س: صحيح. ما يهمُّ، هو كتاباتي.

س.د.ب: هل كنتَ تؤمن، في الوقت الَّذي كنتَ تمارس فيه الأدبَ الملتزم، واكتشفت أنَّ التَّسمية والكشف يعني تغيير العالم، هل كنتَ تؤمن، في نهايةِ المطاف، أنَّ عملَكَ الفرديَّ بوصفَكَ كاتباً، سيكون له أهمِّيَّةٌ ومستقبل؟

ج.ب.س: نعم، كنتُ أؤمن بهذا.

س.د.ب: أظنُّ أنَّك مُحقٌّ.

ج.ب.س: كنت أؤمن بذلك. ولطالما آمنتُ به.

س.د.ب: إذاً، لمَ كنتَ تحرصُ على ربطِ نفسِكَ بحركةٍ سياسيَّة، مثل التَّجمُّع الدِّيمقراطيِّ الثَّوريِّ؟

ج.ب.س: لم أكن حريصاً على ذلك. لكن حينما اقتُرِحَ الأمرُ عليَّ؛ اعتقدتُ أنَّ من واجبي قبولَه. كنتُ آملُ أن يكونَ التَّجمُّع الدِّيمقراطيُّ الثَّوريُّ حركةً مرتبطةً بالشُّيوعيَّة؛ من شأنها أن ما كانَت عليه اشتراكيَّة نينّي في إيطاليا

س.د.ب: لم يكنِ الشُّيوعيُّونَ الفرنسيُّون يريدونَ ذلك، أمَّا الشُّيوعيُّونَ الإيطاليُّون فكانوا أكثرَ توفيقيَّةً؛ بقبولهم عقدَ تحالفٍ مع حزبِ نينّي الاشتراكيِّ، أي مع حزبٍ اشتراكيٍّ يساريٍّ.

ج.ب.س: صحيح.

س.د.ب: إذاً، تلك كانت هي الفكرة. لكنَّها لم تكن ممكنةً في فرنسا. حينما وقَّعتَ على قانونِ العملِ الإداريِّ؛ القانونِ السُّوفييتيِّ الَّذي يقرُّ بحبسِ النَّاس بناءً على مجرَّدِ إجراءٍ إداريٍّ، فقد قمتَ بنشره.

ج.ب.س: صحيح.

س.د.ب: بماذا كنتَ تفكِّر في تلك الفترة؟ ومتى عرفتَ أنَّ المعسكراتِ موجودةٌ فعلاً، وأنَّ فيها أعداداً هائلة من المنفيِّين؟

ج.ب.س: كنتُ أرى ذلك النِّظامَ غيرَ مقبول.

س.د.ب: صحيح. كتبتَ مقالةً حولَ هذا الأمرِ مع ميرلو بونتي.

ج.ب.س: ميرلو بونتي، هو مَن كتبَها.

س.د.ب: لكنَّها حملَت توقيعيكُما معاً. قلتما فيها إنَّ بلداً فيه هذا الكمُّ الهائلُ من المنفيِّين، والمقتولين بالرَّصاص؛ لا يمكن تسميتُه بالبلد الاشتراكيِّ. إجمالاً، بعد قطيعتِكَ مع التَّجمُّع الدِّيمقراطيِّ الثَّوريِّ، هل عشتَ في عُزلةٍ سياسيَّة؟

ج.ب.س: نعم، في عُزلةٍ تامَّة.

س.د.ب: لِنَقُلْ إنَّكَ توقَّفتَ عن ممارسةِ السِّياسة.

ج.ب.س: إجمالاً، توقَّفتُ عن ممارستها حتَّى عام ١٩٦٨.

س.د.ب: انتظرْ. في عام ١٩٥٢ تقاربتَ مع الشُّيوعيِّين. هل تتذكَّرُ المرحلةَ الفاصلةَ بين قطيعَتِك مع التَّجمُّع الدِّيمقراطيِّ الثَّوريِّ، وهذا التَّقارُب؟

ج.ب.س: كنتُ أكتبُ الكتبَ الَّتي كانت تَشغلُ وقتي كُلَّه.

س.د.ب: لكن، ألمْ يُمثِّل عدمُ ارتباطِك بأيِّ تنظيمٍ سياسيٍّ نوعاً من الفقدان، أو الفراغ؟

ج.ب.س: لا. لم أكنْ بعدُ مُسيَّساً، ولا رأيتُ السِّياسةَ أساسيَّةً. وكنتُ أكتبُ أنَّ السِّياسة ليسَت سوى أحدِ أبعادِ الإنسان، ولم تكن أحدَ أبعادي على الإطلاق. بدأ اهتمامي بها خلالَ فترةِ ارتباطي بالشُّيوعيِّين، أي بعدَ أربعِ سنواتٍ من ذلك التَّاريخ. وكان لديَّ نوعٌ من النَّزعةِ الجماليَّة Esthétisme السِّياسيَّة خلالَ تلكَ السَّنوات. لطالما كانت أمريكا بالنِّسبة لي بلدَ الأحلام، منذُ زمنِ نايك

كارتر Nike Carter، وبوفالو بيل Buffalo Bill؛ بعدها صارَت البلدَ الَّذي وددتُ لو أعيش فيه؛ بلدٌ أبهرتني بعضُ جوانبه، ونفَّرني منها بعضُها الآخر. باختصار؛ كان ذلك بلداً ما تمنَّيتُ له الدَّمارَ في حربٍ مع الاتِّحاد السُّوفييتيّ. الاتِّحادُ السُّوفييتيُّ كان مايزال يبدو بلدَ الاشتراكيَّة، فاعتقدتُ أنَّ من شأن دماره أن يكونَ رهيباً أيضاً. من ثمَّ، فقد كنتُ أرى أنَّ أيَّ حربٍ سوفييتيَّة ـ أمريكيَّة؛ كارثةٌ مزدوجة. وبقيتُ هكذا لفترةٍ طويلةٍ إلى حدٍّ ما، من دونِ أن أعرفَ ما العمل. ولو حصلَت حربٌ؛ لن أغادرَ فرنسا. كنتُ أظنُّ أنَّه لا بُدَّ من ممارسةِ المقاومةِ لبناءِ الاشتراكيَّة، وليس من أجل الأميركان، ومن ثمَّ كان لا بدَّ من أكونَ مقاوماً مُختبئاً.

س.د.ب: دعنا نتحدَّثْ عن الحربِ الهندو ـ صينيَّة.

ج.ب.س: كُنَّا أوَّل مَن دانَ هذه الحربَ في مجلَّة **الأزمنة الحديثة**. وارتبطنا بعلاقاتٍ مع بعضِ الفييتناميِّين، تعرَّفت منهم على فان شي Van Chi الَّذي كان يحمل إلينا المعلومات.

س.د.ب: لم يكن فيلسوفاً، بل سياسيّاً.

ج.ب.س: لكنَّه كان أستاذاً أيضاً.

س.د.ب: كان يدعونا، من وقتٍ لآخر، لتناولِ الغداءِ في أحدِ المطاعمِ الفييتناميَّة. إذا استثنينا المقالاتِ الَّتي كتبناها في **الأزمنة الحديثة**، ولم يكن لدينا أيُّ وسيلةٍ أُخرى للعمل.

ج.ب.س: فعلاً. خصَّصنا عدداً من **الأزمنة الحديثة** للحديثِ عن الحرب الهندو ـ صينيَّة، وساعدَنا فان شي بالنُّصوص الَّتي كان يزوِّدنا بها من فييتنام.

س.د.ب: صحيح. لقد شَكَّلَتْ تلكَ الحربُ بُعداً هامّاً في أُفُقِ حياتِنا السِّياسيَّة.

ج.ب.س: إجمالاً، كُنَّا نتبنَّى مواقفَ الشُّيوعيِّين.

س.د.ب: نعم، كُنَّا قريبين منهم، على هذا المستوى.

العلاقةُ بينَ الاشتراكيَّة والحُرِّيَّة

س.د.ب: في حديثِنا بالأمس، كنتَ تقولُ لي إنَّكَ لم تفِ تلكَ العلاقةَ ـ الَّتي طالما أردتَ إقامتَها بين الاشتراكيَّة والحرِّيَّة ـ حقَّها من الحديث.

ج.ب.س: صحيح. الاشتراكيَّة، بالنِّسبة للكثيرِ من النَّاس، تُمثِّلُ أكبرَ قدرٍ من الحرِّيَّة، الحرِّيَّةِ الاقتصاديَّة أوَّلاً، ثمَّ الحرِّيَّةِ الثَّقافيَّة، وحرِّيَّةِ الفعلِ اليوميِّ، وحرِّيَّةِ الخياراتِ الكُبرى؛ يريدُ النَّاسُ أن يكونوا أحراراً من قيودِ المجتمع، بل يسعونَ إلى تشكيلِ أنفسِهم وفقَ ما تقتضيه خياراتُهم. لكنَّ الاشتراكيَّة، في الحقيقة، كما قدَّمها لنا الماركسيُّون على سبيل المثال، لا تتضمَّنُ هذا المفهوم. أمَّا ماركس؛ فَبلى، إذ إنَّ تصوُّرَه لمآلِ الشُّيوعيَّة يقوم على أنَّ المجتمعَ يصنعهُ أُناسٌ أحرار. وتصوُّره هذا للحُرِّيَّة لا يتَّفقُ مع ذلكَ الَّذي يجولُ في ذهني، لكنَّهما يتشابهان. إلَّا أنَّ الماركسيِّين في فرنسا؛ لا يفردونَ أيَّ مكانةٍ خاصَّةٍ لمفهومِ الحرِّيَّة. ما يرونَه هامّاً؛ هو نمطُ المجتمعِ الَّذي يريدون تشكيلَه، حيث يسعَون إلى إدراجِ الأشخاصِ في المجتمع كالآلات. لا شكَّ أنَّ هذه الاشتراكيَّة تعترفُ ببعضِ القِيَم، مثل العدالة، بمعنى تحقيقِ نوعٍ من المساواة بينَ ما يعطيه الشَّخص ويتلقَّاه، لكنَّ الفكرةَ القائلةَ إنَّ الشَّخصَ الحُرَّ يمكن أن يكونَ موجوداً في ما بعدَ الاشتراكيَّة ـ لا أعني هنا بعبارة **مابعد**؛ فترةٌ لاحقة، بل في تجاوزِ قواعد الاشتراكيَّة في كلِّ لحظة ـ وهي فكرةٌ لم تخطر على بالِ الرُّوس أبداً. لا يبدو أنَّ اشتراكيَّةَ الاتِّحادِ السُّوفييتيِّ ـ إذا جازَ لنا تسميةُ ذلك بالاشتراكيَّة ـ تنطوي على السَّماح للشَّخص بالتَّفتُّح في الاتِّجاه الَّذي يختاره.

هذا ما أردتُ قولَه من خلالِ إعطاءِ هذه المجموعةِ الصَّغيرةِ الَّتي شكَّلناها خلالَ عام ١٩٤٠-١٩٤١ اسمَ **الاشتراكيَّة والحُرِّيَّة**. هذه العلاقةُ بينَ الحرِّيَّة والاشتراكيَّة، هي الَّتي تمثِّلُ توجُّهي السِّياسيَّ، برغمِ صعوبةِ تحقيقها استناداً إلى الاشتراكيَّة. ذلك كان توجُّهي السِّياسيَّ، الَّذي لم أَحِدْ عنه أبداً. وما زلتُ حتَّى اليوم أتبنَّى مفهومَ الاشتراكيَّة والحرِّيَّة في حواراتي مع فيكتور وغافي.

س.د.ب: صحيح. إنَّك تتحدَّثُ عن الحاضر. بالعودةِ إلى ما تحدَّثنا عنه بالأمس؛ فإنَّ إرادتَك في ربطِ الاشتراكيَّة بالحرِّيَّة أدَّت بكَ إلى المراوحةِ بينَ الحزب الشُّيوعيِّ، وتشكيلِ **التَّجمُّع الدِّيمقراطيِّ الثَّوريِّ**، والعزلةِ، ثمَّ العودةِ إلى الحزبِ الشُّيوعيِّ، إلخ. لا يجب أن تعيدَ التَّدرُّجَ الزَّمنيَّ لتاريخِ حياتك السِّياسيَّة حتَّى عام ١٩٦٢، لأنِّي كتبتُ هذا بناءً على ما أمليتَه عليَّ في كتابي la force des choses [**حتميَّةُ الأشياء**]. لكن؛ ما أودُّ معرفتَه، هو رأيُكَ في مسيرتِك، لِنَقُلْ، حتَّى نهايةِ حربِ الجزائر.

ج.ب.س: حسناً ! أقول إنِّي تابعتُ خطِّي، وإنَّه كان صعباً، وغالباً ما وجدتُ نفسي ضمنَ أقلِّيَّة، بل غالباً ما كنتُ وحدي، لكنَّهُ كان خطّاً جيِّداً طالما أردتُه ؛ أي: الاشتراكيَّة والحرِّيَّة. كنتُ أؤمنُ بالحرِّيَّة منذُ زمنٍ طويل، وتحدَّثتُ عن هذا في كتابي **الوجود والعدم** الَّذي تُشكِّلُ الحرِّيَّة موضوعَه الرَّئيس. لديَّ الانطباعُ بأنِّي عشتُ حُرّاً منذُ طفولتي حتَّى الآن، مع اتِّباعي للتَّيارات العامَّة طبعاً. لكنِّي عشتُ حُرّاً. وفي نهايةِ المطاف؛ أجدُ نفسي، في الوقت الرَّاهن، أعيشُ الفكرةَ نفسَها حولَ ارتباطِ الاشتراكيَّة بالحرِّيَّة.

س.د.ب: طالما حلُمتَ بتحقيقِ هذا التَّوافق، لكنَّكَ لمْ تحقِّقه أبداً. هلْ توهَّمتَ يوماً بأنَّكَ رأيتَ هذا مُتحقِّقاً؟ في كوبا، على سبيل المثال؟

ج.ب.س: كوبا. نعم. كان هناكَ اتجاهاتٌ متنوِّعة تتعارضُ في ما بينَها، في تلك الفترة الَّتي كنتُ فيها في كوبا حيثُ لم يكن لدى كاسترو أيُّ مبادئ ثقافيَّةٍ

حقيقيَّة؛ بمعنى أنَّه لم يكنْ يريدُ فرضَ نوعٍ من الثَّقافة، لكنّهُ تغيَّرَ في فترةٍ لاحقةٍ.

س.د.ب: كان ذلك في عام ١٩٦٠، بعدَ استلامِ السُّلطة.

ج.ب.س: حتَّى إنَّه لم يكنْ يريدُ الحديثَ في الاشتراكيَّة تلكَ اللَّحظة. وطلبَ منِّي ألَّا أتحدَّثَ عن الاشتراكيَّة حينما أنشرُ مقالاتي عنهُ في فرنسا.

س.د.ب: كُنَّا نتحدَّثُ عن الكاستروِيَّة Castrisme، في الحقيقة.

ج.ب.س: الحقيقةُ إنَّها كانت ثورةً لم تكتملْ بعد. أذكر أنَّني كنتُ دائماً أسألُهم: ماذا أنتم فاعلونَ إن اعترضَ الإرهابُ طريقَكم؟

س.د.ب: وهذا ما حدثَ معهُ لاحقاً، أيّ نوعٌ من الإرهاب.

ج.ب.س: كانوا يتوقَّعونهُ، ويتساءلون، لكنَّهم لم يُجيبوا على سؤالي، أو كانوا يستبعدونَ وقوعَ أيِّ إرهاب.

س.د.ب: بالعودة إلى سؤالي: هل يمكنك أن تحدِّثني عمَّا تتذكَّره، وشعرتَ به؟ ما هو أثرُ هذا المسار الَّذي انخرطتَ فيه عليكَ؟ هل تظنُّ أنَّك ارتكبتَ الكثيرَ من الأخطاء؟ وأنَّه لم يكنْ بوسعِك أن تفعلَ إلَّا ما فعلت؟ وأنَّك أحسنتَ التَّصرُّف دائماً؟ باختصار؛ كيف تنظرُ إلى هذا كلِّه؟

ج.ب.س: لا شكَّ أنِّي ارتكبتُ كمّاً كبيراً من الأخطاء، لكنَّها لم تكنْ أخطاءً تتعلَّق بالمبدأ، بل بالمنهج، وأخطاء لها علاقة بالتَّعبير عن آراءٍ حولَ حدثٍ مُعيَّن. لكن من حيثُ المبدأ؛ مازلتُ مُتَّفِقاً مع ماضيَّ، الَّذي أظنُّ أنَّه قادني إلى حيثُ أنا الآن. ومن هذا المكان الَّذي وصلته؛ أنظرُ إلى ماضيَّ بسرور.

س.د.ب: ما هي الأخطاءُ الَّتي تظنُّ أنَّك ارتكبتَها؟

ج.ب.س: عدمُ التزامي القويّ، والفعليّ إلى جانبِ بعضِ النَّاس حينما كنتُ في عمرٍ يمكِّنُني من القيامِ بذلك.

س.د.ب: تعني قبلَ الحرب؟

ج.ب.س: قبلَ الحربِ وبعدَها.

س.د.ب: مع مَنْ كان يمكنُك أن تلتزم؟

ج.ب.س: كان هناك يسارٌ ماركسيٌّ، غيرُ شيوعيٍّ.

س.د.ب: لقد فعلتَ كلَّ ما بوسعِكَ للتَّقرُّبِ منه؟

ج.ب.س: قد لا أكونُ فعلتُ كلَّ ما بوسعي. كان ثمَّة شيوعيُّون يساريُّون، وجماعاتٌ ترفض الشُّيوعيَّة الرَّسميَّة، كانوا مُحقِّينَ في بعض الأحيانِ حولَ الكثيرِ من النُّقاط. لم أبذل جهداً للتَّعرُّفِ إليهم. فأهملتُ كلَّ من كان إلى يسارِ الحزبِ الشُّيوعيِّ منذُ عام ١٩٦٦.

كنتُ أرى أنَّه ينبغي ممارسةُ السِّياسةِ من خلالِ الشُّيوعيِّين والاشتراكيِّين فقط. وكنتُ ما أزالُ مُتأثِّراً، مثلَ جميعِ من كانوا يحيطون بي، بالجبهةِ الشَّعبيَّة القديمة. أي في فترة ما قبلَ عام١٩٣٩. بعد ذلك؛ وجدتُ مع من كان عليَّ التَّحالُفُ معهم، أعني الشَّبابَ اليساريِّين.

س.د.ب: مع ذلك؛ مررتَ بأوقاتٍ اتَّخذتَ قراراتٍ خلالَها؛ ما هي الخيارات الَّتي تباركُ لنفسِك اتِّخاذَها وأنت تعودُ بذاكرتِك إلى الماضي؟ لا أظنُّ أنَّك منزعجٌ من موقفِك إزاءَ حربِ الجزائر، على سبيل المثال.

ج.ب.س: لا. أظنُّ أنَّ هذا هو الموقفُ الَّذي كان ينبغي اتِّخاذه.

س.د.ب: لقد تجاوزتَ الشُّيوعيِّين بموقفِك هذا الدَّاعي إلى استقلالِ الجزائر، فذهبتَ إلى أبعد ممَّا ذهبوا إليه.

ج.ب.س: صحيح. هم كانوا يريدون إمكانيَّةَ الاستقلال، أمَّا أنا؛ فكنتُ أريد،مع الجزائريِّين، الاستقلالَ الحقيقيَّ. ولم أفهمْ سببَ هذا الحذرِ الشُّيوعيِّ.

س.د.ب: أخطرُ ما فعلَه الشُّيوعيُّون هو تصويتُهم لهيمنةِ فرنسا الكاملةِ على الجزائر.

ج.ب.س: صحيح، لكنِّي لا أفهمُ موقفَ الشُّيوعيِّين هذا. إنَّه يُشيرُ إلى ما قلتُه في أغلبِ الأحيان؛ بأنَّهم لا يريدون الثَّورة.

س.د.ب: طبعاً. كُنَّا نظنُّ، في تلك الفترة، أنَّهم يريدون حزباً نافذاً وقويّاً، يعجبُ الفرنسيِّين. لم يكونوا يريدونَ أن يُقال عنهم بأنَّهم يقلِّلون من شأنِ المستعمرات.

ج.ب.س: كونُ المرءِ وطنيّاً؛ لا يعني أن يكونَ استعماريّاً.

س.د.ب: في تلك الفترة...

ج.ب.س: أن تكونَ وطنيّاً يعني أن تكونَ لك روابطُ قويَّة بالبلد الَّذي ولدتَ فيه، ونشأت فيه، ويعني أن تقبلَ بعضَ سياساتِ هذا البلدِ كالسِّياسةِ الاستعماريَّة، على سبيل المثال.

س.د.ب: لكن؛ ألا تعتقدُ أنَّ موقفَهم هذا كان ديماغوجيّاً ؟؛ إذ لم يكونوا يريدونَ أن نكونَ قادرين على القولِ عنهم بأنَّهم معادون لفرنسا؟

ج.ب.س: نعم، هذا أكيد.

س.د.ب: لقد تعاونَّا معهُم خلالَ حربِ الجزائر تلك. وأذكرُ عدداً كبيراً من المظاهراتِ الَّتي خرجنا فيها معاً. وفي نهايةِ الأمر، حينما صارَ لا بُدَّ من النِّضالِ ضِدَّ تنظيمِ الجيش السِّرِّيِّ O.A.S؛ أنشأنا نوعاً من العُصبةِ الَّتي دخلَ الشُّيوعيُّون فيها، وعندها قلتَ: لا يمكننا القيامُ بأيِّ شيء معهم، ولا يمكن فعلُ شيءٍ من دونهم. كيف تتذكَّرُ تلكَ المحاولاتِ النِّضاليَّةَ المشتركة؟

ج.ب.س: مرَّت فترةٌ سارت فيها الأمورُ على ما يُرام...

س.د.ب: لكن لمْ تربطْكَ بهم علاقاتٌ ودِّيَّةٌ أبداً، أليسَ كذلك؟

ج.ب.س: أبداً.

س.د.ب: قال لكَ إهرينبورغ Ehrenbourg[١]، بعد صدورِ مسرحيَّتك **موتى بلا قبور**: إنَّ الحديثَ عن المقاومين بالطَّريقةِ الَّتي تكلَّمتَ عنهم بها؛ أمرٌ يدعو إلى الخجل. بعدَ مسرحيَّةِ **الأيدي القذرة**؛ كان أحدُ أولئك الَّذين قالوا إنَّكَ بعتَ روحَك رخيصةً، وبعدها رأيناكَ تبتسمُ معه. في عام ١٩٥٥؛ رأيته معكَ في هلسنكي. وبقيت علاقتُنا بهِ جيِّدةً حتَّى موتِه. كيف تُفسِّرُ هذا؟ ألم يكن يزعجُكَ اعتقادُكَ بأنَّه كان...

ج.ب.س: لم يكن الأمرُ يزعجني، لأنَّه هو من كان يُبادر. استقبلَني في موسكو خلالَ زيارتي الثَّانية لها بحرارة كبيرة، وزرتُه في مقرِّ إقامتِه الثَّانويَّة Datcha هناك؛ حيث كان يُقيم مع زوجتِه وشقيقاتِه. سُررتُ لرؤيتِهِ. رُبَّما التقينا قبلَ هذا في أحدِ الاجتماعات، لكنَّ الأمرَ اقتصرَ على المصافحة. كان ثمَّة شيءٌ انفرجَ بيني وبينَ إيهرنبورغ، وتكوَّنَ لدينا انطباعٌ بأنَّ أحدَنا يرتاحُ للآخر حينما نكونُ مع بعضِنا. زِدْ على هذا أنَّني كنتُ أكنُّ الوُدَّ له.

س.د.ب: لكن عموماً، ألم تُضايقُكَ الطَّريقةُ الَّتي كان الحزبُ الشُّيوعيُّ يستخدمُكَ من خلالِها ـ كما في الكتاب المتعلِّق بِهنري مارتان H.Martin ـ من دونِ أن تكونَ بينَكم علاقاتٌ إنسانيَّةٌ حقيقيَّة، وشخصيَّة، وودِّيَّة، وعلاقاتُ ثقةٍ معهم؛ ألم يكن يُضايقُكَ هذا الأمر؟

ج.ب.س: بلى! كان الأمرُ يضايقُني إلى حدٍّ كبير، وهذا ما دفعَني إلى الانفصالِ عنهم تماماً، وحسناً فعلتُ. المدهشُ أنَّ العكسَ حصلَ مع الماويِّين الَّذينَ عرفتُهم، حيث كانوا يعاملون النَّاسَ بوصفِهم أشخاصاً.

س.د.ب: بعد أن أدنتَ، بنفسِك، وجودَ معسكراتِ العملِ في مجلَّة **الأزمنة الحديثة**، في مقالة حَمَلَتْ عنوانَ: **شبح ستالين**؛ قلتَ فيها إنَّ الاتِّحادَ

(١) إيليا إهرينبورغ (١٨٩١-١٩٦٧): كاتب وصحفيّ روسيّ سوفييتيّ، كثير الكتابة، لعب دوراً كبيراً في الدّعاية السّوفييتيّة، لا سيما خلال الحرب العالميّة الثّانية.

السُوفييتيّ عبارةٌ عن اشتراكيَّةٍ تُجسّدُ الدَّمويّة، وتغصُ بالأخطاء، مع أنَّها الاشتراكيَّة.

ع.ب.س: لقد أخطأتُ هنا؛ الحقيقةُ أنَّها لم تعد الاشتراكيَّة؛ لأنَّ الاشتراكيَّةَ انتهت بعدَ أن تسلَّم السُوفييت مقاليدَ الحكم. في تلك الفترة؛ كان يمكنُ للاشتراكيَّة أن تتطوَّرَ شيئاً فشيئاً، مع ستالين وقبلَه خلالَ السَّنوات الأخيرة من عهد لينين، لكنَّ الأمرَ تغيَّر.

س.د.ب: لم تعُدْ تعتقدُ أنَّ الحزبَ الشُّيوعيَّ ثوريٌّ، لكنَّكَ اعتقدتَ أنَّه هو المدافعُ عن مصالح الكادحين. أظنُّ أنَّ هذا هو الأمرُ المهمُّ بالنِّسبة لك.

ع.ب.س: هذا صحيح، بالتَّأكيد. لكن منذُ ذلكَ الوقتِ رأيتُ أنَّ الاضراباتِ، والسِّياسةَ النَّقابيَّةَ، واتِّحادَ العُمَّالِ العامَّ C.G.T، وسياسةَ العُمَّالِ المرتبطةِ بالحزب؛ كانت تمثِّلُ أخطاءً هائلةً كشفنا القناعَ عنها في أغلب الأحيان.

أودُّ أن أشرحَ كيف حكمتُ على الشُّيوعيِّين الَّذين رأيتُهم في الظُّروف الَّتي رأيتهم فيها؛ كانوا كَمَنْ يضعُ قناعاً فوقَ رأسِه؛ يبتسمونَ، ويتكلَّمونَ، ويجيبونَ على الأسئلة الَّتي أوجِّهُها إليهم، لكن في الحقيقة، لم يكونوا هم مَنْ يجيبون؛ لقد اختفى هؤلاء الـ «هُم»، وأصبحوا شخصيَّاتٍ نعرف مبادئَهم، ويقدِّمونَ الأجوبة الَّتي يمكن لصحيفة **لومانيتيه** L'Humanité تقديمُها باسم مبادئِهم.

س.د.ب: مثلَ حاسوبٍ مُبرمَج؟

ع.ب.س: لم يكنْ ثمَّة تضامنٌ بيني وبينَهم أبداً، اللَّهُمَّ إلَّا التَّضامنَ النَّاشئ عن الاتِّفاق حولَ قضيَّةٍ مُعيَّنةٍ لا بُدَّ من حلِّها.

س.د.ب: ومع ذلك؛ بقيتَ معهم، أليس كذلك؟

ع.ب.س: هذا لعدمِ وجودِ أُناسٍ يمكنني إقامةُ علاقاتٍ سياسيَّةٍ معهم. الحقيقةُ أنَّه كانت لهم حياةٌ شخصيَّةٌ، وكانوا يمرُّون في لحظاتٍ ينزعون خلالَها أقنعتَهم، لكن هذا لا يحدث إلَّا في ما بينَهم. أمَّا علاقاتُهم بالخارج؛ فلم تكن تنطوي على هذه الرُّوح الأخَويَّة.

س.د.ب: هل مرَّ وقتٌ عليكَ اقتربتَ خلالَه من بعضِ مَن اتَّخذَ منهم مواقفَ شبيهةً بمواقفِكَ بعد قضيَّةِ بودابست، فاستُبعِدوا من الحزب فوراً، أو ابتعدوا قليلاً عنه؟

ج.ب.س: حوالي عام ١٩٥٧؛ كان هناكَ فيجييه Vigier وفيكتور لودوك V.Le Duc[١]، وهو عضوٌ لم يحاولْ إيجادَ شيءٍ غيرَ الحزب، بل البحث عن طريقةٍ لإعادة توجيهه. وقد عملوا فعلاً، في الاتِّجاه الَّذي كنتُ أسلكُه في الـ Fac[٢]؛ وكانت مواقفُهم مشابهةً لمواقفي إزاء حربَ الجزائر.

س.د.ب: هل تكوَّنَ لديكَ الانطباعُ الَّذي تكوَّن لدى فيركور Vercors[٣]، الَّذي قال بطريقةٍ مازحة إنَّه مُجرَّدُ عضوٍ فخريٍّ في الحزب الشُّيوعيِّ؟

ج.ب.س: ليس تماماً؛ لم تكنْ فترةُ فيركور نفسها.

س.د.ب: كان فيركور أكثرَ طواعيَّةً منكَ.

ج.ب.س: التقيتُهُ خلالَ الاجتماعات، حيث كان يتناولُ الكلامَ لعرضِ رأيٍ ما؛ يُعبِّر عن رأيِ الحزبِ بشكلٍ عامٍّ، ثمَّ يلوذُ بالصَّمت. أمَّا أنا؛ فكانوا يجعلونَني أعملُ في مواقعِ العمل، حولَ عملٍ نُقرِّره معاً، ثمَّ نعقدُ لقاءً حولَه. حيثُ لكلٍّ منَّا دورُه المحدَّد، فكنتُ أتكلَّمُ بطبيعةِ الحال. ليس هذا هو مأخذي على الشُّيوعيِّين. بل كنتُ آخذُ عليهم رفضَهم للذَّاتيَّة، وغيابَ أيِّ علاقةٍ بينَ إنسانٍ وآخر.

س.د.ب: هل تعتقدُ أنَّكَ أضعتَ وقتَكَ في محاولةِ العملِ مع الشُّيوعيِّين؟

ج.ب.س: لا، لم يكُنْ عملي معَهم وقتاً ضائعاً؛ فقد عرفتُ ما هي الشُّيوعيَّة. وحينما ارتبطتُ بِالماويِّينَ لاحقاً، والَّذين لم يكونوا حتماً أصدقاءَ للشُّيوعيِّين؛

---

(١) فيكتور لو دوك (١٩١١-١٩٩٢): أحد قادة الحزب الشّيوعيّ، من أصل ألمانيّ يهوديّ.

(٢) لا يبعدُ من نفس المترجم أن تكون اختصارًا لـ Fac Similé، أي نسخة طبق الأصل، وهي المقالة التي نشرها سارتر حول هذا الموضوع في صحيفة ليبراسيون.

(٣) جان برولر، اعتمد الاسم الأدبيّ فيركور خلال فترة المقاومة ضِدّ الاحتلال النّازيّ (١٩٠٢-١٩٩١): كاتب فرنسيّ.

وجدتُ نفسي مُرتاحاً معَهم، لأنَّهم كانوا يعتنقونَ المبادئَ نفسَها الَّتي أعتنقُها حولَ العلاقةِ بالحزب الشُّيوعيِّ.

س.د.ب: لو لمْ تقُمْ بكلِّ تلكَ المحاولاتِ الرَّامية إلى العملِ مع الحزبِ الشُّيوعيِّ، وكرَّستَ المزيدَ من الوقتِ للعملِ الأدبيِّ، والفلسفيِّ، ولو أنَّك ابتعدتَ عن السِّياسة، هل كان لهذا كلِّه أن يُغيِّرَ شيئاً في علاقتِكَ بِالماويِّين اليوم؟

ج.ب.س: نعم. لأنِّي وصلتُ إلى الماويِّينَ من خلالِ السِّياسة، وعبرَ التَّفكُّرِ في أحداث عام ١٩٦٨، وواجبُ الالتزام قادَني إلى أن أكونَ إلى جانب الماويِّين، لكنَّ هذا كان يفترضُ بالتَّحديدِ الالتزامَ إزاءَ الاحتلالَ والتَّحرير؛ وما كان لإنسانٍ غيرِ مُسيَّسٍ أن ينخرطَ معهم، ويفهمونَه. لا، لا أعتقد أنَّه كان يُمكن أن أكونَ مع الماويِّين؛ نظراً لأنِّي لم أمارسِ السِّياسةَ في عمري ذاك. كان يمكن أن أستمرَّ في عدم مزاولةِ السِّياسة. حينما يعمل المرء في حركةٍ مُعيَّنةٍ فإنَّه يُضيعُ الكثيرَ من الوقت. لكن ما معنى الوقت الضَّائع؟ ثمَّة وقتٌ ضائع، وآخر نحصلُ من خلاله على معرفة النَّاس، ونتعلَّم إبعادَهم عنَّا، أو نجدُ شيئاً يقرِّبنا منهم.

س.د.ب: ما هي آفاقُكَ السِّياسيةُ الآن؟

ج.ب.س: الآنَ أنا رجلٌ مُسنٌّ؛ بعد أن أصبحتُ في التَّاسعة والسِّتِّينَ من عمري؛ لا أرى أنَّ ما يمكنني الشُّروع بهِ الآنَ سيبلُغ نهايتَه.

س.د.ب: كيف هذا؟

ج.ب.س: حسناً، سأتوارى عن الوجودِ قبلَ أن تتَّخذَ حركةٌ مُعيَّنةٌ، قد أكونُ فيها، شكلاً واضحاً. وتكون لها نهايةٌ مُعيَّنة. سأكون دائماً في البدايات، وهذا أفضلُ ما يُمكن، هذا إنْ لم أكن مهزوماً. في الوقت الرَّاهن؛ أجدُ نفسي في البدايات، ولن أرى شيئاً أوسعَ وأقوى: هناك عناصر، وهناك حشدٌ من النَّاس لا يريدون الانتسابَ إلى الحزبِ الشُّيوعيِّ، ويريدون، مع ذلك، التَّحرُّكَ.

س.د.ب: أليس هناك أملٌ في أن يتمكَّنَ الحزبُ الشُّيوعيُّ من استعادةِ شبابِهِ ويتغيَّر؟ أو أنَّ هذا الأمرَ غيرُ ممكن برأيك؟

ج.ب.س: في كلِّ الأحوال؛ هذا أمرٌ بالغُ الصُّعوبة. فالبالغون كلُّهم، أو تقريباً كلُّهم يضعونَ القناع، وفي دماغِهم حاسوب؛ فإذا كان الشَّبابُ مختلفين؛ رُبَّما يكونُ الأمرُ ممكناً، لكنِّي لا أتخيَّلُ ذلك.

س.د.ب: بقي أن نعرفَ ما إذا كان الشَّبابُ سيقدِّمونَ إلى الحزبِ الشُّيوعيِّ دماً جديداً، أم أنَّ دماءَهم ستتجمَّد؟

ج.ب.س: هو كذلك.





الزَّمن

س.د.ب: أودُّ أن نتحدَّثَ اليومَ في موضوعٍ هامٍّ حولَ علاقتِك بالزَّمن. لا أعرف تماماً كيفَ سأصوغُ الأسئلة؛ أعتقد أنَّه من الأفضلِ أن تتكلَّم بنفسِك عمَّا يبدو لكَ هامّاً في علاقاتِك بالزَّمن.

ج.ب.س: هذا أمرٌ بالغُ الصُّعوبة، لوجودِ زمنٍ موضوعيٍّ، و زمنٍ ذاتيٍّ. هناكَ الزَّمنُ حيثُ أنتظرُ قطاراً ينطلق في السَّاعة ٨,٥٥، ثمَّ زمني وأنا بصددِ العمل. صعبٌ جدّاً. سأحاولُ الكلامَ عن الاثنين من دون أساسٍ فلسفيٍّ فعلاً.

أظنُّ أنَّ زمني، يومَ كنتُ في الثَّامنة أو التَّاسعة من عمري، لم يكن مُقَسَّماً كثيراً. كان هناكَ زمنٌ ذاتيٌّ كبير، تأتي أشياءٌ خارجيَّة لتقسِّمَه من وقتٍ لآخر؛ أشياءٌ موضوعيَّةٌ فعلاً. وحينما صرتُ في العاشرة ـ وكما سترين لفترةٍ طويلةٍ ـ حدث تقسيمٌ دقيقٌ جدّاً لزمني: كلُّ سنةٍ كانت تنقسم إلى تسعةِ أشهرٍ من العمل في المدرسة، وثلاثة أشهر في العطلة.

س.د.ب: هل هذا هو ما تسمِّيه تقسيماً موضوعيّاً؟

ج.ب.س: إنَّهُ تقسيمٌ موضوعيٌّ، ومُعاشٌ ذاتيّاً. كان ذلك التَّقسيمُ موضوعيّاً في الأصل: الشُّهورُ التِّسعةُ الَّتي كنتُ أقضيها في المدرسة عبارةٌ عن برامجَ مفروضة عليّ؛ أمَّا أشهرُ العطلة الثلاثة: فكنتُ أعيشها بطريقةٍ ذاتيَّة. الأمرُ يختلف بينَ دخول المدرسةِ عندَ الصَّباح معَ حمَّالةِ أقلام، وبينَ النُّهوضِ في مكانٍ ما من الضَّواحي والشَّمسُ فوقَ رأسي. هذا يؤدي إلى تغييراتٍ في ما كنتُ أنتظرهُ من هذا الزَّمن. في الأشهر التِّسعة الأوَّلى كنتُ أتوقَّعُ الرَّتابة:

كالوظائفُ الَّتي أحصل في مقابلها على علامات، ومواضيعُ الإنشاء الَّتي من شأنها وضعي في المرتبة الأُولى أو الأخيرة، ومجموعُ الفروضِ الَّتي كنتُ أحلُّها في صالون والديَّ. بعد ذلك؛ كنتُ أنتظرُ السَّحرَ في الأشهرِ الثَّلاثةِ الأُخرى، أي ذلك الشَّيءُ المختلفُ عمَّا أفعله يوميّاً في المدرسة، شيءٌ يظهرُ في الرِّيف، أو في بلدٍ أجنبيٍّ، أوفي الأماكن الَّتي كنتُ أقضي فيها عطلتي الَّتي لا تشبه شيئاً من العملِ اليوميِّ المدرسيِّ خلالَ تسعةِ الأشهر الأولى، لكنَّها كانت تمثِّل شيئاً غريباً جميلاً يظهر أمامي ثمَّ يفلتُ منِّي في الوقت نفسه. تلك كانت فكرتي عن العُطلة، أي الرِّيف أو البحر، وضمنَ هذا الزَّمنِ الَّذي كنتُ خلالَه على احتكاكٍ بالرِّيفِ والبحرِ؛ كانت توجد أشياءٌ ساحرة. قد يبدو لي مركبٌ فوقَ الماءِ من بعيد بمثابةِ عنصرٍ ساحر؛ كان هذا نوع آخر من الواقع الَّذي ما تسنَّى لي أبداً تحديدُهُ، لكنَّهُ كان حاسماً بالنِّسبةِ لباقي العالم. إذاً؛ هناك واقعُ الحياةِ اليوميَّة، الذي لا مفاجأة فيه، وواقعُ العطلةِ حيث تفاجئُكَ الأشياءُ وتُغنيك. هكذا عشتُ الزَّمنَ حتَّى دارِ المعلِّمين، بل وفي الدَّار نفسِها. بعد ذلكَ؛ انخرطتُ في خدمتي العسكريَّة. وبعد أن حظيتُ بتأجيل؛ عدتُ إلى الخدمة في الرَّابعة والعشرين من عمري في مجالِ الأرصادِ الجويَّة. كنتُ في أحدِ البيوتِ الصَّغيرةِ في ضواحي مدينةِ تور أُسجِّلُ معلوماتٍ عن الرُّطوبة الجويَّة، والزَّمن، وتعلَّمت البثَّ الإذاعيَّ قليلاً، وأبجديَّةَ مورس، وعرفتُ معلوماتٍ تتعلَّقُ بأحوالِ الطَّقس في أماكنَ مختلفة. وفي بعضِ الأحيان؛ كنتُ أذهبُ لاستكشافِ درجاتِ الحرارة، وحالةِ الرُّطوبةِ الجوِّيَّة، وما إلى ذلك، بأدواتٍ مجموعةٍ في تخشيبةٍ قريبةٍ من البيت. خلاصةُ القول: كانت حياتي مُنظَّمةً، غاب عنها تقسيمُ الزَّمن إلى ثلاثة أشهر للعطلة، وتسعة أُخرى للعمل. أصبحتُ أُستاذاً بعد نهاية خدمتي العسكريَّة، وعدتُ إلى إيقاعِ تسعةِ وثلاثة الأشهر، ليس بوصفي تلميذاً، بل بوصفي أستاذاً، وهما حالتانِ مُتشابهتانِ إلى حدٍّ ما. كنتُ خلالَ تسعةِ الأشهر

أُحضِّر المحاضراتِ وألقيها على التّلاميذ. وكانت لي حياةٌ خاصَّةٌ هامَّةٌ لأنَّه لم يكن أمامي سوى خمسَ عشرةَ أو ستَّ عشرةَ محاضرةً أسبوعيّاً، ومثلها للتَّحضير، أي ما مجموعُه اثنتين وثلاثين ساعةً أسبوعيّاً؛ فأخصِّصُ ساعاتٍ للأعمال الأدبيَّة. وأقضي نهاراتي في مدينة روان معكِ، فنذهب معاً إلى باريس لقضاءِ يومين فيها حينما نكونُ في حِلٍّ من التَّدريس. كانت حياتي مُنظَّمَة، يلعب فيها الزّمنُ الذَّاتيُّ دوراً كبيراً؛ في مدينة لوهافر كنتُ أُخصِّصُ وقتي للتَّفكير، والإحساس، وتطوير أفكاري الفلسفيَّة، أو أعملُ على روايتي **الغثيان**. في باريس، وروان؛ كانت ثمَّة أشياءٌ عليَّ القيامُ بها، مثل حضورِ الاجتماعات ورؤية الأصدقاء. ومثَّلَت مدينة لوهافر بالنِّسبةِ لي جزءاً من الذَّاتيَّة. كان زمني الذَّاتيُّ موَجَّهٌ نحوَ المستقبل. فأعيش وأنا أعملُ لأنهي كتاباً مُعيَّناً. عملتُ على روايةِ **الغثيان** حتَّى نهايةِ سنواتِ خدمتي في لوهافر، ومثَّلَ هذا رابطاً مُستداماً، ومُستقرّاً، وموضوعيّاً بطريقةٍ مُعيَّنة، مثلُه مثلُ زمنِ المدرسةِ الّذي كنتُ أُعلِّمُ خلالَه الفلسفة، أو مثل علاقاتي بأصدقائي، وبكِ.

خلالَ العطلةِ كنتُ أخرجُ من فرنسا، ونذهب، أنا وأنتِ، للتَّنزُّه في كلِّ مكان، مثل إسبانيا، وإيطاليا، واليونان، وهذا أيضاً كان زمناً مُنفصلاً. لم أكنْ أتخيَّلُ رؤيةَ إسبانيا أو اليونان إلّا خلالَ تلك الأشهر. فيتبدى لي السِّحر من جديد؛ لأنِّي كنتُ أرى شيئاً أجهلهُ؛ كمناظر الطَّبيعة في اليونان، وفلّاحيها، واكتشافِ الأكروبول. تلك كانت روعةَ العطلةِ الّتي كانت تتفوَّق تماماً على تسعة أشهر المدرسة الّتي كنتُ أدرِّس فيها الشَّيء نفسَه؛ تلك الأشهر الثّلاثة كانت مُتجدِّدةً دائماً، ولا يمكن أن تتشابه من سنةٍ لأُخرى. كانت بمثابةِ زمنِ الاكتشاف.

استمرَّ هذا الحالُ حتَّى اندلاعِ الحرب. خلالَ الحربِ وحتَّى عودَتي من الأَسْرِ؛ كنتُ أجهلُ تماماً هذا التَّقسيمَ القديمَ للزَّمن. فقد كانت الأشياءُ متشابهةً؛ على الأقلِّ في ما يتعلَّق باهتماماتي. فترى الجنديَّ يفعل في الصَّيف

ما فعله في الشّتاء. كنتُ راصداً للأحوال الجوّيّة، وأعيشُ حياةَ الرّاصدِ الجوّيّ. كنتُ في معسكرٍ ألمانيٍّ عاديٍّ، حيثُ تمرُّ الأيّامُ متشابهةً. ثمَّ هربتُ، وعدتُ إلى فرنسا، وفي تلك الفترةِ عدتُ إلى تقسيماتِ الزّمنِ الّتي عرفتُها سابقاً؛ أي: تسعة أشهرٍ في مدرسة باستور في باريس، وثلاثة أشهر عطلة. عموماً؛ كنتُ أقضي العطلةَ في المنطقة المحرَّرَة، وهو ما كان يُمثّل بلداً أجنبيّاً، بل أكثرَ من بلدٍ أجنبيٍّ؛ لأنَّه كان عليَّ أن أتسلَّل إلى المناطقِ المحرَّرةِ بمساعدةِ المهرِّبين. عندما رحلَ الألمانُ بعدَ نهايةِ الحرب؛ انسحبتُ من المدرسة، وطلبتُ عُطلةً طويلةً انتهت بالاستقالة، وأصبحتُ كاتباً فقط، وارتبطت حياتي بما تدره عليَّ كتبي من أموال. مع ذلك؛ بَقِيَتْ السَّنةُ مُقَسَّمةً إلى تسعةِ أشهرٍ وثلاثةِ أشهر، وأصبح هذا دَيدَنُ حياتي. وما زلتُ حتَّى الآن أخصُّ نفسي بثلاثةِ أشهرٍ من العطلة؛ حيث أرتادُ الأماكنَ نفسَها. بالنَّتيجة تقلَّص سحرُها، وصرتُ أتوقَّع ما سألاقيه فيها؛ أذهبُ إلى روما خلالَ عطلتي، لكن خلالَ تلك المرحلة؛ أصبحَتِ الحياةُ أكثرَ مرونةً، وحُرِّيَّةً، فصرتُ أتحدَّثُ معكِ في كلِّ شيء، ونقوم بالنُّزهاتِ معاً. إذاً؛ هذا زمنٌ مختلف، بطريقةٍ ما، لكنَّه لا يحمل جديداً، لأنّي أعرف إيطاليا إلى حدٍّ ما؛ فلا أفعلُ شيئاً سوى العودةِ إلى ما سبقَ لي رؤيتُه. لكنَّ تقسيمَ الزّمنِ ظلَّ قائماً؛ أعودُ في شهر تشرين الأوّل، إن كان عليَّ إلقاءُ الدُّروس، وأرحلُ في شهرِ تمُّوز بعد أن تنتهي. يمكنني القولُ إنّي حافظتُ على الإيقاع الزَّمنيِّ بينَ تسعةِ وثلاثةِ أشهر منذُ الثَّامنةِ حتَّى اليومِ بعد أن بلغتُ السَّبعين. ذلك كان التَّقسيمَ النَّمطيَّ لسنواتِ حياتي. أمَّا الزَّمنُ الحقيقيُّ لسنواتِ عملي؛ فهو تسعةُ الأشهر الَّتي كنتُ أقضيها في باريس: إذ ما زلتُ عموماً، مُستمرّاً في العملِ خلالَ أشهرِ العطلة الثَّلاثة، لكنْ بوتيرةٍ أقلَّ، وأرى العالمَ يمتدُّ حولي من دونِ ترتيبٍ مُسبَق مُحدَّد؛ تسعةُ الأشهرِ الأُولى تقوم على ترتيبٍ مُسبَقٍ يرتبطُ بالكتابِ الَّذي أكتبُهُ. خلال العطلة؛ أكونُ أكثرَ ارتباطاً بالمكانِ الَّذي أجدُ نفسي فيه؛ حيث أجدُ فيه الزَّمنَ الذَّاتيَّ. أنا متأثِّرٌ بباريس

من النَّاحيةِ الذَّاتيَّة، إذ إنِّي أحبُها، وطالما كانت مكانَ إقامتي المفضَّل، أو بزمن البرازيل، واليابان الَّذي هو زمنٌ مختلف، يأتيني من النَّاس، حيث أكونُ مُستعدّاً للقيام برحلاتٍ وزياراتٍ؛ يقول لي سُكَّانُ البلادِ إنَّها ضروريَّة. إنَّهُ زمنٌ غريب، مُشوَّش، أشهدُ فيه تجاربَ هامَّةً من وقتٍ لآخر. هذه الأشهرُ الثَّلاثةُ هي زمنُ تجربتي حولَ العالم. ثمَّة طرقٌ مختلفةٌ لإدراكِ الدَّقائقِ المنقضيةِ خلالَ العطلة. خلالَ السَّنة تتزاحمُ الأيَّام قليلاً؛ تقطعها اللَّيالي حيثُ أنام. لكنَّها في حقيقةِ الأمرِ تأخذُ برقابِ بعضها، لنرتاحَ خلالَها. أذكرُ أنَّ أيَّامَ الأشهرِ التِّسعة تنسلُ من بعضها البعضِ ببطءٍ وتنتهي إلى أن تشكِّلَ يوماً واحداً، تصبحُ نهاراً واحداً في السَّنة التَّالية. هكذا كان زمني مُقسَّماً دائماً على هذا النَّحو، ولهذا، فهو لا يُشبه زمنَ العاملِ الَّذي يحظى بعشرين يوماً من العطلة ـ هذا إذا حصل عليها ـ وعملٌ يوميٌّ خلالَ بقيَّةِ السَّنة.

س.د.ب: لكن، حياتُكَ ـ منذُ الحربِ على أيِّ حال ـ لم تكنْ مُنظَّمةً ومنهجيَّةً كما تقول. فقد تخلَّلتها أوقاتٌ لم تقضِ فيها تسعة الأشهر في باريس: ففي إحدى السَّنواتِ؛ قضيتَ أربعة أشهر منها في أمريكا. والسَّنة الَّتي تلتها؛ عدتَ إلى أمريكا في فتراتٍ لم تكنْ فتراتِ عطلة. وحينما ذهبتَ إلى كوبا كان ذلكَ في شهر شُباط. كما قُمنا برحلةٍ إلى الجزائر، وبعدَها إلى إفريقيا السَّوداء في شهر نيسان من عام ١٩٥٠. وفي تلكَ السَّنة لم نأخذْ عطلةً طويلةً خلالَ شهورِ الصَّيف؛ فكانَ الإيقاعُ مرِناً قليلاً، وأكثرَ تقلُّباً ممَّا تقول. وفضلاً عن هذا؛ كُنَّا نسافرُ خلالَ عطلةِ عيدِ الفصح.

ج.ب.س: هذا أكيد. لكنَّه يبقى ضمنَ مجالِ تسعةِ ـ ثلاثةِ الأشهر؛ إذ ثمَّة أشياءُ غيرُ متوقَّعَةٍ تحصلُ في تسعة الأشهر، لكنِّي حافظتُ على التَّقسيم القائم على تسعة ـ ثلاثة أشهر. وليسَ لرحلةٍ أقومُ بها خلالَ السَّنة، معنى رحلة الصَّيف نفسه.

س.د.ب: تقولُ إنَّ تسعةَ أشهُرِكَ تتكثَّفُ في ذاكرتِك بنهارٍ واحدٍ فقط. ومع ذلك؛ فحياتُكَ في باريس متنوِّعةٌ إلى حدٍّ ما. ومُبرمَجَةٌ أيضاً.

ج.ب.س: هي مبرمجةٌ يوماً بيوم، وكلُّ يومٍ يقوم على البرنامج نفسِه: أستيقظُ حوالي السَّاعة الثَّامنة والنِّصف. وفي السَّاعة التَّاسعة والنَّصف؛ أنخرطُ في العمل في بيتي حتَّى السَّاعة الواحدة والنِّصف بعدَ الظُّهر. في بعضِ الأيَّامِ أستقبلُ شخصاً في السَّاعة الثَّانيةَ عشرةَ والنِّصف. بعدَها أذهبُ لتناولِ الغداء في الكوبول بشكلٍ عامٍّ. أنتهي من الغداءِ حوالي السَّاعة الثَّالثة، وبين الثَّالثة والخامسة؛ ألتقي بأصدقاء. على الأقلِّ: كان ذلك برنامجي حتَّى هذه السَّنواتِ الأخيرة، حيثُ فقدتُ بصري. أو أنِّي، على الأقل، أرى قليلاً جداً، ولم أعدْ قادراً على القراءة أو الكتابة. في الوقت الرَّاهن؛ أبقى ساعاتٍ وساعاتٍ جالساً أمامَ طاولتي فوقَ كرسيٍّ من دونِ أن أكتبَ شيئاً يُذكر. أحياناً أُسجِّلُ بعضَ الملاحظاتِ الَّتي لا أستطيعُ إعادةَ قراءتِها، فتقرأينها لي. في السَّاعةِ التَّاسعةِ مساءً أذهبُ لتناولِ العشاءِ معكِ أو معَ أحدٍ آخر ـ بشكلٍ عامٍّ معَكِ ـ منذُ وقتٍ صرنا نتناول العشاءَ في بيتكِ وهو عبارةٌ عن قطعةٍ من الباتيه Pathé، أو أيِّ شيء آخر، ثمَّ نقضي السَّهرة في تجاذبِ أطراف الحديث، أو في الاستماعِ للموسيقا. وآوي إلى فراشي عندَ منتصفِ اللَّيل. هكذا كانت نهاراتُنا. لكنَّها كانت تتنوَّع قليلاً. يمكنني أن أراكِ أكثرَ في يوم واحد، وأقلَّ في الأيَّام اللَّاحقة.

س.د.ب: لم تكنْ تتناولُ الغداء، أو تقضي أمسياتِك مع الشَّخص نفسِه، لكنَّ ذلكَ كان مُبرمجاً: الإثنين مع شخصٍ مُعيَّن، والثّلاثاء مع شخصٍ آخر، والأربعاء مع شخصٍ ثالث، وهكذا. معنى هذا أنَّ برنامجَك الأسبوعيَّ لم يكنْ ثابتاً. وهذا هامٌّ لأنَّه يعني أنَّهُ إضافةً إلى تقسيمِك لتسعة ـ ثلاثة أشهر؛ أنَّ حياتَك كانت مُبرمجةً جدّاً يوماً بيوم، وحتَّى خلالَ الأسبوع. إنَّها حياةٌ بالغةُ الانتظام. لماذا هي مُبرمَجةٌ على هذا النَّحو؟

ج.ب.س: لا أدري. لكن ينبغي ألَّا يغيبَ عن البال أنَّ هذا البرنامجَ عبارةٌ عن شكل. أمَّا المضامينُ فأنا المسؤول عنها. فمثلاً إذا كان أمامي ثلاثُ ساعاتٍ للعمل بعدَ الظُّهر؛ فهو ليسَ العملَ نفسَه كلَّ يوم.

س.د.ب: هذا طبيعيٌّ. في ما يتعلَّق بالمواعيد؛ هناك أشخاصٌ يرغبون برؤيتكَ، ويتساءلون متى يمكنُهم ذلك. والأمر يصبحُ بالغَ التَّعقيد إذا كنتَ مضطرّاً لتحديدِ موعدٍ كلَّ مرَّة. فالنَّاسُ لا يعودون قادرينَ على الاعتمادِ عليك. أعتقدُ أنَّك أُخذتَ بالعطالةِ العملانيَّة pratico-inerte في علاقتكَ بالآخرين، وهذا يعني أنَّك لن تغيِّر أبداً السَّاعاتِ الَّتي تلتقي خلالَها الأشخاصَ الَّذين عليكَ رؤيتهم. الجميع هكذا إلى حدٍّ ما، لكنَّ علاقاتي بالنَّاس أكثرُ مرونةً من علاقتِك بهم. الأمر بالنِّسبة لكَ عبارةٌ عن قيدٍ بنحوٍ خاصّ.

ج.ب.س: لكن، العنصرُ المزعجُ في هذا القيدِ هو السَّاعة المحدَّدة لهذه اللِّقاءاتِ الَّتي يختلفُ مضمونُها.

س.د.ب: صحيح؛ تارةً نقضي سهرةً في الحديث، وطَوراً أقوم ببعضِ القراءات، وأحياناً نستمع إلى الموسيقا.

ج.ب.س: ثمَّةَ أشخاصٌ أعيش معهم ساعاتٍ مُتكرِّرة جدّاً.

س.د.ب: لِنَعُدْ إلى **الزَّمن الذَّاتيّ**. هل بدا لكَ الزَّمنُ بالغَ الطُّولِ أحياناً، وبالغَ القِصَرِ في أحيانٍ أُخرى؟

ج.ب.س: طويلٌ جدّاً في أغلبِ الأحيان، وقصيرٌ جدّاً أحياناً.

س.د.ب: هل هذا يعني أنَّ الضَّجرَ يصيبُك في أغلبِ الأحيان؟

ج.ب.س: ليس الأمرُ هكذا، لكنِّي أظنُّ أنَّ الأشياءَ قد تكون مضغوطةً بشكلٍ أكبر. رُبَّما يقلُّ تكرار رؤيتي للأشخاص. وهذا لا يُضجرني. وقد أُسرُّ لسماعِ الأشياء نفسِها من فمِ الأشخاصِ أنفسِهم. لا، هذا لا يبعثُ على

الضَّجر. لكنَّ الحقيقةَ أنَّ الزَّمنَ طويلٌ جدّاً في أغلب الأحيان. وهو قصيرٌ جدّاً في بعضِ الأحيان. بمعنى أنَّ الزَّمن المتاح لا يكفي لتحضيرِ العملِ الَّذي نريدُ القيامَ به وإنجازه. لا يكفي إمَّا بسببِ النَّاس الَّذين يعارضونه، أو بسببِ الصُّعوباتِ الَّتي تعترضنا. ولا بُدَّ لِلَّحظةِ الَّتي أقضيها، وأجدها لطيفةً أن تنتهي عندَ الساعةِ العاشرةِ لكي أعودَ إلى عملي. لذلك تراه قصيراً جدّاً. الزَّمنُ ليسَ دائماً ذلكَ الزمن اللازم بالضَّبط، أي الَّذي يلائم شيئاً مُعطىً تماماً، من دونِ زيادة أو نُقصان.

س.د.ب: مرَّت عليكَ فترةٌ كنتَ تتحدَّثُ فيها عن «السِّباق ضِدَّ الزَّمن». حينما يكون لديكَ أعمالٌ ضخمةٌ مثلَ كتابِ **فلوبير**، أو **نقد العقل الجدلي**؛ كان ينتابُكَ الانطباعُ بأنَّكَ تحتاجُ إلى الزَّمن لإنهائها، ولا بُدَّ من النِّضالِ بطريقةٍ عُصابيَّةٍ تقريباً ضِدَّ الزَّمن. وهو ما يُفسِّرُ تعاطيكَ مُنشِّط الكوريدران.

ج.ب.س: احتجتُ لزمنٍ أقلَّ من أجلِ كتابةِ **فلوبير**، والكثيرِ منه لكتابةِ **نقد العقل الجدلي**. ومع هذا؛ لم أنتهِ منه؛ إذ لديَّ مقاطعُ طويلةٌ لم أضعْها فيه، ولم يكتمل، وكانت بحجمِ جزءٍ ثانٍ. وفضلاً عن هذا؛ فإنَّ إحدى سماتِ علاقتي بالزَّمن هو عددُ المؤلَّفات الَّتي لم أستكملْها. مثل روايتي، **والوجود والعدم**، **ونقد العقل الجدلي**، **وفلوبير**، وغيرها. لستُ منزعجاً من عدمِ اكتمالِها، لأنَّ أُناساً مهتمِّين بها يستطيعون إنهاءَها، أو القيامَ بأشياء مشابهة. لكن صحيحٌ أيضاً أنَّه كان ينتابني نوعٌ من الخوف، أو التَّغيُّر الَّذي يدفعني إلى اتخاذ قرار مفاجئ غيرَ لطيفٍ؛ كالتَّوقُّف عند نقطة معينة وعدمُ إنهاءِ الكتابِ الَّذي أنا بصددِ العملِ عليه. هذا غريب، لأنَّه كان لديَّ تصوُّرٌ كلاسِّيكيٌّ تماماً وهادئ عن نفسي؛ كنتُ أنظرُ إلى الكتبِ بوصفِها شبيهةً بتلك الَّتي كان يكتبُها جَدِّي، أي كتبِ قراءةٍ صارمةٍ تقوم على بدايةٍ ونهاية. حينما بلغتُ العاشرةَ من عمري؛ ظننتُ أنَّ جميعَ الكتبِ الَّتي سأكتُبها سيكون لها بداية ونهاية، وتتَّصفُ

بالصَّرامة، وتتضمَّن كلَّ ما أريد قولَه. ثمَّ لو نظرتُ إلى كلِّ ما تركتُه ورائي، بعد أن صرتُ في السَّبعين، سألاحظُ أنَّ كمِّيَّةً كبيرةً من أعمالي لم تكتملْ.

س.د.ب: أليسَ لأنَّ مشاريعَك تتجاوز مستقبلاً واسعاً؟ إذ بينما تعيشُ هذا المستقبل؛ ثمَّة أشياءُ أُخرى تلتمسكَ، وتُشغلكَ، عندئذٍ تتخلَّى عن المشروع الآخر.

ج.ب.س: أظنُّ أنَّ الأمرَ كذلك. صحيحٌ أنَّ روايتي توقَّفت؛ لأنَّ الجزءَ الأخيرَ الَّذي كان يتضمَّنُ المقاومةَ في باريس خلالَ الاحتلال؛ لم يعُدْ متوافقاً مع الحياةِ السِّياسيَّةِ في فرنسا إبَّانَ الجمهوريَّةِ الرَّابعة؛ فلا أستطيعُ العيشَ من النَّاحيةِ السِّياسيَّةِ في عام ١٩٥٠ وأحاولُ العودةَ بالخيال إلى عام ١٩٤٢-١٩٤٣. يمكن للمؤرِّخِ تجاوزَ هذه الصُّعوبة، أمَّا الرِّوائيُّ فلا يستطيعُ ذلك.

س.د.ب: أظنُّ أنَّ الشَّيءَ نفسَه ينطبقُ على الأعمال الأخرى؛ إذ كان المشروعُ يمتدُّ خلالَ فترةٍ طويلة، ولم تفكِّر، وأنتَ بصددِ صياغتِه، بأنَّك ستلاقي طلباتٍ أُخرى مُحددَّة، تكون أخيراً لها الغلبة؛ لأنَّها ترتبطُ بالوقتِ الرَّاهن.

ج.ب.س: **نقدُ العقلِ الجدليِّ**، و**أحمقُ العائلة** كانا مُعاصرَيْن؛ **أحمقُ العائلة** في بداياته، و**نقدُ العقلِ الجدليِّ** في نهايته: لقد أساءَ هذان العملانِ لبعضِهما في تلك الفترة.

س.د.ب: قلتَ إنَّ الزَّمنَ لم يكن مُنصِفاً أبداً، وأنَّه كان طويلاً جدّاً، أو قصيراً جدّاً. ألا توجدُ، مع ذلك في حياتك لحظات استرخاء، أو فتراتٍ من التَّسكُّع والتَّأمُّل والفراغ؛ خَلَقَت توتّرًا في علاقتِك بالزَّمن؟

ج.ب.س: مررْتُ بالكثيرِ من هذه الفترات؛ بل كنتُ أمرُّ بها يومياً ؛ فأكون متوتِّراً حينما أجلسُ إلى طاولتي وأكتب. إنَّهُ زمنٌ متوتِّر، يقاومني. أشعر أنّي لمْ أُنجزِ العملَ الَّذي أردتُ إنجازَه بعدَ مرورِ ثلاث ساعات. ثمَّ هناك ما أُسمِّيه الحياةَ الشَّخصيَّة مع أنَّها جماعيَّة، واجتماعيَّة كغيرها. حينما أكونُ معكِ؛ قد

تكون بيننا، في بعض الحالات، أشياءُ مُحدَّدة نقومُ بها، ويعود الزَّمنُ ليصبحَ متوتِّراً. لكنَّ أُمسيةً كتلك الَّتي أمضيناها البارحة، لم يكن فيها أيُّ شيء يستعجلُنا، وكان الزَّمن يمضي على هذا النَّحو.

س.د.ب: صحيح؛ ينبغي ألَّا تعطي الانطباعَ بأنَّك متوتِّرٌ إزاءَ الزَّمن كتوتُّرِكَ إزاءَ علاقتِك بجسمِك؛ فأنت لا تقبلُ هجرانَ الجسد، لكنَّك أحسنتَ تركَ نفسِكَ للزَّمن، وللمدَّة.

ج.ب.س: قمتُ به بشكلٍ جيِّد جدّاً.

س.د.ب: رُبَّما أكثر منِّي؛ فخلالَ السَّفرِ كنتُ دائماً جَشِعةً لرؤيةِ كلِّ شيء، والرَّكضِ في كلِّ مكان، أمَّا أنتَ فكنتَ تحبُّ أن تبقى هادئاً، ومتأمِّلاً، وتحبُّ الانتظارَ. ورُبَّما يعبِّرُ تدخينُكَ الغليونَ أيضاً عن طريقتِك في ملءِ وقتِك من دون أن تملأه.

ج.ب.س: صحيح، تدخينُ الغليونِ يتطلَّب أن يبقى مُدخِّنُه جالساً في مكان مُعيَّن، كطَّاولة المقهى، حيث ينظر إلى العالم من حوله وهو يسحبُ دخانَ غليونه. الغليونُ عنصرُ ثبات. منذُ أن بدأتُ بتدخينِ السِّيجارة؛ اختلف الأمر. لا شكَّ أنَّني كنتُ خلالَ العطلةِ «متمهِّلاً» أكثرَ ممَّا أكون خلالَ تسعةِ الأشهر الأُخرى من السَّنة. أضِفْ إلى هذا أنَّ تسعةَ الأشهرِ تتخلَّلُها حياةٌ خاصَّةٌ كنتُ خلالَها أريد أن أكون متمهلاً، أنظرُ إلى الأشياء، وأتحدَّثُ عمَّا أراه؛ عن الأشياءِ من حَولي، والنَّاس الَّذين كانوا يمرُّون أمامي.

س.د.ب: بما أنَّك عملتَ أكثرَ منِّي خلالَ حياتِكَ؛ أعتقد أنَّك أقدرُ منِّي على البقاء من دونِ فعلِ أيِّ شيء.

ج.ب.س: صحيح، وما زلتُ كذلك في الوقت الرَّاهن. بالأمس صباحاً؛ بقيتُ جالساً في هذا المقعدِ ثلاثَ ساعاتٍ من دون أن أرى أشياءَ كثيرة، لأنِّي لمْ أعُدْ أرى أبداً. لم أستمع إلى الموسيقا بسببِ الإضراب، بقيتُ هناك؛ أفكِّرُ، وأحلمُ

من دونِ أن أعودَ بعيداً في الزَّمن، لأنِّي لا أحبُّ ماضيَّ كثيراً؛ ليس لأنَّه أسوأ من ماضي غيري، بل لأنَّه ماضيَّ. يحضر الماضي. وحينما يسألني أحدُهم عمَّا فعلتُه في عام ١٩٢٤؛ أقولُ بأنِّي كنتُ في دارِ المعلِّمين. لكنَّه يغيب إذا بَرَزَتْ منه مشاهدُ من شبابي، وطفولتي، ومراهقتي أو لم تبرز. أمَّا أنتِ فلستِ كذلك.

س.د.ب: لا، أبداً. ألا تروي لنفسِك رحلةً مُعيَّنةً قُمتَ بها؟

ج.ب.س: أبداً. تنتابني ذكرياتٌ عابرة. فمثلاً أتذكَّر مدينةَ كورد Cordes: حيثُ كتَلُ النَّباتاتِ المسمَّاة: أقدام القُبَّرة، تطاولُ الجدرانَ في الشَّوارع الصَّاعدة. لا أدري لماذا. لكنَّ شارعاً في كورد من شأنه أن يخطرَ ببالي.

س.د.ب: حينما تعيشُ الأشياءَ في الوقت الرَّاهن، هل تُحيي فيكَ ذكرياتٍ مُعيَّنة؟ هل الماضي يجتاحُ الحاضر؟

ج.ب.س: لا. الحاضر دائماً جديد. وهذا هو السَّببُ الَّذي دعاني إلى القولِ في رواية **الغثيان** إنَّه لا وجود لتجربةِ الحياة.

س.د.ب: ليس هذا ما عنيتُه تماماً. أفكِّر في تلك التَّراكماتِ الَّتي تعود للظُّهور - هي عندي متواترةٌ على أيِّ حالٍ - من الماضي إلى الحاضر، والَّتي تمنحُ الحاضرَ بُعداً شاعريّاً خاصّاً. فمشهدُ الثَّلجِ يذكِّرني بمشهدِ ثلجٍ مارستُ فيه رياضةَ التَّزلُّج معك، فيصبح هذا المشهدُ قيِّماً بالنِّسبة لي. كما تذكِّرني رائحةُ عشبٍ مقطوعٍ فوراً بمراعي منطقة ليموج.

ج.ب.س: نعم، بالتَّأكيد. فقد تُحيلُ بعض الرَّوائحِ إلى روائح أُخرى؛ لكنَّ مشهدَ الثَّلج الَّذي يحيلُ إلى مشهدِ التَّزلُّج - بمعنى مجموعة الأشياء الَّتي حَدثَت في فترة أخرى في المشهد نفسه - فلا يذكِّرني بمشهدٍ شبيهٍ له. حياتي الماضية لا تذكِّرني بنفسِها إلَّا بشكلٍ تأمُّليٍّ، وليس بوصفِها تسكنُ ذكرياتٍ راهنة. لا شكَّ أنَّ لديَّ ذكرياتٍ في كلِّ لحظة، إنَّها بمثابةِ لحظاتٍ تضيعُ في الحاضر، وليسَت أشياءَ مُحدَّدة تُعيدني إلى الماضي. إنَّها من الماضي، لكنَّها من ماضٍ مسكوبٍ في الحاضر.

س.د.ب: خذْ مثلاً، حينما تنظر إلى روما صباحاً من فوقِ شرفتِك، إنَّها روما الَّتي رأيتَها مرَّاتٍ عديدة، لكنَّك تُدركها في الحالةِ الرَّاهنة.

ج.ب.س: نعم، دائماً. أنا لا أُعلِّقُ ماضيَّ بالحاضر. لكن لا شكَّ أنَّه يتعلَّقُ به من تلقاءِ نفسِه.

س.د.ب: نعم؛ لأنَّ أشياءَ العالم تتكوَّن، كما قلتَ، من القِيَم الَّتي استثمرناها فيها؛ لكنَّ هذا غيرُ مُعطىً مباشرة بوصفه شيئاً مُتوضِّعاً في الزمن.

ج.ب.س: كان لديَّ زمنٌ آخرُ حينما كنتُ صغيراً: هو زمن حياتي منذُ خمسَ عشرةَ سنة؛ وسيبقى حتَّى موتي. لكن مع هذا، في الفترةِ الَّتي كانت أفكارُ المجدِ تهمُّني، حتَّى سِنِّ الثَّلاثين أو الأربعين، كنتُ أُقَسِّمُ الزَّمن إلى زمنٍ حقيقيٍّ، غيرِ مُحدَّد، وإلى زمنٍ آخر أكبر بشكلٍ لا نُهائي، هو زمنٌ ما بعدَ موتي، حيث ستؤثِّر أعمالي في النَّاس.

س.د.ب: هل ينتهي الزَّمنُ الحقيقيُّ فعلاً بالموت؟

ج.ب.س: نعم. بمعنى ما إنه لا ينتهي. الحياة لا تنتهي. نموتُ بين أشياءَ كثيرة لم ننجزْها. لكنِّي بعدَ الموت؛ سأعيشُ مُمَثَّلاً في كتبي، حيث يجدني النَّاس فيها، تلك هي حياةٌ خالدة؛ الحياةُ الحقيقيَّةُ هي تلكَ الَّتي لا نحتاجُ فيها إلى امتلاكِ جسدٍ وَوعيٍ، بل نقدِّمُ الحقائقَ، والدَّلالاتِ المختلفة باختلافِ العالَم الخارجيِّ.

س.د.ب: هل لديكَ وعيٌ بمختلفِ مراحلِ حياتِكَ؟

ج.ب.س: نعم و لا. يصعبُ عليَّ فهمُ ذلك؛ حينما كنتُ في الرَّابعةَ عشرةَ من عمري، على سبيل المثال، وما إن بدأتُ بكتابةِ عشرةِ أسطر؛ كان لديَّ انطباعٌ بأنَّ ما فعلتُه رائع. كانت تلكَ الجُمَلُ من دونِ أهمِّيَّة، لكنِّي كنت أفترضُ أنَّها رائعة. وهي، في الوقت نفسه طريقةٌ لرؤيةِ نفسي راشداً؛ حينما كنتُ أكتبُ أرى نفسي راشداً. في عمري ذاك؛ لم تخطرْ ببالي، مثلاً، فكرةُ أنَّني أكتبُ

مُسوَّدات وأنا في السَّادسةَ عشرةَ. كنتُ في كلِّ مرَّةٍ أظنُّ أنَّني أفعلُ شيئاً نهائيّاً سيُعجبُ قُرَّائي.

س.د.ب: ألم تخطرْ ببالِكَ فكرةُ التَّعَلُّم أبداً؟

ج.ب.س: حصل هذا لاحقاً، لكنَّها لم تخطرْ ببالي في البداية. كان لا بُدَّ أن أتعلَّم كيف أروي، وكيف أُجسِّدُ الأفكارَ في مسرود. كان ذلكَ بمثابةِ تعَلُّمٍ كغيرِه.

س.د.ب: ثمَّة فكرةٌ كنتَ توليها الكثيرَ من الاهتمام؛ أعني بها فكرةَ التَّقدُّم.

ج.ب.س: بالتَّأكيد. كنتُ أظنُّ أنَّ مستوى أعمالي الأُولى سيكون أدنى من مستوى أعمالي اللَّاحقة. وأنِّي سأنجزُ عملي العظيم في الخمسين من عمري، وسأموتُ بعدَه. جاءتني فكرةُ التَّقدُّمِ هذه حتماً من الدُّروسِ الَّتي كانوا يعلمونَنا فيها معنى التَّقدُّم، ومن جَدِّي الَّذي كان يؤمن بالتَّقدُّم.

س.د.ب: واختيارُك للمستقبلِ أيضاً. كنتَ تظنُّ أنَّ غداً سيكونُ أفضل من اليوم. كيف واءمْتَ فكرةَ التَّقدُّم هذه، الَّتي طالما كانت لديكَ، مع رفضِك للتَّجربة؟

ج.ب.س: كنتُ أظنُّ أنَّ التَّقدُّمَ يصيبُ الشَّكل بالنِّسبة لي. وهو عبارةٌ عن معرفةِ الكتابة بشكلٍ أفضل، وإيجادِ أسلوبٍ خاصٍّ بي، وتحريرِ كتبٍ وفقَ برنامج مُعيَّن. لكنَّ هذا لمْ يكنْ تقدُّماً معرفيّاً.

س.د.ب: مع هذا؛ يبدو لي أنَّ فكرةَ التَّقدُّم في الفلسفةِ تقتضي معرفةً تغتني شيئاً فشيئاً، وتفكيراً يتعمَّقُ تدريجيّاً.

ج.ب.س: صحيح، لكنِّي لم أكنْ أنظرُ إليه فعلاً على هذا النَّحوِ.

س.د.ب: لم تكنْ تؤمنُ أنَّ الماضي هو القادرُ على إغنائِكَ. هل ظننتَ أنَّ هناكَ صيغةً ستتأكَّد أكثر، أي أنَّ الحركةَ نفسَها نحوَ المستقبلِ هي الَّتي كانت شيئاً قابلاً للحياة؟

ع.ب.س: في الحقيقة، كنتُ أؤمنُ بعبارةِ كونت Comte[1] القائلة: «التَّقدُّم هو تطوُّرُ نظامٍ ordre مخفيٍّ». وهذا يبدو لي صحيحاً.

س.د.ب: تلكَ كانت رؤيةٌ متفائلةٌ جدّاً مقارنةً باعتقاد الكثيرِ من النَّاسِ؛ مثلَ فيتزجيرالد Fitzgerald، بأنَّ الحياةَ مشروعُ تَفَكُّك Désagrégation، وأنَّ كلَّ حياةٍ عبارةٌ عن هزيمةٍ، وسقوط.

ع.ب.س: كنتُ أؤمنُ بهذا أيضاً. كنتُ أؤمن به في الحياة. فإذا توقَّفتِ الأشياءُ الَّتي بدأنا بها، والَّتي كان ينبغي أن تفضي إلى شيءٍ ما؛ إذاً فإنَّنا ننتهي إلى الفشل.

س.د.ب: فكرةُ الفشلِ ليسَتْ فكرةُ التَّفكُّك (التَّحلُّل).

ع.ب.س: لم أفكِّرْ بها على هذا النَّحوِ أبداً. طالما فكَّرتُ بأنَّ الحياةَ عبارةٌ عن تقدُّمٍ حتَّى الموت، وأنَّها ينبغي أن تكونَ تقدُّماً.

س.د.ب: ما رأيُك فيه، أي بالتَّقدُّمِ، اليوم؟

ع.ب.س: رأيي هو نفسُه؛ التَّقدُّم يتوقَّف قبلَ الموت، في لحظةٍ مُعيَّنة، لأنَّنا نكون قد تعِبْنا، أو تهتَّكنا جسديّاً أو نفسيّاً، أو لُذنا باهتماماتنا خاصَّة. لكنَّه يستمرُّ شرعياً En droit خمسون عاماً أفضلُ من ثلاثين. وبطبيعةِ الحال؛ قد يشهدُ التَّقدُّمُ انقطاعاتٍ، إذ قد نُديرُ ظهرَنا فجأةً إلى الاتِّجاه الَّذي بدأنا السَّير فيه.

س.د.ب: هناك أعمالٌ لا يمكن عدُّها بمثابةِ تقدُّمٍ، أو تراجع، لأنَّها عبارةٌ عن كُلِّيَّات؛ فلا يُمكنُ القولُ إنَّ **الغثيان** أقلُّ جودةً من **الكلمات**. في المقابل؛ يمكنُ القولُ إنَّ ثمَّة تقدُّم بالنِّسبة **لنقد العقل الجدليّ على الوجود**

---

(١) أوغيست كونت (١٧٩٨- ١٨٥٧): فيلسوف فرنسيّ، ومؤسّس المدرسة الوضعيّة في الفلسفة.

والعدم، وفلوبير يتجاوزُ نقد العقل الجدليّ في بعضِ النُّقاط. هنا يمكنُ الحديثُ عن تقدُّم. أمَّا بالنِّسبة لما يُمكن تسميتُه بالأعمال الفنِّيَّة؛ فالأمرُ مستحيلٌ، لأنَّه إذا كان العملُ مُنجَزاً؛ فهو مُنجَز.

ج.ب.س: بمعنى أنَّ الفروقَ بينَ ما كان يرسمُه فان غوغ في هولندا وبينَ لوحاتِه الأخيرة شاسعةٌ.

س.د.ب: في أغلب الأحيان؛ تكونُ أعمالُ الرَّسَّامينَ الأخيرة هي الأفضل، لأنَّهم تمكَّنوا من مهنتهم الَّتي تكون أعقدَ من مهنةِ الكتابة.

ج.ب.س: بالنِّسبة لي؛ اللَّحظةُ نفسُها عبارةٌ عن تقدُّم؛ إنَّها الحاضر، وتعبُرُ نحوَ المستقبل تاركةً الماضي المسكينَ خلفَها، فتحتقرُه، وتنكرُه؛ وهو ما دفعني إلى الاعترافِ بالأخطاء بسهولة، لأنَّها أخطاءٌ ارتكبها آخرُ غيري.

س.د.ب: شهدَتْ حياتُك الكثيرَ من المثابرة، سواءٌ في عملك، أو في عواطفِك، لكنْ ليس لديكَ تضامنٌ عميقٌ مع ماضيك. ومع ذلك؛ فإنَّ من نراه اليومَ هو سارتر ابن العشرين عاماً.

ج.ب.س: التَّضامنُ مع الماضي أمرٌ ثانويٌّ؛ لأنَّ العملَ الَّذي ينبغي أن نقومَ به هو نفسُه. الماضي يُغني الحاضرَ بطريقةٍ مُعيَّنة، ويتغيَّرُ بتغيُّرِهِ أيضاً. لكنَّه أمرٌ لم أهتمَّ به أبداً.

س.د.ب: أودُّ أن أعرفَ ما هي علاقتُك بعمرِك خلالَ المراحلِ الَّتي مرَّ بها؟

ج.ب.س: معدومة. في أيِّ عمر مررتُ به.

س.د.ب: لا؛ حينما كنتَ طفلاً؛ كنتَ تشعرُ بأنَّك طفلٌ، أليس كذلك؟

ج.ب.س: صحيح، لكن بعد بلوغي الثَّالثةَ عشرةَ، أو الرَّابعةَ عشرةً من العمر؛ صار الآخرون يتحاشون إشعاري بأنَّني طفل؛ بدأتُ أفكِّر بأنِّي شابٌّ؛ لأنَّ الشَّابَّ يشعرُ بأنواع خاصة من الحرمان.

س.د.ب: ما الَّذي تعنيهِ بالحرمان؟

ج.ب.س: أعني أن تكون حُرِّيَّتُنا ناقصَّةً، ومرتبطينَ بالوالدين. وقد واجهتُ ممانعاتٍ، وتعرَّضْتُ لصداماتٍ؛ بدأت في أن أكونَ حُرّاً تماماً بعدَ دخولي دار المعلِّمين، وابتداءً من تلك الفترة صارَ يمكنني القولُ بأنّي في العشرين، أو الخامسة والعشرين، إذ إنَّ العمرَ يرتبط ببعضِ السُلطاتِ المحدَّدة جدّاً؛ لكنّي لم أكنْ أشعرُ بالعمرِ في حدٍّ ذاته.

س.د.ب: ألم تكنْ تشعرُ بعلاقةٍ مُعيَّنةٍ بمستقبلٍ مفتوحٍ بشكلٍ واسع؟

ج.ب.س: نعم، شعرتُ بأنّي مُنخرطٌ في تاريخٍ لا أعرفهُ، لكنَّ هذا لم يكن يُمثِّلُ عمراً بالنِّسبة لي: كان لا بُدَّ أن أنخرطَ في العمل، ولا بُدَّ أن أفعلَ شيئاً.

س.د.ب: أعني: أنَّ كلَّ شيءٍ كان أمامَك في تلك الفترة.

ج.ب.س: صحيح، لكنّي لم أكنْ أنظرُ إليه بوصفِه عمراً؛ كان ذلك أشبهَ بكتابةِ السَّطر الأوَّل من كتابٍ تحتاجُ كتابتُه إلى عامين أو ثلاثةِ أعوام. إنَّها عمليَّةٌ تستغرقُ وقتاً، أو هي عمليَّة دائمةٌ. فكرةُ التَّقدُّم في العمر، تعني أن تصابَ الأوردةُ بالتَّعب، وتسوءُ الرُّؤية، إلخ. أي كلُّ المتاعبِ الَّتي تصيبُنا حينما نكبر، هذا كلُّه لم يكنْ يؤثِّرُ فيَّ.

س.د.ب: هذا صحيحٌ، وطبيعيٌّ. لكنْ ألمْ تكنْ تشعرُ بأنَّكَ شابٌّ إيجابيٌّ؟ ألم تكنْ تخرجُ مع رفاقٍ لهم عمرُك نفسُه؟ ألم تكن لديكَ علاقاتٌ بأُناس لهم من العمرِ خمسةٌ وأربعون عاماً، ينتمون إلى صفٍّ آخر غيرِ صفِّك؟

ج.ب.س: نعم، لكنّي لم أفكِّرْ أبداً بأنّي سأصبحُ واحداً منهم.

س.د.ب: إذاً، لم يكنْ لديكَ الانطباعُ بأنَّك شابٌّ؟

ج.ب.س: لا، هذه أشياءُ لم أشعرْ بها أبداً. طبعاً، هذا لا يعني بأنّي لم أشعرْ بهذا، لقد كان مُلغىً، إذا شئتِ. تكوَّن لديَّ الشُّعورُ بالشَّباب تدريجيّاً، لكنَّه كان شعوراً مُلغىً؛ لم أشعرْ بأنّي شابٌّ قَطُّ.

س.د.ب: هل مرَّ عليكَ وقتٌ شعرتَ فيه بأنَّ لكَ عُمراً؟

ج.ب.س: لا، ليس بالضَّبط. هذه السَّنواتُ الأخيرة...

س.د.ب: لا، قبلَ هذه السَّنواتِ الأخيرة. ألمْ تمرَّ بكَ لحظةٌ شعرتَ فيها بأنَّك تدخلُ سنَّ البلوغ؟

ج.ب.س: لا.

س.د.ب: لكن بلى، بحسبِ ذكرياتي؛ فقد أُصبتَ بنوعٍ من العُصاب، وتلك الحساسية الَّتي كانت تلاحقُكَ، إلخ. رُبَّما لأنَّك وجدتَ نفسَكَ في حياةِ البالغ. على أيِّ حال؛ هذا ماقلته في مذكَّراتي، ولم تعترضْ عليه: كنتَ في السَّادسة والعشرين، أو السَّابعة والعشرين، وبدأ يتكوَّنُ لديكَ الانطباعُ بأنَّ حياتَكَ قد اكتملَت.

ج.ب.س: صحيح، لكنَّها لم تكنْ مسألةَ عُمر. كنتُ أشعرُ بأنِّي شابٌّ.

س.د.ب: لكنَّكَ كنتَ شاباً بطريقةٍ مُعيَّنة.

ج.ب.س: بالمناسبة، هذا هو ما يصنعُ التَّضادَّ بينَ الحياةِ الَّتي عشتُها، وتلك الَّتي تنتظرُني، أيِّ حياةُ الأستاذِ المستقرِّ في الوجود، إلخ. وكانت الكتابةُ تحومُ فوقَ هذا كلِّه. لكن لا يمكنُ القولُ بأنِّي كنتُ أملكُ حسَّ العمرِ في تلك الفترة، وأنِّي كنتُ أربطُهُ بجملةٍ من الأشياء، والعلاقات، والمهنة، والصَّداقةِ الَّتي من شأنها أن تجعلَ منه واقعاً حيّاً. لا، كان الشَّبابُ يمرُّ من فوقِ رأسي.

س.د.ب: لكن حينما كنتَ مُرتبطاً بعلاقاتٍ مع بوست وبال وأولغا؛ ألم تكنْ تشعرُ بأنَّكَ أمامَ أُناسٍ أكثرَ شباباً منكَ؟

ج.ب.س: بلى، قليلاً، لكن ليسَ إزاءَ أولغا: هذه هي العلاقةُ بالنِّساء، الأمر مختلف. لكن بالنِّسبة لِبوست، وبال؛ بلى.كنت أشعرُ بهذا. لكن، كان في الحميميَّةِ بيني وبينَ كلٍّ من بوست وبال شيءٌ يتجاوزُ العمرَ؛ فقد كانا رفيقين أيضاً. وسيقولان لكِ إنَّهما لم يشعُرا بعمري قَطُّ.

س.د.ب: قلتَ أنتَ نفسُكَ إنَّ العمرَ صعبُ الإدراك، ولا يمكن للإنسان أن يدركَ عمرَه بنفسِه؛ فهو ليسَ حاضراً فينا. لكن، ألا يقيمُ علاقةً مختلفةً بالمستقبل، وبالماضي، وبأشياء كثيرة عمَّا نكون في الثَّلاثين، أو الأربعين، أو الخمسين، أو السِّتين من العمر، ألا يشكِّل هذا فارقاً؟

ج.ب.س: طالما هناك حياة، يبقى العمرُ نفسه. كان ثمَّة مستقبلٌ وأنا في الثَّلاثين، ومستقبلٌ وأنا في الخمسين. قد يكون العمرُ أكثرَ تصلُّباً في الخمسين ممَّا هو في الثَّلاثين، لكن لستُ أنا من يُقدِّر ذلك. اعتباراً من الخامسة والسِّتِّين، أو السَّادسة والسِّتِّين، لا يعود هناكَ مستقبل. أعني المستقبلَ المباشَر، أي السَّنواتُ الخمسةُ التَّالية؛ لكنِّي قلتُ كلَّ ما كان لديَّ تقريباً. عموماً؛ كنتُ أعرف بأنِّي لن أكتبَ كثيراً، وأنَّ الأمرَ سينتهي بعدَ عشرِ سنوات. أتذكَّرُ شيخوخةَ جدِّي الَّذي كان حزيناً؛ فحينما بلغَ الخامسة والثَّمانين؛ كان مُنتهياً، لكنَّه على قيدِ الحياة، ولم نكنْ نعرف لماذا. كان يخطرُ ببالي في بعضِ الأحيان أنَّني لا أريد هذه الشَّيخوخة. وأحياناً أُخرى؛ كنت أعتقد أنَّ عليَّ أن أكونَ متواضعاً، وأعيش حتَّى نهايةِ العمرِ المقدَّر لي، وأختفي حينما يُقال لي ذلك.

س.د.ب: في حديثِكَ عن العُمر، لَمْ تتطرَّق إلَّا إلى علاقتِه بالمستقبل، فهل تغيَّرت علاقاتُك بالماضي أيضاً؟ ألم تمرَّ أيضاً بفتراتٍ - لا سيما وأنَّك تكتب - شعرتَ فيها بأنَّك تركتَ خلفَكَ شيئاً، أو حقَّقتَ مَكسباً؟ ألم تمرَّ في لحظاتٍ أحببتَ فيها أنَّك مررتَ بعمرٍ مُعيَّن؟ لِنَقُلْ: يومَ كنتَ في الخامسة والثَّلاثين، أو الأربعين من عمرك؟

ج.ب.س: لا أتذكَّر ذلك. لم أؤمنْ طيلةَ عمري بالتَّجربة، وهو ما قلتُه في روايةِ **الغثيان**. في الخامسة والثَّلاثين كنتُ ولداً يتصنَّعُ أن يكون بالغاً. لا، لم تكن لديَّ تجربةٌ أبداً، شيءٌ تكوَّنَ خلفي، شيءٌ دفَعني.

س.د.ب: لكن إن لم تكنْ لديكَ تجربة، أليسَ لديكَ ذكريات؟

ج.ب.س: قليلةٌ جدّاً، كما تعرفين في الوقت الرَّاهن؛ أتذكَّرُ بعضَها أثناءَ حديثي معكِ، فأتحدَّثُ عنها؛ وسببُ ذلك، هو أنَّنا نتحدَّث عن الماضي.

س.د.ب: إجمالاً، لم تعشْ متعةَ ذكرياتِكَ أبداً، أليسَ كذلك؟

ج.ب.س: لا؛ تأتيني الذِّكرياتُ عندَ الحديث عن الماضي، لكنَّها ذكرياتٌ فقدَتْ أهمِّيَّتها، وحينما نتحدَّث عنها إنَّما نعيدُ تركيبَ ثلاثة أرباعها؛ حينما أفكِّر لوحدي؛ فإنَّ اتِّجاهَ تفكيري لا يتَّجه نحوَ التَّذكُّر.

س.د.ب: ومع هذا؛ فقد حقَّقتَ كسباً ما؛ فلو حدَّثتُكَ عن البرازيل، مثلاً، أو عن هافانا؛ فستكون لديكَ رؤيةٌ عنهما تختلف عن رؤيتِك لهما فيما لو كنتَ فيهما.

ج.ب.س: صحيح، لكن في علاقتي بِالبرازيل أو بِهافانا؛ فإنِّي أُفكِّرُ بالأشياء الرَّاهنة التي تتعلَّق بكلٍّ منهما.

س.د.ب: إجمالاً، تريد أن تقولَ إنَّك قضيتَ حياتَك بين الثَّالثة عشرةَ وحتَّى اليوم، من دون أن تكونَ لك علاقاتٌ بالمستقبل، وبالحاضر؛ والأمر نفسه ينطبقُ على علاقاتِك بالماضي، هل الأمر كذلك؟

ج.ب.س: نعم.

س.د.ب: أظنُّ أنَّ هذا غيرُ مُمكن.

ج.ب.س: ليس تماماً، ومع ذلك؛ فالأمرُ كذلك.

س.د.ب: إلامَ تعزو هذا، وهو شيءٌ غيرُ طبيعيٍّ؟ فعموماً؛ النَّاس يدركون أنَّهم في العشرين من العُمر، وتراهم مسرورينَ بذلك؛ وآخرون يدركون بأنَّهم في الخمسين؛ ثمَّة لحظاتٌ يُفكِّر النَّاس بأنَّهم في عمرٍ مُعيَّن؛ أنا، على سبيل المثال، حتماً مررتُ بمراحلَ عُمريَّة. كيف تُفسِّر عدمَ وجودِ هذه المراحلِ لديك؟

ج.ب.س: لا أدري، لكن ما أعرفُه هو أنَّ الأمر كذلك؛ أشعر بأنِّي رجلٌ شابٌّ. تحيطُ بي إمكانيَّاتٌ تأتي رجلاً شابّاً. أكره التَّفكير، وهو أمرٌ بديهيٌّ، إذ قلَّت قواي، ولأنَّني لم أعد كما كنتُ عليه في عمرِ الثَّلاثين.

س.د.ب: هذا ما يظنُّه الجميع حينما يتجاوزون سِنّاً معيَّنة، فتراهم يكرهون التَّفكيرَ فيه.

ج.ب.س: مثلاً، أنا في التَّاسعةِ والسِّتين من العمر، لكنِّي أكتبه في تفكيري سبعين، وهو أمرٌ أكرهُه؛ للمرَّةِ الأُولى أُفكِّر في عمري، من وقتٍ لآخر: أنا الآنَ في السَّبعين، أي إنَّني انتهيت. لكنَّ ذلك يتَّفقُ والأشياءَ التي تعودُ حتماً إلى حالةِ جسمي، وبالنتيجة إلى عمري، لكنِّي لا أربطُ هذا بالعمر، بل بسوءِ رؤيتي، وبعدمِ قدرتي على الكتابة؛ لم أعُدْ قادراً على الكتابة، أو القراءة، لأنِّي لم أعُدْ أرى؛ هذه الأشياءُ كلُّها لها علاقةٌ بالعمر...

س.د.ب: تشعر بها كما لو كنتَ في الخمسين، أكثر من كونِك في السَّبعين، فهل لهذا العمرِ تبعاتٌ على الجسد؟

ج.ب.س: أكثر بكثير.

س.د.ب: في الوقت الرَّاهن؛ هل تشعر بأنَّ لكَ عمراً؟

ج.ب.س: أحياناً. البارحة فكَّرتُ في هذا؛ وخلالَ الأسبوعِ الفائت أيضاً، أو منذُ خمسةَ عشرَ يوماً. طبعاً، تلك حقيقةٌ أُفكِّر فيها من وقتٍ لآخر، لكن على الرَّغم من كلِّ شيء؛ ما زلتُ أشعرُ بأنِّي شابٌّ إجمالاً.

س.د.ب: هل أنتَ لا- زمنيٌّ، نوعاً ما؟

ج.ب.س: نعم، أو شابٌّ. رُبَّما ينبغي القول، بالأحرى، أنا شابٌّ في تفكيري؛ رُبَّما أكون قد شعرتُ بشبابي، وحافظتُ على هذا الشُّعور.

س.د.ب: كيف تفسِّرُ إذاً هذه الحقيقةَ الغريبةَ، أنَّه لم يكن لكَ عمرٌ، عموماً؟. هل لأنَّكَ عشتَ دائماً بكثافةٍ في الحاضر، في حاضرٍ متَّجهٍ نحوَ المستقبل؟ نحوَ الفعل؟

ج.ب.س: صحيح؛ رُبَّما لم يتسنَّ لي أن أرجعَ إلى لحظاتِ الماضي التي يُنظرُ إليها بذاتها لقيمتها الجماليَّة، ولقيمتها العاطفيَّة؛ لم يكن لديَّ مُتَّسعٌ من الوقت لهذا.

س.د.ب: ما الَّذي يعنيه الغيابُ التَّامُ للنرجسيَّة؟ الحقيقةُ أنَّه لم تكنْ بينَك وبينَ نفسك علاقات، ولا علاقة لك بصورتِك تقريباً.

ج.ب.س: من المؤكَّد أنَّ ذكرياتِ الماضي غيرُ مرتبطةٍ بصورتي. في هذه اللَّحظة مثلاً؛ تذكَّرتُ الميسكالين Mescaline[١]. كنتُ عائداً في القطار، وأنتِ إلى جانبي، فتراءى لي قردٌ يتدلَّى عبرَ زجاجِ العربة؛ أراهُ بشكلٍ جيِّد جداً. وأراكِ، وأرى القردَ متدلِّياً ورأسُه إلى الأسفل فوقَ الزُّجاج.

س.د.ب: كتابُك **الكلمات**، يدلُّ على ما عندَكَ من ذكريات. وحينما تحدَّثنا عنها هنا، تواردت؛ لكنِّي أردتُ القولَ بأنَّ لديكَ وعياً موجَّهاً، بشكلٍ عامٍّ نحوَ العالم، وليس نحوَ حالتِك، وموقعك في العالم، أي نحوَ صورةٍ لديك عن نفسك.

ج.ب.س: صحيح.

س.د.ب: رُبَّما هذا هو السَّبب الَّذي يجعلك تبدو أقل عمراً من غيرِك.

ج.ب.س: هذا أكيدٌ من النَّاحية الذَّاتيَّة؛ فأنا أعبرُ المراحلَ كغيري، وأتأقلم معها، فتراني شبيهاً، ومختلفاً، لكن في الحدود الَّتي يمكن التنبُّؤ بها؛ ثمَّ إنِّي أفكِّرُ بطريقةٍ مختلفةٍ، أُفكِّر كما لو أنِّي لا أتغيَّر.

س.د.ب: ألا يرتبطُ هذا أيضاً بلامبالاتِك الكبيرة بالموت؟ تقول في كتابك **الكلمات**: إنَّك، خلالَ طفولتِك، انتابَكَ خوفٌ شديدٌ من الموت. بعد هذا، بدا لي أنَّ الأمرَ لم يعُدْ له أيُّ دورٍ في اهتماماتِك؛ ألمْ يخطرْ ببالك أن تقولَ: صار عمري الآنَ أربعين سنة...؟

ج.ب.س: أبداً. لكنِّي، منذُ عشرِ سنوات صرتُ أفكِّرُ فيه موضوعيّاً، من دونِ أن يبعثَ فيَّ أيَّ اضطراب؛ وفكَّرتُ فيه أيضاً منذُ سنتين أو ثلاث سنوات: لقد بلغتُ السِّنَّ الَّذي تنتهي فيه الحياةُ البشريَّة حاليّاً؛ سبعون عاماً، أظنُّ أنَّه بالنِّسبة للفرنسيِّين...

---

(١) نوع من العقاقير المهلوسة.

س.د.ب: لا، الفرنسيُّ المحظوظ مثلَك يمكن أن يعيشَ حتَّى الثَّمانين، أو الخامسة والثَّمانين، لكن، عموماً، العمر وقتٌ محدود، أشعرُ به شخصيّاً. لم نعد نجرؤ على القول: بعدَ عشرينَ عاماً سأفعلُ كذا وكذا، وبعدَ عشرين عاماً سأذهبُ إلى هذا المكان أو ذاك. لكن هل أنتَ غير مبالٍ بالاصطدام بهذا الحد؟ بهذا النَّوع من الحائط؟

ج.ب.س: يتكوَّن العمرُ شيئاً فشيئاً من خلالِ هذا الحدّ. أمَّا حينَ أكون في حالةٍ حسنة؛ أستمرُّ بالشُّعور بأنّي في الثَّلاثين من عمري. لكنّي أعرفُ بأنّي سأبلغ الخامسةَ والثَّمانين بعدَ خمسَ عشرةَ سنة؛ إن عشتُ أكثر.

س.د.ب: لكنَّ هذه المعرفةَ تأتي من الخارج. وقد شرحتَ هذا خمسينَ مرَّةً: الأنا الأعلى لا يتواجد في الوعي، من ثمَّ فإنَّ الوعيَ حاضرٌ دائماً وأبداً، طازجاً، لا يتغيَّر؛ ماذا عن علاقاتِك بالآخرين؟ ألا يُشعركَ الآخرون بأنَّك بلغتَ سِنّاً مُعيَّنة؟

ج.ب.س: أرى أنَّهم لا يشيخون كثيراً أيضاً. انظري إلى شبابِ مجلَّةِ **الأزمنة الحديثة**، مثل بوست، وبويّون، إنَّهم كما كانوا دائماً.

س.د.ب: ألا تراهم يشيخون؟

ج.ب.س: لا؛ أرى شباباً أُعلِّمهم الفلسفةَ، أو سبقَ أن علَّمتُهم الفلسفة.

س.د.ب: وفي علاقاتِك بالشَّباب، مثل فيكتور: من الأشياءِ الَّتي تؤثِّر فيكَ هي قدرتُك على تعليمه بعض الأشياء، وبوسعك مساعدته؛ في هذه اللَّحظة هناك مسألة تجربة، على الأقلّ، شيءٌ يرتبط بفوائدِ العمرِ النَّادرة.

ج.ب.س: نعم، ينبغي أن نرى ما الَّذي يعنيه هذا. الأمرُ اليومَ يتعلَّق بالتَّفكير في أشياءَ من خلالِ العمرِ الَّذي بلغته، وليسَ من خلالِ التَّجربة. نعم، أحبُّ أن أرى فيكتور، لكن جرت بيننا، في إحدى اللَّحظات، مناقشةٌ بين شخصٍ وشخص؛ إنَّه ليس شابّاً يأتي لرؤيةِ عجوز؛ إنَّنا نتناقش، ولدينا وجهتي

نظرٍ حولَ حقيقةٍ مُعيَّنة تعترضنا، سواءٌ أكانت سياسيَّة أو غيرَ ذلك؛ في تلك اللَّحظة؛ يكون له من العمر ما ليَ.

س.د.ب: نعم، أفهم هذا. ثمَّةَ أشياءُ أُخرى نقولها حولَ العلاقة بالزَّمن، رُبَّما تفسّر هذا الغيابَ بالشُّعور بالعمر. أوّلاً تلك الطَّريقةُ الَّتي طالما كانت لديكَ في تفضيلِ الحاضر على الماضي. أعني أنَّك إذا شربتَ قدحاً من الويسكي، ربما تقول: آه! قدحُ الويسكي هذا رائع، إنَّه أطيبُ من ذلك الَّذي شربته في العشيَّة. إجمالاً، تفضّلُ الحاضر.

ج.ب.س: الحاضر ملموسٌ وحقيقيٌّ؛ الأمسُ أقلُّ وضوحاً، والغد؛ لم أفكّرْ فيه بعد. ثمَّة أُناسٌ يفضّلونَ الماضي ويمنحونَه قيمةً جماليَّة، أو قيمة ثقافيَّة. أمَّا أنا؛ فلا. حينما ينتقلُ الحاضرُ إلى الماضي يموت، ويفقد قيمةَ دخولِه إلى الحياة. إنَّه ينتمي إليه، ويمكنني أن أرجعَ إليه، لكنَّه فقدَ تلك الصِّفة المعطاةَ إلى كلِّ لحظةٍ طالما أنِّي أعيشها، ويفقدها حينما لا أعودُ أعيشُه.

س.د.ب: لا شكَّ أنَّ هذا ما هوَّن عليك انقطاعك عن أصدقائك؟

ج.ب.س: صحيح لأنِّي بدأتُ حياةً جديدةً من دونهم.

س.د.ب: هل تعني أنَّ انقضاءَ الشيء يجعله غير موجودٍ بالنِّسبة لك ؟

ج.ب.س: صحيح. فما بقي لي مِن أصدقاء هم الأحياء الَّذين لا بدَّ أنْ يتجدَّد حاضرهم حتَّى لا نعود إلى الحاضر نفسه. عليهم ألَّا يبدوا أمامي كما كانَ حالُهم بالأمس، أو قبل الأمس بهمومهم نفسها، ويحملونَ الأفكارَ نفسها، وطرائق الحديث نفسها. لا بدَّ من تغيُّر.

س.د.ب: نعم. إنَّ تعاريفك لعلاقاتك بالزَّمن تدفع إلى الظَّن بأنَّك إنسانٌ مرن يتخلَّى عن ماضيه بسهولةٍ بالغةٍ ليُلقي بنفسه في مغامرات جديدة؛ لكنَّ الأمر ليس على هذا النَّحو أبداً؛ فأنت شخصٌ شديد الثَّبات؛ لقد عشنا سويّاً طيلة خمسة وأربعين عاماً شهدت فيها صداقات، كتلك الَّتي ربطتك ببوست

Bost واستمرَّت ردحاً طويلاً من الزمن، أضف إليها صداقاتك الطويلة بأعضاء تحرير مجلة **الأزمنة الحديثة**. كيف لكَ أن تفسِّر هذا الخليط من الثَّبات، والوفاء، والعيش في الحاضر؟

ع.ب.س: العيش في الحاضر يتكوَّن تحديداً من ثبات الصداقات؛ لكنَّه لا يعني الجري خلف ما لا أعرف، أو خلف شخصٍ جديد، إنه العيش مع الآخرين عبر منحهم نوعاً من بُعدِ الحاضر الَّذي يملكونه فعليّاً. فأنتِ، على سبيل المثال، لم أفكِّر فيكِ في الماضي، بل طالما فكَّرتُ فيك في الحاضر؛ وعندئذٍ أعمل على ربط هذا الحاضر بمواضٍ سابقة.

س.د.ب: هل الأمر نفسه ينطبق على علاقتك بالعمل؟ هل ما زلت تظنُّ أن آخرَ أعمالك هو الأفضل، أم إنَّك تكنُّ عاطفةً لأعمال سابقة؟

ع.ب.س: كنت أُكنُّ بعض العواطف لأعمالٍ أكثرَ قدماً، كـ**الغثيان**، على سبيل المثال. كنت أتصوَّر عملي ذا تاريخ، وأعمالٍ أخرى فُهمت في فترة معينة، لا قبل ولا بعد، وذلك تبعاً للظروف.

س.د.ب: لكن، هل لديكَ، من النَّاحية الفكريَّة، الانطباعُ بأنَّكَ تستمرُّ، أي الانطباعُ بالتَّقدُّم؟ أو أنَّ بعضَ أعمالِك تبدو لكَ نهائيَّةً بحيث لم تعُدْ قادراً على تجاوزها، بطريقةٍ ما؟

ع.ب.س: كان لديَّ الانطباعُ بالتَّقدُّم؛ لن تدفعيني إلى القولِ بأنَّ كتابَ **الكلمات** أرفعُ من **الغثيان**؛ ولكن، على الرَّغم من كلِّ شيء؛ فإن الارتقاءَ يعني القيامَ بشيءٍ له قيمةٌ أكبر، لأنِّي أفدتُ من أعمالي السَّابقة.

س.د.ب: هل ينبغي، فضلاً عن هذا، التمييزُ ـ وهذا يقودنا إلى الحديث عن أعمالك ـ بين الأعمال الأدبيَّة، والأعمال الفلسفيَّة، إذ لن تُدفعَ إلى القولِ بأنَّ **الكلمات** أرفع من **الغثيان**، لكنَّك قد تقولُ طواعيةً، وهذه بديهيَّة، أنَّ **نقد العقل الجدليّ** أرفعُ من **الوجود والعدم**.

ج.ب.س: أظنُّ أنَّ ما تقولينه صحيح، لكنّي لا أقول حتماً بأنَّ أعمالي السَّابقة تحظى بالرِّضى الَّذي حظيَت بهِ في اللَّحظة الَّتي كتبتُها فيها. يصعب عليَّ جدّاً التَّفكيرُ فعلاً بأنَّ **نقد العقل الجدليّ** أرفعُ من **الوجود والعدم**.

س.د.ب: تعني أنَّه أوسع؟

ج.ب.س: بلى، هو أوسع.

س.د.ب: إنَّه يحلُّ قضايا أكبر، ويقدِّم وصفاً أكثرَ دقَّة للمجتمع. لكنَّه ما كان له أن يكون لولا **الوجود والعدم**، وأظنُّ أنَّ هذه هي حقيقةٌ أيضاً.

ج.ب.س: في الفلسفة، وفي حياتي الشَّخصيَّة؛ طالما عرَّفتُ الحاضرَ - اللَّحظة الممتلئة - بالنِّسبة إلى المستقبل، وضمَّنتُه صفاتِ المستقبل، بينما الماضي كان دائماً - في ثلاثيَّة: الحاضر، المستقبل، الماضي - خالياً من التَّأثيرات الحقيقيَّة على الحاضر. ومع هذا؛ فإنِّي أعرفُ أنَّ الماضي أهمُّ من المستقبل نوعاً ما، لأنَّه يحمل إلينا شيئاً.

س.د.ب: إنَّه يحدِّد الحالةَ الَّتي نتجاوزها، وهو ما قلتَهُ في أغلب الأحيان: الحاضرُ استئنافٌ للماضي نحوَ مستقبلٍ ما. لكنَّ الحركةَ نحوَ المستقبل هي الَّتي انشغلتَ بها أكثر - شخصيّاً - من استئنافِ الماضي.

ج.ب.س: لو نظرتُ إلى معنى حياتي الَّذي هو الكتابة، لرأيتُ أنَّه ينطوي على حاضرٍ أصبح ماضياً حيثُ لم أكتب، لبلوغِ حاضرٍ أكتبُ فيه، وحيث يبدأ فيه عملٌ سينتهي في المستقبل. لحظةُ الكتابةِ هي لحظةٌ تتضمَّن المستقبلَ والحاضر، والحاضر المحَدَّد بالنِّسبة للمستقبل. نكتبُ فصلاً من رواية،، ونكتب الفصل ١٢ الَّذي يأتي بعد الفصل ١١، ويسبق الفصل ١٤، إذاً؛ يبدو الزَّمنُ بمثابةِ دعوة المستقبل إلى الحاضر.

س.د.ب: لكن، هل كان في حياتك، سابقاً والآن، لحظاتٌ عشتَ فيها الحاضرَ لذاتِه فعلاً، كنوعٍ من التَّأمُّل، والتَّمتُّع، وليسَ كمجرَّدِ مشروع، أو ممارسة، أو عمل؟

ج.ب.س: نعم، ما زالت تلكَ اللَّحظاتُ موجودةً، وهي موجودة هنا [في روما] على سبيلِ المثال، حينما أستيقظ، قبلَ مجيئكِ، وأذهب للجلوسِ في مقعدِ في الشُّرفة، وأنظر إلى السَّماء.

س.د.ب: هل عشتَ كثيراً مثلَ هذه اللَّحظاتِ في حياتك؟

ج.ب.س: عشتُ عدداً لابأسَ به منها. كنتُ أراها أرفعَ من اللَّحظات الأُخرى، وأكثرَ أهمِّيَّة.

س.د.ب: لأنَّكَ كنتَ إنساناً بالغَ النَّشاط، وعملتَ كثيراً، ومع هذا: هل عشتَ لحظاتٍ من التخلِّي، والانغماس في المباشَر؟

ج.ب.س: نعم. عشتُ منها الكثير.

س.د.ب: بأيِّ مضمونٍ، بنوع خاص؟

ج.ب.س: مضمونٍ لطيف.

س.د.ب: نعم، لكنِّي، أعني ما الَّذي يضعكَ في هذه الأنواعِ من الحالةِ المباشرة؟

ج.ب.س: أي شيء. سماءُ الصَّباح الجميلة: عندها أذهبُ لرؤيةِ الأشياء تحتَ تلك الشَّمس؛ وثمَّة لحظةٌ من الرِّضى حينما أرى الأشياء هناك، تحتَ هذه الشَّمس الَّتي أراها. أنا هذا فقط؛ شخصٌ ينظرُ إلى سماءِ الصَّباح.

س.د.ب: هل الموسيقا ـ وأنت تحبُّ الموسيقى كثيراً ـ تضعكَ في الحالة نفسِها في بعضِ الأحيان؟

ج.ب.س: نعم، إذا لم أكنْ أنا مَن يعزفُها، أي حينما أكونُ أمامَ فرقةٍ موسيقيَّةٍ (كونشرتو)، أو وأنا أُصغي إلى أسطوانةٍ. إنَّها علاقاتٌ مع السَّعادة،

إذا شئتِ. ليستِ السَّعادة تماماً؛ لأنَّ السَّعادةَ لحظاتٌ آيلةٌ إلى التَّواري، بل هي عناصرُ تتشكَّل السَّعادةُ منها.

س.د.ب: كنتَ تعيشُ في المستقبل، طالما أنَّ المستقبلَ ممارسة؛ لكنْ، هل عشتَهُ أيضاً كنوعٍ من الاستباقِ الفَرِح؟ مثلاً، حينما كنتَ تستعدُّ للسَّفر إلى أمريكا؟

ج.ب.س: نعم، كنتُ أرى نفسي في أمريكا.

س.د.ب: بل كنتَ تفكِّرُ بها بشكلٍ قويٍّ جدّاً.

ج.ب.س: صحيح.

س.د.ب: وخلال لحظة، كنتَ تقوم بالتَّحضيرات اللَّازمة، لكنَّك تكون في أمريكا آنئذٍ. هل تصيبُك مثلُ هذه اللَّحظاتِ غالباً؟ هل هناك أشياءُ رغبتَ فيها كثيراً، وتخيَّلتها، أو تمنَّيتها، وانتظرتَها بكثيرٍ من القوَّة؟

ج.ب.س: بالتَّأكيد.

س.د.ب: طالما وَقَعَت، بعد ذلك، مواجهةٌ بين هذا المستقبل المأمول، المتَخيَّل، والحاضر، هل تتأثَّر بما يمكن تسميتُه بخيبة الأمل؟ أم بالعكس، هل يمنحُكَ الواقعُ أكثرَ ممَّا تتخيَّل؟

ج.ب.س: يمنحني الواقع أكثر، إضافةً إلى شيءٍ آخر؛ عموماً، أكثر، لأنَّه حاضرٌ حيث يتضمَّنُ كلَّ شيءٍ أجزاء لامتناهية، ويمكننا أن نجدَ كلَّ شيءٍ في حاضرٍ جديد، إذاً فهو أكثر ممَّا يمكنك تخيُّله؛ ما كنتُ قادراً على تخيُّلِه كان عبارةً عن اتِّجاهات، وصِفات، وحدود، لكنَّه ليس أشياء حقيقيَّة، والحقيقةُ شيءٌ مختلفٌ عن التَّوَقُّع، لأنَّنا لا نتخيَّلُ الحقيقةَ، مهما كانت الظُّروف؛ فَنيويورك الَّتي وصفَها نايك كارتر ليسَتْ هي التي اكتشفتُها حينما وصلتُ إلى نيويورك.

س.د.ب: ألستَ من هؤلاء النَّاس الَّذين تخيبُ آمالُهم دائماً بعد حصولِهم على ما انتظروه؟

ج.ب.س: لم يخِبْ أملي لدى رؤيةِ نيويورك، بل بالعكس؛ أعرفُ أنَّ ما أتخيَّلُهُ ليسَ ما سيكون. هنا يمكننا، بالفعل، تصوُّر الخيبة. ورُبَّما تقعُ خيباتُ أملٍ صغيرة، لكنَّها تختفي.

س.د.ب: قصَّتُكَ الموسومة **شمس اللَّيل**، تُعبِّرُ عن الخيبة، بمعنى ما، أليس كذلك؟

ج.ب.س: صحيح، فقد تخيَّلَتِ الفتاةُ الصَّغيرةُ شمسَ منتصفِ اللَّيلِ بشكلٍ سحريٍّ، وحينما بلغت الشَّيءَ الحقيقيَّ؛ خابَ أملُها.

س.د.ب: لكنَّكَ، نادراً ما عشْتَ مثلَ خيباتِ الأملِ هذه، أليس كذلك؟

ج.ب.س: فضلاً عن هذا، القصَّة نفسُها تعرض الخيبةَ بوصفِها خطأً: إذ كان عليَّ إشعارُ القارئ بأنَّ ليلةَ الأرق تلك هي شيءٌ جميلٌ من خلالِ خيبةِ الصَّغيرة.

س.د.ب: هل عشتَ في حياتِك حالاتٍ من الندم؟ وهل قلتَ لنفسِكَ يوماً: كان ينبغي أن أفعلَ هذا أو ذاك، وتركتَ هذا أو ذاك؟ أو أني أضعتُ وقتي هنا أو هناك؟

ج.ب.س: ليس كثيراً. حينما يكونُ الأمرُ عاجلاً، نعم،أي حينما يتعلق الأمر بقرار يمس جزءاً من حياتي؛ فهو عاجل، وينبغي اتِّخاذُه في اليوم التَّالي. القرارُ ليسَ شيئاً سهلاً؛ لو كان عليَّ اتِّخاذُ هذا القرار، أو أخترع، في كلِّ التَّفاصيل، قد أندمُ على ذلك.

س.د.ب: بعدَ اتِّخاذ القرار؟

ج.ب.س: نعم، لأنِّي لم أكنْ قد فكَّرتُ في كلِّ شيء.

س.د.ب: تعني، أنَّكَ إذا اضطررت لاتّخاذ قرارٍ مُتعجِّل. هل حدثَ أن اتَّخذتَ قراراً سيِّئاً؟

ج.ب.س: لا، ليس قراراً سيِّئاً، بل قراراً ناقصاً.

س.د.ب: مثلاً، ما هي الحالةُ الَّتي اتَّخذتَ فيها قراراً ناقصاً؟

ج.ب.س: ليس في ذهني مثالاً مُحدَّداً أُقدِّمه لكِ.

س.د.ب: في الحالات النَّادرة الَّتي يتَّخذُ المرءُ قراراتٍ في حياته، وهي ليست كثيرة، عندي انطباعٌ بأنَّك كنتَ مسروراً؛ فقرارُك بالذَّهاب إلى ألمانيا، والتَّوجُّه إلى مدينة لوهافر مع بداية الفصل الأوَّل، وعدم قبولِ إجراءِ امتحانِ السَّنةِ التَّحضيريَّة الثَّانية للدُّخول إلى دارِ المعلِّمين khâgne في مدينة ليون Lyon كما كانت ترغبُ عائلتُك، وحصولُك على وظيفةٍ في لون Laon، هل كنتَ راضياً عن هذه القرارات كلِّها؟

ج.ب.س: كنتُ راضياً عنها.

س.د.ب: انتابَك النَّدمُ، في حدودِ معرفتي؛ لأنَّ العالمَ رفضَ لك شيئاً مُعيَّناً، مثلَ ندمِك على عدمِ الذَّهاب إلى اليابان؟

ج.ب.س: نعم، لم أندمْ كثيراً على ذلك. كان يمكن لغيري أن يندمَ على ذلك. لكن، بشكلٍ عامٍّ؛ ليس في حياتي كثيرٌ من النَّدم. ندمتُ بعضَ المرَّات؛ مثلَ ندمي على كُتُبٍ بدأتها ولم أنجزْها أبداً، ولم أنشرْها على الإطلاق.

س.د.ب: صحيح، لكنَّ ندمَكَ لم يكنْ قويّاً جدّاً، لأنَّك لم تكتبْها، وفَضَّلتَ كتابةَ كُتُبٍ أُخرى.



حول حياةِ سارتر بشكلٍ عامٍّ

س.د.ب: أودُّ أن أسألَك بشكلٍ عامٍّ جدّاً، كيف تنظرُ إلى مُجملِ حياتِك؟

ج.ب.س: طالما اعتبرتُ حياةَ الإنسانِ شيئاً يتعلَّقُ بالشَّخص ويحيط به. بوسعي القولُ عموماً؛ إنِّي لا أنظرُ إلى حياتي فحسْب، بل إلى حياةِ الجميعِ تقريباً، على النَّحوِ الآتي: إنَّها رحيلٌ خيطيُّ الشَّكل ـ يتَّسع تدريجيّاً في لحظةِ اكتسابِ المعارف، والتَّجارب الأُولى؛ يستمرُّ في الاتِّساع حتَّى سِنِّ العشرين، أو الثَّلاثين مع استمرارِ تضخُّمه بالتَّجارب، والمغامرات، وحشدٍ من العواطف. ثمَّ، اعتباراً من عمرٍ مُعيَّن يختلفُ تبعاً للنَّاس، ويأتي منهم في جزءٍ منه، وجزءٍ آخر من جسدهم، وثالث من الظُّروف، تتَّجهُ الحياةُ إلى انغلاقِها، مثلما كانت الولادةُ انفتاحاً لها. لكنِّي أرى أنَّ لحظةَ الانغلاقِ هذه تترافقُ بتوسُّعٍ مستمرٍّ نحوَ العام universel. فالإنسانُ بعمرِ الخمسين أو السِّتِّين الذي يتَّجه في الحقيقة نحوَ الموت؛ يتعلَّم ويحيا في الوقت نفسِه عدداً من العلاقات مع الآخرين، ومع المجتمع، اللَّذَينِ يتَّسعان تدريجيّاً. يتعلَّم الشَّمس، ويتعلَّم التَّفكير حولَ حيواتِ الآخرين، وحولَ حياته نفسِها. إنَّهُ يغتنِّي، ومع ذلك يموتُ فوقَ هذا كلِّه. ثمَّة شكلٌ مُعيَّنٌ يتَّجه نحوَ اكتمالِهِ، وفي الوقتِ نفسِه؛ يكتسبُ الفردُ معارفَ، أو تصوُّراتٍ شاملة (كُلِّيَّة) تتَّجه نحوَ الشُّموليَّة. ذلك لأنَّه يتصرَّف بالنِّسبة لمجتمعٍ مُعيَّن، من أجلِ بقائِه، أو بالعكس، من أجلِ خلقِ مجتمعٍ آخر. وربَّما ينتج هذا المجتمعُ الجديدُ بعدَ موتهِ. وفي كلِّ الأحوال سيتطوَّر بعدَ موتِه؛ وكذلك الأمر بالنِّسبة لغالبيَّة المشاريع الَّتي يتصدَّى لها في القسمِ الأخيرِ من حياته، والَّتي

ستنجحُ، إذا استمرَّت بعدَ موتِه، وإذا ترك لأولادِه، مثلاً، المحلَّ الَّذي أسَّسهُ، وستفشل إذا انتهت قبلَ موتِه؛ إذا أفلسَ مثلاً، ولا يعود قادراً على أن يتركَ لهم شيئاً. بعبارةٍ أُخرى؛ هناكَ مستقبلٌ بعدَ الموت، يجعلُ من الموتِ تقريباً حادثاً في حياةِ الفرد، يستمرُّ بعدَ وقوعِه. وهذا غيرُ صحيح بالنِّسبة للكثيرين منهم؛ فمثلاً: ليسَ أمامَ مُسنِّي دورِ العجزةِ الَّذين كانوا عُمَّالاً، أو مارسوا مِهناً متواضعةً جدّاً، أيَّ مستقبل. فهم يعيشون في الحاضر، وتقتربُ حياتُهم من موتٍ بلا مستقبلٍ، اللَّهُمَّ إلَّا مستقبلَ كلِّ لحظة، أي اللَّحظة التَّالية مباشرةً.

س.د.ب: أعتقد أنَّ وصفَكَ هذا، في الحقيقة، ينطبقُ عليكَ بالتَّأكيد، وعلى عددٍ من المحظوظين، لا سيما المثقَّفينَ المهتمِّينَ بالحياة؛ لكنَّ الغالبيَّة العُظمى من النَّاس المسنِّين، من دونِ الحديثِ عن الملاجئ، الَّذين ما إن يصبحوا في مجرَّدِ سِنِّ التَّقاعد؛ يجدون أنفسَهم منقطعينَ عن مهنتِهم، وعن مجملِ العالم؛ نادراً ما تكون الشَّيخوخةُ نوعاً من التَّوسُّع الَّذي تتحدَّثُ عنه. لكن، بما أنَّ الحديثَ يدورُ حولَك، فإنَّ ما قلتَهُ هنا يبقى مُثيراً للاهتمام. أودُّ لو تقولُ لي بدقَّةٍ كيفَ يتكوَّن لديكَ، شخصيّاً، الانطباعُ بأنَّ الحياةَ تستمرُّ بوصفها توسُّعاً بالنِّسبةِ إليك؟ في أيِّ لحظةٍ تضعُ ذروةَ حياتِك من وجهة النَّظر هذه؟ أعني اللَّحظة الَّتي حقَّقتَ فيها الحدَّ الأعلى من العلاقاتِ مع العالم، والنَّاس، والمعارف؟.

ج.ب.س: الحدُّ الأعلى من العلاقات الحقيقيَّة والَّتي لا تنتهي في مستقبلٍ لا أكون فيه؛ أظنُّ أنَّها بينَ الخامسة والأربعين والسِّتِّين من عمري.

س.د.ب: هل تظنُّ أنَّ حياتَكَ لم تتوقَّفْ عن الاتِّساعِ والاغتناءِ حتَّى السِّتِّين إجمالاً؟

ج.ب.س: تقريباً عندها، كتبتُ كُتباً فلسفيَّة. لكنْ طالما كانَ لها مستقبلٌ غيرُ مرتبطٍ بالموت. ثمَّةَ ما آمنتُ به لزمنٍ طويل، ولم أعُدْ أؤمن به، هو

مفهومُ الخلود. في كلِّ الأحوال؛ يبقى لدى الكاتبِ فكرةُ أنَّ هناكَ مَن سيقرأه حينما لا يعودُ موجوداً. وهذا هو مستقبلُه. كم من الوقتِ يبقى مقروءاً؟ خمسين، مائة، خمسمائة عام؟ هذا رهنٌ بالكُتَّاب. على كلِّ حال؛ يمكن أن أظلَّ مقروءاً لخمسين عاماً. ليس المهمُّ أن يقرأَني النَّاس قليلاً أو كثيراً، لكنَّ كُتبي ستبقى لخمسينَ عاماً، مثلما بقيَتْ كُتُبُ أندريه جيد موجودةً، وما يزالُ مقروءاً من شبابٍ - يقلُّ عددُهم - بعدَ خمسين عاماً أو أكثر على موته.

س.د.ب: هل كنتَ تؤمنُ، منذُ خمسين عاماً، بوجود اتِّساع وانكماشٍ في الوقت نفسِه؟ كيف تنظر إلى تفاصيلِ هاتين الحركتين؟

ج.ب.س: لنتحدَّث عن الانكماش: لم أعُدْ مُهتمّاً بكتابة الرِّواية، وبوصفِ حياةٍ أُخرى كان يمكن أن أعيشَها. لقد عاشَ كلٌّ من ماتيو، وأنطوان روكانتان حياتين مُختلفتَين عن حياتي، لكنَّهما قريبتَين منها، ويعبِّرانِ، برأيي، عمَّا في أعمَقِ ما في حياتي. لم أعُدْ قادراً على كتابة هذا. أُفكِّر غالباً بكتابةِ قصَّةٍ قصيرةٍ، ثمَّ أعزِف عن هذا الأمرِ تماماً. إذاً، هناك عناصرُ في مهنتي نفسِها قد أُلغيت، وقُطعَت، وحُسمَت، مثل الجانبِ الرُّومنتيكيِّ من الحياة، والآمالِ الباطلةِ، الَّتي تكمنُ قيمتُها في كونها باطلة. هذا الجانب كلُّه، وتلك العلاقةُ بالمستقبل، وبالأمل، والعلاقة بحياةٍ حقيقيَّة في مجتمعٍ حقيقيٍّ يتَّفقُ مع رغباتي، كلُّ هذا انتهى. ثمَّ هناكَ ما هو شامل - معنى حياتي في القرن العشرين - أحاولُ أن أتصوَّره؛ وهو ما يُبعدني عن القرنِ العشرين. في القرن الحادي والعشرين، يمكننا الحكمُ على حيواتٍ تنتمي إلى القرنِ العشرين، وتحديدِ مكانتِها. لا شكَّ أنِّي أُصوِّر هذا بطريقةٍ خاطئة، لكنِّي، مع هذا، أحاول إسقاطَ رؤيتي عن نفسي اعتباراً من القرن الحادي والعشرين؛ هناك هذا، وألفُ شيءٍ آخر: معارفُ في الاقتصاد، والعلومِ الإنسانيَّة تدخلُ حياتي في الوقتِ نفسه، وتغيِّرها بطريقة مُعيَّنة. وبالنَّتيجة يمكن أن تهلَك معها. لكنَّها

أيضاً قوانين تؤثّر على الحيواتِ كلّها، والّتي تُمثّل، من وجهةِ النّظر هذه، الشّمول. هذه القوانين تتغيَّر مع القرن الحادي والعشرين والقرن الثَّاني والعشرين. لكنَّها تتيحُ فهمَنا. كلُّ هذا شموليَّةٌ أشعرُ بها، وأُدركُها جزئيّاً، وأتخيَّلُها في المستقبل، أو انطلاقاً من حاضري. مجموعُ المعارف هذا ثابت، أحتفظ به في ذهني، لأنِّي موجود؛ تلك قوانينُ لا بُدَّ من اكتشافِها كما نكتشف صخرةً نصطدمُ بها في عتمةِ اللَّيل.

س.د.ب: تريد أن تقول: إنَّك تعلَّمتَ بعدَ بلوغِك السِّتِّين؟

ج.ب.س: منذُ السَّنةِ الأُولى من عمري.

س.د.ب: حسناً، لكنِّي سألتُكَ عمَّا تقصدُه بالتَّوسُّع بعدَ السِّتِّين من العمر.

ج.ب.س: طبعاً، ما زلتُ مُستمرّاً في الاكتساب. والمعارفُ الَّتي أكتسبُها موجودةٌ في الكتب، وفي رأسي أيضاً لأنِّي أعمل على تطويرها، وأحاول ربطَها بمعارفَ أُخرى لديَّ. إنَّها معارفُ شاملة، بمعنى أنَّها لا تنطبقُ على عددٍ غيرِ محدودٍ من الحالات فحسْب، بل تتجاوزُ الزَّمنَ. علاوةً على ذلك؛ أمامَها مستقبل، وسيجدُها الآخرون في ظروفٍ أُخرى، وعصرٍ آخر. ومن هنا؛ فهي تمنحني مستقبلَها إلى حدٍّ ما. إنَّها تمنحه لي بطريقةٍ شكليَّةٍ، على أيِّ حال؛ ما لديَّ من معارف هي معارفُ مستقبليَّةٌ أيضاً، وستحدِّدُ سماتي. وهو ما أنا عليه، وما سأكونه، حتَّى إن فقدتُ وَعيي.

س.د.ب: هل يمكنك تحديدُ هذهِ المعارفِ؟

ج.ب.س: هذا صعبٌ، لأنِّي أعني المعارفَ كلَّها. فآخرُ كتابٍ صغيرٍ كتبتُه بالتَّعاون مع فيكتور وغافي لم يكنْ سوى ذلك. إذ نتكلَّم فيهِ عن الحاضر، والمستقبل، عن المستقبلِ الثَّوريِّ، والشُّروطِ الَّتي ستكوِّنهُ؛ هذا المستقبل هو موضوعيٌّ، وهو أنا في الوقتِ نفسِه.

س.د.ب: بتعبيرٍ آخر؛ هل لديكَ الانطباعُ بأنَّك تملكُ فكرةً عن العالم، أي رؤيةً لفهمِ العالم، أوسعَ، وأصحَّ من تلك الفكرةِ الَّتي كانت لديكَ حتَّى الآن؟

ع.ب.س: نعم، لكن لا ينبغي القولُ إنَّها تبدأ في السِّتِّين من العمر.

س.د.ب: عندئذٍ يكون التَّضيُّقُ هو تضيُّق بعضِ المشاريع، مثل التَّوقُّف عن مشروعِ كتابةِ الرِّوايات.

ع.ب.س: نعم، والتَّوقُّف عن الأسفارِ الطَّويلةِ بعد أن صارت تُتعبني. هذا هو تضيُّقُ الشَّيخوخة بمعناها المعروف، والمرض الَّذي يصيبُ كلّاً منَّا. ولا يمكن لهذا التَّقدُّمِ البطيءِ نحوَ الموتِ إلَّا أن يكونَ مُتقطِّعاً تحتَ مُجملِ المعارفِ الشَّاملةِ الَّتي تخلقُ لي مستقبلاً بعدَ الموت. إذاً؛ سأصف حياتي في النِّهاية، على شكلِ خطوطٍ متوازيةٍ ومستقيمةٍ. وستكون هذه معارفي، وانتماءاتي، وهذا يمثِّل، بالتحديد، عالماً يحضرُ المستقبلُ فيه، ويُميِّزني بمقدارِ ما يُميِّزني الحاضر. وتحتَ هذا؛ سأشيرُ بخطٍّ مُتقطِّعٍ إلى ما يجري في كلِّ لحظة، والَّذي ليس له مستقبلٌ إلَّا نهايتي: هذه الحياةُ الحقيقيَّةُ لكلِّ لحظة، والأمراضُ الَّتي يمكن أن تفسدَ أحشائي، وغياباتُ المعارفِ الَّتي عشتها طيلةَ حياتي، والَّتي يمكن أن تتعاظمَ اليوم أيضاً، إلخ. إنَّه موتي، لكنِّي أرسمُه بخطٍّ مُتقطِّع. وفوقَ هذا كله أضعُ هذه المعارفَ وتلك الأفعالَ الَّتي تقتضي المستقبلَ.

س.د.ب: أفهمُ ما تقول. لكن، تعالَ ننظر الآنَ في حياتك من زاويةٍ أُخرى. أودُّ لو تنظرُ إليها كما نظرتُ أنا إلى حياتي حينما كتبتُ بدايةَ كتابي **في نهايةِ المطاف**. أيّ ما هيَ الحظوظُ، والمصادفاتُ، ولحظاتُ الحرِّيَّة، والمعوِّقات الَّتي اعترضَتْ سبيلَ هذه الحرِّيَّة؟ أوَّلاً: لنفترضْ، وهو ما أظنُّه الحقيقة، أنَّكَ مسرورٌ من مجملِ وجودِك، وممَّا فعلتَ، وممَّا أنتَ عليه؛ ما هي الفرصُ الَّتي تعدُّها أنَّها أوصلتكَ إلى ما أنتَ عليه؟

ع.ب.س: أظنُّ أنَّ أكبرَ حظوظي هو أنِّي ولدتُ في عائلةٍ جامعيَّةٍ، أي في عائلةِ مُثقَّفين من ذلك النَّوع الَّذي لديه تصوُّرٌ مُعيَّنٌ عن العملِ، والعطلةِ، والحياةِ

اليوميَّةِ، وبوسعهم منحي نقطةَ انطلاقٍ جيِّدةٍ للكتابة. لا شكَّ أنِّي، منذُ تمكَّنت من النَّظر حولي، لم أعتبرْ ظرفَ عائلتي، ومن ثمَّ ظرفي بمثابةِ ظرفٍ اجتماعيٍّ كغيرِه، بل بوصفِه الظَّرفَ الاجتماعيَّ؛ فالحياةُ فيه تعني العيشَ في مجتمع، والعيشُ في المجتمع كان يعني العيشَ كما يعيش جَدِّي، أو أُمِّي. وبما أنِّي عشتُ، أصلاً، كما قلتُ في **الكلمات**، في بيتِ جَدِّي الَّذي كان يعمل في الكُتُب، بنوعٍ خاصٍّ، وكان لديهِ تلاميذُ، فقد تأثَّرتُ بذلك كثيراً. ولا شكَّ أنَّ حرماني من الأبِ كان لهُ تأثيرُه الكبيرُ أيضاً. لو كان لديَّ أبٌ؛ لكانت له مهنةٌ أكثرُ وضوحاً، ولكانَ أكثرَ صرامةً. حينما ولدتُ كان جَدِّي مُحالاً على التَّقاعد، أو على وشَكِ ذلك. كانت لديهِ مدرسةٌ له، ويدرِّسُ اللُّغة الألمانيَّة في معهد الدِّراساتِ الاجتماعيَّة العليا. إذاً؛ كانت لديهِ مهنة، لكنَّ هذه المهنةَ كانت قديمةً. كنتُ أعرفُ تلاميذَه في الأعياد الَّتي كانت تُقامُ في المعهد، وفي مدينة مودون Meudon في بيت جَدِّي. باختصار؛ لم أكنْ أعرفُ من حياتِه العمليَّة سوى لحظاتِ الرَّاحة، وعلاقةِ عملِه بتلاميذِه حينما كان يدعوهم إلى العشاء.

س.د.ب: ما أهميَّةُ ألَّا يكونَ لديكَ وعيٌ بمهنةٍ لازمةٍ تكسبُ رزقَك منها؟

ج.ب.س: لهذا أهمِّيَّةٌ كُبرى؛ لأنَّه يُلغي العلاقةَ بينَ العملِ الَّذي نقوم بهِ والمالِ الَّذي نقبضُه مقابلَ إنجازِه. بعد ذلك؛ لم أعدْ أرى، أبداً، العلاقةَ بينَ الكتبِ الَّتي كتبتُها والمالِ الَّذي أقبضُه من ناشري في نهايةِ كلِّ سنة.

س.د.ب: باعتبارِنا نتحدَّثُ تحديداً عن الحرِّيَّة، والخياراتِ، وما إلى ذلك؛ هل كانت مهنةُ الأستاذِ هذه خياراً حُرّاً، أم فَرَضتْها عليكَ العائلة؟

ج.ب.س: الأمرُ مُعقَّدٌ إلى حدٍّ ما. أظنُّ أنَّه كان من الطَّبيعيِّ جدّاً، بالنِّسبة لجدِّي أن أكونَ أُستاذاً. وهو ما لم يفعلْه ابنُه البِكر، الَّذي أصبحَ مُهندساً؛ مع أنَّ ابنَه الأصغرَ كان أُستاذاً، وما يزال، وكان يرى أنَّه من الطَّبيعيِّ جدّاً أن أكونَ أستاذاً مثلَه، لاعتقادِه بأنِّي موهوبٌ جدّاً. لكن لو كانت لديَّ موهبةٌ

محددَةٌ لكي أُمارسَ مهنةً أُخرى ـ كمهندسٍ في العلومِ التِّقنيَّة، أو مهندسٍ بحريٍّ على سبيلِ المثال ـ لتركّني أفعلُ ذلك. لكنّي تركتُ نفسي أسيرُ في اتّجاهِ أن أكونَ أُستاذاً، لأنّي كنتُ أرى في تلكَ الفئةِ من المثقّفين أصلاً ومصدراً للروائيِّين، والكُتّابِ الّذين أردتُ أن أكونَ واحداً منهم. كنتُ أظنُّ أنَّ مهنةَ الأستاذِ تقدِّمُ معارفَ ضخمةً حولَ الحياةِ البشريَّةِ، وأنَّ كتابةَ الكتابِ تقتضي معارفَ كبيرة. كنتُ أرى علاقةً بين أستاذِ الآدابِ الّذي يكوِّن لنفسِه أسلوباً وهو يعلّم، من خلالِ تصحيحِ أسلوبِ تلاميذِه، وهذا الأستاذُ نفسُه يستخدمُ أسلوباً سبقَ له دراستُه لصناعةِ كتابٍ يُحقّق له الخلود.

س.د.ب: إذاً، كان هناكَ تناغمٌ بينَ الظُّروفِ العائليَّة الّتي دفعتكَ إلى الأستاذيَّة، وإرادتِك؟

ج.ب.س: نعم، إذا جازَت تسميةُ هذا بالتّناغم؛ فقد يكونُ المرءُ جامعاً للرَّوث وكاتباً في الوقتِ نفسِه. ليس هناكَ سوى علاقاتٍ ثانويَّةٍ بين أن يكونَ المرءُ أستاذاً وكونه يكتب. لكني، اخترتُ هذا التّناغمَ؛ بمعنى أنّي رأيتُ العالمَ من خلالِ مهنةِ جَدّي، وعبرَ رغبتي الخاصَّة في الكتابة. وهما أمرانِ مرتبطانِ ببعضِهما؛ لأنَّ جَدّي، هو من كان يقولُ لي: ستكتب. لقد كذبَ في هذا؛ لأنَّ الأمرَ لم يكن يعنيه، أراد أن أكونَ أُستاذاً. لكنّي نظرتُ بجديَّةٍ إلى ما قالَه، وبالنَّتيجة فإنَّ جَدّي؛ الأستاذَ المتفوّقَ على جميعِ الأساتذة طبعاً؛ كان يقول لي هذا كما لو كان يكتب.

س.د.ب: إذاً، يمكن عدُّ الأستاذيَّةِ بمثابةِ نوعٍ من الخيارِ الحُرّ، لكنّه متطابقٌ معَ ما كان الآخرون يتمنّونه لك. هل ترى في الطُّفولةِ أو في الشَّبابِ لحظاتٍ كانت فيها هذه الحرّيَّةُ نفسُها وحيدةً؟ وهل انتابَك الانطباعُ أنّه كانت لديكَ مبادراتٌ شخصيَّةٌ تماماً طيلةَ ذلك القسمِ الأوّلِ من حياتِك؟

ج.ب.س: يصعب عليَّ قولُ ذلك.

س.د.ب: في ما يتعلَّقُ بفعلِ الكتابة، على سبيلِ المثال.

ج.ب.س: رُبَّما لم يكنْ فعلُ الكتابةِ شخصيّاً تماماً حينما كنتُ في الثَّامنة من عمري، كما قلتُ في **الكلمات**، ما فعلتهُ آنذاك، كانَ إعادةَ اختراعِ نصوصٍ مكتوبةٍ مُسبقاً ونسخَها. لكنَّها تضمَّنَت شيئاً منِّي. أردت أن أكونَ ذلكَ الَّذي يكتبُ الكُتُبَ. بعدَ الصَّفِّ الثَّامن؛ سافرتُ معَ أُمِّي وزوجِها إلى لاروشيل، وهناك؛ ما عادَ شيءٌ يسوِّغُ اختياري للكتابة، بعد أن حظيتُ برفاقٍ اختاروا ما اخترتُه؛ لم يكن في لاروشيل أحدٌ يريد أن يصبحَ كاتباً.

س.د.ب: ولكنكَ كتبتَ هناك، أليس كذلك؟

ج.ب.س: نعم، كتبتُ هناك، ولم يكنْ لأعمالي جمهورٌ سوى رفاقيَ الَّذين كنتُ أقرأُ عليهم بعضَ الصَّفحاتِ المثيرةِ لسخريتِهم.

س.د.ب: وفي البيت؛ ألم يكنْ أحدٌ يشجِّعُكَ على الكتابةِ أيضاً؟

ج.ب.س: إطلاقاً.

س.د.ب: إجمالاً، كانت الكتابةُ، بالنسبةِ لك، نوعاً من تعلُّمِ العُزلةِ والحرِّيَّة.

ج.ب.س: كتبتُ أيضاً في الصَّفِّ الرَّابع. لكن أقلَّ، ورُبَّما لم أكتبْ شيئاً في الصَّفِّ الثَّالث، أو الثَّاني. كنتُ أنظرُ إلى الكاتبِ بوصفِه تعيساً لا يقرأهُ أحدٌ، ولا يعرفُه جيرانُه. ولا تبرزُ شهرتُه إلَّا بعدَ موتِه. كتبتُ وأنا أشعرُ بعداءِ رفاقي، سواءٌ أكانَ مُمكناً أم حقيقيّاً. في تلك الفترة إذاً؛ كنتُ أنظرُ إلى الكاتبِ بوصفِه شيطاناً مسكيناً ملعوناً. ها أنذا أتحدَّثُ برومانسيَّة.





الموتُ والله

س.د.ب: عموماً، أرى لديكَ نظرةً مطمئنَّةً إلى الموت.

ج.ب.س: لكنَّ اقترابَ الموتِ يبدو كسلسلةٍ من الحرمانات. مثلاً، كان الشَّرابُ واحدةً من ملذَّاتِ حياتي كما تعرفين، حتَّى حينَ أكونُ منزعجاً لأسبابٍ موضوعيَّة كنتُ أُنهي السَّهرةَ بكثيرٍ من الشَّراب. وقد اختفى هذا. اختفى؛ لأنَّ الأطبَّاءَ منعوني عنه. لذلكَ أرفضُهم مع أنِّي أخضعُ لهم. إذاً، هناكَ حرماناتٌ أشبهُ بأشياءَ تُنتَزعُ منِّي قبلَ أن يُنتَزعِ منِّي كلُّ شيء، وهو الموت. وهذا التَّشتُّتُ الَّذي يظهرُ مع الشَّيخوخة؛ فبدلاً من امتلاكِ فكرةٍ واضحةٍ تماماً عن تركيبِ الأنا الَّذي ينبغي أن يكونَ رجلاً واحداً، ترى ذلك يتشتَّتُ إلى عددٍ كبيرٍ من النَّشاطاتِ، والأشياءِ الصَّغيرةِ. لقد بدأ التَّركيبُ، لكنَّه لن يكتملَ أبداً. أشعرُ بهذا كلِّه، ومن ثمَّ فإنِّي في حالٍ أقلَّ ارتياحاً من ذلك الَّذي كنتُ عليه قبلَ عشرِ سنوات. لكنَّ الموتَ، بوصفِه شيئاً جدِّيّاً، لا يُخيفني، ويبدو لي طبيعيّاً؛ طبيعيّاً بالمقابلةِ مع مُجملِ حياتي الَّتي كانت ثقافيَّة. إنَّه العودةُ إلى الطَّبيعة والتَّأكيدُ على أنَّني كنتُ طبيعة. بقي أنَّ ما أتذكَّرهُ من حياتي، حتَّى مع وجهةِ النَّظرِ الجديدة هذه، وحتَّى مع خطأ الخلودِ الَّذي ارتكبتُهُ طيلةَ عدَّةِ سنوات، يبدو لي صحيحاً. إنَّها نوعٌ من وجهةِ النَّظرِ الَّتي تسبقُ الموت، لستُ نادماً على ما فعلت. إنِّي أتحمَّل، حتَّى أكبرَ أخطائي، وهي تُلزمني، وغالباً ما أفضَتْ بي إلى تغيُّراتٍ أُخرى.

س.د.ب: هذا موضوعٌ آخر، لكنْ يهمُّني أن أعرفَ ما هي تلك الأخطاءُ الَّتي تعدُّها جسيمةً؟

ج.ب.س: لا أذكرُ شيئاً مُحدَّداً، لكنِّي أظنُّ بأنِّني ارتكبتُ عدداً منها.

س.د.ب: في كلِّ الأحوال؛ أنا على يقينٍ بأنَّك ارتكبتَ بعضَ الأخطاء.

ج.ب.س: نعم ارتكبتُ أخطاء. باختصار، أرى أنَّها حياةٌ تتفكَّك. وبالنَّتيجة؛ لا يُمكنُ للمرءِ أن يعيشَ حياةً تنتهي كما بَدأَت، بنقطة هي النُّقطةُ النِّهائيَّة، بل بالأحرى...

س.د.ب: الحياة تنسلُّ.

ج.ب.س: تتفرَّق، وتنسلُّ. فإذا وضعتُ نفسي خارجَ هذا الانسلالِ ـ الَّذي لا آسفُ عليه لأنَّه مصيرُ النَّاسِ كلِّهم ـ أعتبرُ أنَّه كانت لي مرحلة، من الثَّلاثين، وحتَّى الخامسةَ والسِّتِّين، رعيتُ نفسي بنفسي خلالَها، حيث لم أكنْ مُختلفاً جدّاً في البداية عمَّا أصبحتُ عليه؛ بل هناكَ استمراريَّةٌ، حيث استخدمتُ حُرِّيَّتي لما أردتُهُ، بشكلٍ مقبولٍ. وتمكَّنتُ من إسداءِ الخدماتِ، والمساعدةِ في انتشارِ بعضِ الأفكار، وفعلتُ ما أردتُ، أيِّ أنَّني كتبتُ، وهو أهمُّ شيءٍ في حياتي. ونجحتُ في الحصولِ على ما سعيتُ إليه منذُ كنتُ في السَّابعة أو الثَّامنة من عمري. لكنِّي لا أعرفُ إلى أيِّ حدٍّ، لكنِّي فعلتُ ما كنتُ أريد؛ أعمالٌ استمعَ إليها النَّاس، أو قرأوها. بالنَّتيجة، حينما يحينُ أجلي، لن أموتَ كغيري من النَّاس وهم يقولون: «لو أُتيح لي أن أحيا من جديد؛ سأعيشُ حياتي بطريقةٍ مختلفة، لأنَّها أُفلتَتْ منِّي، أو ضيَّعتُها!». لا، إنِّي أقبلُ نفسي كلَّها، وأشعرُ بها تماماً، كما أردتُ أن أكون. طبعاً، إذا عدتُ إلى الماضي، إلى طفولتي، أو إلى شبابي، لأردتُ أقلَّ ممَّا فعلت. كانت لي طريقةٌ مختلفةٌ لقبولِ المجد، كنتُ أتخيَّلُه قميناً بجمهورٍ صغير، بنُخبة، وقد كنتُ جميعَ النَّاس تقريباً. إذاً، حينما أموت؛ سأموتُ راضياً عن نفسي. قد يزعجُني أن أموتَ اليوم، وليسَ بعدَ عشرِ

سنواتٍ لكنّي راضٍ. لم يُثقِلِ الموتُ على حياتي أبداً، ورُبَّما لن يثقلَ عليها. بهذه الكلماتِ أريدُ إنهاءَ هذا الفصل.

س.د.ب: نعم، لكن ثمَّة سؤالٌ أودُّ طرحَه أيضاً: ألمْ تداعبْكَ فكرةُ بقاءِ الرُّوح، أي بقاءُ مبدأ روحيٍّ فينا، بقاءٌ كما يَنظرُ إليه المسيحيّون، على سبيل المثال؟

ج.ب.س: يبدو لي، بلى، لكن بوصفِه حقيقةً طبيعيَّة تقريباً. الألم الَّذي اعتراني؛ سببُهُ بنيةُ الوعي، في تصوُّرِ لحظةٍ لا أعود فيها موجوداً. أيْ: مستقبلٌ نتخيَّلهُ في الوعي يُحيلُ إلى الوعي. لا يمكنُنا تخيُّلُ لحظةٍ لا يكونُ الوعيُ فيها موجوداً. يمكنُنا تخيُّلُ عالمٍ.

لا يعودُ الجسدُ فيه موجوداً، لكنَّ التَّخيُّلَ لا يقتضي الوعيَ في الحاضر فحسب، بل في المستقبلِ أيضاً. من ثمَّ؛ فإنَّ إحدى الصُّعوباتِ، على ما أظنُّ، الَّتي تعترضُ التَّفكيرَ بالموت هي، تحديداً، استحالةُ التَّخلُّصِ من الوعي. مثلاً لو تخيَّلتُ جنازتي، لأنَّه أنا من يتخيَّل جنازتي؛ سأرى نفسي لاطياً في زاويةِ الشَّارع، أنظرُ إليها تمرُّ أمامي. إذاً، لهذا كان لديَّ ميلٌ غامضٌ، حينما كنتُ شابّاً، في الخامسةَ عشرةَ من عمري، نحوَ تصوُّرِ هذه الحياة الَّتي قد توجد دائماً، لأنَّه حينما كنتُ أتخيَّلُ المستقبل، كنتُ أتخيَّلُ نفسي في داخلِه كَيْ أراه، لكنَّ هذا لم يكنْ شيئاً مُهمّاً طالما فكَّرتُ، بوصفي مُلحداً، ألَّا وجودَ لأيِّ شيءٍ بعدَ الموت، إلَّا الخلودَ الَّذي كنتُ أراهُ بوصفِه شبهَ بقاء.

س.د.ب: أودُّ لو أعرفُ كيفَ نشأَ إلحادُكَ، وتطوَّرَ لديكَ؟

ج.ب.س: شرحتُ في **الكلمات**، أنَّني في الثَّامنة من عمري، لم يكن بيني وبينَ اللهِ سوى علاقةِ جِوار، وليسَتْ علاقةَ خضوعٍ، أو فهم. كانَ هناكَ، ويتجلَّى من وقتٍ لآخر، كما في ذلكَ اليومِ الَّذي يبدو أنِّي أشعلتُ النَّار في المنزل. كانت نظراتُه تَتَمَوضَعُ فوقي، من وقتٍ لآخر.

س.د.ب: كيف أشعلتَ النَّارَ في البيت؟

ع.ب.س: رويتُ في **الكلمات**، كيف كنتُ أُمسِكُ بعلبِ الكبريت، وكيف أشعلتُ النَّار، بتواضع؛ كان اللهُ يراني من وقتٍ لآخرَ بالفعل؛ وكنتُ أتخيَّلُ أنَّ نظرةً ما تغطِّيني. لكنَّ هذا كلَّه كان مُبهماً، لا علاقة كبيرة له بالتَّعاليمِ المسيحيَّة. ذاتَ يومٍ: كنت في الثَّانيةَ عشرةَ من عمري في لاروشيل، استأجرَ والديَّ فيلَّا بعيدةً عن المدينة، وكنت أستقلُّ التراماواي صباحاً مع جاراتيَ اللَّاتي كُنَّ يرتدنَ مدرسةَ البنات. كنَّ ثلاثَ برازيليَّات، بنات ماشادوMachado، وكنت أتنزَّه أمامَ بيتهنَّ بانتظارِ أن يجهزنَ، أي بضعَ دقائق. ولا أعرفُ من أينَ أتتني تلكَ الفكرةُ، وكيف أثارتني؛ قلتُ لنفسي على الفور: اللهُ غيرُ موجود ! لا بُدَّ أنَّهُ كان لديَّ في السَّابقِ أفكارٌ جديدةٌ تتعلَّق بالله، وبدأتُ بحلِّ المشكلةِ لنفسي. لكن، في ذلك اليومِ أذكر أنَّني قلتُ لنفسي: اللهُ غيرُ موجود، وكأنَّ ذلكَ بمثابةِ حدسٍ صغير. من المدهشِ أن تخطرَ هذه الفكرةُ ببالي وأنا في سِنِّ الحاديةَ عشرةَ، ولم أعُدْ لطرحِ هذا السُّؤالِ على نفسي أبداً حتَّى اليوم، أي لم أطرحْهُ منذُ ستِّينَ عاماً.

س.د.ب: ألا يمكنُكَ أن تعثرَ، بشكلٍ أدقّ، على ذلك الفعلِ الَّذي سبقَ هذا الحدس؟

ع.ب.س: أبداً. لا سيما وأنِّي أتذكَّر جيِّداً، في الثَّانيةَ عشرةَ من عمري، كنتُ أعتبرُ هذا بمثابةِ حقيقةٍ بدت لي بوضوح. طبعاً هذا خطأ، لكنْ طالما تصوَّرتُ الأشياءَ على هذا النَّحو: تأتيني فكرةٌ بشكلٍ مُفاجئ، فينبثقُ حدسٌ ويحدِّدُ حياتي. أظنُّ أنَّ الآنسات؛ بنات ماشادو، ظهرنَ في تلك اللَّحظة، واختفَتِ الفكرةُ في ذهني. ولا شكَّ أنِّي عدْتُ إلى التَّفكير فيها في اليوم التَّالي، أو الَّذي تلاه، واستمرَّيتُ بالقولِ إنَّ اللهَ غيرُ موجود.

س.د.ب: هل كان لهذا الكشفِ تبعاتٌ عليك؟

ج.ب.س: لم تكنْ كبيرةً في وقتها، ولا حاسمة فعليّاً؛ فسلوكي كان مُرتبطاً بمبادئ، ورغبات أُخرى؛ كنتُ أريد، بنحوٍ خاصٍّ، إقامةَ علاقاتٍ مع رفاقي. وكانت هناكَ صبيَّةٌ في مدرسةِ البناتِ أردْتُ لقاءَها. لم أكنْ مُرتبطاً بالدِّيانة الكاثوليكيَّة على الإطلاق، ولم أتردَّدْ على الكنيسةِ قبل، أو بعد. من ثمَّ، لم يكن للدِّينِ أيُّ علاقةٍ بحياتي في تلك الفترة. لا أتذكَّرُ أبداً بأنِّي شكوتُ، أو دُهِشتُ بأنَّ اللهَ غيرُ موجود. كنتُ أُقدِّرُ أنَّها مزحةٌ رُويَتْ لي. وكان النَّاس مقتنعينَ بها، أمَّا أنا؛ فقد فهمتُ أنَّها خاطئة. وبطبيعة الحال؛ لم أكنْ أعرفُ الملحدين؛ لأنَّ عائلتي كانت مؤمنةً بصدق.

س.د.ب: ألم يكنْ يزعجُكَ أن تكونَ في تعارضٍ، مع عائلتك، الَّتي كنتَ تحترمُها وتحبُّها كثيراً حولَ نقطةٍ بالغةِ الأهميَّة؟

ج.ب.س: لا. حاولتُ شرحَ كيف كوَّنتُ لنفسي ترسانةً من الأفكار الشَّخصيَّة الصَّغيرة، في كتاب **الكلمات**، الَّتي كانت تتعارضُ تماماً مع الأفكار الَّتي تحملها عائلتي. كنتُ أُفكِّر لنفسي. والحقُّ يُقال إنَّ ذلك بدا لي صحيحاً. كنتُ أفكِّرُ بطريقةٍ متواضعة بما قالَه لي جَدِّي عن فِكرِ الآخرين، وتصوُّراتِهم. كنتُ أظنُّ أنَّه ينبغي على الإنسانِ أن يجدَ فكرَه بنفسِه. وهو ما كان يقولُه لي أيضاً، لكنَّه لم يكنْ يدركُ ذلكَ بنفسِ الدَّرجةِ من العُمق الَّتي أُدرِكُها بها.

س.د.ب: بعد أن كبرتَ، وانتقلتَ إلى باريس، هل تغيَّرَ إلحادُك، هل تزعزعَ، أم تعزَّز؟

ج.ب.س: تعزَّز، إذا شئتِ. أظنُّ أنَّه انتقلَ من إلحادٍ مثاليٍّ إلى إلحادٍ مادِّيٍّ، لاسيما خلالَ محادثاتي مع نيزان. يصعبُ شرحُ الإلحادِ المثاليّ. لكن، حينما كنتُ أقول: اللهُ غيرُ موجود؛ يعني كما لو أنَّني تخلَّصتُ من فكرةٍ سائدةٍ في العالم، واستبدلتُّها بفكرةِ العَدَمِ الرُّوحيِّ، أي بنوعٍ من فكرةِ الرَّغبةِ المكبوتة، في إطارِ أفكاري كلِّها. والنَّتيجةُ أنَّه لم يكنْ لهذا سوى علاقةٍ صغيرةٍ مباشرةٍ

بالشَّارعِ، والأشجارِ، والمقاعدِ الَّتي يجلسُ النَّاسُ فوقَها. كانت فكرةً تركيبيَّةً كبيرةً تختفي، من دونِ أن تلامسَ طرفاً من العالم. وشيئاً فشيئاً؛ قادتني أحاديثي مع نيزان، وأفكاري الشَّخصيَّةُ إلى شيءٍ آخر؛ إلى فكرةٍ مختلفةٍ عن العالم، لا يُمكن لها أن تختفي، وتضعني في علاقةٍ مع فردوسٍ أرى فيه الله، لكنَّه هو الواقعُ الوحيد. ينبغي أن يُقرأ غيابُ اللهِ في كلِّ مكان. الأشياءُ كانت لوحدِها، ولاسيما الإنسان لوحدِه. كان وحيداً بوصفِه مُطلقاً. الإنسانُ شيءٌ غريب. صار يتبدّى لي هذا شيئاً فشيئاً. الإنسانُ كائنٌ ضائعٌ في العالم، وبالتَّالي؛ محاطٌ به من كلِّ الجهات، كمسجونٍ فيه. وفي الوقتِ نفسِه؛ فهو كائنٌ قادرٌ على تركيبِ هذا العالم وجعلِه مثابةِ موضوعِهِ، باعتباره كائناً أمامَ العالمِ وخارجه. ولم يَعُدْ في الدَّاخل، بل في الخارج. هذه العلاقةُ بينَ الخارجِ والدَّاخل هي الَّتي تُكوِّنُ الإنسان. هل فهمتِ ما عنيتُ؟

س.د.ب: نعم، بشكلٍ جيّد جدّاً.

ج.ب.س: استغرقَني هذا بضعَ سنواتٍ لأقتنعَ به. من الأسهل حتماً أن نراهُ بمثابةِ داخلٍ فحسب، أو خارجٍ فقط. وصعوبةُ أنَّه يملك الاثنين، ويعارضُ كلٌّ منهما للآخر، هو تناقضُهُ العميق والأوَّل. إذاً كنتُ هناكَ، في مدينة تور، على سبيلِ المثال، جالساً في أحدِ المقاهي، وفي الوقتِ نفسِه لم أكنْ خارجَها. لكن بوسعي، وأنا فيها، ومن دونِ أن أتحرَّك، ورافضاً أن أكونَ شيئاً يُحدِّدُه وجودي، بوسعي رؤيةُ العالمِ بوصفِه تركيباً، أي كلُّ الأشياءِ الَّتي أراها مُحيطةً بي، وبعدَها أشياءُ أُخرى، كالآفاق، كما يقول هايدغر. أي: إدراكُ العالمِ بوصفِه مجموعَ آفاقهِ، باعتبارِه مُكوَّناً من أشياءَ أيضاً.

س.د.ب: حينما درستَ الفلسفةَ، بدءاً بالصُّفوفِ التَّحضيريَّة ومروراً بدارِ المعلِّمين، وانتهاءً بشهادةِ الأُستاذيَّة أو التأهيل، هل كانَ لهذا علاقةٌ مُعيَّنةٌ بإلحادِك، هل عزَّزَهُ، أو على الأقلِّ، قدَّمَ حُجَجاً تؤيِّده؟

ج.ب.س: قرَّرتُ دراسةَ الفلسفةِ في السَّنةِ التَّحضيريَّة الأُولى والثَّانية لدخولِ دارِ المعلِّمين. وفي تلكَ الفترةِ كنتُ واثقاً من عدمِ وجودِ الله، وما كنتُ أريدُه هو دراسةُ فلسفةٍ توضِّحُ موضوعي بشكلٍ جيِّد، أي موضوعَ الإنسان. بمعنى وجودِه الخاصّ به، في العالم وخارجِه، والعالم من دونِ إله. بدا لي أنَّ ذلكَ مشروعٌ جديد، لأنِّي كنتُ مُطَّلعاً قليلاً على أعمالِ المُلحِدينَ الَّذين،تجدر الإشارة، إلى أنَّهم لم يمارسوا الفلسفةَ إلَّا قليلاً، وأنَّهم كانوا جميعاً مؤمنين. وهذا يعني أشياءَ مُختلفةً لعصورٍ مُختلفة. إيمانُ سبينوزا باللهِ لا يُشبه إيمانَ ديكارت أو كانط به. لكن، ما كان يبدو لي هو أنَّ الفلسفةَ المُلحِدة الكُبرى، المُلحِدةَ فعلاً، كانت تفتقرُ إلى الفلسفة. وكان لا بُدَّ من الانخراطِ في هذا الاتِّجاه.

س.د.ب: بمعنى أنَّكَ كنتَ تريدُ وضعَ فلسفةٍ للإنسان، إجمالاً.

ج.ب.س: نعم، وضعُ فلسفةٍ للإنسان في عالمٍ مادِّيٍّ.

س.د.ب: هل كان لديكَ رفاقٌ - كيْ نبقى في فترةِ شبابِك - غيرُ مُلحدين؟ وما طبيعةُ علاقتِك بهم؟ هل كانَ هذا الأمرُ يُزعجُك، أو يزعجُهُم؟

ج.ب.س: الإزعاجُ، ليستِ الكلمةُ المناسبة. كنتُ على علاقةٍ جيِّدةٍ جدّاً بِ لاروتيس Laroutis، الَّذي كان ولداً رائعاً، أحببتُهُ كثيراً؛ ولا أعرفُ ما أصبحَ عليه. طبعاً، كان هذا الموضوعُ يضعُ مسافةً بيننا. كُنَّا نتحدَّثُ عن الأشياء نفسِها، لكنَّنا نحسُّ بأنَّنا لا نتكلَّم بالطَّريقةِ نفسِها؛ فطريقة لاروتيس في شُربِ قدحٍ كانت تشبهُ طريقتي؛ بحيث يلتبسُ الأمرُ على الآخرين، ومع ذلكَ لم تكنْ هي طريقتي.

س.د.ب: هل حاولَ أحدُ هؤلاءِ الرِّفاق، لا أقولُ هدايتَك، بل إقناعَكَ بوجودِ الله؟

ج.ب.س: لا، أبداً. في كلِّ الأحوالِ؛ لم أكنْ أعرفُ أنَّ أولئكَ الَّذينَ كنتُ ألتقيهم مُلحدين، أو مسيحيِّين، أو متكتِّمين جدّاً، لوجودِهم في دار المعلِّمين،

أي كانوا مُثقَّفين. كانوا يظنُّونَ، من ثمَّ، أنَّهم إزاءَ أُناسٍ يؤمنون بشكلٍ سيِّئ، أو يؤمنون قليلاً، أو لا يؤمنون، وأنَّه كان على كلٍّ مِنَّا تدبُّرُ أمرِه؛ وأنَّهم ينبغي أن يكونوا هناكَ فقط من دونِ أن يفعلوا، أو يقولوا شيئاً من شأنهِ فضحُ وعيٍ مُعيَّن، فكانوا دائماً يتركونَني وشأني.

س.د.ب: مرَّت عليكَ فترةٌ تعرَّفتَ خلالَها على مسيحيِّين كانوا مُقرَّبينَ منكَ جدّاً في معسكرِ الاعتقال. بل إنَّ خوريّاً كان أفضلَ أصدقائِك.

ع.ب.س: نعم، كنتُ أرى كثيراً من الخوارِنة، لكنَّهم كانوا يُمثِّلونَ، في تلك الفترة،أي في معسكرِ المعتقَلين، المثقَّفينَ الوحيدينَ الَّذينَ التقيتهم. ليس جميعَهم، لكن، في كلِّ الأحوالِ، صديقي اليسوعيِّ فيلر Filler والخوري الَّذي تركَ الكهنوتَ منذُ ذلكَ الوقتِ وتزوَّج...

س.د.ب: الخوري لوروا Leroy؟

ع.ب.س: نعم، الخوري لوروا. كانوا مُثقَّفينَ؛ أناسٌ يفكِّرونَ في الأشياء نفسِها الَّتي أفكِّر فيها، ليسَ دائماً بما أفكِّر فيه، لكنْ كان لي معَهم علاقةٌ مشتركةٌ تقومُ على التَّساؤلِ حولَ الأشياءِ نفسِها. بحيث أنِّي كنتُ أتحدَّثُ مع الخوري لوروا، أو الخوري بيران Perrin، أو فيلر اليسوعيِّ، بطريقةٍ أفضلَ من تلك الَّتي كنتُ أتحدَّثُ فيها مع الفلَّاحين المعتقَلين.

س.د.ب: ألم يكنْ إلحادُك يُزعجُهم؟

ع.ب.س: يبدو أنَّه لم يكنْ يزعجُهم؛ فقد قال لي الخوري بشكلٍ عفويٍّ بأنَّه لا يقبلُ مكاناً في الجنَّة إذا رفضوا أن يمنحوكَ واحداً فيها. لكنَّه كان يظنُّ أنَّهم لن يرفضوا إعطائي هذا المكانَ بالضَّبط، وأنِّي سأتعلَّمُ معرفةَ اللهِ خلالَ حياتي، أو بعدَ موتي. إذاً، كان يعتبرُ الإلحادَ بمثابةِ حدٍّ سيتلاشى بينَنا. وفصلاً سيختفي.

س.د.ب: حينما كتبتَ **الوجود والعدم**، هل حاولتَ تسويغَ عدمِ إيمانِك باللهِ فلسفيّاً؟

ج.ب.س: نعم، طبعاً، كان لا بُدَّ من تسويغه؛ حاولتُ بيانَ أنَّ اللهَ كان يمكن أن يكونَ «بذاتِه لذاتِه l'en -soi pour soi»، بمعنى أنْ يكونَ شيئاً بذاته لا متناهياً، مسكوناً بشيءٍ لذاتِه لا متناهياً، وأنَّ فكرةَ «بذاتِه لذاتِه» كانت هي نفسُها متناقضةً، وغيرَ قادرةٍ على وضعِ برهانٍ على وجودِ الله.

س.د.ب: بالعكس، كانت برهاناً على عدمِ وجودِ الله.

ج.ب.س: نعم، قدَّمَتْ برهاناً على عدمِ وجودِ الله.

س.د.ب: صحيح.

ج.ب.س: هذا كلُّه كان يدورُ حولَ فكرةِ الله، وعرضتُه في **الوجود والعدم**، كما عرضتُ أسبابَ رفضي لوجودِ الله، والَّتي لم تكنْ، في الحقيقةِ، أسباباً حقيقيَّةً. الأسبابُ الحقيقيَّة كانت طفوليَّةً وأكثرَ مباشرةً بكثير - إذ كنتُ في الثَّانيةَ عشرةَ من عمري - من فرضيَّاتٍ تتناولُ استحالةَ هذا السَّبب أو ذاك لوجودِ الله.

س.د.ب: قلتَ في مكانٍ ما: الإلحادُ عملٌ طويلُ المدى، وإنَّك قمتَ بهذا العمل حتَّى نهايتِه بصعوبة. ما الَّذي قصدتَهُ تحديداً بقولِك هذا؟

ج.ب.س: قصدتُ تحديداً صعوبةَ الانتقالِ من الإلحاد المثاليّ إلى الإلحادِ المادِّيّ. لأنَّه يتطلَّبُ عملاً طويلاً. قلتُ لكِ ما الَّذي قصدتُ بالإلحادِ المثاليّ؛ إنَّه غيابُ فكرةٍ، إنَّه فكرةٌ مرفوضة، مشطوبةٌ، لكنَّه غيابُ فكرة، أي فكرةُ الله. الإلحادُ المادِّيُ، هو الكونُ منظوراً إليه من دونِ الله، ولا بُدَّ من عملٍ طويلٍ للتَّمكُّنِ من الانتقالِ من غيابِ الفكرةِ إلى ذلك التَّصوُّرِ الجديد للكائن؛ للكائنِ المتروكِ في الأشياء، وغيرِ المرميِّ به بعيداً عن الأشياءِ في وعيٍ إلهيٍّ يتأمَّل هذه الأشياءَ و ويوجِدُها.

س.د.ب: تعني أنَّ ثمَّةَ طريقةً لرؤيةِ العالَم، حتَّى لو لم يكنِ الإنسانُ مؤمناً بالله...

ج.ب.س: حتَّى وإن لم نكنْ نؤمنُ بالله؛ هناكَ عناصرُ من فكرةِ اللهِ تبقى فينا، وتجعلُنا نرى العالمَ بأشكالٍ إلهيَّة.

س.د.ب: مثل ماذا؟

ج.ب.س: هذا يختلفُ بحسبِ النَّاس.

س.د.ب: لكن، كيف هو بالنِّسبة لكَ؟

ج.ب.س: أنا لا أشعرُ أنِّي ظهرتُ كالغبارِ في العالم، بل مثلَ كائنٍ مُنتَظَرٍ، ومعلولٍ، ومُشَكَّلٍ مُسبَقاً. باختصار؛ أنا مثلُ كائنٍ لا يبدو أنَّهُ قدمَ إلى هذا العالمِ إلَّا بفعلِ خالق، وفكرةُ اليدِ الخالقةِ هذه الَّتي خلقَتني تُحيلني إلى الله. بطبيعة الحال؛ هذه الفكرةُ ليسَتْ واضحةً، ودقيقةً، وتتناقضُ مع كثيرٍ من أفكاري؛ لكنَّها موجودة، غامضة. وحينما أُفكِّر في نفسي؛ غالباً ما أُفكِّرُ قليلاً على هذا النَّحوِ، لأنِّي غيرُ قادرٍ على التَّفكير بطريقةٍ أُخرى؛ لأنَّ الوعيَ في كلٍّ مِنَّا يسوِّغ طريقةَ وجودِهِ، وهو غيرُ موجودٍ بوصفِه تَشَكُّلاً مُتدرِّجاً، أو صنعَتْهُ سلسلةٌ من المصادفات، بل بوصفِه شيئاً واقعاً حاضراً باستمرار، غيرَ مُشَكَّل، وغيرَ مَخلوق، لكنَّه يظهرُ كلُّهُ حاضراً دائماً. والوعيُ، هو وعيُ العالَم، ومن ثمَّ، لا نعرفُ تماماً ما إذا كان ينبغي الحديثُ عن الوعيِ أم عن العالم، وبالنَّتيجةِ نجدُ أنفسَنا في الواقع.

س.د.ب: إضافةً إلى هذا الانطباعِ بأنَّنا غيرُ موجودينَ مُصادفةً، هل هناك مجالاتٌ أُخرى فيها بقايا من الله، كما في المجالِ الأخلاقيِّ، على سبيلِ المثال؟

ج.ب.س: نعم. في المجالِ الأخلاقيِّ؛ احتفظتُ بشيءٍ واحدٍ من وجودِ الله؛ هو الخيرُ والشَّرُّ بوصفِهما مُطلقان. النَّتيجةُ العاديَّةُ للإلحادِ هي إلغاءُ الخيرِ

والشَّرّ، وهي نوعٌ من النِّسبيَّة، إنَّها على سبيل المثال، اعتبارُ الأخلاقيَّاتِ متغيِّرةً تبعاً لنقاطِ الأرضِ الَّتي ننظر إليها منها.

س.د.ب: أو عبارةُ دوستويفسكي: «لو لم يكنِ اللهُ موجوداً؛ لصارَ كلُّ شيءٍ مُباحاً» ألا تتَّفقُ مع هذا؟

ج.ب.س: بمعنى ما، أفهمُ ما يقصدُه، وهو صحيحٌ من النَّاحية المُجَرَّدة؛ لكن بمعنى آخر: أرى أنَّ قتلَ الإنسانِ فعلٌ سيِّئٌ. وما هو سيِّئٌ مباشرةً وقطعيّاً، هو سيِّئٌ بالنِّسبةِ لإنسان آخر، وهو فعلٌ لا يراه النَّسرُ أو الأسد سيئاً، بل سيِّئٌ بالنِّسبةِ للإنسان. أرى أنَّ أخلاقَ الإنسانِ ونشاطَه الأخلاقيَّ، أشبهُ بالمطلق في النِّسبيّ. هناك المطلقُ، الَّذي ليسَ هو الإنسان كلَّه، بل الإنسانُ في العالم مع قضاياه في داخلِ العالم. ثم هناكَ المطلقُ الَّذي هو عبارةٌ عن القرارِ الَّذي يتَّخذُه الإنسانُ بخصوصِ أُناسٍ آخرين حولَ هذه القضايا. أعتبرُ المطلقَ إذاً بمثابةِ منتوجٍ للنِّسبيّ، خلافاً لما نفعلُه عادةً. إنَّه مرتبطٌ بمفهومَيّ «الخارج ـ الدَّاخل» اللَّذَينِ تحدَّثتُ عنهما قبلَ قليل.

س.د.ب: إذاً، الإنسانُ هو عمادُ الأخلاقِ، ولا علاقةَ كبيرة لها بالله.

ج.ب.س: ليس لها أيُّ علاقةٍ الآن. لكن من المؤكَّد أنَّ فكرتَي الخيرِ والشَّرِّ نشأتا من التَّعاليمِ المسيحيَّة الَّتي لقَّنونا إيَّاها.

س.د.ب: ألا يمكنُ القولُ إنَّ الأخلاقَ بلا إلهٍ تصبحُ أكثرَ تَطَلُّباً؟ لأنَّكَ إذا كنتَ مؤمناً باللهِ يمكنُكَ أن تطلبَ منه دائماً الصَّفحَ عن أخطائِك، في الكنيسةِ الكاثوليكيَّة على الأقلّ، أمَّا إذا لم تكنْ مؤمناً بالله؛ فلا يعودُ الشَّرُّ المُرتَكَبُ قابلاً للإصلاحِ حتماً.

ج.ب.س: قطعاً. أعتبرُ أنَّ الشَّرَّ غيرُ قابلٍ للإصلاحِ بعدَ وقوعِه، ليس لأنَّه سيِّئٌ فحسب، بل لتبعاتِه القائمةِ على الحقد، والتَّمرُّدِ والشَّرّ أيضاً، حتَّى لو كان ثمَّة مخرجٌ أفضل. في كلِّ الأحوال؛ الشَّرُّ موجودٌ بشكلٍ عميق.

س.د.ب: هل في إيمانِك بالإبداعِ الأدبيِّ، وإرادتِك في التَّضحية بكلِّ شيءٍ من أجلِ العملِ الفنِّيِّ حينما كنتَ شابّاً؛ نوعٌ من بقيَّةِ إيمانٍ بالله !

ج.ب.س: قلتُ هذا في الصَّفحةِ الأخيرةِ من **الكلمات**. كان العمل الفنِّيُّ يبدو لي مثلَ الخلودِ المسيحيِّ، وفي الوقتِ نفسِه؛ يعني خلقَ شيءٍ في المُطلق، لا يدركُه النَّاس، وينبغي قراءتُه من خلالِ نظرةِ الله، ويكتسبُ قيمتَه المطلقةَ المتجاوزةَ للبشريَّةِ لكونِه مُعطىً من الخالق. إذاً فالعلاقةُ الأُولى بينَ العملِ الفنِّيِّ واللهِ جاءتني من تصوُّري الأوَّلِ للفنِّ؛ فقد خلقتُ عملاً فنِّيّاً، وكان اللهُ ينظرُ إليهِ بمعزلٍ عن أيِّ جمهورٍ بشريٍّ. وهذا هو الَّذي اختفى، على الرَّغم من إنَّنا نعطي، حينما نكتب، نوعاً من القيمة الما فوقَ بشريَّة لِما نكتب؛ يبرز الجميلُ كما في ما يبرهنُ النَّاسُ عليه بوصفِه شيئاً آخر، مختلفاً عن مُجرَّد رضا النَّاس. رضا النَّاس علامةٌ على أنَّ الشَّيءَ يتمتَّع بقيمةٍ تتجاوز البشريَّ. هذا وهم، بطبيعة الحال، ولا علاقةَ له بأيِّ شيءٍ حقيقيٍّ، لكنَّنا نحافظُ عليه حينما نكتب؛ لأنَّه إذا أردنا النَّجاح للعملِ الَّذي نصنعُه؛ عليه أن يتجاوزَ الجمهورَ الحاضرَ، الحيَّ، الموجودَ، ويخاطبُ أيضاً جمهوراً مستقبليّاً. فضلاً عن هذا؛ يتضمَّنُ هذا العملُ حكماً صادراً عن جيلٍ أو جيلَين، وينتقلُ إلى أجيالٍ لاحقة مع تعديلٍ خفيف، لكنَّ الأجيالَ اللَّاحقةَ تحافظُ عليه إلى حدٍّ ما؛ بحيث تكونُ هناك نظرةٌ متعدِّدةٌ ومُتغيِّرةٌ قليلاً إلى العمل، هي في حقيقةِ الأمر؛ نظرةُ النَّاس. حينما توصَّل فولتير إلى وعيِ القرنِ العشرين، على سبيل المثال، فهو فولتيرٌ أنارَهُ ضوءٌ اعتبرَه بمثابة فولتير. أمَّا نحنُ فلا نشعرُ بأنَّه نورٌ بشريٌّ. نشعر به بوصفه نوراً مُنبعثاً منه، ويمكن أن يكون، في الوقتِ نفسه، بمثابةِ وعيٍ آخر يضيئه شيءٌ يشبهُ الله. أظنُّ أنَّ ثمَّةَ عناصرَ فكرةِ إلهيَّةٍ تبقى بينَ مفاهيمَ بالغة الاضطراب، والتَّنافر، وغير المفهومة تماماً من هذا النَّوع، وهي عناصرُ تفقدُ من قوَّتها كلَّما استمرَّ العالم.

س.د.ب: قلتَ إنَّهُ من الصَّعبِ إدراكُ العالمِ بطريقةٍ ماديَّةٍ من دونِ إله، واستشعاره في الأجسام objets، وفي الأشياء، وفي النَّاس. بأيِّ طريقة؟ وما هي الطَّريقةُ الَّتي أوصلتكَ إليه؟ هل حدث تطوُّرٌ ما؟ سأعودُ، إذا شئتَ، إلى مسألةِ الانتقالِ من إلحادِكَ المثاليِّ إلى الإلحادِ المادِّيِّ. على ماذا انطوى هذا؟

ع.ب.س: هذا ينطوي أوَّلاً على فكرةِ أنَّ الأجسامَ بلا وعيٍ، وهي فكرةٌ أساسيَّةٌ. غالباً ما يهملُها النَّاس. يبدو أنَّ النَّاس الَّذينَ يتكلَّمونَ عن الأجسام يرونَ أنَّها تتمتَّعُ بوعيٍ مُبهمٍ. وحينما نعيشُ في العالم، بين النَّاس، نتصوَّرُ تلكَ الأشياءَ على هذا النَّحو. وهذا هو الوعيُ الَّذي ينبغي إزالتُه. ينبغي على المرءِ أن يخترعَ لذاتِه طريقةَ وجودِ الأشياء، وهو وجودٌ ماديٌّ كتيمٌ، من دون علاقةِ بوعيٍ ينيرُها، باستثناءِ علاقتِها بوعيِنا. وفي كلِّ الأحوال؛ لا علاقةَ لهذهِ الأشياءِ بالوعيِ الدَّاخليِّ الكامنِ فيها.

س.د.ب: تعني أنَّنا ننسبُ وعياً للأشياء؛ لأنَّ وعيَ الله يرى ما نفترضهُ فيها؟

ع.ب.س: قطعاً. اللهُ رائيها، ويضفي عليها وعياً من ذاته. أمَّا ما ندركه؛ فهي أشياءُ كما نراها؛ أي إنَّ الوعيَ موجودٌ فينا، والشَّيءَ بلا وعيٍ تماماً. إنَّه يقعُ في مستوى عالمِ الأشياءِ المادِّيَّة En-soi. وهذا شأنٌ معقَّدٌ يجب أن يُدرَسَ بعناية قبلَ التَّاكيدِ على خلوِّ الشَّيءِ من الوعي. وقبلَ جمعِ قطّاعٍ من الأشياءِ الخاليةِ من الوعي في عالمٍ مُعيَّن، لا بُدَّ من بذلِ جهدٍ كبيرٍ؛ لأنَّ الوعيَ الإلهيَّ، كما شرحتهُ آنفاً، يتَّجه دائماً إلى بعثها، وينسلُّ إليها مهما كان شكلُهُ. وهذا، تحديداً، ما ينبغي تجنُّبه، لأنَّه غيرُ صحيح.

س.د.ب: تتحدَّثُ عن الشَّيءِ غير الواعي بذاته En-soi، لكنَّكَ لا تقصدُ أنَّه يتمتَّعُ بنوعٍ من الوجود، مُعرَّفٍ، ومُحدَّدٍ تماماً، ومُستقِلٍّ عن الوعيِ البشريِّ. إنَّه بذاتِه En-soi، ليس لذاتِه، لكنَّ هذا لا يعني أنَّ له وعياً خارجَ وعيِك، وحقيقةً تفرضُ نفسَها على الوعيِ الَّذي هو تحديداً؛ الواقعُ الَّذي خلقَه الله؟

ج.ب.س: هذا ما أردتُ قولَه. أظنُّ فعلاً، أنَّ الأشياءَ الَّتي أراها هنا موجودةٌ خارجَ نفسي. ليس وعيي مَنْ يوجدُها، إنَّها غيرُ موجودةٍ بالنِّسبةِ لوعيي، وفقط من أجلِه، وهي غيرُ موجودة بالنِّسبةِ لمجملِ النَّاس، وفقط من أجلِهم. إنَّها موجودةٌ من دونِ وعيٍ، أوَّلاً.

س.د.ب: إنَّها موجودةٌ في علاقتِها بوعيِك، وليسَ في نوعٍ من الموضوعيَّة القُصوى المتأتيَّةِ من أنَّها منظورةٌ من الله بطريقةٍ مُعيَّنة.

ج.ب.س: إنَّها ليسَت منظورةً من الله بطريقةٍ مُعيَّنة؛ لأنَّ الله غيرُ موجود، إنَّها منظورةٌ من الوعي، لكنَّ الوعيَ لايخلقُ ما يراه، إنَّه يدركُ شيئاً حقيقيّاً موجوداً في الخارج.

س.د.ب: نعم، بحسبِ ما تقول، الوعيُ يدركُ الشَّيءَ بهيئاتٍ مقبولة.

ج.ب.س: صحيح.

س.د.ب: ليس هناكَ هيئةٌ مُفَضَّلَةٌ يمكن أن تكونَ الهيئةَ الَّتي يدركُها الله.

ج.ب.س: بتاتاً؛ الشَّيءُ بالغُ التَّعقيدِ والصُّعوبة، فهو يظهرُ بهيئاتٍ مختلفةٍ لمن يراهُ من النَّاس. ونظراً لوجودِ وعيٍ آخرَ غيرِ الوعيِ البشريِّ، كوعيِ الحيواناتِ، ووعيِ الحشراتِ، على سبيل المثال. فهو يُسلِّمُ قيادَه إذاً، بطرقٍ مختلفة تبعاً للوعيِ الَّذي يُدركهُ؛ لكنَّ الشَّيءَ يقعُ خارجَ هذا الوعي؛ إنَّه عالمُ الأشياءِ الماديَّة، لكنْ من دونِ وعيٍ لنفسِه، إنَّه شكلٌ كينونةِ الأشياءِ الماديَّةِ. على الرَّغم من أنَّ عالمَ الأشياءِ المادِّيَّة (بذاته)، وشكلَ كينونةِ الإنسان لا يرتبطان ببعضهما، كما نفهمها بالنِّسبة لله، لكنْ بوصفهما صِفَتَين لِسبينوزا: ال: ما هو بذاتِه، هو من يحمل وعياً، والوعي الَّذي لا وجودَ له إلَّا بوصفِه وعياً لشكلِ كينونةِ المادَّة. لا شكَّ أنَّهُ يمكنُ أن يكونَ وعياً لما هو لذاته، حيث أنَّ ال: ما هو بِذاته؛ يفصحُ عن نفسِه. لكنَّ ال: ما هو لِذاته لا يوجَدُ إلَّا بوعيِ الـ: ما

هو بِذاته. بالنتيجة، فإنَّ الـ: ما هو بِذاته لِذاته، المُدرَك بوصفِه كينونة الله مستحيلٌ، إنَّه مجرَّد فكرةِ العقلِ من دونِ واقع. من جانبٍ آخر؛ هناكَ علاقةٌ بين ما هو بذاته لذاته الموجود في كلِّ لحظة. في هذه اللَّحظة، أعي حشداً من الأشياءِ الموجودةِ أمامي، الموجودةِ فعليّاً، والَّتي أُدركُها بوجودها نفسِه. إنَّني أُدركُ ال: ما هو بذاته لطاولةٍ أو لكرسيٍّ، أو لصخرةٍ.

س.د.ب: الإلحادُ إذاً، أحدُ بديهيَّاتِك، وأحدُ أُسسِ حياتِك. فما رأيُكَ بالنَّاس الَّذين يقولون إنَّهم مؤمنون؟ وهناك مَن التقيتَهم منهم، وقدَّرتَهم، ولا شكَّ أنَّ هناكَ آخرين لم تقدِّرهم؛ هناك، على ما أظنُّ، مَن يقولون إنَّهم مؤمنون ولا يؤمنون. إجمالاً: ما هو رأيُك بما تمثِّله حقيقةُ الإيمان، حينما يتمتَّعُ المرءُ بدرجةٍ مُعيَّنةٍ من الثَّقافة بطبيعة الحال. حينما كان ميرلو بونتي يقول بأنَّه يؤمن بالله ـ توقَّف عن قول هذا ـ، أو حينما كان يقولُ أصدقاؤُك من الخوارنة واليسوعيِّين بأنَّهم يؤمنون بالله ؟ إجمالاً، في طريقة الإنسان للسَّير في حياته، ماذا يعني أنْ يطرحَ الإنسانُ نفسَه بوصفِه مؤمناً بالله؟

ج.ب.س: يبدو لي هذا بمثابةِ ديمومةٍ. أظنُّ أنَّه مرَّ وقتٌ كان فيه الإيمانُ باللهِ أمراً عاديّاً، كما في القرن السَّابعَ عشر، في الوقتِ الرَّاهن؛ ليس ثمَّة حدسٌ بالإلهيِّ نظراً للطَّريقةِ الَّتي نعيش بها، والطَّريقةِ الَّتي نعي فيها وعيَنا، ونلاحظ أنَّ الله يهرب. أظنُّ أنَّ فكرةَ اللهِ اليومَ صارَتْ قديمة، وطالما شعرتُ بشيءٍ بالٍ، وعتيقٍ، لدى النَّاسِ الَّذين حدَّثوني عن اللهِ وهم مؤمنون به.

س.د.ب: لكن، بمَ تفسِّرُ تعلُّقَ النَّاس بهذه الفكرةِ الباليةِ، والعتيقة؟

ج.ب.س: كما نتعلَّقُ بأفكارٍ أُخرى باليةٍ وقديمة، وبمنظوماتٍ باليةٍ وعتيقة؛ لأنَّ هؤلاء النَّاسَ احتفظوا من تلك الفترة، بتركيبٍ إلهيٍّ كبير يعودُ إلى القرن السَّابعَ عشر، مثلَ العناصر الَّتي لم يعدْ لها مكان في تركيبٍ راهنٍ آخر. وهم لا يقدِرون على العيشِ من دونِ هذا التَّركيبِ الميِّتِ الَّذي يعودُ إلى قرون سابقة،

وحينما يظهرونَ في عصرنا؛ تراهم قد عفا عليهم الزَّمن، وشاخوا. لديهم رؤيةٌ عن العالمِ تعودُ إلى فترةٍ سابقة.

س.د.ب: لكن، من أينَ جاءتهم هذه الرُّؤيةُ عن العالم، برأيك؟

ج.ب.س: من خياراتهم، ومن أنفسهم، ومن حُرِّيَّتهم، ثمَّ ممَّا تأثَّروا به. لقد تأثَّروا بأُناس، هم أنفسُهم، احتفظوا برؤيةِ القرنِ السَّابع عشر، من الكهنةِ رُبَّما، أو من أُمهاتٍ غارقاتٍ في مسيحيَّتهنَّ؛ باعتبارِ أنَّ الأمهاتِ أكثرَ ارتباطاً بالدِّين من الرِّجال، على الأقلِّ في الفترة السَّابقة. إذاً، يبدو لي هؤلاء النَّاس يمثِّلونَ شيئاً لم يعُدْ يُغري شابّاً يبحثُ عن تكوينِ نفسِه، لكنَّه يحسُّ بالماضي، بوصفِه ماضٍ عتيق. ينبغي أن يكونَ لأولئكَ الشَّبابِ الَّذين يؤمنونَ باللّه ما يربطهم بالتَّقاليد... المختلفةِ عن تقاليدِنا.

س.د.ب: تكلَّمتَ عن خيارٍ مُعيَّنٍ لرؤيةِ العالم؛ هل تظنُّ أنَّ هذا الخيارَ يمنحُهم مزايا، وأنَّه وراءَ خيارِهم هذا؟

ج.ب.س: لا شكَّ أنَّه يمنحهم مزايا. فالإيمانُ بوجودِ عالمٍ مُغلَق، وتركيبٍ لم نصنعْه، بل صنعَه، في الخارج، كائنٌ قديرٌ، وأنَّ هذا العالَم صُنع لكلِّ واحدٍ منَّا، وأنَّ الألمَ امتحانٌ يقبلُه الكائنُ الأعلى ويريده، أحبُّ إلى النفس منَ النَّظر إلى الأشياءِ كما هي عليه: بمعنى الآلام الَّتي لا يستحقُّها الإنسان، ولم يردْها أحد، ولا تقدِّم شيئاً إلى الشَّخص الَّذي يقاسيها. ومزايا أيضاً، ليسَتْ مزايا أحد، وتُمثِّل أيضاً مُعطىً من دونِ أن يعطيه شخص. ولتصحيحِ الفكرةِ القديمةِ القائلةِ بأنَّ اللّه واعٍ بكلِّ شيء، ويرى العلاقةَ بين الأشياءِ كلِّها، وهو مَنْ يُقيم هذه العلاقات، ويريدها، وكذلك نتائجها، لا بُدَّ من إدارة الظَّهر إلى العلم، والعلوم الإنسانيَّة، وكذلك العلومِ الطَّبيعيَّة، وينبغي العودةُ إلى عالمٍ مناقضٍ تماماً للعالم الَّذي صنعناه منذُ ذلك الوقت. بمعنى الحفاظُ على فكرةِ أنَّ علومَ الطَّبيعة وعلومَ الإنسانِ قد ساهمَتْ بشكلٍ كبيرٍ بطردِها، من دونِ أن تعلنَ ذلك، ومن دونِ أن تريدَها صراحةً.

س.د.ب: من جانبٍ آخر، هل ترى أنَّ للإنسان المُلحِد، لا أقولُ مزايا، بلْ نوعاً من الإغناءِ الأخلاقيّ، والنَّفسيّ؟

ج.ب.س: نعم، لكن بعدَ وقتٍ طويل؛ إذ ينبغي التَّخلُّصُ نهائيّاً من مبدأ الخير والشَّرِّ، الَّذي هو الله، والسَّعي إلى إعادة النظر في عالمٍ تخلَّصَ من كلِّ المفاهيمِ الدِّينيَّة الَّتي تُقدِّم نفسَها بوصفِها اتِّساعاً للهو بذاته، والعمل على إعادةِ بنائِه. هذا مستحيلٌ. حتَّى مَنْ يظنُّ بأنَّه صارَ مُلحِداً واعياً وحصيفاً، ما زال مُتأثِّراً بمفاهيمَ إلهيَّة، وبعناصرَ من الفكرة الإلهيَّة، وبالتَّالي فهو يفتقرُ إلى ما يريد؛ إنَّه يُدخِلُ الإلحادَ، شيئاً فشيئاً، في فكره، لكن لا يمكنُنا القولُ إنَّ العالمَ مُلحد، وإنَّ العالم الإنسانيَّ مُلحِد؛ إذ ثمَّةَ الكثيرُ من المؤمنين ما يزالون موجودين.

س.د.ب: وبالنِّسبةِ لشخصٍ مثلِكَ، على سبيل المثال، ما هي الفائدةُ الَّتي جنيتَها من عدمِ الإيمان بالله، إضافةً إلى كونِكَ فكَّرتَ بأنَّ هذا الإلحادَ هو الحقيقة، طبعاً؟

ج.ب.س: لقد أكَّدَ الإلحادُ حرِّيَّتي، وطهَّرها؛ هذه الحرِّيَّةُ لم تتحقَّقِ الآن لإعطاءِ اللهِ ما يطلبه منِّي، بل هي لإيجادِ نفسي، وإعطاءِ نفسي ما تطلُبُه منِّي. هذا أساسيٌّ. إضافةً إلى أنَّ علاقاتي بالآخرين مباشرة، ولم تعُدْ تمرُّ عبرَ كُلِّيِّ القدرة. ولستُ بحاجةٍ إلى الله لكي أحبَّ النَّاس. إنَّها علاقةٌ مباشرةٌ من إنسانٍ لإنسان، ولست بحاجةٍ لأمرٍ يأتيني عبرَ اللَّامُتناهي. ثمَّ إنَّ أفعالي شكَّلَت حياتي، الَّتي ستنتهي، والَّتي انغلقَت تقريباً، وباستطاعتي أن أحكمَ عليها من دون أن أُخطئ كثيراً. هذه الحياةُ لا تدين بأيِّ شيءٍ إلى الله، إنَّها، هي نفسها، كما أردتُها، وصنعتُ جزءاً منها من دون إرادتي. وحينما أنظرُ إليها اليوم: تراني راضياً عنها، ولستُ بحاجةٍ لوساطةِ الله في هذا. ليس عليَّ سوى المرور بالبشري، أي الآخرين وأنا. وأظنُّ أنَّه طالما نعملُ جميعاً، كثيراً أو قليلاً، على تكوينِ جنسٍ بشريٍّ له مبادؤه، وإراداته، ووحدتُه من دون الله؛ فإنَّنا جميعاً،

في كلِّ لحظةٍ، وفعلاً في كلِّ لحظةٍ من حياتنا، مُلحدون، أو على الأقلِّ، لدينا إلحادٌ يتطوَّر، ويتحقَّق من أحسنٍ لأحسن.

س.د.ب: هل تظنُّ أنَّ أوَّلَ خلاصٍ للإنسانِ من الاغتراب، يبدأ بعدمِ الإيمانِ بالله؟

ج.ب.س: هذا مؤكَّد.

س.د.ب: هو عدمُ اتِّخاذِ مقياسٍ آخر للإنسان ومستقبلِه سوى الإنسان.

ج.ب.س: الله صورةٌ مُسبَقةٌ صنعها الإنسان؛ الإنسان مضافٌ إليه اللَّانهائيّ، وإزاءَ تلك الصُّورة ينبغي على الإنسان أن يعملَ لإرضاءِ الله. إذاً هي دائماً تلك العلاقةُ بالذَّات، علاقةٌ بذاتٍ عبثيَّةٍ، لكنَّها شاسعة، ومُتطلِّبة. هذه العلاقة هي الَّتي ينبغي إلغاؤها، لأنَّها ليسَتِ العلاقةَ الحقيقيَّة بالذَّات. العلاقةُ الحقيقيَّةُ بالذَّات هي مع ما نحن عليه، وليس مع هذه الذَّاتِ الَّتي كوَّنَّاها بشكلٍ غامضٍ لكي تكونَ شبيهةً بنا.

س.د.ب: هل بقيَ لديكَ شيءٌ تقولُه؟

ج.ب.س: نعم، ولا. إنَّ الحقيقةَ الَّتي تقوم على العيشِ الوثيقِ مع أشخاصٍ لا يؤمنون بالله، تُلغي هذا الوسيطَ اللَّامتناهي الَّذي هو الله، بين هؤلاءِ الأشخاصِ وبين الذَّات. لقد عشتُ، أنا وأنتِ، مثلاً من دون أن تشغلَ هذه القضيَّةُ بالَنا. ولا أظنُّ أنَّ الكثيرَ من مناقشاتنا قد تناولتها.

س.د.ب: لا، أبداً.

ج.ب.س: ومع ذلكَ عشنا، ونعتقدُ أنَّنا اهتممنا بعالمِنا، وحاولنا فهمَه.

نهايةُ الحوارات



الفهرس



Simone de Beauvoir

قالَ لي سارتر ذاتَ مطلعِ صيفٍ، وكأننا سنفترقُ لشهرٍ واحد: «إذاً هي مراسم الوداع؟» فغمرني شعورٌ بمعنى ما ستكونُ عليه هذه الكلمات ذاتَ يوم. استمرت تلك المراسمُ عشر سنوات، وهي السنوات العشر التي أرويها في هذا الكتاب.

«مراسم الوداع»

أجريتُ هذه الحوارات مع سارتر خلالَ صيفِ عام 1974 في روما وباريس مع بداية الخريف. كان في بعض الأحيان مُتعباً، فيجيبُني بشكلٍ غير واضح، أو ربّما كنتُ أفتقرُ إلى الإلهام، فأطرحُ أسئلةً لا معنى لها. حذفتُ بعضَ الحوارات التي بدت لي من دون أهمية، أمّا الأخرى: فجمعتُها بحسب موضوعاتها، وتدرّجها الزّمني تقريباً، وحاولتُ أن أضعَها في صيغة مقروءة. ثمّةَ فرقٌ شاسعٌ، كما نعرف، بين أقوالٍ جُمعت مُسجّلةً في آلة تسجيل، ونصوص مكتوبة بشكلٍ صحيح. لكنّي لم أحاولْ كتابتَها بالمعنى الأدبيّ للكلمة، لأنّي أردتُ الحفاظَ على عفويّتها، لذلكَ سيجدُ القارئُ فيها مقاطعَ غيرَ مترابطة، وتلكؤاً، وتكراراً، بل وتناقضات أيضاً: أبقيتُها على حالها لأنّي خشيتُ تشويهَ كلمات سارتر، أو التّضحيةَ بإيحاءاتها. إنّها لا تُضيفُ إليه كشفاً غيرَ منتظر، لكنّها تسمحُ للقارئ بمتابعة متاهات فكره والاستماع إلى صوته الحيّ.

«حوارات مع جان بول سارتر»

سيمون دي بوفوار

La Cérémonie des Adieux, suivi d'Entertients avec Jean-paul Sartre

ISBN 978-9933-638-25-2

